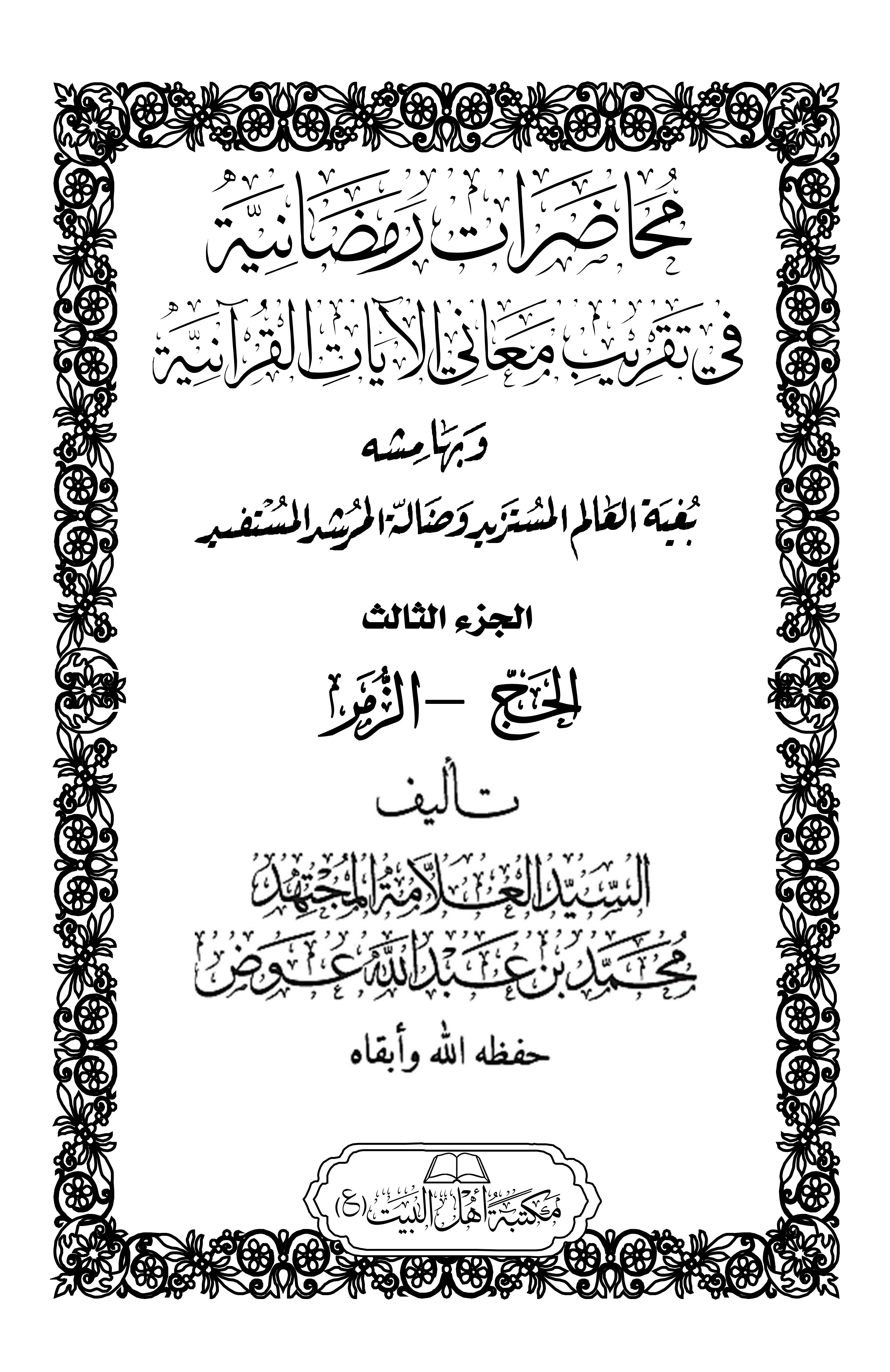


محاضرات رمضانية في تقريب معاني الآيات القرآنية

وبهامشه

بُغية العالم المستزيد وضالة المرشد المستفيد

الجزء الثالث

الحج - الزمر

تأليف

السيد العلامة المجتهد
محمد بن عبدالله عوض
حفظه الله وأبقاه

مكتبة أهل البيت (ع)

صف وتحقيق وإخراج:


اليمن ـ صعدة ـ ت (٥٣١٥٨٠/ ٧١٣٨٤٢٩٨٩)

الطبعة الثانية
١٤٤١هـ

سورة الحج

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ اتقوا عذابه وأن يحل بكم غضبه وسخطه، وتقواه لا تكون إلا بفعل ما يرضيه من الطاعات واجتناب ما يسخطه ويغضبه.

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ(١)﴾ ومعنى «زلزلة الساعة» شدة تحريكها للأرض والجبال شدة تجعلها ذرات متطايرة في الهواء.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ تذهل المرضعة عن رضيعها، وتضع الحامل ما في بطنها من هول ما يكون من أمر الساعة وشدة ما يراه الراؤون ويسمعه السامعون من أهوالها ومخاوفها العظيمة وشدائدها المخيفة.

﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾ قد اختلطت عقولهم، وفقدوا صوابهم من هول ما يرون.

﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ(٢)﴾ يذكر الله سبحانه وتعالى أن السبب في ذهاب العقول وذهولها وعظيم خوفها هو ما ترى من أهوال العذاب وشدته.

هذا، وما أخبرنا الله سبحانه وتعالى به من أمر الساعة من شأنه أن يكون كذلك لو كان هناك من يرى ذلك، وذلك لنتصور[١] شدتها وهولها وإلا فقد قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً(١٤)﴾ [الحاقة]، يعني أنه سيفني الكون بما فيه في لحظة واحدة وانفجار واحد بحيث لا يبقى أحد ليرى ذلك؛ لأن كل الكون بما فيه الكائنات سيفنى في لمح البصر.

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم هل هناك دلائل أخرى على هذه النظرية وأنها ليست إلا للتصوير؟

الجواب: الدليل هو أن الأرض والجبال ستنفجر انفجاراً واحداً وتدك دكة واحدة هي ومن عليها فلا يمكنهم أن يروا أهوال الزلزلة لأنهم سيهلكون مع الزلزلة ويموتون فيها، ويمكن أن يروا مقدماتها وأماراتها فيذهلون من هول ذلك قبل أن تطحنهم الزلزلة.

وأما ما يكون من الهول الشديد عند البعث فهو خاص للكفار والفساق، وأما بالنسبة للمؤمنين فسيؤمنهم الله سبحانه وتعالى من المخاوف والأفزاع والأهوال.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ۝٣﴾ كان المشركون يكثرون الجدال على النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ، وكانوا من ألد الخصام له، مع أنهم لم يكونوا من أهل العلم، وليس لهم كتاب يعتمدون عليه في دينهم، وليس لديهم حجة من عقل أو نقل، وإنما يجادلون(١) بالباطل عن أحجار لا تضر ولا تنفع، متبعين لأهوائهم وشياطينهم، ومعنى «مريد»: مبالغ في العصيان الكامل في البعد من الطاعة.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ۝٤﴾ فمن اتبع الشياطين وسار في قيادتهم فإنهم سيضلونه عن الهدى وعن طريق الحق ويدفعونهم إلى أودية الضلال والهلاك التي تؤدي بهم إلى نار جهنم وبئس المصير، ومعنى «كتب عليه» مَثَلٌ وتصوير لحال من يتولى الشيطان بحال من كتب عليه ورقم في وثيقة أن الشيطان سيقوده إلى الضلال ويجره إلى عذاب جهنم.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾ يخاطبهم الله سبحانه وتعالى بأنه إن خالجهم الشك أو دخل في قلوبهم الريبة في إعادة خلقهم وبعثهم بعد موتهم، وبعد أن تصير عظامهم رميماً فلينظروا إلى بداية خلقهم أول مرة من العدم، وسيعلمون العلم اليقين أن الله سبحانه وتعالى قادر على إعادتهم وبعثهم بعد موتهم، وأن الله على كل شيء قدير.

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ وهو بداية خلقهم عندما خلق آدم وحواء من التراب.

---

(١)-**سؤال:** لماذا أطلق على جدالهم هذا بأنه جدال في الله؟

الجواب: لأنهم كانوا يجادلون في إثبات دين الشرك بالله والكفر به، وفي إبطال دين الحق وتوحيد الله ونفي الشركاء عنه.

﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ ثم بعد أن خلق آدم وحواء الذي هو الخلق الأول، جعل الله خلقكم من النطفة التي يلقيها الرجل في الرحم، ثم إن هذه النطفة تتحول إلى قطعة دم متجمدة.

﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ ثم إن هذه العلقة تتحول إلى قطعة لحم، وأن قطعة اللحم هذه يكون بعضها قد ظهرت فيها أثر الخلقة، وبعضها لم يكن قد ظهر عليها أيُّ أثر ثم تتخلق من بعد[١].

﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه خلق الإنسان على هذا الترتيب وعلى هذه المراحل ليبين لهم قدرته البالغة وعظمته اللامتناهية.

﴿وَنُقِرُّ[٢] فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وأنه يثبت بعض هذه الأشياء ويحفظها في الأرحام إلى أن يحين وقت ولادتها، بينما يسقط البعض الآخر قبل ذلك، وأن كل ذلك بمشيئته وإرادته.

---

(١)- **سؤال:** هل يصح الاستدلال من هنا على أن السقط يكون حملاً إذا دخل في الشهر الثالث بناء على أن مدة الطور الواحد أربعون يوماً؟ وما هو دليل أهل المذهب على اعتبار التخلق في الحمل حتى تصير المرأة بوضعه نفساء؟

الجواب: تدل هذه الآية على أن السقط إذا كان مضغة سواء أكانت مخلقة أم غير مخلقة تكون حملاً تنقضي به العدة وتكون به المرأة نفساء بمعونة قوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:٤]، وإطلاق الحمل هنا تدخل فيه المضغة المخلقة وغير المخلقة، فهذا هو ما تفيده ظاهر الآيات، ولعل أهل المذهب أرادوا بالمضغة التي لم تكن مخلقة المضغة التي دخلت في الطور الثالث ولم يكتمل تكوينها مضغة بل ما زالت طبيعتها أقرب إلى طبيعة الطور الثاني أي إلى طبيعة العلقة، فمثل هذه المضغة يلزم اختبارها بوضعها في ماء حار فإن تميعت وتفتتت إلى طبيعة الدم فهي علقة، وإن لم تتغير عما هي عليه فهي مضغة تنقضي بها العدة وتصير به المرأة نفساء، فهذا ما ظهر لي والله أعلم.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما السر في رفع هذا الفعل مع أن ما قبله منصوب؟

الجواب: رفع لأنه لم يرد أن يعطف على «النبين»، بل أريد أن يستأنف خبراً جديداً أي: ونحن نقر في الأرحام ما نشاء.

﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا[(١)] ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ وهذه هي بداية مراحل حياة الدنيا، فيولد طفلاً لا حول له ولا قوة فيحوطه بعنايته ورعايته إلى أن يكبر ويصل أوان رشده، ويكتمل عقله وقوته، وكل ذلك تحت إرادته ورعايته.

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ وأن منهم من يموت قبل أن يستوفي عمره الطبيعي، وبعضهم يبلغ أوان الشيخوخة ونهاية العمر.

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ فيعمره الله سبحانه وتعالى إلى أن تنتهي مداركه وينتهي عقله وسمعه وبصره فلا يستطيع أن يميز.

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ۝﴾ وهذا مثال ثان ليصور لمنكر البعث بعد الموت إمكان ذلك، وهو أن ينظر إلى الأرض حال يباسها وجفافها، وما أن ينزل عليها المطر فإذا بك تراها ترجع إلى الحياة من جديد، وتكتسي بالخضرة والأشجار والثمار مرة أخرى، فما دام قد قدر على إحياء الأرض الميتة فقطعاً سيقدر على أن يحيي الموتى فلا فرق بينهما في قدرته تعالى، ومعنى «اهتزت وربت»: تحركت بالنبات وانتفخت، ومعنى «زوج بهيج»: وأنبتت من كل صنف حسن المنظر.

﴿ذَلِكَ[(٢)] بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ بعد أن أثبت للكافرين قدرته على الإحياء بعد الموت أخبرهم بأنه هو الإله الحق الذي يستحق العبادة والتوجه إليه بالطاعة؛ لأنه

---

(١)-**سؤال:** يقال: لماذا لم يأت بالجمع هنا فيقل: أطفالاً؟ وما إعراب: ﴿طِفْلًا﴾؟

الجواب: أفرد الطفل ولم يجمعه لأنه أراد الجنس أو أنه أراد: ثم نخرج كل واحد منكم طفلاً، و«طفلاً» حال من مفعول «نخرجكم».

(٢)-**سؤال:** إلام أشير بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾؟ وما معنى الباء في قوله: ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾؟

الجواب: أشير بذلك إلى ما تقدم من آيات قدرة الله في خلق الإنسان وإحياء الأرض بعد موتها، والباء للسببية أي: أن تلك الآيات كائنة بسبب أن الله هو الإله الحق الذي به تتحقق الأشياء، و...إلخ.

وحده الإله الحق الذي هو جدير بأن يعبد دون تلك الأصنام التي يعبدونها من دونه، والتي لا تقدر على أي نفع أو ضرر.

﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ وأنه قادر على إحياء الموتى، يشهد له بذلك ما أثبته من القدرة بالبراهين والأمثال الحسية التي ضربها للناس.

﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦﴾ فما دام قد قدر على خلق الإنسان من التراب أولاً ثم من النطفة ثم من العلقة، وهكذا إلى أن يصير إنساناً سوياً سميعاً وبصيراً فهو بلا شك قادر على أن يحييهم بعد موتهم.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۝٧﴾ وأيضاً ففيما ذكر من الإحياء والبعث بعد الموت دلالة على وقوع الساعة والبعث والحساب.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ۝٨﴾[1] هم قريش كانوا يكثرون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الجدال عن غير علم أو كتاب يستندون إليه أو حجة أو برهان وإنما يجادلون عن جهل وهوى، وكانوا يكذبونه فيما أخبرهم به، ويستهزؤون به، ويتحينون كل فرصة ليدخلوا عليه منها لإبطال دينه ودعوته، ولا زالوا كذلك إلى أن قهرهم الإسلام ودخل عليهم المسلمون فأكرهوهم على الإسلام تحت حر السيوف، وقد تبعهم على ذلك بقية كفار جزيرة العرب؛ لأن قريشا كانت قبلة العرب لما يتمتعون به من المكانة الرفيعة والشرف والعز والهيبة.

---

(١)-**سؤال:** هل تصلح هذه الآية دليلاً يتناول كل من يجادل في شيء من الدين عن غير معرفة ولا بصيرة؟

الجواب: نعم تصلح دليلاً وتتناول كل من يجادل في الدين بغير بصيرة ولا معرفة معارضاً بجداله الحق والمحقين، وذلك لأن قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ مطلق صادق على أي بعض من الناس وليست مقيدة ببعض معين.

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾[١] ومع جدالهم ذلك يشمخون بآنافهم استكباراً على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، واستعلاءً عليه، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا تكلم عندهم بكلمة حق فإنهم يلوون ظهورهم عنه من شدة الكبر والغرور.

﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قاصدين بذلك أن يوهموا الناس أن ما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليس إلا جهالة وضلالة وليس أهلاً لأن يستمعوا إلى كلامه.

﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝٩﴾ هذا جزاء من يعمل هذه الأعمال من الجدال عن غير علم، والتكبر عن قبول الحق مع معرفته له بالحجج والبراهين الواضحة.

يتهدد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أحد كبار قريش وهو النضر بن الحارث.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالى أنه عند تعذيبه يوم القيامة يخبره أن ذلك بسبب ما جنته يداه في الدنيا من الصد عن سبيله والجدال بالباطل.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۝١٠﴾ فإدخالهم جهنم ليس ظلماً منه جل وعلا لهم؛ لأنهم هم الذين جنوا على أنفسهم، وتسببوا في عذابها بكفرهم وتكذيبهم.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ[٢] اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾؟ ولماذا أتى بها مفردة؟ وهل هي كناية عن التكبر؟ وما معناها في الأصل؟ وما العلاقة بين المعنيين؟

الجواب: «ثاني عطفه» حال من فاعل «يجادل» والإضافة ليست حقيقية، وأفرد الحال لأن صاحبه مفرد وهو ضمير الفاعل في «يجادل» وهو عائد إلى «مَنْ» ولفظه مفرد، و«ثاني عطفه» كناية عن تكبر صاحبه، ومعناها في الأصل أن يلوي الرجل نصفه الأعلى ويحرفه عن وجه محدثه، ولا تحتاج الكناية إلى علاقة ولا قرينة؛ لأنها حقيقة وليست مجازاً، ويصح فيها إرادة المعنيين جميعاً اللازم والملزوم أي: ثني العطف والتكبر.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ﴾؟

الجواب: «من الناس»: خبر مقدم، و«من» مبتدأ مؤخر، وجملة «يعبد الله» صلة الموصول.

حال ضعاف الإيمان، فشبههم بمن هو قائم على طرف شيء قد أوشك على التهاوي والسقوط.

﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ لأن الإيمان لم يكن قد استحكم في قلبه وأدنى شيء سيجره إلى الكفر، وسيبيع دينه بأرخص الأثمان، والمقصود بالفتنة هنا: المصائب كالفقر والمرض ونقص المال.

﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴿١١﴾﴾ وأن هذا حال ضعاف الإيمان فإذا حصلت لهم شدائد مع النبي ﷺ أو مع أحد الأئمة من الجهاد ونحوه فإنهم لا يصبرون على ذلك ويختلقون الأعذار والحيل للفرار والهرب.

﴿يَدْعُو[1] مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ يعني بهم أهل الشرك فهم يعبدون آلهة غير الله سبحانه وتعالى لا تضرهم ولا تستطيع أن تنفعهم بشيء.

﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴿١٢﴾﴾ فهم بفعلهم هذا في غاية البعد عن الحق؛ لأنهم بأفعالهم هذه يتركون ما تدعوهم إليه فطر عقولهم، ويركضون وراء شهواتهم وأهوائهم، وما داموا كذلك فلن يتوفقوا إلى الحق والهدى أبداً.

﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ[2] أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ يذهب إلى عبادة هذه الآلهة مع أنه لا يحصل من وراء عبادتها إلا الإضرار بنفسه، ولا يجني من ورائها أي فائدة أو مصلحة.

---

(١)-**سؤال:** ما محل هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب لأنها مستأنفة في جواب سؤال مقدر عن سبب الخسران.

(٢)-**سؤال:** ما العلة في فتح الضاد من كلمة ﴿ضَرُّهُ﴾؟ وما هي هذه اللام الداخلة على «من» في قوله: ﴿لَمَنْ﴾؟ وكذا الداخلة على بئس؟

الجواب: الضَّر بفتح الضاد مصدر ضره يضره وبابه ردَّ، وعلى هذا ففتح الضاد هو الأصل ويكون الضر بضم الضاد اسم مثل الغسل والغسل بفتح الغين وضمها، واللام الداخلة على «من» هي لام الابتداء علقت «يدعو» عن العمل لتضمن يدعو معنى «يزعم»، واللام في ﴿لَبِئْسَ﴾ هي تكرير للام الأولى.

﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴿١٣﴾﴾ وهذا من خفة عقولهم وسخافتها عندما يعبدون من لا ينصرهم، ويتركون عبادة الذي بيده عزهم وشرفهم ورفعتهم في الدنيا والآخرة، والعشير هو الجليس؛ لأنهم كانوا يعكفون عندها ويجالسونها، وأي خير أو نفع يرجى من إنسان يتخذ عشيراً أو ناصراً لا ينفعه.

وفي هذا دلالة على قبح مجالسة رفقاء السوء أو مخالطتهم أو مصاحبتهم أو الركون إليهم في شيء.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴿١٤﴾﴾(١) أما المؤمنون الذين آمنوا وصدقوا بالله سبحانه وتعالى، وعملوا مع ذلك الأعمال الصالحة فإن الله تعالى سيثيبهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴿١٥﴾﴾(٢) كان اليأس قد تسرب إلى

(١)- **سؤال:** هل في هذه الآية دلالة على تقدم الإرادة من الله سبحانه وتعالى على المراد؟ وكيف يكون المعنى؟

الجواب: نعم، فيها دلالة واضحة على تقدم الإرادة من الله تعالى على فعل المراد، وعليه فيكون المعنى إن الله تعالى يفعل ما قضت بفعله الحكمة والعلم أي ما علم الله تعالى أن في فعله وخلقه في وقت محدد حكمة ومصلحة.

(٢)- **سؤال:** إلام يرجع الضمير في قوله: ﴿يَنْصُرَهُ﴾؟ وما معنى «ما» في قوله: ﴿مَا يَغِيظُ﴿١٥﴾﴾؟ ولِـمَ ذكر الله سبحانه النصر في الآخرة مع أن الكلام في نصر الدنيا؟

الجواب: الضمير يعود إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكما قال في الكشاف: إن هذا الكلام قد دخله الاختصار، وإن التقدير إن الله تعالى ناصر رسوله فمن كان يظن... إلخ، و«ما» في قوله: ﴿مَا يَغِيظُ﴿١٥﴾﴾ مصدرية مسبوكة مع ما بعدها بمصدر أي غيظه. وذكر الله تعالى نصره لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الآخرة لأن من كان يظن أن لن ينصر الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هم ضعاف الإيمان أو المنافقون وقد كانوا غير مصدقين بوعد الله لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالنصر في الدنيا وبوعده تعالى بالثواب والدرجات الرفيعة في الآخرة.

قلوب بعض ضعفة الإيمان بعدم نزول نصر الله سبحانه وتعالى لهم وطال عليهم البلاء، وطال انتظارهم لما وُعِدُوا به من النصر والظفر، واشتد عليهم البلاء ومضايقة قريش، وعانوا منهم عناءً شديداً مما أفقدهم صبرهم مع طول المدة حتى خالطهم اليأس من النصر الذي وعدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الله تعالى: من انقطع أمله في نزول النصر من الله، واعتقد أن الله لن ينصر رسوله والمؤمنين، ويئس من ذلك ولم يبق له رجاء في النصر والخروج من الشدائد والبلاء فليبحَثْ عن مخرج ويطلب لنفسه باب فرج، ولن يجد لنفسه مخرجاً ولا باب فرج إلا قَتْلَ نفسه، فيأخذ حبلاً ويربطه في سقف بيته ثم يخنق نفسه، ولينظر هل ذلك سيزيل ما في قلبه من الضيق والمرض.

﴿وَكَذَلِكَ[1] أَنْزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه أنزل القرآن عليه وفيه الآيات الواضحات الدالة على صدقه وصدق ما فيه، وأن حجته جلية ومكشوفة لمن سمع آياته، وأن من سمعه فإنه يحصل له اليقين القاطع بصدقه، وقد كان يؤمن به كل من سمعه ممن ليس للهوى مكان في قلبه من دون أي تردد أو شك في مصداقيته؛ غير أن المشركين كانوا يصدون الناس عن الذهاب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الاستماع إليه، وكانوا يترصدون لهم في الطرق ليحذروهم منه، وكان من دخل مكة حاجاً أو معتمراً فإنهم يحذرونه من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن سحره، فلا يتركونه يدخل إلا وقد امتلأ قلبه خوفاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن ملاقاته أو مواجهته.

وهؤلاء الذين وقفوا في وجه دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم كبار قريش، فكانوا يمنعون قبائلهم ونساءهم وأولادهم وعبيدهم وخدمهم، وكل من لهم يد عليهم من ملاقاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو الاستماع إليه، وكان من لقيه منهم صدفة أو سمع منه

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «كذلك»؟ وما معناها على هذا الإعراب؟

الجواب: «كذلك» جار ومجرور صفة لمصدر محذوف أي: أنزلناه إنزالاً كذلك الإنزال الذي تلوناه عليك.

القرآن فإنه يؤمن به لقوة حجته، ووضوح دلالاته وآياته التي تدخل إلى الصميم مباشرة، حتى كبار قريش قد عرفوا حجته وصدق دلالته غير أن الكبر والعناد والتمرد منعهم من اتباعه والعمل بأحكامه، ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ۝٣٣﴾ [الأنعام]، فحجتك واضحة يا محمد فلا تطلب من الله سبحانه وتعالى أن يأتيك بآية كما يطلبون منك، فقد عرفوا الحق، واستيقنته أنفسهم، غير أنهم جحدوه، واستكبروا عن اتباعه.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ۝١٦﴾(١) فلا تطمع يا محمد في إيمان أولئك المكذبين

---

(١)-**سؤال:** علام عطفت هذه الجملة أو مصدرها؟

الجواب: يمكن في إعراب ذلك وجهان:

١- أن يكون المصدر في محل نصب بالعطف على الهاء في «أنزلناه» أي: وأنزلنا أن الله يهدي من يريد.

٢- أن يكون المصدر خبراً لمبتدأ محذوف أي: والأمر أن الله...، وتكون الجملة حالاً.

سؤال: كيف يجيب المرشد على من استدل بهذه الآية على أن الله تعالى لا يهدي إلا من أراد سبحانه هدايته ومن لم يرد هدايته فلا حظ له فيها؟

الجواب: يمكنه أن يجيب فيقول: الهداية من الله تعالى هي هدايتان اثنتان:

١- هداية عامة لا يتم التكليف إلا بها وهي المذكورة في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى...﴾ [فصلت:١٧]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ۝٥٢﴾ [الشورى]، فالله سبحانه وتعالى قد هدى الناس جميعاً برسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبالقرآن.

٢- هداية خاصة جعلها الله تعالى ثواباً عاجلاً لعباده المؤمنين المستجيبين لأمره وهي كالتي في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ۝١٧﴾ [محمد]، وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، والهداية هذه هو تنوير القلب وزيادة التوفيق والألطاف كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ۝٢٨﴾ [الحديد].

=

والمستهزئين فالله سبحانه وتعالى لا يهدي لدينه ولا يعطي ألطافه إلا من كان أهلاً للهدى، وقبل الحق وتواضع له واستجاب له فإن الله ينور قلبه ويزيده من الهدى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴿١٧﴾﴾ فهو عالم بأعمال أهل كل ملة، ومُحْصٍ ما أسرُّوه منها وما أضمروه، وما أعلنوه وما أخفوه، وهو حاضر(١) عند كل عمل يعملونه صغيراً كان أو كبيراً، فأخبر أنه يوم القيامة سيحكم بين أهل الملل والأديان بالحق، فيدخل أهل الحق الجنة، وأهل الباطل النار.

والصابئون هم قوم كانوا أهل كتاب وقد أرسل الله سبحانه وتعالى لهم نبياً ولكنهم مالوا عن دينهم ونبيهم، واختلقوا لهم ديناً غير الدين الذي جاءهم به نبيهم(٢).

فقوله تعالى هنا: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴿١٦﴾﴾ فالهدى في هذه الآية هو من النوع الثاني الهداية الخاصة التي جعلها الله تعالى ثواباً لأهل طاعته أما العصاة المعرضون عن طاعة الله فلا يستحقون ثواباً ولا توفيقاً ولا تنويراً، أما الهداية العامة التي هي كتاب الله فالمطيع والعاصي فيها سواء فأبواب الهدى في القرآن مفتوحة تشع فيها أنوار الهدى والفرقان ودلائل الهدى قائمة وأسباب الألطاف والتنوير والتوفيق فيه شارعة لعموم المكلفين مطيعهم وعاصيهم.

(١)-**سؤال:** قد يقال: ما العلاقة بين هذا وبين حكمه عليهم بالحق مع وضوح كفرهم أعني غير المسلمين؟

الجواب: قد جاء في القرآن بكثرة وفي غير القرآن الكناية بالعلم عن الجزاء، ولا تحتاج الكناية إلى علاقة ولا قرينة لأنها من قسم الحقيقة؛ لذلك قالوا إنه يصح فيها إرادة المعنيين أي: معنى اللازم والملزوم.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم هل عرفت الصابئة بزمن فمتى هو؟ ومكان فأين هو؟

الجواب: قالوا: إن الصابئ هو الذي خرج من دين إلى دين؛ لذلك كانوا يقولون: إن محمداً قد صبأ؛ لذلك فليسوا أهل ملة معروفة بنبيها وكتابها ومكانها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ يحث الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وسائر المكلفين أن ينظروا في آيات السموات والأرض وما فيهما، وأخبر أن من ينظر فيها فسيرى آثار استجابة تلك الأشياء جميعها لله تعالى، وانقيادها وخضوعها لربها، وأنها سائرة بإرادته لا تتخلف عن ذلك أو تتغير عما هي عليه، فالشمس والقمر، كلٌّ واحد منهما في مسار معين على مدى الدهور والأزمان ويسيران في منازل معلومة ومحدودة، لا تتغير أو تتبدل، والليل والنهار يتعاقبان كذلك منذ أن خلق الله السماوات والأرض فكلها منقادة لله تعالى وتحت إرادته وتصرفه، وكذلك الشجر والدواب فلا ترى شجرة تتمرد أو تماطل في إخراج ثمرها أو ورقها والدواب كذلك، وكذلك النجوم في منازلها وبروجها لا تتخلف عن إرادة الله تعالى، وكلها مسخرة في طاعته والانقياد له، وكذلك البحار والرياح والسحاب.

ومعنى السجود هنا هو: الانقياد والطاعة لله تعالى ولما أراد، وفي قوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾(١) [الحج:١٨]، دلالة على أن الإنسان قد خرج من بين تلك الأشياء كلها عما يريده الله منه فلم يَنْقَدْ لله تعالى إلا البعض(٢) منهم، وأما الآخرون فقد

---

(١)- **سؤال:** يقال: كيف يجمع بين ظاهر الجملتين: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ فقد وصف الكثير بالانقياد والتمرد؟

الجواب: لا تعارض بين الكثرتين فكثرة المكذبين هي بالنسبة لقلة المطيعين، وكثرة المطيعين مطلقة، وأقل الكثرة عشرة.

(٢)- **سؤال:** قد يقال بأن في قوله قبلها: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ إثباتاً لانقياد الكثير من بني الإنسان فكيف؟

الجواب: المراد في التفسير خروج النوع الإنساني في الجملة.

تكبروا على الله تعالى، وتمردوا عليه على الرغم من أنه تعالى قد أكرمهم وفضلهم على سائر المخلوقات، وجعلها مسخرة في مصالحهم وحاجتهم، وقد هيأها لخدمتهم، وأنهم بتمردهم قد استحقوا غضب الله وسخطه والإهانة والذل والخزي، وسينتقم الله منهم ويعذبهم؛ لأنهم قد استحقوا عذابه وسخطه. والمراد بقوله: «يفعل ما يشاء»: وأنه يفعل ما تقتضي به الحكمة من إكرام أهل طاعته وإهانة أهل معصيته فهو يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه.

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ نزلت هذه الآية في أول معركة كانت للإسلام مع الشرك وهي غزوة بدر، عندما برز ثلاثة من المسلمين في بداية المعركة وهم حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم لثلاثة من المشركين وهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وهم من أشراف قريش وكبرائهم، وذلك أنه برز هؤلاء الثلاثة وصاحوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخرج لهم ثلاثة من أكفائهم فدعا علياً وحمزة وعبيدة، فقتل حمزة عتبة، وعلي قتل الوليد، واختلفت ضربتا عبيدة وشيبة فقتل كل منهما صاحبه، ومعنى اختصامهم في ربهم: هو اختصامهم في دين الله الحق.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾(١) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن مصير الثلاثة الذين قتلوا من جانب المشركين بأنه قد أعد لهم ثياباً من نار يلبسونها، ثم يصب من فوق رؤوسهم ماء الحميم حتى يذوب منه ما في بطونهم وأحشائهم، وتتفسخ به جلودهم وتذوب، ومع ذلك يضربون بمقامع(٢) من حديد.

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ وما الوجه في فصلها عما قبلها؟

الجواب: محلها الرفع خبر ثان؛ لذلك فصلت.

(٢)-**سؤال:** يقال: هل عرفت هذه المقامع؟

الجواب: قد رويت في ذلك روايات الله أعلم بصحتها، ولكن إذا كان الله تعالى قد خلقها ليعذب بها الكافرين فلا شك أنها تكون عظيمة.

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا[١] عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ فهم يعذبون فيها دائماً وأبداً، ولا أمل لهم في الخروج أو الهرب منها.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾[٢] ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن مصير الذين خرجوا من جانب النبي ﷺ، فبشرهم بأنه سيثيبهم جزاءً علىٰ بذلهم لأنفسهم لنصر دين الله وإعلاء كلمة الله جنات تجري من تحتها الأنهار ينعمون فيها بأصناف النعيم، فحليتهم فيها الذهب، ولباسهم فيها الحرير.

﴿وَهُدُوا[٣] إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ وأنه قد هداهم ووفقهم إلىٰ القول الحق من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتصديقهم بالقرآن وبالبعث واليوم الآخر.

﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ وهداهم الله إلىٰ الدين الحق والطريق المستقيم.

---

(١)- **سؤال:** هل قوله: ﴿ذُوقُوا﴾ معطوف علىٰ ﴿أُعِيدُوا﴾ فلِمَ لم تغير صيغته؟ أم أن له إعراباً آخر فما هو؟

الجواب: التقدير: وقيل لهم ذوقوا فتكون الجملة معطوفة علىٰ جملة أعيدوا.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ما محل جملة: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا...﴾؟ وما معنىٰ «من» في قوله: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾؟ وما إعراب: ﴿لُؤْلُؤًا﴾؟ وعلام عطفت جملة: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾؟

الجواب: «يحلون فيها» محلها النصب صفة لجنات، ومعنىٰ «من» التبعيض، أي في «من أساور»، و«لؤلؤاً» معطوف علىٰ محل من أساور، و«لباسهم فيها حرير» معطوفة علىٰ جملة: «يحلون فيها..».

(٣)- **سؤال:** علام عطف قوله: ﴿وَهُدُوا﴾؟

الجواب: ذلك معطوف علىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ والمصحح للعطف أن قوله: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ...﴾ هو من جملة الثواب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ(١) عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ثم رجع إلى ذكر المشركين الذين يصدون عن دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعن الإيمان به.

﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾ وكذلك يصدون الناس عن الحج والعمرة إلى بيته الحرام وكأنه حق لهم وحدهم يمنعون عنه من شاءوا.

وقد يكون المراد به الحرم المحرم فقد جعله الله سبحانه وتعالى وقفاً(٢) لجميع الناس، لا يحق لأحد أن يتملك من أرضه شيئاً، فكيف يكون حال من صد عن ما قد وقفه الله سبحانه وتعالى وأراده لجميع الناس؟ وكيف سيكون جزاؤه عند الله سبحانه وتعالى؟

﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾(٣) فالناس جميعاً سواء فيه، أهله وساكنوه والذين هم خارجه، لا فضل لأحد على أحد، وقد أمر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة عامله على مكة بإلزام أهل مكة في أيام الحج أن يفتحوا أبواب بيوتهم ويتوسعوا للوافدين إليهم؛ لأنه ليس لهم فيها إلا حقُّ السكنى فقط بقيَّةَ العامِ، فلا

---

(١)-**سؤال:** كيف ساغ عطف المضارع ﴿يَصُدُّونَ﴾ على الماضي ﴿كَفَرُوا﴾؟

الجواب: يصح عطف المضارع على الماضي وإنما عدل من الماضي إلى المضارع؛ لأن الصد يتجدد منهم صداً بعد صد ويوماً بعد يوم.

(٢)-**سؤال:** هل أخذت الوقفية من هذه الآية أم أن لها أدلة أخرى فما هي؟

الجواب: أخذت الوقفية وأحكامها من حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن حديث وقفية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا خلاف في شرعية الوقف وقد وقف أئمتنا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وغيرهم.

والحرم المحرم الذي جعله الله تعالى للناس جميعاً هو نوع من الوقف له حرمة خاصة لا تكون لغيره، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧]، لا يحل صيده ولا يهيج، ولا تحل لقطته، و... إلخ.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾؟ وما إعرابها على قراءة الرفع في ﴿سَوَاءٌ﴾؟

الجواب: إذا كانت «جعلنا» متعدية لمفعولين فسواءً المفعول الثاني، وإن كانت متعدية لمفعول واحد فسواء حال من مفعول «جعلناه» والعاكف والباد فاعل سواءً، وإذا رفع «سواء» فهو خبر مقدم، و«العاكف والباد»: مبتدأ مؤخر، و الجملة في محل نصب المفعول الثاني لجعلنا.

يحل لأحد أن يمنع أحداً منها، أو يتحجر فيها شيئاً.

﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ(١) بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٢) فقد جعله الله سبحانه وتعالى حرماً آمناً وتهدد من ظلم أو تعدى فيه أو تجبر إما بالمنع عنه، أو بإخافة أحد فيه، أو أذية أحد، أو بأي وجه من أوجه الظلم.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾(٣) إن الله سبحانه

---

(١)-**سؤال:** ما معنى الباء في قوله: ﴿بِإِلْحَادٍ﴾؟ ولم سمى الله التعدي إلحاداً؟

الجواب: الباء للالتباس والمصاحبة وهي متعلقة بمحذوف حال من فاعل «يرد»، و«بظلم» حال ثانية فالحالان مترادفان من فاعل «يرد» وسمي التعدي إلحاداً لأن التعدي ميل وعدول عن العدل والحق، ويسمى ذلك إلحاداً في اللغة أي أن الإلحاد هنا لغوي ولا يراد به المعنى الشرعي.

(٢)- **سؤال:** هل هذا الوعيد على ظاهره فيمن أراد التعدي أو نحوه إرادة ولو لم يصدر منه أي فعل، فكيف بما ورد أن من هَمَّ بالسيئة ولم يعملها لم يكتبها الله عليه؟ أم أنه فيمن فعل، فما وجهه؟

الجواب: المراد -والله أعلم-: ومن يفعل المعصية وعبر بالإرادة عن الفعل للتنبيه على عظم المعصية في الحرم المحرم، وهذا مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة:٢٣٥]. **هذا**، وإرادة فعل المعصية والعزم عليها معصية إلا أنها معصية صغيرة بالنسبة لفعل المعصية، وإذا عقد الرجل العزم على فعل المعصية ولم يتراجع عن عقد العزم والنية فهو عند الله عاصٍ ما دامت نيته معقودة على فعل المعصية إلا أنها تكون معصية صغيرة بالنسبة لفعل المعصية، وإذا كان ذلك في الحرم المحرم فإن المعصية الصغيرة «عقد العزم» تتضاعف، وعلى هذا فيمكن إبقاء الآية على ظاهرها، ويدخل العازم في الوعيد الأليم على قدر معصيته إما في الدنيا وإما في الآخرة إن لم يتب إلى الله، وتكون معصية الهم والعزم في الحرم مخصوصة من عموم العفو عمن هم بمعصية ولم يعملها.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «إذ» هنا؟ وهل يصح أن يحمل: ﴿بَوَّأْنَا﴾ على: هيَّأنا ووطَّأنا أم لا، فما السبب؟ وما فائدة اللام -على كلامكم- التي دخلت على «إبراهيم»؟ وما معنى «أن» وإعرابها مع «لا تشرك»؟ أحسن الله مكافأتكم؟

الجواب: «إذ» مفعول به لـ«اذكر» محذوفاً، وبوأنا: بمعنى هيأنا ووطأنا كما ذكرتم، واللام للتعليل أي: مهدنا ووطأنا لأجل إبراهيم، و«أن» مفسرة لأن بوأنا بمعنى تعبدنا، أو مصدرية أي: لئلا تشرك بي، على ضعف في الإعراب الثاني هذا.

وتعالىٰ هو الذي دل إبراهيم علىٰ مكان البيت، وأمره أن يطوف عليه، وذلك أنه أمره أن يهاجر إليه من بلاد الشام فدخل مكة ولم يكن أحد قد سكن فيها، وعندما أخبره بمكان البيت أمره أن يعبد حوله الله سبحانه وتعالىٰ وحده، وأن يحج إليه ويطوف به.

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ وأمره بأن ينزه بيته هذا من الأقذار والنجاسات، ومن الشرك والضلال والباطل، ومن كل ما يمنع من الصلاة فيه.

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ ثم أمره أن يعلن في الناس وينادي في كل القبائل بأداء فريضة الحج.

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ(1) مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ وأخبره أنهم سيقبلون إليه عند مناداتهم راجلين وراكبين، وسيستجيبون لندائه من كل بلاد.

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ شرع الله سبحانه وتعالىٰ فريضة الحج لأجل ما يحصل للناس فيه من المنافع؛ لأنهم إذا أقبلوا إليه فسيجلبون لأنفسهم منافع الدين والدنيا، ففي الدين بأن يرتبطوا بإبراهيم وبدينه فيعلمهم شرائع دينهم وأحكامه، وما يكون من التعارف والتآلف بينهم عندما يجتمعون عنده في ذلك المكان(2).

وأما منافع الدنيا فما سيكون في اجتماعهم من تبادل التجارات والسلع والبضائع التي يجلبها أهل كل بلاد، وما يكون من البيع والشراء والأرباح.

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ وأيضاً فقد شرع الله سبحانه وتعالىٰ

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يَأْتِينَ﴾؟

الجواب: محلها الجر صفة لـ«كل ضامر».

(٢)-**سؤال:** هل منفعة الحج وما يكون فيه من اكتساب الأجر والثواب من جملة المنافع الدينية؟

الجواب: نعم ما ذكرتم من المنافع الدينية.

فريضة الحج لأجل أن يذكروا الله تعالى في هذه الأيام، والأيام المعلومات هي أيام منى[١] التي هي يوم العيد وثانيه وثالثه ورابعه، وليثنوا عليه ويرفعوا ذكره.

﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ ويشكروا الله سبحانه وتعالى على ما أحل لهم من الأنعام ومن الطيبات.

﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾[٢] أباح الله سبحانه وتعالى للحجاج أن يأكلوا من الهدايا التي يهدونها إلى البيت، والتي ينحرونها لله تعالى.

﴿وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ۝٢٨﴾ وأمرهم أيضاً بأن يتصدقوا من هداياهم على الفقراء.

---

(١)- **سؤال:** يقال: كيف بالرواية الصحيحة في المجموع الشريف عن علي عليه السلام بأن الأيام المعلومات أيام العشر، وكذا عن غيره من الصحابة والتابعين؟ أم أنها التبست على جهة السهو بالأيام المعدودات أي: أيام التشريق؟

الجواب: الأيام المعلومات المذكورة في هذه الآية هي أيام التشريق لوجود القرينة المصاحبة لها وذلك قوله تعالى: ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا...﴾ وإذا ذكرت الأيام المعلومات في غير هذا الموضع فهي أيام العشر لما ذكرتم من الرواية الصحيحة عن أمير المؤمنين عليه السلام وغيره من الصحابة والتابعين.

ويمكن الجمع بين ما يدل عليه ظاهر القرينة وبين ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام بأن يقال: اليوم العاشر يوم مشترك فهو آخر يوم من العشر وأول يوم من المعدودات، وفيه تذبح الذبائح في منى، وعلى هذا التوجيه يكون المراد بالمعلومات العشر كاملة التي آخرها يوم النحر، ولعل هذا التوجيه أولى لما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢)- **سؤال:** ما معنى الفاء في الآية؟ وهل الأمر بالأكل لأمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم لا زال الخطاب عن أمة إبراهيم عليه السلام؟

الجواب: الفاء سببية عاطفة وتسمى في هذا الموضع ونحوه الفصيحة، والأمر بالأكل هو لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والأكل منها هو دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ۝٢٩﴾ أراد به الحلق والتقصير ونتف الإبط، والتفث المراد به الأوساخ[١]، أمرهم الله سبحانه وتعالى بإزالتها، وذلك يوم العيد بعد الفراغ من الرجم، ثم النحر بعد الحلق أو التقصير، ثم بعد ذلك طواف الزيارة، وأظن أن الواو في قوله: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ ليست للترتيب، وأن الذبح وقته قبل الحلق أو التقصير، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [البقرة:١٩٦]، وكذا رواية المجموع الشريف عن علي عليه السلام: (أول المناسك يوم النحر رمي الجمرة ثم الذبح ثم الحلق ثم طواف الزيارة).

﴿ذَلِكَ[٢] وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ وهي شعائر الله التي أمر بتعظيمها من البيت الحرام والطواف به، ومراعاة حرمة الحرم المحرم، وتعظيم أيام منى بذكر الله سبحانه وتعالى فيها والثناء عليه، وكذلك يوم عرفة، فمن عظمها فإن الله تعالى سيجزل له الثواب والعطاء في الدنيا والآخرة.

﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ﴾ وهي الثمانية الأصناف التي أحلها الله سبحانه وتعالى، «من البقر اثنين»، و«من الضأن اثنين»، و«من المعز اثنين»، و«من الإبل اثنين».

﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ مما حرمه الله سبحانه وتعالى في القرآن كالميتة والدم ولحم الخنزير والنطيحة وما أكل السبع وما أهل لغير الله به.

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل للتفث معنى آخر فما هو؟

الجواب: معنى التفث هو ما ذكرناه في التفسير، وفي المصابيح من رواية الإمام الحسين بن القاسم العياني عن الهادي عليه السلام أن التفث هو طواف الزيارة.

(٢)-**سؤال:** إلامَ أشير بـ﴿ذَلِكَ﴾ في الآية؟ وما إعرابها تفصيلاً؟

الجواب: «ذلك» مبتدأ أشير به إلى ما تقدم، وخبره محذوف أي: ذلك الأمر والشأن، وتستعمل الإشارة هذه في مثل هذا المكان للانتقال من كلام إلى كلام مع الربط بينهما.

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ اجتنبوا الأوثان فليست إلا رجساً ونجاسة فلا تذبحوا لها أو تعبدوها، أو تتقربوا لها بالذبائح وغيرها.

﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ۝٣٠﴾ اجتنبوا الكلام الباطل، وذلك كقولهم: إن الصنم إله، وإن الميتة حلال ونحو ذلك؛ لأن المشركين كانوا يحللون لحم الميتة، وأما ما ذبحه الإنسان فهو حرام عندهم، كذباً وافتراءً على الله سبحانه وتعالى.

﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ(١) مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ أي مائلين إلى الله سبحانه وتعالى وإلى عبادته تاركين لعبادة ما سواه.

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ۝٣١﴾ من يتخذ إلهاً غير الله سبحانه وتعالى فمثله كمثل الذي يسقط من السماء فتتلقاه الطير في الهواء وتنهش لحمه، أو كمثل الذي قذفت به الرياح في أحد الشعوب أو الأودية؛ أراد الله سبحانه وتعالى أن من عبد غير الله فهو في ضياع وهلاك، ولن يجني من عبادة الأصنام إلا الخسارة والندم.

﴿ذَلِكَ(٢) وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ۝٣٢﴾ من يعظم معالم دينه التي هي معالم الحج كالوقوف بعرفة، والمفترض أن يكون المرء في حال تأدية أي منسك من مناسك الحج ومن أعظمها الوقوف بعرفة في غاية الخضوع والتذلل والانقياد لله ولما أمره به، ثم الدفع منها على هذه الصفة بعد الغروب قاصداً لثواب الله سبحانه وتعالى وابتغاء مرضاته، فإن ذلك علامة التقوى والإيمان، وكذلك الهدايا فهي من شعائر الله كالإبل المهداة إلى البيت، وهي التي قد جعل فيها علامة للفقراء بأنها مهداة لهم، وسُمِّيت شعائرَ لأنه وُضِعَ عليها شعارٌ بالسكين في الجانب الأيمن من سنامها كعلامة لهم، فيفرحون بها إذا رأوها وهكذا سائر مناسك الحج.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ﴾؟

الجواب: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ﴾ حالان مترادفان.

(٢)-**سؤال:** إلامَ الإشارة بـ«ذلك»؟ وهل هو مبتدأ فأين خبره؟ أم خبر فما مبتدأه؟

الجواب: «ذلك» مبتدأ، وخبره محذوف أي: ذلك الأمر والشأن.

وشعائر الله كلمة عامة، والمراد بها: معالم دينه، ومنها الذي ذكرناه من الإبل الْمُعْلَمَةِ بالقلادة والإشعار.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هذه الهدايا إلى البيت الحرام أخبر الله سبحانه وتعالى عنها بأن لنا أن نستنفع بها بالشد والتحميل فوقها والحلب والصوف وغير ذلك، وقد أباح لنا ذلك إلى أن[1] يوضع عليها الشعار والعلامة بأنها لله تعالى وهدية إلى البيت، وبعد ذلك لا يحل فيها أي شيء من الاستنفاع؛ تعظيماً لما عظمه الله، وإشعارها يكون في الميقات عند الإحرام.

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ۝٣٣﴾ ثم بعد إشعارها تساق معظَّمة إلى البيت الحرام فلا تُرْكب ولا تُحْلب، ولا يُسْتنفع بها أي منفعة، ومحل[2] نحرها في منى أيام النحر ليأكل منها الناس.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد جعل لكل أمة من الأمم كاليهود والنصارى وغيرهم متعبداً يتقربون إلى الله تعالى به ويذبحون نسائكهم[3] لمولاهم فيه، وأن حالهم كحالنا عندما جعل لنا البيت الحرام متعبداً

---

(١)-**سؤال:** من أين استفيد أن هذا أجل الانتفاع بها؟

الجواب: استفيد من السياق فبعد ذكره للأجل قال: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ۝٣٣﴾ فدل ذلك أن بين الأجل المسمى ومحلها مهلة طويلة، وليس هناك مهلة سوى مهلة ما بين الإشعار ومحلها.

(٢)-**سؤال:** هل قوله: ﴿مَحِلُّهَا﴾ اسم مكان أي مكان إحلالها؟

الجواب: محلها هو مكان إحلالها في الحرم المحرم.

(٣)-**سؤال:** ما نوع هذا الاسم ﴿مَنْسَكًا﴾؟ وهل أردتم أنه يصدق على الذبائح المتقرب بها إلى الله وعلى المكان الذي يتقرب فيه أم كيف؟

الجواب: «مَنْسَكاً» مصدر بمعنى النسك، ومن قرأ «مَنْسِكاً» بكسر السين فهو اسم موضع ومكان، فقراءة الفتح يكون المراد أن الله تعالى جعل لهم عبادة يتعبدون الله بها فتصدق على الذبائح وعلى جميع مناسك الحج إذ كل منسك من مناسكه عبادة يتعبد الله تعالى بها.

نتقرب إليه فيه بالقرب المقربة إليه من الذبح وكل ما يقربنا إليه، وأخبر أيضاً أن جميع أهل الملل المختلفة إلههم واحد فيجب عليهم أن يستسلموا وينقادوا له.

﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴿٣٤﴾﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يبشر المخبتين بالثواب والنعيم الدائم، ثم عرف المخبتين مَنْ هُمْ؟ فقال:

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(١) فإذا ذكَّرهم أحدٌ بالله خافوا منه وتركوا معصيته، أو ذكرهم أحد بالله وهم في غفلة ونسيان عن طاعة خافوا ورجعوا إليه بالعمل.

﴿وَالصَّابِرِينَ(٢) عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ وكذلك إذا أصابتهم مصيبة من بلاء أو مرض أو شدة صبروا على بلواهم تلك، وحمدوا الله تعالى على ما ابتلاهم به، ورضوا عن الله ولم يسخطوا ما قضاه الله.

﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ وهم المحافظون على إقامة الصلوات الدائمون على تأديتها بشروطها وفروضها.

---

(١)-**سؤال:** قد يعتقد أنه إذا لم يوجل القلب بمجرد ذكر الله أيَّ ذكر كان فإن صاحبه لا يكون من المخبتين؛ فما توجيهكم في هذا؟

الجواب: ليس المقصود بوجل القلب ما قد يعتقد كما ذكرتم في هذه الآية وفي قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾** [الأنفال:٢]، وإنما المقصود أن المؤمن والمخبت إذا استزله الشيطان فأوقعه في معصية أو غفل عن فعل واجب ثم ذكر الله أو ذكروه بالله خاف ووجل قلبه وبادر إلى الإقلاع والندم عن المعصية وسارع إلى فعل الطاعة، فهذه هي صفات المؤمنين والمخبتين، وقد وصفهم الله في مكان آخر فقال: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ...﴾** الآية [آل عمران:١٣٥]، وفي قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴿٢٠١﴾﴾** [الأعراف].

(٢)-**سؤال:** علام عطف قوله: «الصابرين»؟

الجواب: عطف على المخبتين.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ۝٣٥﴾[١] يخرجون زكاة أموالهم إلى الفقراء، فهذه هي حقيقة المخبتين الذين أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بتبشيرهم.

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ وهي الإبل جعلها الله سبحانه وتعالى من الشعائر المهداة للبيت، والتي ينبغي أن تعظموا الله سبحانه وتعالى بها وتتقربوا بها إليه.

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ لكم فيها منافع قبل أن تجعلوها من شعائر الله وبعد أن تجعلوها شعائر.

﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾[٢] عندَ تقديمِها للنحرِ وقد صفت أيديها وأرجلها أي: فاذكروا اسم الله عند نحرها.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ إذا سقطت بعد نحرها فقد أباح الله سبحانه وتعالى لكم أن تأكلوا من لحمها، وتطعموا منها من سأل من الفقراء، ومن لم يسأل منهم.

﴿كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ۝٣٦﴾ فقد سخرها الله سبحانه وتعالى لنا على كبرها وعظم أجسامها نعمة منه علينا ينبغي أن نشكره عليها.

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ فهذه الدماء واللحوم التي تتقربون بها إلى الله سبحانه وتعالى لا يصل إليه منها شيء، وإنما يصل إليه قربتكم وطاعتكم وامتثالكم لما أمركم به، وعملكم بأحكام دينه، فهو غني عن لحومها، وغير محتاج إليها، ومنافعها لكم.

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل يصح حمل هذا على الإنفاق الواجب والتطوع؟

الجواب: لا مانع من حملها على الإنفاق الواجب والتطوع إلا أنه يكون من المخبتين ولو لم يزد على الإنفاق الواجب.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب ﴿صَوَافَّ﴾؟

الجواب: «صواف» حال.

﴿كَذَٰلِكَ[١] سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ قد سخرها الله وذللها لكم لتتقربوا بقرابينكم إليه، ولتشكروه على هدايته إياكم إلى الحق وإلى دينه القويم وصراطه المستقيم، واستنقاذكم من ظلمات الجهل والضلال وعبادة الأصنام والتقرب إليها.

﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ۝٣٧﴾ وهم الذين يعملون الأعمال الصالحة ويجتنبون معصية الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ۝٣٨﴾ فهو الذي يدفع عنهم أذى المشركين ومكايدهم وحيلهم، وأما الذين عصوا ربهم واتبعوا أهواءهم وشهواتهم، ولم يوفوا بعهودهم التي أخذها الله سبحانه وتعالى عليهم، وكفروا بنعمه عليهم- فهو بريء منهم، وقد وكلهم إلى أنفسهم.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا[٢] وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ۝٣٩﴾[٣] أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين في أول الإسلام أن يكفوا أيديهم عن قتال المشركين، وأن يتحملوا أذاهم، وأن يصبروا عليهم، ويقابلوا السيئة بالحسنة، أمرهم بذلك إلى حين يأذن لهم؛ لأنهم كانوا في قلة وضعف شديد، فإذا قاتلوهم في هذه الحال فإنهم سيستأصلونهم وسيقضون بذلك على الإسلام، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كثر المسلمون وكثر عددهم، وصار لهم كيان ودولة، وأصبحوا في عز وقوة فعندها أذن الله سبحانه وتعالى لهم بالقتال، ودفع أذى المشركين وظلمهم، ووعدهم بالنصر والظفر عليهم.

---

(١)-**سؤال:** ما السر في تكرير كلمة: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؟

الجواب: كررها ليرتب عليها قوله: ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾.

(٢)-**سؤال:** ما السر في التعبير بقوله: ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ ولم يقل بالقتال؟

الجواب: المراد أذن للذين يقاتلون بقتال عدوهم بسبب أنهم ظلموا.

(٣)-**سؤال:** علام عطفت هذه الجملة: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ۝٣٩﴾ أم أنها غير معطوفة؟

الجواب: الواو استئنافية والجملة مستأنفة للوعد لهم بالنصر على سبيل الكناية والرمز.

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾[1] هؤلاء هم النبي ﷺ والذين هاجروا معه من مكة هرباً من قتل المشركين لهم وتعذيبهم، ولم يكن ذنبهم إلا أنهم آمنوا بالله سبحانه وتعالى وصدقوا نبيه ﷺ واتبعوه ورفعوا كلمة الله، ورفضوا عبادة الأصنام، فهؤلاء هم الذين وعدهم الله سبحانه وتعالى بالنصر وأذن لهم في القتال.

هذا، ولم يشرع الله سبحانه وتعالى الجهاد إلا لإزالة العقبات التي تقف في وجه الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وتعليم الناس معالم دينهم، وأما ما دامت الطريق مفتوحة أمام نشرها فلا يجوز أن نفتح باب الجهاد، نحو أن يكون لنا نظام سياسي أو لنتدخل في السياسة، ولا يريد الله منا ذلك ولا يسوغ الجهاد في الإسلام إلا لإظهار حجج الله على خلقه وتبليغهم معالم دينهم.

والجهاد ليس إلا آلة ووسيلة لنشر الدعوة، وما دام إرشاد الناس وتعليمهم ممكناً بغير قتل وقتال فلا يجوز؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يحب القتل والفساد في الأرض حتى قتل المشركين فهو لا يريده، إلا بعد الإعذار والإنذار، وبعد وقوفهم في طريق الحق وصدهم عن سبيل الله.

هذا، وقد ذم الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل عندما كتموا العلم ولم يبلغوه الناس قال تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾** [آل عمران].

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا﴾؟ وما محل المصدر: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾؟ وهل الاستثناء متصل أم منقطع؟ وماذا يسمى هذا الأسلوب في البلاغة والبديع؟

الجواب: «الذين أخرجوا» بدل من: «الذين يقاتلون» أو يكون محله الرفع على «هم الذين أخرجوا» أو النصب على: «أعني الذين أخرجوا» والاستثناء منقطع، و«أن» وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب، ويسمى هذا الاستثناء تأكيد المدح بما يشبه الذم.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ[١] لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ[٢] وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه لولا أنه سبحانه وتعالىٰ يدفع شر الناس بتسليط الأشرار بعضهم علىٰ بعض لحصل فساد كبير في الأرض، ولتهدمت دور العبادة من معابد الرهبان وكنائس النصارىٰ واليهود ومساجد المسلمين، ولما قامت للدين قائمة علىٰ وجه الأرض.

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ۝٤٠﴾ وعد من الله سبحانه وتعالىٰ بأن من انتصر[٣] لدينه ودافع عنه فإنه سينصره ويدافع عنه.

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ[٤] فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾؟

الجواب: «لولا» حرف امتناع لوجود، «دفع» مبتدأ مضاف ولفظ الجلالة مضاف إليه، «الناس» مفعول به لدفع، «بعضهم» بدل من الناس، «ببعض» متعلق بدفع، وخبر المبتدأ محذوف وجوباً.

(٢)-**سؤال:** يقال: ما الفرق بين الصوامع والبيع؟ وما المقصود بالصلوات؟

الجواب: «الصوامع» جمع صومعة وهي مكان مرتفع يسكنه الراهب للعبادة وهي خاصة بالنصارىٰ ثم أطلقت علىٰ ديرهم الذي يتعبدون فيه ولو لم يكن مرتفعات.

والبِيَع جمع بِيْعَة بكسر الباء: اسم للمعبد الذي يتعبد فيه اليهود أو النصارىٰ.

«والصلوات» المراد بها الكنائس وهي خاصة باليهود سميت صلوات؛ لأنها مكان للصلوات.

(٣)-**سؤال:** كيف تكون نصرة الله سبحانه والانتصار لدينه؟

الجواب: نصرة الله تعالىٰ هي في التمسك بدينه في جميع الأحوال والصبر علىٰ ذلك ثم إن مكنهم الله تعالىٰ أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأرشدوا الناس ودعوهم إلىٰ الدين الحق وعلموهم دين الإسلام وأحكامه.

(٤)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ﴾؟

الجواب: تعرب بدلاً من الموصول أو ترفع علىٰ «هم الذين» أو ينصب علىٰ «أعني أو أمدح الذين..».

﴿وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[١] فهؤلاء هم الذين وعدهم الله سبحانه وتعالى بالنصر.

﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴿٤١﴾﴾ العاقبة الحسنة ستكون لأوليائه، ولو كان يحصل لهم في أول الأمر إحباط وشدة وخوف وهزيمة، وهذا هو ما حصل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في آخر الأمر فقد أعزهم الله سبحانه وتعالى بعد الذلة ومكنهم على ألد أعدائهم من قريش حتى دخلوا عليهم في عقر دورهم، وقهروهم فدخلوا في الإسلام مُكْرَهين خوفاً من حرِّ السيوف.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد ولم يستجيبوا لك، ورفضوا دعوتك ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴿٤٣﴾[٢] وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى﴾ فلست أول رسول كذبه قومه، فقد لقي الأنبياء من قبلك مثل ما تلقاه من قومك من التكذيب والاستهزاء، فحالك كحالهم.

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ وكل الكافرين والمكذبين بأنبيائهم فإن الله سبحانه وتعالى يمهلهم ويمد لهم في أعمارهم ويزيدهم من نعمه، ويمتعهم بالصحة في حياتهم، ولا

---

(١)- **سؤال:** هل يؤخذ من هذه الآية أن التمكين شرط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فإذا قيل: فيلزم أن يكون شرطاً في إقامة الصلاة فكيف نرد على ذلك؟

الجواب: التمكين شرط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشرط أيضاً في إظهار أكبر شرائع الإسلام فلا يجب إظهار الصلاة على الساحة العامة بأذان مرفوع وصلاة جماعة في مسجد جامع إلا عند التمكين لذلك، فلم تقم شعيرة الصلاة بأذان وجماعة جامعة في الساحة العامة وفي مسجد جامع إلا في المدينة حين حصل التمكين للمؤمنين.

(٢)- **سؤال:** هل في إطلاق الباري تعالى لاسم قبائل عاد وثمود تمييز لهم عن أصحاب نوح وإبراهيم و... حتى عبّر عنهم بقوم نوح وقوم إبراهيم؟

الجواب: قد كانت عاد وثمود معروفون عند العرب بهذا الاسم ولهم بهم معرفة كونهم من قبائل جزيرة العرب، أما قوم نوح وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين فلم يكونوا معروفين عند العرب كمعرفتهم لعاد وثمود.

يأخذهم بعذابه ساعة تكذيبهم برسلهم؛ لعلهم يتنبهون من غفلتهم يوماً، ولأجل إتمام الحجة عليهم يوم القيامة فلا يكون لهم أي عذر عند الله سبحانه وتعالى.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴿٤٤﴾﴾ يعظم الله تعالى ويهوِّل إنكاره وأخذه وعذابه الذي أنزله بقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط، وانظر إلى عذابه الذي أنزله على قوم نوح عليه السلام عندما أغرقهم بالطوفان الذي دمرهم واستأصلهم ودمر مساكنهم ومزارعهم، وعطل الحياة كلها على وجه الأرض بما فيها من الحيوانات والطير والوحوش، ولم ينج إلا من كان في السفينة مع نوح، وعلى هذا المنوال ما أنزله الله سبحانه وتعالى على بقية الأمم من العذاب.

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴿٤٥﴾﴾[1] أي كثير من القرى أهلكها الله سبحانه وتعالى ودمرها بسبب ظلم أهلها بالكفر والتكذيب، وخرب دورها ومساكنها، ومعنى «خاوية على عروشها»: ضعفت أعمدة البيوت وجدرانها فسقطت السقوف عليها، وكم من بئر أصبحت خالية من أهلها بعد أن كانوا يزدحمون حولها ويستقون من مائها هم ومواشيهم ودوابهم، وأيضاً تلك القصور الناظرة والفاخرة التي كانت عامرة

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾؟ وعلام عطف قوله: ﴿وَبِئْرٍ﴾؟

الجواب: «كأين» خبرية مبني على السكون في محل رفع مبتدأ والجملة بعدها خبر أو في محل نصب على الاشتغال بفعل مقدر يفسره: «أهلكناها»، و«من قرية» تمييز، و«بئر» معطوف على قرية.

سؤال: ما حجة من قال بأن البئر المعطلة المذكورة في الآية في منطقة ريدة أو ناعط وما حولها التي سكنها ملوك حمير؟

الجواب: الآية تحدثت عن قرى كثيرة العدد وعن آبار كثيرة العدد كانت آهلة بالسكان فأهلك الله تعالى أهل القرى وأهل الآبار بظلمهم فخربت القرى وتعطلت الآبار من الناس، ولم يُقصد في الآية بئر بعينها ولا بئران، لكن تدخل كل بئر استؤصل أهلها بالعذاب، ومنها ما كان في اليمن وحضرموت وجزيرة العرب بلاد عاد وثمود وقوم تبع وحمير، والله أعلم.

بأهلها فذهبوا وتركوها خالية، وكأن أحداً لم يسكنها، فقد أبادهم الله سبحانه وتعالىٰ بسبب تكذيبهم.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا[١] أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ المشركين، ويعجبنا من حالهم كيف يرون ما قد حل بأولئك القوم المكذبين بسبب تكذيبهم بأنبيائهم، فلم يتعظوا ولم يتركوا التكذيب والكفر وقد كانوا يمرون علىٰ تلك القرىٰ في طريق أسفارهم وتنقلاتهم، ويشاهدون مساكنهم وقراهم وما حل عليها، وكيف أبادها الله سبحانه وتعالىٰ ودمرها واستأصلها، فلماذا لا يعتبرون بها وبما حل علىٰ أهلها؛ لأنه كان من المفترض بهم عندما يرون ذلك أن يحذروا من أن يقعوا في مثل ما حل بتلك الأمم، شأن كل عاقل إذا رأىٰ مثل ذلك.

﴿فَإِنَّهَا[٢] لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ٤٦﴾ فقد رأوا القصور المشيدة والآبار المعطلة، ورأوا ما حل بأهلها غير أن قلوبهم عميت عن الحق فلم تبصر الهدىٰ ولم تعتبر.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن قريشاً يطلبون منه أن يعجل بإنزال ما يتوعدهم به من عذاب الله سبحانه وتعالىٰ وسخطه، وما يهددهم به من أنه سيحل بهم مثل ما حل بتلك الأمم المكذبة.

---

(١)-**سؤال:** إذا قيل: تدل هذه الآية علىٰ أن القلب آلة ووسيلة للعقل، فكيف استنبطتم أن القلب محل العقل فبماذا نجيب؟

الجواب: القلب آلة للعقل كما أن العين آلة للبصر، والأذن آلة للسمع، وهذا هو ما يريده من يقول إن القلب هو محل العقل والأذن هو محل السمع لا يريدون إلا هذا.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما هو الرابط بين هذا التعليل وبين أول الآية؟

الجواب: الرابط أن هذا الكلام الذي دخلت عليه الفاء بيان للعلة التي كانت السبب في عدم اعتبارهم.

﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ فأخبره الله تعالى بأنه سيعذبهم لا محالة، غير أن لذلك أجلاً لا بد أن يحين وقته.

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴿٤٧﴾﴾ يريد بذلك أنه سبحانه وتعالى لا يعجلُ كما هو شأنُ بني آدم، وأن الزمن قصير عنده، فما دام العباد في قبضته وتحت قدرته، وهو متمكن منهم متى شاء فلا داعي لأن يستعجل

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ فكم من القرى أمهل الله سبحانه وتعالى أهلها، ولم يَعْجَل بنزول العذاب عليهم، بل تركهم يجيئون ويذهبون، ومتعهم بالصحة والعافية، وقلَّبهم بين نعمه، ولكنه آخر الأمر يعذبهم جزاءً على ظلمهم وكفرهم وتكذيبهم؛ فلا تستبعد قريش عندما ترى ما هي عليه من الجاه والسلطان والقوة والعزة أن يأخذها الله بعذابه، فشأنها كشأن تلك الأمم سواء.

﴿وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴿٤٨﴾﴾ حتى ولو لم يأخذهم الله سبحانه وتعالى في الدنيا فمرجعهم إليه يوم القيامة وسيحاسبهم ثم يعذبهم في نار جهنم، وكفى بها جزاءً.

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴿٤٩﴾﴾ أخبرهم يا محمد أن الله سبحانه وتعالى لم يرسلك إلا لتنذرهم بالآيات الواضحات، والحجج القاطعة، والمعجزات الدالة على صدق ما جئت به، وأخبرهم أن تعذيبهم ليس بيدك، وأنك لن تستطيع أن تدخلهم في الإيمان، أو أن تحاسبهم؛ فأمر ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، فلا تهتم بما يطلبونه منك يا محمد.

﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴿٥٠﴾﴾ وأخبرهم بأن من آمن وعمل الأعمال الصالحة فسيغفر الله سبحانه وتعالى لهم ذنوبهم، وسيجازيهم في دار النعيم في الجنة.

---

(١)- **سؤال:** يقال: وهل يصح أن تحمل الآية على التهديد لهم بأمر القيامة وأن يوماً من أيامها مثل ألف سنة في حساب المخلوقين لأن الإخبار عن اليوم؟

الجواب: يوم القيامة مقداره كما قال الله تعالى: ﴿مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴿٤﴾﴾ [المعارج]، فلم يصح تفسيره بأنه يوم من أيام يوم القيامة، وما ذكرناه من التفسير هو بمعونة السياق.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ۝٥١﴾ وأما من سعوا في إبطال ما جئت به، وجهدوا جهدهم في طمس آيات الله سبحانه وتعالى وتكذيبها وردها، ويظنون مع ذلك أنهم سيعجزون الله تعالى، ويتغلبون عليه؛ فهؤلاء هم أصحاب النار خالدين فيها أبداً.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ۝٥٢﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه إذا أرسل نبياً إلى أمة ثم تلا عليهم آيات الله فإن الشيطان يدخل بوساوسه في قلوبهم محاولاً إدخال الريب والشك عليهم، ويدخل بوساوسه مع هذه الآيات ليلبس عليهم في صحتها وصدقها، حتى ولو كان ذلك مؤمناً فإن إبليس لا بد أن يوسوس إليه، ويدخل الشك في قلبه، ولكن الله سبحانه وتعالى ينسخ ما يلقي الشيطان في قلوب المؤمنين من الوساوس والشبهات بالأدلة التي تدفع ذلك، ويثبت آياته ويحكمها في قلوبهم فلا يبقى لوسوسة الشيطان مدخل فيها(١).

---

(١)- **سؤال:** ما أروع ما أوردتموه في هذا التفسير لكن ظهر لنا أن ذلك مبني على أن معنى الأمنية القراءة فهل لذلك دليل؟ ثم إنه قد يقال: ظاهر الآية أن الشيطان يلقي في نفس قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فما الصارف إلى أنه يلقي في القلوب بسبب القراءة؟ وقد يقال: ظاهر الآية أن الإحكام بعد إزالة ما يلقي الشيطان وهو على كلامكم من قبل وفي حالة الإحكام فكيف ذلك حفظكم الله ورعاكم.

الجواب: الدليل على أن الأمنية تستعمل بمعنى القراءة قول الشاعر كما في الكشاف:

تمنى كتاب الله أول ليلة ***

وهو لحسان بن ثابت.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨]، أي: إلا قراءة، لأن الأمي لا يعلم القرآن من المصحف وإنما يعلمه قراءة هكذا استدل الرازي ثم ساق في الاستدلال على استعمال الأمنية في القراءة. ويلقي الشيطان الشك في قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتستقر القراءة والشك في القلوب، وبضاعة الشيطان هي وساوسه الخبيثة. وتعترض وساوس الشيطان وشبهه في قلوب =

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ۝٥٣﴾ والسبب في التخلية من الله تعالى بين إبليس وبني آدم هو ما أراده من التكليف، وكذلك لأجل الفتنة والاختبار لضعاف الإيمان، فيتميز صادق الإيمان من الذي ليس كذلك، إذ سرعان ما ينكشف أمر هؤلاء الذين خلطوا إيمانهم بالأعمال السيئة والمعاصي فتكون وسوسة الشيطان في قلوب المنافقين وضعاف الإيمان سبباً لابتعادهم عن الإيمان، ودخولهم في عبادة الشيطان.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ أما المؤمنون الصادقون في إيمانهم فلا يقعون في تلك الفتن والوساوس التي يلقيها الشيطان(١)، وإذا وقعت فتنة فإنهم ينظرون فيها، ويتأملون حتى يحصل لهم العلم بأن ذلك من مكائد إبليس وفِتَنِهِ، وأيضاً قلوبهم خاضعة للحق ومتقبلة ومنقادة، وعندهم معرفة تامة بآيات الله ودلائل جلاله وعظمته فلا يلتفتون إلى وساوس الشيطان ومكائده، ولا تزيغ قلوبهم عن الإيمان بما جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من القرآن وشرائع الإسلام، ومعنى «فتخبت له» أي: تخضع وتسكن.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ۝٥٤﴾ فهو يثبت المؤمنين وينور قلوبهم للحق والهدى، ويزيدهم منه فلا يتمكن إبليس ووساوسه من قلوبهم؛ أما الذين في قلوبهم مرض فقد اطمأنوا إلى وساوسه وركنوا إليها، فحلت في قلوبهم وتمكنت منها.

المؤمنين وغيرهم فيفتتن بها الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم أما المؤمنون فإنها وإن اعترضت في قلوبهم الشبه ووساوس الشيطان فهم كما قال الله: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ...﴾.

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن إلقاء الشيطان هذا سبب في علم أهل العلم بمصداقية القرآن وأحقيته فكيف ذلك؟

الجواب: يزداد أهل العلم ثباتاً لأن الناظر إذا تبين له بطلان شبه خصمه يزداد ثباتاً فيما هو عليه من دينه.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ فهم في شك وريبة دائمة من القرآن الذي تتلوه عليهم يا محمد، ولن ينفكوا منها.

﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ۝٥٥﴾(١) فاحسم طمعك من إيمانهم فقد استولى عليهم الشيطان، ولن يؤمنوا بك أبداً.

وهؤلاء هم أهل مكة، حتى إنهم عندما آمنوا يوم الفتح لم يكن إيمانهم صادقاً، وإنما كان خوفاً على أنفسهم من القتل.

﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾(٢) يعني يوم القيامة فالله سبحانه وتعالى هو وحده الذي سيحكم بين هؤلاء الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وبين المؤمنين؛ لأن كلاً منهم في الدنيا يدعي أنه وحده على الحق، وأن غيره في ضلال.

ثم فَصَّلَ حكمَهُ بينهم بقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝٥٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝٥٧﴾ فهذا هو حكم الله سبحانه وتعالى بينهم يوم القيامة فيدخل أهل الحق الجنة وأهل الباطل النار.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝٥٨﴾ وَعَدَ اللهُ تعالى المهاجرين الذين لا غرض لهم في الهجرة من مكة إلى المدينة إلا طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه بالوعد الحسن في الدنيا والآخرة. والرزق الحسن هو الجنة ونعيمها.

يخاطب الله سبحانه وتعالى بالقرآن أولئك الموجودين في عصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من المشركين والمؤمنين واليهود والنصارى وغيرهم، ويلحق بهم كل من بلغه القرآن

---

(١)-**سؤال:** فضلاً لماذا سمى الله يوم القيامة باليوم العقيم إن كان المراد به ذلك؟

الجواب: قد قالوا: إن المراد باليوم العقيم يوم بدر، وسمي عقيماً لأن أولاد النساء يقتلون فيصرن عقماً، أو لأنه يقال للمحاربين أبناء الحرب فإذا قتلوا في يوم الحرب قيل يوم عقيم.

(٢)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾؟

الجواب: مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر أي: ماذا يصنع بهم.

إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]، فكل خطاب وكل تكليف أو أمر أو نهي موجه للأولين فهو موجه للآخرين أيضاً.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا هجرة بعد الفتح)) المراد به من مكة إلى المدينة، فقد أصبحت مكة دار إسلام، وأما الهجرة فهي واجبة من دار الكفر إلى دار الإيمان ما دام المؤمن متمكناً منها للآيات والأخبار الصحيحة الصريحة المذكورة في مظانها.

﴿لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ۝٥٩﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى أنه سوف يثيبهم في الدنيا بأن يعوضهم بدل ديارهم التي تركوها لأجله ولأجل دينه دياراً[١] خيراً منها، وسيسبغ عليهم نعمه، ويرزقهم الأمن والأمان، وكذلك في الآخرة يثيبهم بالنعيم الدائم في جنات النعيم.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ۝٦٠﴾[٢] فمن اقتص من غريمه بمثل ما ألحقه به من جراحة أو غيرها[٣]، ثم أراد الغريم أن ينتقم ممن اقتص منه فإن الله سبحانه وتعالى سينصره عليه ويمنعه

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل هذا منكم بناء على أن مدخلاً اسم مكان يحتمل الأمرين في الدنيا والآخرة؟

الجواب: قرئ مدخلاً بفتح الميم ويضمها فبالفتح اسم مكان وبالضم المصدر، والتفسير على أنه بفتح الميم قراءة نافع وعلى قراءة الضم يكون المعنى: إدخالاً كريماً.

(٢)- **سؤال:** ما مناسبة ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ۝٦٠﴾؟

الجواب: المناسبة هي كون المقتص ترك ما ندبه الله إليه ودعاه ورغّبه فيه ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠]، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة:٢٣٧]، ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ۝٤٣﴾ [الشورى].

(٣)- **سؤال:** يقال: فما وجه اشتراط أهل المذهب في الجراحة أن تكون موضحة فما فوق، وأن تكون في مفصل ونحو ذلك؟

الجواب: اشتراطهم ذلك لتعلم المساواة فلا تعلم المساواة إلا إذا كانت الجناية قد بلغت العظم وأوضحته أو كانت قطعاً من مفصل.

منه، وعد منه تعالىٰ بانتصاره للمظلوم أيًّا كان، ولكن لا بد في ذلك من اليقين والتحقق من جناية الجاني إما بالرؤية أو التواتر أو بشهادة الشهود، فلا يجوز له أن يأخذ على الظن والتهمة(١).

﴿ذَٰلِكَ(٢) بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ٦١﴾ ثم انتقل الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ تبيين قدرته، فذكر ما يبينها بما نراه ونشاهده من الآثار الدالة علىٰ ذلك من إدخال الليل في النهار، وكذلك العكس، فتارة يكون النهار أطول من الليل، ثم إنه يتناقص بعد ذلك وتدخل بعض ساعاته في الليل، وهذه من الآيات المشاهدة عياناً فلا تحتاج إلىٰ كثرة التدبر والتأمل لمعرفة ذلك.

والسميع هو الذي يعلم جميع المسموعات فلا يخفىٰ عليه شيء منها ولا يغيب عن علمه شيء منها، والبصير هو الذي لا يخفىٰ عليه شيء من المبصرات أو يغيب عن علمه شيء منها.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ فعندما نرىٰ آثار قدرته سنعرف أنه الإله الحق الذي يستحق العبودية وحده.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ وأن تلك الآلهة التي يعبدونها من دونه لا حظ لها ولا نصيب في شيء من صفات الإلهية فلا قدرة ولا علم ولا حياة ولا سمع ولا بصر فعبادتها باطلة وعُبَّادُها مبطلون.

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل يجوز للإنسان أن يقتص بشهادة الشهود أم لا بد له من حكم حاكم معتبر مع ذلك؟

الجواب: لا يجوز إلا إذا حكم الحاكم بالاقتصاص بشهادة الشهود.

(٢)-**سؤال:** إلام الإشارة بـ«ذلك»؟ وهل بينها فرق هي والتي في الآية قبلها؟

الجواب: قد تقدم ما يفيد عن ذلك الاستفسار [تحت الآية ٣٠]، وبإعرابها قد يتبين الفرق ففي قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾ ذلك: مبتدأ، بأن الله : خبر، والباء سببية. و«ذلك» في قوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾ هي مبتدأ والخبر محذوف.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ وأنه وحده الإله الذي تعالى عن مشابهة المخلوقين، فلا قدرة أو عظمة أو سلطان فوق قدرته وقوته وعظمته وسلطانه وليس له مماثل ولا مشابه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ألم تنظر وتشاهد أيها المخاطب أو أيها النبي آثار قدرة الله تعالى من إنزال المطر من السحاب الذي يتكون ويجتمع أمام عينيك بعد أن لم يكن، فلا بد أن يكون هناك من أوجده وهيأه على هذه الصفة، ولا بد أن يكون قادراً وعالماً وحكيماً وإلا لما استطاع أن يوجده على ذلك القدر الذي لا يزيد ولا ينقص عما يحتاجه الخلق، إذ لو زاد لفسدت الحياة وغرقت الأرض بما فيها، وكذلك لو نقص[(١)].

﴿فَتُصْبِحُ[(٢)] الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ وأنه ينبت به أنواع الثمار والفواكه والحبوب وجميع ما يحتاجه الخلق مما يجعل الأرض خضراء بعد أن كانت يباساً لا أثر لشيء من ذلك عليها، فهذه آية محسوسة ومشاهدة تدل على أن هناك مدبراً دبرها، وموجداً أوجدها، ولا بد أن يكون قادراً حكيماً إذ أوجدها على هذه الصفة من الدقة والإحكام.

---

(١)- **سؤال:** لعلكم تريدون أنه لا عبرة بالزيادة البسيطة التي قد تلاحظ أو أنه نادر فلا عبرة به؟ لكن يشكل علينا كثيراً ما يقع من النقص عن احتياج البشر فلا تروى كل الأراضي الزراعية فكيف؟ وما رأيكم؟

الجواب: ينزل الله تعالى المطر على قدر الحاجة وحسب ما تقتضي الحكمة، ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى]، فما لوحظ من نقص في ريٍّ بعض الأرض فلحكمة ومصلحة بينها الله تعالى في كتابه.

(٢)- **سؤال:** لِـمَ لم ينصب قوله: ﴿فَتُصْبِحُ﴾ جواباً للاستفهام؟

الجواب: قد سأل سيبويه الخليل عن ذلك فكان الجواب بما مفاده: إن الكلام موجب أي أن «ألم تر..» بمعنى رأيت، هذا معنى ما أفاده جواب الخليل، وشراح كتاب سيبويه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾[1] فهو لطيف بعلمه، ومعناه أنه يداخل بعلمه كل شيء ويخترق بواطن الأشياء[2]، فهو يعلم بما في تخوم الأرض وطبقاتها، ويخترق الصخرة الصماء، ويخترق ظلمات الليل وظلمات البحار، وعالم أيضاً بما خفي ودق من أسرار مخلوقاته وتراكيبها، صغيرها وكبيرها، فعلمه يتغلغل في داخل الأشياء التي لا يستطيع شيء أن ينفذها أو يدخل فيها ويعلم بما في داخلها، والأستار والحجب مكشوفة أمامه.

والخبير أيضاً هو العالم بكل شيء المحيط بتفاصيل كل شيء فلا يشغله علمه بشيء عن علمه بالشيء الآخر فعلمه بالأشياء على سواء، وكلها تحت قدرته وقبضته، ولا يشغله شيء عن شيء.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فهو المالك لما فيهما والمدبر لجميع ما فيهما، والمتصرف في كل ذلك.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾[3] فهو غني عن كل شيء غير محتاج إلى شيء من خلقه، إذاً فمن كانت هذه صفاته فهو الذي ينبغي أن نتوجه بعبادتنا إليه، وهو

---

(١)-**سؤال:** ما مناسبة تذييل الآية بقوله: ﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾؟

الجواب: المناسبة هي تأكيد الكلام الذي تقدم.

(٢)-**سؤال:** وهل يصح أن يحمل اللطيف على أنه يفعل ما فيه لطفٌ للعباد ومصلحة ينتفعون به؟ أم ترونه ضعيفاً؟

الجواب: يصح أن يكون المعنى أن الله هو المحسن إلى خلقه في خفاء وستر من حيث لا يعلمون، وقد فسره بعضهم بقوله: هو الذي يعلم دقائق المصالح وغوامضها ما دنى منها وما لطف ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح طريق الرفق دون العنف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل إلا لله تعالى.

(٣)-**سؤال:** ما وجه عطف هذه الجملة على ما قبلها أم أنها لغير العطف؟

الجواب: الواو اعتراضية والجملة معترضة وفائدة ذلك توكيد الكلام الذي قبلها.

وحده الذي يستحق الخضوع والانقياد والاستسلام، وهو الذي ينبغي أن نعترف له بذلك وبأنه المنعم والمتفضل علينا بكل شيء، لا أن نتوجه بعبادتنا إلى غيره ممن لا يستحق أي شيء من صفات الإلهية.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ يبين الله تعالى لنا آثار قدرته وعظمته وجلاله لأجل أن نتوجه بعبادتنا إليه ولا نتخذ إلهاً سواه، فأخبر أن كل ما في الأرض قد سخره لنا من الحيوانات والنبات والبحار، وأنها كلها تصب في مصالحنا، ونتصرف فيها كيفما نشاء.

﴿وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ وأيضاً سخر لنا السفن التي تحملنا وتسير بنا في البحار بأمره وتدبيره وقدرته.

﴿وَيُمْسِكُ[(١)] السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[(٢)] وكذلك هو الذي أمسك السماء خشية أن تسقط على الأرض، وأمسك النجوم بقدرته عن الوقوع على الأرض.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾[(٣)] فهو يرأف بعباده فلا يؤاخذهم بسبب

---

(١)-**سؤال:** علام عطف الفعل «يمسك»؟

الجواب: معطوف على «سخر» فهو وفاعله في محل رفع.

(٢)-**سؤال:** يقال: ما فائدة هذا الاستثناء؟

الجواب: الكلام في قوة النفي أي: لا يتركها تقع بأي حال من الأحوال إلا بإذنه فالاستثناء متصل من أعم الأحوال، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال.

(٣)-**سؤال:** اشتملت كل آية من هذه الآيات السبع المتقدمة على صفتين من صفات الله سبحانه مع تتابعها وكونها الوحيدة في القرآن فهل يظهر لكم في ذلك سر أو نكتة أفيدونا بها أحسن الله إليكم؟

الجواب: يذكر الله تعالى المؤمنين في الآية الأولى بأنه عليم بما نالهم من الأذى وعليم بمن ظلمهم وطال بغيه عليهم وأنه حليم لا يعاجل الظالم بالعقوبة لإكمال الحجة عليه ولعله يراجع نفسه ويتوب إلى الله لذلك على المؤمنين أن يصبروا ولا يستعجلوا عقوبة المجرم الظالم، وهكذا ذيلت كل آية بما يناسبها في معناها.

عصيانهم له ولا يمنع عنهم خيره، بل لا يزال ينعم عليهم وينزل عليهم بركات السماء ويخرج لهم خيرات الأرض، فيسخر لهم كل ما في الأرض مع عصيانهم وتمردهم عن طاعته.

﴿وَهُوَ الَّذِى أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ فهو الذي أحياكم من العدم وهو الذي سيميتكم، ثم بعد ذلك يبعثكم بعد موتكم، فتوجهوا إليه بالعبادة، واحذروا من الغفلة عنه وعن طاعته.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ۝٦٦﴾[1] بعد أن عدد الله نعمه العظيمة على الإنسان أخبر أن الإنسان بطبيعته شديد الكفران بنعمة ربه لا يعترف لله بنعمة ولا يقر له بمنة.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِى الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ۝٦٧﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه جعل لكل أمة مُتَعَبَّداً يتعبدهم به، وشريعة يعبدونه بها، فلا تأبه يا محمد باليهود أو النصارى إن أتوك قائلين بأنك لست على الحق، وأنه ينبغي لك أن تعود إلى ملتهم، فاعلم أنك مبعوث إلى أمتك بشريعة جديدة يتعبدون لله سبحانه وتعالى بها كما هو شأن كل رسول بعثه الله سبحانه وتعالى إلى أمة بشريعة جديدة[2].

---

(١)-**سؤال:** يقال: فما الذي يخرج المؤمنين من عموم بني الإنسان في كفران نعم الله؟

الجواب: الظاهر أن المراد حقيقة الإنسان وماهيته فاللام لام الحقيقة والماهية، وإذا حملت على الاستغراق فيخصص عمومها سياق هذه الآيات، وما ورد فيها من الثناء على المؤمنين والوعد لهم بالثواب.

(٢)- **سؤال:** على هذا فكيف سيجيبهم المصطفى ﷺ إذا قالوا: إنها لا تلزمهم شريعته التي جاء بها إذ هم متعبدون بشرائع أنبيائهم السابقين؟

الجواب: قد أمر الله نبيه ﷺ كيف يجيب فقال تعالى بعد هذه الآية: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٦٨﴾ أي: أن أهل الكتاب قد علموا صحة نبوة نبينا محمد ﷺ وصدقه فيما جاءهم به من رسالة الله وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فقل لهم: الله أعلم بما تعملون من الكذب على الله ومن تحريف التوراة بعد استحكام علمكم بصحة ما جاء به رسول الله ﷺ وسيجازيكم على أعمالكم الخبيثة.

ثم أمره الله تعالى بعد ذلك أن يستمر على دعوة الناس إلى الدين الذي جاءهم به والذي هو الدين الحق والطريق المستقيم.

﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴿٦٨﴾﴾ إذا أتوك ليجادلوك عن دينهم فأخبرهم بأن الله سبحانه وتعالى مطلع على أعمالهم من تحريف كتبهم، وكتمانهم لما أنزله الله سبحانه وتعالى في كتبهم من أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوصافه وما أشبه ذلك.

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴿٦٩﴾﴾(١) وأخبرهم أن الله تعالى سيحكم بين جميع أهل الملل والأديان المختلفة فيجازي كلاً منهم بما يستحق؛ لأن كل فرقة منهم كانت تدعي بأنها التي على الحق وحدها وأن غيرها في ضلال.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴿٧٠﴾﴾ ألم تعلم(٢) يا محمد؟ أو ألم تعلم أيها الإنسان أن الله أحاط علماً بكل ما في السماوات وما في الأرض لا يخفى عليه مثقال ذرة ولا حركة متحرك ولا سكونه؟ عبر الله سبحانه وتعالى بالْكَتْبِ ليصوّر ويمثل لخلقه بما يفهمونه ويتخيلونه ويتعاملون به فيما بينهم، فإن الإنسان إذا أراد حفظ شيء حتى لا ينساه فإنه يسجله في كتاب، فعبر الله سبحانه وتعالى عن عدم نسيانه بذلك الذي نفهمه، وإلا فهو سبحانه لا يحتاج إلى شيء من ذلك فلا يجوز عليه النسيان؛ لأنه ليس من الجنس الذي يجوز عليهم النسيان من المخلوقين، فعلمه كل ذلك وإحصاؤه لجميع أعمال بني آدم ومحاسبتهم على كل صغير وكبير أمر سهل عليه ويسير.

---

(١)-**سؤال:** ما الوجه في فصل هذه الآية عما قبلها؟

الجواب: الوجه أنها مستأنفة وليست داخلة في مقول القول ولا في خبر الشرط والجواب لذلك فصلت وهي مستأنفة لتسلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢)-**سؤال:** ما المراد بهذا الاستفهام؟ أو ما الفائدة منه؟

الجواب: هذه الآية مستأنفة لتسلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاستفهام لتقرير ما بعد النفي فإذا كان علم الله تعالى محيطاً بكل ما في السماء والأرض لا يغيب عن علمه لا صغير ولا كبير فسيوفي الله أعداءك يوم القيامة ما يستحقون من الجزاء.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴿٧١﴾﴾ بعد أن عدد الله سبحانه وتعالى آياته التي بثها لخلقه في السماوات والأرض والتي تدل على قدرته وعظمته وإلهيته أعرضوا عنها ولم يلتفتوا إليها أو يلقوا لها بالاً، وذهبوا إلى عبادة تلك الآلهة التي لا تملك من صفات الإلهية شيئاً، ولا يملكون أي دليل أو حجة على إلهيتها، فعبادتهم لها ليس إلا اتباعاً للهوى والشهوات، وحباً فيما يكون حال اجتماعهم حولها من الرقص والغناء مع القيان والغلمان.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه إذا كان يوم القيامة فلن يجد هؤلاء أي نصير لهم ينصرهم من هذه الآلهة أو يدفع عنهم شيئاً من عذاب الله سبحانه وتعالى.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾[1] إذا تلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو المؤمنون شيئاً من القرآن على المشركين.

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ تتغير وجوه المشركين ويستشيطون غضباً وغيظاً عند سماع تلاوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ ويشتد بهم الغضب إلى أن يهموا بالسطو والوثوب على الذين يتلون عليهم آيات الله.

﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ[2] وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴿٧٢﴾﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر المشركين بأنهم إن كانوا يظنون أن هذا القرآن شرٌّ فليعلموا أن أشر منه النار التي سيعذبكم الله فيها، فالمفروض أن تنفروا منها ومما يسوقكم إليها، لا أن تنفروا من الحق وتهربوا منه.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ أخبرهم الله سبحانه وتعالى أنه قد

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب بينات؟

الجواب: تعرب حالاً.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب قوله: ﴿النَّارُ﴾؟

الجواب: خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره جملة «وعدها الله...»

ضرب لهم هذا المثل لعلهم ينتفعون به إذا سمعوه، فيرجعوا إلى صوابهم ورشدهم ويتركوا غيهم وضلالهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ ينبههم الله سبحانه وتعالى أن ينظروا إلى حقارة آلهتهم هذه التي يعبدونها وعلى مدى ضعفها، فلا تقدر أن تخلق حتى مثلَ أضعفِ مخلوقاته الذباب، وهيهات أن تستطيع ذلك ولو اجتمعت المعبودات جميعاً.

﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ[١] الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ حتى المدافعة عن أنفسها ولو من أضعف المخلوقات فهي لا تستطيع ذلك، وكانوا يتقربون إلى الأصنام بالهدايا والنذر من الذبائح والعسل والسمن ونحو ذلك، فتحداهم الله سبحانه وتعالى بتلك الذبابة التي تقع فوقها وتأكل من هداياها أن يستردوا شيئاً مما تسلبه الذبابة منها.

﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴿٧٣﴾﴾ المطلوب هو الذبابة، والطالب هي الآلهة، فهم جميعاً في غاية الضعف والوضاعة.

فقد ضرب الله سبحانه وتعالى لهم هذا المثل لعلهم يرجعون إلى عبادته؛ لأنه القادر على كل شيء والمتحكم في كل شيء.

﴿مَا قَدَرُوا[٢] اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ[٣] إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴿٧٤﴾﴾ لم يعظم المشركون الله

---

(١)- **سؤال:** إلام يعود الضمير المذكر في قوله: ﴿يَسْلُبْهُمُ﴾؟

الجواب: يعود إلى ﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾.

(٢)- **سؤال:** هل قوله: ﴿قَدَرُوا اللَّهَ﴾ من التقدير فلماذا لم يضعف؟ أم إنه من القدر فهل يتعدى بنفسه مع التخفيف؟

الجواب: في الرازي عن الواحدي: يقال: قَدَر الشيء إذا سبره وحزره وأراد أن يعلم مقداره، يَقْدُرُهُ بالضم قدراً، ومنه قوله ÷: ((وإن غم عليكم فاقدروا له)) أي: فاطلبوا أن تعرفوه. هذا أصله في اللغة.اهـ ونقل أيضاً تفسير ذلك: عن ابن عباس: فاعظموه حق عظمته. وعن أبي العالية: ما وصفوه حق صفته. وعن الأخفش: ما عرفوه حق معرفته.اهـ لذلك نقول: إن قدر هذا متعدٍّ بنفسه. وأصله التخفيف، وليس من التقدير.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾؟

الجواب: تعرب مفعولاً مطلقاً.

سبحانه وتعالى ولم يروا له ما يستحقه من العظمة والكبرياء عندما اتخذوا معه شركاء لا تكافئه أو تماثله في شيء من صفاته، فكان ينبغي أن يعظموه حق عظمته ويخافوا نقمته ويتوجهوا إليه؛ لأن الخير والشر كله بيده، فليحذروا ضره وليرجوا ما عنده من النفع إن كانوا من أهل العقول كما يزعمون، ولكن أعمتهم الدنيا وملذاتها، وركضوا وراء شهواتهم وأهوائهم، ومعنى «عزيز»: غالب لا يعجزه الانتقام.

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝٧٥﴾ ثم أخبر سبحانه وتعالى أنه يختار من الملائكة رسلاً يتحملون تبليغ رسالاته إلى أنبيائه ورسله عليهم السلام، كما أنه يختار من البشر من يتحمل أمر تبليغ رسالاته إلى الناس، وكان جبريل هو الذي يرسله الله بتبليغ الوحي إلى الأنبياء والرسل، وأما النبوة والرسالة فلا يختار لها إلا من علم أنه أهل لحمل رسالته.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝٧٦﴾ فهو عالم بجميع أحوال الناس والملائكة، لا يخفى عليه منها شيء لا الحالية ولا المستقبلة ولا الماضية فهو يعلمها جميعاً على سواء، وسيحاسبهم على صغيرها وكبيرها يوم القيامة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ ثم التفت الله سبحانه وتعالى بخطابه إلى المؤمنين خاصة فأمرهم بالصلاة له، وقد خص الركوع والسجود بالذكر لينبه على أهميتهما وليحثهم على زيادة الاهتمام بهما أكثر من بقية أركانها؛ لأنها التي تدل على الخضوع لله تعالى والتواضع؛ فانحناء الظهر في الركوع فيه تعبير عن غاية التعظيم لله سبحانه وتعالى، وأما السجود فهو تعبيرٌ عن غاية التواضع له تعالى.

﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾(١) أي: امتثلوا لأوامره.

---

(١)-**سؤال:** هل هذا من عطف العام على الخاص؟ وما فائدته؟

الجواب: نعم ذلك من عطف العام على الخاص، وقد ذكر الخاص «الركوع والسجود» الذي هو الصلاة، وإنما قدمها لأنها أهم العبادات ومقدمة عليها في الرتبة، فهي كالعنوان للعبادات: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة:٣].

﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ۝٧٧﴾ بادروا إلى الإكثار من أعمال الخير لتكسبوا زيادة الثواب وتفوزوا برضوان الله سبحانه وتعالى، وقد عرفه باللام التي يشار بها إلى الجنس ليصدق على كل خير وعلى أعمال الخير جميعها التي تنجذب إليها فطرة العقل أو دل عليها الشرع الشريف.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ اسعوا جهدكم في إرضاء الله سبحانه وتعالى، وفعل ما يرضيه من الطاعات، وضحوا بما تستطيعون في سبيل دينه وإعلاء كلمته(١).

﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ اختاركم أيها المسلمون من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واصطفاكم على سائر الأمم، وجعلكم أهلاً لتبليغ رسالة نبيكم في حياته وبعد موته، وقد أراد بهم العرب خاصة.

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ فقد أتاكم بالدين السهل والتكاليف اليسيرة، ولم يحملكم التكاليف الشاقة التي تثقل ظهوركم.

﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾(٢) دين أبيكم إبراهيم، فقد بعث الله سبحانه وتعالى

---

(١)-**سؤال:** هل تريدون أنها تصدق المجاهدة على جهاد العدو وجهاد النفس فما المرجح لذلك؟

الجواب: المجاهدة المرادة هنا: هي بذل الجهد في الإتيان بما أمر الله تعالى به وفي الانتهاء عما نهى عنه فيدخل في ذلك جهاد العدو وجهاد النفس، وقد مرت كثير من القرائن الدالة على هذا.

(٢)-**سؤال:** هل شريعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نفس شريعة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في كل شيء، أم المراد الموافقة في ركائز الشريعة وأصولها؟ وما حجة ذلك رضوان الله عليكم؟

الجواب: المقصود هو الموافقة في ركائز الشريعة أما تفاصيل الأحكام فليست مقصودة، وذلك لأن تفاصيل الأحكام الشرعية تابعة للمصلحة، وهي تختلف باختلاف الأحوال والأزمان، ودليل ذلك ما عرف في شريعتنا شريعة الإسلام، فقد فرض الله تعالى الصلاة في أول الإسلام ركعتين ركعتين أي الظهر والعصر والعشاء والفجر، ثم بعد حين زاد الله تعالى ركعتين ركعتين في الظهر والعصر والعشاء في الحضر، وأقر التشريع الأول في السفر. وكان الصيام في أول ما فرضه الله على صفة معروفة ثم نسخ الله صفة الصيام تلك إلى ما نعرفه اليوم.

سؤال: ما إعراب: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ وكذا: ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾؟

الجواب: «ملة» مفعول مطلق مؤكد لما تضمنه الكلام السابق من قوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

=

نبيه محمداً صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بدين إبراهيم.

وهذه السورة قد خاطب الله سبحانه وتعالى بها أهل مكة والمدينة جميعاً، وقوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ دلالة على أن ذراري عدنان وقحطان من سلالة(١)

ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ وما بعده، أو ينصب بأخص أو باتبعوا. «من حرج» مفعول به مجرور لفظاً بـ«من» الزائدة، منصوب محلاً.

(١)- **سؤال:** نِعْمَ ما أوردتموه في تفسير هذه الآية فهو يوافق ظاهر الخطاب والأثر لكن بقي لدى بعض المرشدين إشكالات:

١- هل أثبت أحد من أهل النسب المعتبرين كون قحطان من ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

٢- استدلال أغلب أئمة أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ إن لم نقل جميعهم والشيعة بالآية على حجية إجماع أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ بما فيها من الاجتباء والشهادة مع قوله: ﴿أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾؟

٣- استدلال كافة المسلمين بـ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ على رفع الحرج عن جميع من أسلم ولو لم يكن من العرب وهذا قد يدل على عمومها؟

٤- أن تفضيل أمة محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واصطفائها يعم من آمن ولو من غير العرب كصهيب وسلمان ونحوهم؟

٥- ظاهر قولكم أن الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سيشهد على المؤمنين لأن الخطاب في «اجتباكم وسماكم وعليكم» راجع إليهم، فكيف ستكون شهادة النبي على من آمن؟ فإن خرجتم عن هذا الظاهر لمرجح فلم لم نخرج عنه في قوله: ﴿أَبِيكُمْ﴾ إلى أن المراد به قريش أو بنو هاشم بمرجح استقامة الشهادة من الأئمة الطاهرين على بقية الناس بالاتباع والمعاضدة و... و... إلخ. مع قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((فانظروا كيف تخلفوني فيهما))، و((كسفينة نوح))، ((من أحب أن يحيا حياتي))، وقول علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه)، وغير ذلك؟

الجواب:

١- قد روى في حلية الأولياء وفي البخاري وصحيح ابن حبان ومغازي الواقدي وكثير من كتب الحديث أن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مر على نفر من أسلم أي من الأوس أو الخزرج من أهل المدينة يتناضلون فقال: ((ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً)).

٢- الآية وإن عمت بظاهرها بني إسماعيل العدنانية والقحطانية فإنما ذلك لاشتمالهم على أهل الحق الذين هم أهل بيت النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولبني إسماعيل بذلك الشرف العظيم لكون الرسول الخاتم

=

إبراهيم عليه السلام، وليس كما يقوله بعض المؤرخين اليمنيين من أن قحطان من ذرية نبي الله هود عليه السلام؛ لأن ما ذكرنا هو الذي يطابق ما أتى في القرآن، والعرب الحقيقيون هم عدنان وقحطان، وأما البقية فيسمون العرب المستعربة.

وأيضاً يؤيد ما ذكرنا سابقاً: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر على أناس من بني سلمة يتناضلون ويتسابقون في الرماية فصاح عليهم قائلاً: ((ارموا يا بني سلمة فإن أباكم كان رامياً)) يعني به نبي الله إسماعيل عليه السلام، وبنو سلمة هؤلاء من ذرية قحطان من قبائل الأوس والخزرج.

﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ فقد سمى نبي الله إبراهيم عليه السلام ذريته باسم المسلمين، وذلك فيما حكاه الله سبحانه وتعالى من دعوة إبراهيم عليه السلام زمن نبوته: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [البقرة:١٢٨]، وهم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَفِي هَذَا﴾ وأيضاً في القرآن فقد سماكم إبراهيم عليه السلام المسلمين.

ثم ذكر السبب في اختياره واصطفائه لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حمل رسالته فقال:

﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فهذا هو السبب فإذا كان يوم القيامة فإن الرسول سيأتي ليشهد على من أنكر أن الحجة لم تبلغه

منهم، وأهل الحق أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة]، ﴿رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة].

٣- الآية عامة لجميع المسلمين: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ وكذا ما قبلها، وقد بينا في رقم (٢) أنه لا تنافي بين عمومها وبين دلالتها على حجية أهل البيت واختصاصهم بكونهم أهل الحق وألسنة الصدق وخلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٤- وتفضيل أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعم كل من دخل في الإسلام إلا أن من المتسالم عليه أن العرب أفضل من العجم لكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم، وقريش أفضل من سائر العرب لكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم، وبنو هاشم أفضل من سائر قريش لكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم، وأهل البيت أفضل من سائر بني هاشم لكونهم أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سائر بني هاشم.

٥- يفهم جواب هذا مما قدمناه وكتبناه في الأرقام السابقة.

وأن أحداً لم يحذره أو ينذره؛ وكذلك أنتم أيها المؤمنون العرب إذا أنكرت أمة من الأمم أن الحجج لم تصل إليهم، وأن دعوة محمد ﷺ لم تصلهم فعندها سيقوم هؤلاء الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى لتبليغ دعوة نبيه ﷺ من الأئمة والعلماء[1] فيشهدون عليهم بأنهم قد بلغوهم، ولكنهم رفضوا وكذبوا وتمردوا.

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ فاشكروا الله سبحانه وتعالى على أنه اختاركم واصطفاكم أيها العرب على بقية الأمم لحمل رسالته وتبليغها، وتوجهوا إليه بالعبادة والمداومة على الصلوات وأخرجوا زكاة أموالكم.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ تمسكوا بدينه من غير ميل أو انحراف إلى شيء من حبائل الشيطان.

﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴿٧٨﴾﴾[2] فهو ناصركم ومعينكم، وهو خير من ينصر ويعين، فلا تبتغوا ناصراً سواه.



---

(١)-**سؤال:** ما المرجح هنا للقصر على الأئمة والعلماء؟

الجواب: لأن المقصود بما ذكر من فضل المسلمين وأمة محمد ﷺ هو الأئمة الهادون والعلماء المحقون الذين يقضون بالحق وبه يعدلون من بيت الرسالة ومن أوليائهم.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما معنى الفاء في قوله: ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾؟ إن كانت عاطفة فكيف صح عطف الإنشاء على الخبر؟

الجواب: لا يشترط في العطف بالفاء توافق الجملتين المتعاطفتين في الخبر أو الإنشاء فإذا وجد المصحح للعطف الذي هو معنى الفاء صح العطف مطلقاً.

سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ۝١﴾ قد فاز المؤمنون وظفروا برضوان الله وثوابه الذي أعده لهم في جنات الفردوس وهم الموصوفون بهذه الصفات التي وصفهم الله بها في قوله:

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ۝٢﴾ أي: خاضعون لله سبحانه وتعالى ومتذللون له في صلاتهم، ساكنةٌ أعضاؤهم وجوارحهم فيها، وذلك أن القلب إذا خشع وامتلأ خوفاً وتعظيماً لله تعالى هدأت أطراف صاحبه وسكنت جوارحه، فينبغي عند ابتداء شروعه فيها أن يستحضر الوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى وتأدية ما أوجبه عليه خالصاً.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ۝٣﴾ وكذلك مِنْ صفتهم أنهم قد طهروا أنفسهم وابتعدوا عن الرذائل، وعن باطل الكلام من الكذب والفحش والزور والبهتان، ونزهوا أنفسهم عن كل ما فيه[1] معصية الله سبحانه وتعالى، سواء كان صغيراً أم كبيراً.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ۝٤﴾ وكذلك من صفتهم أنهم يؤدون ما فرض الله عليهم في أموالهم من الصدقات إلى من أمرهم بوضعها فيهم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ۝٥ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ

---

(١)- **سؤال:** لعلكم تريدون أن اللغو قد يصدق على الأفعال الردية فهل هو كذلك أم لا مع تعليلكم سلام الله عليكم؟

الجواب: في الكشاف: اللغو ما لا يعنيك من قول أو فعل، وصاحب الكشاف من أئمة اللغة. وفي الرازي ذكر عدة أقوال في معنى اللغو، فقول: هو المحرمات والمكروهات، وقول: هو المحرمات، وقول آخر: إنه في الكلام دون الأفعال.

﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ۝٦﴾ الذين حفظوا فروجهم عن الحرام من الزنا والفواحش، وكل سبيل غير أزواجهم وإمائهم التي أبيحت بملكهم لها فهذه صفة المؤمنين الذين وعدهم الله سبحانه وتعالى بالفوز برضوانه ورحمته.

﴿فَمَنِ[١] ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ۝٧﴾[٢] من وضع فرجه في الحرام من الزنا ونحوه فقد اعتدى حدود الله تعالى، وتجاوز ما أحل له، وقد استحق بذلك غضب الله وسخطه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ[٣] رَاعُونَ۝٨﴾ وهذه من صفات المؤمنين أيضاً وهي أنهم حافظون لعهودهم ومواثيقهم وأماناتهم، ويدخل في ذلك جميع التكاليف التي كلفنا الله سبحانه وتعالى بها؛ لأن ذلك عهد عاهدنا الله على الوفاء به بقولنا (آمنا بالله)، فهو يعني أننا قد التزمنا له، وقطعنا له عهداً على العمل والالتزام بشرائع الإسلام.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ۝٩﴾[٤] بدأ في ذكر صفات المؤمنين بالصلاة، وختمها بالصلاة دلالة على أهميتها ومكانتها عند الله تعالى.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما معنى الفاء هنا؟

الجواب: الفاء استئنافية.

(٢)-**سؤال:** ما العلة في تسميته عادياً ولم يسمَّ معتدياً؟

الجواب: العادون هي من عدا الشيء إذا جاوزه، يعدوه عدواً.

(٣)-**سؤال:** ما النكتة في إفراد العهد مع أنه معطوف على الأمانات وهي جمع؟

الجواب: أفرد العهد لأنه مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع.

(٤)- **سؤال:** هل في الإتيان بالخبر هنا جملة مضارعة نكتة تميزه عن الأخبار المتقدمة المفردة إن كانت فما هي؟

الجواب: جيء به مضارعاً لأن المحافظة على الصلاة تتكرر صلاة بعد صلاة، وفي كل يوم صلوات فهم يحافظون على إقامتها.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ۝ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ(١) هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ۝﴾ فهؤلاء الذين هذه صفاتهم هم الذين سيورثهم الله سبحانه وتعالى الفردوس الذي هو أعلى مكان في الجنة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ۝﴾ ثم انتقل بعد ذلك إلى ذكر دلائل علمه تبارك وتعالى وحكمته وما يبين قدرته، فذكر كيفية بداية خلق الإنسان، فأخبر أنه استله ونقاه من الطين الخالص والصافي، وهذا عند بداية خلق آدم عليه السلام.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ۝﴾ ثم بعد ذلك يخلقه الله سبحانه وتعالى من النطفة التي ينقلها من أصلاب الرجال إلى أرحام النساء.

والقرار المكين هو رحم المرأة الذي هيأه وأعده لحفظ تلك النطفة.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ ثم إن النطفة في رحم المرأة يحولها الله سبحانه وتعالى بقدرته إلى قطعة دم متجمدة.

﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ ثم إن هذا الدم المتجمد يحوله الله سبحانه بقدرته إلى قطعة لحم قدر ما يمضغه الإنسان.

﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ ثم إن قطعة اللحم هذه يحولها الله سبحانه وتعالى إلى العظام التي يكسوها اللحم بعد ذلك.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾(٢) بعد أن يكسو الله سبحانه وتعالى العظام باللحم

---

(١)-**سؤال:** ما العلة أو السر في تسمية استحقاقهم للجنة وراثة؟

الجواب: قد قيل في ذلك أقوال غير واضحة والذي يظهر لي -والله أعلم-: أنه سمي المستحق للجنة وارثاً للجنة لمشابهته لمن يرث تركة بناها وزرعها وجمع أموالها غيره ولم يتعب الوارث في شيء منها بل أخذها هنية مرية بغير كد وتعب. والمؤمن وإن تعب في الدنيا في الأعمال الصالحة فلم يتعب فيما أعد الله تعالى من الثواب في الجنة فهذا هو الذي ظهر لي والله أعلم.

(٢)-**سؤال:** هل يؤخذ من هذا جواز إسقاط الحمل قبل هذه المرحلة؟

الجواب: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه فيؤخذ من ذلك جواز إسقاط الحمل قبل أن

=

ينتقل الإنسان بقدرة الله إلى مرحلة أخرى، فينفخ فيه الروح التي تجعله يتحرك ويحس ويتألم، وقبل ذلك إنما تكون حياته مثل حياة النبات، وينمو مثل نموه.

﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴿١٤﴾﴾(١) كثر نفعه لعباده، وكثرت نعمه عليهم، ومن نعمه عليهم نعمة الخلق التي هي من أعظم النعم.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴿١٥﴾﴾ وأخبر أن خلقهم ذلك وإحياءهم إنما هو لحكمة ومصلحة في ذلك، وأنه قد خلقهم للموت ولما بعده(٢).

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴿١٦﴾﴾ فخلقكم وموتكم إنما هو لما يترتب عليه من البعث والحساب والجزاء.

ينفخ فيه الروح.

سؤال: إذا كان كل طور من هذه المراحل أربعين يوماً فستكون مراحل النطفة والعلقة والمضغة والعظام واللحم مائتين يوماً وهي أكثر من ستة أشهر فيفهم منه جواز الإسقاط في هذه المدة، وأبلغ ما في ذهني أنهم قد نصوا على الجواز قبل مائة وعشرين يوماً، فكيف الحل عندكم حفظكم الله ورعاكم؟

الجواب: المرحلة التي يعلق بها جواز إسقاط الحمل أو عدمه هي بدء تحرك الحمل فإذا بدأ في التحرك فلا يجوز إسقاطه وإن لم يبدأ تحركه جاز إسقاطه.

(١)- **سؤال:** هل في جمعه لـ﴿الْخَالِقِينَ﴾ ما يفيد أنه قد تطلق لفظة خالق على غير الباري تعالى أم لا ولماذا؟

الجواب: نعم في ذلك إشارة إلى جواز إطلاق لفظ خالق على غير الله تعالى، يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧].

(٢)- **سؤال:** من أين نستفيد هذا من هذه الآية الكريمة؟

الجواب: نستفيد ذلك مما علم أن الله حكيم، وأن أفعاله مبنية على الحكمة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴿١٧﴾﴾ ثم أخبر سبحانه وتعالى أنه خلق خلقاً أعظم من خلقكم، وذلك هو السماوات[١] السبع، ومع ذلك ليس غافلاً عنكم، فهو المتصرف فيكم، والمدبر لأمور معايشكم، وأنتم تحت قدرته وقبضته، وكذلك ليس غافلاً عن أعمالكم فهو محصٍ لجميعها صغيرها وكبيرها.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ ثم انتقل إلى تذكيرهم بآية أخرى من آياته الدالة على قدرته ورحمته، فأخبر أنه الذي ينزل لهم المطر بمقدار معلوم وميزان مخصوص على حسب ما تقتضيه حاجتهم ومصلحتهم فلا يزيد عن ذلك ولا ينقص.

﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴿١٨﴾﴾ وأخبرهم تعالى أنه مثل ما قدر على إنزال الماء وإسكانه في الأرض فهو قادر على سلبه عنهم حتى يموتوا عطشاً.

﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴿١٩﴾﴾[٢] أخرجنا لكم من ذلك الماء أنواع الفواكه والثمار والزروع التي بها قوام حياتكم.

يُذَكِّرُهم الله سبحانه وتعالى بنعمه عليهم وفضله العظيم عليهم لعلهم يرجعون إلى عبادته ويتركون ما هم فيه من الشرك والضلال.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما العلة في تسمية السماوات بـ﴿طَرَائِقَ﴾؟

الجواب: لأنه طورق بعضها فوق بعض، وكل شيء فوقه مثله فهو طريقه، أو لأنها طرق الملائكة أو لأنها طرائق تسير فيها الكواكب. اهـ من الكشاف باختصار.

(٢)-**سؤال:** كيف قال: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ والمعلوم أن بجنة النخيل فاكهة واحدة فقط وكذا جنة الأعناب؟

الجواب: ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ صفة لجنات أي: أن الجنات مشتملة على فواكه كثيرة غير الأعناب والنخيل.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ[١] وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ ۝٢٠﴾ وأخرج لهم بالماء شجرة الزيتون التي تنبت في بلاد الشام، وهي شجرة يخرج من ثمرها زيت يسمى (زيت الزيتون)، ينتفعون به في دهن أشعارهم وأبشارهم ويأكلون به طعامهم إداماً.

وطور سيناء[٢] هو المكان الذي كلم الله تعالى موسى بجانبه.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ ثم انتقل إلى تذكير عباده بنعمة أخرى من النعم التي أنعم بها عليهم، وفيها آية عظيمة تدل على عظيم قدرة الله.

والأنعام هي الإبل والبقر والغنم، فأخبرهم أنها آية من آياته الدالة عليه، وحثهم على التفكر والنظر فيها، وكيف سخرها لهم.

﴿نُسْقِيكُمْ[٣] مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ وهو اللبن الذي يخرجه لنا من بطونها شراباً صافياً سائغاً للشاربين.

---

(١)-**سؤال:** لم يظهر لنا إنباتها بالدهن فما معنى الباء هنا حتى يظهر لنا ذلك حفظكم الله؟

الجواب: الباء للمصاحبة والملابسة أي: تنبت مصاحبة للدهن وملابسة له.

(٢)-**سؤال:** هل هذه الشجرة مختصة بهذا المحل أم لا؟

الجواب: ليس هذا المكان مختصاً بشجرة الزيتون بل تنبت في غيره من الأرض إلا أنه اشتهر بزراعة الزيتون وكثر فيه نباته ولعل فيه بركة زائدة لما للمكان من القداسة، والله أعلم.

(٣)-**سؤال:** ما العلة في ضم النون هنا وهو يصلح بفتحها من الثلاثي «سقى»؟

الجواب: ضمت النون هنا لأنه أراد: جعلنا لكم اللبن الذي يخرج من بطونها شراباً ولو فتح لاختلف المعنى فيقال من الثلاثي: سقاه حتى روي، ومن الرباعي أسقاه اللبن أو الماء أي جعله له سقياً، وربما قالوا في أسقى سقى كقول لبيد:

سقى قومي بني نجد وأسقى ... نميراً والقبائل من هلال

فلم يرد بسقى ما يروي عطاشهم ولكن يريد رزقهم سقياً لبلادهم. اهـ من الرازي بتصرف واختصار.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾﴾ من الركوب والتحميل على ظهورها، وحرث الأرض، والاستفادة من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها، وكذلك لحومها، وقوله: ﴿مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أراد الله تعالى لا من غيرها تأكلون، فلا مصدر لأكلكم إلا منها(١)، وذلك أن الخطاب موجه إلى العرب خاصة؛ لأن أرضهم كانت غير زراعية، وكانوا يعتمدون عليها في معيشتهم أكلاً وشرباً وانتفاعاً، فلذلك تمنن الله سبحانه وتعالى عليهم بهذه النعمة العظيمة ليؤدوا شكرها.

﴿وَعَلَيْهَا(٢) وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ وسخرها للركوب على ظهورها في أسفارهم وتنقلاتهم، مثل ما سخر لهم السفن تسير على ظهر البحر.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى كل ذلك ليحثهم على النظر فيها لعلهم يستيقظون من غفلتهم فيرجعوا إليه، ويتركوا تلك الآلهة التي لا تقدر على نفع ولا ضر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خبر نوح وما جرى له؛ ليقصه على قريش لعلهم يعتبرون بهم إذا عرفوا ما نزل عليهم من عذاب الله وسخطه، جزاءً على كفرهم وتكذيبهم بنبيهم.

﴿إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾(٣) أرسل الله سبحانه

---

(١)- **سؤال:** هل مرادكم أنه لا يفهم التبعيض حتى يفهم أن فيها ما لا يؤكل أم أردتم بيان نكتة تقديم الجار والمجرور فقط؟

الجواب: المراد بيان نكتة تقديم الجار والمجرور.

(٢)- **سؤال:** هل يعود الضمير إلى جميع الأنعام أم إلى الإبل، وما قرينة ذلك؟

الجواب: المراد بالضمير الإبل بقرينة ذكر الحمل عليها ولبنها كثير وهي أكثر منافع من سائر الأنعام والمنة بها أعظم.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾؟

الجواب: «من إله» من: حرف جر زائد، وإله: مجرور لفظاً مرفوع محلاً؛ لأنه مبتدأ مؤخر، وغيره: صفة، ولكم: خبر مقدم.

وتعالىٰ نوحاً إلىٰ قومه ليدعوهم إلىٰ عبادته وحده؛ لأنه وحده الذي يستحق ذلك.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴿٢٣﴾﴾ أما آن لكم أن تتركوا عبادة الأصنام، وتتقوا عذاب الله وسخطه أن ينزل بكم إن بقيتم علىٰ ما أنتم عليه من التكذيب والكفر، ولم يطلب منهم أن يتقوا الله إلا بعد أن حذرهم عذاب الله وسخطه، وبعد أن عرفوه وعرَّفهم ربهم المالك لأمرهم والقادر عليهم.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ فقال أشراف قومه وزعماؤهم وأهل الوجاهة والغنىٰ، الذين نصبوا انفسهم للتصدي لدعوته ومجادلته، وهذه هي حال المكذبين في كل زمان يكون الأمر بيد كبار القوم، والبقية يكونون تبعاً لهم.

﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ يقولون لأتباعهم ليس نوح نبياً وإنما هو بشر مثلكم؛ ليصدوهم ويمنعوهم عن اتباعه، وعن الاستماع إليه؛ لأنهم يزعمون أنه لا يصح أن يكون نبي من البشر.

﴿يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾(١) وأخبروهم أن ادعاءه للنبوة ليس إلا وسيلة يتوصل بها للسيطرة عليكم، وليكون فوقكم وتكونوا تبعاً له، يقولون ذلك لقومهم وقد عرفوا(٢) في الحقيقة أن ما جاء به هو الحق، وأنه رسول من عند الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ هذا أيضاً من كلام الملأ من قوم نوح يخاطبون بقية قومهم بأن الله لو شاء أن يرسل رسولاً لأرسله من الملائكة لا من البشر.

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾؟

الجواب: محلها الرفع صفة ثانية لبشر.

(٢)-**سؤال:** من أين استفيد هذا وأنهم قد عرفوا نبوته؟

الجواب: استفيد من قوله تعالىٰ: ﴿وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴿٧﴾﴾ [نوح] أنهم قد عرفوا الحق وصدق ما جاءهم به نوح عليه السلام ولكنهم أنفوا من قبوله وترفعوا عن الإذعان له.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ۝٢٤﴾ فلم يسبق وأن ادعى النبوة أحد من البشر قبله فلا تصدقوا ما يقوله لكم.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ واعلموا أيها القوم أن الجنون قد أصاب هذا الرجل وإلا لما ادعى النبوة.

﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ۝٢٥﴾ انتظروا واصبروا فعما قريب ستنزل به نازلة من نوازل الزمان فيموت وتسلمون من شره.

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ۝٢٦﴾(١) فعندما سمع نوح عليه السلام ما سمع من التكذيب والاستهزاء وأصابه اليأس من إيمانهم دعا الله سبحانه وتعالى أن ينصره عليهم.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ(٢) اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾(٣) فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاء نبيه، وأمره أن يصنع سفينة ووعده أنه سيحرسه فلا يستطيعون أن يلحقوا به أي أذى أو مكروه، وأخبره أيضاً أنه سوف يوحي إليه كيفية صناعتها.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿بِمَا كَذَّبُونِ۝٢٦﴾؟ وما معنى «الباء» و«ما» هنا؟

الجواب: الباء حرف جر سببية، و«ما» مصدرية مسبوكة مع ما بعدها بمصدر، أي: بسبب تكذيبكم لي.

(٢)- **سؤال:** ماذا تعني «أن» في قوله: ﴿أَنِ اصْنَعِ﴾؟

الجواب: «أن» مفسرة أي: اصنع.

(٣)-**سؤال:** ما معنى الباء في قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾؟ وكيف عطف قوله: ﴿وَوَحْيِنَا﴾ عليها؟

الجواب: الباء للمصاحبة والملابسة أي: اصنع الفلك حال كونك مصحوباً بحفظنا ووحينا أي وأمرنا لك بكيفية صناعة السفينة.

والقصة أن نوحاً عليه السلام كان محتاجاً في صناعة السفينة إلى أمرين:

١ - أن يحفظه الله من شر قومه.

٢ - أن يعلمه الله تعالى كيفية صناعة السفينة.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾[١] وأخبر الله تعالى نوحاً عليه السلام أن فوران التنور بالماء وتفجره منها علامة لنزول العذاب بقومه.

﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ وأمره إذا رأى فوران الماء من التنور بأن يحمل في السفينة زوجاً[٢] من كل نوع من أنواع حيوانات الأرض، وأمره أيضاً بأن يحمل أهله فيها.

﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ إلا من سبق في علم الله سبحانه أنه من أهل العذاب لتمرده على الله وعصيانه له، وهم زوجته وأحد أبنائه.

﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ۝٢٧﴾ ونهاه أن يراجعه في شأن قومه فقد حق عليهم العذاب، وهو نازل بهم لا محالة ولا مجال للتراجع عن ذلك، وذلك لأن نوحاً عليه السلام كان حريصاً كل الحرص على استنقاذهم من[٣] عذاب الله، وإدخالهم في رحمته، وكان مشفقاً عليهم أن يصيبهم أي أذى أو مكروه، وكل أنبياء الله تعالى على هذا المنوال يكونون من أرحم الناس وأشفقهم.

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بالتنور؟ هل التنور المعروف الذي يصنع فيه الخبز؟

الجواب: الظاهر أن المراد به التنور الذي يصنع فيه الخبز.

(٢)-**سؤال:** يطلق الله سبحانه لفظ زوج على الفرد الواحد فهل ذلك حقيقة لغوية أم لا؟ وهل إطلاقه على الاثنين مجاز أم حقيقة لغوية؟ وما فائدة الإتيان باثنين بعد قوله: «زوجين» في قراءة حفص؟

الجواب: الزوج في اللغة ضد الفرد الواحد، ولا يقال للفرد الواحد زوج إلا مع وجود ما يماثله من جنسه كما قال تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ...﴾ الآية [الأنعام:١٤٣]، فيقال لذكر الضأن زوج ولأنثاه زوج و...إلخ، وهذا الإطلاق حقيقة لغوية. وفائدة الإتيان باثنين بعد قوله: «زوجين» بيان العدد المأمور بحمله فلو لم يذكر «اثنين» لكان الأمر مطلقاً يصدق على ما شئت من العدد.

(٣)-**سؤال:** يقال: ظاهر ما سبق أنه قد دعا الله أن ينصره عليهم وفي الآية الأخرى أن لا يدع منهم على الأرض دياراً فكيف؟

يقال في الجواب: إن نوحاً عليه السلام لم يدع عليهم إلا بعد أن أوحى الله تعالى إليه: ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ۝٢٧﴾.

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٢٨﴾﴾ إذا ركبتم على ظهر السفينة فاشكروا الله سبحانه وتعالى على ما أنعم به عليكم من النصر والظفر على أعدائكم، ولا تنسوا نعمه عليكم دائماً، فهو يحب أن يقابله عباده بالشكر والثناء على نعمه عليهم، وأمره أن يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴿٢٩﴾﴾ حملتهم السفينة على ظهر الطوفان العظيم، وسارت بهم في موج كالجبال، وعندما حان وقت إرسائها أمره الله تعالى أن يدعوه بأن ينزله في أرض كثيرة الخير والمنافع ليسكنوا فيها[(١)].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴿٣٠﴾﴾[(٢)] أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن فيما قصه عليه من خبر نوح وما جرى له مع قومه من التكذيب والاستهزاء لعظة وعبرة للمكذبين به من قريش وغيرهم، فعسى إذا عرفوا ذلك أن يرجعوا عن كفرهم وتمردهم؛ لأن شأن كل عاقل أن يتجنب أسباب الهلاك وكل ما يسخط الله تعالى، ومعنى «لمبتلين»: مصيبين من نشاء ببلاء عظيم.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا[(٣)] آخَرِينَ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه بعد أن أهلك قوم نوح بالطوفان تكاثر الناس في

---

(١)-**سؤال:** هل عُرفت تلك الأرض التي نزل فيها نوح عليه السلام فأين هي؟

الجواب: قيل إن المنزل المبارك هو أرض الجزيرة بالعراق، وقيل بالهند والله أعلم.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴿٣٠﴾﴾؟

الجواب: «إن» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والجملة بعدها في محل رفع خبرها، واللام هي الفارقة.

(٣)-**سؤال:** هل يطلق القرن على القوم أم أنه لا يطلق حقيقة إلا على الزمان واستعمل في القوم مجازاً؟

الجواب: استعمل القرن والقرون في القرآن بمعنى الأمم، والظاهر الحقيقة؛ لذلك يكون القرن حقيقة مشتركة بين أهل الزمان الواحد، وبين الزمان، وبين قرن نحو الثور.

الأرض، وضاع الدين مع مرور الزمان، وكثرت فيهم المعاصي؛ فأرسل الله إليهم رسولاً منهم، وهو هود عليه السلام.

﴿أَنِ[١] اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴿٣٢﴾﴾ فأمرهم بعبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، وحذرهم من عذاب الله إن هم لم يقلعوا عن الشرك.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا[٢] وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهذه عادة كل الأمم، وهي أن يكون الواقفون في وجه دعوة أنبيائهم كبار القوم ووجهاءهم وأشرافهم وأهل الرئاسة منهم، وأما بقية الناس فيكونون تبعاً لهم ولما قالوه.

وكان قوم عاد هؤلاء أهل ترف وبذخ وثراء واسع.

﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فقال أهل الترف والرئاسة: كيف يصح أن يكون نبي من البشر، فلا تصدقوا ما يقوله لكم هود فليس إلا بشراً مثلكم.

﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴿٣٣﴾﴾ يُنَفِّرون الناس عنه ويحاولون إبعادهم عنه بكل وسيلة، فقالوا: إنه بشر يأكل ويشرب.

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴿٣٤﴾﴾[٣] فاتركوه إذا أردتم الفلاح فهو لا يريد لكم أي خير كما يزعم.

---

(١)-**سؤال:** ما معنى «أن» وإعرابها في الآية وهل لها في ذلك ضابط معروف؟

الجواب: «أن»: هي المفسرة، ويحكم بكونها مفسرة إذا تقدمها معنى القول دون حروفه، وقد تقدمها هنا: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا﴾ وفيه معنى القول دون حروفه.

(٢)-**سؤال:** هل قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ صفة لـ﴿قَوْمِهِ﴾ أم للملأ؟

الجواب: هي صفة لقومه.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ﴾ وقوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾؟

الجواب: اللام موطئة لقسم، و«إن» شرطية، وأطعتم: فعل وفاعل، وقوله: «إنكم إذاً» إن: حرف توكيد ونصب والضمير اسمها، و«إذاً» هي الشرطية حذف شرطها وعوض عنه التنوين، و﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴿٣٤﴾﴾ جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ۝٣٥﴾(١) يستدل كبار القوم على كذب هود عليه السلام بأنه يقول: إنكم إذا متم وصرتم تراباً وعظاماً أنكم ستعودون إلى الحياة مرة أخرى.

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ۝٣٦﴾(٢) فمن البعيد والمستحيل أن يكون هناك حياة بعد الموت كما يزعم هود.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا(٣) وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ۝٣٧ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فما يحذركم وينذركم به ليس إلا كذباً وزوراً وبهتاناً، وليس نبياً كما يدعي، وإنما هو رجل كذاب(٤).

﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ۝٣٨﴾ ولن نصدقه أبداً، فهذه هي نصائح كبارهم وزعمائهم لقومهم.

---

(١)- **سؤال:** أين معمول: «يعدكم»؟ ولِمَ فتحت همزة «أن» في قوله: ﴿أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾؟ وهل «أن» مكررة أم كيف؟

الجواب: معمول «يعدكم» هو قوله: ﴿أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ۝٣٥﴾ فـ«أن» وما بعدها في تأويل مصدر مفعول به منصوب، وأنكم مكررة، وجملة الشرط معترضة.

(٢)- **سؤال:** «هيهات» اسم فعل بمعنى «بَعُدَ ما يوعدون» فما فائدة اللام؟ وما السر في تكرير «هيهات»؟

الجواب: اللام زائدة لتقوية العامل، وكررت هيهات للتوكيد، وقيل: البعد لما توعدون فيمن نون هيهات، وقيل: اللام للبيان كالتي في قوله: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف:٢٣]، وما ذكرناه أقرب وأسهل، والله أعلم.

(٣)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أنهم اعترفوا بالحياة بعد الموت، أم أنها على غير ظاهرها؟

الجواب: ليست على ظاهرها بدليل إنكارهم للبعث في قولهم: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ۝٣٦﴾.

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: «إن هي»؟ وما محل جملة: «نموت ونحيا»؟

الجواب: «إن هي» إن: نافية، وهي: مبتدأ، و«نموت ونحيا» جملة حالية أو هي مستأنفة لتفسير ما قبلها.

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ ثم إن هوداً عليه السلام لما انقطع رجاؤه في إيمانهم، واشتدت أذيتهم له- دعا الله سبحانه وتعالى أن ينصره عليهم، وأن يكفيه شرهم.

﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[1] أخبره الله سبحانه وتعالى أنه قد اقترب موعد نزول العذاب بهم، وسيندمون عند معاينته.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ استجاب الله سبحانه وتعالى لنبيه عليه السلام، وأنزل عليهم عذابه، واستأصلهم وأبادهم جميعاً هم وذراريهم وأهاليهم ودوابهم، وكل أملاكهم.

والغثاء هو ما يحمله السيل من بقايا الأشياء، ويرمي به في جانب من الأرض.

﴿فَبُعْدًا[2] لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فقد استحقوا العذاب لظلمهم وكفرهم.

﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ بعد أن أهلك الله تعالى قوم عاد أنشأ بعدهم أمة بعد أمة وجيلاً بعد جيل.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ[3] أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ يرسل الله تعالى إلى كل أمة من تلك الأمم رسولاً يحذرهم وينذرهم، ولكنهم جميعاً كذبوا بأنبيائهم وتمردوا عليهم، وصدوا عن دعوتهم فعذبهم الله بسبب ذلك، وأخبر أنه لا ينزل عذابه بأحد إلا في الموعد الذي حدده لذلك على حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من دون تقديم أو تأخير.

---

(١)-**سؤال:** يا حبذا لو أعربتم: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾؟ وكذا جملة: ﴿لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ لكان مناسباً؟

الجواب: «عما قليل» جار ومجرور، و«ما» زائدة. «ليصبحن» اللام في جواب قسم محذوف، ويصبحن: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، والواو المحذوفة اسم «يصبحن»، ونادمين: خبرها.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ماذا تعني الفاء في قوله: ﴿فَبُعْدًا﴾؟ وما إعراب «بعداً»؟

الجواب: الفاء سببية عاطفة، وبعداً: مفعول مطلق لفعل محذوف وجوباً.

(٣)-**سؤال:** هل قوله: «أمة» فاعل مرفوع تقديراً، فما فائدة دخول «من» الزائدة عليه؟

الجواب: «أمة» فاعل، و«من» زائدة لتوكيد العموم والشمول.

أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ بذلك وما جرىٰ علىٰ من سبقه ليصبره علىٰ ما يلحقه من أذىٰ قريش وتكذيبهم واستهزائهم، ويعلمه أن شأن قومه كشأن من سبقهم سواءً فقد جعل لهم موعداً لا يستقدمون عنه ساعة ولا يستأخرون.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾[1] يرسل الله سبحانه وتعالىٰ رسله إلىٰ تلك الأمم رسولاً بعد رسول.

﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ وكل رسول يرسله الله تعالىٰ يلاقي مثل ما لاقيت يا محمد من التكذيب والاستهزاء.

﴿فَأَتْبَعْنَا[2] بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ فأهلك الله تلك الأمم أمة بعد أمة ولم يبق إلا ذكرهم وأخبارهم.

﴿فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴿٤٤﴾﴾ فقد استحقوا عذاب الاستئصال لكفرهم.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ بعد تلك الأمم التي استأصلها الله سبحانه وتعالىٰ أخبر أنه أرسل في آخر الزمان موسىٰ وأخاه هارون وأيدهما بآياته ومعجزاته كالعصا التي آمن السحرة جميعاً عند مشاهدتهم لها غير مبالين بفرعون وبطشه وجبروته.

وقد أرسلهما الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ فرعون وأشراف قومه ورجال دولته؛ ليدعواهم إلىٰ الإيمان بالله سبحانه وتعالىٰ؛ لأنهم إذا آمنوا واستجابوا فبقية قومهم سيؤمنون تبعاً لهم[3]، وأيضاً ليستنقذا بني إسرائيل من ظلمهم وجبروتهم.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿تَتْرَى﴾ وكذا: ﴿كُلَّ مَا جَاءَ﴾؟ وما محله مع عامله؟

الجواب: «تترىٰ» حال أي: واحداً بعد واحد. «كل ما جاء» اكتسبت كل الظرفية فهي ظرف زمان، و«ما» مصدرية مسبوكة مع ما بعدها بمصدر والتقدير: كل وقت مجيء الأمة رسولها.

(٢)-**سؤال:** هل لقوله: «أتبعنا» متعلقاً محذوفاً تقديره: في الإهلاك أم لا؟ فكيف؟

الجواب: نعم هناك متعلقاً محذوفاً مدلولاً عليه بالسياق.

(٣)-**سؤال:** يقال: هل هذا هو الغرض فقط من إرسالهما أم إنه سر تخصيص فرعون وملئه بالذكر؟

الجواب: ذاك هو سر تخصيص فرعون وأشراف قومه بالذكر.

﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ ولكنهم رفضوا قبول الحق استكباراً على الله تعالى وإعراضاً عنه.

﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ۝٤٦﴾ يعني أنهم كانوا مترفعين في الدنيا قد أخذهم الكبر والجبروت.

﴿فَقَالُوا[١] أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ۝٤٧﴾ استنكروا دعوتهما لهم، وكيف يستجيبون لمن هم أدنى رتبة منهم، واستبعدوا أن يكون ذلك وأن يأخذ السيد أوامره من عبيده في زعمهم؛ وذلك أن آل فرعون كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل وسخروهم في طاعتهم والقيام بأعمالهم، وجعلوهم أذلاء مهانين.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ۝٤٨﴾ فأهلك الله فرعون وقومه لكفرهم وتكذيبهم لموسى وهارون عليهما السلام.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ۝٤٩﴾ أرسل الله سبحانه وتعالى موسى بالتوراة التي فيها الهدى والنور لبني إسرائيل، والعظات والعبر وتفصيل أحكامهم وأمور دينهم؛ فقد أعطاهم الله تعالى التوراة لأجل أن يهتدوا بأنوارها ويستضيئوا بهديها ويعملوا بأحكامها وشرائعها.

هذا، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى التوراة على موسى بعد[٢] أن استنقذ بني إسرائيل من يد فرعون وبطشه.

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً﴾[٣] يقص الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً ما كان من شأن عيسى عليه السلام وأمه، وأنه جعلهما علامة وآية دالة على عظمته وقدرته وجلاله،

---

(١)-**سؤال:** ما السر في استخدام الفاء في العطف في هذه الآية والتي بعدها؟

الجواب: الفاء سببية عاطفة في الموضعين.

(٢)-**سؤال:** من أين نستفيد هذه الحكمة؟

الجواب: نستفيد ذلك من غير هذا الموضع فإن قصص موسى الواردة في القرآن تفيد ما ذكرنا.

(٣)-**سؤال:** ما وجه عدم التعبير عن عيسى وأمه عليهما السلام بآيتين؟

الجواب: لم يقل آيتين لأن الآية فيهما واحدة، وهي الولادة من غير أب.

وذلك أنه خلقه من غير أب، وكان يحيي الموتى، ويشفي المرضى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخبرهم بأخبار من علم الغيب، وكل ذلك بإذن الله وقدرته وأمره.

وأيضاً جعل في ذلك آية وعلامة دالة على البعث بعد الموت؛ لأنهم عندما يرون عيسى يحيي الموتى بعد أن صاروا تراباً بما جعل الله له من القدرة على ذلك، فإنهم يعلمون ويستيقنون أن الله على كل شيء قدير، وأنه قادر على إحيائهم بعد الموت فلا يكون لهم سبيل إلى إنكار ذلك.

﴿وَءَاوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ۝﴾[١] وأخبر أنه أنزل عيسى وأمه في مكان مرتفع صالح للسكنى في أرض الشام، وذلك أن عيسى عليه السلام كان قد لاقى من يهود بني إسرائيل الأذى والتكذيب، وكانوا يتحينون الفرص لقتله، فهداه الله سبحانه وتعالى إلى ذلك المكان الذي فيه ما يحتاجان إليه من الماء والغذاء والسكنى.

﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ۝﴾ يريد الله سبحانه وتعالى لعباده[٢] أن يتنعموا بما أخرج لهم في الأرض من الطيبات، ولكنه شرط[٣] عليهم أن يؤدوا شكر ذلك بطاعته وامتثال أوامره، وأعلمهم أنه مطلع على أعمالهم لا يخفى عليه منها شيء فليحذروا مخالفته ومعصيته.

---

(١)-**سؤال:** هل يعرف محل تلك الربوة؟

الجواب: الربوة في أرض الشام قيل: إيليا، وقيل: دمشق، وقيل: غوطة دمشق.

(٢)- **سؤال:** يقال: فعلى هذا ما السر في أن الله جعل الخطاب إلى الرسل؟ أم أن المراد به حكاية الخطاب للرسل في أزمانهم؟

الجواب: المراد به حكاية خطاب الرسل في أزمانهم وأنهم خوطبوا بهذا الخطاب، ووجه الخطاب إليهم تشريفاً لهم ولكونهم رؤساء أممهم.

(٣)-**سؤال:** من أين نفهم هذا الشرط؟

الجواب: نفهم ذلك من قوله: ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ لأنه بمعنى: واشكروا الله بعمل الصالحات.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[1] ثم خاطب الله سبحانه وتعالى الناس جميعاً، وأخبرهم أن الإسلام دينهم وملتهم جميعاً، فلا حق غير ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا دينَ غيرُ الإسلام.

﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ۝٥٢﴾ ولا إله لكم غير الله سبحانه وتعالى، فلا عيسى ولا عزير ولا الملائكة، فلا تعبدوا غيري فيحل بكم عذابي وسخطي.

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾[2] ولكنهم بالرغم من ذلك، ومعرفتهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبصدق ما جاءهم به تفرقوا واختلفوا إلى ملل شتى وأديان متعددة من يهود ونصارى ومجوس وغير ذلك، ورفضوا الدخول في الحق والهدى والإسلام، وتكبروا على الله سبحانه وتعالى.

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ۝٥٣﴾[3] وكل حزب يدعي كونه على الحق والهدى، وأنه وحده على الطريق المستقيم، وأن غيره في ضلال.

﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ[4] حَتَّىٰ حِينٍ۝٥٤﴾ اتركهم يا محمد في غيهم وضلالهم،

---

(١)-**سؤال:** هل الواو عاطفة فما وجه الوصل فيها؟ أم غير عاطفة فما هي وما إعراب أمة؟

الجواب: الواو استئنافية والجملة بعدها مستأنفة لبيان انتظام أمر الأمة على المنهج القويم والصراط المستقيم، وتعرب «أمة» حالاً من أمتكم.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم كيف عبر بالتقطع للأمر عن التفرق؟ وما إعراب: «زبراً»؟

الجواب: الأصل: تقطعوا في أمرهم أي: تفرقوا في دينهم، وعبر بالتقطع لما فيه من الإشارة إلى أن دينهم كان ديناً واحداً محكم الحبك والاتصال بعضه ببعض بالحجج الواضحة والدلائل البينة.

ويمكن أن يكون «تقطعوا» بمعنى «قطَّعوا» فيكون أمرهم مفعولاً به، أي: فرقوا دينهم أي جعلوه عدة أديان يخالف بعضها بعضاً. و«زبراً» حال من فاعل تقطعوا.

(٣)-**سؤال:** ما الوجه في فصل هذه الجملة عما قبلها؟

الجواب: الوجه هو كونها مستأنفة في جواب سؤال مقدر عن حالة كل حزب من المتقطعين.

(٤)-**سؤال:** ما الوجه في تشبيه غفلتهم بالغمرة؟

الجواب: الوجه هو بيان شدة غفلتهم وكمالها فيهم فصاروا لذلك كأنهم مغمورون في الماء والماء من فوقهم ومن تحتهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم لا يشعرون بما حولهم ولا يتنبهون لمن ينبههم ويناديهم.

ودعهم يتمتعون ويأكلون في الدنيا، فإن لم يأخذهم الله بالعذاب في الدنيا فسيعذبهم في الآخرة لا محالة، فلا تهتم يا محمد بأمرهم ولا يحزنك عدم قبولهم لدعوتك، وعدم دخولهم في الإسلام، فعمر الدنيا قصير ومرجعهم إلى الله.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ۝﴾(١) أيظنون عندما متعناهم في الدنيا بالأموال والأولاد والصحة والعافية والأمن أنهم في مأمن، وأنا قد رضينا عنهم؟ إنما ذلك استدراجٌ لهم ليزدادوا إثماً وكفراً، ويزداد عذابهم ويتضاعف، وهو كذلك إتمامٌ للحجة عليهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ(٢)۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ۝﴾ ثم انتقل الله سبحانه وتعالى إلى ذكر المؤمنين فذكر من صفتهم أنهم في خوف دائم من الله تعالى؛ لأنهم عرفوه حق

---

(١)-**سؤال:** لو أعربتم الآية (٥٥) والتي بعدها لكان مناسباً لنا وللمرشدين؟

الجواب: الهمزة للاستفهام الإنكاري، «يحسبون» فعل مضارع وفاعله، و«أن» حرف توكيد ونصب، «ما» اسم موصول اسم «أن» مبني على السكون في محل نصب، «نمدهم» فعل مضارع وفاعله مستتر وجوباً والضمير مفعول به، و«به» جار ومجرور متعلق بنمدهم، والجملة صلة الموصول والضمير المجرور هو عائد الموصول. «نسارع لهم في الخيرات» نسارع: فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر وجوباً ولهم جار ومجرور متعلق بنسارع، وفي الخيرات: جار ومجرور متعلق بنسارع أيضاً، والجملة في محل رفع خبر «أن».

(٢)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن خوف ربهم سبب في خوفهم وكأن هذا لا يتناسب مع بلاغة القرآن أم في ذلك توجيه آخر فلو وضحتموه؟

الجواب: قد قالوا في توجيه ذلك إن المعنى:

١- من عذاب ربهم مشفقون.

٢- من خشية ربهم دائمون في الطاعة؛ لأن من لازم الإشفاق من الله والخوف منه دوام الطاعة فيكون «مشفقون» كناية عن دوام الطاعة.

معرفته، فعظم في قلوبهم، وازداد إيمانهم به حتى تيقنوا كل اليقين بوعده ووعيده، وأنه سيعذب المجرمين ويثيب المؤمنين فخافوا من عذابه وسخطه، ووصفهم أيضاً بأنهم إذا سمعوا آية من آيات الله سبحانه وتعالى، أو تلا عليهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ آية صدقوا بها، وعملوا بأحكامها، وأنهم قد أخلصوا أنفسهم لله تعالى وحده، ولم يتركوا مجالاً لإبليس والهوى في قلوبهم.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ۝٦٠﴾(١) وأنهم إذا أعطوا عطية لوجه الله سبحانه وتعالى، أو أخرجوا شيئا من أموالهم في سبيل الله- تصدقوا بذلك وقلوبهم خائفة منه أن لا يقبلها منهم، وذلك أنهم تيقنوا أنهم راجعون إليه، وأنه عالم بما في ضمائرهم وقلوبهم وسيحاسبهم عليها(٢).

﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ۝٦١﴾(٣) فهؤلاء الذين على هذه الصفات إذا أمرهم الله سبحانه وتعالى بعمل بر أو طاعة بادروا إليه مسرعين حرصاً منهم أن ينالوا رضاه تعالى عنهم.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٤) فلا يحمِّل الله سبحانه وتعالى أحداً أو

---

(١)-**سؤال:** ما موضع المصدر المؤول من أن واسمها وخبرها في الإعراب؟

الجواب: موضعه الجر بلام محذوفة أو النصب بنزع الخافض أي: لأنهم إلى ربهم راجعون، وفي هذا بيان لعلة وجلهم من الله.

(٢)- **سؤال:** ما صحة الرواية أو الآثار التي وردت في هذه الآية بأنهم الذين يعملون الصالحات من صلاة وصيام و... و... وهم خائفون ألا تقبل منهم؟

الجواب: قد تكون هذه الآية شاهدة بصحة ما روي.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما محل جملة: ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ۝٦١﴾؟

الجواب: خبر ثان لـ﴿أُولَٰئِكَ﴾.

(٤)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿وُسْعَهَا﴾ بالتفصيل؟

الجواب: «وسعها» هو المفعول الثاني لنكلف، ووسعها مصدر وهو بمعنى المفعول أي: لا نكلفها إلا مقدورها أي: ما تقدر عليه أي ما يسعها فعله ولا يضيق عليها.

يكلفه إلا بما يطيقه ويستطيعه، فهو تعالى عالم بطبيعة الإنسان، وأنه تأتي منه الزلات والأخطاء غير أن المؤمن إذا عمل معصية أو زلت به قدمه تراجع عنها، وندم وتاب إلى الله سبحانه وتعالى منها.

﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ۝٦٢﴾ وأخبر سبحانه وتعالى أن أعمال بني آدم جميعها صغيرها وكبيرها مسجلة عنده، ولن يضيع عنده شيء منها حتى ولو كان ذلك مثقال ذرة فإنهم سيرون ذلك سواءٌ كان خيراً أم شراً، وأن كل امرئ سيرى أعماله تلك عندما يأخذ صحيفة أعماله ليقرأها يوم القيامة(١).

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا﴾ وأما المشركون(٢) فقلوبهم مغطاة في غمرة الجهل والضلال والهوى والشهوات، وقد غرقوا فيها حتى لم يتأتَّ أن ينفذ إليها شيء من معرفة الله سبحانه وتعالى أو خشيته أو الخوف منه، ولم يتأت منهم أن يسمعوا داعي الله لهم، أو يبصروا نور الهدى الذي يأتيهم.

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذا أن التسجيل حقيقي والصحيفة حقيقة؟ فما هو الذي تؤولونه بحفظ الله وعدم نسيانه؟

الجواب: قد أحاط علم الله بأعمالهم كلها صغيرها وكبيرها لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض؛ لذلك فهو لا يحتاج إلى تسجيل في صحيفة، وهذا هو مرادنا بما حملناه على حفظ الله وعلمه فقط، لا إنكار تسجيل الملائكة أو الصحيفة فقد مر لنا أجوبة في أنها حقيقة، إلا أنه ليس الغرض من صحف الأعمال التي تنشر يوم القيامة -فلا تغادر صغيرة ولا كبيرة- حفظ أعمال المكلف خوفاً عليها من النسيان، بل الغرض منها والحكمة -والله أعلم-:

- كوثيقة وشهادة على عمل المكلف لا يقدر على إنكار ما كتب فيها.
- إظهار عدل الله فيما يحكم به على كل مكلف من الجزاء وإعلانه حتى يعلم كل مكلف أن حكم الله تعالى عليه حكم حق وعدل لا ظلم فيه.

(٢)-**سؤال:** من أين نستفيد أن هذه الآية في المشركين خاصة؟

الجواب: يستفاد من السياق الذي بعدها، فمن هذه الآية إلى آية (٧٧) في المشركين.

﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴿٦٣﴾﴾(١) ولهم أعمال إجرام أخرى يعملونها غير كفرهم وتكذيبهم، ولو لم تكن تعلمها يا محمد فنحن نعلمها، وسيلقون جزاءها.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴿٦٤﴾﴾(٢) عندما رأى كبار قريش وزعماؤهم العذاب نازلاً بهم يوم بدر، ورأوا أن الموت نازل بهم لا محالة إذا هم يصيحون ويصرخون من هول ما رأوا من عذاب الله تعالى.

﴿لَا(٣) تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴿٦٥﴾﴾ ثم رد الله سبحانه وتعالى عليهم بأنه لن ينفعهم صياحهم واستغاثتهم، وأن أحداً لن يستطيع أن يدفع عنهم العذاب الذي هو نازل بهم.

---

(١)-**سؤال:** قال بعض العلماء: إن هذه الآية ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴿٦٣﴾﴾ من أقوى الأدلة على نسبة أعمال العباد إليهم فمن أي وجه كان ذلك؟

الجواب: كان ذلك من:

- نسبة الأعمال إليهم بلام الاختصاص.
- من حيث الحصر والقصر في قوله: ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ أي: هم وحدهم عاملون لها لا يشاركهم في عملها غيرهم.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب «حتى» في هذه الآية؟ وكذا: ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴿٦٤﴾﴾؟

الجواب: «حتى» للغاية وتسمى في مثل هذا الموضع ابتدائية أي: أنه يبتدأ بعدها الكلام، ولا تعمل فيه، و«إذا» الثانية هي الفجائية جيء بها لربط الجزاء بالشرط فهي واقعة موقع الفاء.

و«هم» مبتدأ، و«يجأرون» فعل مضارع وفاعله والجملة خبر المبتدأ في محل رفع، والجملة من المبتدأ والخبر لا محل لها من الإعراب جواب الشرط.

(٣)-**سؤال:** ما حكمة الإتيان بالنهي هنا بدل الإخبار؟

الجواب: جملة: «لا تجأروا...» مقول قول محذوف أي: فيقال لهم: لا تجأروا؛ فجاءت على ظاهر الحال.

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦﴾ ثم ذكر السبب في ذلك وهو أنهم كانوا إذا سمعوا آيات الله يتلوها عليهم النبي ﷺ أعرضوا عن سماعه وصرفوا وجوههم عنه، ومعنى «تنكصون» تعرضون مدبرين عن سماعها والنكوص الرجوع قهقرى.

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ۝٦٧﴾(١) وأيضاً بسبب استكبارهم عن سماع الحق وما يتلوه عليهم النبي ﷺ، وجعلهم الاستهزاء به والصد عنه والسخرية منه حديث مجالسهم.

﴿أَفَلَمْ(٢) يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾ ما هو الذي منعهم عن الإيمان ودين الإسلام؟ هل هو لأجل أنهم لم يتدبروا فيما أنزله الله من القرآن؟ أم لأن ما جاءهم به شيء غريب لم يعرفوه لا هم ولا آباؤهم من قبلهم؟

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۝٦٩﴾ أم أنه ردهم عن اتباع النبي ﷺ والاستجابة لدعوته أنهم لم يعرفوه أو يسمعوا به، ثم رد(٣) الله سبحانه وتعالى على

---

(١)-**سؤال:** إلامَ يعود الضمير في «به»؟ وهل يتعدى الاستكبار بعن أو بالباء؟ ولِمَ أفرد «سامراً» وهو حال من واو الجماعة؟

الجواب: يعود الضمير إلى البيت أو الحرم لشهرة قريش بالحرم والبيت، فيكون «به» متعلقاً بمستكبرين، ويصح أن يتعلق بـ«سامراً» أي: سامراً بالتكذيب والاستهزاء بالقرآن، ويتعدى الاستكبار بـ«عن» إلى المستكبر عنه، وبـ«في» و«الباء» إلى المستكبر فيه. والسامر كما قال الراغب: اسم جمع.

(٢)-**سؤال:** ماذا يفيد الاستفهام هنا؟

الجواب: يفيد الاستنكار لعدم تدبرهم للقرآن.

(٣)-**سؤال:** من أين نفهم هذا الرد؟

الجواب: نفهم ذلك من قوله: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ فهو مثل قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح]، فهو لتقرير ما بعد النفي.

ذلك فقال: بلى، قد عرفوا صدقه وأمانته، وأنه نبي مرسل من عند الله.

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ أم ظنوا أنه مجنون حتى لم يستجيبوا له، ولم يستمعوا لما جاء به.

﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ فأجاب الله سبحانه وتعالى عليهم مبكتاً لهم: أنهم قد سمعوا ما جاءهم به، وعرفوا أن ما جاء به هو الحق والصدق، وأنه نبي صادق.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ(١) لِلْحَقِّ كَارِهُونَ۝٧٠﴾ غير أنهم كرهوا الحق وثَقُلَ عليهم اتباعه؛ لأنهم إذا اتبعوه سيضطرون إلى ترك شهواتهم وأهوائهم من الرقص حول القيان، واللعب مع الصبيان، والتعري والطرب حول الأصنام والتعالي في الأرض والإفساد فيها.

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ لو سار الباري تعالى وتبعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على حسب أهوائهم ومذاهبهم لفسد أمر السماوات والأرض، ولعمت الفوضى فيهما، ولحصل التنازع والاختلاف بين تلك الآلهة التي يزعمون ولاختل نظام السماوات والأرض بسبب ذلك.

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ۝٧١﴾ ثم أخبر قريشاً أنه لم يأتهم إلا بما فيه عزهم وشرفهم في الدنيا والآخرة لو أنهم آمنوا وتركوا ما هم فيه من الضلال والجهل والضياع واستجابوا لدعوة نبيهم وما جاءهم به.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ(٢) رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ۝٧٢﴾ ثم رجع إلى سؤالهم عن السبب في عدم استجابتهم لنبيهم: هل لأنه طلب منهم الأجرة مقابل تبليغهم حتى ينفروا عنه ويبتعدوا هرباً من دفع الأجرة؟

---

(١)-**سؤال:** هل الواو عاطفة؟ فما الوجه في عطفها على الفعلية؟ أم غير عاطفة فما هي؟

الجواب: الواو للحال وليست عاطفة.

(٢)-**سؤال:** ما الفرق بين الخَرْج والخراج؟

الجواب: الخراج يشعر بالكثرة بخلاف الخرج.

أراد الله سبحانه وتعالىٰ أن يبين لنبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن لا علة[١] لهم ولا سبب يمنعهم من الاستجابة لدعوته، وإنما منعهم الكبر والعناد والتمرد.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ۝٧٣ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ۝٧٤﴾ ثم أوحىٰ الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مطمئناً له بأنه قد أدَّىٰ ما أوجب الله سبحانه وتعالىٰ عليه من تبليغهم الحق والهدىٰ، وأنه لم يمنعهم من اتباعك إلا أنهم أرادوا أن يسلكوا طريقاً غير الطريق التي تدعوهم إليها والتي فيها هداهم ونجاتهم، وقد عرفوا الحق ولكنهم تنكبوه وعدلوا عنه تمرداً واستكباراً، وكل ذلك ليطمئن نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويُهَدِّئ من روعه وحزنه عندما لم يستجيبوا لدعوته، ولم تؤثر فيهم علىٰ الرغم من طول مدة دعائه لهم، وكذا ليهدئ من خوفه أن يكون قد حصل منه أي تقصير في تبليغ دعوته لهم، أو أن الله سبحانه وتعالىٰ لم ينزل عليه الآيات التي يحصل لهم اليقين منها في قلوبهم، أو أن الله سبحانه وتعالىٰ غير راضٍ عنه أو ما أشبه ذلك.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ۝٧٥﴾ عندما كذبت قريش النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ورفضت دعوته أخذهم الله سبحانه وتعالىٰ بالشدائد والمصائب والمحن؛ لعلهم ينتبهون من غفلتهم، ويستيقظون من رقدتهم، فأخبر سبحانه أنه لو رفع عنهم تلك الشدائد والمحن التي أصابتهم لتمادوا واستمروا في ضلالهم وكبرهم متعامين عن الحق والهدىٰ.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ۝٧٦﴾ ولكن بالرغم من كل ما ابتلاهم به من الشدائد والمحن والمصائب لم تؤثر فيهم، ولم

---

(١)- **سؤال:** قد يقال: إذا كان هذا الغرض فما الوجه في العطف عليها بقوله: ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾؟

الجواب: فائدة العطف بقوله: ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ بيان استغناء النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن طلب الأجر بما عند الله تعالىٰ من الأجر العظيم في الدنيا والآخرة.

يتواضعوا لله تعالى أو يتضرعوا إليه ليرفع عنهم ما هم فيه من البلاء استكباراً عليه وعلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ٧٧﴾ وقد أصروا على كفرهم وتكذيبهم وتمردهم وكبرهم إلى أن أنزل الله بهم بأسه وغضبه، وعندما نزل بهم ذلك اندهشوا وتحيروا، وتيقنوا عند ذلك أن بأس الله وعذابه قد نزل بهم جزاءً على ما فرط منهم، وندموا على ذلك ولكن حين لا ينفع الندم.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ٧٨﴾(١) يتمدح الله سبحانه وتعالى لعباده ليعرفهم أنه وحده الذي يستحق العبادة دون تلك الأصنام، فأخبر قريشاً أنه الذي خلقهم وجعل لهم الوسائل التي يستطيعون أن يعرفوه من خلالها ويؤدوا حق شكره بها، وهي: الأسماع التي تمكنهم من سماع آياته، والأبصار التي يرون من خلالها عجائب مخلوقاته، والعقول التي يميزون بها بين الحق والباطل، ولكنهم بالرغم من كل ذلك أصروا على كفرهم وتكذيبهم واستهزائهم.

﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٧٩﴾ هو وحده الذي خلقكم باثّاً لكم في الأرض وهو وحده الذي يتوفاكم ويستوفي أعماركم ثم يحشركم إليه يوم القيامة ليحاسبكم، فالمفروض أن تتوجهوا إليه بعبادتكم ما دام كذلك، لا إلى تلك الأصنام التي لا تملك لكم شيئاً.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ وهو وحده الذي بيده أيضاً حياتكم وموتكم، لا تلك الآلهة التي تعبدونها من دونه.

(١)-**سؤال:** ما الوجه في إفراد السمع وجمع الأبصار والأفئدة؟

الجواب: وُحِّد السمع لأمن اللبس، أو نظراً لأن أصله مصدر، أو على تقدير: حواس السمع، أفاد ذلك في الكشاف.

﴿وَلَهُ[١] اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ وهو وحده الذي يخالف بين الليل والنهار بقدرته، فأين عقولكم عن كل هذا أيها المشركون؟ فشأن كل عاقل إذا عرف ذلك أن يتوجه إلى الذي بيده كل ذلك، لا إلى الذي ليس في يده أي شيء من ذلك.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴿٨٠﴾﴾ أليس لكم عقول تعقل ما يتلى عليكم من حجج الله وبيناته؟

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴿٨٢﴾﴾ بعد أن عرفوا آيات الله سبحانه وتعالى وتيقنوها، وعرفوا الله تعالى، وأنه الذي بيده كل أمورهم أصروا على كفرهم وتكذيبهم، وأنكروا البعث بعد الموت زاعمين أنه لا يصح ولا يمكن أن يرجع الجسم إلى الحياة بعد أن قد صار ترابا، وأن ذلك من المستحيل.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ﴾ هذا من كلامهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤكدون له عدم صحة ما يدعيه عليهم من البعث بعد الموت فقالوا بأن آباءهم قد وعدوا من قبلهم بذلك، وأننا لم نر شيئا مما وعدوا به، وأنه لو كان حقاً لرأيناهم يبعثون.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴿٨٣﴾﴾ فليس ذلك إلا خرافات وحكايات من قصص الأولين التي كانوا يتداولونها فيما بينهم، ويقصونها للأجيال التي بعدهم.

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ[٢]﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا

---

(١)-**سؤال:** ما الذي تفيده اللام الجارة في «له»؟

الجواب: معنى اللام هنا أن الله تعالى مختص باختلاف الليل والنهار وتعاقب كل منهما بالآخر لا يقدر عليه سواه، ولا يملكه غيره.

(٢)-**سؤال:** ما الفائدة في الإتيان بهذا الشرط: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٨٤﴾﴾؟

الجواب: فائدته الاستهانة بهم وتقرير فرط جهلهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح.

﴿تَذَكَّرُونَ﴿٨٥﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يجادل المشركين من قريش ويسألهم بهذه الأسئلة، ولن يجدوا بُدّاً من الاعتراف له بحقيقة جوابها فهم يعلمون أن الأرض ومن فيها لله رب العالمين.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾(١) ولن يجدوا جواباً إلا أن يعترفوا بأن الله تعالى وحده الذي خلقها، وبيده تدبير أمرها وشأنها وأنه رب السماوات ورب العرش العظيم.

﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴿٨٧﴾﴾ فما دمتم معترفين له فلماذا تذهبون إلى عبادة غيره؟ أما كان من المفترض بكم أن تخافوه وتخافوا بأسه وعذابه.

﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ(٢) كُلِّ شَيْءٍ﴾ ثم أمره الله سبحانه وتعالى أن يسأل المشركين: من هو الذي في قبضته وتحت سيطرته كل شيء.

﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾(٣) وأن يسألهم من هو الذي في قدرته أن يؤمن من استجار به ولا يجير منه أحد؟

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ ولن يجدوا بُدّاً من أن يجيبوا أنه لا أحد بيده كل ذلك سوى الله سبحانه وتعالى.

---

(١)-**سؤال:** ما وجه الإتيان باللام هنا في قوله: ﴿لِلَّهِ﴾ مع أنه سألهم عن ربها؟

الجواب: السؤال هو عن رب السماوات والأرض و... أي: مالك السماوات والأرض فجاء الجواب: «لله» أي: ملكها لله، فكان الجواب على المعنى.

(٢)-**سؤال:** ما الفرق بين كلمتي «ملك» و«ملكوت»؟

الجواب: زيادة الحروف تدل على زيادة المعنى، هذه قاعدة وضابط من كشاف الزمخشري؛ لذلك فكلمة ملكوت تفيد تعظيماً زائداً على ما تفيده كلمة الملك.

(٣)- **سؤال:** ما العلة في تعدية «يجار» بـ«على»، وكان من حقها التعدية بـ«من» في الظاهر كما في تفسيركم أيدكم الله؟

الجواب: عديت يجار بـ«على» لتضمنها معنى النصر.

﴿قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴿٨٩﴾﴾ فما دمتم معترفين فكيف أسحركم حتى تتهموني بالسحر؟ وتقولون إن ما جئتكم به ليس إلا سحراً؟ فكيف يكون ذلك سحراً وأنتم معترفون بأنه حق؟! أليس ذلك مناقضة منكم؟ وذلك مما لا يقبله عاقل.

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾ ثم أخبر قريشاً بأنه لم يأتهم إلا بالدين الحق الواضح، وقد عرفوا ذلك، وعرفوا أنه حق، وأن ما جاء به هو الدين الحق.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴿٩٠﴾﴾ وهم يعرفون أيضاً أنهم كاذبون في دينهم، وأنهم ليسوا على الحق، وقد أكد ذلك بالقسم(١) وإن واللام مما يدل على زيادة تحقق ذلك.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ كما يقوله المشركون من أن الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾(٢) وليس له شريك كما يزعمون.

﴿إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ ولو كان كما يزعمون لاستقل كل إله بخلقه واستبد به، ولأخذ هذا شمسه، وهذا أخذ نجومه، ولأخذ الآخر بحاره، ولتعددت الممالك، وحصلت الفوضى والنزاع.

﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ولرأينا بعضهم ينتصر على بعض، فلا بد أن يكون هناك تنافس بين هذه الآلهة، ويكون هناك غالب ومغلوب(٣).

---

(١)-**سؤال:** لم يظهر لنا أين هذا القسم الذي أكد به، فمن فضلكم وضحوه لنا؟

الجواب: العبارة تدل على القسم، أو أنها في قوة القسم.

(٢)-**سؤال:** ما فائدة دخول «من» في هذا المقطع والذي قبله؟

الجواب: فائدتها تأكيد العموم وتأكيد استغراقه.

(٣)- **سؤال:** إذا قيل من جانب المنكرين للوحدانية: ألا يمكن أن يحصل الاتفاق وعدم التنازع بين هذين الإلهين، فبماذا يجاب عليهم؟

الجواب: العقل يجوز التنازع والاختلاف ولا يوجبه، إلا أنه قد تقرر في أذهان الناس نظراً لما عليه أهل الدنيا أنه لا يصلح لولاية سلطان البلاد اثنان لما يترتب على ذلك من حصول النزاع والخلاف حتماً، أي: أن حصول النزاع والخلاف وفساد الملك حتمي، وإن كان العقل يجوز إمكان عدم ذلك.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ۝٩١﴾ تعالى الله وتقدس عن كل ما ينسبونه إليه من مقولاتهم تلك الباطلة.

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾(١) ثم ذكر أنه وحده الذي يعلم الغيب وما خفي من الأمور المستقبلة، وعالم بما تعملونه الآن مما خفي وظهر، وما كان وما سيكون.

يخبرهم الله تعالى بأن الذي يحمل هذه الصفات هو الذي يستحق العبادة والربوبية، لا تلك الأصنام التي لا تحمل من صفات الإلهية شيئاً.

﴿فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ۝٩٢﴾(٢) تنزه وتقدس عن اتخاذ الشريك والولد.

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ۝٩٣ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ۝٩٤﴾(٣) ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يدعوه بهذا الدعاء، وهو أن ينجيه من عذابه إذا أنزله على المكذبين بدعوته.

﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ۝٩٥﴾ ثم أخبره الله سبحانه وتعالى أنه قادر على أن يريه ما وعدهم من العذاب، ولكن ذلك لن يأتيهم إلا في الوقت الذي قضت به الحكمة.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾؟

الجواب: يعرب نعتاً للفظ الجلالة في قوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾.

(٢)-**سؤال:** ما معنى «ما» التي دخلت عليها «عن» في قوله: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ۝٩٢﴾؟

الجواب: تعرب «ما» هذه إما موصولاً اسمياً وإما موصولاً حرفياً أي: مصدرية.

(٣)-**سؤال:** ما معنى: «إما»؟ وما عملها؟ وما فائدة تكرير النداء برب؟ وما السر في التعبير بقوله: ﴿فِي الْقَوْمِ﴾ بدلاً من أن يقول: مع القوم الظالمين؟

الجواب: «إما» هي إن الشرطية و«ما» المؤكدة أي:الزائدة للتوكيد، وعملها الجزم إلا أن الفعل المضارع الذي بعدها بني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد فهو مجزوم المحل. وفائدة تكرير رب في الدعاء هو زيادة التضرع وإظهار الضعف والمسكنة وذلك من أسباب إجابة الدعاء أو أنه أقرب إلى إجابة الدعاء. والسر في التعبير بقوله: «في القوم» هو أنه سأل الله تعالى إذا نزل العذاب على قومه أن لا يكون بينهم وفيهم ولو قال: «مع القوم» لكان سؤاله أن لا يكون من المحكوم عليهم بالعذاب.

أراد الله تعالىٰ من إخبار نبيه ﷺ بذلك أن يصبر علىٰ أذاهم وتكذيبهم، ويجتهد في مواصلة دعوته، وتبليغهم حتىٰ يحين ذلك الموعد.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ۝٩٦﴾ وأمره أن يصبر عليهم، وأن يتحمل ما يلحقه من أذاهم، ويقابل ذلك بأحسن رد، وذلك لأجل مصلحة الدعوة لعل ذلك يقربهم إليه؛ لأن علاقته بهم إذا تأزمت وساءت كان ذلك سبباً في النفرة منه، وعدم التقبل لكلامه، فلا يستطيع أن يسمعهم، أو أن يسمعوا منه؛ فإذا خَفَّت عداوتهم له كان ذلك أقرب إلىٰ الاستماع والقبول منه ﷺ.

وأما ما بدر منهم من أذىً أو مكروه فإن الله سبحانه وتعالىٰ سيجازيهم علىٰ ذلك، وسينتصف له منهم.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ۝٩٨﴾(١) وأمره أن يستعين بالله تعالىٰ في مدافعة غضبه إذا سمع منهم ما يغضبه ويثيره، وأن يدعوه أن يزيل عنه وساوس إبليس، وذلك أنه إذا رد عليهم رداً عنيفاً كان ذلك سبباً في نفرتهم وابتعادهم عنه، وإثارة العداوات والحروب، مما يعود بالضرر علىٰ الإسلام والمسلمين.

والهمزات هي الوساوس التي يغرسها إبليس في القلب فتثيره وتهيجه.

وزماننا هذا هو أقرب شيء إلىٰ ذلك الزمان لقلة أهل الإيمان وضعفهم؛ فينبغي أن نسير علىٰ هذا المنهج، وأن نحرص علىٰ كل ما يصرف عنا أعداء الإسلام المتربصين به من كل مكان.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ۝٩٩ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ لا يزال المشركون علىٰ التكذيب والكفر والأذية للنبي ﷺ والمؤمنين،

---

(١)-**سؤال:** ما محل المصدر المؤول من: ﴿أَنْ يَحْضُرُونِ۝٩٨﴾؟

الجواب: محله الجر بـ«من» مقدرة أو النصب بنزع الخافض.

ومحاولة إلحاق الضرر بهم بكل ما يملكون من الوسائل، وأخبر الله تعالى أنهم سيستمرون على ذلك حتى الموت فإذا حضر الموت سألوا الرجوع إلى الحياة الدنيا ليعملوا الأعمال الصالحة، فاصبروا على أذاهم وقابلوا السيئة بالحسنة واستعينوا بالله سبحانه وتعالى على الصبر، ففي النهاية سيندمون على ذلك أشد الندم، وسيتمنون أن يعودوا إلى الدنيا لينصروا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويستجيبوا له، ولكن ذلك حين لا ينفعهم الندم، والمراد بقوله: «فيما تركت»: من الإيمان والعمل الصالح.

﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾[(١)] سيسألون الرجعة إلى الدنيا ولكنهم لا يجابون.

﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ[(٢)] بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠﴾ وأخبر أن هناك محبساً لهم ما بين الحياة الدنيا، والحياة الأخرى، وهي حياة البرزخ، وهي الفاصل بين الدنيا والآخرة للمؤمنين والكافرين جميعاً.

وحياة البرزخ هذه هي روحية فقط، وأما الأجسام فلا تحس شيئاً، والروح هي التي تتنعم أو تتعذب، وذلك كما يرى النائم في المنام، فالكافر يرى الأهوال والمخاوف والأفزاع، ويرى منزلته في النار، ويرى الجنة ونعيمها ويعلم أنه لا مكان له فيها بسبب ما كان منه في الدنيا فيصيبه الحزن والندم الشديد، وكفى بهذا عذاباً، وأما المؤمن فهو على العكس من ذلك فهو في فرح شديد لما يرى من النعيم الذي أعد له، فالروح هي التي تتنعم بما يعرض عليها، وإنما نسب ذلك إلى القبر لأن آخر

---

(١)-**سؤال:** إلام يعود الضمير في «إنها»؟ وهل تمت الفائدة بقوله: ﴿كَلِمَةٌ﴾؟

الجواب: يعود الضمير إلى قوله: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ولم تتم الفائدة بكلمة وتتم بصفتها وهي قوله: ﴿هُوَ قَائِلُهَا﴾.

(٢)- **سؤال:** ما السر في تغيير الضمير من المفرد إلى الجمع في قوله: ﴿وَرَائِهِمْ﴾؟ وهل المراد بورائهم وراء حياتهم أم المراد أمامهم فكيف؟

الجواب: السر هو أن الخبر لجميع المشركين لا لأحدهم. والمراد بـ«ورائهم...» هو أمامهم، فوراء تستعمل للخلف والأمام.

عهدنا بالميت يكون في القبر، فلا عذاب أو نعيم في ذلك القبر، وإنما الروح هي التي تتعذب أو تتنعم، وما نراه في بعض القبور من آثار التعذيب(١) إنما جعله الله سبحانه وتعالى عبرة لنا حتى لا نعمل مثل عمله، وليكون دافعاً لنا إلى الخوف من الله سبحانه وتعالى، والسعي في طاعته ومرضاته.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ١٠١﴾(٢) وذلك حين مبعثهم من قبورهم إلى الحساب والجزاء، فعند ذلك لا قرابة أو رحامة بين الناس أو أيَّ صلةٍ تربط بينهم، وكل امرئ سيكون منشغلاً بنفسه فلن ينفعه أحد أو يسأل عنه، كما أنه كذلك لن ينفع أحداً أو ينظر إليه.

﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٠٢﴾(٣) ولم يبق للمرء إلا عمله، فمن عمل الأعمال الصالحة وكان ميزانه ثقيلاً بالحسنات فقد فاز وظفر برضوان الله تعالى وثوابه.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ١٠٣﴾(٤) وصاحب الأعمال السيئة والمعاصي الذي خف ميزانه من

---

(١)- قد سبق على هذا أسئلة وجوابات مفيدة على قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ...﴾ [الأنفال:٥٠].

(٢)- **سؤال:** يقال: كيف يجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزخرف]، وأمثالها؟

الجواب: يجمع بين هذا وبين ما ذكرتم بحمل العام على الخاص فيستثنى من عموم هذه الآية المتقون.

(٣)- **سؤال:** إذا تأولنا الوزن يوم القيامة بالعدل فكيف نتأول الموازين في هذه الآية وأمثالها؟ أم ترون أنه يصح أن تكون على ظاهرها؟

الجواب: الذي نراه أن ثقل الموازين هنا كناية عن كثرة الحسنات، وخفتها كناية عن قلة الحسنات أو عدمها.

(٤)- **سؤال:** ما محل قوله: ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ١٠٣﴾ من الإعراب؟ وما محل قوله: ﴿تَلْفَحُ
=

وثقل بالسيئات فهذا هو الذي قد خسر نفسه[١] في نار جهنم خالداً فيها مخلداً.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ۝١٠٤﴾ تضرب وجوههم بلهبها فتسود وتشتوي، ومعنى «كالحون» أي: تتقلص شفاههم وتتباعد عن أسنانهم.

﴿أَلَمْ[٢] تَكُنْ ءَايَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ۝١٠٥﴾ هذا رد من الله تعالى على المكذبين الذين ماتوا مصرين على الكفر والمعاصي عندما يسالونه الرجوع إلى الدنيا لتدارك ما فاتهم، فيجيبونه بـ: بلى قد كان كل ذلك، ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ۝١٠٦﴾ فقد غلب علينا الشقاء والتعاسة، وكنا غارقين في اللهو واللعب والضلال[٣].

وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ من الإعراب؟

الجواب: التقدير هم في جهنم خالدون والجملة في محل رفع خبر ثان، و«تلفح وجوههم النار» في محل رفع أيضاً خبر ثالث، أو جملة مستأنفة لبيان حالهم وهم في جهنم.

(١)-**سؤال:** ما الوجه في تسمية استحقاق العذاب بخسران النفس؟

الجواب: الوجه أنهم باستحقاقهم العذاب خسروا الانتفاع بأنفسهم وأبطلوا نفعها.

(٢)-**سؤال:** ما فائدة الاستفهام هنا؟

الجواب: الاستفهام لتقرير ما بعد النفي.

(٣)- **سؤال:** إذا استدل أهل الجبر بهذا على أن الشقاوة التي غلبتهم هو ما قدر لهم في بطون أمهاتهم فكيف الجواب عليهم؟

الجواب: الشقاوة والشقوة ضد السعادة فأهل الشقاوة في جهنم وأهل السعادة في الجنة فدخول أهل الشقاوة جهنم هو بسبب أعمال سيئة ارتكبوها في الدنيا، ودخول أهل الجنة الجنة هو بسبب أعمال صالحة قدموها في الدنيا، وليس لما يقال من أن الملائكة تكتب بأمر الله –والجنين في بطن أمه «شقي أو سعيد» فأيُّ أثر في أعمال الجنين عند تكليفه؛ لأن علم الله غير مؤثر بل علم الله تعالى محيط بكل شيء من الحوادث الماضية والحالية والمستقبلة كما هي والعلم غير مؤثر، والتأثير هو لقدرة الله تعالى، وقد استدل بعض علماء المعتزلة بهذه الآية على بطلان الجبر من حيث أن لو صح مذهب الجبر لتعللوا به وقالوا: أنت يا رب أجبرتنا على الكفر وأدخلتنا فيه وحتمته علينا فما ذنبنا.

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ۝١٠٧﴾ فيدعون الله سبحانه وتعالىٰ – بعد أن يعترفوا له بأنهم قد استحقوا ما هم فيه من العذاب– أن يعيدهم إلىٰ الدنيا ليعملوا الأعمال الصالحة، ويعاهدونه علىٰ عدم العودة إلىٰ أعمال الكفر والتكذيب.

﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ۝١٠٨﴾ فيجيب الله سبحانه وتعالىٰ عليهم: أنه لا رجوع لهم، ولا عودة إلىٰ الدنيا، ولن ينفعهم الصياح والعويل والندم، بعد أن أعذر إليهم وأنذرهم في الدنيا، وأرسل إليهم رسله وآياته، ودلهم علىٰ طريق الحق والهدىٰ، فتكبروا عليه وعلىٰ أنبيائه، ورفضوا قبول آياته وبيناته، وجعلوها تحت أرجلهم؛ استكباراً واستخفافاً به وبرسله وآياته، ومعنىٰ «اخسئوا»: اسكتوا سكوت هوان في النار.

﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ۝١٠٩﴾ ثم قال لهم الله: إنه كان في الدنيا فريق من المؤمنين يتضرعون إلىٰ الله ويتذللون له غاية التذلل ويتوسلون أن يقبلهم بسبب إيمانهم به، واستجابتهم لدعوة أنبيائه ورسله، وإيمانهم بكتبه وباليوم الآخر، ويرجونه أن يقبل منهم ما توسلوا به إليه، ويدخلهم في رحمته، ويغفر لهم ما سلف من ذنوبهم، ويمحوها من صحائف سيئاتهم.

والرحمة هنا عامة لرحمة الدنيا من الخير والصحة والعافية والأمن والأمان والبركة في الأموال والأولاد، ورحمة الآخرة بالثواب والفوز بالجنة والنجاة من النار.

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ[(١)] سِخْرِيًّا[(٢)]﴾ ثم خاطب المشركين بأنهم جعلوا أولئك

---

(١)-**سؤال:** فضلاً علام عطف هذا الفعل؟

الجواب: الجملة معطوفة علىٰ جملة: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ...﴾ الآية.

(٢)-**سؤال:** هل هناك فرق بين قوله: ﴿سِخْرِيًّا﴾ بالكسر كما هنا، وبينها بضم السين كما في بعض القراءات؟

الجواب: المكسور بمعنىٰ الهزء، والمضموم بمعنىٰ الانقياد والعبودية، هذا عند الكوفيين، وعند غيرهم هما بمعنىٰ واحد وهو الهزؤ.

المؤمنين محل سخريتهم واستهزائهم[١].

﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ حتى شغلكم استهزاؤكم وسخريتكم بهم عن الإيمان بالله والتعظيم له وتذكر جلاله وكبريائه وسلطانه.

﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴿١١٠﴾﴾ وكنتم تضحكون منهم ضحك استهزاء وسخرية من دعائهم لربهم وتوسلهم إليه بإيمانهم وأعمالهم الصالحة.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴿١١١﴾﴾[٢] وأخبرهم أنه قد جعل جزاء صبرهم على سخريتكم واستهزائكم بهم ومحاولتكم لزحزحتهم عن إيمانهم بالقتل والتعذيب والطرد الفوز بالنعيم الدائم في الجنة.

﴿قَالَ[٣] كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴿١١٢﴾[٤] قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ

---

(١)-**سؤال:** هل يصح الاستدلال بهذه الآية والتي قبلها على استحقاق المستهزئين بالدعاة إلى الله والمرشدين للعذاب والإهانة فتكون تهديداً لمن أعرض عن إرشاد المرشدين وسخر منهم؟ وما وجه ذلك؟

الجواب: نعم يصح الاستدلال بهذه الآية لما ذكرتم؛ لأن الدعاة إلى الله والمرشدين يدعون الناس ويرشدونهم إلى ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو الناس إليه ويرشدهم إليه، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو الناس إلى العمل بدين الله الواحد القهار ويرشدهم إلى العمل بما أنزل الله من الأحكام والشرائع، والدعاة والمرشدون اليوم يدعون الناس ويرشدونهم إلى العمل بدين الله والعمل بما أنزل الله تعالى فمن سخر منهم واستهزأ بهم وأعرض عما يدعونه إليه، فقد استحق مثل ما استحقه المستهزئون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العذاب والخزي فبعداً وسحقاً.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم ما محل: ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴿١١١﴾﴾ الإعرابي؟

الجواب: محل ذلك النصب مفعول به ثان لـ«جزيتهم».

(٣)-**سؤال:** ما سر الإتيان بصريح القول هنا مع أن الظاهر الأنسب هو الإضمار؟

الجواب: جاء بصريح القول هنا «قال كم...» لأنه انتقل من موضوع إلى موضوع آخر. **وبعد،** فيحسن التكرير إذا طال الكلام الأول.

(٤)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ وكذا ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴿١١٢﴾﴾؟

الجواب: «كم» في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلقة بـ«لبثتم»، و«لبثتم» فعل وفاعل. «عدد» تمييز، و«سنين» مضاف إليه.

فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴿١١٣﴾ أخبرهم الله تعالى بأنه سوف يسأل المشركين والمكذبين يوم القيامة عن مدة لبثهم في الدنيا فيجيبونه بيوم أو بعضه، استقصاراً لمدة لبثهم في الدنيا بسبب ما يرونه من طول ذلك اليوم الذي يحاسبهم الله سبحانه وتعالى فيه حتى إن أعمارهم وسنينهم الطويلة التي أمضوها في الدنيا قد أصبحت كلا شيء بالنسبة لذلك اليوم.

﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴿١١٤﴾﴾[1] فيجيبهم الله تعالى بأن ذلك صحيح أن أيامهم في الدنيا ليست إلا مدة قصيرة لو أنهم اغتنموا تلك المدة القصيرة وسخروها في طاعته ونيل رضاه وفعل ما ينقذهم من عذابه.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا[2] وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴿١١٥﴾﴾ إن الله تعالى حكيم عليم غني حميد، وأفعاله كلها مبنية على الحكمة، فلا يفعل العبث والباطل لذلك استنكر الله تعالى على المشركين حين أنكروا البعث والجزاء، وذلك أنه لو لم يكن بعث وجزاء لكان خلق الناس وخلق السماوات والأرض عبثاً باطلاً لا فائدة فيه ولا مصلحة، وخالياً عن الحكمة والله تعالى منزه عن فعل الباطل والعبث؛ لأنه حكيم عليم غني حميد.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴿١١٤﴾﴾؟

الجواب: «لو» حرف امتناع لامتناع أي: لو ثبت أنكم كنتم تعلمون، وكأنها توحي بتنديمهم على ما فرطوا فيه في الدنيا القصيرة، والمصدر المؤول من «أنكم كنتم تعلمون» في محل رفع فاعل الفعل المقدر بعد «لو».

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾؟ وعلام عطف المصدر المؤول من أن واسمها وخبرها في قوله: «أنكم إلينا لا ترجعون»؟

الجواب: «أنما» كافة ومكفوفة وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي حسبتم، و«عبثاً» مفعول من أجله أو مفعول مطلق، ناصبه خلقناكم أو يقدر فعل من نوعه وتكون الجملة حالية، ويجوز عطف ﴿أَنَّكُمْ إِلَيْنَا...﴾ على: ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أو على: ﴿عَبَثًا﴾.

إذاً فلا بد أن يكون هناك حياة أخرى مترتبة على هذه الحياة الدنيا يجازى فيها المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته؛ لأن ذلك هو ما تدعو إليه الحكمة والمصلحة، فلذلك استنكر الله سبحانه وتعالى على المشركين عندما أنكروا الحياة والبعث بعد الموت أشد الاستنكار؛ لأنهم نسبوا إليه ما لا يليق به من الظلم والعبث.

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ فقد تنزَّه عن العبث وعن فعل القبيح وعما ينسبون إليه.

وقد حكي أن أحد أولاد عبد المطلب أو هاشم وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم - كان يقول: لن يموت المظلوم حتى يرى ما ينصفه ممن ظلمه، فقالوا له: إن فلاناً قد مات قبل أن ينتصف له ممن ظلمه، فنظر هذا الرجل إلى الأرض ملياً، وأخذ ينكت بيده فيها مفكراً، ثم صاح: بأنه لا بد أن يكون هناك دار غير هذه الدار يحصل فيها التناصف؛ فعرف بعقله أن هناك داراً غير هذه الدار، مما يدل على أن معرفة ذلك من الأمور العقلية.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴿١١٦﴾﴾(1) فلا إله غيره، فهو وحده مالك السماوات والأرض. و«الكريم» معناه كثير النفع لخلقه، فقوله: ﴿الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴿١١٦﴾﴾: الملك الذي فيه المنافع الكثيرة لكم.

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ من يعبد إلهاً غير الله سبحانه وتعالى عن غير دليل ولا حجة، ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ فهو الذي سيحاسبه وسيجازيه، وفي هذا تهديد للمشركين الذين يعبدون غيره بأنه الذي سيتولى أمر حسابهم وتعذيبهم، مما يدل على شدة ذلك وبلوغه الغاية القصوى في الشدة والفظاعة.

---

(1)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ﴾؟

الجواب: يعرب صفة ثالثة للفظ الجلالة.

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴿١١٧﴾﴾ فهم خاسرون، ولا حظ لهم ولا نصيب في رحمة الله سبحانه وتعالى وثوابه.

﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴿١١٨﴾﴾[١] ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يدعوه بهذا الدعاء، ونحن نتأسى به في جميع أفعاله، وفي ذلك دليل على فضل هذا الدعاء عند الله سبحانه وتعالى، وكثرة ثوابه في الدنيا والآخرة.



(١)-**سؤال:** ما مناسبة كون هذا الدعاء خاتماً لهذه السورة المباركة؟

الجواب: المناسبة للختم بالدعاء هو الإيذان بانتهاء السورة.

سورة النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ[١] أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ۝١﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأن هذه السورة التي سيتلوها عليهم نبيه ﷺ قد فرض عليهم فيها بعض أحكامه وشرائعه التي سيبينها لهم من أحكام الزنا والقذف، وأحكام الاستئذان، وغير ذلك، وأخبر أنه أنزل عليهم هذه الآيات ليعملوا بأحكامها، وما جاء فيها.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا[٢] كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ومما فرضه الله تعالى وأوجبه في هذه السورة عليكم هو أن من ارتكب فاحشة الزنا فاجلدوه مائة جلدة.

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿سُورَةٌ﴾؟ وهل هناك نكتة لتخصيصها بقوله: «سورة» دون سائر السور مع أن كلاً منها سورة؟ وكذا لذكر الإنزال والفرض؟

الجواب: «سورة» خبر لمبتدأ محذوف أي: هذه سورة. وفي الافتتاح بـ«سورة» تنبيه على عظم هذه السورة، فالتنكير للتعظيم أي: هذه سورة عظيمة فأصْغُوا إلى ما يتلى عليكم فيها، وافتحوا لها آذان قلوبكم، وعُوْا ما فيها. وفي إطلاق لفظ السورة عليها بيان أهميتها والمبالغة في تعظيمها. وفي قوله في وصف السورة: ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ زيادة تعظيم للسورة بكون الله تعالى أنزلها، واستعمال نون العظمة أدخل في التعظيم، وهكذا قوله: ﴿وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ۝١﴾ فكل هذه الصفات تزيد من عظمة السورة وفخامة شأنها وزيادة أهميتها.

(٢)-**سؤال:** هل قوله: ﴿فَاجْلِدُوا﴾ خبر «الزاني»؟ فكيف وهو إنشاء مع دخول الفاء عليه؟

الجواب: في إعراب قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا﴾ وجهان:

١- قول سيبويه أن الزانية والزاني مبتدأ محذوف الخبر أي: فيما يتلى حكم الزانية والزاني.

٢- قول الأخفش وغيره إن الزانية والزاني مبتدأ وقوله: «فاجلدوا» خبر المبتدأ ودخلت الفاء في الخبر لشبه المبتدأ بالشرط، فإلى أي القولين ذهبت فلك أسوة، وقد سبق الكلام على وقوع الإنشاء خبراً.

وقد عبر بقوله فاجلدوا: اشتقاقاً من جِلْدِ الأنسان الذي أمرَ بضربه، وفيه أيضاً إشارةٌ إلى أنه لا يتجاوزه إلى كسر عظم، أو إحداث جروح أو نحوها.

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ وأقيموا عليهم هذا الحد، ولا يمنعكم عنه أي مانع من رحمة أو شفقة أو قرابة، أو نحو ذلك.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فامتثلوا(١) لما أمركم الله سبحانه وتعالى به، فمن أخل بشيء من ذلك فقد أخل بحقيقة الإيمان.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ۝﴾(٢) ولتكن إقامة الحدود بمرأى من الناس، وفي محضرهم حتى يشاهدوها، فلا يصح إقامة ذلك سراً، وذلك لأن الحكمة في الحدود هي الزجر والردع والاعتبار، فإذا رأى الناس ذلك وما يلحق المحدود من الخزي والهوان ارتدعوا وحذروا أن يقعوا في مثل ذلك.

ومن شرط ذلك أن يكون هناك إمام حق يقيم الحدود وليس إلى الرعية.

﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً(٣) وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ

---

(١)- **سؤال:** لعل كلامكم حفظكم الله يوحي بأن جواب الشرط محذوف فهل هو كذلك؟ أم لا فأين جواب الشراط؟

الجواب: نعم، جواب الشرط محذوف؛ لتقدم ما يدل عليه وهو قوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ...﴾.

(٢)- **سؤال:** هل حددت الطائفة بعدد معين؟ ومن أين أخذ إن كان؟

الجواب: قد اختلفوا في تحديد العدد، وأقل الطائفة اللازم حضورها في إقامة الحد الشهود الأربعة والجلاد والإمام أو الحاكم. وهو مأخوذ من أفعال الأئمة.

(٣)- **سؤال:** قد يفهم بعض الناس من الآية أنه يجوز للزاني أن ينكح مشركة من المشركات؛ فهل هو كذلك أم لا مع التوضيح؟

الجواب: هذه الآية: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً...﴾ خبر عن حال الزناة، والمعنى: أن الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة، ولا يطاوع الزاني إلا زانية أو مشركة؛ لأن الزاني والمشرك والزانية
=

﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ۝٣﴾[1] فلا يجوز للمؤمن أن يتزوج بزانية، وكذلك العكس.

وفريضة الرجم قد ثبتت بالسنة، فقد رجم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الزاني المحصن، وقد جلد أمير المؤمنين عليه السلام امرأة محصنة، ثم رجمها في اليوم الثاني، فقال: (جلدتها بكتاب الله تعالى، ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، وأيضاً قد أجمع المسلمون جميعاً على أن الزاني المحصن يرجم[2].

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ من رمى امرأة عفيفة واتهمها بفاحشة الزنا ولم يأت بالشهود على ذلك

والمشركة لا يتنزهون عن الزنا ولا يتذممون من فعله ولا يترفعون عن قذارته، أما المؤمن والمؤمنة فإنهم يتنزهون عنه ويترفعون عن قذارته ويستقبحون فعله، ويعظمون أمر الله ونهيه، ويخافون سوء الحساب. وعلى هذا التفسير الذي فسرنا فلا يؤخذ من الآية جواز أن يتزوج الزاني المشركة.

(١)- **سؤال:** هل يستفاد من هذه الآية أن الزاني يخرج من حقيقة الإيمان ومن جماعة المؤمنين؟ وكيف؟

الجواب: يستفاد من الآية أن الزاني غير مؤمن، وذلك من حيث إن الله تعالى جعل المؤمنين قسماً، وجعل الزناة والمشركين قسماً، وميز بينهم في التقسيم، فوجب لذلك أن يكون الزناة والمشركون غير مؤمنين، وإلا لكانوا قسماً واحداً، ويؤيد ما ذكرنا ما ورد في الحديث: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن و...)).

(٢)-**سؤال:** بناءً على هذا فما حكم من أنكر الرجم من المسلمين؟

الجواب: لا يكفر منكر الرجم من عوام المسلمين اليوم:

- لأنه ليس منصوصاً عليه في القرآن.
- ولأنه مع ذلك لم يكثر تكرره بين المسلمين كالأذان والصلاة ومقادير الزكاة.

وإنما العلماء هم الذين يختصون بمعرفة تواتره، ومع معرفتهم لذلك فإنهم لا يكثرون من ذكره وترسيخ حكمه في أذهان الناس، فلما ذكرنا يعذر العوام وأشباه العوام حتى يعلموا ثبوته.

فالواجب على ولي أمر المسلمين أن يجلده ثمانين جلدة، وهذا يسمى حد القذف، وهذا إذا رافعته إلى حاكم المسلمين.

﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ ولا تقبل شهادة القاذف المحدود.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وهم عند الله تعالى من الفاسقين الخارجين عن حدود شريعته.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا(١) فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يخبر الله تعالى أن باب التوبة مفتوح لكل هؤلاء، وقد قالوا: إن التائب يُخْتَبَر بعد توبته سنة، ثم يصير له حكم المؤمنين في تصديق خبره(٢).

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بالإصلاح هنا؟ ومن أين أخذ تعريفه أو مفهومه فلا زال يضطرب الفكر فيه كثيراً؟

الجواب: المراد بالإصلاح هنا هو إصلاح ما أفسده القاذف، فإنه بقذفه قد لطخ عرض المقذوفة أو المقذوف، وأفسد عليهما أمرهما أعظم الفساد، حيث إنه بقذفه قد أهدر كرامة المقذوف وبخسه حقه، ولوثه بداء ينفر عنه بسببه الناس، ويصير بينهم معزولاً مذموماً مدحوراً؛ فلا بد مع توبة التائب أن يصلح ما أفسده، فيعلن في المجتمع الذي ظهر بينهم القذف للمحصنة أنه قذفها كاذباً مفترياً عليها، ويؤكد ذلك للناس حتى ينمحي ذلك البهتان الذي سمعوه، ويكرر على الناس حتى تعود كرامة المقذوف كما كانت، فهذا هو الإصلاح الذي ينبغي أن يكون هو المراد، والإصلاح هذا هو من تمام التوبة، ولا تتم التوبة إلا به، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

(٢)-**سؤال:** يقال: أليس هذا يخالف كلام أهل المذهب في عدم قبول شهادته أبداً؟ وما دليل أهل المذهب على قولهم مع مخالفته لقاعدتهم الأصولية في رجوع الاستثناء إلى جميع الأحكام المتقدمة؟

الجواب: نعم المذهب عدم قبول شهادة القاذف أبداً، إلا أن ظاهر هذه الآية يفيد أن القاذف إذا تاب وأصلح ما أفسد، بأن يعلن أنه كاذب في قذفه، وأن المقذوف بريء مما افتراه عليه، ويكثر البيان ويكرره حتى يمحو ما حصل من الفساد في عرض المقذوف، وحتى يتبين للناس أنه كاذب في قذفه، وحتى تتبين لهم طهارة المقذوف؛ فإن ظاهر الآية -«الاستثناء»- يدل على تخصيص

=

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾(١) يخبر الله سبحانه وتعالى عن حكم من رمى زوجته بفاحشة الزنا، ولم يأت بالشهود على ذلك، فقال: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ۝٦﴾(٢) أراد الله سبحانه وتعالى أن ولي أمر المسلمين يحضر المرأة والرجل على الملأ من الناس فيبدأ أولاً بالرجل فيحلِّفُه على المنبر أربع مرات يقول فيها: «أشهد بالله الذي لا إله إلا هو أني صادق فيما رميت به هذه المرأة من الزنا»، يقول ذلك أربع مرات.

﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ(٣) إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ۝٧﴾ فيقول بعد تلك الأيمان الأربع: «لعنة الله عليَّ إن كنتُ كذبت فيما رميتها به».

القاذف التائب من عموم الآية: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾. ومخالفة أصحابنا لقاعدتهم الأصولية قد كان لقيام الدليل المانع من رجوع الاستثناء إلى الجميع، فالجلد حق لآدمي وإن كان مشوباً بحق الله، ولما علم من أن الحدود كلها لا تسقط إذا رفعت إلى الإمام أو الحاكم وقامت على إثباتها الشهادة العادلة أو الإقرار المعتبر سواء تاب المشهود عليه أم لم يتب.

(١)-**سؤال:** فضلاً ما وجه الرفع في: ﴿أَنْفُسُهُمْ﴾؟

الجواب: الرفع على البدلية من «شهداء».

(٢)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾؟ وما الوجه في كسر همزة: ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ۝٦﴾؟

الجواب: «فشهادة» مبتدأ، و«أحدهم» مضاف إليه، والوجه في كسر همزة «إن» كونها واقعة في جواب القسم: ﴿أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾.

(٣)-**سؤال:** علام عطف قوله: ﴿وَالْخَامِسَةُ﴾؟ أم أنه غير معطوف فما هو؟ وما محل: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ...﴾ إلخ الإعرابي؟

الجواب: «والخامسة» الواو اعتراضية، والخامسة: مبتدأ، و«أن» وما دخلت عليه في تأويل مصدر مرفوع خبر المبتدأ ويجوز أن تكون الواو للعطف والخامسة معطوف على ما قبلها، و«أن لعنة الله..» في تأويل مصدر بدل من الخامسة.

﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ[١] شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ۝٨﴾
ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن لهذه المرأة أن تدرأ عن نفسها الحد، فتقول بعد أن يحلف عليها الرجل: «أشهد بالله الذي لا إله إلا هو أنه من الكاذبين فيما رماني به من الزنا»، تقول ذلك أربع مرات.

﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا[٢] إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ۝٩﴾ ثم بعد أن تحلف أربع مرات تقول في الخامسة: «لعنة الله عليَّ إن كان صادقاً فيما يدعيه علي من الفاحشة».

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ۝١٠﴾[٣] أخبر الله تعالى أن هذه الأيمان التي فرضها في هذه الحالة رحمة منه وشفقة بعباده وتخفيف منه عليهم.

هذا، وأما إذا لم تدرأ المرأة التهمة بالأيمان[٤]، فيجب عليها الحد، وبعد اللعان يفرق بينهما فلا يجتمعان بعد ذلك أبداً.

---

(١)-**سؤال:** ما محل المصدر المؤول ﴿أَنْ تَشْهَدَ﴾؟ وما إعراب: ﴿أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ﴾؟

الجواب: محل المصدر: «أن تشهد» الرفع فاعل «يدرأ» و«أربع شهادات» أربع مفعول به لتشهد أو مفعول مطلق.

(٢)-**سؤال:** ما محل: ﴿أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾؟

الجواب: محله النصب بدل من «الخامسة».

(٣)-**سؤال:** أين خبر المبتدأ: ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾؟ وعلام عطف مصدر: ﴿أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ۝١٠﴾؟

الجواب: الخبر محذوف وجوباً، وعطف المصدر على: ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾.

(٤)-**سؤال:** يقال: كيف يقام عليها الحد بمجرد نكولها عن الأيمان، مع تشديد الشارع في الأمور الموجبة للحدود؟

الجواب: هذا حكم خاص في قذف الزوج لزوجته، ويؤخذ منه أن النكول عن اليمين اعتراف يثبت به الحق عند الناكل.

وهذا الحكم إذا رفع أمرهما إلى الأمام أو من يلي من جهته كالحاكم، وأما قبل ذلك فإن الواجب الستر عليهما ولا يلزمهما إلا التوبة فقط.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴿١١﴾﴾ كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في سفر، وكانت معه زوجته عائشة، وقد جعل لها هودجاً يحملها، وعندما هموا بالمسير بعد أن كانوا قد ارتاحوا في بعض الطريق انكشف بعد ذلك أن عائشة لم تكن راكبة بداخل ذلك الهودج، وذلك أنها كانت قد ذهبت لبعض حاجاتها فلم تعد إلا وقد مشت القافلة فاضطرها ذلك إلى أن تركب مع رجل[(١)] من أهل المدينة لتلحق بهم، فرأى بعض المنافقين ذلك الرجل وهي راكبة بعيره فاستغلوا هذه الفرصة ليلطخوا عرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويُنَفِّرُوا الناس عنه، فنشروا الشائعات بين الناس بأن عائشة قد ارتكبت فاحشة الزنا مع ذلك الرجل فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية، مبرئاً ساحة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن هذه الحادثة التي نزل في شأنها القرآن لا تخلو من الفائدة للناس، ولو كانت قد أوجعت نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وآلمته، وذلك ليعرف المنافق من المؤمن، ومعنى «الإفك»: الكذب أو أبلغ ما يكون من الكذب.

وأما الذي تولى حَبْكَ هذه المؤامرة فقد أعد الله سبحانه وتعالى له العذاب العظيم وهو عبد الله بن أبي رأس المنافقين، وهو الذي تولى كبره ومعظمه، وأما الذين تولوا نشر هذا الخبر فهم: حسان بن ثابت، ومِسْطَح بن أثاثة غلام أبي بكر، وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيدالله، وقد جلد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هؤلاء الثلاثة حد القذف.

ومن فوائد هذه الحادثة أيضاً: أن يعرف الناس عِظَمَ هذه الفرية عنده، وعاقبة من فعل مثل ذلك فيرتدعوا عن فعلها، وليعرفوا حرمة أعراض الناس وأنها ليست

---

(١)- هو: صفوان بن المعطل السلمي.

بالسهلة فلا يقعوا فيها، وليبرئ الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويطهره عن مثل هذه الأقذار التي لطخوا بها عرضه.

﴿لَوْلَا[1] إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ[2] خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ۝١٢﴾[3] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه كان من المفترض بكم أيها المؤمنون عندما تسمعون مثل هذا الكلام أن تحسنوا الظن بزوجة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأن لا تصدقوا في عرض نبيكم أيَّ كلام، أو تظنوا بأهله أيَّ سوء أو فاحشة، وأن تردعوا كل من يفتري مثل هذه الافتراءات بما أمكن.

﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ ولو فرض وأن ما يفترونه كان حقيقة فلماذا لا يأتون على ذلك بأربعة شهداء.

﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ[4] عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ۝١٣﴾ فإن لم يأتوا

---

(١)- **سؤال:** ما معنى «لولا» و«إذ» في هذه الآية؟

الجواب: معنى «لولا» التنديم على ما فعلوا، و«إذ» ظرف لما مضى من الزمان.

(٢)- **سؤال:** هل المراد بـ«أنفسهم» بعضهم البعض كما في قوله تعالى: ﴿**فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾ [النور:٦١]؟

الجواب: نعم المراد بأنفسهم بعضهم البعض ليشعر المؤمنين بأنهم كنفس واحدة.

(٣)- **سؤال:** يا حبذا لو تكلمتم عن فقهيات هذه الآية وما يستنبط منها من مسائل يلزم العمل بها؟

الجواب: قد يؤخذ منها:

١- أن الأصل في المؤمن المستور العدالة.

٢- وجوب الظن الحسن بالمؤمن.

٣- تحريم نقل الشائعات المتعلقة بهتك عرض المؤمن.

٤- وتكذيب الشائعات تلك ووجوب الدفع عن أعراض المؤمنين فوراً عند سماعها.

٥- أن الشائعات لا تخل بعدالة المؤمن.

(٤)- **سؤال:** فضلاً لِمَ أُطلِقَ على جمع الشاهد «شهداء»؟ وما معنى «إذ» في الآية، وما فائدة الفاء في قوله: «فأولئك»؟

الجواب: الشهداء جمع شهيد وليس جمعاً لشاهد، و«إذ» ظرف لما مضى من الزمان متعلق =

بالشهود على ذلك فاعلموا أنهم كاذبون فيما ينسبونه من التهم والافتراءات.

وفي هذا دلالة على أن الله سبحانه وتعالى يسميهم كاذبين ولو رأوا ذلك بأعينهم ما داموا لم يأتوا بالشهود؛ فإذا لم يأتوا بالشهود فإن الإمام أو من يلي من جهته يقيم عليهم الحد.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ(١) اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴿١٤﴾﴾ ثم أخبر الله تعالى أنه لولا رحمته بهم لأخذهم على ذلك بالعذاب العظيم؛ لأن ما فعلوه جريمة عظيمة وكبيرة من الكبائر، ومعنى «أفضتم» خضتم فيه.

فانظر إلى مدى رحمة الله تعالى بعباده إذ تعرضوا لعرض أفضل خلقه، ولطخوا أزكى البشر وأحبهم لديه، ثم لا ينكل بهم أشد التنكيل.

﴿إِذْ(٢) تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ(٣) وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ فما إن سمعتم هذا الخبر حتى بدأتم في نشره وإذاعته غير مبالين بمن تتكلمون عنه، ومع ذلك تتكلمون بكلام لا علم لكم بصدقه وحقيقته.

﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴿١٥﴾﴾ وتتهاونون بإذاعة هذا الخبر ونشره

بـ﴿الْكَاذِبُونَ﴾، والفاء رابطة على المعنى «التوهم».

(١)-**سؤال:** أين خبر هذا المبتدأ؟

الجواب: خبره محذوف وجوباً.

(٢)-**سؤال:** إذا كانت «إذ» ظرفية فما هو العامل فيها؟

الجواب: «إذ» ظرفية متعلقة بقوله: «لمسكم».

(٣)-**سؤال:** كيف جعل التلقي بالألسن، وهو إنما يكون بالآذان؟ أم أنه على غير ظاهره؟

الجواب: نعم، يتلقى القول بالآذان، إلا أن الله تعالى وصفهم أنهم تلقوا الإفك بألسنتهم ليفيد أنهم لم يفكروا في صحته، ولم ينظروا في احتمال كذبه ومصدره، و...، بل أخذوه من ألسنة الناس إلى ألسنتهم؛ فتحدثوا به مباشرة.

متساهلين لعواقبه وما يؤدي إليه، مع أنه جريمة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى وعواقبه وخيمة عنده.

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴿١٦﴾﴾ وكان من المفترض بكم عندما تسمعوا مثل هذا الكلام أن تقولوا: لا ينبغي لأحد أن يتكلم بمثل هذا الخبر، وأن تتعجبوا[١] وتستنكروا على من أذاع مثل هذا الخبر الذي هو زور وبهتان، فلا ينبغي أن يصدر مثل هذا الخبر ممن يتسمى باسم الإيمان.

﴿يَعِظُكُمَ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا[٢] لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴿١٧﴾﴾[٣] أراد الله تعالى النهي[٤] لمن يدعي أنه مؤمن عن فعل مثل هذه الفعلة المستنكرة.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ظاهر كلامكم أن ﴿سُبْحَانَكَ﴾ ليس المراد به التنزيه لله سبحانه بل التعجب، فهل هو كذلك؟

الجواب: نعم، الأمر كما ذكرتم، فالمراد بالتسبيح هنا التعجب.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما محل: ﴿أَنْ تَعُودُوا﴾ الإعرابي؟

الجواب: محله الجر أي: ينهاكم الله عن أن تعودوا، على تضمين «يعظكم» معنى: «ينهاكم».

(٣)- **سؤال:** لعلكم ترون أن لا جواب لحرف الشرط «إن» في قوله: ﴿أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴿١٧﴾﴾ فما فائدة هذا الشرط؟ وهل فيه ضابط مطرد، فقد استخدم في القرآن كثيراً؟

الجواب: المراد بهذا الشرط هو بعث المخاطبين على الامتثال وسرعة المبادرة والطاعة، وجواب الشرط مقدر دل عليه ما قبله.

(٤)-**سؤال:** ما حكمة مجيء هذا النهي بصيغة الخبر؟

الجواب: الحكمة في مجيء هذه الصيغة: ﴿يَعِظُكُمَ اللَّهُ...﴾ هي:

١- تربية مهابة الآمر في نفس المأمور؛ لحمله على الامتثال والمبادرة إلى الطاعة، كما في مثال أهل علم المعاني: أمير المؤمنين يأمرك بكذا.

٢- في «يعظكم» إيجاز من حيث إنه لفظ واحد يحمل معنيين: معنى يعظكم، ومعنى ينهاكم.

وفي هذه الآية رائحة التهديد بأن من فعل ذلك فقد خرج عن حقيقة الإيمان فلا يسمى مؤمناً.

﴿وَيُبَيِّنُ[١] اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ۝١٨﴾ يبين الله سبحانه وتعالى لعباده هذه الأحكام في هذه الرذائل لما قد علم من المصلحة العائدة عليهم في اجتنابها، ولما تؤدي إليه من المفاسد بين الناس في الدنيا وترديهم في الآخرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ۝١٩﴾[٢] يهدد الله سبحانه وتعالى أولئك الذين يلطخون أعراض المؤمنين بما ينشرونه عنهم من الأخبار التي فيها تنقيص لهم وحط من قدرهم.

---

(١)-**سؤال:** هل الواو عاطفة؟ فعلام عطف هذا الفعل؟

الجواب: الواو اعتراضية والجملة معترضة.

(٢)- **سؤال:** هل مجرد محبة ظهور الفواحش أو إشاعتها في ناس من المؤمنين يستحق صاحبها العذاب الأليم في الدنيا؟ وهل تصدق الآية على من نشر أخباراً عن المؤمنين ردية ولو لم تكن في هذا الباب؟

الجواب: الذي يظهر لي –والله أعلم– بأن المقصود بـ﴿يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ...﴾ هو الرمي بالفاحشة للمؤمنين أو المؤمنات وإشاعتها، بدليل قوله في آخر الآية: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، والعذاب الأليم في الدنيا هو الجلد «حد القذف»، فهذا قرينة على أن المراد هو ما ذكرنا.
وعبر بقوله: ﴿يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ ليبين:

- أن القذف للمؤمنين والمؤمنات لا يصدر إلا عن مرضى القلوب، وأن الذي يدفعهم إلى القذف هو عداوتهم للمؤمنين.
- أن القاذف ليس من المؤمنين لأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فإذا أحب إشاعة الفاحشة فيهم فليس بمؤمن.

وجواب الشطر الأخير من السؤال: نعم، يلحق بهذا الباب من نشر أخباراً ردية عن المؤمنين وهو كاذب فيها، «فله عذاب أليم» أي: فيعزره الإمام أو الحاكم على قدر جرمه، بنظر الإمام أو الحاكم.

﴿وَلَوْلَا[١] فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝٢٠﴾ أخبر الله تعالىٰ أنه لولا رحمته لعباده لأخذهم وعذبهم بذلك، غير أن عفوه سبق سخطه فعدل إلىٰ وعظهم ونهيهم عن ذلك، وإخبارهم بما يستوجبه مثل تلك الشائعات.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ نهىٰ الله سبحانه وتعالىٰ عباده أن يصدقوا وساوس[٢] الشياطين، وعن تصديقِ كلام أولئك الذين يتكلمون باسم الشياطين كالمنافقين والفساق، وكذلك الاستجابة لدعوتهم، وترك دعوة الله ورسوله.

يحث الله سبحانه وتعالىٰ عباده بذلك وأن يتأدبوا بآداب الله تعالىٰ ويمشوا علىٰ ضوء نهجه وتعاليمه.

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ وأخبر أن الشيطان لا يدعو إلا إلىٰ عمل الفواحش والمنكرات[٣].

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢١﴾ وأنه لولا ما تفضل الله به عليكم بإرسال

---

(١)-**سؤال:** أين جواب «لولا» في هذه الآية؟

الجواب: جواب «لولا» محذوف أي: لعاقبكم، دلّ عليه جوابها في آية (١٤).

(٢)-**سؤال:** ما السر والحكمة في تسمية وساوس الشيطان بالخطوات؟

الجواب: السر والحكمة هو ما في الخطوات من التصوير الحسي الذي تفيده كلمة خطوات المستعارة من الوساوس.

(٣)-**سؤال:** كيف تتم الفائدة بالإخبار هنا بأن الشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر؟

الجواب: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ...﴾ «من» اسم شرط جازم والجملة التي بعده جملة الشرط. ﴿فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ جملة الجواب في محل جزم، ومن الشرطية: مبتدأ، وفي الخبر أقوال هل هو جملة الشرط أو جملة الجواب أو مجموع الجملتين، والذي أميل إليه أن الخبر هو مجموع الجملتين لتضمنه أقوال المختلفين.

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإنعامه بشرعة الإسلام ما اهتدى أحد من خلقه إلى طريق الحق والرشاد، ولا تطهر أحد منهم من دنس المعاصي، ولما ميز أحد بين المحق والمبطل والحق والباطل.

وقوله: ﴿يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يهدي من أراد الاهتداء(١)، وقد بعث الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليستنقذ عباده من أوحال الضلال، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾(٢) [الجمعة:٢]، فلولا أن الله سبحانه وتعالى هدانا بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليزكينا ويهدينا لما استطعنا أن نزكي أنفسنا بتجنيبها ما يدنسها من شوائب الضلال والمعاصي.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا(٣) أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ حلف بعض الأغنياء وهو أبو بكر على أن يقطع الصلات والعطايا عن مسطح وهو ابن خالة أبي بكر وكان من القذفة، فنهاهم الله تعالى عن الحلف وأمرهم بالعفو والصفح عن قَذَفَتِهَا، وكان بعض قذفتها من المهاجرين الفقراء، وبعضهم من أهل المدينة.

﴿أَلَا(٤) تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٢٢﴾ فتصدقوا عليهم

---

(١)- **سؤال:** يقال: هل تريدون بهذا أن الله سبحانه يطهر من الذنوب والمعاصي مَنْ قَبِل التطهر والاهتداء بما هدانا الله به؟

الجواب: بل المراد مَنْ قَبِلَ الهدى واستجاب.

(٢)- **سؤال:** ما مرادكم بالاستشهاد بهذه الآية الكريمة، فظاهرها أن الله سبحانه قد زكى جميع الخلق بإرسال النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: أوردنا ذلك لبيان نعمة الله وفضله على المؤمنين.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما محل: ﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾ الإعرابي؟

الجواب: محلها النصب بنزع الخافض، ولا النافية مقدرة، والتقدير: على أن لا يؤتوا.

(٤)- **سؤال:** ماذا تفيد «ألا» هنا؟

الجواب: الهمزة للاستفهام الإنكاري أو لتقرير ما بعد النفي، ولا نافية.

وأعطوهم ولا تمنعوهم، فسيغفر الله لكم ويجعلها كفارة لذنوبكم، وأيضاً سيغفر الله لهم إن هم تابوا ورجعوا إلى الله سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴿٢٣﴾﴾ ثم أخبر الله تعالى عن أولئك الذين يرمون النساء العفيفات الطاهرات اللاتي هن بعيدات كل البعد عن مثل تلك الفواحش بأنه سيخزيهم ويطردهم من رحمته في الدنيا والآخرة ويعذبهم عذاباً عظيماً في نار جهنم.

﴿يَوْمَ[١] تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿٢٤﴾﴾ وإذا[٢] أنكروا يوم القيامة فستشهد عليهم ألسنتهم بما تكلموا به، وكذلك أيديهم وأرجلهم[٣].

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ وأن الله تعالى يوم القيامة سوف يوفيهم جزاءهم بالحق فلا يزيد على ما يستحقون ولا ينقصهم شيئاً.

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴿٢٥﴾﴾ وسوف يعلمون هنالك أن الله تعالى هو الإله الحق الذي تحق له العبادة والطاعة، وأن حكمه الحكم الحق العدل، وأن وعده حق وجزاءه حق، ومعنى «المبين» في حق الله: المظهر للحق وآيات الحق.

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم ما هو العامل في هذا الظرف؟

الجواب: متعلق باستقر أو مستقر المقدر في: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴿٢٣﴾﴾.

(٢)-**سؤال:** من أين نفهم هذا الشرط؟

الجواب: يفهم من حيث إن الشهادة لا تقام إلا عند الإنكار.

(٣)-**سؤال:** ما فائدة شهادة الأرجل والأيدي بخوضهم في رمي المؤمنات مع شهادة الألسن التي خاضوا بها؟

الجواب: قد كان للأيدي والأرجل دور في نشر حديث الإفك، فقد كان أهل الإفك يسيرون من بيت إلى بيت ومن مكان إلى مكان، ويؤشرون بأيديهم للإقبال إليهم؛ ليخبروهم بالإفك؛ لذلك تشهد عليهم أرجلهم وأيديهم وألسنتهم بما كانوا يعملون.

وهؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآية كانوا من المنافقين، وذلك أن شأن المؤمن أن لا يمس عرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو يلحقه بسوء، وهم وإن أظهروا التوبة من ذلك فتوبتهم تلك لم تكن من قرارة قلوبهم، ولو كانوا مؤمنين لما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بأنهم لن يعرفوا ويتيقنوا أنه حق مبين إلا يوم القيامة مما يدل على أنهم كانوا منافقين(١).

---

(١)- **سؤال:** يقال: هل يصح أن يكون المراد بالآية التهديد لعموم من يقذف المحصنات، وعدم تخصيصها بقذفة زوجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وهذا لوجود القرائن بأن بعضاً من القذفة قد اغتر بما سمع فحدث به من غير انتباه، وتلك القرائن مثل:

١- قوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤﴾.

٢- قوله: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

٣- أنه روي عن كبار الصحابة أنهم تشككوا فيما سمعوا من الكلام وإن كانوا تنزهوا أن يتفوهوا بشيء منه وحاشاهم، إلا أن بعضهم أشار على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بسؤال الجارية، وبعضهم قال: النساء دونها كثير ونحو ذلك، فما رأيكم؟ أليس مثل هذا يخرجهم من المنافقين أم لا؟ فوضحوا ما رأيتموه جزاكم الله خيراً؟

الجواب: الآية نزلت في قذفة زوجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويدخل في عمومها غيرهم إلى يوم القيامة، والمراد الحكم بنفاق الذين سعوا في نشر حديث الإفك وإشاعته، ولم يتحقق بذلك إلا عبدالله بن أبي كبير المنافقين وقلة معه، وقد حدهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حد القذف، إلا كبير المنافقين عبدالله بن أبي لعنه الله فقد ترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حده استصلاحاً لقومه؛ فقد كان كبير قوم وشيخاً من مشائخ أهل المدينة، فخشي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يتغير عليه قومه -إن حده- أو أن يرتدوا أو تقل نصيحتهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو للإسلام. أما المؤمنون والصحابة الكبار فقد اصطدموا بالخبر وتحيروا واستاءوا كثيراً، بل والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اصطدم كما اصطدموا، واستاء كما استاءوا، وتحير كما تحيروا، واغتم كما اغتموا؛ وما أشار من أشار على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بما أشاروا إلا ليفرجوا عن نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غمه، وما هو فيه من الحيرة، لا لسوء ظنهم بزوجته، بل ليبعدوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عما شاع من حديث الإفك الذي تولى كبره عظيم المنافقين عبدالله بن أبي لعنه الله، فهم يعلمون علم اليقين عداوة عبدالله بن أبي للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وشدة حنقه عليه، وسعيه الحثيث في إبطال أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وتنفير الناس عنه.

﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ يعني الكلمات الخبيثات المفترض أن تكون للخبيثين فقط، فلا ينبغي أن يتكلم أحد بالكلمة الخبيثة إلا في عرض الرجل الخبيث أو المرأة الخبيثة.

﴿وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ والخبيثون عديمو الإيمان هم الذين يصدر عنهم الكلام الفاحش والخبيث.

﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ الكلمات الطيبات(١) تقال في الطيبين رجالاً ونساءً.

﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ وكذلك الطيبون هم أهل الكلمات الطيبات.

﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ وهم الطيبون رجالاً ونساءً فهم بريئون مما يقوله المنافقون ويرمونهم به.

فمن هتك ستر نفسه وجاهر بالمعاصي فلا حرج على من تكلم فيه، وذكره بالسوء والمكروه، ولذا ورد في الحديث: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم))، فمن وقف مواقف التهم فلا يلومن إلا نفسه إن تكلم أحد في عرضه بشيء.

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٢٦﴾ وهم الطيبون سواء كانوا رجالاً أم نساءً.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٢٧﴾ ثم أخذ الله سبحانه وتعالى في تعليم عباده كيف يسدون منافذ الفتن ومداخلها، فنهى أولاً عن دخول الرجل بيت أحد حتى يستأذن على أهل ذلك البيت، ثم إن عرف بوجودهم فينبغي أن

---

(١)-**سؤال:** وهل يصح أن تفسر هذه الآية بأن الخبيثات أهلٌ للزواج بالخبيثين والخبيثين أهل لأن يتزوجوا بالخبيثات وهكذا...؟ أم ترون ذلك ضعيفاً فما وجهه؟

الجواب: يصح تفسيرها بما ذكرتم، وقد فسروها كذلك كما ذكرتم، وفسروها أيضاً بما ذكرنا، وكلا التفسيرين صحيح.

يسلم عليهم ليشعرهم بوجوده فلا يفاجئهم بالدخول، فإن أذنوا له بالدخول دخل وإلا فلا؛ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أن ذلك هو الأفضل والأحسن حتىٰ لا يقع نظره علىٰ محاسن امرأة فيجد الشيطان بسبب ذلك علىٰ الرجل مدخلاً لإيقاعه في الفتنة، ولما في ذلك من الابتعاد عن مواضع التهم.

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ ثم أرشد الله تعالىٰ عباده إلىٰ ترك الدخول إن استأذن فلم يجبه(١) أحد، فينتظر إلىٰ أن يحصل له الإذن بالدخول.

﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٢٨﴾ وإن لم يؤذن لكم، أو قال لكم أصحاب المنزل: ارجعوا(٢)- فلا تدخلوا وارجعوا وراءكم، فالرجوع أقرب إلىٰ العفة وطهارة النفس، وقد شرع الله تعالىٰ لنا هذه الآداب الرفيعة لعلمه تعالىٰ بما يصلح عباده، وبما يفسدهم.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ(٣)

---

(١)- **سؤال:** لعلكم تريدون -أيدكم الله- أن عدم الجواب دليل علىٰ عدم وجود أهل البيت، فهل هو كذلك؟

الجواب: يكون عدم الجواب دليلاً علىٰ عدم وجود أهل البيت، أو دليلاً علىٰ عدم الإذن بالدخول.

(٢)- **سؤال:** هل يجوز لصاحب الدار أن لا يجيب تثاقلاً لذلك الداعي أم لا؟

الجواب: يجوز لصاحب الدار أن لا يجيب الداعي أو الطارق إذا كان لا يحب دخول الداعي والطارق ودليل ذلك: ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ فإن ذلك يدل علىٰ أن لصاحب الدار أن يأذن أو لا يأذن والسكوت من أدلة عدم الإذن.

(٣)- **سؤال:** ما محل المصدر: ﴿أَنْ تَدْخُلُوا﴾ وجملة: ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾؟ وكذا محل الجار والمجرور أو متعلقه؟

الجواب: «أن تدخلوا» في محل جر أو نصب بنزع الخافض والتقدير: في أن تدخلوا أي في دخولكم، وجملة: «فيها متاع لكم» في محل نصب صفة ثانية لبيوتاً، ومحل الجار والمجرور الرفع خبر مقدم، ومتاع: مبتدأ مؤخر.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴿٢٩﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد رفع الحرج في لزوم الاستئذان في البيوت العامة كالفنادق، وما أشبهها فلا حرج في الدخول من غير استئذان، وقد أراد الله سبحانه وتعالى بالمتاع المنافع الموجودة فيها كاستئجار السكن وشراء الأكل من المطاعم والدكاكين ونحو ذلك.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه مطلع على ما أبداه عباده وعلى ما في ضمائرهم، وعالم بأهل النيات الحسنة والخبيثة، وسيجازي كلاً على حسب ما يستحق.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا(١) مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ ثم شرع الله تعالى في تعليم عباده وإرشادهم إلى شيء آخر مما يسد منافذ الشيطان ومداخل الزنا وأبوابه، فأمرهم بغض أبصارهم عن النظر في محاسن النساء؛ لأن النظر هو أول مدخل للشيطان يدخل منه لإغراء الرجل بالمعصية ودعوته إلى فعلها.

﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴿٣٠﴾﴾ وأمرهم أيضاً أن يحفظوا فروجهم فلا يضعوها في الحرام(٢).

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في جزم ﴿يَغُضُّوا﴾، مع أنه لا يستقيم الكلام لو جعلناه جواباً للطلب ﴿قُلْ﴾ لأنه يصير: إن تقل لهم يغضوا؟

الجواب: التقدير: قل للمؤمنين غضوا، وحذف لدلالة يغضوا عليه؛ فجزم يغضوا في جواب هذا الأمر المحذوف.

(٢)- **سؤال:** هل حفظ العورة من كشفها من جملة حفظ الفروج؟ وما العلة في دخول «من» في الأبصار دون الفروج؟

الجواب: المراد بحفظ الفروج هنا وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴿٣١﴾﴾ [المعارج] هو: حفظها عن الحرام بدليل قوله: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أما كشفها للناس فمن القبائح الفطرية التي يستقبحها الناس. ودخلت «من» في الأبصار لأن المراد تحريم النظر إلى المحرمات وهي بعض من المنظور إليه وأكثره مما يجوز النظر إليه، أما الفروج فحفظها واجب على الإطلاق إلا على الزوجة أو ما ملكته اليمين من الإماء.

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ وكذلك المؤمنات الواجب عليهن غض أبصارهن عن النظر إلى الرجال، وكذا حفظ فروجهن إبقاءً على حشمتهن ودينهن.

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[1] ولا يظهرن محاسنهن للرجال إلا

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم سيدي ومولاي حجة العصر لدينا هذه الإشكالات: هل الزينة حقيقة في أعضاء الجسد، أم فيما تتزين به المرأة؟ إن كان الأول فما الوجه في حملها في قوله تعالى: ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ على الثاني بإجماع المفسرين تقريباً؟ وإن كان الثاني فما المرجح لحملها هنا على الأول؟ وما قرينة ذلك؟

وهل تقتضي هذه الأمارات والدلالات أو القرائن وجوب ستر الوجه وتغطيته أم لا؟ وهي:

١- حمل الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ على ما بدا بدون شعور أو قصد من زينة الذهب والفضة، أو ما كان على ظاهر الثياب من ذلك؛ ليوافق مفهوم الآية التالية: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾.

٢- العلة في هذه التعاليم خشية الوقوع في الفتنة من الطرفين، كما نبه عليها في قوله: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾، وفي آية أخرى: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣]، ولا شك أنها مع ظهور الوجه أعظم وأطم؛ إذ هو أدعى شيء إلى الافتتان.

٣- قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢]، ظاهر في أن التحريم لأجل طمع أهل الريبة، والعلة بعينها موجودة في كشف الوجه.

٤- عدم ظهور تخصيص آية الحجاب بأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو مع بناته، كما ذهب إليه المولى الحجة علي بن محمد العجري رحمه الله.

٥- ما اتفق عليه الأئمة والعلماء في اليمن الميمون من إلزام النساء بالحجاب وتغطية الوجه، قبل وبعد ظهور المخالف.

٦- ضعف ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن المرأة إذا بلغت المحيض لا يحل أن يرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى الوجه والكفين))؛ إذ لم يروه أحد من أئمتنا ولا شيعتهم، ولعل فيه ضعفاً عند غيرهم.

٧- إذا كان إحرامها في وجهها فما الوجه في إلزامها بكشف شيء هي معتادة لكشفه؟

=

٨- إذا كان المراد بالثياب في قوله: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ [النور:٦٠]- الثياب التي فوق الخمار ونحو الثياب السوداء التي تلبسها النساء في بلادنا فيؤخذ منها لزوم هذه الثيابات للشواب وغير القواعد، ومن جملتها ما يغطى به الوجه والخمار مع أن في قوله: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ إطلاق الزينة على الذهب والفضة ونحوها. فتفضلوا بالإطلال على هذه النقاط مع الإغضاء عما فيها من ركاكة أو ضعف تركيب أو قصور نظر؟

الجواب: المقصود من تلك التعاليم الواردة في هذه السورة هو سد منافذ الشيطان وإغلاق أبواب الفتنة، وقد نبه الله تعالى المؤمنات بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ أنه يجب عليهن ترك كل ما يبعث دواعي الرجال ويثيرهم ويحرك غرائزهم إلى المرأة، سواء في مشيتها أو حركتها، أو التفاتتها، أو في ملابسها، أو في وقوفها في مكان، أو في إظهار يد أو ساق أو قدم أو شعر أو وجه، أو عطور.

والمراد بـ«زينتهن» هي زينتهن التي في أيديهن أو أرجلهن أو على أعناقهن أو في آذانهن أو على شعورهن أو في وجوههن، وليس المراد زينتهن التي في الكوة أو في الدرْج، فعلى هذا يكون المراد بزينتهن في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ هو: الزينة ومواضعها من بدن المرأة.

ولا شك أن الوجه وجماله أكبر دواعي الفتنة وأعظمها، وأنه لذلك أولى بالستر، ولم يهمل الشارع الحكيم ستر الوجه وصيانته؛ فأمر المؤمنين بغض أبصارهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، وفي الحديث: ((لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليس لك الثانية))، و((النظرة سهم من سهام إبليس))، وقال تعالى لنساء النبي أمهات المؤمنين والمؤمنات: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...﴾ [الأحزاب:٣٣]؛ فعلى المرأة المؤمنة أن تلزم بيتها ولا تخرج إلا لحاجة ماسة، فإذا خرجت فلتجتنب طرق الرجال ومجالسهم وأسواقهم، ومن حيث لا يراها أحد، وقد كانت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنات يخرجن لحاجتهن بعد المغرب إذا أظلم الليل قليلاً؛ ليستترن بظلمة الليل، حتى لا يراهن الرجال؛ لذلك نقول: إن ستر محاسن المرأة بما في ذلك وجهها هو واجب شرعي.

وقد ذكرنا في التفسير أنه لا يجب عليها ستر الوجه والكفين، وقلنا أيضاً: ولكن يجب على الرجال غض الأبصار، ولا تخرج إلا لحاجتها، وتتجنب مقابلة الرجال.

ونزيد على ذلك فنقول: إذا خشيت من أن الرجال لا يغضون أبصارهم أو لم يمكنها أن تتجنب مقابلة من لا يغض بصره فعليها أن تستر وجهها وكفيها.

ما ظهر وهو الوجه والكفان، فيجب عليها أن تستتر فلا تكشف زينتها حيث يراها الرجال، ثم استثنى الله سبحانه وتعالى من ذلك الشيء الذي لا بد لها من كشفه كالوجه والكفين للحاجة إلى كشفهما في مزاولة أعمالها من تجهيز الحطب والماء فلا يجب عليها تغطيتها، ولكن يجب على الرجال غض الأبصار، والواجب عليها مع ذلك أن لا تخرج أو تسير لغير حاجتها، وأن تتجنب مقابلة الرجال، وتغض بصرها عن النظر إليهم.

وقد أمرهن الله تعالى في آية أخرى بالاستتار في البيوت فقال تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ [الأحزاب:٣٣]؛ لما في ذلك من الحفاظ على حشمتهن وعدم تعرضهن للفتنة، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأزواجه: ((هذه، ثم لزوم الحُصُر))، وذلك عندما حج بهن أمرهن بعد تحجيجهن أن يلزمن حصير بيوتهن فلا يخرجن عنه.

﴿**وَلْيَضْرِبْنَ**(١) **بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**﴾ وعلى المرأة أن تستر صدرها وثدييها وعنقها(٢) بطرف خمار رأسها، ولا يجوز لها كشف ذلك.

﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَائِهِنَّ أَوْ ءَابَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ**﴾ لا يجوز للمرأة أن تبدي شيئاً من زينتها كشعر الرأس والعنق ونحو ذلك لأحد إلا لهؤلاء الذين استثناهم الله سبحانه وتعالى في الآية، ومعنى «بعولتهن»: أزواجهن.

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بالضرب في قوله: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ...**﴾؟

الجواب: المراد به أن تسدل المرأة من خمارها ما يغطي ويستر صدرها أي ما يبدو منه من فِقْرَة ثوبها.

(٢)- **سؤال:** يقال: الذي قد يظهر بالسبر والتقسيم أن العلة في ستر العنق والصدر هي خشية الفتنة، فهل يلزم في الوجه مثل ذلك؟

الجواب: مع خشية الفتنة يجب ستر الوجه وغيره.

والمراد بنسائهن: المؤمنات منهن، مما يدل على أنه لا يجوز لها أن تبدي محاسنها عند غير المسلمات، ولا حرج على المسلمة في إظهار زينتها لأمتها، ولا يجوز لها أن تظهرها لعبدها(١).

و«التابعين غير أولي الإربة»: هم البلهاء الذين لا حاجة لهم إلى النساء ولا داعي في نفوسهم إليهن، وكذلك الأطفال؛ لأنهم لا يلتفتون إلى النظر إلى عورة المرأة وزينتها، ولا يفكرون في ذلك(٢).

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ يرشد الله سبحانه وتعالى المرأة هنا إلى أنها إذا خرجت تمشي بين الناس فينبغي لها أن لا تضرب بقدميها بقوة على الأرض حتى يسمع الرجال صوت ما تلبسه من الذهب والفضة وما أشبههما(٣)، ونحو ذلك العطور التي تنفح منها الروائح القوية والجذابة؛ لما في ذلك من لفت أنظار الرجال إليها، وبعث دواعي الشهوة عندهم.

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴿٣١﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالى عباده بأن يتداركوا ما فرط منهم فيما مضى بالتوبة والرجوع إليه.

---

(١)-**سؤال:** ما الوجه في تخصيص الجواز بالأمة لا العبد؟

الجواب: خشية الفتنة في العبد.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما معنى: ﴿لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ بالنظر إلى أصل وضعها؟

الجواب: أي: لم يتصوروا عورات النساء ولم يدروا ما هي لصغرهم.

(٣)-**سؤال:** قد يقال: بأن ظاهر النهي يتناول إظهار تلك الزينة فكيف؟ وهل ما يقال في سبب نزولها وهو المنع عن الخلخال التي كانت تلبسه النساء صحيح أم لا؟

الجواب: النهي هو متوجه إلى المرأة أن لا تظهر طنين حليتها ليسمعها الرجال، وليس في الآية ما يدل على المنع من لبس الخلخال أو غيره من الحلي التي تتزين به المرأة، وإذا نهيت المرأة عن إظهار صوت الخلخال فإن صوتها ووجهها أولى بإخفائه وستره.

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى(١) مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ ثم شرع الله سبحانه وتعالى في إرشاد الناس إلى الباب الثالث مما يسد منافذ الزنا والفتنة ومداخل الشيطان، فأمر الله تعالى أولياء الأمور بأن يسارعوا في تزويج من بلغت سن الزواج فلا يمسكوهن فيصبحن عرضة للفتنة وفاحشة الزنا، وكذلك ما ملكتم من العبيد والإماء فينبغي أن تزوجوا كل من استطاع منهم القيام بالحقوق الزوجية؛ لأن إمساكهم يؤدي إلى انتشار فاحشة الزنا في صفوف المؤمنين، ونشر الفساد بينهم.

﴿إِنْ يَكُونُوا(٢) فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝٣٢﴾ فزوجوا نساءكم ولو كان الزوج فقيراً فليس ذلك عيباً أو نقصاً، وسوف يغنيهم الله تعالى من فضله؛ وكذلك الرجل لا ينبغي له أن يترك الزواج خوفاً من الفقر والحاجة فليس الفقر مانعاً، وسوف يغنيه الله تعالى من فضله، فهذا وعد من الله سبحانه وتعالى بأنه سيغني من كان فقيراً مع زواجه، ولن ينقص ذلك من ملكه شيئاً، فلا ينبغي أن يكون الفقر مانعاً من الزواج لا للرجال ولا للنساء.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى الفقراء الذين لا يستطيعون الزواج أن يلزموا العفة والصبر حتى ييسر الله تعالى لهم، أراد الله سبحانه وتعالى منهم أن يتكلفوا العفة والصبر ويبالغوا في ذلك.

---

(١)- **سؤال:** هل الأيامى مقصور على الإناث؟ أم لهن وللذكور مع التوضيح لذلك مع الضمير في ﴿مِنْكُمْ﴾؟

الجواب: الأيامى يطلق على الذكر والأنثى اللذين لم يتزوجا، وقوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: حال كونهم منكم أيها المؤمنون، أي: يكونون مؤمنين أحراراً.

(٢)-**سؤال:** إلامَ يعود الضمير هنا؟ وهل سبق له ذكر؟

الجواب: يعود إلى الأيامى الأحرار المؤمنين، وكان المفروض عوده إلى الجميع، لكن منع من عوده إلى ﴿الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ ما علم أن العبد والأمة لا يملكون.

﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ[١] إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا[٢] وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِى ءَاتَاكُمْ﴾ ثم أمر الله تعالى الذين يملكون العبيد بأن لا يمنعوا من أراد من عبيدهم أن يشتري نفسه، ويسمى ذلك المكاتبة وهو أن يطلب العبد من سيده ويتفق معه أن يكاتبه على عتق نفسه على أن يسلم له مال الكتابة دفعات يتفقون على تحديدها، ولكن بشرط أن يعلم السيد بأنه من أهل الوفاء والقدرة على أداء مال الكتابة بحرفة يمتهنها أو نحو ذلك، وإلا فلا يلزمهم إجابتهم، وأيضاً ينبغي أن يعينوهم[٣] على أداء مال الكتابة من الزكاة.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا[٤] لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ

---

(١)- **سؤال:** قوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ إن كان خبر المبتدأ ﴿الَّذِينَ﴾ فأين جواب الشرط؟ وإن كان جواباً فأين الخبر؟

الجواب: «الذين» منصوب على الاشتغال، وناصبه فعل يفسره «كاتبوهم» وهذا الإعراب أولى من جعله مبتدأ، والجملة الأمرية خبر، والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط.

(٢)- **سؤال:** هل الخيرية مقصورة على القدرة على الوفاء أم أنها عامة فيشترط في المكاتب الصلاح والإيمان؟

الجواب: الظاهر أن الخيرية شاملة أيضاً للإيمان والصلاح كما قال الهادي عليه السلام، والخير فهو الدين والتقوى والوفاء والإعفاء والاهتداء والورع....

(٣)- **سؤال:** من الذي تجب عليه الإعانة من هذه الزكاة؟

الجواب: الواجب هو على الإمام إن كان في الزمان إمام أو سائر المسلمين إن لم يكن إمام حيث إن الله تعالى قد جعل للمكاتبين حقاً في الزكاة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ...**﴾ الآية [التوبة:٦٠]، فقوله: ﴿**وَفِي الرِّقَابِ**﴾ المراد بهم المكاتبون.

(٤)- **سؤال:** ما الوجه في عدم العمل بمفهوم الشرط هنا: ﴿**إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا**﴾؟

الجواب: الوجه في عدم العمل به هنا ما علم من الدين ضرورة تحريم الزنا على الأحرار والعبيد.

﴿الدُّنْيَا﴾ كان المنافقون في المدينة الذين يملكون الإماء يكرهونهن على الزنا وتأجير أنفسهن ليجلبن لهم الفلوس، وإن لم يفعلن ذلك عذبوهن حتى تضطر الواحدة منهن إلى أن تذهب مكرهة للبحث عمن تؤجر نفسها منه.

﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٣٣﴾﴾[(١)] فمن تاب بعد نزول هذه التعاليم فإن الله سبحانه وتعالى سوف يتوب عليه.

وقد نزلت هذه الآية في عبدا لله بن أُبَيّ كما قيل فقد كان يملك الكثير من الإماء، وكان يكرههن على الزنا ويضطرهن إليه، وكن يردن العفة، وكان من المفترض أن يكون هو الذي يريد لهن العفة لا هن.

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا[(٢)] مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ثم أخبر الله تعالى بأنه أنزل هذه التعاليم والإرشادات على عباده رحمة بهم وفي مصلحتهم ومنفعة دينهم ودنياهم.

﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴿٣٤﴾﴾ وأن هذه الآيات والأمثال لن ينتفع بها ويقبلها إلا المتقون فقط، وأما غيرهم فإنهم سيعرضون عنها أشد الإعراض.

---

(١)-**سؤال:** من أين نستفيد شرط التوبة هنا؟ إن كان من غير هذه الآية فما الحكمة في إيراده بدون هذا القيد؟ أم أن الآية في الإماء المكرهات؟

الجواب: نستفيد شرط التوبة من غير هذا الموضع، مع أنه هنا قد لمح إلى التوبة بقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٣٣﴾﴾ فقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ﴾ يدل على أن المكره قد أقلع عن الإكراه، وإلا لما صح أن يقول: ﴿مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ﴾ وهو مصر على الإكراه، والمراد بهذا هم أرباب الإماء وأسيادهم، لا الإماء المكرهات؛ لرفع القلم عنهن بالإكراه، وقد سماهن الله تعالى مكرهات، وهو العليم الحكيم.

(٢)-**سؤال:** علام عطف قوله: ﴿وَمَثَلًا...﴾؟ وما المقصود بهذا المثل من الذين مضوا من قبلنا؟

الجواب: «ومثلاً» معطوف على «آيات»، والمراد بالمثل القصص العجيبة التي قصها الله تعالى لنا في القرآن لنعتبر بها ونتعظ، كقصص بني إسرائيل مع موسى، وقصص غيرهم مع أنبيائهم، أي: لئلا نتمرد كما تمردوا فيحل بنا مثل ما حل بهم من غضب الله في الدنيا والآخرة.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه قد أنار[(١)] السماوات والأرض بالحق والهدى والآيات البينات، حتى صار الحق مكشوفاً جلياً لمن أراده وقصده، وذلك بإرسال محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وما أنزله عليكم من القرآن، بعد أن كانت السماوات والأرض مغطاة بظلمات الجهل والشرك والكفر، فقشع تلك الظلمات بنور الإسلام.

﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي[(٢)] زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ كان العرب في لغتهم يعتمدون في وصف الأشياء على المجازات والأمثال والتشبيهات فخاطبهم الله سبحانه وتعالى في القرآن على عادتهم وتفننهم- فأخبر أن نوره ذلك كمصباح قد وضع في كُوَّةٍ، وذلك المصباح يضيء داخل زجاجة، وتلك الزجاجة في صفائها كالكوكب الدري الوهاج.

﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾[(٣)] وأن الوقود الذي يشعل ذلك المصباح مستخرج من شجرة الزيتون التي زيتها في غاية الصفاء حتى أنك تستطيع أن ترى الأشياء من خلاله بوضوح من شدة صفائه.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما الداعي إلى حمل النور على المجاز «منورهما»؟ وما رأيكم في الرواية عن أمير المؤمنين وغيره من الصحابة أن معناه: هادي أهل السماوات والأرض؟

الجواب: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كما روي عن أمير المؤمنين وغيره من الصحابة هادي أهل السموات والأرض فقد هداهم تعالى أي: أهل الأرض بالنور المبين «القرآن»، وهو بمعنى: «منورهما»، ولا سبيل إلى حمله على الحقيقة، وتفسير أمير المؤمنين وغيره لا يدل على أنه ليس بمجاز، وإنما فسروا الكلام بالمعنى المقصود، ولم يريدوا أن كلمة «نور» بمعنى هادي.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما محل جملة: ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾؟

الجواب: جملة: «المصباح في زجاجة» تحتمل وجهين: أن تكون صفة في محل رفع، أو أن تكون جملة تفسيرية لا محل لها من الإعراب.

(٣)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ﴾؟

الجواب: جملة: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ﴾ صفة ثانية لكوكب.

﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾(١) ثم وصف الله سبحانه وتعالى هذه الزيتونة بأنها مغروسة في أصلح الأماكن التي تخرج أزكى الثمار وأشرفها كالتي في أعالي الجبال التي تستمد غذاءها الصافي من الشمس والريح النقية، فلا تستطيع الطفيليات أن تصل إليها بسبب أشعة الشمس تلك التي تدافعها، ولما فيها من الغذاء والفيتامينات التي تزيد من قوتها.

﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾(٢) أراد أنه من شدة صفاء زيت هذه الشجرة كأنه يضيء.

﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾(٣) وأن هذه الأشياء التي هي المصباح والزجاجة وزيت الزيتون(٤) عندما اجتمعت زاد نورها وتضاعف؛ وهذا تشبيه وتمثيل لنور الله

---

(١)-**سؤال:** يقال: وما الذي سيحصل لو كانت شرقية أو غربية؟

الجواب: الأشجار الشرقية هي المغروسة على الوجه الشرقي للجبل، والغربية هي المغروسة على الوجه الغربي، والمراد في الآية بقوله: ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أنها مغروسة في قمة الجبل تشرق الشمس وتغرب عليها، وما كان كذلك من الأثمار فإنه يكون أزكى من الذي في وجه الجبل الشرقي أو الغربي.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما محل جملة «يكاد»؟ ومحل جملة «يضيء»؟ وما تعرب «الواو» في قوله: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾؟

الجواب: «يكاد...» في محل جر صفة ثالثة لشجرة، وتعرب الواو في قوله: ﴿وَلَوْ لَمْ...﴾ للحال، والجملة بعدها في محل نصب على الحال، ومحل جملة «تضيء..» في محل نصب خبر «يكاد...».

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما الوجه في فصل الجملة ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ عما قبلها؟

الجواب: فصلت الجملة لأنها بمنزلة عطف البيان بالنسبة لما قبلها، فبين الجملتين كمال الاتصال.

(٤)-**سؤال:** وهل المراد بتعدد المصباح والزجاجة وزيت الزيتون في هذا المثل تعدد مصادر الهدى ومنابعه؟ فما هي هذه المصادر الثلاثة؟ أم لها مراد آخر فما هو؟

الجواب: الذي يظهر لي -والله أعلم- أنه من تشبيه المفرد بمفرد موصوف بصفات عدة، فشبه تعالى نوره بنور المصباح الذي تظاهر في زيادة توهجه وتُضاعف نوره المشكاةُ والزجاجةُ والمصباحُ وصفاءُ الزيت، وإنما حملناه على ذلك للسلامة من تكلف كل جزء مشبه وكل جزء مشبه به.

سبحانه وتعالى الذي هو الهدى بأنه قد بلغ من الصفاء والوضوح لعباده مبلغاً عظيماً، وقد أصبح جلياً واضحاً يستضيء به كل من أراده وطلبه.

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه يهتدي بنوره[(١)] هذا أولئك الذين يخافونه ويمتثلون لأوامره، ويقفون عند نواهيه.

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ[(٢)] وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ۝٣٥﴾ يصور الله سبحانه وتعالى ذلك للناس ويضرب لهم الأمثال والأوصاف؛ ليزيد من إفهامهم، وليرغبهم في طاعته لما علم من المصلحة لهم في ذلك.

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ وأن ذلك المصباح في[(٣)] تلك الزجاجة يضيء في بيت من بيوت الله سبحانه وتعالى لتعظيمها بذكره وعبادته.

أراد الله سبحانه وتعالى أن تلك المشكاة التي يضيء فيها المصباح في بيت[(٤)]

---

(١)-**سؤال:** يقال: فما الوجه في إسناد الهداية إلى الله سبحانه؟ وما قرينة تأويلها؟

الجواب: الهداية هنا بمعنى التوفيق، أما الهداية التي بمعنى الدلالة فإنها عامة لا يختص بها مكلف دون مكلف، وهذا هو الدليل على ما ذكرنا.

(٢)-**سؤال:** ما معنى اللام الداخلة على الناس في قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾؟

الجواب: معناها التعليل أي: لأجل الناس، أي: ليعتبروا.

(٣)- **سؤال:** المفهوم من كلامكم أن الجار والمجرور: ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ متعلق بمحذوف صفة لـ«مصباح» فهل الأولى أن نجعلهما متعلقين بـ«يسبح» لقربه أم لا؟

الجواب: قد جوزوا أن يكون «في بيوت» صفة لمشكاة أو لمصباح أو لزجاجة، وقالوا: يجوز أن يتعلق بمحذوف أي «سبحوه في بيوت» أو أن يتعلق بـ«يسبح»، والذي دعانا إلى حمله على الأول هو ما ذكرناه في أصل التفسير أن ذلك أوقع في النفوس وأعظم في التشبيه حين تكون تلك المشكاة التي فيها المصباح في بيت من بيوت الله سبحانه.

(٤)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿أَذِنَ اللَّهُ﴾؟ والمصدر: ﴿أَنْ تُرْفَعَ﴾؟

الجواب: محل جملة: ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ الجر صفة لبيوت، ومحل «أن ترفع» الجر أي في رفعها، أو النصب بنزع الخافض.

من بيوته فإن ذلك يزيد من بهائها وجمالها ويكون ذلك أوقع في النفس مما لو كانت في غيره.

وأراد بقوله: ﴿أَنْ تُرْفَعَ﴾: يعني تنزه من الأقذار والنجاسات واللعبِ فيها والاستهانةِ بحرمتها.

﴿يُسَبِّحُ[١] لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ۝٣٦ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ وأن هذه المساجد معمورة بذكر الله تعالى في جميع الأوقات، والغدو هو الصباح، والآصال هو آخر النهار، وأن هؤلاء الرجال قد أخلصوا نفوسهم لله تعالى، وقد تجردوا من جميع ملذات الدنيا وشهواتها ومطالبها[٢]، فلا يَدَعُون دنياهم تلهيهم عن أداء ما افترض الله عليهم.

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا[٣] تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ۝٣٧﴾[٤] وصفة هؤلاء الرجال

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة يسبح إذا لم نجعلها عاملاً في الجار والمجرور السابقين؟

الجواب: تكون صفة ثانية لـ«بيوت».

(٢)- **سؤال:** هل المراد أنهم لا يتجرون؟ أم المقصود عدم الالتهاء بها رغم وجودها؟ وما فائدة عطف البيع على التجارة؟ وما المراد بذكر الله هنا؟

الجواب: المراد أن التجارة والبيع لا يلهيهم عن ذكر الله و....، مع وجودها وتمكنهم منها. وفائدة عطف البيع على التجارة للتنبيه على ما هو الأهم من قسمي التجارة من حيث إن الربح يتحقق في البيع دون الشراء. والمراد بذكر الله هنا على ما يظهر لي -والله أعلم- هو تعظيم الله، مخافته ومهابته، فهم وإن اشتغلوا بالتجارة والبيع إلا أن ذكر الله وتعظيمه ومهابته حاضرة في قلوبهم.

(٣)-**سؤال:** هل يصح أن نجعل جملة ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا...﴾ حالية أم لا؟

الجواب: يصح في هذه الجملة أن تكون صفة، وأن تكون حالية؛ لوجود المسوغ لجعلها حالية وهو وصف النكرة.

(٤)-**سؤال:** ما المراد بتقلب القلوب والأبصار؟

الجواب: المراد تتغير القلوب والأبصار من الهول وتضطرب فلا تستقر القلوب والأبصار على حال بل تتغير من حال إلى حال على حسب ما يحصل من الأهوال والحوادث المخيفة العظيمة.

أنهم خائفون من الله تعالى وخائفون من عذابه وسخطه، مما يجعلهم يبادرون إلى طاعته وامتثال أوامره.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا[١] وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٨﴾[٢] وأنهم يفعلون ذلك طمعاً فيما وعدهم الله سبحانه وتعالى من الثواب الذي يتفضل به عليهم زيادة على ما يستحقون[٣].

يذكر الله سبحانه وتعالى هنا حال المؤمنين وصفتهم، ثم شرع في ذكر حال الذين كفروا فقال:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ[٤] كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا

---

(١)- **سؤال:** فضلاً هل في قوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ محذوف مضاف تقديره: جزاء أحسن ما عملوا؟ أم كيف؟

الجواب: هناك مضاف محذوف تقديره ما ذكرتم؛ إذ لا يستقيم الكلام إلا به.

(٢)- **سؤال:** ما المراد بالرزق في قوله: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٨﴾؟

الجواب: الواو في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٨﴾ اعتراضية والجملة معترضة، ومن شأن مثل هذا الاعتراض أن يكون مؤكداً لما سبقه؛ لذلك يكون المعنى في هذه الجملة هو تأكيد المعنى في قوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: أن الله تعالى يعطي من يشاء في الدنيا والآخرة من فضله بغير حساب، أي: العطاء الواسع الكثير.

(٣)- **سؤال:** يقال: ظاهر كلامكم أن الثواب على الطاعة مستحق للعبد، فهل هذا يعارض كون الطاعات في مقابل الشكر على النعم؟ أم كيف؟

الجواب: الطاعات هي شكر لله، وفي مقابلة الشكر على نعمه، إلا أن الله تعالى مع ذلك تفضل على الشاكرين بأن جعل الثواب مستحقاً لهم على أعمالهم وشكرهم، وكم في القرآن من مثل قوله: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة]، ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ [النور:٣٨]، فعلى ذلك لا تناقض.

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾؟

الجواب: يعرب مبتدأً، وكسراب: خبره، والمبتدأ والخبر في محل رفع خبر «الذين كفروا».

جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ فمثل أعمال البر التي يعملها الكفار في الدنيا في عدم الانتفاع بها كمثل السراب في الأرض المنبسطة وحالهم كحال العاطش الذي يتراءى له الماء على مسافة منه فإذا وصل إليه انكشف له عدم ذلك وأنه ليس إلا خيالاً كاذباً، فهم يعملون أعمال البر وهم يظنون أنها مقبولة، وأنهم سينالون جزاءها، غير أنه سيكون خلاف ما يتوقعون فعندما يحين موعد الحساب والجزاء سيكتشفون أنهم لم يحصلوا على شيء من ثواب تلك الأعمال لأنهم أحبطوها بأعمال الكفر التي يعملونها.

وأعمال البر التي كان يعملها المشركون فهي أنهم كانوا يتسابقون ويتنافسون في أعمال الخير من إكرام الضيف، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وحماية الجار، وغير ذلك من الصفات الحميدة التي كانوا يتصفون بها؛ فأخبرهم الله سبحانه وتعالى أن حال أعمالهم هذه كحال ذلك السراب.

هذا، وأما إذا أسلم الكافر بعد ذلك فإن ما قدمه من أعمال البر حال كفره سوف ينفعه، وسوف ينال ثوابه، وذلك لما روي أن حكيم بن حزام سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن أعمال بر كان يعملها في جاهليته وكان يتحنث بها في خلال شركه، فأجابه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((بأنك أسلمت على ما أسلفت من خير))[1]، أو بما في معناه، أراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن من أسلم فله ما أسلف من أعمال البر وأنه يكتب له ثوابها، ويؤخذ من هذا أن من تاب رجعت له الأعمال[2] التي أحبطتها المعاصي.

---

(١)- هذا الحديث مذكور في الروض النضير، وفي فتح القدير، وهو في كثير من كتب الحديث منها: المعجم الكبير للطبراني، مسند أحمد، صحيح مسلم.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم لو تكرمتم بإفادتنا بشيء من الأدلة على هذه المسألة؟

الجواب: هذه المسألة هي مسألة: هل تعود حسنات التائب أم لا، التي في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا٧٠**﴾ [الفرقان]، وقد اختلفوا في معنى قوله: ﴿**يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾، والذي أستقربه من أقوال المختلفين في هذا هو قول من قال إنها تعود حسنات التائب المحبَطَة بالكبائر إذا تاب، ليس لرواية حكيم بن حزام، =

﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ[١] فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وسوف يحاسبهم الله تعالى على أعمال الكفر والمعاصي، وسيجازيهم عليها جزاءً كاملاً.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾[٢] شبه الله تعالى أعمال المشركين تشبيهاً آخر، فشبه أعمال الخير والبر التي كانوا يعملونها في جاهليتهم وشركهم بحال[٣] من هو في ليلة مظلمة في عمق بحر، وفوقه موج، وفوق ذلك الموج موجٌ آخر، من فوق ذلك الموج سحابٌ قد غطى الدنيا بظلمته.

بل لما يأتي:

١- عموم مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ [آل عمران:٣٠].

٢- معنى الإحباط هو أن العمل الصالح لا يقبل من الكافر ومرتكب الكبيرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ...﴾ الآية [التوبة:٥٤]، فإذا تاب الكافر ومرتكب الكبيرة زال المانع من القبول.

٣- التوبة تَجُبّ ما قبلها والإسلام يَجُبّ ما قبله، أي: أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والتائب من الكفر كمن لم يكفر في حكم الله، وحينئذ تبقى الحسنة حسنة وتكون مقبولة.

(١)- **سؤال:** لم يظهر لنا تحليل هذا المجاز أو الاستعارة: ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ فكيف هو؟ وإلام يرجع الضمير في قوله: «عنده»؟

الجواب: ذلك من مجاز الحذف أي: وجد وعيد الله عنده أو عقاب الله. «عنده» أي: عند ذلك الذي حسبه نافعاً فلم يجده شيئاً.

(٢)- **سؤال:** ما محل الجملتين: ﴿مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ ﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾؟

الجواب: «من فوقه موج» في محل رفع صفة لموج في قوله: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾. و«من فوقه سحاب» في محل رفع أيضاً صفة لموج في قوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾.

(٣)- **سؤال:** هل المشبه به الظلمات نفسها، أو من هو فيها؟

الجواب: المشبه به الظلمات ومن هو فيها، والمشبه الكافر وأعماله القبيحة؛ لأن التقدير: أو كذي ظلمات، بدليل: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾.

﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾[١] وأن أعمالهم ظلمات بعضها فوق بعض فكما لا يستطيع المرء أن ينتفع في هذه الظلمات بشيء فكذلك المشركون حال شركهم وضلالهم لا ينتفعون بشيء من الأعمال، لما هم فيه من ظلمات الشرك والجهل والتكذيب والفسوق والعصيان.

﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ[٢] يَرَاهَا﴾ من شدة الظلام المطبق المتراكم.

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ۝٤٠﴾ فلم تنفعهم أعمالهم هذه؛ لأنهم لم يهتدوا بهدى الله تعالى، ولم يستضيئوا بنوره، واختاروا ظلمات الجهل على نور الإسلام[٣].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ[٤] مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ۝٤١﴾[٥] ألم تعلم يا محمد أو أيها

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾؟

الجواب: قوله: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ لا محل لها من الإعراب كالتفسير لما قبلها أو كالتأكيد، و«ظلمات» خبر لمبتدأ محذوف أي: هذه ظلمات. «بعضها فوق بعض» جملة من مبتدأ وخبر في محل رفع صفة لظلمات.

(٢)-**سؤال:** هل لهذه الجملة محل؟ فما هو إن كان؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب شرط غير جازم.

(٣)- **سؤال:** هل من تمام التشبيه أنهم لم يتنوروا بتلك الأعمال، أو لم تكن سبباً في اهتدائهم وحصولهم على النور، أم لا؟

الجواب: نعم، هو من تمام التشبيه، فالمشبه الكافر المعرض عن النور الذي أنزله الله.

(٤)-**سؤال:** ما الوجه في الإتيان بلام الجر هذه، مع أن الفعل يتعدى بنفسه؟

الجواب: الوجه في الإتيان بها أن «يسبح» ضمن معنى «ينقاد» أو نحوها مما يبدأ باللام.

(٥)-**سؤال:** ما الوجه في فصل: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ...﴾ عما قبلها؟ وإلام يرجع ضمير الفاعل في قوله: ﴿يَفْعَلُونَ۝٤١﴾؟

الجواب: فصلت لأنه لم يرد دخولها في معمول ﴿أَلَمْ تَرَ﴾. وفاعل «يفعلون» يرجع إلى معنى «كل» فمعناها الجمع.

المخاطب أن كل[(١)] شيء مما خلقه الله تعالىٰ يسبح الله تعالىٰ وينزهه بما أبدع فيه من عجيب صنعه وقدرته وينطق بأنه الإله الذي يستحق العبودية وحده ويستحق الحمد والثناء وأن ينقاد كل شيء لعظمته وكبريائه؛ إذاً فتسبيحها هو دلالتها علىٰ خالقها ومدبرها بما أبدع من عجيب صنعه فيها.

وخص ذكر الطير لما في النظر والتأمل فيها من البعث علىٰ العجب والتساؤل عما يمسكها في السماء ويمنعها من السقوط، وما هو الذي يسيرها في الهواء؟ فلا بد أن يعترف الناظر بأن قادراً أمسكها، ومدبراً أوجدها علىٰ هذه الصفة العجيبة، ولا بد أن يوحد الله تعالىٰ كل من نظر إليها وينزهه عن الشركاء؛ فهذا هو المراد بتسبيحها، وإسناد التسبيح إلىٰ هذه الأشياء من الإسناد المجازي والمراد أنها سبب في تسبيح الله سبحانه وتعالىٰ لكل من نظر وتفكر فيها، وأيضاً لسان حالها ينطق بأن الله تعالىٰ هو المتفرد بخلقها وإبداعها.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ۝٦﴾، فالمراد أنها منقادة لله تعالىٰ غير خارجة عن ذلك الميزان الذي قدره لها، ولا متخلفة عما أراده الله منها.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ۝٤٢﴾ الله وحده هو الذي بيده ملك السماوات والأرض فتوجهوا إليه بعبادتكم، واتركوا ما تَدَّعُونه من الشركاء والأنداد، وإذا كان مصيركم إليه فتوجهوا إليه واستسلموا له وانقادوا.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ يحث الله سبحانه وتعالىٰ عباده ثانية علىٰ النظر في السحاب، وفي عجيب صنعه وتأليفه وكيف يسوقه تعالىٰ سوقاً خفيفاً، ويسيره في السماء بقدرته وتدبيره.

---

(١)- **سؤال:** يقال: إذاً فلِمَ استخدمت لفظة «من» التي هي للعاقل في فاعل «يسبح»؟ وعلام عطف قوله: «الطير»؟ وما إعراب «صافات»؟

الجواب: جيء بـ«من» الموضوعة للعقلاء لتنزيلهم هنا منزلة العاقل حين أضاف إليهم التسبيح وهو من أفعال العقلاء، أو نقول: إنه غلب العقلاء. و«الطير» معطوف علىٰ الاسم الموصول «من». و«صافات» حال من الطير.

﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ ثم يجمع بين قطع السحاب المتناثرة في السماء فما تلبث أن ترى هذا السحاب قد تكاثف واجتمع وأصبح كتلة واحدة، فمن الذي ألفه وجمع أجزاءه؟

﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ ثم ترى قطرات المطر تخرج من بين السحاب.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾(١) وينزل الله سبحانه وتعالى بقدرته البرد والثلوج من ذلك السحاب، ويحصل ذلك بريح باردة تضربه بإذن الله فتتجمد ذرات المطر هذه حتى تصبح كالجبال من الثلج فينزلها قليلاً قليلاً بقدرته وتدبيره.

﴿فَيُصِيبُ بِهِ(٢) مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ فيصيب الله تعالى به بعض البلدان التي أراد أن يصيبها، ويصرفه عن أخرى بقدرته وتدبيره على حسب مقتضى علمه وحكمته.

﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ۝٤٣﴾ وللمعان برقه قوة قوية يكاد أن يذهب بالأبصار ويأخذها من شدة توهجه ولمعانه.

﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ۝٤٤﴾ ثم حث الله تعالى على التفكر والنظر في آية أخرى من آياته الدالة على إلهيته وقدرته ووحدانيته، وهي آية الليل والنهار وتعاقبهما(٣) لمن أراد أن يعتبر بهما.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما معنى «من» في قوله: ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾؟ وما إعراب الجار والمجرور هذا؟ وهل «من» الداخلة على قوله: ﴿بَرَدٍ﴾ زائدة وهو مفعول به وضحوا هذا أيدكم الله بتأييده؟

الجواب: «من جبال» بدل من قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾. وقوله: «من برد» صفة لجبال، وليست «من» زائدة أي: جبال كائنة من برد.

(٢)-**سؤال:** هل الضمير في «به» يعود على «الودق» أم على «البرد» ولماذا؟

الجواب: الظاهر عوده على البرد لأنه الأقرب.

(٣)-**سؤال:** هل يحتمل التقليب لليل والنهار معنى آخر غير التعاقب أم لا؟

الجواب: نعم يحتمل أيضاً تقليب الليل والنهار بالزيادة والنقصان أو بالحر والبرد.

ثم أخبر أنه لن ينتفع بآياته هذه إلا الذين سلمت عقولهم من أمراض الكفر والنفاق وسلمت عيون فطرهم من غشاوات الكبر والإثم والتمرد.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ والله وحده هو الذي خلق جميع الحيوانات التي تدب على الأرض، وأوجدها بمشيئته وقدرته من تلك النطفة التي تضعها الذكور في الأرحام، فيكونها بحكمته وقدرته وتدبيره.

﴿فَمِنْهُمْ(١) مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ ثم قَسَّم الله سبحانه وتعالى بقدرته هذه الدواب فجعل منها ما يمشي على بطنه، ومنها ما يمشي على رجلين، ومنها ما يمشي على أربع أرجل.

﴿يَخْلُقُ(٢) اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ وفي ذلك دلالة واضحة على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وبعثهم للحساب والجزاء.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ ثم أقسم الله سبحانه وتعالى هنا بأنه قد أنزل لعباده الآيات الواضحة التي تسوقهم إلى معرفته ومعرفة وحدانيته، وأنه وحده الذي يستحق العبادة، والتي تقطع الأعذار على أولئك الذين يعبدون غيره ويتخذون إلهاً غيره.

﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ ثم أخبر أنه يهتدي بآياته هذه عباده الذين استجابوا لدعوة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وآمنوا به وصدقوه، فهؤلاء هم الذين قد شاء أن يهديهم ويزيدهم من النور والهدى، وأما أولئك الذين رفضوا دعوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عندما جاءتهم فقد سلبهم الله سبحانه وتعالى ألطافه وتوفيقه ولن

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما السر في تذكير الضمير مع أن ظاهره العود إلى الدابة؟

الجواب: ذكّر الضمير نظراً للفظ «كل» فإن لفظه مذكر.

(٢)-**سؤال:** هل هذه الجملة ابتدائية لا محل لها من الإعراب؟

الجواب: نعم الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب استؤنفت لبيان نفوذ قدره الله تعالى وأنه لا يعجزه تعالى شيء.

يوفقوا إلىٰ توبة أبداً ما داموا مصرين علىٰ ما هم عليه من الكبر والكفر والتكذيب والتمرد.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ امتلأت المدينة بالمنافقين، وأصبحوا الكثرة الكاثرة، وكانوا يَدَّعون الإيمان بالله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بألسنتهم فقط وأما قلوبهم فكانت مليئة بالكفر.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ فبعد إيمانهم بالله تعالىٰ ورسوله ومبايعتهم علىٰ السمع والطاعة لله ورسوله يذهبون إلىٰ فعل خلاف ما عاهدوا وبايعوا عليه؛ لأنهم لا زالوا كفاراً في الأصل والحقيقة[١].

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ[٢] بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ۝٤٨﴾[٣] ثم وصفهم الله تعالىٰ بأنهم إذا اختصموا مع أحد ثم دعاهم إلىٰ

---

(١)-**سؤال:** يقال: فما السر في إسناد التولي إلىٰ فريق منهم فقط؟

الجواب: قد كان بعضهم شديد التكتم علىٰ نفاقه، فلم يظهر منهم ما يدل علىٰ النفاق، وهم من قال الله لنبيه: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة:١٠١].

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في إفراد الضمير في قوله: ﴿لِيَحْكُمَ﴾؟

الجواب: الوجه هو تعظيم الله تعالىٰ من أن يُـجمع مع رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ضمير تثنية، فضمير التثنية موضوع لتثنية الشيئين المتساويين، والرب العظيم والعبد الضعيف غير متساويين.

(٣)-**سؤال:** هل يستنبط من الآية أن من دعي إلىٰ حاكم شرعي أو عالم عامل للمحاكمة فأعرض أنه يخرج عن اسم الإيمان؟ وما الحكم لو كان المحكم جاهلاً أو ظالماً؟

الجواب: نعم، يؤخذ من الآية ما ذكرتم إلا أنه ينبغي التفرقة بين من دعي إلىٰ التحاكم عند الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبين من دعي إلىٰ التحاكم عند حكام أمته العدول، فرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ معصوم؛ لذلك ينبغي فتح باب التأويل -إن احتمل- لمن دعي إلىٰ حاكم حق فأعرض، فنقول في التأويل مثلاً: لعل هذا المعرض غير مطلع علىٰ ثقة الحاكم وعدالته وأمانته ودينه وعلمه، أو قد يكون سيء الظن به لشبهة أو.. أو...، فإذا كان المعرض عن المحاكمة من أهل بلد الحاكم مطلعاً علىٰ ديانته

=

حكم الله ورسوله رفضوا ذلك وأعرضوا عنه، وذلك لأنهم في الحقيقة لا زالوا على الكفر والشرك؛ وقد جعل الله سبحانه وتعالى ذلك علامة لهم يعرفون بها بين الناس.

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ۝٤٩﴾ وأما إذا عرفوا أن الحق لهم عند أحد فإنهم يقبلون إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منقادين مسرعين ليحكم لهم.

﴿أَفِي[1] قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ ما السبب في رفضهم المحاكمة إلى الله تعالى ورسوله، هل هو لأجل أن قلوبهم لا زالت مليئة بالكفر؟ أم لريبتهم في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه لن يحكم بالحق؟ أم كانوا خائفين أن يجور عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلا ينتصف لهم؟ والحيف هو الميل والجور.

﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ۝٥٠﴾[2] فليس هذا ولا ذاك، بل لا زالوا على الكفر

وورعه وثقته وأنه من أهل العلم الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، ومطلعاً على أحواله وأنه من أهل التأني في القضاء ومن أهل التثبت، فلا مجال حينئذ للتأويل.

أما إذا كان المحكم جاهلاً أو ظالماً فلا حرج على من أعرض عن التحاكم إليه، بل لا يجوز أن يرضى بالتحاكم إليه، إلا إذا وثق من نفسه بالقدرة على الحيلولة بين الحاكم والحكم عليه بالباطل، وعرف أنه بتحاكمه إليه لا يتسبب في التغرير على الناس أو على بعضهم بأهلية الحاكم.

(١)- **سؤال:** ما فائدة الاستفهام في هذه الآية أو ما معناه؟ وعلام عطف الفعل المضارع ﴿يَخَافُونَ﴾؟

الجواب: الاستفهام تقريري و«أم» هي المنقطعة في الموضعين، و«يخافون» معطوف على ما قبله.

(٢)- **سؤال:** هل إطلاق الظلم عليهم حقيقة فمن أي الحقائق؟ أم مجاز فما نوعه؟ وهل بين هذا الإطلاق والمعنى اللغوي مناسبة فما هي؟

الجواب: الظلم هنا هو الظلم اللغوي فهو حقيقة لغوية، وحقيقته: الضرر العاري عن جلب نفع أو دفع ضرر، والمنافقون وصفوا بالظلم لأنهم أدخلوا على أنفسهم الضرر العظيم بأعمالهم الخبيثة، والظاهر أن الظلم باق على معناه اللغوي في استعمالات القرآن وأهل الشرع، فالقرآن وأهل الشرع يسمون الكافر والفاسق والمنافق ظالماً؛ لأن كل واحد من الكافر والفاسق والمنافق يدخل على نفسه الضرر العاري عن جلب نفع أو دفع ضر بكفره وفسقه ونفاقه.

والضلال ولم يؤمنوا بالله ورسوله ﷺ.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ[١] الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن من شأن المؤمنين إذا دعاهم أحد إلى التحاكم إلى الله تعالى ورسوله أن يجيبوا بالسمع والطاعة.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾ يبشرهم الله سبحانه وتعالى بأنهم هم الذين سيظفرون بثواب الله تعالى ورضاه.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ[٢] فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝٥٢﴾ فمن يتبع أوامر الله سبحانه وتعالى ويستجب لرسوله ﷺ ويتق عصيان الله تعالى ورسوله فهؤلاء هم الذين سيفوزون برضاء الله سبحانه وتعالى وثوابه في الدنيا والآخرة.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾[٣] أخبر الله سبحانه وتعالى عن شأن المنافقين بأنهم كانوا يحلفون للنبي ﷺ بأبلغ الأيمان وأغلظها بأنه إن أمرهم بالخروج للجهاد معه ليخرجن.

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم ما الوجه في نصب ﴿قَوْلَ﴾؟ ولماذا لم يرفع؟

الجواب: نصب على أنه خبر كان مقدم واسمها هو: ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا﴾ مؤخر وقد قرئ برفع «قول» على أنه اسم كان.

(٢)- **سؤال:** ما السر في تسكين القاف من «يتقه» مع أنه جزم بحذف الياء والقاف مكسورة في الأصل؟

الجواب: شبه «تقه» بكتف فخفف بتسكين القاف، فهو سكون عارض للتخفيف.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾؟ وما فائدة دخول اللام على حرف الشرط «إن»؟ وهل قوله: «ليخرجن» جواب للشرط أم للقسم؟

الجواب: «جهد أيمانهم» مفعول مطلق، وفائدة اللام الإيذان بالقسم، وقوله: «ليخرجن» جواب القسم الذي دلت عليه اللام، وهو ساد مسد جواب الشرط.

﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾[(١)] فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يرد عليهم بأن لا يحلفوا فهم معروفون وكيفية طاعتهم معروفة.

﴿إِنَّ[(٢)] اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ۝﴾ وأن يخبرهم بأنهم مهما حلفوا وأقسموا من الأيمان فإن الله سبحانه وتعالى عالم بأعمالهم ومطلع عليها وعلى نياتهم القبيحة والمكائد التي يكيدونها لنبيه ﷺ وللإسلام في الخفاء.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن يبلغ الناس ويأمرهم بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله، وأنهم إن تمردوا عن قبول ذلك ورفضوا دعوتك يا محمد وردوها واستهزئوا بها: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾[(٣)] فما على الرسول إلا أداء ما حمله الله تعالى وكلفه من تبليغ رسالات الله قبلوا أم لم يقبلوا، وليس مكلفاً بإدخالهم في الإسلام.

﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ وأنتم أيها الناس عليكم ما حملكم نبيكم من الشرائع والأحكام، وقد لزمتكم الحجة، فإن أطعتم فسيثيبكم الله تعالى، وإن تمردتم فوزر

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾؟ وما الذي عمل فيه الرفع؟

الجواب: «طاعة» خبر لمبتدأ محذوف، أي: المطلوب منكم طاعة معروفة، أو أمركم المطلوب منكم طاعة معروفة.

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في كسر همزة «إن»؟

الجواب: كسرت لوقوعها في أول الكلام المستأنف.

(٣)- **سؤال:** ما السر في تغيير الضمير من الخطاب إلى الغيبة؟ وكذا العكس في: ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾؟

الجواب: يسمى هذا بالالتفات، والسر فيه هو تطرية نشاط السامع وحمله على الإصغاء.

سؤال: هل يصح الاستدلال بالآية على من أعرض عن بعض أوامر النبي ﷺ ولم يطبقها وإن استجاب لدعوته؟

الجواب: نعم، يصحح بل إنها نزلت فيمن كان كذلك.

تمردكم على ظهوركم.

﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴿٥٤﴾﴾ ينصحهم الله تعالى بأنهم إن أطاعوا رسوله فقد أجابوا إلى ما فيه هداهم ونجاتهم، وأما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقد أدى ما لزمه من التبليغ وإلزام الحجة، وأما دخولهم في الهدى وقبولهم فأمر ذلك راجع إليهم، وهذا كما ذكرنا من أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يتألم الألم الشديد وكاد أن يقتله الأسى والحزن على عدم إيمان قومه وعدم قبولهم دعوته، وما كان من حرصه الشديد على دخولهم في الهدى واستنقاذهم من عذاب الله تعالى وسخطه رحمة وشفقة بهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية ليؤذنه بأنه قد أدى ما عليه.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ[1] فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أبطأ نزول النصر على المؤمنين، وطال انتظارهم له، وطال عليهم البلاء والشدة والأذى من المشركين، فأخبرهم الله سبحانه وتعالى بأنه قد وعدهم بأنه سيقهر المشركين، وسيذلهم ويكسر شوكتهم، ويقطع دابرهم إما باستئصالهم بعذابه أو بخزي الدنيا، وأنهم بعد ذلك سيكونون المسيطرين في الأرض وأصحاب القهر والغلبة والسلطان، وأن دينهم سيعلو على دين المشركين وعلى بقية الأديان، أراد الله سبحانه وتعالى بذلك أن يشجعهم على الصبر على دينهم، وعلى ما يلحقهم من المشركين.

وأخبر أن حالهم كحال أتباع الأنبياء السابقين وهو أن النصر والغلبة والسيطرة في النهاية لهم.

---

(١)-**سؤال:** أين مفعول: ﴿وَعَدَ﴾؟ وما إعراب: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾؟

الجواب: مفعوله الأول هو الاسم الموصول، ومفعوله الثاني محذوف، أي: الاستخلاف، وحذف لدلالة ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ عليه، و«ليستخلفنهم»: جواب قسم محذوف، أو جواب «وَعَدَ الله»؛ لأنه بمنزلة القسم.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ﴾ ووعدهم أيضاً بأنه سيقهر جميع الأديان حتى يصبح دين الإسلام هو المسيطر في الأرض فوق جميع الأديان.

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ ووعدهم أيضاً بأنه سيبدلهم الأمن والأمان والرخاء والسيطرة بعد ذلك الخوف والأذى الذي يلحقهم من المشركين.

﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا﴾(١) وستكون كلمة الله هي العليا، وستكون عبادته هي السائدة الظاهرة في جميع أقطار البلاد بعد أن كانت عبادة الأصنام هي الدين السائد(٢).

﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٣) فبعد أن يمكن الله

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما محل جملة: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾؟ وما يترتب على هذا الإعراب من معنى؟ وما محل جملة: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِى..﴾ من الإعراب؟

الجواب: «يعبدونني» جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب واقعة في جواب سؤال مقدر عن العلة والغرض، وعلى هذا الإعراب فسرناها في الكتاب، و«لا يشركون بي شيئاً» لا محل لها من الإعراب أيضاً؛ لأنها بمنزلة البدل من الجملة الأولى.

(٢)- **سؤال:** يقال: هل قد حصل هذا الوعد من الله؟ ومتى؟ أم أن المراد به ما يحصل في آخر الزمان بظهور خاتم الأئمة، وقاشع الظلمات عن هذه الأمة المهدي المنتظر؟

الجواب: قد حصل هذا الوعد للمخاطبين فعم الإسلام جزيرة العرب في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم بعد زمانه تمدد في الأرض فاستخلفهم الله تعالى كما استخلف بني إسرائيل ليختبرهم، قال تعالى لبني إسرائيل: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف]، ويدخل في هذا الوعد جميع من تحقق بالإيمان والأعمال الصالحة من جماعات أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة؛ إذ لم يؤثَر أن المؤمنين الأولين يختصون بذلك الوعد من دون غيرهم من المؤمنين، ويدخل في هذا الوعد أيضاً ما يحصل في آخر الزمان من ظهور خاتم الأئمة عليه وعليهم السلام.

(٣)- **سؤال:** كثيراً ما يطلق الباري تعالى الفسق على أهل الكفر كما في هذه الآية وأمثالها خصوصاً مع استخدام المؤكدات وهذا يشكك بعض الطلبة في أن إطلاق الفسق على مرتكب الكبيرة حقيقة =

سبحانه وتعالىٰ دينه في الأرض فإن من تراجع عنه فقد حكم الله تعالىٰ عليه بالخروج عن الإيمان واستوجب سخط الله تعالىٰ وعذابه.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالىٰ عباده المؤمنين بأن يداوموا علىٰ أداء ما افترض عليهم من الصلوات بشرائطها من الوضوء والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة وإباحة المكان والنية، واستيفاء أذكارها وأركانها، وكذلك بإخراج ما أوجب عليهم في أموالهم إلىٰ فقرائهم، وأن لا يُخِلُّوا بشيءٍ من ذلك.

﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ۝٥٦﴾ والتزموا ما يأمركم به نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لتدخلوا في سلك رحمة الله تعالىٰ وثوابه في الدنيا والآخرة.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ۝٥٧﴾(١) ثم وجه الله سبحانه وتعالىٰ خطابه إلىٰ نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمقصود به المؤمنون جميعاً، وذلك لكونه الكبير والقائد، فأخبرهم الله تعالىٰ بأن لا يظنوا أن الله تعالىٰ عاجز عن أخذ الكافرين بعذابه وبأن ما هم فيه من الأمن والرخاء والسعة والجاه والسلطان ليس إلا لإكمال الحجة عليهم وقطع أعذارهم يوم القيامة وسيأخذهم بعد ذلك، فهم تحت قبضته وسيطرته، وفي الأخير سيعذبهم في نار جهنم وبئس المصير.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ثم رجع الله تعالىٰ إلىٰ تلقين عباده الآداب التي ينبغي أن يتأدبوا بها ويلتزموا بها في حياتهم الدنيا.

﴿لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ

شرعية، فكيف يجاب علىٰ ذلك؟

الجواب: إطلاق الفسق علىٰ مرتكب الكبيرة هو حقيقة شرعية، بمعنىٰ أن أهل الكلام اصطلحوا عليها فهي بذلك حقيقة اصطلاحية شرعية، وليس المراد أنها كذلك بوضع الشارع.

(١)-**سؤال:** ما معنىٰ اللام الداخلة علىٰ «بئس» في قوله: ﴿وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ۝٥٧﴾؟

الجواب: اللام واقعة في جواب قسم محذوف.

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(١) مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ أمر الله سبحانه وتعالىٰ عباده بتأديب من لم يبلغ من أولادهم وعبيدهم بهذه الآداب وهي تعليمهم متىٰ يستأذنون عند دخولهم عليهم، وخاصة في هذه الثلاثة الأوقات التي هي قبل صلاة الفجر؛ لأنهم كانوا في العادة يجلسون مع زوجاتهم في ذلك الوقت، وكذلك وقت الظهيرة وبعد صلاة العشاء؛ لأن الغالب في هذه الأوقات أن يكون الرجل مع امرأته، فأمرهم بذلك لأجل أن لا يصادف دخولهم تلك الحالة فيطلعوا منهم علىٰ ما يكرهون، وخاصة في ذلك الزمان لقلة الإمكانيات من وجود الأبواب ونحوها، وأما اليوم فقد تغير الوضع بالنسبة لذلك الزمان، والمراد بثلاث مرات: مرة في كل وقت من هذه الأوقات.

﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾(٢) والمفترضُ بكم أن تعلموهم الاستئذان في هذه الأوقات لئلا يطلعوا علىٰ عوراتكم وما لا تحبون أن يطلع عليه أحد من أسراركم.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ فقد رفع الله تعالىٰ الجناح والحرج في غير هذه الثلاثة الأوقات، وقد أباح لهم أن يدخلوا عليكم بدون أخذ الإذن.

﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾(٣) يؤكد الله سبحانه وتعالىٰ بذلك

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب «ثلاث مرات»؟ وما معنىٰ «من» في قوله: «من قبل»؟

الجواب: يجوز إعرابها -أي: ثلاث مرات- علىٰ أنها منصوبة علىٰ الظرفية الزمانية، ومرات: بمعنىٰ أوقات، وقوله: «من قبل صلاة الفجر» بدل من «ثلاث مرات»، ومعنىٰ «من»: ابتداء الغاية، وقد جوّزوا في «ثلاث مرات» أن يكون مفعولاً مطلقاً، والأولىٰ ما ذكرناه؛ لأنهم لم يؤمروا أن يستأذنوا ثلاث مرات، بل أمروا أن يستأذنوا في ثلاثة أوقات.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ﴾ إن كانت خبراً فما الوجه في حذف المبتدأ؟

الجواب: «ثلاث» خبر لمبتدأ محذوف، والوجه في حذفه هو تقدم ما يدل عليه.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾؟

الجواب: «طوافون» خبر لمبتدأ محذوف أي: هم طوافون عليكم، «بعضكم علىٰ بعض» مبتدأ وخبر، ويجوز أن يكون «بعضكم» بدلاً من «طوافون».

سؤال: إذا كانت العلة هي اعتياد الناس للجلوس مع نسائهم في تلك الأوقات ثم أصبحت العادة

=

رفع الجناح، و«طوافون» أي: تكثر مخالطتهم لكم.

وأما بالنسبة للمرحلة التي ينبغي أن تعلموا فيها صبيانكم فهي تكون من بداية تمييزه بين الأشياء، ومن حين يعقل التأديب.

هذا، وتأديب الأولاد وتعليمهم آداب الإسلام بجميع أشكالها واجب على الأولياء كالطهارة، وحسن الكلام، وحسن الأكل، وحسن المعاملة، وغير ذلك من الآداب التي يكثر تعدادها ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته...)) الحديث(١).

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ۝٥٨﴾ يبين الله سبحانه وتعالى لعباده أحكام دينه في هذه السورة من أحكام الزنا والقذف وغير ذلك مما تقدم ذكره؛ لما علم من المصلحة والحكمة في ذلك، ولما يعود عليهم من المنفعة في الدين والدنيا.

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا(٢) كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ثم انتقل الله سبحانه وتعالى إلى ذكر ما ينبغي أن يتعلمه الأطفال بعد بلوغهم فأخبر أنه يجب تعليمهم الاستئذان في جميع أوقات الليل والنهار، والمراد

في زماننا في ذلك في أوقات أخرى فهل تقاس هذه الأوقات الأخرى، كمنتصف الليل على تلك المنصوصة أم لا، ولماذا؟

الجواب: إذا اعتاد الناس الجلوس مع نسائهم في أوقات أخرى غير الثلاثة المذكورة في هذه الآية فتقاس على الأوقات المنصوصة؛ لأن العلة واضحة وهي خشية الاطلاع على ما لا ينبغي الاطلاع عليه.

(١)- **سؤال:** هل يسقط هذا الواجب بحمل الأطفال وترغيبهم على الدراسة عند المرشدين والمرشدات؟

الجواب: من فعل ذلك فقد قام بما يجب عليه في باب الأدب أو بأكثره.

(٢)-**سؤال:** هل الأمر في هذه الآية للأولياء، أم لمن بلغ من الأطفال؟ وما دليل ذلك؟

الجواب: وجه الخطاب إلى الأولياء بأن يأمروا أطفالهم الذين بلغوا الحلم بالاستئذان عند الدخول عليهم في أي وقت، وعلى هذا فالوجوب على الأولياء أولاً؛ لأن أولادهم حديثو عهد بالطفولة فلا يتم قيامهم بما أوجب الله عليهم كما ينبغي إلا بأمر الولي وهيبته.

بـ«الذين من قبلهم» البالغون الذين ألزمهم الله الاستئذان في كل وقت.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴿٥٩﴾﴾ لما علم من الحكمة والمصلحة في تعليمهم ذلك.

﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ[1] بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى حكم النساء اللاتي قد قعدن عن الحيض والولد وقد تقدمن في السن وانقطع طمع الرجال فيهن، فأخبر أنه لا جناح ولا حرج عليهن أن يخرجن[2] بين الناس، وذلك لأن مظنة الفتنة قد ارتفعت، ولكن لا يلبسن الزينة التي تبعث على الشهوة؛ لأن الحكمة من تحريم النظر والتبرج هو سد منافذ الفتنة وأبواب الشيطان، وهذه قد أصبحت في مرحلة لا يفتتن بها أحد.

ثم أرشدهن الله سبحانه وتعالى إلى الأحسن والأفضل لهن، وهو أن يستعففن ويستترن في بيوتهن، فلا يخرجن إلا لحاجتهن.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴿٦٠﴾﴾ فاحذروا أن تقعوا فيما يسخط الله تعالى، فهو عالم بما في ضمائركم ونياتكم، وسيجازيكم عليها، فينبغي أن يصلح كل امرئ نيته، ويحفظ فرجه ولسانه.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ﴾؟

الجواب: تعرب حالاً من فاعل ﴿يَضَعْنَ﴾.

(٢)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أنها في رفع الحرج عن زيادة التستر والاحتشام في الثياب، فما مرادكم بحملها على الخروج بين الناس؟ وما هي الثياب التي أبيح لهن طرحها؟

الجواب: نعم، ظاهر الآية هو ما ذكرتم، والثياب التي أبيح لهن طرحها هي الثوب الذي تضعه المرأة فوق الخمار، والثوب الذي تلبسه فوق ثيابها عند الخروج من البيت، وحينئذ فمرادنا في التفسير أنه لا حرج على القواعد من النساء أن يضعن مثل هذه الثياب عند الرجال الأجانب؛ لأن الفتنة مأمونة في القواعد اللاتي بلغن من الكبر حداً ينقطع فيه طمع الرجال فيهن.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ كان الأعمى قبل أن تنزل هذه الآية يتحرز عن مؤاكلة الأصحاء، ويتجنب الأكل معهم خوفاً أن يقع فيما لا ينبغي، وكذلك الأعرج لكونه يحتاج إلى أن يشغل مكان غيره، وكذلك المريض خوفا أن يتسبب في أذية أحد أو استكراه النفوس للأكل معه، فأنزل الله تعالى هذه الآية يخبرهم بأنه لا حرج عليهم في فعل ما تحرجوا عنه.

﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا(١) مِنْ بُيُوتِكُمْ(٢) أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ﴾(٣) رفع الله تعالى الحرج عن المؤمنين وأباح لهم مؤاكلة هؤلاء ومخالطتهم(٤) والأكل من بيوت المذكورين من الآباء والأمهات و... و... إلخ، وذلك أن الله تعالى عندما أنزل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ [النساء:١٠]، ونحوها من الآيات أصبحوا يتحرجون ويتشككون في مؤاكلة هؤلاء ومخالطتهم خوفاً أن يأكل أحدهم شيئاً من نصيب صاحبه.

---

(١)-**سؤال:** ما محل المصدر: ﴿أَنْ تَأْكُلُوا﴾ الإعرابي؟

الجواب: محله الجر بـ«في» مقدرة.

(٢)- **سؤال:** ما العلة في رفع الحرج عن المؤمن في أكله من بيته المفهوم من قوله: ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾؟

الجواب: المراد بقوله: «من بيوتكم» أي: من بيوت أولادكم، بدليل أنه ذكر بعدها بيوت الآباء والأمهات والإخوة والأخوات؛ فرفع الحرج في أن ما يأكله لابنه.

(٣)-**سؤال:** إذا وجد عدم طيبة النفس من أحد هذه البيوت فهل يجوز الأكل أم لا يجوز؟

الجواب: إذا ظن الآكل عدم طيب النفس من أحد تلك البيوت فلا يجوز له الأكل، إلا إذا كان له حق في المأكول، كأن يكون شريكاً فيه، أو كان ممن تجب نفقته على صاحب البيت.

(٤)-**سؤال:** فضلاً هل التحرج في المخالطة فقط؟ أم فيها وفي الأكل من هذه البيوت المذكورة ولو ولو بدون خلطة، مع التوضيح؟

الجواب: الظاهر أن المراد رفع الحرج في الأكل من هذه البيوت ولو بدون خلطه، ﴿جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾.

﴿أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وكذلك لا جناح على الرجل أن يأكل من مكان أباح أهله له الأكل منه وأعطوه مفاتحه، وكذلك أصدقاؤكم لا جناح عليكم أن تأكلوا من بيوتهم؛ لجري العرف والعادة بالتسامح في ذلك.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ رفع الله تعالى الجناح في الأكل في بيوت من ذكر مجتمعين أم متفرقين.

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً(١) مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ أرشد الله تعالى المؤمنين إذا دخلوا البيوت المذكورة أن يسلموا على أهلها بتحية الإسلام الطيبة المباركة.

وقوله: ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أراد الله تعالى إخوانكم من المؤمنين، وذلك أن المؤمنين كالنفس الواحدة(٢).

وقد شرع الله تعالى السلام تحية بين عباده فيما بينهم؛ لأن التحية كانت من قبل فيما بينهم: عِمْ صباحاً، وعِمْت مساءً، وما أشبه ذلك؛ فأرشدهم الله تعالى إلى تحية الإسلام، ووصفها بأنه جعلها كثيرة النفع والبركة لعباده.

ومعنى «طيبة»: تستلذ بها النفوس وترتاح إليها.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٦١﴾ وهي الأحكام التي فيها تفصيل شرائعه وآدابه يبينها لعباده؛ لكي ينتفعوا بها ويعملوا بأحكامها.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾(٣) ثم أخبر الله تعالى أنه لا يستحق أن يسمى مؤمناً، ولن

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿تَحِيَّةً﴾؟

الجواب: مفعول مطلق.

(٢)-**سؤال:** هل هو استعارة أم مجاز فما نوعه؟

الجواب: هو استعارة مبنية على تشبيه الإخوان المؤمنين بالنفس.

(٣)- **سؤال:** يقال: الحصر والقصر في هذه الآية في صفات معينة وفي آية الأنفال كذلك وفي آية

=

ينال حقيقة الإيمان إلا أهل هذه الصفة، وهم الذين صدقوا بالله تعالىٰ ووحدانيته، وصدقوا ما جاءهم به أنبياؤه ورسله وأطاعوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيما كلفهم به، ولم يتهربوا من طاعته كما يتهرب المنافقون في الأمور الجامعة، والمراد بها: أمر الجهاد ونحوه من الأمور العامة التي تهم جماعة المسلمين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه لن يستأذنه إلا المؤمنون، وأن من استأذنه منهم فإن له أن يأذن لمن شاء منهم، ممن لا تدعوه إليهم حاجة أو ضرورة، وأن يطلب(١) لهم المغفرة لأجل استئذانهم ذلك.

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ يدل على أن إجابة دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واجبة، وأن تنفيذ مطالبه واجبة كيفما كانت الظروف، وأن شأنه ليس كشأن بقية الناس(٢).

الحجرات في صفات أخرىٰ فكيف يصح لنا أن نستدل بها علىٰ أنه لا يستحق اسم الإيمان إلا من فعل تلك الأعمال أو أتىٰ بالواجبات واجتنب المقبحات مع اختلاف تلك الصفات؟

الجواب: القصر في كل آية مما ذكرتم هو قصر إضافي أي: بالإضافة إلىٰ اعتقاد المخاطبين فقد يكون بعض المخاطبين متوهماً أن الذهاب بغير إذن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يخل بالإيمان وهكذا فيما ذكرتم.

(١)-**سؤال:** ما وجه طلبه للمغفرة لهم مع أنه وصف المستأذنين بأنهم المؤمنون بالله ورسوله؟

الجواب: الوجه هو التنبيه علىٰ أن لا يقع منهم الاستئذان وإن أذن لهم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأن الاستغفار يدل علىٰ الذنب.

(٢)-**سؤال:** هل يؤخذ منه أن العالم العامل يستحق مثل هذه الخصلة من الرعاية والاهتمام بندائه وتنفيذ مطالبه أم لا؟ مع التعليل من فضلكم؟

الجواب: للإمام العامل العادل الداعي إلىٰ الله من الاستحقاق لإجابة مطالبه التي تتعلق بالدعوة إلىٰ الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك مثل ما كان يجب لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأنه خليفته والقائم مقامه.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾(١) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه عالم بأولئك الذين يلوذ بعضهم في بعض يتحينون الفرص للتسلل خلسة من مجلس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بدون أي استئذان، وهذا تهديد من الله سبحانه وتعالى لهم بأنه سيجازيهم على أعمالهم تلك.

وأيضاً يحذرهم الله تعالى أن يتعرضوا لمثل هذه الأعمال التي توقعهم في الفتنة والابتلاء والمحنة بما لا يثبتون على القيام به، كما حصل مع أولئك المتمردين من بني إسرائيل عندما ابتلاهم الله تعالى بالسمك حيث كانت تأتيهم يوم سبتهم ظاهرة على الماء سهلة المنال، وكان الصيد محرماً عليهم في ذلك اليوم، فكانوا يتحيلون لصيدها رغم ذلك، وما ذلك الابتلاء والاختبار إلا لأجل فسقهم وتمردهم عن طاعة الله تعالى وتجاوزهم لحدوده، فحذر الله تعالى هؤلاء عن مخالفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعدم إجابته بأن ينالهم مثل ما نال أولئك المتمردين من بني إسرائيل من الفتنة.

وأما المؤمنون فإن الله تعالى يحوطهم بلطفه وشفقته، فلا يعرضهم لمثل تلك الفتن التي تقربهم إلى معصيته والخروج عن حدوده.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو المالك المتصرف في كل ما في السماوات والأرض.

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ فهو عالم بما في نياتكم وضمائركم، وعالم بأهل النيات الخبيثة والنيات الحسنة.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما معنى ﴿قَدْ﴾ هنا؟ وما إعراب: ﴿لِوَاذًا﴾؟ وكذا المصدر: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ﴾؟

الجواب: «قد» هنا للتكثير وفيها أيضاً مع التخفيف، و«لواذاً» مفعول مطلق من نوع «يتسللون» أو لفعل محذوف يلوذون لواذاً.

سؤال: ما الوجه في تعدية الفعل ﴿يُخَالِفُونَ﴾ بـ«عنه» مع أنه يتعدى بنفسه فيقال: يخالفون أمره؟

الجواب: عدي بـ«عن» لتضمنه معنى يعرضون.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ(١) إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴿٦٤﴾﴾
وسوف يرى كل امرئ يوم القيامة ما عمله في السر والعلن حتى مثقال الذرة فهي مسجلة عند الله تعالى وقد أحصاها كتابه، وسيجازيهم على هذه الأعمال، وعلى ما أضمروه في نياتهم وسرائرهم.



(١)-**سؤال:** ما الوجه في تغيير الضمير إلى الغيبة؟

الجواب: هذا من باب الالتفات والوجه فيه: تحريك نشاط السامع وتنبيهه إلى الإصغاء والاستماع إلى الكلام.

سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يفتتح الله سبحانه وتعالى كل سورة بذكر ثلاثة أسماء من أسمائه وهي: الله الرحمن الرحيم- إشارة منه تعالى إلى أنه أنزل القرآن رحمة بعباده لأجل أن يستنقذهم به من ظلمات الجهل والضلال والهلاك، ويدلهم به إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، وأنه لم ينزله علينا لأجل أن يعسر علينا بتكاليفه وأحكامه.

﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا①﴾[(١)] يعني: أن الله سبحانه وتعالى قد تكاثر خيره وإحسانه، ونَمَتْ نعمه على عباده، وعبر عن ذلك بـ«تبارك»؛ لأن من المعروف أنهم يعبرون عن كل شيء يتكاثر وينمو بالبركة، ومن جملة منافعه ونعمه الكبيرة علينا إنزال القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسمي الفرقان بهذا الاسم لأنه يَفْرُقُ بين الحق والباطل بآياته وأحكامه، ويضيء لنا طريق الحق والهدى، ويدلنا عليها، فيجب أن نتلقى نعمته العظيمة هذه بالشكر، وتأدية ما فرض وأوجب علينا.

﴿الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثم وصف نفسه بأنه الإله الذي له ملك السماوات والأرض وما فيهما، وأنه وحده المسيطر على ذلك الملك بقدرته وعلمه وتدبيره.

﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما يقول اليهود والنصارى والمشركون.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كان المشركون يعبدون الأصنام ويقولون إنها

---

(١)- **سؤال:** ما وجه الاقتصار هنا على الإنذار دون بقية فوائد القرآن كالتبشير ونحوه كما في الآيات الأخرى؟

الجواب: يمكن أنه ذكر الإنذار هنا دون التبشير لأن السورة مكية والكلام فيها موجه إلى المشركين غالباً والخطاب معهم.

شركاء مع الله سبحانه وتعالى في الإلهية، فأجاب الله سبحانه وتعالى عليهم بأنه ليس كما يزعمون فهو وحده الذي له ملك السماوات والأرض لا يشاركه في ذلك أحد.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وهو وحده الذي تفرد بخلق كل شيء، وأما تلك الأصنام التي تعبدونها فليست إلا أحجاراً منحوتة ومخلوقة.

﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا۝٢﴾ خلق كل شيء على حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة، وعلى قدر ما تدعو إليه الحاجة من دون أي زيادة أو نقصان، فالشمس والقمر والنجوم والبحار وكل شيء في هذا الكون خلقه الله، وجعله على قدر معلوم وميزان موزون، على حسب ما يلائم استقامة الحياة، بحيث أن شيئاً من ذلك لو زاد أو نقص لاختل توازن الحياة ولفسدت.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ نزلت هذه السورة في مكة وأهلها يعبدون الأصنام، فاستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم ذلك، وأنهم لا يعبدون إلا أحجاراً ينحتونها بأيديهم، فلماذا لا يتوجهون بعبادتهم إلى الله الذي نزل الفرقان والذي له ملك السماوات والأرض، والذي بيده خلق كل شيء؟!! فهو أهل لأن يعبد دون تلك التي لا تملك أي شيء ولا تستطيع أن تخلق شيئاً، ولا تحمل أي صفة من صفات الإلهية.

﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾(١) يعبدون هذه الآلهة مع أنها مخلوقة مثلهم.

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ(٢) لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ وليس في مقدورها أن تنفع حتى أنفسها فضلا عن غيرها، وكذلك لا تستطيع أن تضر أنفسها بشيء.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما محل هذه الجملة: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾؟

الجواب: محلها النصب على الحالية.

(٢)-**سؤال:** علام عطفت هذه الجملة؟

الجواب: عطفت على الجملة الحالية، فهي في محل نصب أيضاً.

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا۝٣﴾ فالموت والحياة والبعث والنشور بيد الله سبحانه وتعالى وحده، أما تلك الآلهة التي يعبدونها فهي بعيدة كل البعد عن أي شيء من هذه الأشياء.

يطلعنا الله سبحانه وتعالى هنا على سخافة عقول المشركين عندما يعبدون هذه الآلهة التي تحمل صفات النفي هذه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا۝٤﴾[١] عندما بعث الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأنزل عليه القرآن يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك الأصنام قال مشركو مكة: ليس هذا الكلام الذي جاء به محمد إلا كذباً وافتراءً من عند نفسه، وليس من كلام الله كما يزعم، وليس نبياً كما يدعي، وقد ساعده[٢] على ترويج كذبته هذه بعض سفهاء القوم وعبيدهم، ثم أجاب الله سبحانه وتعالى عليهم بأنهم قد ظلموا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بادعائهم عليه هذه الادعاءات الكاذبة، ونسبتهم إليه هذه التهم الباطلة.

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ[٣] اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا۝٥﴾

---

(١)-**سؤال:** هل التعبير بقوله: ﴿جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا۝٤﴾ حقيقة أو مجاز؟ ومن أي الأنواع هو؟

الجواب: «جاء، وأتى» يستعملان بمعنى «فَعَل»، هكذا قال صاحب الكشاف، وظاهر كلامه أنه استعمال حقيقي، فمعنى «جاءوا ظلماً»: فعلوا ظلماً.

(٢)-**سؤال:** هل عرف أحد ممن ادعوا أنه أعان النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك؟

الجواب: ذكر الرازي في تفسيره: عداس مولى حويطب بن عبدالعزى، ويسار غلام ابن الحضرمي، وجبر مولى عامر، وكانوا من أهل الكتاب يقرأون التوراة، فأسلموا.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾؟ وهل تطلق الأسطورة على القصة مطلقاً أم على القصة الكاذبة؟

الجواب: أساطير: خبر لمبتدأ محذوف، أي: القرآن أساطير، والأساطير: هي ما سطره الأولون، أي: ما كتبوه من قصص الأولين مطلقاً، سواء أكانت صادقة أم كاذبة.

وكذلك قالوا عن محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعما جاءهم به من القرآن: ليس إلا قصصاً من تلك الأخبار التي سطرها الأولون في بطون الأوراق عما جرى عليهم من الأحداث، وقد استأجر من يكتبها له من المؤرخين وعلماء التاريخ، ثم ادعى أنها من عند الله.

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا۝٦﴾ ثم أمر نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يجيب عليهم بأن الأمر ليس كما يزعمون، وإنما هو منزل من عند الله سبحانه وتعالى الذي يعلم كل ما دق وخفي من أمور السماوات والأرض، وأن ما جاء به هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن يخبرهم بأن الله سبحانه وتعالى قد رحمهم عندما لم يؤاخذهم بسبب تكذيبهم ونسبتهم له إلى الكذب والافتراء، وإن كان المفترض أن ينزل بهم عقابه بسبب ذلك، فأمهلهم وتأنى بهم؛ لأن العفو والرحمة من صفاته.

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ(١) وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا۝٧﴾ ثم لجأوا إلى وسيلة أخرى في محاولة الصد عن دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقالوا: بأنه لو كان نبياً كما يزعم لما أكل الطعام ومشى في الأسواق، ولكان من جنس غير جنس البشر، أو على الأقل يستصحب معه ملكاً من ملائكة السماء يشهد له بالنبوة والرسالة.

﴿أَوْ يُلْقَى(٢) إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ أو يلقي إليه ربه كنزاً من الذهب والفضة.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾؟ وما محل جملة: ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾؟

الجواب: «ما» اسم استفهام مبتدأ، «لهذا» جار ومجرور خبر، والرسول: بدل من اسم الإشارة، وجملة «يأكل الطعام» في محل نصب حالية.

(٢)-**سؤال:** علام عطف هذا الفعل؟

الجواب: عطف على الفعل الماضي «أنزل»، وهو في معنى المضارع «ينزل»، كما يقول أهل النحو.

﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أو يرزقه الله بستاناً كبيراً يأكل منه وينفق، أما أن يدعي النبوة وهو فقير معدم فذلك ما لا يكون.

﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا۝٨﴾ ولا زال مشركو قريش يحاولون إفساد دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكلما ورد ذم في القرآن للمشركين فالمراد بهم مشركو مكة؛ لأنهم الذين وقفوا في وجه دعوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من حين مبعثه إلى أن مات.

وهم هنا يعيرون من آمن بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنهم لم يتبعوا إلا رجلاً قد أثر فيه السحر وتمكن فيه، حتى صار يهذي ويهلوس بكلام يدعي أنه كلام الله، وفي الحقيقة ليس ذلك إلا من تأثير السحر، وليس إلا كذباً.

﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا۝٩﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن ينظر إلى شأن المشركين وما ضربوا له من الأوصاف، فتارة يقولون: أساطير الأولين اكتتبها، وتارة يقولون: إنه افتراه من عند نفسه، وتارة يقولون: إنه إذا كان نبياً فلماذا يأكل الطعام، وتارة يقولون: مسحور؛ وكل أقوالهم هذه لم يؤثِّر شيء منها في طمس دعوته، ولم يبدُ لأي عاقل أن يقبلها أو يستسيغها، وكل السبل لم تفلح في الوقوف في وجه ما جاء به.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا۝١٠﴾(١) ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن لا يجد في نفسه من اقتراحاتهم ولا يَكْبُرَ عليه ما قالوا، وأخبره أنه تعالى تكاثر خيره وبيده خزائن السماوات والأرض، ولو أراد لجعل له خيراً وأفضل مما قالوا

---

(١)- **سؤال:** أين صلة الموصول «الذي»؟ وما إعراب ﴿جَنَّاتٍ﴾ وعلام عطف: ﴿يَجْعَلْ﴾ وما الوجه في جزمه؟

الجواب: صلة الموصول هي: ﴿جَعَلَ لَكَ خَيْرًا﴾ وجملة الشرط قيد لها، و«جنات» بدل من «خيراً» وعطف «يجعل» على «جعل» وجزم لأنه معطوف على جعل وهو في محل جزم لأنه وقع جواب شرط جازم.

من الكنوز والجنات والقصور، ولكن الله عليم حكيم لم تقتض الحكمة أن يكون له ذلك، وذلك أن الناس لو رأوا معه ذلك لسعوا إليه واتبعوه طمعاً فيما عنده من الكنوز والأموال، لا رغبة فيما جاءهم به من الدين، وقد أراد أن يكون فقيراً لا يملك شيئاً من متاع الدنيا حتى لا يأتي إليه إلا من أراد الإيمان عن قناعة تامة، حتى يكون إيمانه خالصاً لله تعالى، لا طمعاً في جاه أو مال أو دنيا.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴿١١﴾﴾ وأخبر أن المشركين لو كانوا[١] مؤمنين بالبعث بعد الموت لصدقوا ما جاءهم به محمد ﷺ خوفاً من غضب الله سبحانه وتعالى وسخطه أن يلحق بهم.

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ[٢] مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴿١٢﴾﴾ ثم وصف الله سبحانه وتعالى جهنم التي أعدها للمكذبين بأنها أوقد عليها حتى صار لها صوت شديد يشبه صوت المتغيظ والزافر، يُسْمَعُ شدةُ وقيدها من بعد.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا[٣] مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴿١٣﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حالهم عندما تلقي بهم زبانية العذاب في جهنم، فأخبر أن ملائكة العذاب ستقرن كل مجموعة منهم في قيد واحد، ثم يلقون بهم فيها، فعند ذلك ينادون بالويل والثبور.

ويقال: إن العرب كانت عادتهم إذا وقع أحدهم في شدة أو مهلكة يصيح: وا ثبوراه ويا ويلاه، فهذا هو معنى الثبور.

---

(١)-**سؤال:** هل فهم هذا المعنى من «بل»؟ أم من ماذا؟

الجواب: فهم ذلك من قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾.

(٢)-**سؤال:** ما وجه نسبة الرؤية إلى النار في هذه الآية؟

الجواب: نسبة الرؤية إلى جهنم نسبة مجازية، أي: استعارة مكنية، فقد شبه جهنم بمن يعقل، تشبيهاً مضمراً وأتى بشيء من لوازم المشبه به وهو الرؤية.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾؟

الجواب: «مكاناً» ظرف مكان متعلق بـ«ألقوا»، و«ضيقاً» صفة للمكان.

﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ⑭﴾[(١)] وعند صراخهم سيقول الله سبحانه وتعالى لهم: إنكم ستمكثون هكذا تنادون بالويل والثبور دائماً وأبداً.

﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي[(٢)] وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ⑮﴾ بعد أن وصف الله تعالى النار التي أعدها للمكذبين بالساعة بأنهم يسمعون حسيسها من مكان بعيد، وبعد أن وصف حال أهلها عندما يلقون فيها، أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يسأل المشركين أيهما أفضل: حالة أهل النار أم حالة أهل الجنة التي وعدها المتقون؟

فسيكون جوابهم حتماً بأن الجنة أفضل؛ لأن العاقل لا يختار الشر حتماً؛ فلماذا اختار المشركون طريق الشر وساروا فيها، وتركوا الطريق التي دعاهم إليها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والتي فيها نجاتهم وفوزهم وفلاحهم، فذلك مما يدل على خفة عقولهم وسخافتها.

ثم وصف الله سبحانه وتعالى الجنة التي وعدها المتقون فقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ فكل ما يتمناه أهلها من النعيم يعطيهم الله تعالى فيها، وهم يتقلبون في النعيم دائماً وأبداً من دون أي كلل أو ملل جزاءً على إيمانهم وأعمالهم الصالحة.

﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ⑯﴾ فهذا وعد وعدهم الله سبحانه وتعالى به، ولا بد أن يوفيهم به، وكذلك العذاب في النار فهو وعد من الله تعالى لا بد من وقوعه.

وقوله: «مَسْئُولًا» يعني أن الله سبحانه وتعالى قد نزله على نفسه منزلة الواجب المحتوم الذي لا بد أن يفي به، وكمنزلة ما إذا وعد الرجل بوعد وكان هناك من يطالبه بالوفاء به، وهذا تصوير لنفهم المعنى المقصود[(٣)].

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿ثُبُورًا﴾ هنا مفعولاً به؟ فما وجه جعله مدعواً؟

الجواب: «ثبوراً» مفعول به، أي: يقولون: وا ثبوراه أو يا ثبواره احضر فهذا أوان حضورك، والثبور: هو الهلاك، يقال: ثبره الله أي: أهلكه هلاكاً دائماً لا ينتعش بعده.

(٢)-**سؤال:** أين صلة الموصول «التي» وعائده؟

الجواب: صلتها جملة: ﴿وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: وعدها المتقون.

(٣)-**سؤال:** هل مرادكم أنه تشبيه تمثيلي أم ماذا؟ وما الموجب لهذا التأويل والحامل عليه؟

الجواب على السؤالين: أن في هذا الكلام استعارة مكنية حيث شبه الوعد بالرجل العاقل تشبيهاً

=

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(١) ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يُذَكِّر المشركين بيوم القيامة يوم يحشرهم الله تعالى هم وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دونه فيجمعهم ﴿فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ۝١٧﴾ يخاطب المعبودات: هل أنتم الذين دعوتموهم إلى عبادتكم؟ أم عبدوكم من تلقاء أنفسهم؟

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ فتجيب هذه المعبودات: بأننا ننزهك يا الله عن ذلك الذي ينسبونه إلينا، وليس ينبغي لنا ذلك، ونحن لم نأمرهم إلا بعبادتك وحدك، فهذا هو جواب تلك المعبودات، كعيسى وعزير والملائكة ونحوهم.

﴿وَلَكِنْ(٢) مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾(٣) وهذا من كلامهم أيضاً:

مضمراً في النفس وأتى بشيء من لوازمه هو قوله: ﴿مَسْئُولًا ۝١٦﴾.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما هو العامل في: ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾؟ وما معنى الفاء الداخلة على «يقول»؟ وإن كان هو العامل في «يوم» فهل يعمل ولو بعد الفاء؟

الجواب: العامل في «يوم» فعل تقديره: اذكر، والفاء في «فيقول» سببية عاطفة.

(٢)- **سؤال:** هل في جواب الملائكة دليل على أنه يجوز نسبة الإضلال إلى الله تعالى من هذا الباب أنه متعهم بالنعم حتى ضلوا؟ وإذا قيل بأن فيه رائحة اعتراض من الملائكة على الله فبماذا يجاب؟

الجواب: نعم، في جواب الملائكة دليل على ما ذكرتم وهي نسبة مجازية وهي شائعة في لغة العرب أي: إسناد الفعل إلى فاعل السبب. وذكرت الملائكة في جوابها سبب ضلال المشركين وهو نعم الله عليهم وعلى آبائهم، وليس ذلك اعتراض؛ لأن الملائكة والمسيح على علم بحكمة الله المتعلقة بتكليف البشر، فهم يعلمون أن التكليف لا يتم إلا بابتلاء المكلفين بالخير، والشر وكم في القرآن من نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥]، ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝١٦﴾ [الفجر].

(٣)- **سؤال:** قال بعض علمائنا بأن هذه الآية من أعظم الأدلة على هدم مذهب المجبرة فمن أي ناحية؟

الجواب: الآية فعلاً هي دليل واضح على هدم مذهب الجبر، وذلك من حيث إن الله تعالى سيسأل

=

بأنك يا الله قد متعتهم بالنعم وقلَّبتهم فيها، وأمهلتهم هم وآباءهم حتى ألهتهم الدنيا وشهواتها عما جاءهم من الهدى على ألسنة أنبيائهم.

﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا۝١٨﴾[1] فهم فاسدون من أصلهم، وهم أهل باطل وضلال وخذلان، وهم الذين اختاروا طريق الضلال من تلقاء أنفسهم وبمحض اختيارهم وإرادتهم، فاتخذوا لهم آلهة وعبدوها، لم يأمرهم بذلك أحد سوى الشيطان وهوى أنفسهم.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾[2] ثم يوجه الله سبحانه وتعالى خطابه إلى المشركين فيقول: إذاً فما بالكم تعبدونهم ولم يدعوكم إلى ذلك، وها أنتم تسمعون

المعبودين من دون الله كالمسيح والملائكة فيقول لهم: أأنتم أضللتم عبادي ودعوتموهم إلى عبادتكم وزينتم لهم ذلك؟ أم هم الذين ضلوا من قبل أنفسهم لا من قبلكم فعبدوكم؟ فكان الجواب من المعبودين أنهم لم يدعوا المشركين إلى الشرك، ولكنهم -(أي: المشركين)- ضلوا من قبل أنفسهم بسبب كثرة النعم عليهم وعلى آبائهم التي متعتهم فيها، فاشتغلوا فيها، وتوجهوا بشهواتهم وأهوائهم إليها، وتركوا الهدى وأعرضوا عنه. فلو كان الله تعالى هو الذي أدخل المشركين في الشرك وخلقه فيهم لكان جواب الملائكة والمسيح جواب كاذب، ولما حكاه الله تعالى في القرآن، وأيضاً لو كان الأمر كما تقوله المجبرة لم يكن لسؤال الله تعالى للملائكة والمسيح وجه، ولكان الجواب من الملائكة والمسيح: أنت يا رب الذي أضللتهم، فلا نحن أضللناهم ولا هم ضلوا.

(١)-**سؤال:** هل هذه الجملة: ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا۝١٨﴾ تقوم مقام الاستثناء من الملائكة عما تقدم فما وجهه؟ أم كيف؟

الجواب: هذه الجملة: «وكانوا قوماً بوراً» اعتراضية مؤكدة لما قبلها، وليست بمنزلة المستثنى مما قبلها.

(٢)- **سؤال:** يقال: الظاهر أن «كذَّب» في مثل هذا يتعدى بـ«في» فما وجه تعديته بالباء في قوله: ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾؟

الجواب: بل الظاهر أن يتعدى بالباء كما في قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ﴾ [الأنعام:٦٦]، وقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا۝١١﴾ [الفرقان].

إنكارهم وتكذيبهم لكم.

﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ بعد أن تغلبهم الحجج وتسكتهم يبحثون عمن ينصرهم أو يدفع عنهم عذاب الله تعالى فلا يجدون لهم مصرفاً أو مهرباً يهربون إليه من عذاب الله الذي ينتظرهم، ولم يبق لهم إلا النار يدفعون لهيبها ويتقونه بوجوههم، ومعنى «صرفاً» دفعاً للعذاب عن أنفسكم.

﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ⁽١٩⁾﴾[1] لا زال الله تعالى يخاطب مشركي مكة، ويتهددهم لعلهم يرجعون إلى عبادته ويتركون عبادة الأصنام التي بعبادتها لا يظلمون إلا أنفسهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾[2] كان المشركون يستنكرون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف يصح أن يكون نبياً وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق كشأن البشر، فأخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يرسل نبياً قبله إلا على هذه الصفة، وأن الأنبياء جميعاً من عهد آدم إلى آخر الأنبياء يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في تغيير الخطاب عن حال الآخرة إلى حالة الدنيا في قوله: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ...﴾؟

الجواب: قوله: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ⁽١٩⁾﴾ وعيد للمشركين بعذاب كبير، وذلك عذاب الآخرة، وهكذا ما قبلها فإنه وعيد بما يلاقونه في الآخرة، فالكلام متصل بعضه ببعض.

(٢)- **سؤال:** أين المستثنى في هذه الآية؟ إن كان ما بعد «إلا» فلماذا كسرت همزة «إن»، وكان من حقها الفتح لتحل محل المفرد؟ وما وجه دخول اللام على الفعل «يأكلون»؟

الجواب: المستثنى جملة: ﴿إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ﴾ وهي في محل نصب حال، أي: وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين على أي حال من الأحوال إلا حال كونهم يأكلون الطعام. وكسرت «إن» لمكان لام الابتداء التي تزحلقت إلى الخبر «ليأكلون».

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قد كلف بعض البشر بتحمل رسالته وتبليغها، وكلف بعضهم بالإيمان بهم والاتباع لهم اختباراً للمرْسَل والمرْسَل إليه، هل سيطيعونه ويتحملون ما كلفهم به[(١)]؟ وكذلك ما جعل بين الناس من التفاوت، ورفع بعضهم فوق بعض، وتفضيل بعضهم على بعض كل ذلك فتنة واختبارٌ لهم من سيصبر منهم ومن سيشكر؟ وكل ذلك من الله سبحانه وتعالى لحكمة ومصلحة يعلمها لهم، وكذلك جَعْلُ أنبيائه من البشر فيه حكمة ومصلحة لا تحصل إلا إذا كان الرسول من البشر.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ[(٢)] لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ وهم المشركون المنكرون للبعث بعد الموت والحساب، كانوا يحتجون على الله تعالى لماذا لا يرسل أنبياءه من الملائكة أو يجعلهم يشاهدون ربهم عياناً فيخبرهم بصدق ذلك الذي أرسله إليهم حتى يكونوا على يقين من أمرهم.

﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[(٣)] فأجاب الله سبحانه

---

(١)- **سؤال:** وهل يصح أن تحمل: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ...﴾ على تمكين المكذبين والمعارضين للأنبياء وتخليتهم، وأنه فتنة واختبار للأنبياء هل سيصبرون؟ وكذا من بعدهم؟ أم أنهم لا يصبرون؟

الجواب: نعم، يصح أي: وجعلنا بعضكم لبعض فتنة بالتخلية بينكم وتمكين بعضكم من بعض.

(٢)- **سؤال:** الظاهر أن الرجاء بمعنى التمني لغة، لكن قد استخدم كثيراً في التأميل كما في هذه الآية بمعنى: لا يؤملون في البعث أو لا يأملونه، فما وجهه؟ هل على جهة الحقيقة أم المجاز؟

الجواب: الظاهر أنه على جهة الحقيقة؛ لكثرة استعمالها في ذلك في القرآن، بل إنها لم تستعمل في القرآن بمعنى التمني، أي: كلمة «يرجون».

(٣)-**سؤال:** هل يؤخذ من الآية أن سؤال الرؤية لله من الاستكبار، أو كبيرة من الكبائر؛ لوصفهم بالعتو؟ وبأي دلالة يفهم ذلك؟

الجواب: أَنِفُوا أن يقبلوا الحق ويتواضعوا لقبوله بعد معرفتهم له، ورأوا أنهم أعظم وأكبر من أن =

وتعالى عليهم بأن الذي منعهم من الإيمان إنما هو الكبر؛ لأنهم قد علموا أن ما جاءهم به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو الحق، وأنه نبي صادق مرسل من عند الله، فرفضوا اتباعه والاستجابة له استكباراً منهم وعناداً، وطلبوا ذلك المطلب المستحيل، وذلك أن المتكبر هو الذي لا يقبل الحق بعد معرفته، ولو كان يمشي في الأرض على وجهه من شدة التواضع. و«العتو» معناه: تجاوز الحد في الكبر.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾[(١)] اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن الإنسان لا يرى الملائكة إلا عند مشارفة الموت، فأخبر تعالى أنه من ساعة أن يرى المرء الملائكة فقد انقطع

يقبلوه من محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فطلبوا أن يرسل الله تعالى إليهم الملائكة، أو أن يروا رب العالمين فيكلمهم هو نفسه، قالوا ذلك أنفة وكبراً من أن يقبلوا من محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقال الله تعالى: ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ أي: لقد جعلوا لأنفسهم مكاناً فوق مكانتهم، فخرجوا من منزلة العبودية إلى منزلة المعارضة لله والمنازعة له، والاقتراح عليه والرفض لأمره، ﴿وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾، أي: غلوا في الباطل غلواً عظيماً، أي: حين رفضوا الحق وأنفوا من قبوله، وطلبوا رؤية الله العلي العظيم، فيدل ذلك نصاً على أن طلب المشركين لنزول الملائكة أو لرؤية ربهم، أي: لواحد من هذين الأمرين معصية كبيرة.

ويدل أيضاً على كبر معصية طلب رؤية الله تعالى أن الله تعالى أصاب بني إسرائيل الذين طلبوا الرؤية بالصاعقة، كما حكى الله تعالى من قولهم لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [البقرة:٥٥]، وقوله: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ...﴾ الآية [النساء:١٥٣].

(١)- **سؤال:** هل يصح أن يعود واو الجماعة في «يقولون» إلى الملائكة، ويكون معنى ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾: حراماً عليكم البقاء والبشرى أم لا؟ وكيف يكون إعراب: ﴿حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾؟

الجواب: يجوز ذلك، وقد فسروه بالوجهين أي: أن يكون من قول الكفار، أو من قول الملائكة. و«حجراً محجوراً» من المصادر المنصوبة بأفعال محذوفة وجوباً، مثل: معاذ الله ولبيك الله.

التكليف، ولم يبق له إلا ما قدمه من الأعمال؛ وأخبر أن المجرمين عندما يرون ملائكة الموت فقد حان[١] وقت تعذيبهم، وأنهم سيعلمون حينئذ أن لا مفر لهم ولا مهرب منه فيتعوذون عند ذلك منهم، وقد كان العرب قديماً إذا لقي أحدهم عدواً له صاح به: (حجراً محجوراً) أي: لا تقربني ولا أقربك، والحجر هو السد والحاجز.

﴿وَقَدِمْنَا[٢] إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ[٣] عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴿٢٣﴾﴾ كان المشركون يعملون بعض الأعمال الصالحة مع شركهم، من مكارم الأخلاق، كإكرام الضيف وإغاثة الملهوف وإطعام الطعام ونحو ذلك، فأخبرهم الله سبحانه وتعالى أنها لن تنفعهم تلك الأعمال مع شركهم وكفرهم، وأنها مع الشرك كأن لم تكن، ومعنى «هباءً منثوراً»: سراباً مفرقاً.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴿٢٤﴾﴾ فمقيل ومستقر أهل

---

(١)-**سؤال:** هل مرادكم أن قوله: ﴿لَا بُشْرَى﴾ كناية عن حصول العذاب وتحققه عليهم أم لا؟

الجواب: نعم، ذلك هو المراد.

(٢)-**سؤال:** ما أصل هذه الكلمة؟ وما معناها هنا بالنظر إلى ذلك الأصل؟

الجواب: «قَدِم إلى كذا» جاء إليه، هذا هو معنى الكلمة في الأصل، إلا أنه في هذا المكان غير مراد ولا مقصود؛ لأن الله تعالى منزه عن المجيء والقدوم والذهاب، قال في الكشاف: ليس هنا قدوم ولا ما يشبه القدوم، ولكن مثلت حالهم وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم وإغاثة ملهوف وقِرَى ضيف ومنٍّ على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم- بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه، فقدِم إلى أشيائهم وما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق، ولم يترك لها أثراً ولا عِثيراً.

(٣)-**سؤال:** ما معنى «من» هنا؟ وما فائدة الإتيان بها مع مجرورها هنا؟

الجواب: معناها هنا لبيان الجنس، والفائدة من الإتيان بها مع مجرورها هو بيان الإبهام الذي في الاسم الموصول في قوله: ﴿مَا عَمِلُوا﴾.

الأعمال الصالحة والإيمان بالله تعالىٰ يوم القيامة أحسن من مقيل المشركين[١] ومستقرهم فهم في الجنة يتقلبون في نعيمها الدائم.

﴿وَيَوْمَ[٢] تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ[٣] وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا۝٢٥ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ[٤] الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا۝٢٦﴾ يصف الله سبحانه وتعالىٰ يوم القيامة بأن السماء ستتهاوىٰ أجرامها وتتساقط أجسامها، وتتشقق وتتفطر، وسينزل الملائكة إلىٰ الأرض، وذلك لأنها ستكون مكان الحشر والبعث، وسيتساوىٰ عاليها بمنخفضها حتىٰ تكون قاعاً واحدة فلا جبال ولا بحار، ﴿لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا۝١٠٧﴾ [طه]، فعندها سيكون الملك لله تعالىٰ وحده، وهو الذي سيحكم بين الناس محسنهم ومسيئهم.

ووصفه لنفسه بالرحمن هنا دون غيره من الأسماء يفيد أن من رحمته بعباده أنه لن يعذب إلا من جنىٰ علىٰ نفسه وظلمها بما عمل من السيئات، وأنه سيتجاوز

---

(١)- **سؤال:** ظاهر الآية تشارك المقيلين في الخيرية والأفضلية، فكيف؟ وهل في ذلك ضابط معين؟

الجواب: تأتي المشاركة في الأفضلية أو الخيرية كالتي في الآية ونحوها لتوبيخ المخاطب وتقريعه حيث اختار لنفسه الشر وطريق الشر، عند ذلك يحسن أن يقال له: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ [الفرقان:١٥]، ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا۝٧٣﴾ [مريم].

(٢)- **سؤال:** ما العامل في «يوم» النصب؟

الجواب: العامل فيه النصب فعل مقدر تقديره: واذكر يوم تتشقق السماء بالغمام، فاليوم مفعول به.

(٣)- **سؤال:** ما معنىٰ تشققها بالغمام؟

الجواب: المعنىٰ أنها تتشقق عن الغمام أي: يكثر انفطارها وتشققها فيحدث من ذلك غمام تنزل فيه الملائكة إلىٰ الأرض يوم القيامة.

(٤)- **سؤال:** ما العلة في توسيط الظرف «يومئذ» بين الموصوف والصفة «الملك» «الحق»؟

الجواب: العلة هي الاهتمام بذكر يوم القيامة وأنه المقصود بسياق الكلام.

عن الكثير ما دام[1] هناك أعمال صالحة يعملونها، وأنه سيجازي على الحسنة الصغيرة أحسن الجزاء، وكل هذا من رحمته العظيمة الواسعة بعباده، وأنه لن يعذب إلا الأشقياء المتمردين عليه والمتجرئين المتجاوزين لحدوده ومحارمه.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴿٢٧﴾﴾[2] وأن الظالم في ذلك اليوم سوف يعض يديه[3] من شدة الندم والتحسر على تكذيبه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعدم اتباعه ولكن حين لا ينفعه الندم.

﴿يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴿٢٨﴾﴾[4] وينادي على نفسه بالويل متندماً على اتخاذه ندماء السوء، ومصاحبته لهم؛ لأن أكثر ما يؤثر على المرء هو الصديق

---

(١)-**سؤال:** هل قيد التوبة هنا وارد مع لو تفضلتم به؟

الجواب: قيد التوبة لا بد منه، فلا يتجاوز الله تعالى إلا عن التائبين، ورحمته خاصة بهم، وعظيم عفوه مقصور عليهم، فيعفو عن صغائرهم، ويتجاوز عما صدر منهم عن طريق الخطأ والنسيان، وفي القرآن الكثير مما يدل على ذلك، كقوله تعالى: **﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴿١٣٥﴾﴾** [آل عمران].

(٢)-**سؤال:** هل تشمل هذه الآية عصاة الموحدين؟ ولماذا؟

الجواب: نعم، تشمل أهل المعاصي الكبيرة من الموحدين؛ لأن اسم الظلم يشملهم بدليل قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ...﴾** الآية [آل عمران:١٣٥]، وقوله تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴿٦٤﴾﴾** [النساء]، وقوله: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾** [الأنفال:٢٥].

(٣)-**سؤال:** هل هذا على ظاهره؟ أم أنه كناية عن التحسر والتندم؟

الجواب: كناية عن التحسر والتندم.

(٤)-**سؤال:** ما إعراب: **﴿يَاوَيْلَتَى﴾**؟ وما إعراب: **﴿خَلِيلًا﴾**؟

=

والجليس، ولذا نهى الإسلام عن جلساء السوء وصحبتهم، وحثنا على اتخاذ الجلساء الصالحين.

﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ(١) بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ فقد عرف الحق وعرف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وصدق ما جاء به غير أن جليسه هو الذي منعه من اتباعه وأغواه عن طريق الحق، وأنه لا زال يلقي في أذنيه بأنه ليس إلا كذاباً وليس إلا ساحراً، حتى أخرجه عن طريق الحق وأضله عنها.

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ وأخبر الله تعالى أن الشيطان الذي اتبعوه لن ينفعهم وقت شدتهم ووقت حاجتهم إليه، فإذا جاء وقت الصدق فسيخذلهم، ولن يروا منه أي نصر أو دفاع، بل سيضيع عنهم.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سيشكو يوم القيامة قومه عند الله تعالى بأنه قد بلغهم القرآن وتلا عليهم آياته فرفضوا الاستماع إليه، وهجروا العمل بأحكامه وشرائعه؛ لأن المقصود بالقرآن هو العمل بأحكامه وما شرع فيه، لا تلاوته فقط ولو كان في تلاوته عبادة لله تعالى، ولكن الذي يتلوه ولا يعمل بأحكامه وشرائعه ليس له من الثواب شيء، وأما من يعمل بأحكامه فسيرى ثواب عمله ذلك ولو كان مقصراً في تلاوته(٢).

الجواب: «يا» حرف نداء، و«ويلتا» منادى مضاف إلى ياء المتكلم حذفت الياء وعوض عنها الألف. «خليلاً» المفعول الثاني لأتخذ.

(١)-**سؤال:** ما المراد بالذكر في هذه الآية؟

الجواب: المراد بالذكر: الذكر الذي جاء به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو القرآن.

(٢)- **سؤال:** وهل يحمل أيضاً ما ورد من الأحاديث فيمن أوتي آية ثم نسيها على هذا المحمل، وهو ترك العمل أم لا؟

الجواب: نعم، يحمل على ذلك.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴿٣١﴾﴾[1] يسلي الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية ليخفف عنه ما كان يلاقيه من قومه من الأذى والشدة والتكذيب، فأخبره أن كل الأنبياء قبله قد لاقوا مثل ما لاقاه، وقد عانوا من أممهم أشد المعاناة.

ومعنى الجعل في الآية: هو التخلية من الله تعالى بينهم وبين أنبيائهم.

وأخبره أنه يكفيه أن يكون الله تعالى معه بنصره وتأييده؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتمنى أن يرى المؤمنين في كثرة وقوة ليدفع بهم الشرك ويقاتل بهم المشركين، ولأن المدة كانت قد طالت عليه، وقد طال انتظاره حتى كاد أن يصيبه اليأس والملل، فقد مكث في مكة نحواً من ثلاث عشرة سنة يدعو المشركين وهم في كثرة وعدة وعدد كبير وغناء وثراء، بينما كان هو ومن معه من الموالي كعمار وأبي ذر وبلال وصهيب ونحوهم في قلة وضعف طوال تلك المدة، وكان منتظراً لأن يؤيده الله تعالى بقبيلة من العرب ينتصر بها على المشركين، ويستقوي بها الإسلام والمسلمون؛ فلم يحصل له شيء من ذلك.

وقد خرج إلى الطائف عَلَّهُ يجد فيها الناصر والمعين، ولكنهم قابلوه بالأذى وسلطوا صبيانهم عليه يرجمونه بالحجارة حتى أدموا أعقاب رجليه، فعاد وهو في حزن وأسى شديدين، وخلال عودته كان خائفاً على نفسه من قريش، فلا ناصر له أو معين في مكة بعد موت عمه أبي طالب، ولم يدخل إليها إلا في جوار مطعم بن

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿كَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴿٣١﴾﴾؟

الجواب: «كفى» فعل ماض. «بربك» فاعل مرفوع محلاً مجرور لفظاً. «هادياً» تمييز.

سؤال: ورد في أمالي أحمد بن عيسى عليه السلام رواية عن أمير المؤمنين أنه كان يقول بعد قراءة الفاتحة: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴿٣١﴾﴾ فما مناسبة ذلك؟

الجواب: المناسبة أن آخر سورة الفاتحة دعاء بالهداية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾، فناسب الثناء على الله بعد قراءتها بما ذكر.

عدي، فكبر في نفسه هذا الذي يلاقيه وأصابه الحزن الشديد وكاد اليأس أن يتمكن منه، فَقَوَّى الله عزيمته بما أنزله إليه من القرآن.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ استنكر المشركون على النبي ﷺ لماذا يُنَزَّلُ إليه القرآنُ مفرَّقاً على التدريج سورة سورة، وآية آية؟ ولماذا لا ينزل عليه جملة واحدة مثل التوراة والإنجيل فقد نُزِّلا دفعةً واحدة؟ فأجاب الله تعالى عن السبب في ذلك فقال:

﴿كَذَلِكَ[(١)] لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[(٢)] الضمير في «به» للتفريق المفهوم من سؤال المشركين، أخبر الله تعالى عن السبب في ذلك، وهو لأجل أن تتمكن من حفظه يا محمد في قلبك، وذلك أن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب لا هو ولا أصحابه، فقد كانت مصاحفهم صدورهم، فلم تكن الكتابة آنذاك مشهورة عند العرب ومنتشرة انتشاراً كلياً، ولو كان هناك أناس قليلون منهم يقرأون ويكتبون، وكانوا يعتمدون على صدورهم في حفظ الأشياء.

﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ٣٢﴾[(٣)] وأنه قد فرقه تفريقاً، ونزله على هذه الصفة لهذا الغرض الذي ذكرناه.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ٣٣﴾ ثم أخبر الله

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب جملة ﴿كَذَلِكَ﴾؟

الجواب: يعرب مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف.

(٢)-**سؤال:** التثبيت للقرآن في فؤاد النبي ﷺ وظاهر الآية العكس، فكيف؟

الجواب: المراد لنثبت بالقرآن فؤادك على حفظه.

(٣)-**سؤال:** يقال: كيف نجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ١﴾ [القدر]، فظاهرها إنزال القرآن جميعه في ليلة القدر؟

الجواب: قد قالوا: إن الله تعالى أنزل القرآن جميعه في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، ثم أنزله الله تعالى بعد ذلك مفرقاً على النبي ﷺ في ثلاث وعشرين سنة.

سبحانه وتعالى أن المشركين لن يأتوه بأيِّ اقتراح[١]، أو يفترضوا عليه أيَّ رأي إلا وسيوحي إليه بالجواب الذي سيقنعهم ويسكتهم.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا[٢] وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴿٣٤﴾﴾ ثم أخبرَ نبيَّه ﷺ بأنه لن يدخل جهنم إلا شرار الناس، وقد نسب الشر إلى مكانهم هنا مبالغة في تناهيهم في الشر والضلال.

يقارن الله سبحانه وتعالى هنا بين المؤمنين والمشركين بأن المشركين أهل ضلال وشر بأعمالهم التي يعملونها من عبادة الأحجار التي ينحتونها بأيديهم، بينما المؤمنون يعبدون الله الذي خلق كل شيء وقدره تقديراً، فهم أهدى سبيلاً وأنجى عاقبة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ ثم عَقَّبَ الله سبحانه وتعالى ذلك بذكر ما جرى على أنبيائه من التكذيب والأذى؛ ليسلي على نبيه ﷺ فتهون عليه مصيبته، فبدأ بذكر موسى عليه السلام وأخيه هارون.

﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴿٣٥﴾﴾[٣] وأخبر أنه قد أرسل معه أخاه هارون ليكون ظهيراً له، يعينه في تحمل عبء الرسالة وتكاليفها.

---

(١)-**سؤال:** ما وجه إطلاق المثل على المقترح؟

الجواب: أطلق عليه لما فيه -أي: المقترح- من الغرابة والمثل يطلق على الكلام الغريب.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿مَكَانًا﴾؟ وكيف يكون الحشر على الوجوه؟

الجواب: «مكاناً» تمييز، والحشر هو بسحبهم على وجوههم إلى جهنم.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب ﴿وَزِيرًا﴾

الجواب: «وزيراً» مفعول ثان لجعلنا.

سؤال: قد يفهم بعض الناس أن الوزارة دون مرتبة النبوة التي أثبتها القرآن في غير موضع، فيفهم التعارض، فكيف يجاب عليه؟

الجواب: جعل الله هارون معيناً لموسى في أداء رسالته وجعله نبياً أيضاً ولا منافاة بين ذلك، ويفهم من ذلك أن منزلة هارون دون منزلة موسى عليهما السلام، والأمر كذلك ولا يفهم من ذلك أنه ليس بنبي.

﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وأخبره بأنه أرسلهما إلى فرعون وقومه؛ لأنهم كانوا قد بلغوا الغاية في الظلم والطغيان والتعدي لحدود الله ومحارمه.

﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴿٣٦﴾﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى أخذهم بسبب تكذيبهم بموسى وهارون، وأنزل عليهم عذابه وسخطه، وأنت يا محمد فاصبر على قومك وأذاهم فسوف يلحقهم مثل ما لحق آل فرعون من الهلاك والدمار.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾[1] ثم عقب ذلك بذكر قصة نوح وما جرى عليه من قومه من التكذيب، وأنه كانت عاقبتهم أن أهلكهم الله سبحانه وتعالى وأغرقهم جميعاً؛ ليكونوا لمن خلفهم آية يعتبرون بهم.

﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴿٣٧﴾﴾ فاصبر يا محمد على أذى قومك، فعما قريب سيحل بهم العذاب الأليم، فقد أعد الله عذاب قومك.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴿٣٨﴾﴾[2] وكذلك ما جرى على قبائل عاد وثمود وأصحاب الرس وغيرهم كثير من الأمم والأجيال قد أهلكناهم ودمرناهم بسبب تكذيبهم بأنبيائهم. وأصحاب الرس هم أهل مدين[3].

---

(١)- **سؤال:** ما وجه النصب في ﴿قَوْمَ نُوحٍ﴾؟ وما فائدة تقديم الجار والمجرور على متعلقه ﴿لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾؟

الجواب: نصب «قوم نوح» على الاشتغال أي: وأغرقنا قوم نوح. وقدم «للناس» على «آية» للإشارة إلى أن الغرض الهام من الآية هو من أجل أن يعتبر بها الناس.

(٢)-**سؤال:** علام نصب «عاداً» وما بعده؟

الجواب: منصوب بـ«أهلكنا» مقدر.

(٣)- **سؤال:** هل تقصدون قوم شعيب عليه السلام أم أنهم غيرهم في تلك البلاد؟ وهل عرف زمانهم وقصتهم؟

الجواب: هم قوم شعيب عليه السلام وقيل: إنهم غيرهم، وقد ذكر الله قصة شعيب مع قومه في القرآن الكريم، وقد قيل: إن آثارهم لا زالت إلى اليوم حول ساحل خليج العقبة، والله أعلم.

﴿وَكُلًّا[(١)] ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن هذه الأمم المكذبة بأنبيائها قد قصصنا عليها مثل ما قصصنا عليك من أخبار الأمم التي سبقتها، وما جرى عليهم بسبب تكذيبهم، وكيف كانت عاقبتهم، ولكنهم جميعاً لم يعتبروا فعذبناهم جزاءً على ذلك.

﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴿٣٩﴾﴾ أهلكناهم جميعاً وعذبناهم واستأصلناهم، فأنت يا محمد فاصبر فعما قريب سيحل بقريش مثل ما حل بمن سبقهم من الأمم؛ لأنه كما قلنا قد طال زمان انتظاره صلوات الله عليه وعلى آله للفرج من عند الله، وقد مكث على تلك الحال من الشدة والضعف هو وأصحابه نحواً من عشر سنين، بينما كان يرى المشركين خلال ذلك في زيادة وكثرة وقوة مع مرور الزمان.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴿٤٠﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن قريشا كانوا يمرون في طريق أسفارهم إلى بلاد الشام على تلك القرية التي أمطرها الله بعذابه وهي القرية الكبيرة من قرى[(٢)] قوم لوط وهي سدوم، فاستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم لماذا لا يعتبرون بما رأوا، وما حل بأهل تلك القرية التي أمطرت مطر السوء، والذي جَرَّأهم على التكذيب وعدم الاعتبار هو أنهم لا يؤمنون بيوم الحساب.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ وأخبره أن قريشاً إذا نظرت إليك يا محمد فإنما ينظرون إليك نظر استهزاء واحتقار، ويجعلونك محل سخريتهم واستهزائهم.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب «كلاً»؟

الجواب: منصوب على الاشتغال أي: ذكرنا كلاً.

(٢)-**سؤال:** هل تعرف هذه القرى بأسمائها الآن فما هي؟

الجواب: يذكر المفسرون قرية سدوم، ولعل أسماء بقية قرى قوم لوط معروفة بأسمائها اليوم، والله أعلم.

﴿أَهَذَا[(١)] الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۝﴾[(٢)] هذا تفسير الهزؤ الذي يستهزئون به والاحتقار الذي يحتقرونه به، فذكر أنهم كانوا يقولون: أهذا الفقير يتيم أبي طالب هو الذي يدعي أنه نبي مبعوث من عند الله؟! أما رأى الله تعالى إلا هذا ليجعله محل نبوته ورسالته؟! يتضاحكون بذلك.

﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا[(٣)] عَلَيْهَا﴾ وكانوا يقولون: إن محمداً قد أوشك أن يدخلنا في ضلاله وسحره، لولا زكاء عقولنا، وقوة إيماننا بآلهتنا، وتمسكنا بديننا.

﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝﴾ فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بأنهم عما قريب سيعلمون من هو الذي في طريق الحق، ومن هو الذي في طريق الضلال.

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ[(٤)] أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝﴾ أخبرني يا محمد عن ذلك الذي يتبع هوى نفسه، ويميل معها حيثما مالت به، هل تستطيع أن

---

(١)-**سؤال:** هل يعني أن هذه الجملة لا محل لها؛ لأنها جواب سؤال مقدر؟

الجواب: لا محل لها؛ لما ذكرتم.

(٢)-**سؤال:** أين العائد للموصول الذي في الآية؟ وما إعراب ﴿رَسُولًا﴾؟

الجواب: العائد محذوف أي: بعثه الله رسولاً، و«رسولاً» حال.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾؟ وما محل المصدر: ﴿أَنْ صَبَرْنَا﴾؟

الجواب: «أن» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن مستتر، وجملة «كاد ليضلنا» خبرها، ومحل المصدر الرفع مبتدأ.

(٤)-**سؤال:** فضلاً لم أخر «هواه»، والأصل: اتخذ الهوى إلهاً؟

الجواب: قدم «إلهه» لأن ذكره أهم من حيث أن الإلهية هي مركز الاستنكار.

سؤال: ما المسوغ لإطلاق الآلهة على الهوى بالنسبة لمتبع الهوى؟

الجواب: المسوغ لذلك أنهم جعلوا للهوى من الطاعة والانقياد ما لا ينبغي إلا لله.

تمنعه عن ذلك أو أن تحاسبه؟ وهل تستطيع أن تدخله في الهدى والإيمان؟

فاتركه يختار الطريق التي أراد فمرجعه إلينا وسنحاسبه ونجازيه، أما أنت فقد أديت ما عليك من التبليغ.

﴿أَمْ[١] تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ أم تظن يا محمد أنهم يسمعون الهدى الذي تأتيهم به أو يتفكرون في الآيات التي تتلوها عليهم.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ فما حالهم إلا كحال البهائم لا يفقهون شيئاً مما تقول، ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴿٤٤﴾﴾ بل إن الأنعام أفضل حالاً منهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ ألم تنظر إلى آيات ربك التي جعلها لعباده في الأرض دالة على عظمته وجلاله وقدرته، فلماذا لا تنظرون وتتفكرون فيها؟

ثم أخبرهم كيف يتفكرون فأمرهم أن ينظروا إلى ظل الأشياء كيف يكون في أول النهار ممدوداً، ثم يبدأ في التناقص إلى أن ينتهي، ثم يزيد، وهكذا.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ وأنه لو شاء لأمسك الشمس مكانها فلا يتحرك ذلك الظل أو يزيد أو ينقص.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا[٢] الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴿٤٥﴾﴾[٣] وأن الظل هذا الذي ترونه يأتي

---

(١)-**سؤال:** ما معنى الاستفهام في هذه الآية: ﴿أَمْ تَحْسَبُ...﴾ إلخ؟

الجواب: الاستفهام استنكاري.

(٢)-**سؤال:** فضلاً علام عطف هذا الفعل؟

الجواب: عطف على: ﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾.

(٣)-**سؤال:** لم يظهر لبعض المرشدين كون الشمس دليلاً على الظل وأن معناه أنها سبب فيه، فلو وضحتموه أكثر، أيدكم الله بتأييده؟

الجواب: الظل المذكور هنا آية من آيات الله الدالة على قدرته وعلمه وحكمته وعظيم رحمته، يجيء مع مجيء الشمس، وينتهي بمغيبها، فهو ملازم للشمس، ولا يكون له وجود إلا إذا كانت الشمس في السماء، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴿٤٥﴾﴾ يدل على أن آية الشمس أعظم وأكبر من

=

بسبب الشمس ويسير بسيرها[(١)].

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا۝٤٦﴾ وذلك أنه عند شروق الشمس يكون ممتداً ثم يأخذ في التناهي والتناقص شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي، وذلك هو المراد بقوله قبضناه، فكل ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى وإرادته.

فالشمس هذه آية من آيات الله الدالة عليه، فالمفروض أن ينظروا فيها ويتفكروا في عجائبها ليعرفوا قوة من أبدعها وأوجدها، وأنه وحده الذي يستحق العبادة، دون تلك الأصنام التي يعبدونها، والتي لا تملك شيئاً، أو تستطيع فعل أي شيء.

﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا۝٤٧﴾

ثم أمرهم أن يتفكروا في آية الليل والنهار، فأمرهم أن ينظروا كيف جعل لهم الليل ستراً يسترهم من عدوهم فيسيرون آمنين تحت ظلامه؛ لأن العرب كانوا في خوف وثأرات وقتل وقتال، وكانوا يستعينون بظلام الليل في التخفي من أعدائهم تحت أستاره، فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن ينظروا في هذه الآية، ويتفكروا من الذي سخرها لهم؟ وما مدى قدرته وعلمه؟

وكذلك فيما جعل لهم في النوم من الراحة والهدوء لأجسامهم، وإزالة ما يلاقونه من الجهد والتعب في نهارهم، فلا يستيقظون صباحاً إلا وقد استعادت أجسامهم نشاطها، وعادت إليها حيويتها، فكيف يكون حالهم لو سلب الله تعالى عليهم هذه النعمة العظيمة التي أنعم بها عليهم؟

آية الظل، فالظل آية عظيمة تابعة لآية الشمس التي هي أعظم وأكبر؛ لأن الظل بالنسبة للشمس ليس إلا أثراً من آثارها، فالشمس هي الأصل لوجود الظل.

(١)- **سؤال:** هل ما يقال: إن الشمس تبعث الإنسان وغيره على الاستظلال فكأن الشمس تقول للإنسان: اذهب إلى الظل، فكانت دليلاً للإنسان على الظل - صحيح؟ أو ما رأيكم فيه؟

الجواب: قد يكون ذلك وجه صحيح، ينضم إلى ما ذكرنا في جواب السؤال السابق، والله أعلم.

وأيضاً أمرهم أن ينظروا كيف أضاء لهم النهار وجعله مبصراً ليستطيعوا أن ينظروا إلى أمور معايشهم ويهتدوا إلى أرزاقهم، ويتنقلوا في الأرض ليبتغوا من فضل ربهم وما جعل لهم من الرزق فيها، فكيف يكون حالهم لو سلب الله تعالى عنهم هذه النعمة العظيمة؟ وكيف سيهتدون إلى أرزاقهم ومعايشهم؟

يحثهم الله سبحانه وتعالى أن ينظروا في آياته هذه ليرجعوا إليه ويتوجهوا بعبادتهم إليه وحده، ويتركوا عبادة الأصنام التي لا تملك شيئاً، أو تهتدي إلى شيء.

﴿وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ وأخبرهم أنه هو الذي يرسل الرياح لا الأصنام التي يعبدونها.

﴿بُشْرًا[1] بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾ وأنه يرسلها لتبشر الناس بنزول المطر، وهو المراد برحمته، وبين يدي رحمته يعني قبيل نزول المطر.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا۝٤٨﴾ وأنه هو الذي ينزل لكم من جهة السماء الماء الطهور الذي تشربونه وتتطهرون به وتسقون منه أشجاركم وأنعامكم ودوابكم.

﴿لِنُحْيِىَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾[2] وأنه ينزله لأجل أن يحيي به البلاد التي ماتت من الجدب.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب ﴿بُشْرًا﴾؟ وكيف يكون معناها على القراءة الأخرى: ﴿نُشُراً﴾ بالنون؟

الجواب: «بشراً» حال كقوله تعالى: ﴿يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم:٤٦]. و«نشراً» بالنون: حال أيضاً ومعناها كالمعنى في قوله تعالى: ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا۝٣﴾ [المرسلات]، أي: حال كونها تنشر السحاب في الجو.

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في تذكير هذه الصفة ﴿مَيْتًا﴾؟

الجواب: ذكرت الصفة لأن البلدة في معنى البلد فجاءت الصفة على المعنى الذي يسمى في غير القرآن على التوهم.

﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ(١) كَثِيرًا ۝٤٩﴾ ولأجل أن نسقي به الأنعام والناس، يعدد الله سبحانه وتعالىٰ عليهم آياته هذه أيضاً ويذكرهم بها لعلهم يرجعون إليه ويتوجهون بعبادتهم إليه؛ لأنه وحده الذي يستحق العبادة دون تلك الأصنام التي يعبدونها.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٥٠﴾(٢) صرف الله المطر بين الناس علىٰ حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة ليتنبهوا إلىٰ عظيم رحمة الله بعباده، ولما فيه من الآية علىٰ عظمة الله وقدرته وعلمه وحكمته، إلا أنهم أبوا التفكر والتدبر، وأعرضوا وكفروا بعظيم نعمة الله عليهم.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ۝٥١﴾ وأخبر أنه لو شاء أن يبعث في كل قرية نبياً يدعوهم -لَفَعَل، غير أن حكمته اقتضت أن يرسل نبياً واحداً إلىٰ الناس جميعاً.

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ ثم نهىٰ الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ أن يسمع للكافرين أو يستجيب لما يطلبون منه؛ لأنهم كانوا يريدون منه أن يترك دعوتهم وتبليغهم رسالة ربه.

---

(١)- **سؤال:** ما أصل هذا الاسم ونوعه؟ وكيف تعدىٰ «نسقي» إلىٰ الضمير بنفسه، وقد يفهم تعديته بالباء «نسقي به»؟

الجواب: قال الفراء والزجاج: الإنسي والأناسي مثل الكرسي والكراسي. اهـ من الرازي. أي: أن الياء فيهما ليست للنسب، والإنسي مفرد، وجمعه: أناسي، كما تقول: كرسي وكراسي، والإنس اسم للجنس الجمعي، والإنسان كذلك اسم للجنس، والناس اسم جنس جمعي.

«نُسقي» بضم النون يتعدىٰ بنفسه، ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ [الحجر:٢٢]، ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا﴾ [النحل:٦٦].

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿إِلَّا كُفُورًا ۝٥٠﴾ بالتفصيل؟

الجواب: الاستثناء مفرغ علىٰ المعنىٰ، من حيث إن: ﴿أَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ في معنىٰ: لم يرض أكثر الناس إلا كفوراً.

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا۝٥٢﴾[1] وأمره أن يجاهد المشركين بالقرآن والدعوة، وأن يبالغ في ذلك في كل الأوقات، متجاوزاً لكل العوائق والعقبات من كثرة المكذبين، وعدم الاستجابة والاستهزاء والاستحقار.

﴿وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا۝٥٣﴾ ثم رجع إلى تذكيرهم بقدرته وتمكنه في كل شيء، فأخبر أنه بقدرته وحده خلط هذا البحر المالح بالبحر العذب، فجعل أحدهما يشق طريقه وسط الآخر من دون أن يمتزج به أو يخالط أجزاءه، ثم في الأخير ينفصل كل منهما عن الآخر ويسير كل منهما في جهة، وكان المسافرون في البحر يستطيعون الشرب من تلك المياه العذبة في وسطه على الرغم من الأمواج الهائلة وهيجان مياه البحر؛ لأن قدرة الله سبحانه وتعالى قد منعت من اختلاط تلك المياه وامتزاجها[2].

---

(١)- **سؤال:** هل هذه الآية نصٌّ في أن الإرشاد والمقارعة بالحجة جهاد في سبيل الله، يستحق فاعلها ثواب المجاهدين؟

الجواب: نعم، هذه الآية دليل قاطع على أن الإرشاد والدعوة إلى الله، وإعلان الحق وإظهاره بالحجة والبرهان جهاد في سبيل الله، بل إن أفضل الأعمال هو عمل الأنبياء الذين يبلغون رسالات الله، والإرشاد والدعوة إلى الدين الحق هو عمل الأنبياء والرسل عليهم السلام الذي كلفهم الله تعالى به، وحمَّلهم نشره بين الناس، وحتم عليهم تبليغه. والجهاد بالسيف إنما هو وسيلة إلى الدعوة إلى الله وإرشاد الناس عند الحاجة والضرورة للجهاد بالسيف، والمفروض أن المتوسل إليه أفضل من الوسيلة.

(٢)- **سؤال:** هل عرف هذا البحر الذي يمتلك هذه الخاصية؟ أم تريدون أنها خاصية كل بحر فلعله يشكل؟ وما رأيكم فيما قيل إن هذه الخاصية موجودة في بحر في إيران حيث يلتقي بحران بهذه الصفة ولا تمتزج الملوحة بالعذوبة رغم اختلاطهما؟

الجواب: قالوا: إن ذلك كان قبل وجود البواخر الكبيرة فقد كان دجلة والفرات يصبان في الخليج العربي ويجري ماؤهما فيه من غير أن يختلط بماء الخليج.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ وهو تلك النطفة الحقيرة التي يلقيها الرجل في رحم المرأة، فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي يجعلها من بعد ذلك إنساناً سوياً، لا تلك الأصنام التي يعبدونها من دونه.

﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ ثم أخبر أنه قد جعل هذا البشر المخلوق من الماء على قسمين: نسباً وهم الذكور، وصهراً وهم الإناث[1].

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴿٥٤﴾﴾ وهو وحده القادر على ذلك وعلى كل شيء.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ فبالرغم من كل الآيات التي رآها المشركون، والتي قد استيقنوا عندها أن الله تعالى هو الذي أوجدها، وأنه المتصرف في جميعها بقدرته وقوته، لم يعتبروا بها أو يتعظوا، ولا زالوا في ظلمات الجهل والضلال يتخبطون، وعلى الكفر والتكذيب والإعراض محافظين، ذاهبين إلى عبادة تلك الأصنام التي لا تنفعهم بشيء أو تضرهم.

﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ[2] ظَهِيرًا﴿٥٥﴾﴾ وكانت طبيعة الكفار والمشركين مناصرة أعداء الله ضد أنبيائه ورسله، ومظاهرتهم ومعاونتهم على حرب رسله وأنبيائه، ومعنى «ظهيراً» معاوناً ومساعداً.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴿٥٦﴾﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه لم يرسله إلى المشركين ليدخلهم في الإسلام كرهاً، فليست هذه

---

(١)- **سؤال**: لم نفهم كيف جُعِل النسب هم الذكور والصهر هم الإناث؟ وأيضاً كيف أخبر عن الذات «البشر» باسم المعنى «النسب»؟

الجواب: المراد ذوي نسب وهم الذكور ينسب إليهم فيقال: فلان بن فلان، وفلانة بنت فلان، وذوات صهر أي: إناثاً يصاهر بهن، وما ذكرنا من التقدير هو المصحح للإخبار باسم المعنى.

(٢)-**سؤال:** هل ترون هذا على حذف مضاف أي: رسل ربه؟ أم ماذا؟

الجواب: المحاربة للرسل وللكتب المنزلة من عند الله ولأولياء الله هي محاربة لله، فعلى هذا لا مانع من تقدير مضاف، أو عدم تقديره؛ فيجوز الوجهان.

مهمته وإنما مهمته التبليغ، وأن يبشرهم وينذرهم بما أعد الله لهم من الثواب والعقاب، وأما أمر حسابهم وجزائهم فهو إلى الله سبحانه وتعالى وحده.

وكان قد كبر في نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما لم يَرَ فيهم أيَّ تأثُّرٍ بدعوته، ولم يلق منهم أي استجابة، فخاف أن يكون ذلك عن تقصير منه فيما كلفه ربه، فطمأنه الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بأنه قد أدى مهمته على أكمل وجه.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ وأمره أن يخبر المشركين أنه لم يطلب منهم أجراً مقابل تبليغهم حتى يمتنعوا عن الاستماع له واتِّباعِه خوفاً على أموالهم أن يهدروها في ذلك.

﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ۝٥٧﴾[1] الاستثناء هنا بمعنى لكن، والمعنى لا أسألكم أي أجر على تبليغي لكم، ولكن من أراد أن يدخل في الإيمان والهدى فليدخل دون أي مقابل.

---

(١)-**سؤال:** ما هي البلاغة المستوحاة من التعبير القرآني: ﴿أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ۝٥٧﴾؟

الجواب: المعنى في هذه الآية مثل المعنى في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ:٤٧]، أي: أن ما أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الزكاة والإحسان إلى الوالدين والأقربين والجيران والمساكين والأيتام والأرامل وأبناء السبيل فمصلحة ذلك ومنافعه هي للمزكي والمنفق ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها أي منفعة ولا مصلحة تخصه.

سؤال: يقال: كيف يجمع بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]؟ وكيف نجمع بينهما وبين قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ [ص]؟

الجواب: مودة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومودة أهل بيته هي فريضة مفروضة من الله تعالى على أهل الإسلام، ومصلحتها ومنفعتها خاصة بأهل الإسلام، والمراد بالمودة هي الطاعة والاتباع، وطاعة الرسول وطاعة أهل بيته هي في الواقع والحقيقة طاعة لله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، وإن سمى الله تعالى المودة أجراً فليست أجراً في الحقيقة، فالأجر في الحقيقة يكون من عين المال نقداً أو غير نقد، أو يكون منفعة قائمة مقام المال، والمودة في القربى ليست من هذا الباب.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ وأمره أن يمضي في مواصلة دعوته متوكلاً عليه، وأخبره أن لا يهمه ما يوجهونه إليه من التهديدات والوعود فلن يستطيعوا أن يمسوه بأي أذى أو مكروه ما دام الله معه.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾(١) ونزه الله تعالى من الشريك والمثيل، واحمده على كل ما أنعم به عليك، ومن وحد الله سبحانه وتعالى ونفى كل معبود سواه فقد سبحه. وحمدُ الله تعالى: هو الاعتراف بأن كل نعمة منه لا من غيره.

﴿وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ۝٥٨﴾(٢) ويكفيك أن يكون الله هو الذي سينتقم من كل المكذبين بدعوتك، وأنه الذي سيحاسبهم ويعذبهم؛ لأنه وحده المطلع على أسرار عباده والمحصي لجميع أعمالهم، وسيجازيهم على صغيرها وكبيرها، لا يضيع عنده شيء.

﴿الَّذِي خَلَقَ(٣) السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ثم وصف الله تعالى نفسه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما والمسيطر عليهما بقدرته وجبروته.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما معنى الباء في قوله: ﴿بِحَمْدِهِ﴾؟ وما هو المعنى الذي يضيفه إلى الجملة؟

الجواب: الباء للملابسة والمصاحبة، أي: فسبحه حال كونك متلبساً بحمده، أي: اجمع بين تسبيح الله وحمده.

(٢)-**سؤال:** ما معنى الباء في «به»؟ وبماذا تعلقت مع مجرورها في قوله: ﴿بِذُنُوبِ﴾؟ وما إعراب ﴿خَبِيرًا﴾؟

الجواب: الباء في «به» زائدة، والهاء فاعل «كفى» مجرورة لفظاً مرفوعة محلاً، و«بذنوب» متعلق بخبيراً.

(٣)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾؟ وهل يترتب إعراب ﴿الرَّحْمَنُ﴾ على إعراب: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ أم لا؟

الجواب: «الذي خلق» صفة ثانية للحي في قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾، أو يعرب مبتدأ و«الرحمن» خبره، وإذا أعرب صفة -أي: «الذي»- فالرحمن خبر لمبتدأ محذوف أي: هو الرحمن.

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[١] وأخبره أن مدة خلقهما كان في ستة أيام، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وأخبر بأنه بعد أن خلق السماوات والأرض وما بينهما استولى وسيطر على الجميع بقوته وقدرته وعلمه وتدبيره، والعرش المراد به ملك السماوات والأرض وما فيهما.

﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ ووصف نفسه بالرحمن دون غيره من الأسماء ليفيد بأنه الذي أنعم بكل تلك النعم الظاهرة المشاهدة المعلومة، وإذا سألت فاسأل[٢] الرحمن فإنه المحيطُ خُبْراً بكل شيء، لا تخفى عليه خافية في السماوات والأرض.

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة الإخبار بهذه المدة، مع العلم أنه لا يعجزه خلقهما في لحظة واحدة من يوم من تلك الأيام الطوال؟

الجواب: قد أشار إلى وجه الحكمة في قوله تعالى في سورة «ق»: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾، ومثل هذه الآية قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق]. طالت الشدة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المؤمنين وقد وعدهم الله تعالى بالنصر والتمكين والأمن، وطال انتظار المؤمنين للنصر واستبطأوه؛ فأخبرهم الله تعالى أنه سينجز لهم وعده ولن يخلفه، فذكرهم بأنه قد أهلك الكثير من القرون الذين كذبوا بأنبيائهم وقد كانوا أشد من قريش بطشاً وفتكاً وأذىً؛ يطمئنهم بهذا أنه سيهلك عدوهم وينصرهم. ثم أفاد السياق في سورة «ق» بأن لا يستعجلوا فقد اقتضت حكمة الله التمهيل الطويل في أفعاله وقضائه وأحكامه فذكرهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ بعدما ذكرهم بذلك أمرهم بالصبر وبذكر الله على الدوام فقال: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ...﴾ [ق:٣٩]، وبهذا يظهر وجه قول المفسرين إنه تعالى خلق العالم في ستة أيام ليحملهم على الصبر ويبعثهم عليه ويوجههم إلى التمسك به.

(٢)-**سؤال:** هل تريدون أن الفاء هنا فصيحة؟ وهل الباء في قوله: ﴿بِهِ﴾ على بابها أم أنها حلت محل «عن»؟ وما فائدة تنكير المفعول به: ﴿خَبِيرًا﴾؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة والباء في «به» متعلق بـ«خبيراً»، أو يتعلق بـ«فاسأل» وتكون بمعنى «عن». والتنكير في «خبيراً» للتعظيم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ يتكلم الله سبحانه وتعالىٰ هنا عن المشركين بأن أحداً إذا أمرهم أن يسجدوا لذلك الذي وصف نفسه بأنه الرحمن: ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ[(١)] أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أجابوا مستنكرين عليه: ما هو هذا الرحمن الذي تسألنا السجود له؟ ومن هو حتىٰ نسجد له؟

﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا۝٦٠﴾ ثم أخبر الله تعالىٰ أن هذا القول لا يزيدهم إلا نفوراً وبعداً عن الحق، أراد الله تعالىٰ أن دعوة النبي ﷺ لم تنفع فيهم أي نفع أو تؤثر فيهم أي تأثير، وأنه كلما دعاهم ازدادوا بعداً عن الحق والهدىٰ وازدادوا عتواً واستكباراً.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا۝٦١﴾ ومعنىٰ تبارك: تكاثرت نعمه ومنافعه وآياته للناس، ومن نعمه وآياته هذه ما ذكره من المسارات والطرق والمنازل التي جعلها في السماء للنجوم وللشمس والقمر والأفلاك التي تدور فيها، وبعضهم قال: إن البروج هي النجوم الكبيرة التي تضيء.

والسراج: المراد به الشمس التي هي من نعمه العظيمة للناس والتي يستفيدون منها في الكثير من أمور معايشهم كالضياء[(٢)] والنور والتدفئة وإصلاح الشجر

---

(١)- **سؤال:** هل في استخدامهم «ما» في السؤال عن الرحمن ما يوحي بزيادة تعنتهم واستهزائهم؟ إن كان فما وجه ذلك؟ وما العلة في فصل: ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ عن جملة: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ مع أنهما مشتركتان في كونهما مقول القول؟ وما هي فائدة دخول الواو في جوابهم: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾؟

الجواب: نعم، في استعمالهم «ما» للسؤال عن الرحمن تجاهل وتعنت واستخفاف يوحي بالتكبر والترفع، وذلك من حيث أن «ما» موضوعة للسؤال عن الشيء المجهول.

وفصل «أنسجد لما تأمرنا» لكونها بدلاً من: «وما الرحمن»؛ لأن معنىٰ: «أنسجد لما تأمرنا»: أنسجد لما لا نعرفه. والواو في «وما الرحمن» زائدة وليست للعطف.

(٢)- **سؤال:** هل الطاقة الشمسية التي أصبحت أفضل مولد للكهرباء في عصرنا داخلة ضمن مدلول قوله: ﴿سِرَاجًا﴾؟ وكيف ذلك؟

الجواب: نعم الطاقة الشمسية المولدة للكهرباء داخلة ضمن المنافع التي امتن الله بها علىٰ عباده في السراج المنير (الشمس) وذلك من حيث أنه تعالىٰ ذكر منته علىٰ عباده بالشمس وحينئذ فما حصل من منافع الشمس فهو داخل ضمن منته بالشمس، فالحمد لله رب العالمين علىٰ منته العظيمة علينا بالشمس التي هي واحدة من نعمه التي لا تحصىٰ تبارك الله رب العالمين.

والنبات وإنضاج الثمر، وكذلك ما تسببه من نزول الأمطار وغير ذلك من المنافع التي يكثر تعدادها، وذكرهم أيضاً بما جعله من المنافع الكثيرة في القمر.

﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾(١) ثم أخبر المشركين أنه وحده الذي خلق الليل والنهار، وجعل كل واحد منهما يخلف الآخر ويعقبه على ميزان واحد ونمط واحد بقدرته وتدبيره، لا تلك الأصنام التي يدعونها من دونه.

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا۝﴾ وأنه جعل الحياة على هذا النمط من التعاقب تسهيلاً لكل من أراد الإنابة أو العبادة، فمن عصى الله سبحانه وتعالى هذا اليوم استطاع أن يستدرك ذلك ويتوب في اليوم التالي، ومن عصى في النهار رجع إلى الله بتوبته في الليل، ومن فاتته طاعة في النهار أمكنه استدراكها في الليل أو في اليوم التالي، وكذلك ليكون هناك متسع من الوقت لمن أراد أن يذكر الله تعالى.

إذاً فحكمة الليل والنهار هي تحديد الأوقات والمواعيد.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾(٢) ثم انتقل إلى وصف الذين يستحقون أن يكونوا عباداً له على الحقيقة فأخبر أنهم الذين يمشون على الأرض مشي المتواضعين ومشي المساكين، لا مشية المتكبرين الشامخين بأنوفهم ورؤوسهم، فهم خاضعون لله ومنقادون لأوامره وللحق أينما كان ومع من كان.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا۝﴾ ومن صفتهم أيضاً أن أحداً إذا جرحهم بالكلام، أو وجه إليهم كلاماً فاحشاً وبذيئاً لا يردون عليه إلا بالكلام اللين الذي لا يلحقهم بسببه أي تبعات، أو يتسبب في أي تنفير أو عداوة(٣).

---

(١)-**سؤال:** ما نوع الاسم ﴿خِلْفَةً﴾؟ وهل هي بمعنى متخالفين أم ماذا؟

الجواب: «خلفة» مصدر للهيئة بمعنى: يخلف أحدهما صاحبه.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿هَوْنًا﴾ مع التوضيح؟

الجواب: «هوناً» الهون هو الرفق والسكينة، وهو مصدر وضع موضع الصفة للمبالغة أي مشياً هوناً.

(٣)-**سؤال:** يعني فهم لا يجيبون عليه بقول: «السلام عليكم» كما يتبادر إلى بعض الأفهام بل بقول:

=

ابتدأ الله سبحانه وتعالىٰ بهذه الصفة دلالة علىٰ أهميتها، وأنها الركيزة الأولىٰ التي يقوم عليها الدين، والتي لا بد أن يتحلىٰ بها كل مؤمن، وأنها الوسيلة الأساسية في قبول الدعوة إلىٰ الله، فلا يصح إيمان امرئ إلا بالتواضع؛ لأنه لن يستجيب لله ورسوله ويخضع لأوامره إلا من كان متواضعاً.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا۝٦٤﴾[1] وكذلك من صفتهم أنهم يحافظون علىٰ أداء ما افترض الله سبحانه وتعالىٰ عليهم من واجب الصلوات، وقد أراد بذلك هنا صلاة المغرب والعشاء[2].

يُسَلِّمُهُم من التبعات، فعلىٰ هذا ما يكون إعراب ﴿سَلَامًا﴾ بالدقة حفكم الله بألطافه المتواترة؟

الجواب: «سلاماً» مفعول مطلق أي: قولاً سلاماً، أي: يسلمون فيه من التبعات، لا ينفرون به الجاهلين ولا يجرحونهم، ولا يستدعي ردة فعل منهم.

(١)-**سؤال:** يقال: لماذا قدم السجود علىٰ القيام، مع أن القيام قبله في الوجود؟

الجواب: يمكن أن يكون ذلك:

- لأن السجود أعظم أركان الصلاة.
- ولأنه لا يتبين أن الرجل يصلي إلا إذا رأيته يسجد، ولا يتبين بالقيام وحده إلا مع السجود.

(٢)-**سؤال:** من أين نأخذ أنه لم يرد إلا صلاة المغرب والعشاء، مع أن ظاهر البيات كل الليل أو أغلبه؟ وما إعراب: ﴿سُجَّدًا وَقِيَامًا۝٦٤﴾؟

الجواب: نأخذه مما علم في دين الإسلام أنه لا يجب علىٰ المسلم في الليل من الصلاة إلا صلاة المغرب والعشاء، مع ما جاء فيه من الأثر عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن المراد صلاة المغرب والعشاء، ولا مانع من تفسيره بإحياء الليل أو أكثره، أو... بالنوافل مع الفرائض، وقد فسروا الآية بذلك، ولكن المؤدي لفريضتي المغرب والعشاء مع ملازمة التقوىٰ داخل في عباد الرحمن؛ لذلك يكون المؤدي للفريضتين هو الحد الأدنىٰ من المراد، ومن زاد زاد الله له.

«سجداً» خبر «يبيتون»، و«قياماً» معطوف عليه.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾(١) وكذلك من صفتهم أنهم في خوف دائم من الله تعالى ومن غضبه وسخطه إن هم عصوه، فهم يدعون الله تعالى مع ذلك أن يصرف عنهم عذاب جهنم الذي لا ينقطع دائماً وأبداً، وذلك بتوفيقهم إلى أداء ما افترض عليهم من الطاعات، واجتناب ما نهاهم عنه من المحرمات، والغرام(٢): هو الدائم الذي لا ينقطع.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾(٣) ومن صفتهم أيضاً أنهم معتدلون في الإنفاق فلا ينفقون أموالهم في الحرام والباطل، ولا يبخلون بها عن أي حق من الحقوق التي افترضها الله عليهم، فهم في طريق الوسط ما بين الإسراف والإقتار.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾؟ وما السر في ضمة الميم من ﴿مُقَامًا﴾؟

الجواب: مستقراً: تمييز، ومقاماً: معطوف عليه. وضمت الميم في «مقاماً» لأنه اسم مكان من «أقام» الرباعي.

(٢)-**سؤال:** مم أخذت هذه الكلمة؟ وما أصل اشتقاقها؟

الجواب: كأنها على ما يقولون مأخوذة من غريم الدين الذي يلازم المديون ولا يفارقه حتى يقضيه، وفي الصحاح: الغرام: الشر الدائم والعذاب.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿قَوَامًا﴾؟ ومم أخذت هذه الكلمة؟

الجواب: «قواماً» خبر ثانٍ، والخبر الأول هو: ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾، وأخذت هذه الكلمة من الاستقامة ومثلها السواء من الاستواء.

سؤال: قد يقال: أليس في الآية هذه ما يوحي بأن الإسراف هو الزيادة في الإنفاق ولو في المباح ليوافق: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء:٢٩]؟

الجواب: قد فسروها بما ذكرتم ليوافق: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ...﴾، وهو تفسير موافق لظاهر الآية، وفسروها أيضاً بما ذكرنا، وإنما عدلنا عما ذكرتم لقيام الأدلة على أنه لا حرج ولا إثم على من تنعم في الدنيا بأصناف النعم التي أحلها الله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ [الأعراف:٣٢].

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ ومن صفتهم أيضاً أنهم قد أخلصوا عبادتهم لله سبحانه وتعالى وحده، وجردوا أنفسهم لله وحده لا يعبدون معه غيره.

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾(١) ومن صفتهم أيضاً أنهم لا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا إذا استحق صاحبها القتل.

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ وأيضاً قد طهروا فروجهم من اقتراف معصية الزنا.

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨﴾ وتهدد الله وحذر من يقترف واحدة من هذه الثلاث التي هي: الشرك بالله، وقتل النفس، والزنا(٢)؛ بأنه سوف يجازيه على ذلك ويعذبه في نار جهنم، وذلك لأنها من كبائر الذنوب.

﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝٦٩﴾(٣) وأنه يوم القيامة من أهل عذاب الله، وسيضاعف له العذاب في نار جهنم خالداً فيها مخلداً.

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾؟ وما هي صور استحقاق القتل؟

الجواب: الاستثناء مفرغ، و«بالحق» متعلق بـ«يقتلون». وقد روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تعداد صور القتل بالحق: ((لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حق)) أو كما قال.

(٢)- **سؤال:** ما هو الدليل الحاسم على أن الوعيد لكل معصية من هذه الثلاث لا لمجموعها؟ وهل الأثام حقيقة في العذاب أم في السيئات، وضحوا ذلك مشكورين؟

الجواب: الدليل الحاسم على أن الوعيد لكل معصية على انفرادها من هذه الثلاث لا لمجموعها أن الله تعالى قد ذكر الوعيد في مواضع من القرآن على الشرك وحده، وذكر الوعيد الخالد على قتل المؤمن خاصة في سورة النساء: **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ...﴾** الآية [النساء:٩٣]، فيجب أن يكون الزنا كذلك وإلا كان ذكره مع الشرك والقتل لغواً. والأثام والإثم حقيقة في السيئات والمعنى في الآية: يلق جزاء الأثاما.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿يُضَاعَفْ﴾ و﴿مُهَانًا﴾؟

الجواب: «يضاعف» بدل من «يلق» مجزوم مثله، و«مهاناً» حال من فاعل «يخلد».

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ إلا من ندم على معصيته وتاب منها، ومع ذلك يخلص إيمانه بالله سبحانه وتعالى ورسوله، ويعمل الأعمال الصالحة، ويستقيم على طاعة ربه.

﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٧٠﴾ فإذا تاب العاصي إلى الله تعالى محا عنه السيئات التي كتبها في صحيفته وكتب مكانها الحسنات؛ وقد اختلفوا في معنى التبديل إلى مذاهب عدة(١).

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۝٧١﴾(٢) وأخبر سبحانه وتعالى أن من تاب عن المعاصي وندم فقد رجع إلى الله تعالى، وأصبح ممن شملهم عفو الله تعالى ومغفرته.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ ومن صفاتهم أيضاً أنهم لا يحضرون المجالس(٣) التي يعصى الله سبحانه وتعالى فيها.

---

(١)- **سؤال:** هل اختياركم أن التبديل بكتب الحسنات مكان السيئات؟ إن كان فيلزم عليه أن الكتب حقيقة فهل هو كذلك؟ وهل يلزم أن لا تبدل جميع سيئات العاصي إذا لم يكتب له إلا حسناتٍ بسيطة لوفاته أو نحو ذلك؟ أم لا يلزم هذا الإلزام؟

الجواب: إذا قلنا: إن التبديل بكتب الحسنات مكان السيئات فلا محذور في لزوم كون الكَتْب حقيقة، وقد قدمنا القول بعدم المانع من حقيقة الكتابة قريباً. ولا يلزم أن لا تبدل جميع سيئات التائب إذا كانت حسناته قليلة أو لوفاته؛ لأن المقصود بالتبديل أن تكتب الحسنات في المكان الذي كانت السيئات مكتوبة فيه ولو قلَّت الحسنات.

(٢)- **سؤال:** كيف يمكن أن نثبت بلاغة القرآن وحسن أسلوبه ودقة تنظيمه في هذه الجملة: ﴿وَمَنْ تَابَ... فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ..﴾ مع أنها قد تغيب عن أذهاننا عند أول تأمل فيها؟

الجواب: المراد بـ«تاب» في جملة الشرط: أقلع عن المعاصي وندم ورجع إلى الله، «فإن الله يتوب عليه» أي: فإن الله يقبل توبته ويرضاها ويثيبه عليها؛ وعلى هذا فالتوبة التي في الجواب غير التوبة التي في الشرط، فإذا ظهر المعنى المراد كما ذكرنا انحل الإشكال.

(٣)-**سؤال:** كيف نفهم أن الزور المجلس الذي يعصى الله فيه؟

الجواب: «يشهدون» بمعنى: يحضرون، والحضور لا يكون إلا إلى مكان الزور.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا۝٧٢﴾[(١)] وإذا مروا على هذه المجالس التي يعصى الله سبحانه وتعالى فيها مروا مرور الكرام من دون أن يلطخوا أعراضهم بشيء مما يفعله أولئك القوم، وذلك أنه يظهر من حالهم عند مرورهم أنهم معرضون عن تلك الأعمال أشد الإعراض، ويظهر إنكارهم لذلك من خلال كيفية مرورهم[(٢)].

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا[(٣)] عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا۝٧٣﴾ ومن صفاتهم أيضاً أنه إذا ذكرهم أحد بآيات الله تعالى أو وعظهم اتعظوا، وانتفعوا بذلك التذكير والوعظ، وأنهم إذا كانوا في معصية ونَبَّههم أحدٌ انتبهوا وأقلعوا عنها خوفاً من الله تعالى.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ[(٤)] أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ[(٥)] وَاجْعَلْنَا

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿كِرَامًا﴾؟

الجواب: تعرب حالاً من فاعل «مروا».

(٢)-**سؤال:** هل في هذا إشارة إلى الجمع بين هذه الآية وأدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

الجواب: في قوله: ﴿مَرُّوا كِرَامًا۝٧٢﴾ دليل على أنهم قد قاموا بما يجب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٣)-**سؤال:** هل في وصفهم بأنهم: ﴿لَمْ يَخِرُّوا...﴾ إلخ -يعني: بالنفي- سر أو نكتة فما هي؟

الجواب: قد يكون السر في ذلك -والله أعلم- التعريض بالمنافقين الذين كانوا يراءون بصلاتهم فيصلون مع المسلمين ويركعون ويسجدون، وإذا تليت عليهم آيات الله أظهروا الحرص والقبول، وفي الحقيقة والواقع أن الكفر قد أعمى بصائرهم وسد آذان قلوبهم فلا يرون الحق ولا يبصرون الهدى.

(٤)-**سؤال:** هل «من» هذه للتبعيض أو لماذا؟

الجواب: لابتداء الغاية.

(٥)-**سؤال:** من فضلكم هل قوله: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ مجاز أم كناية وضحوا ذلك مفصلاً؟

الجواب: «قرة أعين» كناية عن الراحة والسرور لما بينهما من التلازم، ألا ترى أن الخائف والمنزعج والقلق تدور أعينهم ولا تقر ولا تستقر، قال تعالى وهو يذكر بعض المنافقين الخائفين: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب:١٩].

لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴿٧٤﴾﴾[١] وهذه آخر صفاتهم وهي: أنهم يدعون الله تعالىٰ أن يرزقهم الزوجات الصالحات والذرية الصالحة؛ وذلك أن الرجل إذا نظر إلىٰ أولاده فرآهم مقبلين علىٰ طاعة الله تعالىٰ، وشاغلين أوقاتهم فيما يرضي الله تعالىٰ ورسوله قرت عينه، ودخله الفرح والسرور.

وكذلك يسألون الله تعالىٰ أن يجعلهم من الذين يقتدىٰ بهم في الدين، وممن يهتدي الناس بهديهم ويسيرون علىٰ نهجهم.

﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ[٢] بِمَا صَبَرُوا[٣] وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴿٧٥﴾﴾ أشار الله تعالىٰ إلىٰ أهل تلك الصفات بأنه سيجازيهم بأعلىٰ الجنان وأرفع المنازل فيها، وأنه سيسلم عليهم، وستحَيِّيهم الملائكة وتبارك لهم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴿٧٦﴾﴾[٤] وأنهم في ذلك النعيم مخلدون

---

(١)-**سؤال:** ما السر في إفراد: ﴿إِمَامًا﴾ مع أن من حقه الجمع؟

الجواب: قد قالوا: إن المعنىٰ: اجعل كل واحد منا إماماً، وقيل: «إمام» جمع آمٍّ كصائم وصيام، وقيل: إمام بمعنىٰ حجة وقدوة كما يقال: هذه بينة فلان وحجته، ولو كان شهوده عشرة.

(٢)-**سؤال:** هل عرف عن هذه الغرفة التي يجزون بها أنها محلٌّ متميز عن بقية الجنة أم ماذا؟

الجواب: المراد الدرجات العالية في الجنة، أي: أنها تتميز عن بقية الجنة بدرجات عالية من التعظيم والرفعة لأهلها، والله أعلم.

(٣)-**سؤال:** هل في قوله: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ دليل علىٰ أنها لا تحصل هذه الصفات إلا بالصبر؟ ولماذا؟

الجواب: نعم في ذلك دليل علىٰ أن تلك الصفات لم تحصل لعباد الرحمن إلا بالصبر، والأمر كذلك فكل أمرٍ أمرَ الله به عباده وكل نهي كلف الله بالالتزام به لا يتم ولا يتحقق شيء منه إلا بالصبر أي بحمل النفس وإكراهها علىٰ فعله أو تركه، ثم في الاستقامة مشقة شديدة علىٰ الأنفس وتعب ونصب دائم متواصل إلىٰ منتهىٰ العمر فلا يتم ذلك إلا للصابرين الذين حملوا أنفسهم علىٰ طاعة الله وأكرهوها علىٰ الاستقامة علىٰ تأدية حقه وجاهدوا شهواتهم وأهواءهم حتىٰ تغلبوا عليها.

(٤)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴿٧٦﴾﴾؟

الجواب: «مستقراً» تمييز، و«مقاماً» معطوف عليه.

دائماً وأبداً.

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يخبر المشركين[١] ألّا يظنوا أنهم قد نالوا المنازل الرفيعة عنده، وأنهم من أهل الكرامة لديه عندما لم يعجل بتعذيبهم والانتقام منهم، فهو غير مبال بهم.

﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[٢] وأن إبقاءه لكم في الدنيا وإمهاله إنما هو لإكمال الحجة عليكم، بدعوته لكم على ألسنة رسله عليهم السلام.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ فقد استوجبتم عذابه وسخطه.

﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝٧٧﴾ وأن العذاب نازل بكم لا محالة أيها المشركون، ولا بد أن يعذبكم الله تعالى، ومعنى «لزاماً» واقعاً عليكم لا محالة.



(١)-**سؤال:** من أين نأخذ أن الخطاب للمشركين خاصة؟

الجواب: نأخذ ذلك من قوله: ﴿مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾ أي: لا يبالي بكم، ومن قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾، والمكذبون يومئذ هم المشركون.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم أين جواب ﴿لَوْلَا﴾ هنا؟ وكذا أين اسم ﴿يَكُونُ﴾؟ وما قرينته؟

الجواب: جواب «لولا» محذوف لتقدم ما يدل عليه، أي: لولا دعاؤكم لم تكونوا شيئاً يؤبه له. واسم «يكون» مستتر تقديره: يكون العذاب لزاماً، والقرينة الدالة عليه قوله: ﴿مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾ وقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾؛ فإن ذلك يكاد أن ينطق به.

سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسم(١)۝١ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ۝٢﴾ الطاء والسين والميم: حروف من حروف المعجم، وقد ابتدأ الله سبحانه وتعالى بعض سور القرآن بهذه الحروف المقطعة لأن المشركين كانوا معرضين عن سماع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشد الإعراض، فإذا سمعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفتتح تلاوته بهذه الحروف دعاهم ذلك إلى الالتفات بأذهانهم إليه متعجبين من سماع هذا الكلام الغريب الذي لم يعتادوه في مخاطباتهم ومحاوراتهم، متسائلين عن هذا الأسلوب الجديد في الكلام، فأداهم ذلك إلى الإصغاء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلى ما يقوله.

ثم أخبرهم بعد ذلك أن الآيات التي سيتلوها عليهم هي آيات الكتاب الذي قد وضحت وبانت حججه في كلماته.

والمبين: هو المفصح عن الحجة، المعروف صدقه.

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا(٢) مُؤْمِنِينَ۝٣﴾ ثم خاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: لقد كدت أن تقتل نفسك يا محمد من الأسى والحزن لعدم إيمان قومك.

أراد الله سبحانه وتعالى أن يخبر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه مهما وقد بلغهم آياته وأحكامه فلا يهمه أمرهم سواء آمنوا أم لم يؤمنوا، وذلك لأن الله تعالى أشفق على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من الحالة التي أصبح عليها، فأراد بذلك أن يخفف عليه.

---

(١)-**سؤال:** إذا كان قوله: ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ خبر اسم الإشارة فما إعراب: ﴿طسم﴾؟

الجواب: تعرب «طسم» خبر مبتدأ محذوف أي: هذه طسم.

(٢)-**سؤال:** ما موضع المصدر: ﴿أَلَّا يَكُونُوا﴾ الإعرابي؟

الجواب: موضعه الجر أو النصب بنزع الخافض.

﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ[١] أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ۝٤﴾ وأخبره الله تعالىٰ أنه لو أراد أن يلجئهم إلىٰ الإيمان، ويكرههم عليه لفعل، ولأنزل عليهم آية من آياته التي تجعلهم يدخلون في الإيمان رغماً عنهم، غير أنه أراد أن يكون إيمانهم بمحض إرادتهم واختيارهم؛ لما يترتب عليه من الثواب والجزاء، ولما تدعو إليه حكمة التكليف، ولو كان علىٰ خلاف ذلك لبطل التكليف ولبطل الثواب والعقاب.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ۝٥﴾[٢] يخبر الله تعالىٰ عن شأن المشركين بأنهم في نهاية التمرد عليه وعلىٰ نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأنه كلما نزل عليهم آية أعرضوا عنها وجعلوها وراء ظهورهم، فلم تنفع فيهم آياته وحججه التي صَرَّفها لهم.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ۝٦﴾ ثم أخبر نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن قومه قد كذبوا وقد استحقوا العذاب، وعما قريب سيأتيهم ذلك العذاب الذي كانوا يستهزئون به يا محمد عندما كنت تخبرهم وتتوعدهم به إن استمروا علىٰ كفرهم وتكذيبهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا[٣] فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ۝٧﴾ يستنكر

---

(١)-**سؤال:** ما الحكمة في التعبير بالماضي: ﴿فَظَلَّتْ﴾ رغم أن السياق يقتضي المضارع؟

الجواب: عبر بالماضي ليدل علىٰ أن خضوعهم سيتحقق مباشرة عند نزول الآية ويقع مباشرة من غير تريث.

(٢)- **سؤال:** كيف يجيب المرشد إذا قيل له بأن معنىٰ هذه الآية أن الإتيان محدث أو أن القرآن محدث النزول لا التأليف والإيجاد فلا تكون دليلاً علىٰ أن القرآن محدث؟

الجواب: قد تقدم الجواب علىٰ مثل هذا في سورة الأنبياء [علىٰ الآية: ٢].

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا﴾؟

الجواب: «كم» خبرية في محل نصب مفعول به لأنبتنا، و«من كل زوج» تمييز كم الخبرية.

الله سبحانه وتعالىٰ عليهم إعراضهم عن آياته التي ينزلها لهم، وهنا استنكر عليهم لماذا لا ينظرون إلىٰ الأرض مَن الذي يخرج لهم منها أنواع النباتات والفواكه والثمار؟ وهل تخرج من تلقاء أنفسها؟ أم أنه لا بد من موجد أوجدها، ومخالف يخالف بين أشكالها وألوانها؟ ومعنىٰ «زوج كريم» أي: من كل صنف من أصناف الفواكه «كريم» أي: فيه منافع لكم وملاذّ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ۝٨﴾ ففي الأرض آية لهم تدلهم علىٰ خالقها ومدبرها، لو أنهم نظروا فيها وتفكروا بعقولهم في تلك الأشياء التي جعلها الله لهم في الأرض، والمنافع التي بثها لهم فيها من الأشجار والثمار وغير ذلك، ولكنهم لم يتفكروا ولم ينظروا ولم يعتبروا، وذهبوا إلىٰ عبادة تلك الأصنام التي لم تفعل لهم شيئاً، وتركوا ذلك الذي هيأ لهم الأرض تخرج لهم خيراتها ومنافعها بقدرته وتدبيره وأمره، وأخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ أنهم لن يؤمنوا علىٰ الإطلاق.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ۝٩﴾ وأخبره أنه ليس محتاجاً لهم ولإيمانهم فهو القوي الغالب، ومع ذلك فهو رحيم بهم إذ لم يعجل بعقوبتهم، بل تأنىٰ بهم وأمد لهم في الأعمار، وأغدق عليهم الأرزاق، ومتعهم بالصحة والعافية والأمن والأمان؛ لعلهم يتوبون ويرجعون إليه، وليكون ذلك أبلغ في الحجة عليهم يوم القيامة فلا يكون لهم أي عذر عند الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ۝١١﴾[(١)] ثم ذكر الله سبحانه وتعالىٰ لنبيه ﷺ قصة موسىٰ عندما أرسله

(١)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾؟ و﴿أَنِ ائْتِ﴾ و﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ وقوله: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ۝١١﴾؟ وما معناها؟

الجواب: «إذ» مفعول به لفعل محذوف تقديره: واذكر إذ نادى، و«أن» مفسِّرة، و«ائت القوم» لا

=

إلى فرعون، وما لاقاه من عناء تكذيبهم وتمردهم؛ ليهون عليه المصيبة التي هو فيها من أذى قومه وتكذيبهم وتمردهم واستهزائهم؛ لأنه إذا عرف ما لاقاه موسى هانت عليه مصيبته.

وقد أرسل الله تعالى موسى إلى فرعون وقومه ليدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى، ولاستنقاذ بني إسرائيل من قبضته وسيطرته.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ۝١٢﴾[1] عندما أمره الله بذلك خاف من عدم تصديقهم له.

﴿وَيَضِيقُ[2] صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ وكان موسى يعاني من انحباس في الكلام إذا غضب من شيء أو تأزمت نفسيته.

﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ۝١٣﴾ فطلب من الله تعالى أن يؤيده بأخيه هارون فيجعله نبياً؛ ليعينه[3] على تبليغ حجته ورسالته إلى فرعون وقومه.

﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ۝١٤﴾ وتعلل أيضاً بأنه مدين لهم بدم رجل من آل فرعون كان قد قتله، وأنه خائف إن هم رأوه أن يأخذوا بثأرهم منه.

محل لها من الإعراب جملة التفسير، والهمزة للاستفهام الاستنكاري، ولا نافية، وفي هذا الاستفهام وجملته معنى التعجب.

(١)-**سؤال:** ما الوجه في حذف ياء المتكلم هنا؟ وهل هي قاعدة مطردة أم لا؟

الجواب: الوجه هو التخفيف. وهو جار باطراد، ودليل ذلك وقوعه في القرآن بكثرة.

(٢)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذا الفعل أنه معطوف على الفعل المنصوب: ﴿يُكَذِّبُونِ﴾ فما الوجه في رفعه؟

الجواب: الوجه في رفعه أنه لم يرد إدخال ضيق صدره في معمول الخشية؛ لأن ضيق صدره معلوم، وليس متوقعاً على سبيل الظن.

(٣)-**سؤال:** يقال: ظاهر هذه الآية أنه تبرم واستقال من الدعوة برمتها، فمن أين نفهم أنه إنما أراد أن يعينه؟

الجواب: يفهم ذلك من ذكر قصته في سورة طه، والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

﴿قَالَ كَلَّا﴾ فأجاب الله سبحانه وتعالىٰ عليه بأنه لن يحصل له أي شيء من ذلك، وأنه لن يصيبه أي أذىٰ منهم.

﴿فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ۝١٥﴾ وأمره أن يذهب إلىٰ فرعون مؤيداً بأخيه هارون ليعينه علىٰ ذلك، وطمأنه بأنه لن يلحقهما أي سوء أو مكروه فهما تحت حراسته. والآيات هي العصا واليد.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ[1] رَبِّ الْعَالَمِينَ۝١٦﴾ وأمرهما عند وصولهما إليه أن يبلغاه بأنهما مرسلان إليه من عند الله تعالىٰ.

﴿أَنْ[2] أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ۝١٧﴾ هذه هي الرسالة التي كلفهما الله سبحانه وتعالىٰ بها إلىٰ فرعون، وهي أن الله تعالىٰ يأمره بأن يسلم بني إسرائيل إلىٰ موسىٰ وهارون وبأن يترك تعذيبهم.

﴿قَالَ أَلَمْ[3] نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ۝١٨﴾ استنكر فرعون علىٰ موسىٰ طلبه هذا، والأوامر التي يوجهها إليه مع أنه ولي نعمته والذي رباه في رغد العيش وأحسنه من صغره إلىٰ أن صار رجلاً كاملاً، وأنه كان من المفروض أن يُقْبِل عليه بالشكر والامتنان، والخضوع والانقياد، لا أن يقابل ذلك بالكفر والجحود، ونكران الجميل.

---

(١)-**سؤال:** ما الوجه في إفراد الخبر ﴿رَسُولُ﴾ مع أنهما اثنان؟

الجواب: قد وجهوا ذلك بأنه أفرد «رسول» لأنه أريد به المصدر، أي: إنا رسالة رب العالمين، ورسول أصله مصدر، فأفرد نظراً لأصله.

(٢)-**سؤال:** ما معنىٰ «أن» في هذه الآية؟

الجواب: «أن» هي المفسرة.

(٣)-**سؤال:** هل الاستفهام هذا إنكاري أو تقريري؟

الجواب: يقال في مثل هذا: تقرير لما بعد النفي، أو لإنكار النفي.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ(١) الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ۝١٩﴾ وكذلك تأتي إلينا بهذه الأوامر بالرغم من الدم الذي تحمله في رقبتك لآل فرعون، وهروبك بجريمتك، ويريد بقوله: «وأنت من الكافرين» لنعمنا عليك.

﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ۝٢٠﴾(٢) فأجاب موسى عليه بأنه حين قتل القبطي كان آنذاك من الضالين عن الهدى، الجاهلين للشريعة، وأما الآن فقد هداني الله سبحانه وتعالى، وعلمني شرائعه وأحكامه، وقد جعلني نبياً وأرسلني إليك.

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ۝٢١﴾ وفعلاً قد فررت منكم حين قتلت القبطي إلى مدين، ولكن خلال تلك الفترة وهبني ربي العلم والحكمة وجعلني نبياً مرسلاً.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ۝٢٢﴾(٣) كان فرعون يتمنن على موسى بتربيته وحضانته، فأجابه موسى عليه السلام بأنك يا فرعون قد أنعمت علي إلا

---

(١)-**سؤال:** ما السر في إبهام الفعلة وعدم تعيينها؟

الجواب: ليس في ذلك إبهام فالإضافة للعهد.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «إذاً»؟ وهل يصح حمل قوله: ﴿الضَّالِّينَ﴾ على فعل الضلال والدخول فيه، أم أنه فقط -كما أشرتم إليه- عدم معرفة الهدى والشريعة؟ ولماذا؟

الجواب: أعربوا «إذاً» جواباً وجزاءً لقول فرعون، ولا يصح حمل قوله: ﴿مِنَ الضَّالِّينَ۝٢٠﴾ على فعل الضلال والدخول فيه؛ لأن أنبياء الله ورسله عليهم السلام منزهون عن فعل الكفر والدخول فيه، وعن فعل كبائر الذنوب من قبل أن يبعثهم الله.

(٣)-**سؤال:** تفضلوا بإعراب هذه الآية كاملة؟ وإلام أشير بقوله: «تلك»؟

الجواب: الواو للاستئناف وما بعدها مستأنف، و«تلك» إشارة إلى ما تمنن به فرعون من النعمة على موسى في قوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ۝١٨﴾ [الشعراء]، وهي مبتدأ ونعمة خبر، وجملة «تمن بها علي» في محل رفع صفة لنعمة. «أن عبدت بني إسرائيل» أن وما في حيزها في تأويل مصدر مرفوع بدل من نعمة، أي: تعبيدك لبني إسرائيل، أي: تسخيرهم لخدمتكم في الزراعة والبناء والصناعة والملاحة، أي: أن النعمة التي تمن بها علي هي تسخيرك لبني إسرائيل في خدمتكم وامتهانكم لهم امتهان العبيد، فكيف لي أن أُعُدّ ذلك نعمة وأحتسبها مِنَّة.

أنها نعمة لا تستحق الذكر؛ لأنك سخرت بني إسرائيل في أعمالك واتخذتهم عبيداً(١) ممتهنين في طاعتك.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا(٢) رَبُّ الْعَالَمِينَ۝﴾ عندما أخبره موسى عليه السلام أنه مرسل إليه من رب العالمين سأله فرعون: ما هو رب العالمين هذا الذي تأمرنا بعبادته؟

﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ(٣) كُنْتُمْ مُوقِنِينَ۝﴾ فأجابه موسى بآثاره الدالة عليه وعلى ربوبيته.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ۝﴾ التفت إلى قومه ليُعَجِّبهم من مقالته هذه؛ إذ يدعي لهم إلهاً غيره.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ۝﴾ أجاب موسى مرة ثانية: بأن رب

---

(١)-**سؤال:** يقال: كيف ساغ لموسى أن يجيب بالاستنكار على تعبيد بني إسرائيل، مع أن فرعون يتمنن عليه بشيء واقعي هو تربيته وحضانته؟

الجواب: ساغ لموسى أن يجيب بالاستنكار على تعبيد بني إسرائيل لأن نعمة فرعون على موسى بالتربية والحضانة مع ما يقوم به فرعون من امتهان بني إسرائيل الذين هم قوم موسى وإخوته وتسخيرهم في خدمته وقتل أبنائهم و..إلخ لا يعد نعمة، فمن أطعمك أو كساك ثم قتل أخاك وأبناء أخيك وأبناء عمومتك وأبناء أخواتك و...إلخ لا يعد من المحسنين الذين يلزمك شكر نعمتهم، وهذا أمر متقرر في العقول، مع أن ما فعله فرعون لموسى من التربية والحضانة لم يكن بدافع الإحسان إلى موسى وإنما كان بدافع مصلحة مرجوة خاصة لفرعون وزوجته وذلك رجاء منفعة موسى لهما أو أن يكون لهما ولداً، ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ۝﴾ [القصص].

(٢)-**سؤال:** هل في قوله: ﴿وَمَا رَبُّ﴾ دليل على بلوغه الغاية في التمرد حيث استخدم «ما»؟

الجواب: نعم في ذلك دليل على تمرد فرعون وكبره وذلك من حيث إنه عبر بـ«ما» التي يستفهم بها عن المجهول.

(٣)-**سؤال:** ما فائدة الشرط هذا وأين جوابه؟

الجواب: فائدته استبعاد الإيمان من فرعون وملئه، وجواب الشرط محذوف أي: نفعكم هذا الجواب.

العالمين هو ربكم ورب آبائكم الأولين.

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى[1] أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ۝٢٧﴾ يخاطب فرعون قومه لأنه خاف أن يكونوا قد اقتنعوا بكلامه فقال لهم: إن موسى مجنون يتكلم بكلام المجانين فلا تصدقوه.

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ[2] وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ۝٢٨﴾ فيجيب موسى مرة ثالثة معرِّفاً لله تعالى بآياته الدالة عليه، والتي يَعْرِفها كل من نظر وتفكر بعقله فيها.

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ[3] إِلَهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ۝٢٩﴾ فعند ذلك تهدده فرعون بالسجن والقتل إن لم يقلع عن ادعاءاته هذه، ويرجع إلى عبادته.

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ[4] بِشَيْءٍ مُبِينٍ۝٣٠﴾ فأجاب موسى: فهل ستصدقونني إن جئتكم بدليل وحجة واضحة تدل على صدقي ونبوتي.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما النكتة في تعريفه باسم الموصول في قوله: ﴿الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾؟

الجواب: النكتة –والله أعلم– هي السخرية والاستهزاء بموسى حين قال لهم إنه رسول من عند الله إليهم.

(٢)-**سؤال:** ما هو المراد بالمشرق والمغرب؟

الجواب: المراد مكان الشروق والغروب وما بينهما من الأمم والأرض والبحار والممالك.

(٣)-**سؤال:** يقال: هل في هذا دليل واضح على ادعاء فرعون للربوبية والألوهية؟ إن كان فكيف نجمع بينه وبين قوله: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٢٧]؟

الجواب: قالوا: إن فرعون كان قد جعل لقومه أصناماً يعبدونها أما هو فقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ۝٢٤﴾ [النازعات]، أي: ربهم ورب آلهتهم التي وضعها ليعبدوها.

(٤)-**سؤال:** لو تفضلتم بتفصيل القول في قوله: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ﴾ بالإعراب، وما يترتب عليه؟

الجواب: الهمزة للاستفهام دخلت على فعل محذوف، أي: أتفعل ذلك –أي: سجني–، والواو واو الحال، والجملة بعدها حالية، أي: أتفعل ذلك ولو جئتك ببرهان ساطع.

﴿قَالَ فَأْتِ[١] بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ۝٣١﴾ ولم يجد فرعون بداً من أن يطلب من موسى الدليل على صدق نبوته؛ لأجل أن لا يظهر أمام ملئه بمظهر المغلوب المبطل.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ۝٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ۝٣٣ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ۝٣٤ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ فعندما رأوا آياته استكبر فرعون، ولجأ إلى التحيل والمراوغة أمام قومه، وتضليلهم بأنه ليس إلا ساحراً ماهراً في سحره يريد أن يغلبكم ويسيطر على خيرات بلادكم، ويستولي عليها، ومعنى «ونزع يده»: أخرج يده من جيبه.

﴿فَمَاذَا[٢] تَأْمُرُونَ۝٣٥﴾ وبدأ بمشاورة قومه في شأن موسى وهارون، وكيف العمل معهما.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ[٣] وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ۝٣٦﴾ فأجابوا عليه بأن يجعل لهما ميعاداً يجتمعون فيه مع سحرة مصر فينظروا لمن تكون الغلبة، ومعنى «أرجه» أخِّره من الإرجاء بمعنى التأخير والإمهال.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ۝٣٧﴾ يجمعون لك السحرة من مدن مصر ويأتون بأهل المهارة والخبرة من السحرة.

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ[٤] يَوْمٍ مَعْلُومٍ۝٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ[٥] أَنْتُمْ

---

(١)-**سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة أي: إن كنت صادقاً فأت به.

(٢)-**سؤال:** ما محل اسم الاستفهام في قوله: «فماذا تأمرون»؟

الجواب: محله النصب مفعول به لـ«تأمرون».

(٣)-**سؤال:** علام عطف قوله: ﴿وَأَخَاهُ﴾؟

الجواب: معطوف على الهاء في ﴿أَرْجِهْ﴾ أو مفعول معه.

(٤)-**سؤال:** ما معنى اللام التي دخلت على «ميقات»؟

الجواب: اللام للانتهاء بمعنى «إلى».

(٥)-**سؤال:** ما معنى الاستفهام هنا؟

الجواب: في الاستفهام معنى الأمر والحث لهم بالاجتماع.

مُجْتَمِعُونَ﴿٣٩﴾ فجمع فرعون سحرة مصر وجمع الناس جميعاً في ساحة واحدة.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴿٤٠﴾﴾ هذا من كلام فرعون يقول لملئه: إنه سيتبع السحرة إذا غلبوا موسى، وإن لم يغلبوه فسيتركهم ولا يتبعهم ويعدل إلى اتباع موسى؛ ليموه على الناس أنه منصف وأن موسى ساحر، وقد علم أن موسى ليس بساحر(١) وأنه نبي من عند الله وأن ما جاء به آيات حق من عند الله.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ(٢) لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴿٤٢﴾﴾ طلبت السحرة من فرعون الأجرة على غلبتهم لموسى؛ فوعدهم فرعون بالأجرة، وبأنه سيقربهم إليه، وسيجعلهم من حاشيته وأتباعه إن هم غلبوا موسى وسحره.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا(٣) أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴿٤٤﴾﴾ بعد أن اجتمعوا أمرهم موسى بأن يبدأوا، فألقوا ما أجلبوا به من السحر واثقين بالنصر والظفر على موسى وعصاه، مستعينين(٤) على ذلك بعزة فرعون الذي هو ربهم، وذلك كما يقول المسلم: «بحول الله وقوته».

---

(١)-**سؤال:** يقال: من أين نستوحي علم فرعون بأن موسى كذلك؟

الجواب: استوحي ذلك من قوله تعالى في سورة النمل عن فرعون وقومه: **﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴿١٤﴾﴾**.

(٢)-**سؤال:** ما فائدة دخول الاستفهام على «إن»؟

الجواب: فائدتها الاستفهام عن صحة الخبر المؤكد الذي سمعوه: إن لكم لأجراً إن غلبتم موسى.

(٣)-**سؤال:** ما فائدة الإبهام لما سيلقونه؟

الجواب: فائدته إظهار التهاون بسحرهم وعدم المبالاة به.

(٤)-**سؤال:** يقال: ظاهر كلامكم أن الباء في قوله: **﴿بِعِزَّةِ﴾** للاستعانة، أفلا تكون للقسم؟

الجواب: تحتمل الباء القسم والاستعانة، وقد فسرت بالوجهين.

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ۝٤٥﴾[١] فألقى موسى عصاه فالتهمت جميع ما ألقوا به في الساحة من السحر.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ۝٤٦ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ۝٤٧ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ۝٤٨﴾ اندهش[٢] السحرة مما رأوا، واستيقنوا أن ما جاء به موسى ليس من السحر في شيء، وأنها آية من آيات الله تعالى ومعجزاته الخارجة عن حد قوى البشر؛ لأنهم عالمون بالسحر وكيفيته وعمله، فتيقنوا أن ما جاء به هو من عند الله تعالى، فآمنوا به من فورهم وساعتهم.

﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ فصاح بهم فرعون مستنكراً عليهم كيف يؤمنون به قبل أن يأذن لهم بذلك.

﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾[٣] واتهمهم بأن ما فعلوه مؤامرة دبروها هم وموسى قبل خروجهم؛ ليضللوا على الناس ويُلَبِّسُوا عليهم ويخرجوهم عن دينهم، وهذا لم يكن من فرعون إلا مراوغةً، وليموِّه على الناس بهذا الكلام، وأما في الحقيقة فقد عرف صدق آيته هذه، وأنه لم يكن بينه وبينهم أي علاقة من قبل.

---

(١)-**سؤال:** هل إطلاق الإفك على ما ألقوه يشعر بخزيهم وبطلان سحرهم؟

الجواب: نعم، ذلك يشعر بما ذكرتم.

(٢)- **سؤال:** هل اندهاشهم وقهر المعجزة لهم السبب في التعبير بالمجهول في قوله: ﴿فَأُلْقِيَ﴾، فلو تفضلتم بتفصيل القول فيه؟

الجواب: نعم، اندهاشهم بما رأوا من المعجزة القاهرة هو السر في التعبير بالمجهول في قوله: «فألقي»، وذلك من حيث أنه شبههم في سرعة خضوعهم للحق وإيمانهم بما رأوا من المعجزة وتذللهم لله بالسجود له- بمن ألقي وطرح على وجهه بغير اختياره تشبيهاً مضمراً في النفس، فتكون استعارة مكنية، وقرينتها هي قوله «أُلْقِي».

(٣)-**سؤال:** ما الوجه في فصل هذه الجملة عن التي قبلها؟

الجواب: فصلت لأن الجملة الأولى إنشائية وفيها استفهام إنكاري.

﴿فَلَسَوْفَ(١) تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ(٢) وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴿٤٩﴾﴾ وتهددهم بأنه سوف يقتلهم ويعذبهم ويصلبهم جزاءً على ما دبروه هم وموسى من السحر.

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴿٥٠﴾﴾(٣) لم يبالوا بتهديد فرعون ووعيده لهم؛ لأنهم قد أيقنوا بالله تعالى وعرفوه حق معرفته، وقد استحكم الإيمان في قلوبهم، وأنهم سيرجعون إلى الله تعالى.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴿٥١﴾﴾(٤) وأنهم طامعون في الله تعالى وفي رحمته بأنه سيغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم بسبب إيمانهم أول الناس بموسى، ثم إن فرعون قتلهم بعد ذلك وصلبهم، رحمة الله عليهم ورضوانه.

---

(١)- **سؤال:** ما هي هذه اللام التي دخلت على «سوف»؟ وما فائدة قوله: «لسوف تعلمون» مع تمام المعنى لو قال: فلأقطعن..إلخ؟

الجواب: اللام: في جواب قسم محذوف وفائدة قوله: «لسوف تعلمون» زيادة التهويل والتخويف والوعيد من حيث الإبهام، فإذا جاء تفصيل الوعيد من بعدُ حصلت زيادة الوعيد والتهويل.

(٢)- **سؤال:** ما محل الجار والمجرور في قوله: ﴿مِنْ خِلَافٍ﴾؟

الجواب: محله النصب على الحال.

(٣)- **سؤال:** يقال: ما الوجه في انفصال جملة: ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا﴾ عما قبلها؟ وما الوجه في فصل جملة: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ...﴾؟

الجواب: فصلت لأنها كالعلة لما قبلها أي: في جواب سؤال مقدر عن العلة، وفصلت: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا...﴾ لأنها من الجملة الأولى بمنزلة عطف البيان.

(٤)- **سؤال:** يقال: كيف عدي الفعل: ﴿نَطْمَعُ﴾ إلى المفعول «المصدر» بدون واسطة، والظاهر في الاستعمال أنه لا يتعدى إلا بـ«في»؟

الجواب: التقدير: نطمع في أن يغفر لنا، فالمصدر مجرور بـ«في»، أو منصوب بنزع الخافض.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ(١) بِعِبَادِي(٢)﴾ ثم إن الله تعالىٰ بعد ذلك أوحىٰ إلىٰ موسىٰ أن يجمع بني إسرائيل جميعاً خفية، ويهرب بهم ليلاً بعيداً عن عيون فرعون وحراس دولته.

﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ۝﴾ وأخبره بأن فرعون سيلحق بهم بجنوده.

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ۝ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ(٣) قَلِيلُونَ۝ وَإِنَّهُمْ لَنَا(٤) لَغَائِظُونَ۝ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ(٥) حَاذِرُونَ۝﴾ بعد أن علم فرعون بهروب موسىٰ وقومه أمر بمن ينادي في جنوده ليجتمعوا عنده، فأخبرهم بأن هؤلاء الفارين ليسوا إلا قلة مستضعفين متمردين علىٰ آلهتهم، ولكن السياسة والحذر تقتضي أن نجمع لهم الجموع ونعد لهم العدة؛ لأن ذلك أقرب إلىٰ السلامة، قال لهم فرعون ذلك لأجل ألا يقول القائل: كيف يجمع فرعون هذه الجموع لهذه القلة القليلة.

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ۝ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ۝﴾ لما تجاوز فرعون وقومه الحد في الظلم والطغيان وعندما أعيت فيهم الحجج أخبر الله تعالىٰ أنه قد

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما إعراب: ﴿أَنْ أَسْرِ﴾؟

الجواب: «أن» حرف تفسير، والجملة التي بعده مفسرة للوحي.

(٢)-**سؤال:** هل يظهر من هذه الآية أنه قد آمن بموسىٰ مجموعة كبيرة من بني إسرائيل؟

الجواب: نعم، يؤخذ ذلك من الآية فكلمة «عبادي» تشير إلىٰ ذلك.

(٣)-**سؤال:** علىٰ كم تطلق الشرذمة في اللغة العربية؟

الجواب: تطلق الشرذمة علىٰ الطائفة القليلة من غير تحديد عدد معين.

(٤)-**سؤال:** ما الوجه في فصل الضمير وتقديمه؟

الجواب: قدم مفعول «لغائظون» لإرادة حصر ذلك عليهم لا علىٰ غيرهم، وزيدت اللام للتقوية بسبب ضعف العامل من وجهين: كونه اسم فاعل، وكون المفعول مقدماً.

(٥)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿لَجَمِيعٌ﴾؟ وما فائدتها؟

الجواب: «لجميع» خبر إن، و«حاذرون» خبر ثان.

أخرجهم من النعيم الذي هم فيه ورغد العيش الذي يتقلبون فيه، وذلك عند لحوقهم بموسى وقومه، وحصول ما حصل عليهم من الغرق في البحر، والمراد أن ذنوبهم هي التي أحاطت[١] بهم حتى جعلتهم يخرجون للّحاق بموسى وبني إسرائيل، ثم يغرقون في البحر.

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ۝٥٩ فَأَتْبَعُوهُمْ[٢] مُشْرِقِينَ[٣]۝٦٠﴾ وقد أورث بني إسرائيل تلك الأرض[٤]، ثم أخبر الله تعالى عن جنود فرعون بأنهم قد لحقوا بهم متوجهين إلى جهة المشرق، وذلك أن موسى هرب متوجهاً إلى بلاد الشام.

﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ۝٦١﴾ فلما لحق فرعون وأصحابه بموسى وأصحابه وقربوا منهم حتى نظر كل منهم الآخر- قال أصحاب موسى: لا مفر لنا من الهلاك، فهذا البحر في وجهنا وذاك فرعون وجنوده خلفنا.

---

(١)-**سؤال:** هل تقصدون أن هذا هو السبب في نسبة الإخراج إلى الله سبحانه وتعالى؟

الجواب: إخراجهم من الحياة الدنيا بالغرق هو من الله وبفعله بسبب ذنوبهم، هذا هو المقصود.

(٢)-**سؤال:** هل في التعبير بالإتْبَاع دون التبع المأخوذ من الفعل الثلاثي سر ونكتة؟

الجواب: كأن التعبير بالإتْبَاع الذي ماضيه «أتبع» يوحي بإعداد وتخطيط لِلّحاق بموسى وبني إسرائيل، والفتك بهم وردهم إلى مصر.

(٣)-**سؤال:** هل يصح أن يحمل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ على وقت الشروق؟

الجواب: نعم يصح ذلك، وقد يكون هو الأولى مما ذكرنا في التفسير.

(٤)-**سؤال:** يقال: متى حصل ورث بني إسرائيل لتلك الأرض؟ أم أن هذه الآية معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه؟

الجواب: الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه؛ لأن إرث بني إسرائيل للجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم كان بعد هلاك فرعون. وقد قيل: بأن إرث بني إسرائيل لذلك كان بعودتهم إلى مصر فترة من الزمن. وقيل: إن إرث بني إسرائيل هو لمثل ذلك؛ لأن بني إسرائيل وموسى عليه السلام لم يعودوا إلى مصر بعد أن خرجوا منها.

﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴿٦٢﴾﴾ أجابهم موسى بأن[١] الله معه وأنه سيهديه إلى طريق النجاة من فرعون وجنوده؛ لأنه متوكل على الله حق توكله، وعنده ثقة ويقين بأن الله تعالى سيمنعه وقومه من فرعون وجنوده.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴿٦٣﴾﴾ فضرب بعصاه البحر فانفرجت له ولقومه طريق في وسطه، وقد جعل لهم اثني عشر طريقاً في البحر على عدد قبائل بني إسرائيل تسير كل قبيلة في طريق وذلك درءٌ للاختلاف والتنازع فيما بينهم؛ لأن طبيعتهم كانت المعاندة والاختلاف.

﴿وَأَزْلَفْنَا[٢] ثَمَّ الْآخَرِينَ﴿٦٤﴾﴾ ثم أدخل الله تعالى فرعون وقومه في تلك الطرق بعدما خرج موسى وبنو إسرائيل. ومعنى «ثَمَّ»: هناك.

﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴿٦٧﴾﴾ عبر موسى بقومه البحر وخرجوا منه سالمين، ثم دخل فرعون وجنوده البحر من حيث دخل موسى وبنو إسرائيل، فلما توسطوا في البحر أطبق الله عليهم البحر، وأغرقهم جميعاً.

أخبر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن في قصة موسى وفرعون آية لقريش، وعبرة لهم وعظة؛ لعلهم يحذرون أن يلحقهم مثل ما لحق فرعون وجنوده من بأس الله ونكاله، ولكنهم قوم متكبرون لا تنفع فيهم العبر والمواعظ، ولا تزجرهم الزواجر، فاقطع طمعك يا رسول الله من إيمانهم ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم.

---

(١)-**سؤال:** هل لهذه الثقة التي حملها موسى عليه السلام أسباب ومؤهلات فما هي؟

الجواب: الأسباب لتلك الثقة هي إيمانه ويقينه بصدق وعد الله له ولبني إسرائيل بالنجاة من فرعون وإهلاكه.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم هل الإزلاف بمعنى الإدخال أو بمعنى التقريب؟

الجواب: بمعنى التقريب، وتقريبهم في الطريق اليابس هو إدخالهم فيه.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ۝﴾(١) فهو غني عنهم غير محتاج لطاعة أحد من خلقه.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ۝﴾ ثم أمر الله نبيه أن يقص على قومه خبر إبراهيم وقصته ، وفيما يقصه الله تعالى فائدتان إحداهما للنبي ﷺ، وذلك ليخفف عنه مما لحقه من الأسى والحزن مما يلاقيه من قومه ، والثانية للمشركين ليعتبروا بمن سبقهم.

﴿إِذْ(٢) قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ۝ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ۝﴾ وكان قومه يعبدون الأصنام، فاستنكر عليهم إبراهيم كيف يعبدونها وليست إلا أحجاراً ينحتونها بأيديهم.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ۝ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ۝﴾ يحاجج إبراهيم عليه السلام قومه لعلهم يرجعون إلى عقولهم، ويعرفون ما هم فيه من الجهل والضلال؛ فكيف يعبدون صنماً لا يسمع إذا دعوه، ولا يستطيع أن ينفعهم ولا أن يضرهم.

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ۝﴾(٣) ولم يجدوا جواباً على حجة إبراهيم، إلا أنهم رأوا آباءهم يعبدونها، ففعلوا مثل فعلهم.

---

(١)-**سؤال:** ما السر في ختم كل قصة في هذه السورة بهذه الآية؟

الجواب: قد يكون السر –والله أعلم– أنها كالتأكيد لما فيها من كيفية عاقبة المكذبين ورحمته بالمؤمنين بإهلاك عدوهم ونصره لهم.

(٢)-**سؤال:** ما محل «إذ» في الآية؟

الجواب: «إذ» بدل من ﴿نَبَأَ﴾ وليس ظرفاً.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ۝﴾؟

الجواب: كذلك: الكاف مفعول به مقدم ليفعلون وهو مضاف إلى اسم الإشارة المقترن بحرف الخطاب.

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ[١] مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾[٢] فأجابهم إبراهيم بأنهم ما داموا لم يستطيعوا أن يأتوا بحجة أو دليل على إلهيتها واستحقاقها العبادة فإنه بريء منها ومن عبادتها، وناصب لها العداوة، إلا أنه استثنى من المعبودات الله رب العالمين فهو وليه ومعبوده الحق.

﴿الَّذِى خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ[٣] فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِى يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ ثم وصف لهم رب العالمين فأخبرهم بأنه يعبده لأنه الذي خلقه وهداه إلى ما يرشده، والذي بيده رزقه وشفاؤه، وبيده حياته وموته وهو المرجو لغفران سيئاته، فهو الذي يستحق العبادة دون تلك الأصنام التي ليس بيدها أي شيء.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ ثم توجه إبراهيم عليه السلام إلى الله سبحانه وتعالى داعياً له أن يرزقه العلم والحكمة، وأن يفرق بينه وبين قومه، ويلحقه بأنبيائه الصالحين.

﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ ودعا الله سبحانه وتعالى بأن يجعل

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة مجيء الاستفهام هنا؟

الجواب: الاستفهام هنا هو الإنكاري الذي يراد به السخرية والاستهزاء.

(٢)-**سؤال:** يقال: على ظاهر الاستثناء في الآية أنهم كانوا يعبدون الله إلا أنهم يشركون معه غيره فكيف؟ أم أن الاستثناء منقطع؟

الجواب: يجوز أن يكون منقطعاً، وأن يكون متصلاً؛ فقد حكى الله عن بعض المشركين قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣].

(٣)-**سؤال:** هل في إسناده المرض إلى نفسه دلالة على أن المرض من العبد أم ماذا؟

الجواب: إنما أسند المرض إلى نفسه للأدب مع الله، وذلك أن المرض في الظاهر شرٌّ وأذىً فنزه الله تعالى من نسبة ذلك إليه، مع أن الحقيقة والواقع أن المرض خير ومصلحة للمريض وغيره.

له ذكراً حسناً في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وثناءً حسناً فيهم؛ وفعلاً فأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم تثني عليه وتذكره في جميع الأوقات، فقد أمر الله سبحانه وتعالى بالصلاة عليه في جميع الفرائض المكتوبة، ويكفيه هذا شرفاً وفضلاً أن يقرن مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم أثناء كل صلاة: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴿٨٦﴾﴾

ودعا الله سبحانه وتعالى أن يجعله من أهل الجنة والنعيم الدائم، ودعا لأبيه(١) بالمغفرة والرحمة والهداية؛ ودعاؤه لأبيه ذلك الدعاء إنما كان لأنه وعده بأنه سيؤمن: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾(٢) [التوبة:١١٤].

---

(١)-**سؤال:** يقال: كيف يعمل المؤمن إذا ابتلي بأب فاسق أو مقصر فقد يكبر عليه أن لا يدعو له خصوصاً بعد موته؟ وهل يعتبر دعاؤه في القنوت بنحو: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم]، من الدعاء المحظور أم لا؟

الجواب: إذا علم الولد أن أبويه أو أحدهما عاصٍ لله بفعل كبيرة من كبائر الذنوب الموجبة للنار والخلود فيها وعلم أنه مصر غير تائب فلا يجوز له أن يدعو له بالمغفرة والعفو والرحمة لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة]، فلا يدعو المؤمن لمن كان عدواً لله من والديه أو أحدهما أو غيرهما مطلقاً لا في قنوت ولا في غيره. أما التقصير إذا لم يصل إلى كونه معصية كبيرة موجبة للخلود في النار فلا يمنع من الدعاء للمقصر من الوالدين أو غيرهما.

(٢)- **سؤال:** يقال: فهل يجوز للمؤمن أن يدعو لقريبه إذا ظن فيه أنه سيصلح أو وعده المدعو له بالصلاح؟

الجواب: لا يجوز للمؤمن أن يدعو لقريبه أو لغيره ما دام القريب أو غيره مصراً على الكبيرة غير تائب منها إلا إذا عرف أنه في طريقه إلى التوبة.

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ۝٨٨﴾ لا تفضحني يوم العرض والحساب الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون، ولا جاه ولا سلطان.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ۝٨٩﴾ إلا من أتى الله تعالى بقلب سليم من الشرك وأمراض النفاق، خالص له تعالى وحده.

﴿وَأُزْلِفَتِ[1] الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ۝٩٠﴾ قربت للمتقين أمام أهل المحشر ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ۝٩١﴾ يرون النار التي أعدت لهم أمام أعينهم وقت الحساب.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ۝٩٢ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ[2] يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ۝٩٣﴾ سيسأل الله تعالى المشركين تهكماً بهم: أين تلك الآلهة التي كنتم تعبدونها؟ لينصروكم هذا اليوم، ويدفعوا عنكم العذاب الذي ينتظركم!! فأنتم اليوم أحوج ما تكونون إليهم، أو حتى ينتصروا لأنفسهم، ويحتمل أن يكون السائل لهم الملائكة.

﴿فَكُبْكِبُوا[3] فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ۝٩٤ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ۝٩٥﴾ يركم الله الأصنام والآلهة في جهنم هم ومن عبدهم وإبليس وجنوده.

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ۝٩٦﴾ يتقاولون فيما بينهم، ويرد كل منهم اللوم على الآخر:﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ۝٩٨﴾[4]

---

(١)-**سؤال:** علام عطف هذا الفعل؟

الجواب: عطف على ﴿يُبْعَثُونَ۝٨٧﴾، وإنما عدل به إلى الماضي لتحقق وقوعه، فكأنه قد وقع.

(٢)-**سؤال:** ما معنى الاستفهام هنا؟

الجواب: الاستفهام هنا للتوبيخ في ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وفي ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾.

(٣)-**سؤال:** هل يصح أن يحمل الضمير في ﴿فَكُبْكِبُوا﴾ على الأصنام ويحمل ﴿الْغَاوُونَ﴾ على عابديها بقرينة الآيات بعدها؟

الجواب: ما ذكرتم صحيح.

(٤)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُمْ﴾؟

الجواب: «إن» مخففة من الثقيلة (حرف توكيد ونصب) واسمها ضمير الشأن مستتر وجوباً. «كنا

=

كلام المشركين للآلهة التي كانوا يعبدونها ويطيعونها من دون الله، يتحسرون ويتندمون على عبادتهم لها، حيث سووها برب العالمين.

﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ۝٩٩﴾(١) وأنا لو تركنا وشأننا لما أشركنا بالله سبحانه وتعالى، غير أن المجرمين أغوونا وأضلونا فكانوا السبب فيما نحن فيه.

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ۝١٠١﴾(٢) واليوم فلا شفيع أو صديق يستطيع أن يدفع عنا أو يحمينا.

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ۝١٠٢﴾(٣) فليت لنا كرة ورجعة إلى الدنيا لنستصلح ما أفسدْنا، ونستدرك ما فاتنا.

لفي ضلال مبين» الجملة من كان واسمها وخبرها في محل رفع خبر «إنْ» المخففة من الثقيلة، واللام التي في «لفي» هي اللام الفارقة، و«إذ» ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ«مبين» ولا يصح أن يتعلق بضلال؛ لأن المصدر الموصوف لا يعمل بعد وصفه.

(١)-**سؤال:** هل في الآية دليل على هدم مذهب المجبرة؟ ومن أي ناحية؟

الجواب: نعم، في ذلك دليل واضح على هدم مذهب المجبرة، وذلك من حيث أنه حصر وقصر سبب إضلالهم على المجرمين، ولو كان ذلك غير صحيح لأكذبهم الله.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿مِنْ شَافِعِينَ۝١٠٠﴾؟ وما وجه إفراد ﴿صَدِيقٍ﴾ مع أنه معطوف على الجمع: ﴿شَافِعِينَ﴾؟

الجواب: «من» حرف جر زائد، و«شافعين» مجرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ مؤخر، وأفرد «صديق» لقلة الصديق وكثرة الشفعاء في العادة، ويجوز أن يراد بالصديق الجمع لأنه فعيل في معنى مفعول؛ فصح إطلاقه على الجماعة.

(٣)-**سؤال:** هل معنى «لو» في الآية التمني؟ وما ضابطها؟ وعلام انتصب الفعل ﴿فَنَكُونَ﴾؟

الجواب: معنى «لو» التمني ولذا انتصب «فنكون» بعد فاء السببية، ويعرف كونها للتمني بالسياق، ويصح أن تكون شرطية على أصلها وجوابها محذوف أي: لفعلنا كذا وكذا، وقال بعضهم: هي الشرطية أشربت معنى التمني.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ(١) مُؤْمِنِينَ۝١٠٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ۝١٠٤﴾ ثم أخبر الله تعالى أن فيما ذكره من قصة إبراهيم وشأنه عظة وعبرة لمن أراد أن يعتبر، غير أن قومك يا محمد لن تنفع فيهم هذه الآيات والعبر، ولن يزالوا على كفرهم وتكذيبهم إلى أن يموتوا.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ۝١٠٥﴾(٢) ثم بدأ الله يقص لنبيه ﷺ شأن نوح عليه السلام في قومه، وأنهم كقومك يا محمد في التمرد والتكذيب.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ۝١٠٦﴾ وذلك حين دعاهم نبي الله نوح عليه السلام إلى ترك ما هم فيه من الضلال والرجوع إلى عبادة الله وحده.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ۝١٠٧ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ۝١٠٨﴾ أخبرهم نوح بأنه نبي صادق مرسل من عند الله تعالى ليأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به، وأن يتقوا عذابه وسخطه أن يحل بهم.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ(٣) إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ۝١٠٩ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ۝١١٠﴾ وأخبرهم أنه لم يطالبهم بأجرة اتباعه حتى يتثاقلوا ذلك، ولا زال يكرر دعاءه لهم، متخذاً لكل الوسائل، وفي جميع الأوقات.

---

(١)- **سؤال:** هل الضمير في ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ لقوم نبينا ﷺ فما قرينته؟ أم أنه يعود إلى قوم إبراهيم عليه السلام العابدين للأصنام؟

الجواب: يصح عود الضمير إلى قوم نبينا محمد ﷺ، ويصح عوده أيضاً على قوم إبراهيم عليه السلام، ولعل الأولى عوده إلى قوم إبراهيم عليه السلام.

(٢)-**سؤال:** ما السر في إخبار الله عنهم بتكذيب المرسلين ورسولهم واحد لا غير وهو نوح عليه السلام؟

الجواب: السر في ذلك –والله أعلم– أن تكذيبهم لنوح يتضمن تكذيب غيره من المرسلين.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ۝١٠٩﴾؟

الجواب: «إن» نافية، و«أجري» مبتدأ مضاف لياء المتكلم، «إلا» أداة استثناء مفرغ، «على رب العالمين» جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر.

﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾[(١)] ولكن شيئاً من ذلك لم ينفع أو يؤثر فيهم؛ لأنهم كانوا أهل كبر وعناد، فكيف يصطفون في زعمهم مع أراذل الناس وسفهائهم الذين آمنوا بنوح عليه السلام، مستنكرين لذلك أشد الاستنكار، ومستبعدين لذلك أشد الاستبعاد، ومتعجبين من طلبه لهم أن يكونوا مساوين للأراذل الذين اتبعوا نوحاً عليه السلام وهم ذوو الشأن الرفيع والمقامات العالية، وقد شرطوا عليه أن يطردهم إن أراد أن يحضروا مجلسه ويستمعوا إليه، وإلا فلن يؤمنوا له أبداً.

﴿قَالَ وَمَا[(٢)] عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أجاب عليهم نبي الله نوح عليه السلام بأنه لا يعلم بشيء يدينهم به حتى يطردهم عن مجلسه، ولا يوجد أي حجة أو مبرر يستوجب ذلك.

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾[(٣)] وحتى إن كانوا يعملون شيئاً من أعمال الخسة والدناءة فالله سبحانه وتعالى هو الذي سيتولى حسابهم، وأما أن أجازيهم بالطرد من دون أي مبرر فذلك لا يجوز ولا يحق لي.

ثم أخبرهم بأنهم غير مصدقين بالبعث والحساب، وإلا لما طلبوا منه هذا المطلب.

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ وما ضابطها؟

الجواب: الجملة في محل نصب حال، وينبغي تقدير «قد» هنا لتقريب الماضي من الحال.

(٢)-**سؤال:** فضلاً فصلوا القول في «ما» هذه من حيث معناها وإعرابها وما بعدها؟

الجواب: «ما» هذه هي استفهامية ومعناها: أي شيء علمي وهي في محل رفع مبتدأ، وعلمي: خبر.

(٣)-**سؤال:** يقال: هل «لو» في قوله: ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ شرطية على بابها فأين جوابها؟ أم لا فما هي؟ ومن أين نستفيد أنه أخبرهم بأنهم غير مصدقين بالبعث والحساب؟

الجواب: «لو» شرطية على بابها، وتقدير جوابها: ما عبتُموهم ولا تنقصتموهم، واستفيد كونهم غير مصدقين بالبعث والحساب من قوله: ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ أي: لو تشعرون بما وعد الله من البعث والحساب؛ فإن ذلك يدل على عدم إيمانهم بالبعث والحساب.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴿١١٤﴾﴾ وأقنعهم بأنه لن يطرد من قد آمن به أبداً.

﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴿١١٥﴾﴾ وأخبرهم أنه ليس مكلفاً إلا بإعذارهم وإنذارهم عذاب الله سبحانه وتعالى، وأما بقية الأمور من التعذيب والحساب والجزاء فهي على الله تعالى.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴿١١٦﴾﴾ ثم هددوه بأنه إن لم يقلع عما هو فيه فإنهم سيقتلونه شر قتلة، وقوله: ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ كناية عن ذلك.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴿١١٨﴾﴾ وفي آخر الأمر بعد أن أعيته فيهم جميع الحيل سأل الله سبحانه وتعالى أن يحكم بينه وبين قومه بالحق، وذلك دعاء بإنزال العذاب عليهم.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ[1] الْبَاقِينَ﴿١٢٠﴾﴾ استجاب الله سبحانه وتعالى دعاء نبيه، وأمره بصنع سفينة له ولمن آمن معه، وأن يحمل فيها أيضاً زوجاً من كل صنف من أصناف الحيوانات، ثم أغرق كل من بقي على الأرض من المكذبين واستأصلهم، ولم يبق من البشر أحد إلا من ركب في السفينة وهم نوح وأبناؤه. ومعنى «المشحون»: الممتلئ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴿١٢٢﴾﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن في هذه القصة عبرة لمن أراد أن يحذر بأس الله تعالى وسخطه إن وقع في معصيته.

وقد مكث نوح عليه السلام في إنذار قومه مدة ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم طوال هذه المدة ليلاً ونهاراً وسراً وعلانية وجماعة وفرادى، لا يفتر لحظة واحدة،

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿بَعْدُ﴾ في هذه الآية؟

الجواب: «بعدُ» ظرف زمان بني على الضم في محل نصب متعلق بـ«أغرقنا»، أي: أن الله تعالى أغرقهم بعد أن أنجى نوحاً ومن معه في الفلك المشحون.

ولكن دعاءه لهم لم يزدهم إلا كفراً وطغياناً وعناداً.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴿١٢٣﴾﴾ وهم قوم هود عليه السلام وكانوا بالأحقاف من بلاد حضرموت، والأحقاف: هي كثبان الرمال.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴿١٢٦﴾﴾ يقص الله سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قصة هود عليه السلام وما جرى له مع قومه، فأخبر أنه أرسله إليهم يدعوهم إلى عبادته وحده، وترك عبادة الأصنام، ويأمرهم بطاعته فيما يحثهم عليه من فرائض ربهم واتقاء مخالفته سبحانه.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿١٢٧﴾﴾ فلم أطلب منكم الأجرة على تعليمكم وهدايتكم حتى تمتنعوا هذا الامتناع.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً(١) تَعْبَثُونَ﴿١٢٨﴾﴾(٢) كانوا يبنون في رؤوس الجبال المباني التي لا فائدة لهم منها؛ فاستنكر عليهم هود عليه السلام البناء على رؤوس الجبال لغير فائدة.

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴿١٢٩﴾﴾(٣) وكانوا ينقبون خزانات للماء في الجبال، فزجرهم هود عن ذلك، وعن إضاعة أوقاتهم وأعمارهم في هذه الأعمال

---

(١)-**سؤال:** ما وجه إطلاق الآية على بنيانهم؟ وهل يصح أن يحمل الريع على الطريق أم لا؟

الجواب: سمى ذلك آية لأنهم بنوه ليكون علامة تعرف بها الطريق، أو تعرف بها قوتهم ومكانتهم، وقد قالوا في تفسير «الريع»: إنه المكان المرتفع، فكانوا يبنون عليه بناءً مرتفعاً ليمكن رؤيته من بعيد، والعادة أن تبنى تلك الآيات على أماكن مرتفعة على الطرق ليهتدي بها المسافرون إلى معرفة الطرق، ولئلا يضلوا عن الطريق، ولكن قوم هود عليه السلام كانوا يبنون تلك الآيات عبثاً لغير فائدة.

(٢)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿تَعْبَثُونَ﴾؟

الجواب: محل الجملة النصب على الحال.

(٣)-**سؤال:** ما محل الحرف المشبه بالفعل «لعل» وما دخلت عليه؟

الجواب: محل الجملة النصب على الحال.

التي لا حاجة لهم بها، وكأنهم بأعمالهم هذه سيخلدون على الدنيا[١].

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ[٢] جَبَّارِينَ۝١٣٠﴾[٣] كانوا أهل قتل وتسلط وتجبر في الأرض.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ۝١٣١﴾ اتركوا ما أنتم عليه من هذه الأعمال، واحذروا سخط الله سبحانه وتعالى وغضبه أن يحل بكم بسببها.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ[٤] بِمَا تَعْلَمُونَ۝١٣٢﴾ ثم كرر عليهم الدعاء إلى تقوى الله وطاعته مذكراً لهم بنعمه عليهم؛ لأنهم إذا عرفوا أن هذا الذي يأمرهم بعبادته هو المتفضل عليهم بجميع ما هم فيه من النعم فلعلهم يستيقظون من غفلتهم،

---

(١)- **سؤال:** يقال: هل يؤخذ من هذه الآية كراهة التنقيب للخزانات في الجبال؟ أم أنها مقيدة بعدم الحاجة إليه؟ ومن أين استفيد هذا القيد؟

الجواب: لم يستنكر الله تعالى على قوم هود عليه السلام نفس التنقيب، وإنما استنكره عليهم حال كونه مقيداً بأملهم في الخلود على الدنيا وأملهم فيه، وكذا لم يستنكر عليهم بناء الآيات على كل ريع إلا بقيد العبث، ولم يستنكر عليهم البطش إلا مقيداً بكونه بطش الجبابرة.

(٢)-**سؤال:** كيف ساغ الجواب بنفس الشرط: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ﴾؟

الجواب: ساغ ذلك لأن الثاني غير الأول، أي: انهم إذا بطشوا بطشوا بطش الجبابرة، وعاملوا الناس معاملة الجبابرة.

(٣)- **سؤال:** هل لا زالت جملة الشرط والجواب هذه من مدخول الاستفهام السابق: ﴿أَتَبْنُونَ﴾؟

الجواب: نعم، هي من جملة مدخول الاستفهام.

(٤)-**سؤال:** ما العلة في الإبهام أولاً فيما أمدهم الله به، ثم التفصيل ثانياً؟

الجواب: إذا ألقي المبهم إلى ذهن السامع أولاً ترقب التفصيل وأصغى بذهنه إلى المتكلم، فإذا ورد بعده التفصيل استقبله السامع وتمكن في ذهنه فَضْلَ تَـمَكُّن وحفظه ووعاه أكثر مما لو ألقي إليه مفصلاً من أول الأمر.

وينتبهوا من رقدتهم.

﴿أَمَدَّكُمْ[1] بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ۝١٣٣ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ۝١٣٤﴾ كانوا أهل ثراء وتجارة وبساتين وأنهار، يتقلبون في رغد العيش من دون أي تعب أو مشقة.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ۝١٣٥﴾ فإني خائف عليكم أن يحل بكم غضب الله وسخطه عندما تقابلون ما أنتم فيه من النعيم بالكفر والجحود.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ[2] عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ۝١٣٦﴾ ولكنهم على الرغم من كل ذلك لم يتزحزحوا عن كفرهم وضلالهم، وأقنعوه أنهم لن يقلعوا عما هم عليه مهما حاول، فلا يتعب نفسه في ملاحقتهم ووعظهم.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ۝١٣٧ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ۝١٣٨﴾ وأخبروه بأن هذا شأن الحياة، وأنها طبيعة واحدة في السابقين واللاحقين حياة تنتهي بالموت، وينتهي عند ذلك كل شيء، فلا بعث ولا نشور، ولا حساب ولا عقاب كما تدعي، ولو كان شيء من ذلك لرأيناهُ فيمَنْ سبق من الأمم.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ۝١٣٩ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ۝١٤٠﴾ عندما أصروا على كفرهم وتكذيبهم بنبيهم أهلكهم الله سبحانه وتعالى واستأصلهم بعذابه.

ثم أخبر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن قومه لن يعتبروا ولن يؤمنوا أبداً، ولن تنفع فيهم هذه العبر.

---

(١)-**سؤال:** هل لهذه الجملة محل أم لا؟

الجواب: ليس لها محل من الإعراب لأنها من الجملة الأولى بمنزلة عطف البيان.

(٢)-**سؤال:** إذا كان قوله: ﴿سَوَاءٌ﴾ مبتدأ فما الذي سوغ الابتداء به؟ وأين خبره؟ وهل في ذلك قاعدة مطردة؟

الجواب: قد قالوا في هذا ونحوه: إن سواء خبر مقدم، وهمزة التسوية وما في حيزها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، وقد أجازوا هنا التأويل بمصدر من غير حرف مصدري.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ۝١٤١ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا[(١)] تَتَّقُونَ۝١٤٢ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ۝١٤٣ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ۝١٤٤ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ۝١٤٥﴾ ثمود هم قوم نبي الله صالح عليه السلام، وكانوا يسكنون ما بين المدينة وتبوك، ولا زال اسم بلادهم إلى اليوم مدائن صالح، ولا زالت آثارهم باقية إلى اليوم، وقد بعث الله سبحانه وتعالى إليهم نبياً منهم الذي هو صالح عليه السلام.

فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، وأمرهم أن يتقوا الله، وأن يحذروا عذابه وسخطه أن يحل بهم، وأخبرهم أنه لا يسألهم أجرة على تبليغهم وهدايتهم حتى يتعللوا بذلك.

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ۝١٤٦ فِي جَنَّاتٍ[(٢)] وَعُيُونٍ۝١٤٧ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ۝١٤٨﴾ أتظنون أن الله سبحانه وتعالى سيترككم على ما أنتم عليه من الأمن والأمان والسعة في الرزق، مع حالكم هذا؟ وهو أنكم كافرون بنعمه، ومنغمسون في المعاصي والشهوات والغفلة عن شكر ما أنعم به عليكم. ومعنى «طلعها هضيم»: لطيف ضامر.

---

(١)- **سؤال:** تفضلوا بتفصيل القول في «ألا» هذه ومعناها، وهل هي مركبة أم لا؟ رفع الله مقامكم في أعلى عليين.

الجواب: «ألا» هذه التي دخلت على الفعل المضارع هنا ونحوه -كما يظهر لي- مركبة من الهمزة التي للإنكار ولا النافية، أي: أنه هنا استنكر عليهم عدم تقواهم، واستنكار عدم التقوى معناه طلب التقوى منهم وحضهم عليها، هذا ما ظهر لي، ولا خلاف في المعنى بين قول من قال: إنها ليست مركبة، وبين من قال: إنها مركبة، فكلهم يقول: إن معناها طلب التقوى والحث عليها، إلا أن من قال: إنها ليست مركبة يقول إن دلالتها على ذلك بالوضع.

(٢)-**سؤال:** ما محل الجار والمجرور هنا؟

الجواب: «في جنات» بدل من قوله: ﴿فِي مَا هَاهُنَا﴾.

﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ[١] الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ۝١٤٩﴾[٢] وكانوا ينحتون بيوتاً في الجبال وهم غير محتاجين إليها، يريد الله سبحانه وتعالىٰ أن يخبر بأنه أغدق عليهم نعمه حتىٰ بطروا وأفسدوا، وسخروا ذلك في غير طاعته.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ۝١٥٠﴾ وطلب منهم أن يتركوا ما هم فيه، ويرجعوا إلىٰ الله تعالىٰ والعمل بما يرضيه، واجتناب ما يسخطه.

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ۝١٥١ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ۝١٥٢﴾[٣] ونهاهم عن السماع لكبار قومهم؛ لأنهم الذين يغوونهم ويضلونهم عن الحق، ويمنعونهم عن السير في طريق الهدىٰ.

ثم وصف هؤلاء المسرفين بأنهم الذين يفسدون في الأرض بالقتل والظلم وسفك الدماء وإهلاك الحرث والنسل ويصدون عن الهدىٰ، ولا يصدر منهم صلاح في الدنيا بل أعمالهم كلها فساد.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ۝١٥٣﴾ وبعد أن نصحهم أجابوا عليه بأنه قد غلب علىٰ عقله بالسحر وقد أصابه المس والجنون، وأن ما أتىٰ به لا يقول به إلا المجانين.

﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ ورموه بالكذب والافتراء؛ لأنه بشر مثلهم، والنبي لا يكون من البشر.

---

(١)- **سؤال:** ما معنىٰ «من» هنا؟ وما يترتب علىٰ ذلك من معنىٰ؟

الجواب: معناها الابتداء، ويحتمل أنها للتبعيض.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب قوله: ﴿فَارِهِينَ۝١٤٩﴾؟ ومم أخذت هذه الكلمة؟

الجواب: «فارهين» حال منصوب وهو مأخوذ من فَرُه بالضم من باب ظَرُف.

(٣)- **سؤال:** ما فائدة العطف بقوله: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ۝١٥٢﴾، مع أنه قد فهم معناها من قوله: ﴿يُفْسِدُونَ﴾؟

الجواب: فائدته بيان أن شأنهم الفساد الخالص الذي لا يشوبه شيء من الإصلاح.

﴿فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ۝١٥٤﴾ وطلبوا منه أن يأتيهم بآية تدل على صدق ما يدعي.

﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ[(١)] وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ۝١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ۝١٥٦﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى أخرج لهم ناقة من الجبل، ورأوها خارجة أمام أعينهم آية دالة على صدق نبوته، وقال لهم: إن الماء قسمة بينهم وبينها لكل منهما يوم يرد فيه، مما يدل على كبر هذه الناقة وعظمها؛ إذ جعل لها حصة مثل حصتهم جميعاً.

وبعد أن أخرج لهم هذه الناقة حذرهم أن يمسوها بسوء فإن الله سبحانه وتعالى سينزل علهم عذابه وسخطه إن هم فعلوا ذلك.

﴿فَعَقَرُوهَا[(٢)] فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ۝١٥٧ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ ولكنهم لم يبالوا بما حذرهم نبيهم، وقتلوا الناقة؛ فأنزل الله سبحانه وتعالى عليهم عذابه وسخطه جزاءً على عملهم هذا.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ۝١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ۝١٥٩﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن فيما قصه من خبر صالح مع قومه آية لمن أراد أن يعتبر بها من مكذبي قريش، فيتركوا تكذيب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة ﴿لَهَا شِرْبٌ﴾؟ وكيف يكون محل الجملة المعطوفة: ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ﴾؟

الجواب: ليس لها محل من الإعراب؛ لأنها في جواب سؤال مقدر، أي: ما شأنها.

(٢)-**سؤال:** هل هو صحيح أن العاقر لها واحد، والباقين رضوا بفعله؛ فعمهم العذاب؟ وكيف كانت الدمدمة عليهم؟

الجواب: قد قالوا: إن العاقر لها واحد بأمرهم؛ بدليل قوله: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ۝٢٩﴾ [القمر]، أما كيفية عذابهم ففي آية: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف:٧٨]، وفي آية: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ [هود:٦٧]، وفي آية: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ [الشمس:١٤]، فيدل كل ذلك أن الله تعالى أخذهم بعذاب استئصال أي: أن الدمدمة كناية عن استئصالهم بالعذاب.

ليسلموا عذاب الله وسخطه الذي نزل على أولئك المكذبين من قبلهم.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ۝١٦٠﴾ ثم قص الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم قصة قوم لوط مع نبيهم.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ۝١٦١ إِنِّي لَكُمْ[(١)] رَسُولٌ أَمِينٌ۝١٦٢ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ۝١٦٣ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ۝١٦٤﴾ بعث الله تعالى إليهم لوطاً عليه السلام ليدعوهم إلى عبادة الله تعالى، وترك ما هم فيه من العصيان والتمرد على الله تعالى، فدعاهم إلى تقوى الله سبحانه وطاعته عليه السلام فيما أمرهم به من الفرائض.

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ۝١٦٥﴾ استنكر لوط عليه السلام عليهم هذه الفاحشة التي اختصوا بها من بين سائر الناس، وهي فاحشة اللواط التي هي قذارة ودناءة، والتي تحط مرتكبها عن مرتبة الإنسانية إلى مرتبة البهيمية.

﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ[(٢)] أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ۝١٦٦﴾ وتتركون الذي أحله الله سبحانه وتعالى لكم من أزواجكم، فقد تجاوزتم الحدود التي رسمها الله سبحانه وتعالى للناس جميعاً، والشرائع التي مشوا عليها، عادلين بذلك إلى إتيان الرجل الرجل.

---

(١)-**سؤال:** ما الفائدة من تكرير هذه المقولة وما بعدها في دعوة كل نبي؟

الجواب: الفائدة من ذلك الإشارة إلى أن دعوة الأنبياء واحدة لا تختلف وهي الدعوة إلى تقوى الله وترك معاصيه وإلى الإيمان بالله ورسوله الذي ائتمنه على رسالته وطاعة رسوله، وما يسألهم على تبليغ رسالة الله أجراً.. إلخ.

(٢)-**سؤال:** ما فائدة الإضراب هنا؟

الجواب: فائدته الإخبار بأنهم عادون في كل شيء في إتيان الذكران وفي غيره، وليس في إتيان الذكران فقط.

﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ۝١٦٧﴾ ولكنهم تثاقلوا نصحه لهم، وهددوه بالطرد والنفي من بلادهم إن لم يسكت عن ذلك، وذلك أن لوطاً عليه السلام كان أصله[1] من العراق، وإنما هاجر إليهم بأمر من الله سبحانه وتعالى.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ[2] مِنَ الْقَالِينَ ۝١٦٨﴾ يخاطب لوط عليه السلام قومه بأنه بريء من أعمالهم هذه، وأنه كاره لها أشد الكره.

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ۝١٦٩﴾ ودعا الله سبحانه وتعالى أن ينجيه من العذاب الذي هو نازل بهم بسبب كفرهم وعصيانهم وارتكابهم الفواحش.

﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ۝١٧٠﴾ ثم إن الله تعالى أنزل عذابه بهم فاستأصلهم جميعاً، بما في ذلك مساكنهم وما يملكون، وكانوا يسكنون خمس قرى.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ[3] ۝١٧١ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ۝١٧٢﴾ إلا امرأة لوط عليه السلام فقد أهلكها الله مع قومه؛ لأنها كانت كافرة. ومعنى «في الغابرين»: الباقين في الهلاك.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ۝١٧٣﴾ وهذا هو العذاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى بهم، وهو أنه قلب قراهم فجعل عاليها سافلها، وأما من

---

(١)- **سؤال:** كيف نجمع بين هذا وبين مفهوم الآية السابقة: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٦١﴾؟

الجواب: ليس المراد بأخوَّة لوط لقومه أنه أخوهم من النسب، بل المراد أخوة الصحبة والجوار والمخالطة؛ إذ المشهور –والله أعلم– أن لوطاً عليه السلام من العراق، وكان ممن آمن بإبراهيم عليه السلام حين بعثه الله تعالى إلى أهل بابل، فآمن به لوط لا غير في العراق قبل أن يهاجر إلى أرض الشام، قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ [أي: إبراهيم] إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [العنكبوت:٢٦].

(٢)-**سؤال:** هل يؤخذ من هذه الآية أن النهي باللسان يغني عن النهي بالفعل، أم كيف؟

الجواب: نعم، يؤخذ منها ذلك إذا عجز عن تغيير المنكر بيده؛ إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

(٣)-**سؤال:** ما فائدة تنكير لفظة ﴿عَجُوزًا﴾؟ وما محل قوله: ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾؟

الجواب: فائدته التحقير، و«في الغابرين» في محل نصب صفة لعجوز، أي: إلا عجوزاً غابرة.

بقي منهم خارج[١] هذه القرى فقد أمطر الله سبحانه وتعالى عليهم بحجارة من السماء حتى أبادتهم جميعاً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٧٤ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٧٥﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ١٧٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٧٧ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٧٨﴾ ثم انتقل الله سبحانه وتعالى إلى ذكر قصة أصحاب الأيكة لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

والأيكة: هي الأشجار[٢] الملتفة بعضها ببعض، وقد أرسل الله تعالى إليهم شعيباً عليه السلام.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٧٩ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن المطر أصابهم جميعاً، فما الوجه في تخصيصه بمن كان خارج قراهم كان الله في عونكم؟

الجواب: الوجه هو أن الله تعالى أخبرنا أنه عذبهم بنوعين من العذاب هما:

١ - قلب قراهم بأن جعل عاليها سافلها، فدفنهم هم ومساكنهم تحت الأرض.

٢ - أمطر الله تعالى عليهم حجارة من السماء.

فدعانا ذلك إلى القول بأن الله تعالى رمى من كان من قوم لوط خارج القرى، أما من كان في القرى فقد اقتلع تعالى القرى بمن فيها وجعل عاليها سافلها؛ فأخذهم تعالى ورماهم هم وقراهم تحت الأرض. ويحتمل أن يكون الله تعالى رماهم بالحجارة أولاً، ثم بعد ذلك دفنهم هم وقراهم تحت الأرض؛ ليطهر الأرض منهم ومن رجسهم تطهيراً حسياً؛ لئلا يبقى لهم أثر على وجه الأرض، لا مساكن ولا طرقات ولا قبور ولا آبار، ولا أي أثر من الآثار.

(٢)-**سؤال:** ما شأن هذه الأشجار حتى سموا بأصحابها؟

الجواب: كانت الأشجار في بلادهم متشابكة الأغصان لكثافتها وتزاحمها، فعرفت بلادهم بالأشجار وعرفوا بها، كما يقال: أصحاب الحجر وأصحاب السد، وبلاد الرمان وأهل الرمان و..إلخ.

الْعَالَمِينَ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ[١] وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴿١٨٢﴾﴾ وأمرهم شعيب عليه السلام بأن يطيعوا الله تعالى، ويتركوا ما هم فيه من الضلال والعصيان وعبادة غير الله سبحانه وتعالى، وكانوا أهل تجارة وبيع وشراء، وذلك أن بلاد الشام كانت مزدهرة بالتجارة يقصد إليها التجار من جميع البلدان لجلب البضائع، فأمرهم بأن يتركوا الغش والخديعة في البيع والشراء، وأن يوفوا الكيل والميزان. والقسطاس: هو الميزان.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴿١٨٣﴾﴾ ونهاهم عن البخس الذي هو النقص في حقوق الناس[٢]، ونهاهم عن الفساد في الأرض بجميع أشكاله من القتل والظلم وغير ذلك مما يندرج تحت معنى الفساد.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴿١٨٤﴾﴾[٣] ثم بدأ يُعَرِّفهم بالإله الذي تجب عليهم طاعته وتقواه، بذكر آثاره التي تدل عليه، فأخبرهم بأنه الذي خلقهم

---

(١)- **سؤال:** هل المراد بالكيل المصدر والحدث، أم الاسم؟ وهل تريدون أن الوزن بالميزان المستقيم كناية عن إيفاء الميزان؟

الجواب: ليس المراد الحدث والمصدر، بل المراد المكيال والميزان؛ بدليل ذكره المكيال والميزان في سورة أخرى عند ذكره لشعيب عليه السلام: ﴿**أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ**﴾ [هود:٨٥]، والأمر بالوزن بالقسطاس المستقيم قد يكون كناية عن إيفاء الميزان وعدم نقصه.

(٢)-**سؤال:** يقال: هذا المعنى قد استفيد من الأمر بإيفاء الكيل والميزان؛ فكيف؟

الجواب: كان قوم شعيب يبخسون الناس أشياءهم في الكيل والوزن وفي غيرهما؛ فأمرهم شعيب بإيفاء الكيل والوزن ونهاهم عن أخذ أموال الناس عن طريق الغش والخيانة والحيل والخداع، وغير ذلك مما اعتادوه في أخذ أموال الناس بغير حق.

سؤال: قد يفهم بعض العامة أن تنقيص السعر على البائع من البخس، فما قولكم فيه؟

الجواب: دفع المشتري ثمناً ناقصاً في سلعة البائع عند المساومة ليس من البخس المنهي عنه في هذه الآية، وقد تقدم لنا أيضاً جواب مستوفى على هذا.

(٣)-**سؤال:** مم اشتقت وأخذت كلمة «الجبلة»؟

الجواب: أخذت من: جَبَلَهُ الله أي: خلقه خلقاً قوياً متماسكاً كخلق الجبل يشير بذلك إلى قوم هود وصالح.

وخلق جميع الأمم التي كانت قبلهم، فإنهم إذا نظروا في عجيب خلقهم وكيفية ابتداء منشئهم فإن ذلك سيوصلهم إلى أنه لا بد من قادر حكيم عالم بخفايا الأمور وهو الله تعالى.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ[1]﴿١٨٥﴾﴾ فأغلظوا في الرد عليه، واتهموه بالمس والجنون والهذيان.

﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴿١٨٦﴾﴾[2] يزعمون أنه لا يصح أن يكون نبيٌ من البشر، ولا بد أن يكون من جنس غير جنسهم، وزعموا أن الله تعالى لو أراد أن يرسل رسولاً لاتخذ له رسولاً من الملائكة أو نحوهم.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴿١٨٧﴾﴾ وطلبوا منه أن يسقط عليهم قطعاً من السماء إن كان صادقاً فيما يزعم، مما يدل على شدة عنادهم وتمردهم وكبرهم حين يطلبون منه هذا المطلب.

﴿قَالَ رَبِّي[3] أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ[4] إِنَّهُ

---

(١)-**سؤال:** ما أصل هذه الكلمة؟ وهل في تضعيفها زيادة في المعنى؟

الجواب: أصل الكلمة السحر فهي مأخوذة منه وفائدة تضعيفها لتدل على أنه سُحِرَ كثيراً حتى غُلِبَ على عقله.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴿١٨٦﴾﴾؟

الجواب: «إن» هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والجملة التي بعدها في محل رفع خبرها واللام هي الفارقة.

(٣)-**سؤال:** هل في جوابه هذا دليل على أنه بلغ الغاية في التلطف بهم والإشفاق عليهم عندما لم يدعُ عليهم بما طلبوه؟

الجواب: نعم فيه دليل على ما ذكرتم وهكذا كان رسل الله وأنبياؤه عليهم السلام فقد بلغوا الغاية في سعة الصدر والشفقة على أممهم.

(٤)-**سؤال:** يقال: ظاهر آية الأعراف: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف:٨٧]، أن العذاب بزلزلة الأرض فكيف نجمع بينها وبين هذه الآية؟

الجواب: يكون الجمع بأن المقصود في الآيتين هو الكناية عن أخذهم أخذة شديدة تستأصلهم، فقد

=

كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴿١٩١﴾﴾ فأجاب عليهم بأن الله تعالىٰ يسمعهم ويسمع ما يطلبون، ويعلم بجميع أعمالهم وسيجازيهم، ثم إن الله سبحانه وتعالىٰ أهلكهم بعذابه، وكان ذلك العذاب في سحابة أظلتهم؛ فأخذهم ذلك العذاب واستأصلهم.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أن فيما قصه آية وعبرة لكم يا قريش إن أردتم أن تعتبروا، ولكنهم لم يؤمنوا ولن يؤمنوا بالرغم من كثرة العبر والآيات التي ينزلها عليهم، فلا تنتظر إيمانهم يا محمد، فلن يؤمنوا أبداً، وما كان من الآيات والعبر التي قصها لهم إنما هي إتمام للحجة عليهم، وقطع لأعذارهم؛ فلا يكون لهم يوم القيامة عذر عند الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿وَإِنَّهُ(١) لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿١٩٢﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ بأن يخبر المشركين أن هذا القرآن كلام الله تعالىٰ الذي أنزله علىٰ نبيه ﷺ، لا كما يقولونه إنه ليس إلا سحراً مفترىٰ وأساطير الأولين.

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴿١٩٤﴾﴾ هو جبريل عليه السلام نزل بالقرآن علىٰ محمد ﷺ لينذر به المشركين.

﴿بِلِسَانٍ(٢) عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴿١٩٥﴾﴾ وقد نزل بلغتهم التي هي لغة العرب، فلا عذر

قال الله لنبيه ﷺ أن يقول لقريش: ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴿١٣﴾﴾ [فصلت]، فكانت الصاعقة هي قتلهم يوم بدر بسيوف المؤمنين، وقد أهلك الله تعالىٰ عاداً بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً.

(١)-**سؤال:** ماذا تفيد الواو هنا؟ وهل هي علىٰ قياس الوصل والفصل هنا، أم لا؟

الجواب: الواو هنا استئنافية، وما بعدها مستأنف لتقرير صحة نبوة النبي ﷺ، وذلك من حيث أنه جاءهم بقصص الأنبياء السابقين وقصص أممهم، وهو من قد عرفوه لم يخالط أهل الكتاب ولا قرأ كتبهم، بل لا يقرأ ولا يكتب، وليست علىٰ قياس الفصل والوصل، اللهم إلا الوصل الصوري الذي يربط في الصورة الكلام بعضه ببعض.

(٢)-**سؤال:** ما معنىٰ الباء هنا؟ وبماذا تعلقت مع مجرورها؟

=

لهم أو حجة في عدم فهمهم آياته ومعانيه.

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ(١) الْأَوَّلِينَ۝١٩٦﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن القرآن قد جاء ذكره في الكتب التي سبقته كالتوراة والإنجيل والزبور.

﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ءَايَةً(٢) أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ(٣) بَنِي إِسْرَاءِيلَ۝١٩٧﴾ ثم استنكر على قريش عندما كانوا يسمعون علماء اليهود يذكرون ما جاء في كتبهم من نعت محمد ﷺ وأوصافه والقرآن، ثم لا يؤمنون به مع ما قد حصل لهم من اليقين في صدقه.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ۝١٩٨ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ۝١٩٩﴾ أخبر الله تعالى أنه لو نزل القرآن على بعض الأعاجم لما فهمت قريش معانيه وما المقصود منه، أما وقد نزل على لغة العرب وبلسانهم فلم يبق لهم أي حجة أو عذر

الجواب: معنى الباء هنا كمعناها في: كتبت بالقلم، وهي متعلقة بالمنذرين.

(١)-**سؤال:** ما هو مفرد هذه الكلمة؟

الجواب: مفردها زَبُورٌ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا۝٥٥﴾ [النساء].

(٢)- **سؤال:** إذا كان قوله: ﴿ءَايَةً﴾ خبر «يكن» فأين اسمها؟ وبماذا تعلق ﴿لَهُمْ﴾؟ وما موقعه من الإعراب؟

الجواب: «آية» هي خبر «يكن» واسمها هو«أن يعلمه..» أي المصدر المؤول من أن والفعل، و«لهم» متعلق بمحذوف حال من «آية» وهو في محل نصب.

(٣)-**سؤال:** ما صحة ما ذكر عن بعضهم في تفسير هذه الآية أن المراد بها تصديق عبدالله بن سلام وغيره ممن آمن من اليهود؟

الجواب: عبدالله بن سلام هو واحد من علماء اليهود الذين شهدوا بنبوة النبي ﷺ، والمعلوم أنه كان قد اشتهر عن علماء اليهود من قبل مبعث النبي ﷺ التبشير ببعث نبي قد حان وقت مبعثه من صفاته كذا وكذا وينزل المدينة و... إلخ، والأقرب أنه يريد ما اشتهر عن علماء اليهود من قبل مبعث النبي ﷺ؛ لأن السورة مكية، ولم يكن عبدالله بن سلام قد آمن يوم نزولها.

في عدم إيمانهم به، وذلك هو المراد بقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ[١] فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ۝٢٠٠ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا[٢] الْعَذَابَ الْأَلِيمَ۝٢٠١﴾ وقد علموه وعرفوا معانيه وما المراد منه لكنهم رفضوا الإيمان به والعمل بما فيه؛ عناداً وكفراً وتمرداً على الله تعالى، ولن يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.

﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ۝٢٠٢[٣] فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ۝٢٠٣﴾ وأخبر أنهم لن يؤمنوا به وسيضلون على كفرهم وعنادهم إلى أن يروا نزول العذاب بهم فعندها سيتفاجأون عند رؤيته فيطلبون الغوث، ويترجون من الله سبحانه وتعالى أن يمهلهم حتى يستدركوا ما فاتهم.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ۝٢٠٤﴾[٤] كانوا يطلبون من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يعجل

---

(١)- **سؤال:** هل تقصدون أن معنى ﴿سَلَكْنَاهُ...﴾ إلخ: أدخلناه في قلوبهم حين جعلناه بلغتهم وحسب أفهامهم؟

الجواب: نعم، ذلك هو المراد.

(٢)- **سؤال:** ما الهدف من جعل رؤية العذاب غاية عدم إيمانهم؟

الجواب: جعل ذلك غاية عدم إيمانهم:

- لحسم طمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين في إيمانهم مدة التكليف.
- أنهم إذا رأوا العذاب سيؤمنون، فإذا عرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن إيمانهم لا يحصل إلا عند رؤيتهم للعذاب الأليم فإنه يحصل له اليأس من إيمانهم، ويزول طمعه ورجاؤه في إيمانهم.
- بيان شدة شكيمتهم في الكفر وعظيم تكبرهم.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿بَغْتَةً﴾؟ وما محل جملة: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ۝٢٠٢﴾؟ وإذا كانت هذه الجملة مفهومة من قوله: ﴿بَغْتَةً﴾ فما الوجه في تكريرها؟

الجواب: «بغتة» مفعول مطلق لتأتيهم؛ لأنه من نوعه، أو لفعل محذوف: يبغتهم بغتة. «وهم لا يشعرون» جملة حالية في محل نصب من ضمير المفعول، وهذه الحال كالمؤكد لبغتة، فتسمى حالاً مؤكدة.

(٤)-**سؤال:** فضلاً ما هو التحقيق في معنى الاستفهام في هذه الآية: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ۝٢٠٤﴾؟

الجواب: الاستفهام هنا للإنكار التوبيخي والتهكمي، استنكر الله تعالى عليهم حين خصوا عذاب الله الذي لا يعذب عذابه أحد بالاستعجال، فطلبوا نزوله بهم، فوبخهم الله على ذلك، وجهَّلهم

=

عليهم بالعذاب الذي يتوعدهم به، فرد الله سبحانه وتعالى عليهم: لماذا يستعجلون نزوله؟ وأي راحة لكم فيه حتى تستعجلوه؟ وكيف تستعجلون الشيء المكروه؟

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ[1]﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا[2] يُمَتَّعُونَ﴿٢٠٧﴾﴾ أخبرني يا محمد إن أمهلناهم عدة سنوات ثم نزل عليهم العذاب؛ فماذا يستفيدون من إمهالهم ذلك؟

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ[3]﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴿٢٠٩﴾﴾[4]

وتهكم بهم، حيث وصل بهم الجهل والغفلة والسخافة إلى أن يطلبوا نزول ذلك العذاب العظيم.

(١)- **سؤال:** أين جواب الشرط: ﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴿٢٠٥﴾﴾؟

الجواب: جواب الشرط محذوف يدل عليه قوله: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴿٢٠٧﴾﴾.

(٢)- **سؤال:** ما معنى «ما» في قوله: ﴿مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴿٢٠٧﴾﴾؟

الجواب: «ما» مصدرية أي: تمتيعهم.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب جملة: ﴿لَهَا مُنْذِرُونَ﴿٢٠٨﴾﴾؟ وكذا: ﴿ذِكْرَى﴾؟

الجواب: تعرب الجملة صفة لقومه فهي في محل نصب أو تكون حالية لأن النفي مسوغ، و«ذكرى» مفعول من أجله.

(٤)- **سؤال:** يقال: مفهوم: ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴿٢٠٩﴾﴾ أنه لو عذبهم قبل إنزال الحجج وإرسال الرسل لكان ظلماً؛ فكيف بما تقدم لكم في الفنقلة في سورة الإسراء، وكذا ما اشتهر عن أغلب أصحابنا- أنهم يعذبون على الإخلال بالتكاليف العقلية؟

الجواب: قد فسر في المصابيح قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴿٢٠٩﴾﴾ بقوله: فنهلك قوماً غير ظالمين، أو قبل أن نرسل إليهم؛ لذلك يضعف الاستدلال بها بعض الضعف على الحكم بالظلم فيما لو عذبهم الله قبل إرسال الرسل، والذي يبدو لي -والله أعلم- أن السبب والعلة في أن الله تعالى لن يعذب حتى يبعث رسولاً هو قطع حجج المعذبين كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴿١٣٤﴾﴾ [طه]، وينبغي التفصيل هنا لما يستحقون عليه العذاب قبل بعثة الرسول، وما لا يستحقون عليه العذاب إلا بعد بعثة الرسول، فالذي يستحقون عليه العذاب: هو الكفر بالله والشرك به، وظلم العباد، والبغي والفساد في الأرض، وذلك لوضوح الدلائل في فطر العقول على خالق عليم قادر عظيم، وعلى بطلان إلهية ما

=

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يستأصل أمة أو أهل قرية، وينزل بهم عذابه إلا بعد أن يُبَلِّغَهم الحجة، ويرسل إليهم رسله ينذرونهم ويحذرونهم، فإن قبلوا وإلا عذبهم الله تعالى لأنهم قد استحقوا ذلك بسبب ما جنوا على أنفسهم، ولأنه لو أخذهم قبل ذلك لكان عذراً لهم عند الله سبحانه وتعالى بأن حججه لم تصل إليهم.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ[1] بِهِ الشَّيَاطِينُ۝٢١٠ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ۝٢١١﴾ ثم رجع الله سبحانه وتعالى إلى ذكر وصف القرآن فأخبر تعالى بأن جبريل هو الذي أنزله إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليست الشياطين، وأن ذلك ليس في قدرة الشياطين ولا استطاعتهم، وأيضاً لا ينبغي أن ينزله الله تعالى على أيديهم.

﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ۝٢١٢﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى السبب في ذلك بأن الشياطين معزولون عن وحي الله تعالى فلا يستطيعون أن ينفذوا إلى أقطار السماء.

﴿فَلَا[2] تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ۝٢١٣﴾ ثم نهى الله تعالى

سواه من المخلوقات الضعيفة، ولما تحكم به مبادئ النظر من قبح الظلم والعدوان والبغي والفساد حكماً جازماً لا يختلف فيه العقلاء ولا يترددون.

والذي لا يستحق المكلفون عليه العذاب إلا بعد مبعث الرسل: هو الإيمان برسل الله، وبما أنزل الله من الكتب، والإيمان باليوم الآخر؛ فإن العقول وإن حكمت على فاعل القبيح باستحقاق العذاب إلا أنها تجوِّز أن يعاقب وأن لا يعاقب، وليس للعقل طريق مكشوفة توصله إلى الإيمان والتصديق باليوم الآخر والحساب والجزاء، وإلى الإيمان برسل الله وكتبه، إلا عن طريق بعثة الرسل، وبهذا التفصيل يتضح جواب الإشكال المذكور في السؤال، والله أعلم.

(١)- **سؤال:** هل اتهموا تنزيل الشياطين له حتى رد عليهم بهذا أم ماذا؟

الجواب: قد اتهموا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه كاهن، أو أنه يتلقى الذكر الحكيم من كاهن، والمعروف عن الكهنة أنهم يتلقون كهانتهم من الشياطين، ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ۝٤٢﴾ [الحاقة].

(٢)- **سؤال:** ما علاقة الفاء هنا بما تقدمها؟ وهل هذا النهي: «لا تدع» صادر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، أم على العادة والمراد المؤمنون؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة أي: إن لم يكن كما يقولون من تنزيل الشياطين فلا تدع...، والنهي موجه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد المؤمنون.

نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يتخذ إلهاً آخر مع الله تعالى فيأخذه بالعذاب.

بدأ الله تعالى في تعليم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بدين التوحيد الذي هو معرفته، ثم بعد[١] ذلك قال: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴿٢١٤﴾﴾ ثم أمره أن يدعو أقاربه وأرحامه قبل الناس جميعاً.

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴿٢١٥﴾﴾[٢] وأمره بالتواضع، مما يدل على أهمية ذلك، وأنه الركيزة الأساسية في الدين، والوسيلة الناجحة في الدعوة إلى الله تعالى، ومن أكبر أسباب القبول.

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴿٢١٦﴾﴾ فإن رفضوا القبول والإذعان فأخبرهم بأنك غير راضٍ عن شركهم[٣] وكفرهم، وتبرأ منهم.

---

(١)-**سؤال:** هل فهمت بعدية الإنذار من الواو أم من ماذا؟

الجواب: فهم من الواو بمعونة ما يقضي به العقل من الترتيب، فالمفروض أن لا يكون الإنذار إلا بعد أن يطمئن الفؤاد بحقائق الإيمان.

(٢)-**سؤال:** ما هو الحكم الفقهي المستفاد من هذه الآية للمرشد والعالم؟

الجواب: ليعلم الدعاة والمرشدون أنهم قائمون بدعوة رسول الله، يدعون إلى ما كان يدعو إليه، ويرشدون الناس إلى ما كان يرشدهم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليعلموا أنهم لن ينجحوا في دعوتهم ولن يثمر إرشادهم إلا إذا أخذوا بما تضمنته هذه الآية، والتزموا به، من: التواضع للمؤمنين، وإظهار الشفقة عليهم، والمحبة لهم، والعفو عنهم، والإغماض عن هفواتهم، والدعاء لهم، وأن يكون لهم كالأب الحنون والأخ الشفيق، يعود مرضاهم، ويسأل عن غائبهم، ويجيب دعوتهم، ويفرج همومهم، ويفسح لهم في المجلس، ويعظمهم، وإلى آخر ما يقدر عليه من كريم الأخلاق ورفيع الآداب، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك، بل أعظم من ذلك؛ لذلك نجح صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته وتبليغ رسالته قال تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾** [آل عمران:١٥٩].

(٣)-**سؤال:** يقال: ظاهر الضمير في ﴿عَصَوْكَ﴾ يعود للمؤمنين فكيف؟

الجواب: الضمير يعود إلى «عشيرتك الأقربين»، حيث أن الله تعالى أمره بإنذارهم، ويخفض جناحه لمن اتبعه، والتبرؤ ممن عصاه منهم ولم يتبعه، هكذا يدل السياق.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴿٢١٧﴾﴾ واستمر في مواصلة التبليغ والدعوة متوكلاً على الله، ولا تخف من أحد؛ فالله تعالى ناصرك ومعينك، وسيكفيك شرهم وأذاهم.

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴿٢٢٠﴾﴾ ثم وصف تعالى نفسه بأنه يرى قيامك في عبادة الليل، وتفقدك لأحوال المؤمنين، فهو[1] المطلع على كل أعمالكم، ما خفي منها وما ظهر.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ[2] عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴿٢٢٣﴾﴾[3] وأن الشياطين لا تذهب إلا إلى أولئك الأفاكين والكذابين فتنقل لهم ما استرقته من السمع، وتزيد على ذلك الكذب والافتراءات والأخبار التي تختلقها من عند أنفسها.

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴿٢٢٤﴾﴾ وأما أنت يا محمد فأتباعك هم المؤمنون وأهل الهدى فلست بشاعر، وقد كان المشركون يقولون: إن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شاعر، وتارة يقولون: ساحر، وتارة أخرى: مجنون.

---

(١)- **سؤال:** قد قيل بأن معنى ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴿٢١٩﴾﴾: صلاتك مع المصلين؛ فما مدى صحة ذلك؟ وما معنى «في» في قوله: ﴿فِي السَّاجِدِينَ﴿٢١٩﴾﴾ على كلا التفسيرين؟

الجواب: قد فسرت الآية بالوجهين: الذي ذكرنا، والذي ذكرتم، وبغيرهما، وكلها تفسيرات مروية، وكلها محتملة، إلا أنه لم يرو أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين كانوا يجتمعون أوقات الصلوات في مكة ليصلوا جماعة؛ لذلك عدلنا عما ذكرتم في التفسير. ومعنى «في» التي في قوله: ﴿فِي السَّاجِدِينَ﴿٢١٩﴾﴾ الظرفية على التفاسير جميعاً.

(٢)- **سؤال:** ما فائدة الإتيان بالاستفهام قبل الإخبار في هذه الآيات؟

الجواب: فائدته حملهم على الإصغاء إلى الجواب، وتهيئتهم وفتح آذانهم إلى سماعه.

(٣)- **سؤال:** ما محل جملة: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾؟ وجملة: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴿٢٢٣﴾﴾؟

الجواب: «يلقون السمع» يجوز أن تكون مستأنفة فلا محل لها، ويجوز أن تكون نعتاً لـ«كل» فمعنى كل الجمع فيكون محلها الجر، أو نعتاً لـ«أفاك» فيكون محلها الجر، أو حالاً من فاعل «تنزل» فيكون محلها النصب. «وأكثرهم كاذبون» في محل نصب حال من فاعل يلقون.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴿٢٢٥﴾﴾[1] ألم تعلم أن الشعراء عادتهم التقلب والتحول، فمرة يمدحون ومرة يذمون، ومرة يهجون، و...إلخ، فالشاعر الواحد ترى أشعاره متناقضة ينقض بعضها بعضاً، بينما القرآن على نمط واحد وأسلوب دقيق، سالم عن الاختلاف والتناقض.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴿٢٢٦﴾﴾ وكذلك طبيعتهم الكذب والإكثار منه.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴿٢٢٧﴾﴾[2] ثم استثنى الله سبحانه وتعالى القليل منهم وهم الذين آمنوا بدعوتك يا محمد، وعملوا الأعمال الصالحة، وانتصروا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أشعارهم[3] واستغلوها في رد هجاء المشركين للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأن هؤلاء المشركين عما قريب سيرون المصير الذي أعده لهم، وأين ستكون نهاية أمرهم.

❁❁❁❁❁

---

(١)-**سؤال:** ما السر في تقديم المعمول: ﴿فِي كُلِّ وَادٍ﴾ على عامله؟

الجواب: السر في تقديمه هو الاهتمام به من حيث أنه المستنكر الذي بعث على الكلام فلم يستنكر عليهم مضيهم في الشعر وذهابهم فيه وإنما استنكر عليهم خوضهم في الأعراض والذم بغير حق ومدح من لا يستحق المدح والكذب وقول الزور و... إلخ.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ﴾؟ وأين معمول: ﴿سَيَعْلَمُ﴾؟

الجواب: «أي منقلب» مفعول مطلق والعامل فيه «منقلبون» الذي بعده، و«سيعلم» معلقة عن العمل بالاستفهام فتكون جملة الاستفهام في محل نصب.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما خلاصة الكلام في الشعر حسنه وقبيحه؟

الجواب: حسن الشعر ما كان منه في حدود الحق ولم يتجاوز به إلى قول الباطل كذم من لا يستحق الذم وهتك الأعراض المصونة و..إلخ. وقبيحه ما كان منه في قول الباطل والزور وهتك الأعراض المصونة وقول الكذب ومدح الظالمين وتزيين أعمالهم الظالمة وتحقير المؤمنين والتنقيص من شأن الصالحين أو ما من شأنه أن يثير العداوات والتفرقة بين المؤمنين أو ما قد يكون سبباً لإثارة فتنة أو للتهييج على فعل معصية أو ما أشبه ذلك. وتلخيص ذلك: أن حسنه حسن، وقبيحه قبيح.

سورة النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طس تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ۝١﴾(١) في الإشارة تفخيم لشأن هذه السورة التي وَضُحَتْ حججها ودلالاتها لمن استمع إليها وتدبر معانيها، غير أن المشركين كانوا معرضين عنه أشد الإعراض، فكلما قرأ النبي ﷺ عليهم القرآن أخذوا برفع أصواتهم بالضجيج والضحك حتى لا يسمعوه وهو يقرأ.

﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ۝٢﴾(٢) وأخبر أن آيات القرآن يهتدي بها المؤمنون، وفيها تبشيرهم بالثواب العظيم والأجر الجزيل في الآخرة والحياة الهنيئة والسعيدة في الدنيا.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ۝٣﴾(٣) ثم

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب هذه الآية كاملة؟ وهل في عطف المنكَّر «كتاب» على المعرَّف ما يخالف القاعدة فلماذا؟ أم أنها جارية على القواعد؟

الجواب: «طس» خبر لمبتدأ محذوف أي: هذه طس، و«تلك» مبتدأ «آيات القرآن» خبره، «وكتاب» معطوف على القرآن. ولا مانع من عطف النكرة على المعرفة وإنما نكر لتفخيم شأن الكتاب وتعظيمه.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿هُدًى وَبُشْرَى﴾؟

الجواب: «هدى وبشرى» خبر لمبتدأ محذوف أي: هو هدى وبشرى.

(٣)- **سؤال:** ما العلة في عطف الجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ..﴾ على الفعلية: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾؟ وما فائدة تكرير الضمير «هم»؟

الجواب: عطفت الاسمية على الفعلية لقصد إفادة الثبوت والدوام في المعطوفة أي: أنهم ثابتون على الإيقان مستمرون عليه لا ينفكون عنه. وفائدة تكرير الضمير «هم» هو أن أصل الكلام: هم يوقنون بالآخرة فقدم الجار والمجرور للاهتمام فصار الكلام: هم بالآخرة يوقنون، فلما فصل الجار والمجرور بين الضمير ويوقنون دعت الحال إلى تطرية ذكر الضمير وتجديده ليليه الخبر من غير فاصل وذلك من أجل العناية بالحصر والقصر.

وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين يهتدون بهديه وينتفعون بآياته بأنهم الذين يقيمون الصلاة، ويخرجون زكاة أموالهم، ويصدقون بالبعث والحساب، فهؤلاء هم الذين يتدبرون آياته، وينتفعون بهديها، وأما أولئك الكافرون المتكبرون فلا حظ لهم في فهمها وتدبر ما فيها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ زين الله تعالى للكافرين دين[1] الإسلام وسبل السلام وما أعده من النعيم لأهل طاعته، فأعرضوا وكذبوا واستكبروا، وأصروا على البقاء في ظلام الكفر وأودية الضلال.

﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ۝٤﴾ فهم يسيرون على غير هدى.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ۝٥﴾ وهؤلاء الذين هذه صفتهم هم أهل عذاب الله تعالى وسخطه، وهم الذين سيكون نصيبهم الخسران والهلاك في الآخرة.

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى[2] الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ۝٦﴾ ثم خاطب الله تعالى نبيه ﷺ بأنه يتلقى القرآن ويأخذه من عند حكيم عليم، لا كما يقوله المشركون بأنه ليس إلا كلام السحر والشعبذة والجنون.

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم إذا قيل: قوله: ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ۝٤﴾ يدل على أن التزيين لأعمال الكفر وإن كانت حقيقته مستحيلة على الله، فكيف يجاب على هذا؟ وما المأخذ لتفسيركم؟

الجواب: ما ذكرناه في التفسير هو أحد التفاسير التي ذكرت في الكشاف وهو معزو إلى الحسن البصري، وهو غير سالم من الاعتراض كما ذكرتم، والأولى أن نحمل التزيين المسند إلى الله تعالى في هذه الآية على فعل سببه الذي هو تمتيعهم بطول الأعمار وسعة الأرزاق وإمدادهم بالصحة والعافية، مع ما في طبائع البشر عموماً من الغرائز والشهوات.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما أصل هذا الفعل؟ وما هي معمولاته؟

الجواب: أصله التلقي وهو الأخذ عن الغير وهو مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر، وهو المفعول الأول في الأصل، و«القرآن» المفعول به الثاني.

﴿إِذْ(١) قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ(٢) لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ۝٧﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ قصة موسى عندما أوحى إليه واصطفاه للنبوة والرسالة، فبعد أن أكمل السنين التي استأجره نبي الله شعيب عليه السلام -وهي ثمان سنوات أو عشر إن تطوع موسى بإتمامها- أخذ امرأته وسافر بها، ثم إن الليل أظلم عليه وهو في الطريق، وأصابهم البرد الشديد، وأيضاً أضاعوا الطريق بسبب الظلمة الشديدة، فرأى(٣) موسى ناراً على مسافة منهم فأمر أهله بأن ينتظروا حتى يذهب ليبحث لهم عن دليل يخبرهم بالطريق، أو ليأتي لهم بنار يستدفئون بها.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ(٤) مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ فلما وصل موسى عند النار سمع صوتاً يناديه بأن هذه النار مباركة، وما(٥) فيها من النداء مبارك

---

(١)-**سؤال:** بماذا تعلق هذا الظرف رغم أنه لم يتقدم له عامل في الظاهر؟

الجواب: هو معمول لفعل محذوف تقديره: اذكر إذ قال موسى.

(٢)-**سؤال:** ما العلة في تسمية النار التي يأتيهم بها بـ«شهاب قبس»؟

الجواب: سميت شهاباً لأنها تشتعل وتلتهب، وسميت قبساً لأنها مقتبسة من النار أي: مأخوذة منها.

(٣)-**سؤال:** ما العلاقة بين الرؤية والمؤانسة حتى كانت معناها؟

الجواب: قالوا: إن أصل المؤانسة وضوح الأمر للعين عن بعد ثم استعير للتبين والمعرفة في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا..﴾ [النساء:٦]، ﴿ءَانَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ [القصص]، أي: رآها عن بعد.

(٤)-**سؤال:** ما محل: ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ الإعرابي؟ أم أنَّ «أن» فيه تفسيرية؟

الجواب: «أن» هنا تفسيرية فلا محل لذلك من الإعراب.

(٥)- **سؤال:** يقال: إذاً فما المسوغ لاستخدام «من» في قوله: ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ وهي للعاقل؟ أم ترون صحة حملها على الملائكة؟ وكيف نجمع بين هذا وهو أن النداء من النار وبين قوله: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ [القصص:٣٠]؟

الجواب: الذي سوغ استعمال «من» وهي للعاقل أن النداء والكلام من صفات العقلاء فساغ لذلك استعمال «من». والجمع يكون بأن يقال: بأن النار التي رآها موسى عن بعد كانت نوراً يتوهج ويتوقد كالنار في البقعة المباركة وكانت الشجرة في تلك البقعة المباركة فصح لذلك أن النداء

=

والبقعة مباركة، وأنت يا موسى مبارك.

﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝٨﴾[١] وتقدس وتنزه أن يكون حول هذه النار أو فيها؛ لأن ذلك يستلزم التجسيم والحلول، والله سبحانه وتعالى يتعالى عن الحلول والمكان.

﴿يَامُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝٩﴾ يخبره الله تعالى بأنه هو الذي يناديه، وذلك أنه تعالى خلق كلاماً في ذلك المكان بقدرته كلم به موسى عليه السلام بغير آلة فهو تعالى يتكلم بغير لسان وحنك وشفتين، ويرى بغير عين، ويسمع بغير أذن، ويخلق مخلوقاته بغير يدين ومن غير آلة عمل.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ وأمره الله سبحانه وتعالى عند ذلك أن يرمي بعصاه من يده.

﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا[٢] جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ[٣] يَامُوسَى[٤] لَا تَخَفْ

من الشجرة والبقعة والنار.

(١)-**سؤال:** ما هي قرينة أن التسبيح والتنزيه من توهُّم حلوله في النار تبارك وتعالى؟

الجواب: القرينة هي وقوعه بعد ذكر كلام الله تعالى الذي سمعه موسى عليه السلام من النار فربما تبادر إلى بعض الأذهان توهم حلول الباري في النار تعالى الله عن ذلك فجاء التسبيح لدفع ذلك التوهم.

(٢)-**سؤال:** ما محل حرف التشبيه؟

الجواب: محله النصب على الحالية.

(٣)- **سؤال:** ما الفائدة في التعبير بقوله: ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ بعد ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾؟ وممَّ أخذت هذه الكلمة «يعقب»؟

الجواب: «لم يعقب» لم يرجع على عقبه أي: إلى الخلف وكأنها مأخوذة من العَقِب. وفائدة التعبير بقوله «ولم يعقب» أن المرء إذا تفاجأ بأمر مخيف يهرب وكثيراً ما يقف ويرجع للتعرف على ذلك الذي أخافه وللتصدي له، ولكن موسى عليه السلام لم يقف ولم يرجع على ما هو عليه من قوة القلب والبدن؛ لذلك فيستفاد من قوله: ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أن عصاه التي صيرها الله تعالى بقدرته حية تسعى كانت على شكل مخيف لا تتحمل قواه البدنية النظر إليها ولا الوقوف عليها ولا التصدي لها.

(٤)-**سؤال:** ما محل: ﴿يَامُوسَى لَا تَخَفْ﴾؟

الجواب: محل ذلك النصب مقول لقول محذوف.

﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ۝١٠﴾[(١)] عندما ألقاها رآها تتحرك كالثعبان فخاف من ذلك المنظر وهرب لا يلتفت على شيء من شدة الخوف والفزع، فسمع منادياً يصيح به: أن لا تخف فأنت نبي مرسل، والمرسلون لا يخافون.

﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ۝١١﴾ والمفروض أن لا يخاف إلا من عصا الله تعالى، ولكن من عصا الله تعالى ثم تاب إليه فإن الله سيتوب عليه[(٢)].

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ والجيب هو الذي نسميه في العامية: (فِقْرَة القميص)، أمره الله سبحانه وتعالى أن يدخل يده فيها فإنه

---

(١)- **سؤال:** ما السر في قوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ۝١٠﴾ بدلاً عن: إنك نبي مرسل والمرسلون لا يخافون؟

الجواب: القرآن الكريم على الغاية من الفصاحة والبلاغة لذلك طوى ذكر المقدمة الصغرى لوجود القرينة الدالة عليها، فليس هناك ما يوجب ذكرها مع وجود ما يدل عليها، ومأخوذ على البليغ مراعاة الحذف والذكر على حسب ما يقتضيه المقام.

سؤال: يقال: كيف نجمع بين قوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ۝١٠﴾ وبين الآيات التي ذكرت خوف الأنبياء؟

الجواب: قوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ۝١٠﴾ أي: لا يخافون في الموضع الذي يوحى إليهم فيه؛ لأنهم في ظل رحمة الله ومهوى سكينته، فهذا هو الموضع الذي لا ينبغي أن يخاف فيه المرسلون، أما في غيره فالأنبياء وغيرهم يخافون بمقتضى طبائعهم التي طبعوا عليها من الخوف عند حصول أسبابه.

(٢)- **سؤال:** هل نفهم من هذا أن في الآية حذفاً؟ وما معنى الاستثناء في الآية؟ وما حل تركيبها فلا زال مشكلاً عند بعض الطلبة؟

الجواب: ليس في الآية حذف، والاستثناء منقطع، والمعنى: لكن من ظلم نفسه بمعصية الله ثم تاب إلى الله وأحسن الطاعة لله بعد معصيته فإن الله غفور رحيم يغفر ذنبه ويتوب عليه ويمده بألطافه وتوفيقه.

سيخرجها بيضاء ناصعة البياض لا عن مرض أو علة، وإنما آية من آيات الله سبحانه وتعالىٰ وذلك بياض يخطف الأبصار بجماله.

﴿فِي تِسْعِ[١] ءَايَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ۝١٢﴾ وأمره بأن يذهب إلىٰ فرعون وقومه مؤيداً بتسع آيات تشهد بصدقه، وكانوا قد تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان والتجبر في الأرض، والتسع الآيات هي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس علىٰ أموالهم والجدب أو فلق البحر.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ۝١٣﴾ فعندما أراهم موسىٰ آياته ومعجزاته التي أيده الله سبحانه وتعالىٰ بها رموه بالسحر، وأما في حقيقة الأمر فقد أيقنوا أن ما جاء به هو الحق والصدق وأنها آيات الله الدالة علىٰ صدقه ونبوته؛ لذا قال الله سبحانه بعد ذلك: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[٢] وقد عرفوا وتيقنوا بقلوبهم أنها حق وصدق، ولكنهم كفروا بها بألسنتهم استكباراً عن قبول الحق والإذعان له.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ۝١٤﴾ انظر يا محمد وأخبر قومك كيف كانت عاقبة هؤلاء عندما كذبوا بآيات الله وعصوا رسله.

---

(١)-**سؤال:** بماذا تعلق الجار والمجرور هنا؟ وهل «في» هنا بمعناها أم أنها حلت محل حرف آخر؟

الجواب: أحسن ما قيل في إعراب الجار والمجرور: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ﴾ أنه متعلق بـ«اذهب» محذوفاً، أي: اذهب في تسع آيات، أي في جملة تسع آيات وعدادهن. أفاد هذا صاحب الكشاف، وعليه فتكون «في» علىٰ بابها ظرفية.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ بالتفصيل؟ مع ما بعدها وذلك قوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ۝١٤﴾؟

الجواب: «ظلماً» مفعول من أجله، أي: أنهم جحدوا بها لأجل الظلم والكبر. «فانظر» الفاء هي الفصيحة، وانظر: فعل أمر وفاعله مستتر فيه، و«كيف» اسم استفهام في محل نصب خبر كان مقدم، و«عاقبة» اسمها، والجملة معلقة في محل نصب بنزع الخافض؛ لأن انظر بمعنىٰ تفكر.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ ثم شرع الله سبحانه وتعالى في ذكر قصة داود وسليمان عليهما السلام، فأخبر أنه قد أعطاهما العلم والحكمة واصطفاهما للنبوة والرسالة.

﴿وَقَالَا الْحَمْدُ[١] لِلَّهِ الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٥﴾ توجه داود وسليمان عليهما السلام إلى الله تعالى بالاعتراف له بعظيم النعمة عليهما وما أولاهما من نعمة العلم والحكمة، وتوجها إليه بالشكر والثناء.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ كان داوود عليه السلام نبياً، وبعد أن مات ورث النبوة من بعده ولده سليمان، وورث أيضاً ملكه؛ لأنه كان مَلِكاً[٢] في بلاد الشام.

﴿وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وأخبر سليمان قومه بأن الله سبحانه وتعالى قد علمه لغة الطير[٣]، ومكنه من جميع أسباب الملك

---

(١)- **سؤال:** هل حمدا الله في وقت واحدٍ؟ أم أن كل واحد حمد الله في وقت نبوته؟ فما الوجه في جمعهما في كلام واحد وقصة واحدة؟

الجواب: أعطى الله تعالى داود النبوة والملك والعلم والحكمة قبل سليمان فحمد الله على ما آتاه وكان من الشاكرين، ثم ورث سليمان النبوة والملك والعلم والحكمة فحمد الله تعالى وكان من الشاكرين. ووجه جمعهما عليهما السلام في حديث وقصة واحدة لما بينهما من الملابسة والمشابهة في النبوة والملك والتمكن في الأرض تمكناً لم يعط مثله نبي من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام قبلهما ولا بعدهما وقرابة الأبوة والبنوة واتصال الزمان ووحدة المكان وتشابه الكرامات والمعجزات و...إلخ.

(٢)-**سؤال:** هل تقصدون بهذا داود عليه السلام؟ فما دلائل ملكه؟

الجواب: نعم، المقصود داود عليه السلام، وقد كان ملكاً في بلاد الشام بدليل قوله تعالى: ﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة:٢٥١].

(٣)-**سؤال:** يقال: الطير إنما تصدر أصواتاً غير مضبوطة فما الوجه في أن نجعلها لغة؟ أم أنها تدل على المحاورات والأغراض فجاز أن نسميها لغة مجازاً؟ وما نوع هذا الاسم: ﴿مَنْطِقَ﴾؟

الجواب: المراد بتسميتها لغة المجاز لا الحقيقة، و«منطق» مصدر نطق ينطق من باب (ضرب) نطقاً ومنطقاً ونطوقاً، أي: تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعاني، وقد يطلق على كل ما يصوت به مجازاً كنطقت الحمامة.

وهيأ له ذلك.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴿١٦﴾﴾ وقال: إن هذا فضل عظيم تفضل الله به عليه من غير حول منه ولا قوة.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ ثم إن نبي الله سليمان عليه السلام جمع جنوده[1] ذات مرة متجهاً جهة الجنوب إلى بلاد اليمن مريداً للغزو، وقد جند لذلك الخروج الجن والإنس والطير.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴿١٧﴾﴾ فحبس أولها على آخرها حتى اجتمعت وتلاحقت ثم سار بهم إلى اليمن.

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[2] وفي طريقه وعند مروره بوادي النمل صادف أن سمع نملة تصيح بصويحباتها من النمل: بأن يحمين أنفسهن ويحترسن أن يدوسهن سليمان وجنوده، وكانت هذه النملة هي راعيتهن، مما يدل على أن كبير القوم يكون مسئولاً عن رعيته، وحريصاً على سلامتهم، ومتحرياً لتجنيبهم أسباب المهالك.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما الفائدة في التعبير بالمجهول إذا كان هو الحاشر للجنود؟

الجواب: الحاشر هو أعوان سليمان بأمره فنسب الحشر إليه لذلك، وبني الحشر للمجهول لأن الغرض من الكلام ذكر المحشور من الجن والإنس والطير؛ لما في ذلك من بيان ما آتاه الله من الجنود المجندة في خدمته وتعزيز ملكه وليس القصد إلى بيان من هم الذين حشروا له جنوده وجمعوهم له.

(٢)-**سؤال:** هل النمل من فصيلة الطير أم أنه نوع آخر قد عُلِّم نبي الله سليمان عليه السلام لغته؟

الجواب: النمل هو نوع آخر غير نوع الطير إلا أنه يشبه الطير في كونه يبيض ولا يلد، وللطير صوت مسموع، أما النمل فلا تسمع البشر لها صوتاً، إلا أن النمل تتخاطب فيما بينها كما حكى الله تعالى هنا عنها، وقد أوصل الله تعالى خطاب النملة إلى أذن سليمان عليه السلام بقدرته وعلَّمه كلامها وما تريده بكلامها.

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ۝١٨﴾(١) كأنها عرفت بعدل سليمان ورحمته، وأنه لن يتعمد قتلهن أو أذيتهن إلا عن غير شعور وقصد.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا(٢) مِنْ قَوْلِهَا﴾(٣) يعني فهم سليمان عليه السلام ما قالت، وذلك أن الله تعالى مكنه من سماع صوتها وفهم منطقها.

---

(١)-**سؤال:** ما الوجه في فصل جملة: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ﴾ عن الجملة التي قبلها؟

الجواب: فصلت لأنها كالعلة لما قبلها أي في جواب سؤال مقدر عن العلة.

(٢)-**سؤال:** هل يؤخذ من الآية أن السرور بالنعمة أو بالطاعة من حيث هي نعمة ليس عجباً ما لم يصحبها تطاول؟ وهل يؤخذ منها أن المخرج من العجب هو إرجاع الفضل في تلك النعمة إلى الله سبحانه أم أنه لا بد من ترك التطاول على الغير ليسلم الإنسان العجب وضحوا ذلك فالناس في أمس الحاجة لمعرفة هذا الأمر؟

الجواب: يؤخذ من الآية أن السرور بالنعمة أو بفعل الطاعة ليس من العجب ما دام معترفاً بفضل الله عليه في حصول النعمة وفي فعل الطاعة، والخطر كل الخطر أن يعتقد أن حصول النعمة إنما كان بفطنته وذكائه وحسن بصره وبصيرته وعلمه بطرق وأسباب تحصيل النعم، متناسياً فضل الله عليه وحسن تدبيره له كما قال قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص:٧٨]، أو يعمل العمل الصالح فيعجبه كثرة عمله فيعتقد في نفسه ويحكم لها بالصلاح والفلاح والفوز بالجنة والنجاة من النار.

أما إذا فرح المؤمن بعمل صالح عمله معترفاً بفضل الله عليه وبتوفيقه له وإعانته عليه ولم يزك نفسه ويحكم لها بالفوز فلا حرج عليه في ذلك بل المفروض أن يفرح ويستَرّ بها وفقه الله له من العمل الصالح، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ۝٥٨﴾ [يونس]، ولا حرج عليه ولا إثم أن يرجو ثواب عمله الصالح ويفرح بثواب الله الذي يرجوه ولا يقطع به، ولا يعتقد في نفسه أنه أفضل عند الله من غيره من المؤمنين. ومن الخطر في هذا الباب أن يعتقد المؤمن أن أعماله الصالحات كثيرة أو يعتقد أنها مقبولة أو يعتقد في نفسه أنه عظيم أو رفيع بسبب أعماله الصالحة.

(٣)-**سؤال:** هل تدل على أن لها قولاً حقيقياً أم ماذا؟ وهل فيها دلالة على جواز الرواية بالمعنى؟ وما هو المخصص للقرآن في عدم جواز حكايته بالمعنى؟

الجواب: ظاهر الآية يدل على أن للنملة قولاً حقيقياً تتخاطب به النمل فيما بينها.

=

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ(١) نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ(٢) فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ۝١٩﴾ استشعر سليمان في نفسه نعمة الله عليه فشكرها، وتواضع لله تعالى ولم يأخذه العجب والبطر حيال ذلك؛ مما يدل على أن المرء إذا تذكر نعمة الله تعالى عليه فعليه أن يقابلها بالشكر لله تعالى وإخلاص العبادة له، وهكذا في مقابل كل نعمة.

وفي الآية دلالة على جواز الرواية بالمعنى، وذلك من حيث إن ما حكاه الله في القرآن عنها إنما هو معنى قولها لا لفظه، وما حكاه تعالى من قول سليمان إنما هو بالمعنى لا باللفظ؛ لأن سليمان عليه السلام لم يكن من أهل اللسان العربي. وإنما لم يجز رواية القرآن بالمعنى لما أراده الله تعالى من حفظ نصوصه ولفظه إلى يوم القيامة ولو أجازت أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم روايته بالمعنى لزاد الناس ونقصوا ولوجد المنافقون بغيتهم من تلبيس الحق بالباطل وتختلف الأمة ويصبح لكل فريق قرآن

(١)- **سؤال:** ما موضع المصدر: ﴿أَنْ أَشْكُرَ﴾ الإعرابي؟ وهل يؤخذ من عطف العمل الصالح على الشكر أنه مغاير له أم لا؟

الجواب: موضع المصدر الجر أو النصب بنزع الخافض والتقدير بأن أشكر نعمتك. والمراد شكر نعمه السالفة فقد سأل سليمان عليه السلام أن يوزعه الله شكر نعمه الماضية ثم عطف عليه أن يوفقه للعمل الصالح فيما يستقبل، وبهذا تظهر المغايرة بين المعطوفين.

(٢)- **سؤال:** هل في هذا ما يدل على صحة الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته)) أم لا فكيف؟

الجواب: ثواب الجنة الدائم والدرجات الرفيعة والنعيم المقيم لا يستحقه أهل الجنة بأعمالهم الصالحة؛ لأن الأعمال الصالحة في الدنيا كانت شكراً لله تعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى إلا أن الله تعالى جعلها برحمته وعظيم فضله أجراً مستحقاً للشاكرين وجزاءً لازماً وحقاً استحقوه بأعمالهم بل ما خلق الله السماوات والأرض وأهلهما إلا لحكمة الجزاء ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ۝٣١﴾ [النجم]، وعلى هذا فدخول المؤمنين الجنة هو بفضل الله ورحمته، وجَعْلُ ذلك حقاً وجزاءً للشاكرين هو بفضل الله ورحمته.

وقوله: «تبسم ضاحكا» أراد الله تعالى أنه عليه السلام استر عندما رأى تتابع نعم الله عليه، فطلب من الله تعالى أن يعينه على شكر ما أنعم به عليه، وأيضاً على شكر ما قد أنعم به على والديه، وذلك أن كل ما أنعم الله تعالى به على داوود من الملك قد ورثه عنه وصار إليه.

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ لأنها كانت من الجنود التي حشرها سليمان عليه السلام.

﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ[1] أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝٢١﴾ وكان الهدهد من جملة جنوده فطلبه فلم يجده بينهم، فأقسم أنه إن لم يأت بحجة وعذر يبرر غيابه ليعذبنه جزاءً على ذلك، مما يدل على إحاطته بجنوده فرداً فرداً، وتفقده لأحوال رعيته، وفيه إشارة على أنه ينبغي أن يكون القائد ملماً بجنوده، عالماً بأحوالهم وتحركاتهم.

﴿فَمَكَثَ[2] غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ۝٢٢﴾ فما لبث أن عاد الهدهد مقبلاً بأخبار مملكة سبأ وملكتهم، وكان سليمان عليه السلام قد قرب من صنعاء[3]، وقد جاءته أخبار سبأ وهو هنالك.

---

(١)-**سؤال:** هل المراد فرد من الهدهد أم النوع والجنس بكامله؟

الجواب: المراد فرد واحد، ولعل هذا الفرد كان كبير هذا النوع من الطير، فسياق قصة الهدهد تدل على أنه واحد لا جميع الهداهد.

سؤال: ما محل جملة: ﴿لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب لأنها مستأنفة لبيان علة تحير سليمان واستفهامه.

(٢)-**سؤال:** من الفاعل للمكث؟ وما إعراب: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾؟

الجواب: الفاعل ضمير الهدهد أو ضمير سليمان. «غير بعيد» مفعول مطلق أي: مكثاً قليلاً.

(٣)-**سؤال:** من أين نستفيد هذا؟

الجواب: نستفيد من غياب الهدهد مدة قليلة عن معسكر سليمان وإطلاعه على مملكة سبأ، ولو كان سليمان في أرض الشام لغاب الهدهد عدة أيام لبعد المسافة بين الشام وسبأ. **وبعد،** فما كان للهدهد أن يغيب عن معسكر سليمان والمفروض أن يكون عمله هو التحليق حول المعسكر لاستطلاع ما حوله، فعند استطلاعه رأى ما رأى في سبأ فَسَفَّ إليه ليتحقق ما ثَمَّ ويعود بخبره إلى سليمان.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۝٢٣﴾(١) وهذا هو النبأ الذي جاء به الهدهد مخبراً لسليمان بما تهيأ لها من أسباب الملك العظيم، وما آتاها الله سبحانه وتعالى من القوة والنفوذ والسلطان، وكان اسمها بلقيس.

﴿وَجَدْتُهَا(٢) وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝٢٤﴾(٣) وكانوا قد اتخذوا الشمس إلهاً يعبدونه من دون الله، ظناً منهم أنهم في خير العمل، وأنهم على سواء الطريق بسبب تزيين الشيطان لهم ذلك.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا(٤) لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ(٥) فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وأنهم لا

---

(١)-**سؤال:** هل يفيدنا قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لزوم التخصيص بالعقل إذ المعلوم أنها لم تؤت من كل شيء في الدنيا؟

الجواب: نعم يقتضي ذلك لزوم التخصيص بالعقل فيما كان كذلك أي: فيما يحيل العقل عمومه.

(٢)-**سؤال:** ما السر في فصل هذه الجملة عن التي قبلها؟

الجواب: فصلت لأنها كالبدل من الجملة التي قبلها.

(٣)-**سؤال:** ما الذي يستفاد من الآية في هدم مذهب المجبرة؟

الجواب: يستفاد منها في هدم مذهب المجبرة نصها أن الشيطان هو الذي صدَّهم عن الحق وزيَّن لهم عبادة الشمس من دون الله، وهذا دليل قاطع على هدم مذهب الجبر وبطلانه.

(٤)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ مفصلاً؟

الجواب: «ألا يسجدوا» في تأويل مصدر وفي إعرابه أوجه:

١ - أن يكون معمولاً لـ«يهتدون» على زيادة «لا» أي فهم لا يهتدون إلى السجود لله.

٢ - أن يكون بدلاً من «أعمالهم» أي: فزين لهم الشيطان أن لا يسجدوا لله أي: عدم السجود لله فيكون في محل نصب.

٣- ويجوز أن يكون بدلاً من «السبيل» على زيادة «لا».

٤ - أن يتعلق بقوله: «فصدهم ألا يسجدوا» أي: لئلا يسجدوا فيكون المصدر مجروراً بلام مقدرة..

ولعل أحسن الوجوه الثاني والرابع لسلامتهما من الحكم بزيادة «لا» إذ الأصل عدم زيادتها.

(٥)- **سؤال:** هل قوله: ﴿الْخَبْءَ﴾ بمعنى المخبوء من باب: فَعْل بمعنى مفعول أي مما حل المصدر فيه محل اسم المفعول؟

الجواب: «الخبء» مصدر حل محل اسم المفعول وحلوله محله كثير في القرآن وغيره.

يسجدون لله تعالى الذي بيده القدرة على إخراج النبات المخبوء في الأرض، وكذلك إخراج ما قد خُبِئَ في السماء من المطر والخير والشر والوحي والعذاب وما أشبه ذلك.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ۝٢٥﴾ وكذلك الذي علمه محيط بكل شيء ما خفي وما علن وما ظهر وما بطن.

﴿اللَّهُ[1] لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ۝٢٦﴾ فلماذا لا يعبدون الله الذي هو ربهم ورب الشمس ورب السماوات والأرض وما بينهما.

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ۝٢٧﴾ فرد عليه سليمان عليه السلام بأنه سيتحقق، وسينظر في صحة هذا الخبر الذي جاء به[2].

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في الابتداء بلفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ وكان من حقها الكسر على البدلية من «لله» في: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾؟

الجواب: الوجه أنه قُصِد الاستئناف إلى الثناء على عرش الله وعظمته بعد ذكر عرش بلقيس وتنويهه به.

(٢)- **سؤال:** ما العلة في عدم تصديق سليمان له مع أن ذهابه قد يكون بتدبير الله سبحانه له أم كيف كان ذهابه؟

الجواب: قد يكون عدم تصديق سليمان عليه السلام للهدهد لواحد من أمرين أو لكليهما:

١ - أن الهدهد جاءه بخبر عظيم، وما كان كذلك من الأخبار العظيمة فإنه يستدعي التثبت.

٢ - أن سليمان عليه السلام لم يكن يعلم تلك المملكة وما هي فيه من السلطان والقوة وما هي عليه من الدين فاستغرب خبر الهدهد فلو كان خبره صحيحاً لعلمه من قبل فقد كان عالماً بممالك الأرض الكبيرة.

والهدهد وإن كان مسخراً لسليمان بتسخير الله له وهدايته له فقد يخيل إليه الأمر وينخدع بصره فيخبر عما تخيله، وقد يكون ما تخيله حقيقة وحقاً، وقد يكون خيالاً ووهماً كما هو الحال في الإنسان العاقل، فلا غرابة في أن يحصل للهدهد خيال كاذب. أما أن نقول: إن الهدهد قد يكذب فبعيد غاية البعد؛ لأنه مسخر لخدمة سليمان بتسخير الله له وتدبيره وهدايته إلى خدمته.

﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ۝٢٨﴾(١) وبعد أن تلقي لهم بالكتاب اتخذ مكاناً قريباً منهم حتى تسمع ما سيكون من ردة فعلهم، وماذا سيقولون، ثم ارجع إلي بخبرهم.

﴿قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ۝٢٩ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ جمعت الملكة بعدما قرأت الكتاب أشراف قومها وأهل المشورة والرأي منهم وأخبرتهم بما جاءها من كتاب سليمان عليه السلام، وأنها لم تر في كتابه هذا إلا ما فيه نفعهم(٢) وصلاحهم وصلاح مملكتهم؛ كأنها أرادت لقومها أن يسلموا ويدخلوا في دين سليمان عليه السلام، مما يدل على رجاحة عقلها وحسن تدبيرها.

﴿وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ۝٣١﴾(٣) هذا هو نص الكتاب الذي أرسله سليمان عليه السلام، وهو تحذيرهم من التكبر والتعالي على نبي الله سليمان عليه السلام، وأن يقبلوا إليه مسلمين.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ۝٢٨﴾؟ وهل يتعدى الفعل «رجع» بنفسه كما في الآية؟ أوضحوا ذلك؟

الجواب: «انظر» فعل أمر بمعنى: تفكر وتأمل، والفاعل ضمير مستتر، «ماذا» اسم استفهام في محل نصب مفعول به ليرجعون، والجملة معلقة عن العمل بالاستفهام، وهي في محل نصب. ويرجعون مضمن معنى «يردون» فيتعدى بنفسه لذلك.

(٢)-**سؤال:** من أين نستفيد هذا؟ هل من وصفها للكتاب بأنه كريم أم من ماذا؟

الجواب: استفيد ذلك من وصفها للكتاب بأنه كريم أي: فيه مصالح ومنافع وخير بالإضافة إلى قولها: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ فإنه يدل على تعظيمها للكتاب ولكرم الكتاب وعظمة شأنه.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾؟ وكيف ساغ لنبي الله سليمان عليه السلام البدء في كتابه بالنهي والتحذير قبل المؤانسة في الخطاب ونحو ذلك؟

الجواب: «أن» هي المفسرة والمفسر هو«كتاب» ولا محل لجملة النهي من الإعراب لأنها مفسِّرة. وسليمان عليه السلام ملك عظيم ذو قوة وسلطان وهيبة ملأت الدنيا وذلك يقتضي أن تكون أوامره جازمة صارمة بغير مداراة ولا مؤانسة ومن غير أن يتحيل لقبولها باللين والرفق حفاظاً على هيبة الملك ومكانته.

﴿قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ وطلبت من أشراف قومها أن يشيروا عليها بماذا ترد على هذا الكتاب.

﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ۝٣٢﴾ وأخبرتهم أنها لن تقطع في أي أمر، أو تَبُتَّ في قضية إلا في محضرهم ومشورتهم.

﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ فأشاروا عليها بعدم طاعة سليمان أو الدخول تحت رايته، وقد وثقوا بما هم فيه من القوة والعدة والعدد، وأشاروا عليها بمواجهة سليمان وحربه.

﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ۝٣٣﴾ وأخبروها أن ما أشاروا به هو رأيهم، وإن أرادت غير ذلك فهم تحت أمرها، فهي ملكتهم وهم طوع أمرها.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ[1] إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ وأشارت عليهم بأن الحرب ليست هي الحل؛ لأن عواقبها ستكون وخيمة، وأخبرتهم أن الدائرة إن كانت عليهم فسيعيث سليمان ومن معه الفساد في البلاد وسيذلون أعزاءهم وذلك هو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ۝٣٤﴾ وأن هذه عادة الملوك إذا دخلوا بلاداً منتصرين؛ فقد أرادت بذلك أن تجنب قومها المهالك والمصائب والذلة، وأخبرتهم أنها ستدفع شر سليمان بأسلوب آخر غير الحرب والقتال، مما يدل على سياستها وحسن تدبيرها وبُعْد نظرتها لعواقب الأمور.

---

(١)-**سؤال:** هل تريد بالملوك سليمان عليه السلام فهذا ينقض ما تقدم في قولها: ﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ۝٢٩﴾؟

الجواب: تريد بذلك الملوك في الجملة وسليمان أحدهم، ولا ينقض ذلك قولها المتقدم: ﴿كَرِيمٌ﴾ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أكرم الأنبياء والرسل صلوات الله عليه وآله وعليهم دعا أهل خيبر إلى الإسلام أو....، فلما لم يستجيبوا إلى ما دعاهم إليه من الحق وسلّوا سيوفهم في وجهه قاتلهم واستباح أرضهم وأموالهم و... وعلى هذا فملكة سبأ تقصد في مشورتها لقومها إلى ترك مواجهة سليمان بالحرب والقتال لأن عاقبتها سيئة عليهم.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴿٣٥﴾﴾(١) وأخبرت قومها بأنها ستجرب سليمان وتختبره من خلال هدية سترسلها إليه؛ لتنظر كيف ستكون ردة فعله، وبعد ذلك ستتخذ القرار تجاهه.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ(٢) أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴿٣٦﴾﴾ فلما وصل رسولها إلى سليمان بالهدية تعجب من فعل هذه الملكة وكأنها تريد أن تستدرجه بفعلها ذلك، وأمر الرسول أن يخبرها بأن ما آتاه الله من المال والملك أكثر مما آتاها، بالرغم من أن دولة سبأ كانت غنية جداً بما تملكه من مناجم الذهب، وأمره أن يخبرها بأنه من النوع الذي لا يسكته المال.

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴿٣٧﴾﴾(٣) وأمر رسولها أن يرجع إلى قومه فيخبرهم بأنهم إن لم

---

(١)-**سؤال:** قد يقال: ما السر في تعدية «ناظرة» بالباء، والظاهر تعديتها باللام أو بإلى لأنها من الانتظار؟ الانتظار؟

الجواب: الباء متعلقة بيرجع لا بناظرة لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله.

(٢)- **سؤال:** ما فائدة إضرابه بـ«بل» في قوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴿٣٦﴾﴾؟ وماذا أراد بفرحهم بالهدية؟

الجواب: أرادت بلقيس وقومها أن يرضوا سليمان بالمال ويفرحوه ليترك غزوهم والتضييق عليهم فالهدية تذهب وغر الصدور وتمحو العداوات، فلما وصلت الهدية إلى سليمان قال: لست ممن يفرح بالهدية ويسترّ بها، فرسل الله وأنبياؤه لا يثنيهم عن نشر دين الله ومحاربة الكفر والباطل مال ولا هدية، بل أنتم الذين تفرحون بالمال وترضيكم الهدايا والعطايا، لا أنبياء الله ورسله عليهم السلام، والمأثور عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال حين عرضت عليه قريش المال والملك عليهم والنكاح لمن يحب فيهم على أن يترك الدين الذي جاءهم به: ((والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه)).

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿أَذِلَّةً﴾؟ وهل قوله: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴿٣٧﴾﴾؟ تكرير لقوله: ﴿أَذِلَّةً﴾ فما فائدته؟

الجواب: في الكشاف: الذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك، والصغار أن يقعوا في =

يستسلموا ويدخلوا في طاعته فسيقبل عليهم بجيش لا يستطيع أحد أن يرده أو يقف شيء في وجهه.

﴿قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي(١) مُسْلِمِينَ﴾ وكان قد عرف بما قد أطلعه الله تعالى عليه من العلم أنهم سوف يقبلون إليه مسلمين، فأراد أن يأتي بعرشها قبل أن تصل إليه، والسر في ذلك أنه يريد أن يختبر ذكاءها وفطنتها(٢).

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ كان سليمان يقف للناس في حوائجهم من أول ساعات النهار إلى وقت الظهيرة، وعندما سأل هذا السؤال أجاب هذا العفريت(٣) بأنه لن يأتي وقتُ قيامه من مقامه إلا والعرش بين يديه.

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ وهو جبريل عليه السلام(٤) أخبره بأنه سيأتيه بعرشها خلال طرفة عين، فلا يفتح عينيه

أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة (رعية) بعد أن كانوا ملوكاً. اهـ وبهذا يظهر جواب الاستشكال.

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي﴾؟ وما محل المصدر: ﴿أَنْ يَأْتُونِي﴾؟

الجواب: «أيكم» مبتدأ، وجملة «يأتيني» خبر، و«أن يأتوني» في محل جر.

(٢)- **سؤال:** هل أراد أن يختبر ذكاءها بتنكير العرش أم بمعرفة المعجزة في إتيانه بالعرش أم ماذا؟

الجواب: أراد عليه السلام أن يختبر ذكاءها وفطنتها فمن المحتمل كثيراً أنه قد بلغه خبر ذكائها وفطنتها وحسن تدبيرها للملك وحسن سياستها لرعيتها وربما استغرب ذلك لما طبعت عليه النساء من النقص في هذا المجال فأراد أن يختبر ذلك مع ما في ذلك من رؤيتها للبرهان الدال على نبوته ومكانته من الله وأنه سلطان حق.

(٣)- **سؤال:** ما السر في تسميته «عفريت»؟

الجواب: في الكشاف: العفريت من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر أقرانه -أي: بالتراب-. والعفريت من الشياطين الخبيث المارد.

(٤)- **سؤال:** ما صحة ما يقال بأن الذي عنده علم من الكتاب هو آصف بن برخيا الخير حتى

=

ويغمضها إلا وهو بين يديه.

﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ عندما رأى العرش بين يديه حمد الله تعالى على هذه النعمة العظيمة، وتحقق أن الله سبحانه وتعالى لم يعطه هذه النعمة إلا ليختبره هل سيشكر أم سيكفر.

﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾ وأن من شكر الله تعالى فإنما ينفع نفسه، وثوابَ شكره عائد عليه، وأما من كفر بنعمة الله تعالى عليه فإن الله ليس محتاجاً له وضررَ ذلك عائد عليه.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۝٤١﴾ وأمر من حوله أن يغيروا في هذا العرش(١) وتفاصيله وهيئته؛ أراد بذلك أن يختبر

روي عن الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام؟ وأيضاً تكرر في دعاء الإمام القاسم بن إبراهيم وغيره: «بما دعاك به صاحب سليمان عليه السلام» فما هو الاسم الذي دعا به صاحب سليمان ولعلهم يقصدون به الذي عنده علم من الكتاب؟

الجواب: ﴿عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ صفة، وأكمل من يتصف بها من البشر هم الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم، ولا ينبغي أن يكون أتباعهم وأصحابهم وأخصاؤهم أكمل منهم في تلك الصفة. فإذا كان المراد بها واحداً من البشر في عهد سليمان عليه السلام فهو سليمان، ولم يكن آصف نبياً، ويبعد أن يكون مع آصف اسم يدعو به؛ لأنه لم يكن نبياً يوحى إليه ولا يمكنه معرفة الاسم إلا إذا كان نبياً أو بواسطة نبي الله سليمان عليه السلام ولو كان سليمان عالماً بالاسم لدعا الله بذلك الاسم ولما احتاج إلى أن يدعو أعيان مملكته: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ فمن هنا قلنا: إن الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل عليه السلام الذي اصطفاه الله تعالى لحمل الوحي إلى رسله وأنبيائه صلوات الله عليهم فهو الذي يأتيهم بعلم الكتاب. وفي المصابيح نقلاً عن البرهان: أن الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل عليه السلام وقيل: ملك أيد الله به سليمان عليه السلام، وقيل غير ذلك. اهـ فلم يذكر في المصابيح غير جبريل أو ملك.

(١)- **سؤال:** هل العرش: سرير الملك أم القصر الذي كانت تحكم فيه أم ماذا؟ فضلاً وضحوا ذلك بقرائنه.

الجواب: العرش هو سرير الملك الذي كانت تجلس عليه الملكة أو الملك لا القصر أو البيت وهذا =

عقلها وحكمتها وذكاءها.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ عندما أقبلت إلى سليمان وسألها: هل صفة عرشك مثل صفة هذا العرش؟ كان من المفروض أن يكون جوابها بـ: نعم، أو لا، ولكنها أجابت بجواب مخلص مما يدل على فطنتها وحكمتها وذكائها، فقالت: كأنه هو.

﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ[(١)] مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ۝٤٢﴾ عندما سمع سليمان جوابها هذا علم بذكائها وفطنتها، ولكنها لم تبلغ من الذكاء والحكمة ما بلغ فهو أعلم منها، وله مع ذلك زيادة وذلك فضل النبوة والإسلام لله سبحانه وتعالى.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ۝٤٣﴾ ومع عقلها وفطنتها لماذا لم تسلم؟ فأخبر أنه قد صدها ومنعها عن الإسلام أنها نشأت بين قوم يعبدون الشمس فعبدتها مثلهم، ولولا ذلك لهداها عقلها إلى عبادة الله سبحانه وتعالى.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ ثم أشار سليمان عليه السلام إلى حجرة[(٢)] وأمرها أن

هو الظاهر لتبادره عند الإطلاق، فهو حقيقة فيه، وما تقضي به العادة من أن السرير هو الذي يحمل لا البيوت.

(١)-**سؤال:** هل المراد علم النبوة أو العلم بحقيقة هذا العرش؟

الجواب: المراد العلم بالله وبالهدى والدين والبصيرة والفطنة والتمييز الهادي إلى حسن المعرفة الدينية والدنيوية.

(٢)- **سؤال:** يقال: إذا كان هذا في قصره عليه السلام بالشام فيشكل علينا ما تقدم لكم أن سليمان كان بالقرب من صنعاء؟

الجواب: المراد أن الصرح بالشام، وكان قد رجع بجنوده إلى الشام بعد رحلته إلى اليمن، وذلك أنه بعد أن عاد إليه الهدهد بما سمع من بلقيس وقومها من المراجعة والحوار عرف أن رأيها في طاعته والانقياد لأمره، وأنها لا تريد الرفض لدعوته ولا مواجهته إطلاقاً فرجع حينئذ إلى الشام عاصمة دولته منتظراً جواب كتابه.

تدخلها ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ وعند مسيرها كشفت عن ساقيها لئلا يصيبهما البلل خلال مرورها بين ذلك الماء الذي يعترض طريقها، ومعنى «حسبته لجة» ظنته ماءً كثيفاً.

﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ[1] مِنْ قَوَارِيرَ﴾ فأخبرها أن ذلك الماء يمر من تحت حاجز مصنوع من الزجاج، ومعنى «مُمَرَّد» مُمَلَّس.

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿٤٤﴾﴾[2] وعند ذلك عرفت[3] أنه نبي مرسل من عند الله سبحانه وتعالى، لما رأت من التمكين

---

(١)-**سؤال:** مم اشتقت كلمة ﴿مُمَرَّدٌ﴾؟

الجواب: اشتقت من مصدر مرد كنصر وكرم مروداً ومرودة ومرادة، وفي القاموس تفصيل هذه المادة وموارد استعمالها فليرجع إليه.

(٢)-**سؤال:** قد يفهم بعض العامة أنها أشارت بظلم نفسها إلى إسلامها مع سليمان فكيف تعلقون على ذلك؟

الجواب: المعنى الذي تقصده بلقيس بقولها: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ هو: إني ظلمت نفسي بالشرك بالله وعبادة الشمس من دون الله، أي: أنها تعتذر إلى الله وتتوب إليه من ذلك الشرك والكفر الذي كانت عليه هي وقومها فكان قولها: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ توبة إلى الله ورجوعاً إليه واعتذاراً عنده، وقد قال آدم عليه السلام في توبته: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف]، وقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص:١٦]، وقال يونس عليه السلام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء].

(٣)-**سؤال:** فضلاً ماذا كان أمر بلقيس بعد هذه القصة مما صح لكم من كتب التاريخ والمفسرين المحققين؟

الجواب: الذي قد يؤخذ من قصتها في القرآن أنها أسلمت على بصيرة ويقين واقتناع، وأنها استقامت على ذلك، ولو لم يكن أمرها كذلك لما نوه الله تعالى بذكرها وحسن رأيها وبإسلامها لله رب العالمين، وقد عادت بعد إسلامها لله رب العالمين إلى دار مملكتها (سبأ)، ولا زالت آثار مملكتها قائمة إلى اليوم في (مأرب). وقد كانت ملكة مطاعة في أهل مملكتها كما ذكر الله تعالى هنا: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴿٣٣﴾﴾ وفعلاً أطاعوها فيما أشارت به وأمرت؛ لذلك نقول: إن أهل

=

الذي مكنه الله تعالى، وما يملك من الأمور الخارجة عن قوى البشر وقدرهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾(١) ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قصة قبيلة ثمود مع نبيهم صالح عليه السلام وكيف كانت عاقبتهم، لعل قريشاً تعتبر بما جرى عليهم جزاءً على تكذيبهم بنبيهم.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾(٢) فأخبر أنه أرسل إليهم رجلاً منهم اسمه صالح فدعاهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وترك ما هم فيه من الكفر والطغيان وعبادة الأصنام.

﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴿٤٥﴾﴾(٣) فانقسموا إلى قسمين فمنهم من آمن

مملكتها دخلوا في الإسلام والدين الذي دعاهم إليه سليمان عليه السلام، ولو لم يكن الأمر كذلك لما قبل سليمان إسلامها وحدها دون أهل مملكتها، وكان سليمان قد دعاهم إلى الإسلام هي وقومها: ﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴿٣١﴾﴾، وقد توقع سليمان عليه السلام إسلامهم: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴿٣٨﴾﴾؛ لذلك قلنا: إن أهل مملكتها قد دخلوا فيما دخلت فيه بلقيس من الإسلام والطاعة لنبي الله سليمان عليه السلام، فهذا هو أمر بلقيس وقومها الذي صاروا إليه بعد القصة كما تفيده الآيات القرآنية في هذه السورة (النمل). وقد روي روايات في زواجها غير موثوقة مع اختلافها، والذي أراه أن بلقيس كانت ذا رأي سديد من ذلك ما حكاه الله تعالى هنا في قصتها حيث جنبت دولتها وقومها الدمار والهلاك والفساد وأدخلتهم في الإسلام بحسن سياستها ورأيها؛ لذلك نقول: إنها لم تتزوج ولم ترض بالزواج لأن زواجها سيدخل الخلل على ملكها؛ لانشغالها بالزوج والأولاد والحبل و...إلخ، وقد يفسد الزوج عليها الكثير من أمر المملكة، وقد.. إلخ.

(١)- **سؤال:** هل عرف اسم أبي نبي الله صالح وجده وزمان نبوته، أفيدونا بذلك أعلى الله مقامكم؟

الجواب: نبي الله صالح عليه السلام أعرف من أن يعرف بأبيه وجده، أما زمان نبوته فهي في فترة ما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام؛ لأن الله يذكر قصته بعد ذكره لقصة نوح عليه السلام، ثم يذكر إبراهيم ومن بعده من الأنبياء.

(٢)- **سؤال:** ما معنى «أن» في قوله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾؟

الجواب: «أن» مفسرة بمعنى أي.

(٣)- **سؤال:** ما محل جملة: ﴿يَخْتَصِمُونَ﴿٤٥﴾﴾؟

الجواب: «يختصمون» في محل رفع صفة لفريقان على المعنى نحو: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات:٩].

ومنهم من كفر، وقد كان الكافرون هم الكثرة.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾[١] استنكر عليهم نبيهم كيف يستعجلون نزول الشر عليهم؟ وأي راحة لهم فيه حتى يستعجلوا نزوله؟

وذلك أنهم كانوا يسألونه أن يدعو الله سبحانه وتعالى بتعجيل نزول عذابه بهم إن كان صادقاً فيما يتوعدهم به من العذاب.

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴿٤٦﴾﴾[٢] فلو أنكم تستغفرون الله سبحانه وتعالى وترجعون إليه بدلاً من ذلك ليدخلكم في رحمته وتسلموا عذابه وسخطه؛ لأن شأن العاقل أن لا يطلب إلا الخير، وأن يتجنب ما فيه ضرر أو أذى بنفسه.

﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ[٣] عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴿٤٧﴾﴾ فأجابوه بأنهم قد تشاءموا به وبأصحابه، وأخبروه بأنهم لم يروا خيراً من حين أقبل إليهم ودعاهم؛ فأجاب عليهم صالح بأن ما هم فيه من الجدب وقلة

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بقوله: ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾؟

الجواب: كانوا يقولون: ﴿ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴿٧٧﴾﴾ [الأعراف]، وكان المفروض لو كانوا يعقلون أن يتوبوا قبل نزول العذاب عليهم، فاستنكر الله عليهم طلبهم نزول العذاب عليهم، ثم إذا نزل بهم فإنهم سيتوبون، فالمراد بـ«قبل الحسنة» قبل التوبة والرجوع إلى الله.

(٢)-**سؤال:** ما معنى «لولا» في هذه الآية؟

الجواب: معناها الطلب والحث (التحضيض).

(٣)-**سؤال:** مم أخذت هذه الكلمة ﴿طَائِرُكُمْ﴾؟ وما هو التحقيق في معناها؟ وهل يصح أن يحمل الطائر على العمل الذي يعملونه كما في قوله: ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [الإسراء:١٣]، أم لا؟

الجواب: كان العرب إذا أرادوا سفراً أو نحوه أثاروا الطير فإن أخذ ذات الشمال تشاءموا وتركوا السفر واعتقدوا الشر، فمن هنا قيل: تطيروا، أي: اعتقدوا الشر وتشاءموا، وعلى هذا فمعناها: شؤمكم واعتقادكم الشر ليس حاصلاً بسبب صالح وإنما هو بسبب أعمالكم، وعلى هذا فالشؤم هي أعمالهم لأنها السبب فيما نزل بهم من الشر.

الأمطار والثمار إنما هو عقاب لهم من الله تعالى بسبب عصيانهم وتمردهم، وأخبرهم بأن الله تعالى يقلب أحوالهم فتارة يجعلهم في خير، وتارة يحولهم إلى شر اختباراً منه وامتحاناً لهم.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾(١) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن من أهل مدينة ثمود تسعة أشخاص قد عاثوا الفساد في البلاد.

﴿قَالُوا(٢) تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾(٣) وقد تآمر هؤلاء الأشخاص وتعاهدوا على قتل نبي الله صالح وأهل بيته جميعاً خفية تحت ظلمة الليل، بعيداً عن أنظار الناس، وبعد ذلك سيحلفون لأولياء دمه وقبيلته بأنهم بريئون من ذلك، وأنهم لا يعلمون له قاتلاً.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾(٤) دبروا هذا التدبير

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة ﴿يُفْسِدُونَ﴾؟ وهل لكلمة ﴿رَهْطٍ﴾ أصل أخذت منه؟

الجواب: جملة «يفسدون» في محل رفع صفة لـ«تسعةُ رهط». و«رهط» اسم جمع ليس له واحد من لفظه، وهو اسم لما دون العشرة، ويجمع على أرهط وأرهاط وأراهيط.

(٢)-**سؤال:** من القائل؟ أم أنه قال بعضهم لبعض؟

الجواب: القائل هو بعضهم لبعض، و«تقاسموا» فعل أمر.

(٣)-**سؤال:** ما نوع كلمة: ﴿مَهْلِكَ﴾؟ وما العلة أنهم أرادوا أن يتبرأوا من قتل الأهل فقط دون مقتل صالح عليه السلام؟

الجواب: «مهلك» مصدر هلك أو اسم زمان أو مكان، أي: ما حضرنا هلاك أهله أو مكان هلاكهم أو زمانه، وقال الزمخشري في بيان علة ذكرهم للأهل فقط: إنها من أجل أن يَبروا في يمينهم؛ لأنهم شهدوا مهلك صالح ومهلك أهله، لا مهلك أهله فقط. ويمكن أن ترك ذكر مهلك صالح للإيجاز والاختصار لوجود القرينة وهي ذكر مهلكه في أول الكلام.

(٤)-**سؤال:** ما العلة في إطلاق المكر وتنكيره في الموضعين من هذه الآية؟

=

وحاكوا هذه المؤامرة وهم لا يعلمون أن مكر الله سبحانه وتعالى فوق مكرهم، وأنه محيط بهم وعالم بما يدبرونه.

ومَكْرُ اللهِ هنا مجاز من باب المشاكلة في القول، والمراد أنه قد أحبط مؤامرتهم هذه.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴿٥١﴾﴾(١) وذلك أن الله تعالى دمر هؤلاء التسعة وقومهم جميعاً، وأبادهم واستأصلهم قبل أن يصلوا إلى صالح وأهله.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً(٢) بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴿٥٢﴾﴾ يخبر الله تعالى قريشاً أن بيوتهم لا زالت قائمة قد تخاوت سقوفها وتساقطت بسبب ظلمهم، عبرة قائمة أمام عيون مشركي قريش إن أرادوا أن يعتبروا بأهلها، إن كانوا من أهل العقول.

الجواب: العلة تعظيم المكر وإبهامه في الموضعين، وقد كان مكر الله أعظم من مكرهم: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴿٥١﴾﴾ ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران].

(١)-**سؤال:** ما إعراب قوله: ﴿كَيْفَ﴾؟ وما السر في فتح همزة «أن» في قوله: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾؟ وما موضعها مع ما دخلت عليه؟

الجواب: «كيف» اسم استفهام في محل نصب خبر كان مقدماً، وفتحت همزة «أن» لكونها معمولة؛ إما أنها مع مدخولها خبر لمبتدأ محذوف، وإما لكونها مع مدخولها بدلاً من اسم كان، فموضعها مع مدخولها الرفع على الوجهين.

(٢)-**سؤال:** قوله: ﴿خَاوِيَةً﴾ حالٌ فأين صاحبها؟ وما هو العامل فيها؟ وهل أُخِذَت من الخلو والانعدام أم من التخاوي والسقوط أم يجوز الأمران؟

الجواب: «خاوية» حال من «بيوتهم» والعامل فيها اسم الإشارة؛ لما فيه من معنى الفعل وخاوية من الخلو من السكان، بدليل قوله: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴿٥١﴾﴾ ويجوز الأمران الخلو من السكان وسقوطها على عروشها.

﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴿٥٣﴾﴾ نجّى الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين آمنوا بصالح وصدقوا دعوته فلم يلحقهم أي أذى أو مكروه من ذلك العذاب الذي نزل بقومهم(١).

﴿وَلُوطًا(٢) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ(٣) وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً(٤) مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴿٥٥﴾﴾ أرسل الله سبحانه وتعالى لوطاً إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى، وترك ما هم فيه من المعاصي وعمل الفواحش، وكانوا قد اشتهروا بفاحشة اللواط، مجاهرين بذلك من دون أي حياء أو تستر، فاستنكر عليهم ذلك وكيف يشتهون إتيان الرجال ويتركون النساء التي جعلت موضعاً لذلك وحكم عليهم بالجهالة لما يدرك قبحه العقلاء.

﴿فَمَا كَانَ(٥) جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ

---

(١)-**سؤال:** هل عرفت نجاتهم كيف كانت؟

الجواب: قد تكون نجاتهم بأن أمرهم الله بالخروج من بين قومهم إلى مكان آمن لا يلحقهم فيه أذى العذاب.

(٢)-**سؤال:** علام عطف قوله: ﴿وَلُوطًا﴾؟

الجواب: يمكن أن يعطف على «صالحاً» من قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾، ويمكن أن ينصب «لوطاً» باذكر محذوفاً أو بأرسلنا

(٣)-**سؤال:** ما النكتة في إطلاق اسم الفاحشة عليها وتعريفها مع إبهام نوعها؟

الجواب: أطلق عليها اسم الفاحشة لشدة استقباح العقل لها وعظم استخباثه لها، وعرفت بالألف واللام لكونها معهودة حاضرة غير مجهولة، وترك التصريح باسمها لما فيه من القبح.

(٤)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿شَهْوَةً﴾؟ وبماذا تعلق الجار والمجرور في قوله: ﴿مِنْ دُونِ﴾؟

الجواب: «شهوة» مفعول من أجله، و«من دون» متعلق بمحذوف حال من فاعل تأتون، أي: متجاوزين الفساد.

(٥)-**سؤال:** علام انتصب قوله: ﴿جَوَابَ قَوْمِهِ﴾؟ وأين اسم كان؟

الجواب: انتصب على أنه خبر كان، و«أن قالوا» اسمها.

أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴿٥٦﴾﴾ عندما استنكر عليهم نبيهم عليه السلام ودعاهم إلى عبادة الله تعالى وترك ما هم فيه لم يجدوا جواباً عليه إلا أن هموا بطرده هو وأهله من بينهم؛ لأنهم استثقلوهم بسبب تنزههم وتطهرهم عن المعاصي التي كانوا يعملونها.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴿٥٧﴾﴾(١) فأهلكهم الله سبحانه وتعالى، وأنزل بهم عذابه وسخطه بعد أن أمر لوطاً وأهله بالخروج من بينهم ليلاً إلا امرأته فقد حكم الله سبحانه وتعالى عليها بالعذاب والهلاك مع قومها. ومعنى «من الغابرين»: من الهالكين.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴿٥٨﴾﴾(٢) وقد أهلكهم الله تعالى بحجارة أمطرها عليهم من السماء فأبادت من بقي منهم.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ(٣) عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ ثم انتقل الله سبحانه وتعالى إلى خطاب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقوم خطيباً في قريش فيبتدئ بحمد الله والثناء عليه، ثم الدعاء لمن اصطفاهم الله تعالى من الأنبياء والمرسلين.

﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴿٥٩﴾﴾ ثم بعد حمد الله تعالى والدعاء لعباده المرسلين أمره أن يسأل قريشاً: أيهما أفضل وأجدر بالألوهية والعبادة هل الله تعالى أم الأصنام التي يعبدونها من دونه؟

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿قَدَّرْنَاهَا﴾؟ وكيف تعدى «قدرنا» بدون واسطة؟

الجواب: الظاهر أنه يتعدى بنفسه بغير واسطة حرف جر كقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾ [يونس:٥]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴿٢﴾﴾ [الفرقان]، ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس:٣٩]، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت]، ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ﴾ [الواقعة:٦٠]، ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [المزمل:٢٠]، ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴿١٩﴾﴾ [عبس]. وجملة «قدرناها..» في محل نصب حال من امرأته.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴿٥٨﴾﴾؟

الجواب: «ساء» فعل ماض للذم، و«مطر المنذرين» فاعل، والمنذرين مضاف إلى الفاعل.

(٣)-**سؤال:** ما السر في تنكير قوله: «سلام»؟

الجواب: السر هو ليدل على نوع من السلام عظيم.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ(١) السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا(٢) بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ(٣) لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ۝٦٠﴾ وأن يسألهم أيهما أفضل هل الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما، وأنزل المطر وأخرج به أنواع النبات والزروع والأشجار والأثمار، أم تلك الأصنام التي تعبدونها من دونه ولا تستطيع فعل شيء؟

ثم أخبر الله تعالى عن قريش بأن قريشاً قد مالوا عن طريق الحق وعدلوا عنها استكباراً وعناداً وتمرداً على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١)- **سؤال:** على مقتضى هذا أن قوله: «من خلق» مبتدأ وأن الخبر محذوف؛ لفهمه من الآية السابقة، فهل هو كذلك؟ وهل يصح فيها إعراب آخر؟ وما فائدة إعادة الاستفهام في قوله: ﴿أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾؟

الجواب: نعم، الأمر كذلك، فـ«من خلق» مبتدأ، وخبره محذوف لفهمه من الآية السابقة، وقد أعربوها بإعراب قريب مما ذكرنا فقالوا: لا بد من أن يكون الخبر جملة تقديره: كمن لم يخلق، بدلالة نحو قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ [السجدة:١٨]، ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ [النحل:١٧].
ووجه آخر: أن الخبر «خير» مقدر، ولا فرق بين الوجهين تقريباً. والاستفهام في «أإلهٌ» استفهام إنكاري ومعناه النفي، وليس بإعادة للاستفهام الذي تضمنته «أم» ﴿أَمَّنْ﴾ أَمْ مَنْ فإنه للتبكيت والتوبيخ.

(٢)- **سؤال:** ما السر في تغيير الضمير من الغيبة إلى التكلم بقوله: ﴿فَأَنْبَتْنَا﴾؟

الجواب: السر هو تطرية نشاط السامع وإيقاظه إلى الإصغاء والتأمل والتفكر لعظيم قدرة الله في إنباته لحدائق ذات بهجة.

(٣)- **سؤال:** هل يؤخذ من قوله: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أن لفظة «ما كان» أو«ما ينبغي» تطلق على الفعل المحظور بتاتاً؟

الجواب: يؤخذ منها إطلاق ذلك على الفعل الممتنع بتاتاً إلا أنه لا يؤخذ منها عدم جواز إطلاقه على المكروه والمباح والملتبس حكمه أي: المشتبه حكمه.

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا[١] وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦١﴾ ثم يسألهم أيضاً أيهما أفضل هل هو الذي هيأ الأرض للحياة والاستقرار على ظهرها بما أوجده من كل مقومات الحياة من الماء والجبال، ومنع البحر العذب من الاختلاط بالمالح؟ أم تلك الأصنام التي تعبدونها من دونه؟

غير أن قريشاً قد علمت أن الله تعالى هو الذي بيده كل ذلك، ولكنها[٢] تعامت عن تلك الحقيقة، وذهبت إلى عبادة تلك الأصنام التي ليس بيدها أي شيء.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ وأن يسألهم أيهم أفضل هل أصنامكم؟ أم ذلك الإله الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه[٣]؟

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿قَرَارًا﴾ مصدر فكيف حمله على الأرض وجعلها خبراً عنه؟

الجواب: «قراراً» مصدر وصح حمله على الأرض للمبالغة في صلاحية الأرض للاستقرار كما يقال: «زيد عدل» للمبالغة في عدالته.

(٢)-**سؤال:** هل تقصدون بهذا أنه تعالى نزلهم منزلة الجاهل حين أخبر أنهم لا يعلمون؟ أم لذلك وجه آخر فما هو؟

الجواب: المراد أنه تعالى نزلهم منزلة الجاهلين لعدم أخذهم بالحق الواضح وعدولهم إلى عبادة الأصنام.

(٣)- **سؤال:** من فضلكم هل يصح أن يحمل على أنه استفهام جديد يكون فيه اسم الاستفهام «من» مبتدأ والجملة الفعلية بعده الخبر، وتكون هي المستفهم عنها؛ لأن الحذف خلاف الظاهر، ولأنه يريد إقرارهم بآثار الله المذكورة في هذه الآيات كما أشرتم إليه في آية (٦٤)؟ أم ترون أن حمله على ما تقدم أولى فما مرجحاته؟

الجواب: الذي نراه حمله على ما تقدم لأن هذه الآيات من (٥٩) إلى (٦٤) حجج وبراهين موجهة إلى قريش الذين يعبدون الأصنام في صورة أسئلة تستفتح آذان قلوبهم ليجيبوا عليها، وموضوع الأسئلة أيهما خير آلذي يتصف بالصفات المذكورة في هذه الآيات أم الذي لا يتصف بها، وأيهما يستحق الإلهية.

وكانوا إذا وقع أحدهم في مصيبة أو شدة ذكر الله تعالىٰ ولجأ إليه بالدعاء والتضرع لينقذه من مصيبته وشدته، ناسين لتلك الأصنام التي يعبدونها، فأمر الله تعالىٰ نبيه ﷺ أن يسألهم عن ذلك الواقع الذي لا يستطيعون إنكاره.

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ تخلفون من قبلكم على الأرض، وتعمرونها بعد تلك الأمم التي قد ذهبت وانقرضت.

﴿أَءِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[(١)] يذكرهم الله تعالىٰ بآياته وحججه وبيناته، ولكن تذكرهم قليل أو منعدم.

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ وأيها أفضل هل أصنامكم التي تعبدونها من دون الله سبحانه وتعالىٰ؟ أم الله تعالىٰ الذي سَهَّل لكم الوسائل التي تهتدون بها إلىٰ سلوك الطريق التي تريدونها؟ أراد بذلك النجوم التي يحددون بها اتجاهاتهم وطرقهم[(٢)].

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾؟

الجواب: «قليلاً» مفعول مطلق مقدم لتذكرون، أي: تذكرون تذكيراً قليلاً، و«ما» صلة جيء بها لتأكيد القلة وتقليلها.

(٢)-**سؤال:** هل يصح أن تحمل الآية على تهيئة بقية وسائل العصر الحديث لمصالح الناس؟

الجواب: يدخل في ذلك كل ما حصل من وسائل وكل ما سيحصل من وسائل متطورة؛ لأن ذلك كله بتدبير الله لعقول البشر وهدايتها إلىٰ ما جعل سبحانه وتعالىٰ في الأرض من أسرار ومنافع، فهو عز وجل الذي خلق البترول في باطن الأرض، وهو تعالىٰ الذي خلق الحديد وسائر المعادن، وهدى الناس إلىٰ استخراج البترول وتلك المعادن، وأودع قوة الكهرباء في بعض الأجسام، وهدى العقول إلىٰ كيفية استخراجه والانتفاع به، وهو تعالىٰ الذي خلق الذرة وأخفى فيها قوة كهربائية قوية، وهدى العقول إلىٰ معرفتها وكيفية استخراجها والانتفاع بها، وهو تعالىٰ الذي خلق الأرض وأحاطها بغلاف جوي ذي خصائص خاصة بمنافع البشر تطير فيه الحيوانات الطائرة، ويطير فيه الناس بالطائرات، وتسير فيه السحب والرياح، وينتفع به سكان الكرة الأرضية في مجال الإعلام

=

﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا[1] يُشْرِكُونَ۝٦٣﴾ وأن يسألهم من هو الذي يأتي بالرياح قبل المطر فتسوقه من مكان إلى آخر؟ هل هو الله تعالى أم أصنامكم التي تعبدونها من دونه؟

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ومن هو الذي بيده بداية خلقكم وإعادتكم للبعث والحساب يوم القيامة؟

﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ۝٦٤﴾ ومن الذي ينزل المطر ويخرج لكم به الشجر والثمر؟ فإن كانت الأصنام فهاتوا الدليل على ذلك ولن تستطيعوا ذلك أبداً؟

كل هذه التساؤلات ليضطرهم إلى الاعتراف بأن الله سبحانه وتعالى هو وحده المتفرد بكل ما ذكر فلا يكون لهم عذر عند الله تعالى.

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وأخبرهم يا محمد أن الله سبحانه وتعالى هو المختص بعلم الغيب وحده لا يشاركه في ذلك أحد.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ۝٦٥﴾[2] وأخبرهم يا محمد أن هذه الآلهة التي يعبدونها لا تعرف من علم الغيب شيئاً، ولا تعلم متى سيكون حشرها ومبعثها.

المسموع والمرئي والاتصالات والإنترنت و...، ولولا ما أودع الله تعالى فيه من الأسرار والمنافع الخاصة بالبشر لما حصل شيء من ذلك.

(١)-**سؤال:** أيهما أقوى أن تحمل «ما» في قوله: ﴿عَمَّا﴾ على المصدرية أم على الموصولة؟

الجواب: الأقوى أن تحمل على المصدرية؛ لعدم الحاجة في حملها على المصدرية إلى تقادير، بخلاف الموصولة؛ فإن حملها على الموصولة يحتاج إلى أكثر من تقدير.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب ﴿أَيَّانَ﴾؟ وجملة ﴿يُبْعَثُونَ﴾؟

الجواب: «أيان» اسم استفهام بمعنى «متى»، والعامل فيها «يبعثون»، وهي معلقة لـ«يشعرون» عن العمل.

﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾(١) ثم أخبر الله تعالى أن المشركين قد عرفوا بأمر الآخرة(٢) والبعث والحساب وقد استحكم علمهم في ذلك، غير أنهم بعد ذلك يشككون على أنفسهم في أمرها عناداً وجحوداً وتكذيباً وتعامياً عن الحق، وذلك بما يدخلون على أنفسهم من التلبيسات والشبه، بعد أن علموا وتيقنوا ذلك بما جاءهم من الأدلة والحجج الواضحة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾(٣) استنكر المشركون مبعثهم بعد الموت وبعد أن يصيروا تراباً، واستبعدوا كيف يصح ذلك.

﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ(٤) وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وقد جاءتنا أخبار البعث والحساب، وكذلك آباؤنا من قبلنا، ولم نر نحن ولا هم شيئاً من ذلك الذي توعدنا به يا محمد، مما يدل على أنها ليست إلا خرافات وأكاذيب.

---

(١)-**سؤال:** الأصل في «عمي» أن يتعدى بـ«عن» فلماذا عدي بـ«من» في هذه الآية؟

الجواب: قد قيل: إن «من» بمعنى «عن» أو تكون ابتدائية، أي: أن عماهم حصل لهم من قبل أمر الآخرة.

(٢)- **سؤال:** هل تريدون أن لفظة «في» في قوله: ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ حلت محل الباء لكونهما من حروف الصفات؟ أم ماذا؟

الجواب: الفاء على أصلها، أي: ظرفية، والظرفية معنوية.

(٣)- **سؤال:** علام عطف قوله: ﴿وَآبَاؤُنَا﴾؟ وما فائدة إعادة الاستفهام في قوله: ﴿أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾؟

الجواب: «آباؤنا» معطوف على اسم كان، وصح للفصل، وجملة «أئنا لمخرجون» وقعت كالتأكيد للجملة الأولى فلزم فيها الاستفهام.

(٤)-**سؤال:** فضلاً لو أعربتم: ﴿وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا﴾ لكان مناسباً؟

الجواب: اللام واقعة في جواب قسم محذوف، و«قد» حرف تحقيق، «وعدنا» فعل ونائب فاعل، «هذا» مفعول به ثانٍ، «نحن» ضمير فصل، و«آباؤنا» معطوف على نائب الفاعل في وعدنا.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ۝٦٩﴾ ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يأمرهم بأن يسيروا في الأرض وسوف يرون كيف كانت عاقبة تلك الأمم التي كذبت أنبياءها عندما يمرون على قراهم ومساكنهم التي كانوا يعمرونها وقد أصبحت خراباً، وأن يحذروا أن تصير حالهم كحال تلك الأمم إن استمروا على تكذيبهم وتمردهم.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ[1] مِمَّا يَمْكُرُونَ۝٧٠﴾ ثم أوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يحزن على عدم إيمان قومه؛ لأنه كان قد دخل عليه الحزن الشديد والضيق لما رأى من تكذيب قومه.

وكذلك أوحى الله تعالى إليه أن لا يبالي بما يكيدونه ويحيكونه ضده من المؤامرات لقتله أو أذيته، وطمأنه بأنهم لن يستطيعوا أن يلحقوا به أي ضرر أو مكروه، فهو حافظه من كيدهم ومكرهم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ۝٧١﴾ كان المشركون يسألون النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبرهم بموعد العذاب هذا الذي يحذرهم منه وينذرهم بنزوله بهم، وأنه إن كان صادقاً فليحدد موعد نزوله.

﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ[2] رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ۝٧٢﴾ فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيبهم بأنه قد أوشك أن يحل بهم بعض ذلك العذاب الذي يستعجلونه وقد اقترب موعده.

---

(١)-**سؤال:** ما نوع اسمية ﴿ضَيْقٍ﴾؟

الجواب: «ضيق» مصدر ضاق يضيق.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ﴾؟ ولا زال يشكل علينا ﴿يَكُونَ﴾ سواء كانت ناقصة أم تامة؛ لعدم ظهور ما يعود إليه اسمها، لدخولها على الفعل «ردف»؟

الجواب: في «عسى» ضمير الشأن وهو اسمها، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر خبرها، و«بعض» اسم يكون، وفاعل «ردف» ضمير البعض.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ۝٧٣﴾ وأمره أن يخبرهم بأن الله سبحانه وتعالى قد تفضل عليهم عندما أمهلهم وتأنى بهم وأغدق عليهم نعمه، وأمد لهم في أعمارهم، وبارك لهم في أرزاقهم وأولادهم كل ذلك لعلهم يرجعون إليه، وأن ذلك من عظيم رحمته بهم، فكان من المفروض أن يشكروه مقابل ذلك.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ۝٧٤﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ليس غافلاً عن أولئك العصاة والمتمردين فهو عالم بما يسرونه وما يعلنونه، وسوف يجازيهم على كل ذلك، ومعنى «تكن»: تخفي وتغطي.

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ(١) فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ۝٧٥﴾ وكل شيء خفي وغاب عن الأعين في السماء أو في الأرض فالله مطلع عليه وعالم به.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ۝٧٦﴾ اختلفت بنو إسرائيل في أحكام التوراة على فرق ومذاهب شتى، ثم أتى القرآن يخبرهم ويبين لهم الحق الذي اختلفوا فيه(٢).

﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ۝٧٧﴾ ثم أخبر الله تعالى أن هذا القرآن نعمة

---

(١)-**سؤال:** ما الوجه في تأنيث ﴿غَائِبَةٍ﴾؟

الجواب: التاء في «غائبة» ليست للتأنيث بل هي للدلالة على الاسمية أي: للنقل من الوصفية إلى الاسمية.

(٢)-**سؤال:** هل تريدون بإلزام القرآن لهم أن يؤمنوا بما فيه وما جاء به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم؟ أم أنه بيّن لهم الحق في قضايا جزئية اختلفوا فيها؟

الجواب: المعنى المراد أن هذا القرآن هو الحق من عند الله لكونه يحمل الحجة والبرهان على ذلك أي: أن حجته قائمة فيه، وهي أنه يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون، فبيانه ذلك دليل على أنه من عند الله، وبنو إسرائيل يعلمون أن لا سبيل إلى بيان ما عندهم من الاختلاف وبيان الحق إلا بوحي من الله.

عظيمة قد أنعم بها على عباده؛ لأن فيه نجاتهم وهداهم وخير دينهم ودنياهم إلا أنه لا ينتفع(١) به إلا المؤمنون.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٧٨﴾ عندما اختلف علماء بين إسرائيل في أحكام التوراة أخبر الله تعالى أنه سوف يقضي بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه، وحكمُهُ هو أن يعذب المبطل منهم ويثيب المحق(٢).

﴿فَتَوَكَّلْ(٣) عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ۝٧٩﴾ عندما رفض المشركون دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصروا على عنادهم وكفرهم، وعندما هددوه بالقتل والطرد إن لم يقلع عما هو عليه- أمره الله سبحانه وتعالى بأن يتوكل عليه، ويستمر في مواصلة دعوته والمضي في تبليغ ما أمره ربه، وسيكفيه شرهم وأذاهم، وأخبره أنه على الحق ولو لم يتبعه أحد منهم.

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝٨٠﴾(٤) شبه

---

(١)-**سؤال:** من أين نستفيد هذا في هذه الآية؟ وكذا فيما ماثلها مما تقدم أو تأخر مع أن ظاهر اللام في قوله: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ اختصاصهم بالهدى والرحمة؟

الجواب: استفيد ذلك من مفهوم الصفة في قوله: «للمؤمنين»، أي: لا لغير المؤمنين، وإنما خص المؤمنون بالهدى والرحمة لأنهم هم الذين انتفعوا بالهدى والرحمة التي جعلها الله تعالى في القرآن دون المعرضين عن القرآن وما فيه من الهدى والرحمة.

(٢)-**سؤال:** قد يقال: لا محقَّ فيهم فكيف؟ أم تريدون أتباع أنبيائهم في وقتهم، أو المتبعين لشرعة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: المحق منهم هم الذين اتبعوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وآمنوا به.

(٣)-**سؤال:** ما فائدة هذه الفاء هنا؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة؛ لأنها تفريع على الكلام الذي سبقها.

(٤)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝٨٠﴾؟

الجواب: «الدعاء» مفعول به ثان، و«إذا» شرطية والجملة بعدها في محل جر وهي جملة الشرط وجواب الشرط محذوف دل عليه ما تقدم.

الله سبحانه وتعالى المشركين بالموتى في عدم الاستجابة والسماع مبالغة في استحالة إيمانهم مهما سمعوا من المواعظ والعبر والآيات، وكذلك بمن في أذنيه صمم وقد ولى بظهره فلا يستطيع أن يسمع شيئاً مهما حاولت في إسماعه.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي[1] الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ ولن تستطيع يا محمد أن تهدي هؤلاء الذين قد ضلوا، شبههم الله تعالى بالعمي الذين مهما وصفت لهم الطريق وحاولت فلن يستطيعوا أن يهتدوا إليها، فكيف تستطيع أن تدلهم على شيء لا يستطيعون أن يروه أو يسيروا إليه.

﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴿٨١﴾﴾[2] واعلم أنه لن يقبل منك ويسمعك يا محمد إلا من استحكم الإيمان في قلبه، وصار من المستسلمين لله تعالى والمنقادين له.

---

(١)-**سؤال:** إذا تشبث أهل الجبر بهذه الآية، فكيف يجاب عليهم؟

الجواب: لا متشبث لأهل الجبر في هذه الآية؛ لأن الله تعالى شبه الكافرين المعرضين عن قبول الهدى الذي جاءهم به محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالموتى، ووجه الشبه بينهم وبين الموتى عدم القبول والانتفاع والاستجابة لما يقال لهم، وليس في هذه الآية بيان المانع لهم من القبول والانتفاع والاستجابة، فنحن نقول: إن الذي منعهم من ذلك هو الكبر والأهواء والشهوات وحب الدنيا، فهذا هو الذي أعمى أبصارهم وأصم آذان قلوبهم عن الهدى ودين الحق.

(٢)-**سؤال:** يقال: ما العلة في إسناد الإسماع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كانت بمعنى أنه لا يستمع منه إلا أهل الإيمان؟

الجواب: العلة في ذلك أن الله تعالى أراد أن يخفف على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بعض التعب والمشقة فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجهد نفسه غاية الإجهاد ليسمع قومه آيات الله ويتابعهم وكان ذلك شغله الشاغل حتى رحمه ربه فقال له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴿٦﴾﴾ [الكهف]، أي: لعلك قاتل نفسك وأنت تتابعهم وتلاحقهم لتسمعهم الحق والهدى، ففي هذه الآية يقول الله تعالى له: هون على نفسك فلا سبيل لك إلى إسماع قومك، فهون على نفسك.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ(١) كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ۝٨٢﴾ ثم أخبر الله تعالى بأنه إذا وقع العذاب على المشركين يوم القيامة فإنه سيخرج لهم دابة تشهد عليهم بأنهم كانوا من المكذبين والمعرضين عن آيات الله تعالى وعن أنبيائه ورسله(٢).

---

(١)-**سؤال:** ما محل المصدر: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا...﴾ الإعرابي؟

الجواب: موقعه الجر بباء محذوفة، أو النصب بنزع الخافض.

(٢)- **سؤال:** ما رأيكم فيما روي أن الدابة نار تخرج من قعر عدن تجمع الناس إلى أرض المحشر، أو حيوان كذلك تسمى الجساسة؟ وعلى مقتضى نظركم يشكل علينا أن الإشهاد يعرى عن الفائدة إذا كان بعد وقوع العذاب على ظاهر الآية؟ وما صحة ما روي عن بعض أئمتنا أن الدابة هو الإمام المهدي المنتظر؟

الجواب: لم يظهر صحة ما روي في الدابة، وخروج الدابة لا يكون إلا بعد وقوع القول عليهم أي: حصول الوعيد، وعند حصوله ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨]، وقد يمكن –وإن كان خلاف الظاهر– أن التقدير: وإذا شارف وقوع القول عليهم أو قرب وقوعه، أي: فيكون خروج الدابة بين يدي الساعة، أي: أنه علامة من علاماتها، وقد يكون –والله أعلم– أن وقوع القول عليهم أي: وقوع العذاب عليهم في الدنيا وهو العذاب الذي توعد الله به المكذبين، وعلى هذا فيخرج الله تعالى للمعذبين عند نزول العذاب بهم وحلوله عليهم دابة من الأرض تكلمهم بأن ما حل بهم من العذاب هو بسبب تكذيبهم بآيات الله وعدم إيمانهم بما جاءهم به رسولهم من آيات الله وبيناته.

وعسى أن يكون هذا القول أقرب الأقاويل، وذلك لأنه جاء بعد ذكره لمشركي قريش الذين أجهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه في إسماعهم آيات الله فلم يسمعوا، فقال الله له صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى...﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ۝٨١﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ...﴾، فالضمير في «عليهم» يعود إلى أولئك الموتى والصم الذين أجهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه في إسماعهم فلم يسمعوا.

ومما يقوي هذا القول أنه جاء بعد هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا...﴾ ثم ذكر

=

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ[1] فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴿٨٣﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه في يوم القيامة سيحشر من كل أمة فريقاً منهم وهم زعماؤهم وكبارهم الذين كانوا يضلون الناس ويغوونهم، فيوقف أوائلهم حتىٰ يلحق أواخرهم، ثم إنه سيجمعهم في مكان للسؤال والجواب.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٨٤﴾﴾ فإذا اجتمع هؤلاء سألهم الله تعالىٰ عن التكذيب بآياته هل لأنهم لم يعلموها ولم يتحققوا معانيها أم أفعالهم الردية هي التي قادتهم إلىٰ ذلك فلم يعملوا

بعد ذلك: يوم ينفخ في الصور، فإن في ذلك ما يؤيد ما ذكرنا من أن خروج الدابة يكون في العذاب النازل علىٰ المكذبين في الدنيا.

وقد يقوي هذا القول: أن المؤمن إذا حضره الموت فإن الملائكة تحضره وتبشره بما له عند الله من الكرامة، أما المشركون فيخرج الله تعالىٰ لهم دابة من الأرض تبشرهم بما أعد الله لهم من العذاب لتكذيبهم بآيات الله وكفرهم به، وعدم إيمانهم بما جاءهم به الرسول ﷺ، ولا يبعد أن تكون الدابة من الملائكة إلا أن الله تعالىٰ صورها بصورة دابة من دواب الأرض الموحشة التي ينفر منها الإنسان.

(١)- **سؤال:** من فضلكم لم يظهر لنا بعدُ التحقيقُ في الأمة هل هم الحاصلون وقت كل نبي، أم أتباع الأنبياء مطلقاً؟ أم أنها محددة بفترة زمنية أم ماذا؟

الجواب: الأمة هي الجماعة من الناس بدليل قوله تعالىٰ: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ**﴾ [القصص:٢٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿**وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴿١٥٩﴾**﴾ [الأعراف]، وأمة محمد ﷺ هم المسلمون الذين آمنوا ودخلوا في دينه بدليل: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران:١١٠]، وقوله: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ [البقرة:١٤٣]، فيشمل المسلمين الأولين ومن يأتي بعدهم من المسلمين إلىٰ يوم القيامة؛ بدليل قوله ﷺ: ((ستفترق أمتي إلىٰ نيف وسبعين فرقة...)) الحديث. إذا عرفت هذا فالأمة هي الجماعة التي يجمعها أمر ديني أو دنيوي قلّت أو كثرت، وسواء طال زمان اجتماعهم علىٰ ذلك الأمر الجامع أم قصر.

بما جاءتهم به الأنبياء والرسل، فعند ذلك لا يستطيعون ولا يهتدون إلى جواب يخلصون به أنفسهم عند الله سبحانه وتعالى وذلك قوله تعالى:

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴿٨٥﴾﴾ فلم يحيروا جواباً، ولم يجدوا ما يجيبون به سؤال ربهم، وحق عليهم العذاب بسبب كفرهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴿٨٦﴾﴾ ألم ينظر المشركون إلى صنيع الله سبحانه وتعالى ورحمته بهم إذ جعل لهم الليل ليسكنوا فيه من تعب ما لحقهم في النهار، وجعل لهم النهار يسعون فيه إلى مصالحهم ومعايشهم وأرزاقهم؟ فإن في ذلك آية لهم لو كانوا يعقلون، ثم أخبر الله تعالى عن واقع حال المكذبين بأنهم لن ينتفعوا بذلك، وأنه لا ينتفع بآياته إلا المؤمنون.

﴿وَيَوْمَ(١) يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴿٨٧﴾﴾ يذكِّرهم الله سبحانه وتعالى بيوم الحشر والنشر وهو يوم النفخ في الأموات وإعادة الأرواح إلى الأجساد، فأخبر أنه سيحيي كل من خلق في السماوات والأرض(٢).

---

(١)-**سؤال:** علام انتصب «يوم»؟

الجواب: انتصب بفعل محذوف تقديره: اذكر يوم.

(٢)- **سؤال:** يقال: إذاً فما يكون المراد بـ﴿مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾؟ وهل من الممكن أن نقول: بأن الاستثناء لا يراد به إلا المبالغة في إحكام الباري تعالى للسيطرة في ذلك اليوم كما قلنا في آية الأنعام: ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ...﴾ [الأنعام:١٢٨]؟

الجواب: ذكر الله تعالى في آية أخرى النفخة الأولى والنفخة الثانية، ولم يذكر الله تعالى في هذه الآية إلا النفخة الأولى واكتفى عن ذكر النفخة الثانية بقوله: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴿٨٧﴾﴾، ونحن ذكرنا في التفسير المعنى المقصود من النفختين الذي هو الحشر والبعث، ويصح أن يقال: إنه لا يراد بالاستثناء إلا بيان عظمته واستيلاء سلطانه ونفاذ أمره فيما يريد، أي: أنه لا حدود لنفاذ مشيئته وإرادته فيما يريد، وقد يكون هذا هو الأولى، والله أعلم.

وقد أراد بذلك النفخة الأولى عندما يميت الله تعالى كل من في السماوات والأرض إلا من شاء الله تعالى عدم موته من الملائكة[١]، وذلك أن الله تعالى سوف ينفخ نفختين: الأولى لإماتتهم، والثانية لحشرهم ونشرهم، وأن كل من في السماوات والأرض سوف يأتونه صاغرين مستسلمين ومنقادين.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ[٢] اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ۝٨٨﴾ أخبر الله تعالى أنه جعل الجبال آية من آياته الدالة على عجيب صنعه وقدرته، وذلك أن الرائي لها يحسبها جامدة وثابتة في مكانها بينما هي تمشي وتجري في سرعة مذهلة، يخبر الله تعالى عن حالها في الدنيا[٣].

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ۝٨٩﴾ من عمل الأعمال الصالحة في الدنيا فسيجازيه الله تعالى أضعافاً مضاعفة يوم القيامة، وأهل الأعمال الصالحة هؤلاء سوف ينجيهم الله تعالى من أهوال يوم القيامة وأفزاعها،

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم هل من دليل على عدم إماتة بعض الملائكة؟ وما السر في عدم إماتتهم؟ ومتى سيموتون؟ وكيف يتصور النفخ في صور الأجساد إذا كانت لإماتتهم وهم أحياء؟

الجواب: الدليل هو ما جاء في هذه الآية من الاستثناء، والعلة في عدم إماتتهم هو تكريمهم وتشريفهم وتمييزهم بذلك عن المخلوقين، وسيميتهم فيما بعد. **هذا**، ويمكن هنا وجه آخر في الاستثناء هو أن الاستثناء من الفزع دون الموت، أي: أن المخلوقين يفزعون إلا من شاء الله. والنفخ: هو عبارة عن إماتتهم بسبب أو بغير سبب.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾؟

الجواب: «صنع الله» مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة.

(٣)-**سؤال:** يقال: ظاهر دلالة السياق أنها في الآخرة، فكيف؟

الجواب: الظاهر أنه انتقل بعد ذكره ليوم القيامة فذكر بعده آية من آيات قدرته وعلمه وحكمته فقال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ...﴾ الآية، والدليل أنها في الدنيا قوله في آخر الآية: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فإن ذلك يدل على أنه أراد منا النظر في خلقها وإتقان الله لصنعها، و...إلخ.

فهم في أمن وأمان وطمأنينة(١).

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۝٩٠﴾(٢) وأما من عمل الأعمال السيئة والمعاصي في الدنيا فسوف يكبهم الله تعالى على وجوههم في النار جزاءً على ما عملوه من التكذيب والكفر والتمرد والفسوق والعصيان.

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ(٣) رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾(٤) هذا من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أمره الله تعالى أن يقوله للمشركين، وأن الله تعالى لم يأمرني بعبادة الأصنام. والبلدة المحرمة هي مكة التي جعلها حرماً آمناً.

﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾(٥) وأن يخبر المشركين بأن كل ما في السموات والأرض فهو لله تعالى وحده.

---

(١)- **سؤال:** يقال: وكيف يجمع بين هذا وبين حديث المجموع: ((وإن لها يوم القيامة لصرخة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه من صرختها))؟

الجواب: يمكن الجمع بأن جثو الملائكة والأنبياء والمؤمنين قد كان لا لفزع وخوف بل لأن المقام مقام هيبة وتعظيم وأدب مع الله، وانتظار ما يفعله الله بالكافرين وماذا يحل بهم من غضبه ونقمته، فإن الحال تقتضي ذلك وتستدعيه.

(٢)- **سؤال:** هل قوله: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۝٩٠﴾ مقول لقول محذوف في محل النصب على الحال؟ أم منفصل عما قبله فما وجهه؟

الجواب: نعم، هي مقول لقول محذوف في محل نصب على الحالية، أي: مقولاً لهم: هل تجزون...، وليس منفصلاً عما قبله.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب المصدر: ﴿أَنْ أَعْبُدَ﴾؟ وهل قوله: ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ وصف لرب؟

الجواب: المصدر في محل جر بباء محذوفة أو منصوب بنزع الخافض، و«الذي» صفة لرب.

(٤)- **سؤال:** هل هناك سر في حذف الأمر في هذه الآية بـ«قل» كما في أخواتها؟

الجواب: السر هو الإيجاز لا غير، والله أعلم.

(٥)- **سؤال:** هل هذه الجملة معطوفة على جملة الصلة كما يظهر أم أنها مستأنفة؟

الجواب: الواو للحال وليست عاطفة، وجيء بهذه الجملة الحالية للاحتراس، أي: لئلا يتوهم أنه رب البلدة لا رب غيرها.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ۝٩١﴾ وأن يخبرهم بأن الله تعالى قد أمره أن يكون من المنقادين له والمطيعين له.

﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْءَانَ﴾(١) ويخبرهم أيضاً بأن الله تعالى قد أمره أن يتلوا عليهم القرآن إن أرادوا أن يهتدوا بهديه، ويعملوا بأحكامه، ويرتدعوا عن الشرك والمعاصي التي هم فيها.

﴿فَمَنِ اهْتَدَى(٢) فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ﴾ فمن اهتدى بهدي القرآن واستجاب لآياته فلن ينفع بذلك إلا نفسه.

﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ۝٩٢﴾ وأما من بقي على كفره وضلاله، ورَفَضَ الاستماع لآياته، فأخبرهم يا محمد أنك لست إلا مبلغاً، وأخبرهم أنك لست مكلفاً بإدخالهم في الهدى حتماً، فوبال ضلالهم راجع عليهم.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وأمره الله سبحانه وتعالى بأن يحمد الله تعالى على إتمام تبليغه حججه وآياته.

---

(١)-**سؤال:** هل لا زال الحصر شاملاً لمدلول هذه الآية؟

الجواب: الحصر متناولاً أيضاً لمضمون هذه الآية؛ لظاهر العطف، وذلك أن قريشاً استنكرت على النبي ﷺ حين عبد الله وحده ودعا إلى عبادته وحده، وحين دعا إلى الإسلام ونبذ دين الشرك، وحين تلا عليهم القرآن ودعاهم إليه، أي: إنما أمرني بهذه الأمور الثلاثة لا بغيرها مما تدعوني إليه؛ من عبادة غير رب هذه البلدة، ومن الدخول في دين المشركين، ومن ترك تلاوة القرآن؛ فالقصر قصر قلب حين اعتقدوا أن الدين الحق هو دينهم دين الشرك وعبادة الأصنام.

(٢)-**سؤال:** هل في هذه الجملة مع قوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْءَانَ﴾ رائحة دلالة على أنه لا يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند عدم ظن التأثير؟

الجواب: نعم، فيها ما يدل على أنه لا يجب تغيير المنكر باليد عند العجز عن تغييره باليد، أما وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان فتدل الآية وما قبلها على وجوب بيان الحق والدعوة إليه، فإن قوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْءَانَ﴾ دليل على ذلك.

﴿سَيُرِيكُمْ(١) ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ۝٩٣﴾(٢) وأن يخبر المشركين بأن الله تعالى سيريهم بيناته وحججه وأنهم سيعرفونها غير أنهم سيعرضون عن قبولها وعن الاستماع إليها، ولكن الله تعالى سيجازيهم على ذلك فهو مطلع على جميع أعمالهم ما ظهر منها وما خفي، وما صغر وما كبر، لا تخفى عليه خافية.



(١)-**سؤال:** ما الوجه في فصل هذه الجملة عن سابقتها؟

الجواب: الجملة هذه هي من ضمن مقول القول الذي في قوله فقل الحمد لله، وفصلت لأن الجملة الأولى «الحمد لله» إنشائية، وجملة «سيريكم» خبرية فبين الجملتين كمال الانقطاع.

(٢)-**سؤال:** علام عطفت جملة: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ﴾ إن كانت عاطفة؟ وإلا فما هي؟ وما المناسبة في كون هذه الآية الكريمة خاتمة لهذه السورة المباركة؟

الجواب: الواو اعتراضية، والجملة بعدها معترضة كما يسميها الزمخشري، أي: أن الجملة شبه مؤكدة لما سبقها، ومن البديع في هذه الآية أنها تشعر بنهاية السورة وتمامها، وذلك من حيث أن الحمد لله المأمور به النبي ÷ يدل على تمام النعمة على النبي ÷ من حيث أن الله قد أعانه على تبليغ ما أمره بتبليغه من الآيات لقومه، وأدى ما وجب عليه، ولم يبق إلا أن يحمد الله على ذلك.

سورة القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسم۝١ تِلْكَ[١] ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ۝٢﴾ أشار الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ أن آيات هذه السورة هي من آيات الكتاب الواضحة حججه، والمنيرة بيناته، فلا لبس أو إشكال في مصداقية آياته، يعرف ذلك كل من قرأه أو سمعه.

﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ[٢] نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ۝٣﴾ أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ بأنه في هذه السورة سيقص عليه حقيقة ما جرىٰ من قصة موسىٰ مع فرعون بالتفصيل من دون أي زيادة أو نقص، ولن يصدق ذلك إلا المؤمنون فقط، ثم بدأ الله تعالىٰ في القصة فقال:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[٣] تكبر في الأرض ومشىٰ في رعيته بالظلم والجبروت والطغيان وسفك الدماء، والأرض هي أرض مصر.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ وقسم رعيته إلىٰ فرق وأحزاب، وزرع العداوة بينهم ليستطيع بذلك أن يسيطر عليهم؛ لأنهم إن اجتمعوا فلن يتمكن من السيطرة عليهم، مما اضطره ذلك إلىٰ زرع التفرقة بينهم، وقد اتبع في ذلك سياسة «فرق تسد».

---

(١)-**سؤال:** هل في هذه الآية حصر وقصر بالتعريف؟ إن كان فما فائدته؟

الجواب: نعم، فيها حصر وقصر، وفائدته أن القرآن وحده هو المختص ببيان آيات الله وحججه علىٰ عباده دون غيره من الكتب؛ لما دخلها من التحريف والتبديل والزيادة والنقص.

(٢)-**سؤال:** هل تفيد «من» هذه أن شيئاً من تلك الأخبار لم يذكره الله سبحانه؟ أم كيف؟

الجواب: «من» تفيد أن الله تعالىٰ ذكر في هذه السورة بعضاً من قصة موسىٰ وفرعون.

(٣)-**سؤال:** ما معنىٰ «ال» في قوله: ﴿الْأَرْضِ﴾؟

الجواب: معناها العهد، أي: أرض مصر لا غير، بدليل قوله: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا...﴾ الآية، فكان سلطانه وعلوه في أرض مصر لا غير.

﴿يَسْتَضْعِفُ[1] طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ وكان هناك طائفة في شعب مصر قد قهرها وأذلها واستضعفها، وهم بنو إسرائيل، وكان من ولد له مولود ذكر منهم ذبحه من دون أي رحمة أو شفقة، ومن كان أنثى استبقاه للخدمة.

﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾ وكان من الساعين بالفساد في الأرض بجميع أشكاله، وأما السبب في ذبحه مواليد بني إسرائيل فهو أن الكهنة[2] كانوا قد أخبروه بأنه سيولد من بني إسرائيل مولود تكون نهاية دولته على يديه.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝٥﴾ ولكن إرادة الله تعالى كانت فوق إرادة فرعون، فقد أراد تعالى أن يستنقذ بني إسرائيل من ظلمه وجبروته، وأن يكونوا قادة يهتدي الناس بهديهم، وأن يهلك فرعون وقومه ويخلف بني إسرائيل بعده[3].

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾؟ وكذا محل جملة: ﴿يُذَبِّحُ﴾؟ وما الوجه في فصلها؟

الجواب: جملة «يستضعف..» واقعة في جواب سؤال مقدر فلا محل لها من الإعراب، وجملة: «يذبح أبناءهم...» بمنزلة عطف البيان من الجملة التي قبلها فلا محل لها أيضاً من الإعراب.

(٢)-**سؤال:** من أين نستفيد هذا؟

الجواب: نستفيد هذا من أقوال المفسرين، وفعلاً فقد كان فرعون يتوقع ذلك ويحذره؛ لهذا قال تعالى: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص]، وقد يكون الكهنة أخذوا هذا من يوسف عليه السلام فتوارثوه، أو من علماء بني إسرائيل الذين خلفوا يوسف في العلم، والله أعلم.

(٣)-**سؤال:** هل يصح أن تعمم هذه الآية في كل زمان حتى في زماننا، كما ورد عن بعض الأئمة أنه أوصى أحد أتباعه بالصبر حتى يأتي تأويل هذه الآية أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: يصح أن تعم في كل زمان حتى في زماننا بشرط الصبر والإيمان واليقين والتقوى، بدليل قوله تعالى في آية أخرى عن بني إسرائيل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة]، وبدليل قوله تعالى في مؤمني هذه الأمة الأولين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...﴾ الآية [النور:٥٥].

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وأن يجعل الله تعالىٰ لهم سلطاناً في الأرض ودولة.

﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ[١] مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ۝٦﴾ وقد أراد الله تعالىٰ أن يري فرعون أنه لن يستطيع أن يهرب من إرادة الله تعالىٰ وما كتبه عليه من الهلاك وذهاب الملك علىٰ يد بني إسرائيل، ولن يستطيع أحد أن يرد أمراً قد قضاه الله تعالىٰ وكتبه.

وقد عاش هذا المولود علىٰ الرغم من ملاحقته لكل مولود يلد من بني إسرائيل بالذبح.

﴿وَأَوْحَيْنَا[٢] إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ عندما ولدت أم موسىٰ خافت علىٰ وليدها من أن يقتله آل فرعون؛ فأوحىٰ الله تعالىٰ إليها أن ترضعه، ثم تضعه بداخل تابوت[٣]، وترمي به في نهر النيل.

﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي[٤] إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ وأخبرها بأنه تحت رعايته وعنايته

---

(١)-**سؤال:** بماذا تعلق هذا الجار والمجرور؟ وإن كان بـ«يحذرون» فما فائدة تقدمه؟

الجواب: الجار والمجرور متعلقان بـ«نري»، ولا يتعلق بيحذرون لأن الصلة أو جزئها لا يتقدم علىٰ الموصول.

(٢)-**سؤال:** فضلاً كيف كان هذا الوحي إلىٰ أم موسىٰ؟ وكيف أوحي إليها ولم تكن نبية؟ وهل النبوة من لوازم الوحي؟ ولماذا؟

الجواب: قد يكون الوحي عن طريق الرؤيا، والرؤيا الصادقة جزء من أجزاء وحي النبوة، وليست الرؤيا من لوازم النبوة، فإذا تكررت الرؤيا اطمأن صاحبها إلىٰ صحتها عن الله.

(٣)-**سؤال:** هل التابوت ليحفظه من الغرق، أم أن الله تعالىٰ أراد تسليتها؟

الجواب: التابوت يحفظه من الغرق، فهو بمنزلة السفينة إلا أنه صغير.

(٤)-**سؤال:** هل من فرق بين الخوف والحزن حتىٰ عطف عليه؟ أوضحوا ذلك أيدكم الله ورعاكم.

الجواب: الخوف يحدث في المرء عند توقع شيء في المستقبل والحزن يحدث في المرء بسبب أمر قد مضىٰ، ففي هذه الآية نهاها الله أن لا تخف علىٰ ابنها من حدوث أي ضرر يلحقه، ولا تحزن لفراقه.

وفي ضمانه، يطمئنها الله تعالى بذلك لأنها إذا علمت بأن الله سيرده إليها زال خوفها وحزنها على فراقه.

﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ۝٧﴾ يبشرها الله سبحانه وتعالى بذلك ليخفف عنها أيضاً من حزنها وخوفها.

﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ فرمت به في النهر فساق الله تعالى التابوت الذي يحمله الماء إلى قرب قصر فرعون فأخذه آل فرعون إلى قصرهم.

﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالى أنه ألقى في قلب فرعون وأهله الرحمة والشفقة وحُبّ هذا الصبي فأخذوه وتبنوه، وكان عاقبةُ التقاطهم له هو ما كان يحذر فرعون ويخاف من الوقوع فيه وذلك الذي أخبرته به الكهنة من أمر المولود الذي سيولد من بني إسرائيل فتكون نهايته على يديه، وهذا تدبير الله تعالى أن يجعله الذي يربي هذا الولد ويتبناه في بيته، ويحوطه بعنايته ورعايته ثم يكون هلاكه وهلاك ملكه على يديه.

﴿إِنَّ(٢) فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ۝٨﴾(٣) وكان ما حصل بتدبير

---

(١)- **سؤال:** ما نوع لفظة «حزناً»؟ وكيف أخبر بها عن الذات؛ فأكثر المرشدين لا زالوا غير مستوعبين لذلك؟

الجواب: الحزن هنا مصدر بمعنى اسم الفاعل، إلا أنه عدل به إلى المصدر للمبالغة، كما يقال: «زيد عدل» أي: عادل، فعدل به إلى المصدر للمبالغة في عدالة زيد. ويصح الإخبار بالمصدر عن الذات عند قصد المبالغة.

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في كسر الهمزة هنا؟

الجواب: كسرت لوقوعها في ابتداء الكلام، فالجملة مسوقة في جواب سؤال مقدر.

(٣)-**سؤال:** هل عرف شيء من أحوال هامان كشخصيته وصلته بفرعون ونحو ذلك؟

الجواب: يظهر من ذكره مع فرعون أنه كان الشخصية الثانية في دولة فرعون، أي: أنه كان وزيره أو نائبه ووكيله، وأنه كان المنفذ لسياسة فرعون وسياسته: ﴿يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا...﴾ [غافر:٣٦]،

=

الله تعالى عقاباً لفرعون ودولته؛ لأنهم لم يهتدوا إلى طريق صلاحهم، وما فيه نجاتهم.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ(١) عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ كان فرعون قد هم بقتل هذا المولود خوفاً منه أن يكون ذلك المولود الذي يبحث عنه، فاستوهبته امرأته منه وترجت إليه أن يستبقيه، وأن يجعل تربيته على يديه فيكون ولداً له، وذلك أنه لم يكن أنجب، مما جعله يقبل طلبها هذا.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ۝﴾(٢) هذا من كلام امرأة فرعون لزوجها تخبره بأن أهل

وأنه كان له في سلطان فرعون أمر ونهي وسلطان وتجبر وظلم بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ۝ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ...﴾ الآية [العنكبوت]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ۝ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ۝﴾ [غافر].

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ﴾؟ وما الوجه في تخييرها بين المنفعة واتخاذه ولداً؟ وهل كانت زوجة فرعون على دراية بأمر موسى حتى حاولت في استبقائه؟

الجواب: «قرة عين...» خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو قرة عين لي ولك، والوجه في التخيير أن المنفعة هي من شأن الخدم الخاص ببيت الملك وليست من شأن ولد الملك، فلم يسغ الجمع بين الأمرين.

ولم تكن زوجة فرعون على علم بما سيؤول إليه أمر موسى عليه السلام، ولكنها كانت ذات رقة ورحمة تكره الظلم والفسوق الذي كان عليه فرعون؛ لذلك آمنت فيما بعد بموسى وكفرت بالطاغوت؛ لذلك أثنى الله عليها في القرآن، وقرن ذكرها بذكر مريم عليها السلام في سورة التحريم في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ۝ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا...﴾ الآية.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن يكون من كلام الله سبحانه يعني: وآل فرعون لا يشعرون بأن موسى عدوهم اللدود و... إلخ؟

الجواب: الظاهر أنه ليس من كلام الله تعالى، وأنه من كلام امرأة فرعون؛ فالمناسبة ظاهرة في إيراد ذلك بعد قولها: ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾.

هذا المولود لن يعلموا بأن هذا ولدهم، ولن يستطيعوا أن يتعرفوا عليه، ولا يشعروا بأنه ولدهم.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ عندما رأت أم موسى ما رأت بعد إلقائها له في البحر ورأته متوجهاً نحو بيت فرعون وأخذهم له، عند ذلك أصابها اليأس من ولدها، وظنت أنهم سوف يقتلونه، وقد أصبح قلبها فارغاً من كل شيء إلا من ولدها، وهذا كناية عن شدة جزعها.

﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ[1] لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ وقد أوشكت أن تذهب إليهم ويفتضح أمرها لولا إيمانها الذي هو سبب في أن عصمها الله تعالى وشد من عزمها، وأعانها على صبرها وسكوتها.

﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ۝١٠﴾ لأنها من المصدقين بوعد الله سبحانه وتعالى، وقد وعدها بأنه سيرده إليها، فكان إيمانها ذلك سبباً في صبرها وانتظارها لرؤية ولدها كما وعدها الله تعالى[2].

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ أمرت ابنتها بأن تذهب في أثره لتنظر ماذا فعلوا به، وهل قتلوه أم أبقوا عليه؟

﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ۝١١﴾[3] أخبر الله تعالى أن أخته

---

(١)-**سؤال:** إلامَ يرجع الضمير في «به»؟

الجواب: يرجع الضمير إلى موسى، أي: إن كادت من شدة خوفها أن تبدي بخبر موسى وتكشف أمره، وأنه ابنها من مواليد بني إسرائيل.

(٢)-**سؤال:** هل اللام في قوله: ﴿لِتَكُونَ﴾ للتعليل أم للعاقبة؟

الجواب: اللام في «لتكون» للتعليل ولم نقصد أنها للعاقبة.

(٣)- **سؤال:** هل هناك علة في قوله: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾ دون قوله: «أبصرته»؟ وما إعراب: ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾؟

الجواب: قال المبرد: بصرته وبصرته به بمعنى واحد، ومعنى «بصرت به»: اتصل بصرها به. و«عن جنب» في محل نصب حال من فاعل «بصرت».

عندما ذهبت رأته، وأن رؤيتها له كانت من ناحية تجعلهم لا يحسون بأنها تبحث عنه أو تتتبع أخباره.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾(١) عندما التقطه آل فرعون من البحر طلبوا له المراضع إلا أنه أبى قبول الرضاعة من أي امرأة. ومعنى «من قبل» أي: من قبل أن أبصرته أخته.

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ(٢) لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ عندما رأت أخته ما رأت من عدم قبوله للمرضعات- أشارت عليهم بأنها تعلم بمرضعة من المرضعات إن أرادوا أن يعرضوه عليها؛ لعله يقبل منها.

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ وكان هذا تدبير من الله سبحانه وتعالى ليذهب عنها الحزن وتطمئن برجوعه إليها(٣).

﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٤) وأيضاً رده الله سبحانه وتعالى إليها لتعلم بصدق ما وعدها، فقد كانت مؤمنة بالله تعالى وبصدق وعده.

---

(١)-**سؤال:** ما نوع اسمية قوله: «مراضع»؟

الجواب: «مراضع» جمع مرضع اسم فاعل أو صفة مشبهة.

(٢)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يَكْفُلُونَهُ﴾؟

الجواب: محلها الجر صفة لـ﴿أَهْلِ بَيْتٍ﴾.

(٣)- **سؤال:** ماذا كان من أمر موسى بعد إرضاعه عند أمه هل استرده آل فرعون وتابعوا غلامهم؟ أم كيف كانت النهاية؟

الجواب: استرده آل فرعون بعد استغنائه عن أمه، ودليل ذلك ما حكى الله من قول فرعون: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء].

(٤)- **سؤال:** ما السر في تذييل الآية بقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؟ وما المقصود بها هنا؟

الجواب: السر هو التنبيه على غفلة أكثر الناس وقلة يقينهم بالله أو عدمه في كل زمان: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف].

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ عندما بلغ مبالغ الرجال واستكمل قواه أعطاه الله تعالى النبوة(١).

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴿١٤﴾﴾(٢) أعطاه العلم والحكمة جزاءً على ما كان من إحسانه وصلاحه وحسن نشأته، ونعني به أن الله تعالى قد علم بأنه أهل لحمل النبوة والرسالة؛ لأنه لا يعطي نبوته ورسالته إلا من علم أن أعماله كلها حسنة، وعلم أنه أهل لحمل الرسالة.

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾(٣) أعاد الله تعالى حكاية ما كان

---

(١)-**سؤال:** هل عرف مبلغ عمره عند ذلك؟

الجواب: يقال: إن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا بعد بلوغه سن الأربعين، وهو قول حقيق بالقبول؛ لأن النبي إذا كان قد بلغ سن الأربعين يكون أقرب إلى الاستماع لقوله والقبول لدعوته، بخلاف ما لو كان النبي في سن العشرين أو الثلاثين فإن شيوخ قومه ورجالهم سينفرون عنه لصغره، ولا يلتفتون إلى دعوته ولا ينظرون في حجته.

(٢)-**سؤال:** هل تدل على أن من أحسن أعماله يجزيه الله تعالى بالعلم والحكمة والتنوير والبصيرة ولو لم يكن نبياً؟

الجواب: نعم تدل على ذلك، وتشمل كل محسن ولو لم يكن نبياً، فالمحسنين في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴿١٤﴾﴾ شامل لكل محسن.

(٣)- **سؤال:** هل حرف الجر على أصله في قوله: ﴿عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أم أنه حل محل في الظرفية؟

الجواب: «على» بمعنى «في» أي: في حين غفلة من أهلها.

سؤال: هل تنبئ هذه الآية أن موسى هرب عن آل فرعون ومدينتهم؟ وما الذي دلنا على أن دخوله كان قبل مبعثه ونبوته؟

الجواب: تدل هذه الآية على أن موسى هرب من مصر خوفاً من آل فرعون بعد قتله للقبطي، وكان قتله للقبطي وهروبه من مصر قبل أن يوحي الله إليه بالنبوة فسياق القصة يدل على ذلك.

وأيضاً قوله تعالى حكاية عن موسى عند ابتداء الوحي إليه وتكليفه بحمل رسالة الله إلى فرعون: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴿٣٣﴾﴾ [القصص]، وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴿١٤﴾﴾ [الشعراء].

من أمر موسى عليه السلام قبل مبعثه ونبوته فأخبر أنه دخل يوماً مدينة مصر وقد كانت شوارعها خالية من الناس.

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ[١] وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ وحين دخوله رأى رجلين يقتتلان فيما بينهما، أحدهما من بني إسرائيل، والآخر من القبط الذين هم أعداؤه.

﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾[٢] فاستنجد الإسرائيلي بموسى وطلب الغوث والنصرة منه، فمال موسى عليه السلام

---

(١)- **سؤال:** يقال: ما وجه إطلاق اسم الشيعة على القريب في القبيلة مع أنه في الأصل للمتابع والمشايع؟ وما إعراب: ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾؟ وما وجه قوله: ﴿مِنْ عَدُوِّهِ﴾ دون أعدائه؟

الجواب: أطلق هنا اسم الشيعة على قريب النسب؛ لأنه كان يشايعه على دينه، وكان بنو إسرائيل شيعة لموسى؛ لأنهم كانوا يشايعونه على دينه. وجملة: «هذا من شيعته» صفة ثانية لرجلين، والصفة الأولى قوله: «يقتتلان». و«هذا من عدوه» معطوفة على الصفة الثانية، و«العدو» يطلق على الجماعة وعلى الواحد والاثنين، بدليل وروده كذلك في آيات كثيرة من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ١٠١﴾ [النساء]، ولكونها كذلك فهي أولى بالاستعمال لقلة حروفها.

(٢)-**سؤال:** ما وجه قتل موسى لهذا القبطي؟ إن كان جائزاً فما وجه قوله: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ...﴾؟ وإن كان محرماً فما وجه قبول توبته بمجرد الندم فقط؟

الجواب: الذي ينبغي أن يقال هنا: إن موسى عليه السلام لم يكن يقصد قتل القبطي، فالوكز بالأصابع أو قبضة اليد لا تقتل في العادة، فيكون القتل خطأً، وعلى هذا فيكون استغفاره كاستغفار آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا...﴾ [الأعراف:٢٣]، وكاستغفار يونس: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء]، والمعصية هي من عمل الشيطان إلا أنها صدرت من موسى على وجه الخطأ لا على وجه العمد، والاستغفار فيها مشروع. وكفى في حق القتل للقبطي الاستغفار والتوبة؛ لأنه لا يلزم في الخطأ قصاص، وتسقط الدية لما عند القبط من المظالم لبني إسرائيل، والحقوق تتساقط إذا لزمت حقوق لمن عنده حقوق.

على القبطي بوكزة فقتله، وكان فرعون وقومه قد استضعفوا بني إسرائيل، وامتهنوهم واستعبدوهم، وظلموهم أشد الظلم.

ومعنى «فوكزه»: ضربه في صدره بمجامع الكف.

﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ(١) إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ۝١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ۝١٦﴾ ندم موسى على ما فعل، وطلب التوبة والمغفرة من الله تعالى، فقبل توبته، وغفر له.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ(٢) عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ۝١٧﴾ وكان ذلك الذي حصل سبباً في قطعه العهد مع الله تعالى بأنه لن يستعمل ما أعطاه من القوة والبسطة إلا فيما يرضيه لا فيما يسخطه. ومعنى «ظهيراً»: معيناً أو معاوناً.

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ بعدما حصل منه القتل أخذ يتحسس الأخبار، وينظر ما كان من أمر هذا المقتول، وهل عرفوا قاتله؟

﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ وبينما هو على هذه الحالة إذا بذلك الرجل الذي نصره بالأمس يقتتل مع رجل آخر، ويصيح بموسى مستصرخاً ومستنجداً.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما وجه نسبته إلى الشيطان وهو منه عليه السلام؟

الجواب: تنسب جميع المعاصي إلى الشيطان بسبب دعوته إليها وتزيينها واستدراج الناس إليها، و..إلخ.

(٢)-**سؤال:** ما مراده بـ«ما أنعمت علي»؟ وهل الباء للقسم أم لا؟ وهل يدل قوله: «للمجرمين» على أن الإسرائيلي المستغيث كان مجرماً؟

الجواب: المراد «بما أنعمت علي» أي: فلن أكون عوناً للمجرمين بسبب ما أنعمت علي من الصحة والقوة، أي: فلن أعود لاستعمالها في نصرة المجرمين، وقد قيل: إن الباء للقسم، ولكن الأولى هو ما ذكرنا أي: أن تكون سببية متعلقة بـ«ظهيراً للمجرمين». وفي الآية دليل على أن الإسرائيلي كان مجرماً، ويدل على ذلك أيضاً قوله له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ۝١٨﴾، وقد ذكر بعض المفسرين أنه السامري الذي صنع العجل فيما بعد لبني إسرائيل ليعبدوه، والله أعلم.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ۝١٨﴾[(١)] فرد عليه موسى بأنك كثير الخصومة والاعتداء على الناس، ضال عن الرشاد.

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ۝١٩﴾[(٢)] فلما أقبل موسى عليه السلام على القبطي خاف الإسرائيلي وظن أن موسى عليه السلام يريده فقال[(٣)]: يا موسى أتريد قتلي كما قتلت رجلاً بالأمس، فسمع الناس ذلك وعرفوا أن موسى هو الذي قتل القبطي في اليوم الأول. ومعنى «يبطش»: يأخذه بعنف وشدة.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ۝٢٠﴾[(٤)] وعندما افتضح أمر موسى

---

(١)- **سؤال:** من أين عرف موسى هذا الحكم الذي أصدره على الإسرائيلي، ولعله لم يعرف سبب الاقتتال؟

الجواب: قد تكون معرفة موسى لذلك من تكرر مقاتلته، فإن تكرر مثل ذلك يدل على أن طبيعته العدوان والمشاكسة والغواية، ولعل موسى قد عرفه من قبل بهذه الطبيعة العدوانية؛ لأنه من قومه وعشيرته وبني عمومته، إلا أنه في مقاتلته الأولى انتصر له لما عرف من السنة الجارية والعادة الماضية من ظلم آل فرعون لبني إسرائيل.

(٢)- **سؤال:** هل يستوحى من كلام الإسرائيلي: ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ۝١٩﴾ أنه كان في بني إسرائيل بارقة صلاح وخير؟

الجواب: نعم، يستوحى من ذلك أن بني إسرائيل كانوا قد أملوا في موسى صلاح أمرهم، ورجوا فيه تخفيف ما عليهم من ظلم آل فرعون، ورأوا فيه الشخصية القوية التي يمكن أن يفرج الله بها عليهم.

(٣)- **سؤال:** من أين عرفنا أن القائل هو الإسرائيلي؟

الجواب: عرف ذلك من حيث إنه لم يطلع على قتل موسى للقبطي إلا ذلك الإسرائيلي.

(٤)- **سؤال:** ما محل جملة ﴿يَسْعَى﴾ الإعرابي؟ ومن أين عرفنا أن الساعي من آل فرعون وأنه مؤمن؟ وهل هو مؤمن آل فرعون المذكورة قصته في سورة غافر أم غيره؟

=

وعرفوا أنه هو الجاني أجمع كبار دولة فرعون وملئه على قتله وأخذهم بثأر صاحبهم منه، فجاء رجل من آل فرعون كان قد آمن فأسرع إلى موسى يخبره بما قد عزموا عليه من قتله، ونَصَحَه بالهروب من مصر والنجاة بنفسه.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٢١﴾(١) خرج موسى من أرض مصر في خوف وحذر شديدين، متوقعاً للمكروه، داعياً لله تعالى أن لا يمكنهم من رؤيته والظفر به.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ(٢) مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝٢٢﴾ وحين توجه إلى ناحية شرق مصر ماشياً من غير هدى أو معرفة بالطريق الصحيح، ودعا الله أن يهديه إلى طريق نجاته، وفعلاً فقد هداه الله سبحانه وتعالى إلى الطريق الصحيح، فسار إلى أن وصل مدين، والتي تقع في الجانب الشرقي من خليج العقبة. ومعنى «سواء السبيل»: وسط الطريق، دعا الله بذلك لخوفه من الضلال عن الطريق.

الجواب: جملة «يسعى» صفة لرجل في محل رفع. والرجل الساعي هو رجل من آل فرعون؛ لأن بني إسرائيل كانوا ممتهنين مبعدين عن مجالس الملإ من آل فرعون وعن مجالس شوراهم، ولم يذكر الله تعالى أن أحداً من آل فرعون نصح لموسى سوى رجل وامرأة، مؤمن آل فرعون وزوجة فرعون؛ فمن هنا ساغ لنا أن نقول: إن الرجل الساعي هو مؤمن آل فرعون المذكورة قصته في سورة غافر.

(١)- **سؤال:** ما وجه فصل جملة: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي...﴾ عن التي قبلها؟ وهل لها محل من الإعراب؟

الجواب: جملة: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٢١﴾ جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب لوقوعها في جواب سؤال مقدر ناشئ عن الجملة التي قبلها، أي: فماذا قال، أو فماذا حصل؟

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾؟

الجواب: يعرب مفعولاً فيه (ظرف مكان) متعلقاً بتوجه، ويستعمل «تلقاء» أيضاً مصدراً.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ[(١)] امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ عندما وصل إلى البئر التي ترد عليها قبائل مدين ليستقوا منها ويسقوا أنعامهم ودوابهم، صادف وصولُهُ وقتَ ورودهم على الماء وازدحامهم عليه، وقد رأى من بين أولئك القوم امرأتين قد انحازتا في ناحية عنهم، ومنعتا أغنامهما عن ورود الماء. ومعنى «أمة من الناس»: جماعة كثيرة منهم.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ فسألهما عن حالهما، ولماذا لا تستقيان مع بقية القوم؟

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ[(٢)] وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ[(٣)]﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا﴾ فأجابتاه بأنهما مضطرتان إلى الوقوف والانتظار حتى يفرغ القوم، فهما ضعيفتان ولا رجل لهما يعينهما على ذلك إلا أبوهما وقد طعن في السن، ولا نريد مزاحمة الرجال، فسقى غنمهما. ومعنى «يصدر»: ينصرف أولئك الرعاة عن البئر بمواشيهم.

﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴿٢٤﴾﴾[(٤)] بعد أن

---

(١)-**سؤال:** ما معنى ﴿دُونِهِمُ﴾؟ وهل هو حقيقة أم لا؟

الجواب: إذا فسرنا «دونهم» بالمكان الأقرب إلى الجماعة فهو حقيقة، وإن فسرناها -أي «من دونهم»- بـ«من غيرهم» فهي مجاز؛ لأن الدون هو أقرب مكان إلى الشيء، فإذا قلت: هو دون البيت أي: في أقرب مكان إلى البيت، هذا هو المعنى الحقيقي للدون.

(٢)-**سؤال:** ما الفرق بين رعاء ورعاة؟

الجواب: كلاهما جمع راع، فلا فرق بينهما.

(٣)- **سؤال:** هل يؤخذ من الآية عدم جواز الاختلاط للنساء بالرجال ومزاحمتهن لهم ولو مع الحاجة؟ وهل في ذكرهما لشيخوخة أبيهما تبيين العذر في خروجهما؟ إن كان فهل يؤخذ منه أن المرأة لا تزاول عمل الرجال خارج البيت مع وجود من يقوم بأمرها؟

الجواب: يؤخذ من الآية أن العفة تقتضي وتحتم على الشابة تجنب مزاحمة الرجال ولو مع الحاجة، وأنه مأخوذ على الشابة أن لا تخرج من بيتها لتعمل مع الرجال مع وجود من يقوم مقامها، وإذا خرجت فتتجنب الاختلاط بالرجال ومزاحمتهم.

(٤)-**سؤال:** يا حبذا لو أعربتم هذه الآية: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴿٢٤﴾﴾؟ وما وجه تعبيره بالماضي في قوله: ﴿أَنْزَلْتَ﴾؟

=

سقى لهما توجه إلى ظل شجرة ليرتاح من تعب السفر وعنائه، وقد أخذ منه الجوع كل مأخذ، فلجأ إلى التضرع إلى الله تعالى بأن يسهل له ما يسد به جوعته، ولم يكن ذاق زاداً قط من ساعة خروجه من أرض مصر، وقد روي أن بطنه قد صار أخضر اللون من كثرة ما أكل من ورق الشجر الذي لم يكن يجد في طريق سفره غيره، ومعنى دعائه ذلك أنه فقير لأي خير ينزله الله تعالى إليه يسد به جوعته.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ(١) قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾(٢) وقد أجاب الله تعالى دعاءه فأقبلت إليه إحدى البنتين اللتين سقى لهما بدعوة من أبيها إليه.

الجواب: «رب» منادى مضاف لياء المتكلم. «إني» هي «إن» واسمها ، و«فقير» خبرها، و«لما أنزلت إلي» جار ومجرور متعلق بفقير، و«ما» اسم موصول بمعنى الذي ومحله الجر باللام، «أنزلت إلي» صلة الموصول والعائد محذوف تقديره: أنزلته، و«من خير» جار ومجرور بيان لما أبهم في الموصول وهو في محل نصب على الحال. ووجه التعبير بالماضي: هو ثقته بتحقق الإجابة، وشوقه إلى تحققها، وشدة حاجته إلى ما طلب؛ لذلك كأن الإجابة قد وقعت وتحققت.

(١)-**سؤال:** بماذا تعلق: ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾؟ وهل «ما» في قوله: ﴿مَا سَقَيْتَ﴾ مصدرية أو موصولة؟

الجواب: تعلق «على استحياء» بمحذوف حال من فاعل «تمشي»، و«ما» في قوله: «ما سقيت» مصدرية.

(٢)-**سؤال:** ما هي الأحكام الفقهية التي نستفيدها من هذه الآية؟

الجواب: يؤخذ منها:

١- أن على المرأة إذا دعتها الحاجة إلى أن تكلم الرجل الأجنبي أن تخفض صوتها، ولا تزيد في كلامها على قدر الحاجة، ولا تنبسط معه في حديث.

٢- وأن عليها أن تكون مجانبة للرجل الأجنبي عند تكليمه.

٣- وعليها أن تستر جميع بدنها وتخفي جميع حركاتها عند سيرها وعند وقوفها، وكل هذه الأحكام لأن من شأن صاحب الحياء أن يكون كذلك.

٤- وأن مكافأة المحسن حق لا ينبغي التقصير فيه.

٥- وأنه يجوز إرسال الشابة عند الحاجة إلى الرجل الأجنبي، مع التزام الحشمة والحياء.

٦- وأنه يجوز للرجل أن يكلم المرأة وتكلمه، مع التزام الحشمة والمحافظة على العفة.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٢٥﴾﴾ فأقبل موسى على والد تينك البنتين، فحكى له قصته، وما هو السبب الذي جاء به، فطمأنه بأنه قد وصل مأمنه من آل فرعون؛ وصار في بلاد خارجة عن سيطرة فرعون، فلا سلطان له على أهلها.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ[(١)] الْأَمِينُ﴿٢٦﴾﴾ فطلبت إحدى هاتين البنتين من أبيها أن يستأجره على رعي الغنم والقيام عليها مكانهما، وأخبرته بعظم أمانته وشدة قوته، وأنه لن يجد رجلاً أفضل منه، وقد عرفت هذه المرأة قوته من خلال مزاحمته لأولئك القوم لسقي الغنم، وأما أمانته فقد عرفتها عندما أتت إليه بدعوة أبيها فلم تره[(٢)] يرفع بصره

---

(١)-**سؤال:** ما الحكمة في تعريفها له باللام دون الإشارة أو ما هو أقوى منه في التعريف؟

الجواب: عرفته بقولها: ﴿الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴿٢٦﴾﴾ بدلاً عن اسم الإشارة أو ما هو أقوى منه في التعريف لما في قولها: ﴿الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴿٢٦﴾﴾ من الدليل والعلة والاختصار، فإنه بمثابة أن تقول: إن خير من استأجرت هذا الرجل لأنه قوي أمين.

(٢)-**سؤال:** ما صحة ما يروى في قوته من رفعه للصخرة على البئر؟ وما يروى في عفته أنها كانت تمشي أمامه فتلصق الرياح ثيابها ببدنها فكره ذلك وأمرها أن تتأخر وراءه وتشير إلى الطريق إشارة أو نحو ذلك؟

الجواب: ظاهر سياق القصة هنا أن الذي منع المرأتين من السقي هو زحمة الرجال على الماء، وأن عادتهما أن ينتظرا جانباً حتى يسقي الناس مواشيهم ويذهبوا، فإذا لم يبق أحد على الماء سقتا أغنامهما. هذا ظاهر القصة؛ لذلك يبعد أنه كان على الماء صخرة عظيمة؛ إذ لو كان عليه صخرة عظيمة لما أمكنهما السقي بعد ذهاب الناس عن البئر، أما قوة موسى فقد جاء بها القرآن: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥]، ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴿٢٦﴾﴾. وأما ما يروى من عفته فيما ذكرتم فأنبياء الله ورسله صلى الله عليهم في أبلغ ما يكون عليه البشر من العفة قبل النبوة وبعدها، وسواء صحت الرواية أم لم تصح فموسى عليه السلام كذلك وأبلغ من ذلك، صلوات الله عليه ورحمته وبركاته.

إليها طول الطريق[١].

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي[٢] ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ فعرض عليه شعيب أن يزوجه إحدى هاتين البنتين بشرط أن يرعى الغنم مدة ثماني سنوات مهراً لها، وأنه إن أراد أن يتطوع بسنتين من عنده ويوفيها عشراً فهذا من معروفه وإحسانه[٣].

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴿٢٧﴾﴾ وأخبره أن هذه المدة ليست مما يشق عليه أو يثقل كاهله[٤]، وأن بوسعه أن يوفيه بها،

---

(١)-**سؤال:** هل يسمى اجتماعهما في الطريق وقرب أحدهما من الآخر خلوة؟ ولماذا؟

الجواب: ليس سيرهما معاً في طريق واحدة خلوة؛ إذ الخلوة المنهي عنها الاجتماع في مكان يطمئن فيه الرجل أن يأتي أهله، والطريق ليس كذلك.

(٢)-**سؤال:** ما أصل هذا الفعل؟ ولِـمَ لم يقل: تؤجرني نفسك؟

الجواب: أصل «تأجرني»: أَجَرَ تقول: أجرته إذا كنت له أجيراً، ونحوه: أَبَوته كنت له أباً، والمفعول الثاني محذوف أي: نفسك، وثماني حجج: ظرف لتأجرني. ولم يقل: «تؤجرني نفسك» لأن الفعل كما ذكرنا مأخوذ من الثلاثي «أَجَرَ».

(٣)-**سؤال:** هل تدل الآية على أن المنفعة تصلح أن تكون مهراً؟ وهل يؤخذ منها أن التخيير لا يفسد العقود حيث قال: ﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾؟

الجواب: تدل الآية على أن المنفعة تصلح أن تكون مهراً وقد أجاز ذلك أهل المذهب ولم يمنعوه، ففي الأزهار ما لفظه: «وإنما يمهر مال أو منفعة في حكمة» أي: منفعة تقابل بالمال... إلخ. والمذكور في الآية من قوله: ﴿إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ قد كان حال المفاوضة والاستطلاع والاستفهام عن رغبة موسى عليه السلام فيما عرض عليه، أما العقد بإحداهما فطوي ذكره.

(٤)-**سؤال:** يقال: الإثقال حاصل بهذه المدة، فما هو الذي نفاه شعيب؟

الجواب: قد يقال: إن المراد بقوله: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ أي: في الرعي بل أتسامح معك وأتساهل وأتجاوز، بدليل قوله بعد ذلك: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴿٢٧﴾﴾، ولعل هذا أولى مما ذكرنا في التفسير.

ووعده بأنه لن يلحق به من ناحيته أي ضرر أو مكروه خلال مدة خدمته هذه، وأنه سيوفيه بما قد أعطاه من الوعود.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ(١) قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝٢٨﴾ فقبل موسى هذا الشرط، ووعده بأنه سيقضي أي الأجلين أراد، فإذا انقضت هذه المدة فقد صار(٢) بريئاً من كل شيء يتعلق به، وأشهدا الله تعالى على ذلك الذي وقع بينهما؛ لأنه لم يكن عندهما أي شهود(٣) عند إبرام هذا العقد، ومعنى «بيني وبينك» أي: ذلك الذي شارطتني عليه ثابت بيني وبينك.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ انتهت مدة الإجارة، وقد روي أنه سُئِلَ النبيُّ ﷺ عن أيّ الأجلين قضى موسى؟ فأجاب بأنه قد قضى أوفاهما وهي العشر السنوات.

فخرج موسى بأهله(٤) وما أصبح يملكه من الأغنام بحثاً عن مأوى ومكان

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾؟

الجواب: «أي» اسم شرط جازم مفعول به لقضيت، و«ما» صلة، والأجلين مضاف إليه.

(٢)-**سؤال:** هل يستفاد من الآية جواز مؤاخذة الأجير ولو بالفعل إن لم يف بالمدة؟

الجواب: نعم، يؤخذ منها ذلك، إلا أن الذي يجوز هو المضايقة بالطلب وملازمته ورفعه إلى الحاكم وحبس حقوقه إذا كان له حقوق عند المطالب حتى يفي بما عليه، أما غير ذلك من العدوان فلا يجوز إلا بأمر الحاكم العادل.

(٣)-**سؤال:** هل يؤخذ من الآية جواز إبرام العقد من دون شهود عند الحاجة؟ أم أنه معارض بما ورد في شرعنا من وجوب الإشهاد؟ وهذا يضاف إلى السؤال السابق كأمثلة عليه؟

الجواب: الذي يظهر لي –والله أعلم– أن الأمر بالإشهاد عند البيع هو للإرشاد وليس للوجوب، فيصح البيع من غير شهود، وكذلك التداين يصح من غير شهود، وذلك لقوله تعالى في آخر آيات الدين: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ...﴾ الآية [البقرة:٢٨٣].

(٤)-**سؤال:** هل تزوج عليه السلام الذي جاءته بخبر أبيها أم الأخرى؟ وهل ظهرت علة في عدم سكناه عند شعيب؟

=

يسكنه هو وأهله.

﴿ءَانَسَ(١) مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ وخلال مسيره ومروره بجنب جبل الطور رأى ناراً على مسافة قريبة منهم.

﴿قَالَ(٢) لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ۝٢٩﴾ كان البرد شديداً والظلام قد أطبق عليهم وقد ضلوا عن طريقهم، فعندما رأى موسى النار أمر أهله أن ينتظروا حتى يذهب إلى أهل تلك النار فيسألهم عن الطريق ويأتي أهله بها يستدفئون به.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ۝٣٠﴾ كانت هذه النار قد وضعها الله سبحانه وتعالى لموسى، وعندما سار إليها سمع صوتاً يناديه من شجرة(٣) كانت بقرب النار، وكان الذي يناديه هو الله تعالى، وقد خلق ذلك الصوت في الشجرة تلك.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى

الجواب: لم يرد القرآن إلا بأنه تزوج بواحدة من البنتين، ولم يعين أيهما، والله أعلم. ولم تظهر علة لخروجه عليه السلام من عند شعيب بعد قضاء المدة، إلا أن من طبائع الرجل الميل إلى الاستقلال بنفسه إذا أغناه الله وتمكن من الاستقلال، فقد كان شعيب من الصالحين مع موسى عليه السلام كما يظهر من هذه القصة.

(١)-**سؤال:** هل حرف الجر «من» على أصل معناها أم أنها حلت محل حرف آخر؟

الجواب: الظاهر أنها على معناها الأصلي الذي هو الابتداء أي: أن الأنس ابتدأ من جانب الطور.

(٢)-**سؤال:** ما العلة في فصل هذه الجملة عن سابقتها؟

الجواب: فصلت لوقوعها مستأنفة في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا فعل أو فماذا قال بعد أن آنس من جانب الطور ناراً.

(٣)-**سؤال:** إذاً فهل قوله: ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ بدل من قوله: ﴿مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾؟

الجواب: نعم هو بدل.

أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴿٣١﴾﴾(١) وأمره بأن يلقي العصا التي يحملها في يده، فلما ألقاها انقلبت ثعباناً عظيماً، فخاف مما رأى، وولى هارباً غير ناظر وراءه من شدة سرعته وخوفه، فناداه الله تعالى وطمأنه بأن ذلك ليس إلا آية من آياته.

﴿اسْلُكْ(٢) يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾(٣) ثم ناداه ثانية وأمره بأن يدخل يده في جيبه ثم يخرجها فإذا هي بيضاء تبهر الأبصار آية من آياته. ومعنى «جيبك»: فتحة القميص التي فوق الصدر.

﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾(٤) وأخبره أنه إذا حصل له خوف من أي شيء فما عليه إلا أن يضع يده في صدره وسيزول ذلك الخوف عنه بأمر الله تعالى.

---

(١)- **سؤال:** يقال: كيف يسوغ بمقتضى البلاغة أن يرد المعمول: ﴿يَامُوسَى﴾ من دون العامل كقال أو نادى أو نحو ذلك؟

الجواب: حذف العامل للقرينة، والمأخوذ على البليغ مراعاة مواضع الحذف والذكر، فإذا كان المقام مقام إيجاز وقامت القرينة فيلزم البليغ الحذف.

(٢)- **سؤال:** لِـمَ لم يعطف هذا الفعل على ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾ مع اتفاقهما في الطلب؟

الجواب: لم يعطف لأن العطف ربما أوهم أن المعطوف والمعطوف عليه آية واحدة.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾؟

الجواب: «بيضاء» حال منصوب من فاعل تخرج. «من غير سوء» جار ومجرور متعلق ببيضاء، جيء به للاحتراس من أن يتوهم أن البياض بياض برص أو يشبه بياض البرص.

(٤)- **سؤال:** بماذا تعلق قوله ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ وكيف يكون معناه؟ وهل لـ«الرهَب» على فتح الهاء كما في بعض القراءات معنى آخر؟ وهل الخوف المفهوم من الرهب عام، أم أنه خاص بخوفه من الحية؟

الجواب: «من الرهب» متعلق باضمم أي: من أجل الرهب الذي يعتريك. والظاهر أن الرهب بإسكان الهاء هو بمعنى الرهب بفتح الهاء. والظاهر في قوله: «من الرهب» الإطلاق والعموم فيدخل الخوف من الحية دخولاً أولياً.

﴿فَذَانِكَ[١] بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ﴾ وأخبره أن هاتين آيتان من آيات الله تعالى قد جعلهما له دلالة على نبوته، وأمره أن يذهب بهما إلى فرعون وملئه، ويريهم إياهما ليعرفوا صدق نبوته ورسالته.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝٣٢﴾ وأخبره بأنه أرسله إلى فرعون وملئه؛ لأنهم قد طغوا وتمردوا على الله تعالى وتجاوزوا حدوده.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۝٣٣﴾[٢] اعتذر موسى عليه السلام إلى الله تعالى بهذا العذر، وهو أنهم سيقتلونه قبل أن يبلغهم.

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۝٣٤﴾[٣] وطلب من الله سبحانه وتعالى أن يبعث معه أخاه هارون في تبليغ فرعون لكونه أفصح منه.

---

(١)-**سؤال:** يقال: الإشارة إلى العصا واليد فلِمَ لم تذكر الثالثة وهي ضم الجناح أم لها تعلق بما سبق؟

الجواب: ضم الجناح هي آية خاصة لموسى، أما العصا واليد فهما برهانان إلى فرعون وملئه.

(٢)- **سؤال:** هل تدل الآية على جواز مجادلة الأنبياء ومن بعدهم بعد أن يؤمروا بشيء أو ينهوا عنه؟ وهل يؤخذ منها العذر في مجادلة الصحابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في أمر الأنفال وما حكاه الله في أوائل سورة الحجرات ونحوها، أم لا؟

الجواب: لا يؤخذ منها شيء مما ذكرتم، لا جواز مجادلة الأنبياء بعد أن يؤمروا بشيء أو ينهوا عنه، ولا العذر للصحابة في مجادلتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في أمر الأنفال، ولا فيما حكاه الله عنهم في سورة الحجرات ونحوها، وذلك لأن موسى عليه السلام إنما أخبر الله تعالى بأنه يخاف أن يقتله آل فرعون قبل أن يبلغ رسالته؛ لذلك طمأنه الله بأن آل فرعون لا يصلون إليه ولا إلى أخيه بمكروه.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿لِسَانًا﴾ و﴿رِدْءًا﴾ و﴿يُكَذِّبُونِ﴾؟ وما الوجه في عدم جزم الفعل: ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ في قراءة حفص، مع ظهور كونه جواباً للطلب؟

الجواب: «لساناً» تمييز نسبة. «ردءاً» بمعنى: معيناً فهو حال من ضمير المفعول في أرسله. ولم يجزم «يصدقني» في قراءة حفص لأنه بناء على أن جملة «يصدقني» صفة لردءاً لا جواب للطلب.

والردء: هو السند والمعاون. ومعنى يصدقني: أي يتكلم باسمي، ويفصح لهم عن حجتي، وذلك أن موسى كان إذا اشتد غضبه من شيء فإنه يصيبه انحباس في الكلام.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ[1] عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا﴾[2] لبى الله سبحانه وتعالى لموسى طلبه هذا، وأخبره بأنه قد أيدهما بالحجة القاهرة، وجعل لهما تسلطاً عليهم بحيث لا يستطيعون أن يلحقوا بهما أي سوء أو مكروه.

﴿أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ۝٣٥﴾[3] وأخبرهما بأن الغلبة سوف تكون لهما على فرعون وقومه، وأنهم سوف يقهرونهم بالآيات التي أعطاها موسى عليه السلام.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۝٣٦﴾ عندما أتاهم موسى بالآيات وأراهم إياها، أيقنوا عندها أنها من عند الله تعالى، غير أنهم استكبروا عن اتباعه ورموه بالسحر والافتراء، وتهربوا من اتباعه باختلاق الافتراءات، وزعموا أنهم لم يسمعوا بمثل ما جاءهم به من قبل، وأن ما جاء به شيء غريب لم يأت به أحد قبله فكيف يتبعونه.

---

(١)-**سؤال:** ما نوع المجازية في قوله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾؟

الجواب: يحتمل ذلك وجهين:

١- مجاز مرسل في «عضدك» حيث عبر بالجزء واراد الكل أي: سنقويك.

٢- أن يكون «سنشد عضدك» كناية عن تقويته بأخيه، والكناية هي من أقسام الحقيقة.

(٢)-**سؤال:** بماذا تعلق قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾؟ وكيف يكون معناها بناءً على ذلك التعلق؟

الجواب: يجوز أن يتعلق بـ«يصلون» أو بـ«سلطاناً» أي: نسلطكما بآياتنا، أو بـ«اذهبا» محذوفاً كقوله: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ﴾.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ۝٣٥﴾؟ وما الوجه في فصلها عما قبلها؟

الجواب: «أنتما» مبتدأ، و«من اتبعكما» اسم موصول في محل رفع بالعطف على المبتدأ والجملة صلة الموصول، و«الغالبون» خبر المبتدأ. وفصلت الجملة عما قبلها لأنها منها بمنزلة عطف البيان.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ(١) بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ۝٣٧﴾ فأجابهم موسى عليه السلام بأن الله تعالى عالم بأن ما جاءهم به هو الهدى، وأنه من عنده، وليس من السحر في شيء، وهو عالم أيضاً لمن ستكون العاقبة الحسنة، وهل ستكون لفرعون أم لموسى وهارون؟ وأخبرهم أن عاقبة الظالم سيئة في الدنيا بالهلاك والدمار، وفي الآخرة بالعذاب والنكال.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾(٢) فتوجه فرعون إلى قومه يخبرهم بأنه لا يعلم إلهاً لهم غيره.

﴿فَأَوْقِدْ(٣) لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ۝٣٨﴾(٤) وأمر هامان أن يبني له بناءً شاهقاً(٥) يصل إلى السماء، وقد أراد بذلك أن يوهم شعب مصر بأنه قد صعد على هذا البناء لينظر في

---

(١)-**سؤال:** ما السر في تعبير موسى بقوله: ﴿أَعْلَمُ بِمَنْ﴾ ولم يقل: عالم؟

الجواب: قد قيل: إن أعلم بمعنى عالم، والأولى إبقاءه على ظاهره أي: اسم تفضيل أي: أعلم منكم.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾؟

الجواب: «من» حرف جر زائد، و«إله» مجرور لفظاً منصوب محلاً مفعول به لـ«علمت».

(٣)-**سؤال:** هل أراد بالوقود على الطين البناء بالياجور أو الآجر؟

الجواب: نعم، أراد ذلك.

(٤)-**سؤال:** هل يؤخذ من هذه الآية أن اعتقاد كون الله في السماء عقيدة فرعون أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: يؤخذ أن عقيدة فرعون كذلك إن كان له إله كأنه توهم إن كان له إله فهو جسم في السماء يمكن الصعود إليه.

(٥)-**سؤال:** ما العلة في تسمية البناء الشاهق بالصرح؟

الجواب: في مختار الصحاح: الصرح القصر وكل بناء عال وجمعه صروح. وسمي صرحاً لأجل ما فيه من الظهور في كبره وطوله، فمادة صرح تفيد ذلك، كقولهم: صرح فلان بما في نفسه أي: أظهره، والتصريح ضد التعريض.

حقيقة ما جاء به موسى، وهل هناك إله كما يزعم؟ فيعود إليهم بعد ذلك بخبره، فيخبرهم بأنه لم ير شيئاً مما يدعي موسى، وأنه ليس إلا كذباً وافتراءً على الله.

وذلك أنه خاف على شعبه أن يتبعوا موسى، ويدخلوا في دينه، فيفسدوا عليه ملكه وعرشه؛ فاحتال عليهم بهذه الحيلة والخديعة ليدخل على قلوبهم الوهم والشك في حقيقة موسى وما جاء به، وأما في الحقيقة فقد عرف في نفسه صدق ما جاء به موسى، وأنه لن يستطيع الصعود إلى السماء.

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ(١) الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴿٣٩﴾﴾ استكبروا عن قبول الحق ورفضوا دعوة موسى عليه السلام؛ وذلك أن المتكبر هو الذي لا يقبل الحق بعد معرفته له.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى أهلك فرعون وجنوده في البحر بسبب كفرهم وتكذيبهم، ومعنى «فنبذناهم» ألقيناهم وأغرقناهم.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴿٤٠﴾﴾ انظر يا محمد كيف كانت عاقبة هؤلاء القوم عندما كذبوا وتمردوا على نبيهم.

وجه الخطاب إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمقصود به غيره؛ لينظروا في قصة فرعون وقومه وما جرى عليهم؛ ليعتبروا بهم، ويحذروا أن يقعوا في مثل ما وقع فيه أولئك القوم.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ(٢) أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴿٤١﴾﴾ كان فرعون وقومه دعاة للناس إلى الكفر بالله تعالى وإلى الضلال وعبادة الأصنام،

---

(١)-**سؤال:** ما معنى الباء في قوله: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾؟

الجواب: معناها التلبس والمصاحبة وهو متعلق بمحذوف حال من فاعل استكبر، أي: متلبسين بغير الحق.

(٢)-**سؤال:** ما السر في إسناد الجعل إلى الله سبحانه في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾؟ وما المراد بذلك؟

الجواب: الجعل هنا بمعنى الحكم والتسمية أي: سميناهم أئمة يدعون إلى النار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف:١٩]، أي: سموا الملائكة.

ودعاؤهم إلى النار في الآية مجاز عن ذلك من تسمية السبب باسم المسبب.

﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ۝٤٢﴾ وهي إهلاكهم واستئصالهم بالغرق، وأما يوم القيامة فهم من أهل لعنة الله تعالى وسخطه وعذابه[١].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ وهو التوراة أنزلها الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام بعد أن أهلك تلك الأمم التي كذبت بأنبيائها.

﴿بَصَائِرَ[٢] لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ۝٤٣﴾ وأخبر أنه أنزلها على موسى رحمة للناس ليستنقذهم بها من الهلاك والضياع إلى نور الحق والهدى.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ[٣] إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ۝٤٤﴾ ثم توجه الله سبحانه وتعالى إلى خطاب نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لم يكن حاضراً وقت كتابة موسى للتوراة بجانب الطور؛ لأن الله سبحانه وتعالى أوحى إليه بالتوراة في ذلك المكان حتى يتشككوا في إخباره بقصة موسى وشأنه.

---

(١)- **سؤال:** إذا قيل بأن أصل المقبوح: صاحب الشخصية أو الخلق المشوه فكيف صار إلى صاحب اللعنة والعذاب والسخط؟

الجواب: يلحق بذلك صاحب العمل المشوه أي: أن القبح المعنوي يلحق بالقبح الحسي.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب ﴿بَصَائِرَ﴾؟

الجواب: يعرب حالاً من الكتاب.

(٣)-**سؤال:** يقال: ما العلة في تسميته في الآية بجانب الغربي، وهو الجانب الأيمن للطور كما قلتم، وكما في سورة طه: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾ [طه:٨٠]؟

الجواب: السر والنكتة هو مراعاة مشاعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك أن ذكر الأيمن واليمين فأل حسن يستبشر به المخاطب، ونفي ذلك على العكس، فلما كان في نفي ذلك ما قد يسيء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدل عن ذكر الأيمن إلى قوله بجانب الغربي لما ذكرنا، والله أعلم.

وفي قص الله تعالى على محمد ﷺ خبر موسى عليه السلام وقصته بدقتها وتفاصيلها دلالة واضحة على صدق نبوته ورسالته، وذلك لكونه ﷺ تربى وترعرع في مكة ولم يخرج منها أو يخالط أحداً من علماء بني إسرائيل وأحبارهم، أو أحداً من النصارى ورهبانهم، ولم يخالط أحداً من أهل الكتب السماوية، وقريش تعلم بذلك، فإذا لم يكن تعلمه من عند الله سبحانه وتعالى فمن أين تعلمه؟ مما يدل ذلك على أنه نبي صادق مرسل من عند الله تعالى.

﴿وَلَكِنَّا[١] أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ ثم أخبره الله تعالى بأنه قد طال الزمان، وتكاثرت الأمم، مما استدعى ذلك الأمر إلى إرسالك إليهم[٢]؛ لأن الله تعالى لا يبعث نبياً إلا حين يعلم أن الشرائع قد اندرست، وأنه قد أصبح الناس في غفلة وضياع، فعندها تستدعي الحكمة أن يبعث الله تعالى أنبياءه ورسله.

يخبر الله تعالى نبيه بأنه قد أرسله وقت حاجة الناس إلى رسول يستنقذهم من ظلمات الشرك والضلال، ويوقظهم من الغفلة والضياع.

﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو[٣] عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ وما كنت مقيماً في ذلك الزمان بين أهل مدين -لأن النبي ﷺ قص على قريش أخبار موسى عندما كان في مدين، عندما سقى للبنتين واستأجره

---

(١)-**سؤال:** يقال: مم هذا الاستدراك؟

الجواب: استدراك من قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ...﴾ الآية، ولكنا أوحينا إليك وبدليل ما جاء في الآية التي بعدها: ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

(٢)-**سؤال:** من أين استفدنا هذا، وأنه مقدر في الآية؟

الجواب: استفدنا ذلك من قوة الكلام ودلالة السياق.

(٣)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾؟ وما يترتب على ذلك من معنى؟

الجواب: محلها النصب خبر ثان لكان، أو حال من الضمير الذي في ثاوياً، أي: ما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا تعلماً منهم.

نبي الله شعيب وزوجه إحدى ابنتيه - فتخبر قريشا بقصته وشأنه وما حصل له ذلك مما يدل على أنه أخبرهم بها بوحي من الله تعالى.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴿٤٦﴾﴾(١) وأيضاً لم تكن حاصلاً في ذلك الزمان عندما نادينا موسى من الشجرة بجانب الطور، ولكن الله تعالى أوحى إليك بذلك، وابتعثك نبياً رحمة منه لك ولأمتك؛ لتنذرهم وتنور لهم طريق الحق والهدى، ولتطاول الزمان الذي لم يروا فيه نبياً بعثناك إليهم.

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ(٢) ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴿٤٧﴾﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى

---

(١)- **سؤال:** علام انتصب قوله: ﴿رَحْمَةً﴾؟ وما محل جملة: ﴿مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾؟ وكيف نجمع بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر]؟

الجواب: انتصب «رحمة» بأرسلناك محذوفاً أو رحمناك. وجملة «ما أتاهم من نذير..» في محل نصب صفة لقوماً. وقد كانت قريش على دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ولم يكن دينهما قد انطمس، وقد كان آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على دين إبراهيم لا يعبدون الأصنام ولا يستقسمون بالأزلام، فإبراهيم وإسماعيل هما حجة الله تعالى على قريش وهما نذير قريش، ولو أنهم نظروا لأنفسهم لاستنقذوها من الضلال والشرك؛ لوجود دين إبراهيم بين أظهرهم ممثلاً في آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي غيرهم كقس بن ساعدة. وحينئذ فالمراد بقوله: ﴿مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: لم يأتهم نبي من بعد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى أن بعثك الله إليهم نذيراً أي: أن ما بين مبعثك وبين إسماعيل وإبراهيم فترة طويلة لم يبعث الله فيها نذيراً إليهم، إلا أن حجة الله قائمة عليهم في تلك الفترة الطويلة كما ذكرنا.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما محل المصدر: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ﴾؟ وأين جواب «لولا» الأولى؟ وعلام انتصب الفعل: «نتبع»؟

الجواب: «لولا» حرف امتناع لوجود. «أن تصيبهم» في تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف كما هي القاعدة المشهورة، وجواب «لولا» محذوف أي: لما أرسلنا رسولاً، و«فنتبع» منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية لتقدم الطلب وهو ما في «لولا» من التحضيض.

نبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: إن قومك يا محمد قد استحقوا أن يحل بهم العذاب، وأن نستأصلهم بسبب ما ارتكبوا من الذنوب والمعاصي والإعراض عن الحق والهدى، والانغماس في ظلمات الشرك والضلال، وتركنا تعذيبهم على الرغم من أنهم قد استحقوا ذلك لأجل أن لا يأتي يوم القيامة فيقولوا: لو أرسلت إلينا رسولا لآمنا به ولصدقنا ما جاءنا به[1].

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾[2] ثم لما أرسل الله تعالى إلى قريش محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كفروا به وكذبوه واعتذروا بأنه لم يأتهم بآيات تقنعهم كالآيات التي جاء بها موسى، وأنه لو أتاهم بمثل ما جاء به موسى لآمنوا به.

والله سبحانه وتعالى عليم حكيم فهو يرسل آياته لكل أمة على حسب ما تقتضيه

---

(١)- **سؤال:** إذا قيل: فلو حصل هذا وقالوا هذا القول يوم القيامة فلله أن يجيبهم بأنه قد أرسل لهم الرسول، فما المانع من إنزال العذاب عليهم؟

الجواب: المعنى: أنهم قد استحقوا العذاب قبل أن يبعث الله إليهم محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلو أنه تعالى عذبهم قبل مبعثه لقالوا... أما بعد إرساله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقد انقطعت معاذيرهم فلو قالوا لقيل لهم: قد جاءكم النذير.

(٢)- **سؤال:** ما معنى «لولا» في الآية؟ وما إعراب: ﴿مِثْلَ مَا﴾؟ وبالمناسبة فلو تكرمتم بتفصيل إعراب «مثل» و«نحو» التي تأتي لإرادة التمثيل في كتب النحو والأصول ونحوها كما في قولهم: ينصب مثل قول الشاعر...؟

الجواب: معنى «لولا» في الآية التحضيض إلا أنها إذا دخلت على الماضي أفادت التنديم: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [طه:١٣٤]. و«مثل ما أوتي موسى» مثل: مفعول به ثان لأوتي، و«ما» اسم موصول مضاف إلى مثل، و«أوتي موسى» صلة الموصول، والعائد محذوف، أي: مثل الذي أوتيه موسى. وإذا قلت: «ينصب المفعول به نحو أو مثل: ضرب زيد عمراً»، فنحو أو مثل: مفعول مطلق أي: نصباً مثل أو نحو نصبه في ضرب زيد عمراً.

الحكمة والمصلحة، وعلى حسب ما يناسب أهل ذلك الزمان، كعيسى حين أعطاه الله تعالى إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وموسى أعطاه العصا، وصالح أعطاه الناقة وهكذا، ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أعطاه القرآن الذي أنزل على لغتهم بما فيه من الفصاحة والبلاغة التي كانوا أربابها، وكانوا يتنافسون في ميادينها، ويجعلون على ذلك مباريات فيما بينهم، حتى غلب القرآن فصاحتهم وقهر بلاغتهم، وأيقنوا عند ذلك أن هذا ليس من كلام البشر وأنه من عند الله سبحانه وتعالى لكونهم من أهل ذلك الميدان.

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ وقرَّر أن الكافرين على طبيعة واحدة فأولئك الذين كفروا بموسى هم من جنس هؤلاء الذين كفروا بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإنه لو جاءهم بتلك الآيات لكفروا بها أيضاً مثل ما كفر بها أولئك القوم.

﴿قَالُوا[1] سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ وهم أولئك الكفار السابقون فرعون وقومه اتهموا موسى[2] وهارون بأنهما قد تعاونا على اختلاق السحر الذي جاءا به، وقد كفروا بموسى وهارون وكذبوهما وما جاءا به.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يقول للمشركين هذا الكلام، وهو أن يطلب منهم أن يأتوا بكتاب يكون أهدى من القرآن والتوراة وأدل على الحق منهما، وسوف يتبعهم إن حققوا طلبه هذا.

---

(١)-**سؤال:** ما السر في فصل هذه الجملة عن سابقتها؟

الجواب: فصلت لأنها بمنزلة البدل أو عطف البيان مما قبلها.

(٢)- **سؤال:** يقال: يصح هذا على قراءة «ساحران» أما على هذه القراءة «سحران» فهل يحمل السحران على القرآن والتوراة ويكون هذا القول لكفار قريش أم لا؟

الجواب: يصح ما ذكرتم في قراءة «سحران» أن يحمل على التوراة والقرآن، أي: أن كفار قريش كفروا بالتوراة والقرآن، وهو قول حقيق بالصحة والقبول، والسياق شاهد له بذلك.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فإن رفضوا أن يؤمنوا بك يا محمد أو يقبلوا عنك ولم يحققوا طلبك فاعلم أنهم إنما يميلون مع هوى أنفسهم ويتبعون ما تدعو إليه شهواتهم، وليس ذلك منهم لأنك لم تأتهم بالآيات الواضحة التي يعرفون عندها الحق، فقد جئتهم بما قد استيقنوا عنده أن ما جئتهم به هو الحق وأنه من عند الله سبحانه وتعالى.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ[1] هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ۝﴾[2] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا أحد أضل وأظلم من ذلك الذي يتبع شهوته وهوى نفسه.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ۝﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنه قد أرسل لهم الآيات والحجج آية بعد آية وحجة بعد حجة، وأعطاهم البرهان بعد البرهان عسى أن ينفع فيهم شيء من ذلك، ولكنهم لم ينتفعوا بشيء من ذلك، ولن يزالوا متمردين ولو جئتهم بكل الآيات والحجج؛ لأنهم قوم طبيعتهم الاستكبار والتعالي عن قبول الحق.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ[3]۝ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا

---

(١)- **سؤال:** يقال: هل يفهم من هذه الآية أن من اتبع هوى نفسه بدليل وبهدى من الله فقد سلم من الضلالة؟

الجواب: إذا مال بالمكلف هواه إلى الدين الحق وأعمال البر فقد سلم من الضلالة.

(٢)- **سؤال:** ما الحكمة في تذييل الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ۝﴾؟

الجواب: الحكمة والسر -والله أعلم- أن التذييل جاء لبيان العلة والسبب في تغلغل المشركين في الضلال وتماديهم فيه.

(٣)- **سؤال:** هل الضمير في قوله: ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ۝﴾ ضمير فصل فما فائدته؟ أم غير فصل فما إعرابه؟

الجواب: هم: ضمير فصل، وفائدته تخصيص الإيمان بهم دون المذكورين أولاً وهم قريش.

ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ(١) مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴿٥٣﴾﴾ وهناك طائفة من اليهود والنصارى الذين قد آمنوا بما جاءهم من الكتب قبل القرآن سيؤمنون بالقرآن عندما يسمعون آياته تتلى عليهم.

وهؤلاء الذين حكى الله تعالى عنهم هذا وأثنى عليهم هنا هم قلة قليلة من اليهود والنصارى(٢).

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ ثم مدحهم الله تعالى وأثنى عليهم بأنه سيضاعف لهم أجرهم بسبب الصبر على إيمانهم مرتين بالتوراة والإنجيل أولاً ثم بالقرآن عندما نزل.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴿٥٤﴾﴾ وأن من صفاتهم أنهم يقابلون الإساءة الموجهة إليهم بالإحسان، ومن صفتهم أيضاً أنهم يخرجون ما أوجب الله تعالى في أموالهم إلى فقرائهم.

---

(١)- **سؤال:** ما السر في فصل قوله: ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ عن الجملة السابقة، مع أن الظاهر أنهما من مقولهم؟

الجواب: فصلت لأنها كالتعليل لما قبلها.

(٢)-**سؤال:** من أين نستفيد هذا؟

الجواب: استفيد ذلك من آيات جاءت في القرآن نحو قوله تعالى: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة:١٢١]، وقوله: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف]، ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ [المائدة:٨٢]... إلى قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [المائدة:٨٣]... إلى قوله: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴿٨٤﴾﴾ [المائدة].

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا[١] وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ[٢] لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ۝٥٥﴾ ومن صفتهم أيضاً أنهم إذا سمعوا الكلام الباطل أعرضوا عنه وسكتوا، فلا يجادلون أهل الباطل، بل يكون جوابهم بأن كلاً يعمل عمله الذي يريده، فاذهبوا في سلام عن الخصام والجدال، فلا نريد مجادلة أهل الجهالة والضلال.

ثم وجه الله سبحانه وتعالى الخطاب إلى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ۝٥٦﴾ كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حريصاً على قريش أن يدخلوا في الهدى والإيمان رحمة بهم وشفقة عليهم أن يلحقهم العذاب، وكان يتعب نفسه في ملاحقتهم ولكنهم كانوا يرفضون ولا يزيدهم ذلك إلا بعداً عن الحق وتمرداً؛ فأخبره الله سبحانه وتعالى بأنه لن يستطيع أن يهدي من أحب؛ لأن الله تعالى لا يهدي[٣] إلا أولئك المتواضعين للحق، وأما قومك يا محمد فقد مُلِئَت قلوبهم كبراً وكفراً، وأخبره أنه عالم بمن سيستجيب

---

(١)-**سؤال:** مع لطافة هذه العبارة هل فيها رائحة التهديد بالجزاء على أعمالهم القبيحة؟

الجواب: نعم، فيها رائحة التهديد؛ إذ ليس المراد بذلك إلا أن كل عامل منا ومنكم مسؤول عن عمله، فمن كان ذا عمل صالح فخيره عائد إليه، ومن كان ذا عمل قبيح فوبال عمله عليه.

(٢)-**سؤال:** ما السر في فصل هذه الجملة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ عما قبلها؟

الجواب: فصلت لأنها مما قبلها بمنزلة عطف البيان.

(٣)-**سؤال:** هل المعنى مبني على أن الهدى في الآية من القسم الثاني هدى المجازاة بمعنى التوفيق والتبصير؟ فما هي القرينة؟ وهل قوله: ﴿أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ۝٥٦﴾ من تلك القرائن من حيث إنه من فعل المطاوعة «اهتدى» أم كيف؟

الجواب: التفسير مبني على ما ذكرتم وهو أن الهدى بمعنى التوفيق والتنوير والتبصير، وقوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ۝٥٦﴾ الذين يستحقون الهداية والتنوير، وليس لمن تحب هدايتهم وتتعب نفسك في دعوتك لهم إلى الهدى حظ ولا نصيب في التوفيق والتنوير.

للحق ويقبله، وأنه لن يقبله إلا أولئك المتواضعون له.

﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ وزعمت قريش بأنهم إن آمنوا بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فإن العرب كلهم سوف يحملون لهم الحقد والعداء، وسوف يعلنون الحرب عليهم فيتخطفونهم من كل مكان، فقالوا: اتركنا يا محمد على ديننا هذا، يختلقون تلك الأعذار للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وفي الحقيقة إنما خافوا على مناصبهم ومراكزهم.

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ[1] لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بأنه قد حفظهم بما جعل لهم من الحرمة في حرمه المحرم، وأن الناس جميعاً عالمون بحرمة حرمهم هذا، ولن يعتدوا عليهم أو يحاربوهم فيه، فمهما وقد جعل لكم هذه الحرمة وأنتم كفار فهو قادر على أن يحفظ لكم هذه الحرمة بعد إسلامكم بل إن ذلك أولى.

﴿يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ۝٥٧﴾[2] وأنه قد سخر لهذا الحرم جميع خيرات الدنيا من الفواكه والثمار تقبل عليهم وتجلب من جميع أطراف الدنيا، وقد أوسع عليهم في الرزق ببركة حرمهم هذا.

---

(١)-**سؤال:** هل لفظة: ﴿نُمَكِّنْ﴾ مضمنة معنى «نجعل»؟

الجواب: نعم «نمكن» مضمن معنى «نجعل».

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾؟ وما فائدة الاستدراك بقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ...﴾؟

الجواب: يعرب مفعولاً مطلقاً؛ لأن معنى «يجبى إليه ثمرات كل شيء» بمعنى: يرزقون، وفائدة الاستدراك بيان أن أكثرهم لا يدركون هذه النعمة، ولا يعتدون بها، مع عظمها وكبرها ومع ظهور انتفاعهم بها من دون غيرهم من الناس، وفيه التسجيل عليهم بالجهل، وتنزيلهم منزلة البهائم التي تأكل ولا تشكر.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا[١] وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴿٥٨﴾﴾ وأخبرهم بأن كثيراً من أهل القرى والمدن قد عذبهم الله تعالى وأهلكهم بسبب كفرهم بنعمه وعدم شكرهم لها، فلتحذر قريش أن يهلكها الله تعالى مثل ما أهلك تلك الأمم، وأمرهم بأن ينظروا في قراهم ومساكنهم التي كانوا يسكنونها إن أرادوا أن يعتبروا بهم. ومعنى «بطرت معيشتها»: طغت في معيشتها وأشرت.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا[٢] رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴿٥٩﴾﴾[٣] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنها قد اقتضت حكمته أن لا يعذب أحداً إلا بعد أن يبعث رسولاً ينذرهم ويحذرهم، وأيضاً لا يهلك أهل قرية إلا بعد أن يعلم أنه لن ينفع في أهلها أي آية أو بينة.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ[٤] مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ

---

(١)-**سؤال:** ما الفائدة في الوصف لمساكنهم بأنها لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً؟

الجواب: الفائدة من الوصف هو بيان شؤمهم وعاقبة كفرهم، فبيَّنَ أن مساكنهم خالية بعد أن أهلكهم الله لم تسكن إلا قليلاً، أي: إلا إذا مر مسافر أو عابر سبيل، أو إلا إذا سكنها من ذراريهم فإنه لا يسكن فيها إلا قليلاً ثم يرتحل عنها.

(٢)-**سؤال:** ما العلة في إضافة الأم إلى ضمير القرى في قوله: ﴿فِي أُمِّهَا﴾؟

الجواب: أضيفت «أم» إلى القرى لبيان أن مكة أصل القرى وعاصمة القرى التي يرجع إليها أهل القرى ويترددون عليها لحاجاتهم الدينية والدنيوية.

(٣)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴿٥٩﴾﴾؟ وما إعراب: ﴿مُهْلِكِي الْقُرَى﴾؟

الجواب: محل «وأهلها ظالمون» النصب على الحال من القرى، و«مهلكي القرى» مهلكي: خبر كان منصوب وعلامة نصبه الياء، والقرى: مضاف إليه.

(٤)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؟

الجواب: «ما» اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ خبره جملتا الشرط والجواب. «أوتيتم» أوتي:
=

وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴿٦٠﴾ فما أوتيتم أيها الناس في الدنيا من أسباب الترف والرفاهية ورغد العيش فليس إلا متاعاً زائلاً كمتاع المسافر سرعان ما يذهب وينفد وينتهي، وأن ما عند الله تعالىٰ من الثواب هو أفضل لهم وأبقىٰ إن كانوا من أهل العقول، وأن من شأن العاقل أن يختار الأفضل والأبقىٰ علىٰ ذلك الذي يزول ويفنىٰ.

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴿٦١﴾﴾(١) أراد الله سبحانه وتعالىٰ أيهما أفضل أهذا الذي وعده الله بالثواب والدرجات الرفيعة في الجنة أم ذلك الذي يركض وراء شهوات الدنيا وهوىٰ نفسه غير مبال بما نهاه الله سبحانه وتعالىٰ عنه؟ فكل قصده أن يشبع رغبات نفسه من دون مبالاة بعواقب ذلك في الآخرة، وبما سيناله من العقاب علىٰ ذلك؟ فأيهما أفضل إن كنتم من أهل العقول؟ فحتماً فإن كل عاقل سيختار الثواب الدائم ووعد الله تعالىٰ علىٰ ذلك المتاع القليل الزائل، ومعنىٰ «من المحضرين» أي: من المعذبين في جهنم.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴿٦٢﴾﴾ يذكر الله سبحانه وتعالىٰ المشركين بيوم القيامة عندما يناديهم فيقول لهم: أين تلك الآلهة التي

فعل ماض مبني للمجهول، والتاء نائب الفاعل. «من شيء» جار ومجرور في محل نصب علىٰ الحالية جيء به لبيان الإبهام الذي في «ما»، والفاء رابطة، و«متاع» خبر لمبتدأ محذوف، والحياة مضاف إلىٰ متاع، والدنيا صفة للحياة.

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ.... كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ﴾؟

الجواب: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء سببية عاطفة، والمعطوف عليه محذوف، وهذا المحذوف هو الذي دخلت عليه همزة الإنكار، أي: أساويتم بين أهل الدنيا والآخرة؟ فهذا هو المستنكر الذي دخلت عليه همزة الإنكار. «من وعدناه» من: اسم موصول مبتدأ، وعدناه: صلة الموصول، «كمن» جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر، «متعناه متاع الحياة الدنيا» صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

كنتم تجعلونها شركاء في الإلهية والعبادة؟ فأين هي كي تنفعكم الآن؟

﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ[1] كَمَا غَوَيْنَا﴾ فيجيب أولئك الذين قد حق عليهم العذاب وقد استوجبوا حلوله بهم وهم كبار القوم والزعماء وأصحاب الكلمة النافذة[2]، فيجيبون الله سبحانه وتعالى بأن هؤلاء هم الذين أغويناهم يا رب كما غوينا من قبلهم.

﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ۝٦٣﴾[3] ونحن بريئون من دعائهم إلى عبادتنا واتخاذهم لنا آلهة، فلسنا ندعي الإلهية وإنما أغويناهم فقط كما قد غوينا من قبلهم.

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ فيأمرهم الله سبحانه وتعالى بأن يدعوا شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله تعالى.

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ تكرير لقوله: ﴿أَغْوَيْنَا﴾؟ إن كان فما فائدته؟

الجواب: ليس ذلك بتكرير، بل قوله: ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ جملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال تقديره: لماذا أغويتموهم؟ أو نحوه.

(٢)- **سؤال:** يقال: ظاهر ما سيأتي من تبريهم أن القائلين من المعبودات التي يعبدونها، فكيف رأيكم في ذلك؟

الجواب: الذين تبرأوا هم من المعبودات، وتبريهم كتبري الشيطان يوم القيامة: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ الآية [إبراهيم:٢٢]، فكأنهم قالوا: ما عبدونا ولكن عبدوا أهواءهم الفاسدة.

(٣)-**سؤال:** هل في هذه الآية دليل على تكذيب المجبرة فيما ادعوه من القضاء والقدر؟ فمن أي ناحية؟

الجواب: نعم، فيها دليل وأي دليل، وذلك من حيث أن المعبودات من دون الله اعترفوا بأنهم الذين أغووا أتباعهم وأنهم هم الذين غووا، قالوا ذلك في موطن لا مجال للكذب فيه، ولو فرضنا أنهم كذبوا في ذلك لأكذبهم الله ولرد عليهم، ولا مخلص للمجبرة من هذا البرهان الواضح، إلا أن يقولوا: إن أهل هذا القول قدرية متمسكون بمذهبهم في عرصات القيامة!!

﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ وفعلاً يدعون آلهتهم تلك، كفرعون وإبليس وغيرهم من الجبابرة والمتكبرين، ولكنهم مشغولون بأنفسهم وقت النداء فلا يستطيعون أن يجيبوهم.

﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ[١] أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾ وأيقنوا عند ذلك أنهم قد استحقوا العذاب، وكل ذلك يحسرهم الله تعالىٰ ويندمهم بأنهم لو كانوا من الذين استجابوا للحق والهدىٰ لما وصلوا إلىٰ ما هم فيه الآن.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾[٢]﴾ ثم ينادي الله تعالىٰ المشركين[٣] أيضاً، ويسألهم ماذا فعلتم مع الرسل الذين أرسلناهم إليكم؟ وكيف كان جوابكم عليهم عندما كانوا يدعونكم إلىٰ عبادة الله تعالىٰ؟

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ فعند ذلك تنعقد ألسنتهم فلا يحيرون جواباً من هول ما يرون وفضاعته، حتىٰ إنهم لا يتحدثون فيما بينهم.

---

(١)-**سؤال:** ما معنىٰ «لو» في الآية؟ وهل جوابها محذوف كما هو ظاهر كلامكم؟

الجواب: يجوز أن تكون «لو» علىٰ بابها، وجوابها محذوف، ويجوز أن تكون للتنديم فلا تحتاج إلىٰ جواب.

(٢)-**سؤال:** ما العامل في «يوم» النصب؟ وما إعراب: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ﴾؟

الجواب: «يوم» منصوب بفعل محذوف تقديره: واذكر يوم يناديهم. و«ماذا» اسم استفهام في محل نصب مفعول مطلق منصوب بأجبتم، والمعنىٰ: أيّ إجابة أجبتم المرسلين؟ وأجبتم المرسلين: فعل وفاعل ومفعول به.

(٣)-**سؤال:** هل يصح أن يُجْعَل النداء لكل من قصر في إجابة الأنبياء في الواجبات ولو كان مِلِّيّاً بدليل آية (٦٧)؟

الجواب: النداء شامل لكل من أرسل إليهم رسول مؤمنهم وكافرهم بدليل التفصيل الذي ذكرتم في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ...﴾ الآية.

﴿فَأَمَّا(١) مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ٦٧﴾ يرغب الله تعالى عباده في التوبة، وأن بابها مفتوح لمن أراده كائناً من كان، فمن تاب وأخلص توبته وإيمانه لله سبحانه وتعالى فإنه سيقبله، وسيكون من الفائزين بثواب الله تعالى. و«عسى» من الله تعالى: وعد بالقبول.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ(٢) وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ٦٨﴾ كان المشركون يعترضون على إرادة الله سبحانه وتعالى في بعثه محمداً ﷺ للنبوة والرسالة، وقد استنكروا عليه لماذا جعلها في محمد ذلك الرجل الفقير اليتيم؟ ألم ير غيره يجعلها فيه؟ ولماذا لم يبعث فلاناً أو فلاناً وعددوا رجالاً من كبار قريش؟

فأجاب الله سبحانه وتعالى عليهم بأن أمر الاختيار إليه، وأنه الذي يختار من أراد فليس ذلك إليهم سواء عليهم قبلوا أم لم يقبلوا.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ٦٩﴾ كان النبي ﷺ والمؤمنون قد استبطأوا نزول العذاب بقريش لما كانوا ينزلونه بهم من الأذى والعذاب في مكة، وقد طال انتظارهم لنزول نصر الله سبحانه وتعالى وإخراجهم

---

(١)-**سؤال:** ظاهر أما هنا أنها للتفصيل فأين القسم الآخر من جانبي التفصيل؟

الجواب: ذلك للتفصيل، وقد ذكر هنا أحد القسمين وهو حكم المؤمنين وطوى ذكر القسم الآخر للعلم به من السياق، حيث قد ذكر ما يدل عليه في قوله: ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾.

(٢)-**سؤال:** ما المناسبة في ختم هذه الآية بالتسبيح؟

الجواب: المناسبة ظاهرة وذلك من حيث إن المشركين جعلوا لأنفسهم منزلة الربوبية باقتراحهم أن تكون النبوة في غير محمد ﷺ من رجالات قريش العظام، واستنكارهم اختيار الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ٣١﴾ [الزخرف]، فختمت الآية بتنزيه الله تعالى عن أن يكون له شريك يعقِّب على اختياره وأحكامه ويقترح غيرها: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد:٤١].

من الذل والقهر الذي كان المشركون يلحقونه بهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية على النبي ﷺ يسليه ويخبره بأن ما وعدهم به قريب فما عليهم إلا الصبر، فهو عالم بجميع أعمال المشركين سرها وعلانيتها، وسيجازيهم عليها، فما عليهم إلا الصبر وسيرون وعد الله تعالى عما قريب.

﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ(١) وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ۝٧٠﴾ ثم رد الله تعالى على المشركين فأخبرهم أنه لا معبود في هذا الكون إلا هو فلا شريك له في استحقاق الإلهية والعبادة كما يزعم المشركون؛ لأنه وحده الذي يستحق الحمد والثناء على النعم التي يعطيها عباده، وأما تلك التي يعبدونها فلا تستطيع شيئاً من ذلك.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ(٢) أَفَلَا تَسْمَعُونَ۝٧١﴾ يذكر الله تعالى المشركين بآياته لينتبهوا من غفلتهم إن أرادوا، ويرجعوا إليه ويتركوا ما هم فيه من عبادة الأصنام، فأمر نبيه ﷺ أن يسألهم: كيف لو أن الله جعل الليل ممتداً إلى يوم القيامة فهل ستستطيع الأصنام أن تأتيكم بنهار تستضيئون بنوره؟ فحتماً سيكون جوابهم بالنفي، وأنها لا تستطيع ذلك.

---

(١)-**سؤال:** ما علة الحمد في الآخرة، وقد انتهى دار التكليف؟

الجواب: المعنى أن الله تعالى هو الذي يستحق الحمد في الدنيا والآخرة، فهو وحده الذي أنعم على أهل الدنيا بما فيها من النعم، وهو وحده الذي ينعم بنعم الآخرة على عباده الصالحين، وليس المراد في هذه الآية طلب الحمد في الآخرة وإنما يراد أنه وحده المستحق للحمد في الآخرة لكونه هو الذي تفضل بما فيها من النعيم الدائم، وعباده الصالحون وإن حمدوه في الآخرة فإنما يقولونه لإظهار السرور والفرح بعظم فضل الله عليهم، لا على وجه التكليف.

(٢)-**سؤال:** ما فائدة التنكير هنا؟

الجواب: فائدته الدلالة على أنه نوع من الضياء، فالتنكير للتنويع.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴿٧٢﴾﴾(١) وأيضاً كيف لو جعل الله تعالى جميع الوقت نهاراً دائماً؛ فهل تستطيع الأصنام أن تأتيكم بليل تهدؤون فيه من تعب النهار؟ فحتماً سيكون جوابهم أيضاً بالنفي.

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ(٢) جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴿٧٣﴾﴾(٣) ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يذكر المشركين بنعمه عليهم ورحمته بهم إذ جعل لهم الليل ليسكنوا فيه ويرتاحوا مما لحقهم من التعب في السعي وراء أرزاقهم في نهارهم، وجعل لهم النهار ليسعوا في أمور معايشهم وطلب أرزاقهم، وأيضاً جعل لهم هذه النعمة ليشكروه عليها

---

(١)- **سؤال:** ما هي مناسبة ختم الآية بقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴿٧٢﴾﴾ والتي قبلها بقوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴿٧١﴾﴾؟

الجواب: قرن الضياء بقوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴿٧١﴾﴾ لكثرة فوائد الضياء ومنافعه التي لا يبصر منها إلا النور، وقرن الليل بقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴿٧٢﴾﴾ لكون منافعه يبصرها الناس جميعاً وهي الظلام والهدوء والسكون، هكذا يقول بعض المفسرين، وهو قول حسن.

(٢)-**سؤال:** ما موضع ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ الإعرابي؟ وما الوجه في تقديمها؟

الجواب: «من رحمته» جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم في محل رفع، و«جعل لكم» في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر مرفوع، وقد حذفت «أن» المصدرية هنا كما حذفت في قولهم: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. وقدم الخبر «ومن رحمته» للاهتمام بذكر الرحمة من حيث إنها المقصود الأهم الذي يراد تذكيرهم بها والتفكر والنظر فيها.

(٣)-**سؤال:** هل في هذه الآية لف ونشر مرتب؟ فما فائدته؟ أم لا؟ فكيف تحمل الآية؟

الجواب: فيها لف ونشر مرتب، وفائدته تحسين الكلام وإخراجه في صورة بديعة يستعذبها السمع ويطرب لها السامع.

ويؤدوا حقها من الطاعة والعبادة لله تعالى، غير أنهم رفضوا واستكبروا مع معرفتهم اليقينية بأن أصنامهم هذه التي يعبدونها لا تفعل لهم شيئا.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ۝٧٤﴾ وذلك يوم القيامة سينادي الله تعالى المشركين سائلاً أين تلك الآلهة التي كنتم تعبدونها من دونه، فنادوها لعلها تجيبكم أو تنفعكم؛ يُبَكِّتُهم الله سبحانه وتعالى، ويندمهم على أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا.

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا[1] بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ۝٧٥﴾ الشهداء هم الأنبياء والأوصياء والأئمة ومن يقوم[2] مقامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ الناس شرائع ربهم وأحكام دينهم، فأخبر الله تعالى أنه سيحضر هؤلاء الشهود ليشهدوا على أممهم عند الله تعالى يوم القيامة بأنهم قد بلغوهم وأعذروا إليهم وأنذروهم؛ لأن المكذبين سيقولون يوم القيامة ما جاءنا من بشير ولا نذير[3] فعندها يحضر الله تعالى

---

(١)-**سؤال:** هل يصح أن يعود الضمير في «هاتوا» إلى الشهود أم لا؟

الجواب: لا ينبغي عوده إلى الشهود؛ لأن الشهادة برهان والشهداء عدول، ولكن يطلب من المشهود عليه أن يأتي بما يدفع الشهادة إن استطاع.

(٢)-**سؤال:** ما أروع مقالتكم هذه لكن هل يحتاج إلى إقامة دليل على أن الأمة هي الجماعة في برهة معينة من الزمان؟

الجواب: مطلق الأمة هي الجماعة من الناس كما في قوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص:٢٣]، فأهل كل رأي يجمعهم أو مذهب يطلق عليهم أمة في أي وقت، فيقال لأهل الإرشاد الموجودين في هذا الوقت: أمة.

(٣)- **سؤال:** يقال: هل يعارض هذا قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ۝٨ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الملك]؟ أم لا فكيف يجمع بينهما؟

الجواب: يمكن دفع التعارض بأن يقال: يجمع الله كل شهيد مع أمته: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ۝٦﴾ [الأعراف]، فمع وجود الشهيد عند السؤال والجواب لا يمكن للمشهود عليهم =

هؤلاء الشهود يشهدون عليهم؛ ثم بعد شهادة الشهود يسأل المشركين والمكذبين بأن يأتوا ببراهينهم وحججهم لعلهم يجدون مخرجاً، ولكنهم لا يجدون أي مخرج أو طريق فيضطرون إلى الاعتراف بما شهد عليهم أولئك الشهود، وأما تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها، ويدعون أنها سوف تنفعهم فقد ضاعت عنهم يوم القيامة، وكذا جميع ما كانوا يختلقونه من الباطل في الدنيا.

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ ثم انتقل الله سبحانه وتعالى إلى ذكر قصة قارون لما فيها من العظات والعبر للمعتبرين، فأخبر تعالى أنه كان رجلاً[(١)] من بني إسرائيل مكنه الله في الأرض، وأعطاه الكنوز والأموال الكثيرة، وقد عبر عن كثرتها بأن مفاتيح خزائنه من كثرتها كانت تثقل[(٢)] مجموعة من الرجال الأقوياء،

أن ينكروا، فشهادة الشهيد قائمة بالقوة. ويمكن الجمع بأن اعترافهم يكون بعد أن يشهد عليهم الشهداء، وقد جاء في آية المجادلة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المجادلة]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام]، فإن في هذا ما يدل أنه سيحصل في يوم العرض الإنكار من المنافقين والمشركين، وحينئذ فيتوجه قيام الأشهاد بأداء الشهادة على أممهم بما عملوا من كفر وفسوق ونفاق.

(١)-**سؤال:** هل هو صحيح أنه كان ابن عم موسى عليه السلام؟ وهل يصح ما في كتب التفسير أنه دبر امرأة تدعي على موسى أنه زنى بها؟

الجواب: لم يرد في القرآن إلا أن قارون كان من قوم موسى، أي: من بني إسرائيل، فيكون بينهما قرابة إما قريبة أو بعيدة.

(٢)-**سؤال:** هل يصح ما يقال إن في الآية قلباً وأن أصلها: العصبة أولو القوة تنوء بالمفاتيح؟ أم كيف؟

الجواب: لا يصح ذلك لأن المعنى مستقيم، ولا ينبغي القول بالقلب إلا إذا لم يصح الكلام ويستقم إلا على تقدير القلب، وهاهنا لا يوجد مبرر للقول بالقلب، فالمعنى هو: أن مفاتح خزائن قارون لتميل بالعصبة من ثقلها إذا حملوها.

فبسبب ما مكنه الله تعالىٰ طغىٰ علىٰ موسىٰ وخرج عليه ووقف في وجه دعوته، وكل ذلك بدل أن يشكر الله تعالىٰ علىٰ ما أعطاه من النعم.

﴿إِذْ(١) قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ۝٧٦﴾ وكان قومه(٢) ينصحونه بترك البطر والتبذر بما أنعم الله تعالىٰ عليه، والفرح الذي نهاه قومه عنه هو الذي يؤدي إلىٰ نسيان نعمة الله تعالىٰ عليه، حتىٰ يرىٰ نفسه بسبب فرحه وبطره عظيماً وذا شأن كبير، ويتكبر بما أنعم الله تعالىٰ عليه ويتعالىٰ علىٰ الناس بما آتاه الله تعالىٰ؛ وأما فرح(٣) السرور مع عدم نسيان نعم الله تعالىٰ وأداء حق شكرها فذلك محمود.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب «إذ» هنا؟

الجواب: تعرب ظرفاً لقوله: «فبغىٰ».

(٢)-**سؤال:** هل هؤلاء القوم ممن آمن بموسىٰ وصدقه أم كيف؟

الجواب: الذي يظهر لي -والله أعلم- أن بني إسرائيل -(قوم موسىٰ)- كانوا مائلين إلىٰ موسىٰ ودينه، وفيهم ذوو بصائر، وفيهم الجهال والعوام وضعاف الإيمان ومن لا يبالي بالدين، مع ميولهم جميعاً إلىٰ موسىٰ والإيمان به، ولذلك خرجوا معه جميعاً وأذعنوا لطاعته. أما قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ...﴾ الآية [يونس:٨٣]، فالمراد لم يظهر التصديق بموسىٰ ويعلن إيمانه إلا ذرية من قومه، أما البقية فلم يجسروا علىٰ إظهار الإيمان بموسىٰ والتصديق له؛ لخوفهم من فرعون فقد كان عالياً من المسرفين.

(٣)-**سؤال:** ما هو الدليل علىٰ توجيهكم الرشيد هذا في الفرح؟

الجواب: الفرح والسرور طبيعة تحصل عند حصول سببها بغير اختيار صاحبها لا يقدر علىٰ ردها، وهذا أمر وجداني لا يحتاج إثباته إلىٰ دليل، فإذا حصل ذلك عند المؤمن شكر الله وحمده علىٰ ما أولاه من فضله فهذا فرح المؤمن، وإذا حصل عند غير المؤمن أشر وبطر ولم يعترف بفضل الله عليه، واعتقد أنه هو الذي ساق الخير والنعمة إلىٰ نفسه بعمله وحسن تدبيره وسياسته، وهذا فرح غير المؤمن، قال تعالىٰ للمؤمنين: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ۝٥٨﴾ [يونس]، فأمرهم الله بأن يفرحوا أي: أن يعتدوا بنعمة الله عليهم ويستعظموها في أنفسهم ويشكروا الله تعالىٰ عليها ويعترفوا بفضل الله عليهم ورحمته بهم حين هداهم إلىٰ الإسلام؛ لذلك نقول: إن المراد بذم الفرح في القرآن هو ذم ما يترتب عليه من نتائج ذميمة هي الكفر بنعمة الله وفضله والانتفاخ بالكبر والغرور، وسياق قصة قارون في هذه السورة يشهد لما ذكرنا.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا(١) ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ ونصحوه بأن ينتفع بما آتاه الله من الأموال، ويطلب بها وجه الله تعالى والدار الآخرة، وذلك بإنفاقها في سبيل الله وعلى الفقراء والمساكين وصلة الأرحام ونحو ذلك من أوجه البر التي يكثر تعدادها، وفي ذلك دليل على أنه لا حرج في أن يتمتع الإنسان بما أنعم الله سبحانه وتعالى عليه مهما كان يؤدي ما يجب عليه من الحقوق في أمواله.

﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾(٢) يعني قابل إحسان الله إليك بالإحسان في أموالك وذلك بتأدية ما أوجب الله فيها من الحقوق وبشكر الله والاعتراف له بالمنة.

﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴿٧٧﴾﴾ ولا تجعل ما وهبك الله تعالى من الأموال وسيلة إلى السعي بالفساد بين الناس والإفساد في الأرض.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى(٣) عِلْمٍ عِنْدِي﴾ عندما وعظه أصحابه وبعض قومه،

---

(١)-**سؤال:** هل «في» في قوله: ﴿فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ﴾ على أصلها أم أنها بمعنى «من»؟

الجواب: هي على أصلها لأن المراد أن يعترف لله بفضله ونعمته عليه وأن يشكره ويحمده عليه، ولا يجعل ما آتاه الله سبباً للفساد في الأرض والبغي والعدوان، وأن يجعل ماله سبباً يقربه إلى الله وإلى ثوابه ويتحقق ذلك بالشكر لله والاعتراف بفضله وأن لا يستعمله في حرام أو فساد أو بغي أو عدوان، وأن يؤدي حق الله فيه، وأن يصل من أمر الله بصلته ويحسن إلى من أمر الله بالإحسان إليه.

(٢)-**سؤال:** ما هو إعراب قوله: ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾؟

الجواب: الكاف حرف جر، و«ما» مصدرية مسبوكة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالكاف، والجار والمجرور صفة لمصدر محذوف، والتقدير: إحساناً مثل إحسان الله إليك.

(٣)-**سؤال:** ما معنى «على» هنا؟ وهل يستنبط من جوابه هذا أن الفرح الذي نهاه عنه قومه هو ما قلتم أنه الذي يصاحبه نسيان نعمة الله وعدم إرجاع ذلك إليه؟

الجواب: «على علم» متعلق بمحذوف حال من نائب الفاعل في «أوتيته» فهي على معناها الذي هو الاستعلاء، والمعنى: إنما أوتيته حال كوني متمكناً على العلم كتمكن الراكب على المركوب، مثلها في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [لقمان:٥]، وفي جواب قارون هنا ما يفيد أن الفرح =

وبذلوا له تلك النصائح أجاب عليهم جواب المستكبرين، ونسي أن الله سبحانه وتعالى هو الذي أنعم عليه، وأعطاه ورزقه، فقال: إن ما عنده من الأموال إنما اكتسبها بما عنده من الخبرة والبصيرة في كسب الأموال وتجميعها، وأنه لولا ذلك وما عنده من العلم لما كان عنده شيء، فكفر بالله تعالى وكفر بنعمه عليه.

﴿أَوَلَمْ(١) يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ(٢) مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ(٣) الْمُجْرِمُونَ ۝٧٨﴾ بلى قد علم أن الله قد أهلك من هو أقوى منه وأكثر أموالاً؛ يستنكر الله تعالى عليه لماذا لا يعتبر بمن

المذموم هو ما يصاحبه نسيان نعمة الله تعالى ونسيان فضله وكفر نعمته مع ما يتبع ذلك من الفخر والغرور والعجب.

(١)- **سؤال:** هل الاستفهام في هذه الآية تقريري أم استنكاري؟ وتفضلوا بإيراد ضابط نفرق به بين الاستفهامين؟

الجواب: قد قالوا في مثل هذا الاستفهام إنه تقريري وإنه إنكاري، أي: إنه تقرير لما بعد النفي أو استنكاري للنفي والمنفي.

(٢)- **سؤال:** بماذا تعلق: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾؟ وكذا ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾؟

الجواب: «من قبله» متعلق بأهلك، و«من القرون» متعلق بمحذوف حال من «من هو أشد..» مقدماً عليه.

(٣)- **سؤال:** إلام يعود الضمير في ﴿ذُنُوبِهِمُ﴾؟ إن كان للـ«مجرمون» فكيف يجمع بينه وبين ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ وأمثالها؟ وإن كان إلى قوله: ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ﴾ فهل يبتني عليه عدم التكليف بمعاداة المهلكين السابقين ونحو ذلك؟

الجواب: يعود الضمير إلى المجرمون، ولا مخالفة بين هذا وبين نحو قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ ونحوها، وذلك أن المراد بـ«المجرمون» في هذه الآية المهلكون في الدنيا المذكورون في أول هذه الآية: ﴿أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ..﴾ وكان الظاهر أن يأتي بضميره إلا أنه عدل إلى الظاهر ليصفهم بالإجرام وأنه سبب إهلاكهم.

أهلكهم ممن سبقوه على الرغم من القوة التي كانوا عليها، وكثرة أموالهم وكنوزهم؟ فقد أهلكهم الله تعالى بسبب كفرهم.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾(١) ثم إنه خرج ذات يوم في كامل زينته متبختراً بينهم، وتظهر عليه أمارات العلو والفخر والكبر.

﴿قَالَ(٢) الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴿٧٩﴾﴾(٣) عندما رآه ضعاف الإيمان اغتروا وعظم ذلك في أنفسهم وما

---

(١)- **سؤال:** بماذا تعلق ﴿فِي زِينَتِهِ﴾؟ وهل «في» هنا على بابها أم كيف؟ وهل المراد زينته الشخصية أم الأموال ونحو ذلك؟

الجواب: تعلق «في زينته» بمحذوف حال من فاعل «خرج»، والمراد بالزينة الأموال بدليل ما بعده: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴿٧٩﴾﴾ فإن في ذلك ما يدل على أنه خرج يعرض ما عنده من المال الكثير الذي عظم في عيون الذين يريدون الحياة الدنيا وزينتها.

(٢)-**سؤال:** ما العلة في فصل هذه الجملة عن سابقتها؟

الجواب: فصلت لكونها مستأنفة في جواب سؤال مقدر ناشئ عن الجملة التي قبلها، فكأنه قيل: فماذا قال قومه.

(٣)-**سؤال:** ما هو الضابط في إرادة الحياة الدنيا الذي نجريه عليها أينما وردت في ألفاظ القرآن؟

الجواب: التوسع في الأموال وجمعها والتنعم فيها وبناء المساكن الراقية و... إلخ حلال، هذا هو الأصل؛ بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف:٣٢]، ويصير ذلك مذموماً بـ:

- أن يشتغل بها عما أوجب الله تعالى عليه: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون:٩].
- أن يجمعها من حلال وحرام كالغش والتطفيف والربا ونحو ذلك.
- أن ينفقها في حلال وحرام وبغي وفساد.
- أن لا يؤدي ما أوجب الله عليه فيها من الزكاة ونحوها.
- أن يغتر بها وينسى فضل الله عليه ويتعاظم ويعجب بما ذكر الله هنا عن قارون.

رأوا عليه من الهيئة والهيبة وتمنوا أنهم لو كانوا مكانه، وقد نسوا الله تعالىٰ وما عنده.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ[(١)] وَيْلَكُمْ[(٢)] ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فوبخهم أهل العلم من المؤمنين علىٰ ذلك الكلام وذكروهم بالله سبحانه وتعالىٰ وما عنده من الثواب، وألّا يغتروا بما هو عليه من متاع الدنيا الفانية، فإن ما عند الله من الثواب أفضل وأعظم مما هو عليه.

﴿وَلَا يُلَقَّاهَا[(٣)] إِلَّا الصَّابِرُونَ۝٨٠﴾ وهي هذه الكلمة التي نطق بها هؤلاء المؤمنون؛ لأنه لا يتذكر ما عند الله سبحانه وتعالىٰ من الخير والثواب في مثل هذه المواطن إلا أهل هذه الصفة؛ لأن أكثر الناس عندما يرون زينة الدنيا وزخارفها ومتاعها فإنهم يفتتنون وينسون ثواب الله والدار الآخرة.

---

(١)- **سؤال:** هل يمكن أن نستدل من هذه الآية علىٰ أنه لا نجاة من فتن الدنيا إلا لأهل العلم والمعرفة؟ فمن أي ناحية؟

الجواب: فيها دليل علىٰ أنه لا نجاة من فتن الدنيا إلا لأهل العلم كما ذكرتم في السؤال، وذلك لما في الموصول وصلته «الذين أوتوا العلم» من الإشارة إلىٰ العلة والسبب الذي بعثهم علىٰ أن يقولوا: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ﴾، وأيضاً مقابلتهم للذين يريدون الحياة الدنيا وزينتها يقوي تلك الإشارة ويشهد لها.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿وَيْلَكُمْ﴾؟

الجواب: مفعول مطلق لفعل محذوف مقدر من معناه، أي: أهلككم الله إهلاكاً أو عذبكم عذاباً، والويل: هو العذاب أو الهلاك، وقد أضيف الويل إلىٰ ضمير المفعول به الذي كان متصلاً بالفعل أهلك وعذب: «أهلككم أو عذبكم».

(٣)- **سؤال:** إلام عاد الضمير في الآية؟

الجواب: الضمير عائد إلىٰ مذكور باعتبار المعنىٰ؛ لأن ما قاله أهل العلم بمعنىٰ «كلمة».

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ[(١)] وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴿٨١﴾﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى أهلكه وخسف به وبما معه من الأموال والأملاك وابتلعتها الأرض، ولم يستطع أحد أن يدفع عنه ذلك الذي أنزله الله سبحانه وتعالى عليه، أو أن يدفع عن نفسه.

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ[(٢)] اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴿٨٢﴾﴾ أولئك الذين كانوا يتمنون أن يكونوا مكانه بعدما رأوا كيف كانت عاقبته عرفوا أن الله تعالى لا يعطي أحداً أو ينعم عليه إلا فتنة واختباراً، وحمدوا الله تعالى أن جعل حالهم بخلاف حالته، وحمدوه أيضاً على أن منَّ عليهم بأن لم يعطهم ما تمنوا بالأمس، وتذكروا الله تعالى وعرفوا كيف تكون عاقبة الكافرين بنعم الله سبحانه وتعالى.

﴿تِلْكَ[(٣)] الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ[(٤)] عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا

---

(١)-**سؤال:** ما معنى الباء هنا؟

الجواب: الباء للتعدية إلى المفعول به.

(٢)-**سؤال:** لو تكرمتم بتفصيل القول في: ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ﴾ من حيث الإعراب، ومعنى المفردات، وما يترتب عليه من معنى إجمالي؟

الجواب: «وي» اسم فعل مضارع بمعنى أتعجب، والكاف حرف جر، و«أن» وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بـ«وي» ومعنى الكاف التعليل لا التشبيه، فيكون المعنى على ذلك: أنهم تعجبوا لما حصل لقارون من العاقبة الشنيعة بعد ما كان فيه من المال والزينة التي أعجبوا بها وتمنوها.

(٣)-**سؤال:** أين الخبر لاسم الإشارة في هذه الآية؟

الجواب: خبر الإشارة: ﴿الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾، وجملة: ﴿نَجْعَلُهَا﴾ بيان، ويجوز أن يكون الخبر «نَجْعَلُهَا».

(٤)-**سؤال:** لو تفضلتم بإيراد صور أو مظاهر لإرادة العلو حتى يتجنبها الطلاب لكان مناسباً؟

الجواب: العلو المراد هنا هو ضد التواضع، والتواضع هو قبول الحق والإذعان له والرضا به، =

فَسَادًا[١] وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴿٨٣﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أن الجنة وما فيها من النعيم قد أعدها لأولئك المتواضعين لأوامره والخاضعين له، والذين يمشون في الأرض مشي المتواضعين المستقيمين علىٰ طاعة الله تعالىٰ وما أمرهم به.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿٨٤﴾﴾[٢] فمن عمل الأعمال الصالحة فسيجازيه[٣] الله سبحانه أضعافها، وأما من عمل السيئات فسيجازىٰ كل علىٰ قدر عمله.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالىٰ نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويخبره بأن الذي فرض عليه تبليغ القرآن وآياته وأحكامه وشرائعه

وأول ذلك قبول ما أمر الله تعالىٰ به في كتابه أو علىٰ لسان رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والسمع والطاعة، ثم قبول الحق من الخلق والإذعان له سواء أكان من حاكم أم عالم أم مؤمن أم ذمي. وأيضاً بذل الحق والإنصاف لكل من له حق من قريب أو بعيد، أو صغير أو كبير، أو مسلم أو ذمي، فالتواضع وإرادة العلو في الأرض صفتان نفسيتان تتصارعان في نفس المرء، تترجمهما أعمال المرء وأقواله؛ فالمؤمنون يجاهدون ما يجدونه في نفوسهم من حب الرفعة والعلو في الأرض والكبر حتىٰ يتغلبوا عليها ويكبحوا جماحها؛ فتكبر صفة التواضع في نفوسهم بتوفيق الله وإعانته، حتىٰ تكون هذه الطبيعة والصفة -(صفة التواضع)- هي المسيطرة علىٰ المرء، وعلىٰ العكس الذين يريدون العلو في الأرض، وتتبين إرادتهم للعلو بأعمالهم وأقوالهم.

(١)-**سؤال:** ما المراد بإرادة الفساد التي نفاها الله سبحانه عمن أعد له الجنة؟

الجواب: المراد بذلك أن نفوسهم طاهرة وخالية من إرادة الفساد، فلا يصدر منهم إرادته؛ لأنهم قد تغلبوا علىٰ أهوائهم، وكبحوا جماحها.

(٢)-**سؤال:** يقال: مقتضىٰ الظاهر إضمار الذين عملوا السيئات، فما السر في إظهاره؟

الجواب: النكتة في إظهاره هو التسجيل عليهم والذم لهم بعمل السيئات.

(٣)-**سؤال:** هل تريدون أن هناك مضافاً محذوفاً في قوله: ﴿خَيْرٌ مِنْهَا﴾ أي: من جزائها أم كيف؟

الجواب: ليس المراد ذلك، فالذي هو خير منها هو ثوابها وأجرها، ولا يحتاج إلىٰ تقدير مضاف.

سيرده إلى داره[١] في مكة، وذلك لأن قومه كانوا قد طردوه من مكة وأخرجوه منها، فطمأنه الله تعالى بأنه سيرده إليها منتصراً.

أو يكون المعنى: لرادك إلى يوم القيامة ليجازيك على تبليغك آياته وأحكامه وشرائعه.

﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ۝٨٥﴾ كان المشركون يتهمون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالضلال والخروج عن دين آبائه وأجداده، فأمره الله سبحانه وتعالى بأن يجيبهم بهذا الجواب ويقتصر عليه، وهو أن الله سبحانه وتعالى عالم بمن هو الذي على الهدى ومن هو الذي على الضلال، وسيجازي كل امرئ على حسب عمله[٢].

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾[٣] ثم أخبر الله

---

(١)- **سؤال:** ماذا سيكون نوع اسمية ﴿مَعَادٍ﴾ على هذا المعنى؟ وهل هو نفسه على المعنى الثاني الذي أوردتموه؟

الجواب: سيكون «معاد» على المعنى الذي ذكرنا اسم مكان. ويكون على الثاني اسم زمان ومكان.

(٢)- **سؤال:** ما الحكمة في أمره بهذا الجواب دون غيره؟

الجواب: أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهذا الجواب دون غيره لأنهم تمردوا وأعرضوا عن سماع حجج الله وبيناته وما أنزله الله تعالى على رسوله، وأصروا على القول بأنهم على الدين الحق الذي مضى عليه الآباء والأجداد، وأنهم على دين إبراهيم وإسماعيل، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على الباطل؛ لأنه جاء بدين غير دينهم فرق به بين قومهم وقطع به أواصر الأرحام وزرع به بينهم العداوات و.. إلخ؛ فأمره الله تعالى هنا أن يقول لهم: أمري وأمركم إلى الله، وهو العالم بمن جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وسيجازي كلاً بما يستحق.

(٣)- **سؤال:** ما موضع المصدر: ﴿أَنْ يُلْقَى﴾؟ وما إعراب: ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾؟

الجواب: موضع المصدر النصب على أنه مفعول به. و«إلا رحمة» الاستثناء منقطع، ورحمة: مفعول من أجله لفعل محذوف.

سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه لم يكن لديه أي طمع أو أمل في النبوة قبل مبعثه، وإنما بعثك الله سبحانه وتعالى للنبوة واختارك دون سائر الناس من غير أن يكون لك أي طمع فيها أو سعي وراءها، تفضلاً بها عليك ورحمة منه لك.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ۝٨٦﴾ فاحذر أن تكون نصيراً ومعاضداً للكافرين على كفرهم، أو أن تعينهم في شيء من أعمالهم.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾(١) واحذر أن يصدك المشركون عن تبليغ آيات الله سبحانه وتعالى وشرائعه، أو تتهاون في ذلك لأجلهم، فأعرض عنهم كل الإعراض، ولا تبال بهم أو باستهزائهم.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ۝٨٧﴾(٢) واحذر أن تعمل مثل أعمالهم فتكون منهم.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ تفصيلاً؟ وما العامل في ﴿بَعْدَ﴾ النصب؟ وما معنى «إذ» في قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ﴾؟

الجواب: «لا يصدنك» لا: ناهية، يصدنك: مضارع مجزوم بلا الناهية، وأصل «يصدُنَّك» يصدونَنَّك، فحذفت النون الأولى التي هي علامة الرفع للجازم، وبعد حذفها التقى ساكنان الواو التي هي الفاعل والنون المدغمة في أختها فلزم حذف الواو وبقيت الضمة على الدال لتدل عليها فصار: يصُدُّنَّك. والعامل في «بعد» النصب هو قوله: «ولا يصدنك»، و«إذ» اسم زمان مضاف إليه نحو: يوم وحين.

(٢)- **سؤال:** هل هذه النواهي على ظاهرها للمصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولو كان معصوماً؛ لتعظم هذه النواهي عند أصحابه وأتباعه إذا كانت موجهة إليه؟ أم أنها إلى الآخرين؛ فيكون الإسناد فيها مجازياً. وضحوا لنا ذلك؟

الجواب: الظاهر أنها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو المخاطب بها بدليل قوله تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ فهي من ضمن ما وجه إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من النهي والأمر، فهو وحده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المكلف بتبليغ رسالات الله، وفي توجيه النواهي إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تعظيم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولطف لأمته، وما كلف به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أمر ونهي فأمته مثله. ويجوز أن تكون النواهي الموجهة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من باب: «إياك أعني

=

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ(١) كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ(٢) لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ۝٨٨﴾ واحذر أن تتخذ إلهاً غير الله سبحانه وتعالى؛ لأنه لا إله يستحق العبادة إلا هو، فكل شيء سيفنى ولن يبقى إلا هو، وهو وحده الذي يرجع إليه الناس وهو الذي سيحاسبهم ويحكم بينهم يوم القيامة.



واسمعي يا جارة» أي: أن ذلك من باب الكناية، أي: أنه يراد بالنهي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو النهي لأمته، والكناية هي من باب الحقيقة، والإسناد فيها حقيقي.

(١)- **سؤال:** ما العلة في فصل جملة: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ عن التي سبقتها؟ وكذا ما هي العلل في فصل الجمل التالية لها عن بعضها البعض؟

الجواب: العلة في فصل جملة: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ عما تقدمها هو كونها اعتراضية، وفصلت: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ لأنها تعليل للنواهي السابقة، أي: واقعة في جواب سؤال مقدر، و﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ تعليل آخر.

(٢)- **سؤال:** ما هو القول الأصوب في نظركم السديد في قوله: ﴿وَجْهَهُ﴾؟ هل هو كناية عن الذات، أم من مجاز الزيادة، أم مما علاقته الجزئية؟

الجواب: الوجه بمعنى الذات هو مجاز مرسل علاقته الجزئية، إلا أن عظمة الخالق جل وعلا لا ينبغي أن يقال فيه ذلك؛ لتعاليه عن الجزئية والكلية، ولما في ذلك من الإيهام.

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الم۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ۝٢﴾(١)

أيظن المسلمون أنه يكفيهم الإيمان بألسنتهم فقط، فلا بد أن يختبرهم الله تعالى ويمتحن إيمانهم ذلك ليتميز صادق الإيمان ممن هو على خلافه، فيمتحنهم بالتكاليف(٢) ليظهر حالهم أمام الناس هل آمنوا حقاً أم لا، وأما هو تعالى فهو عالم بصادق الإيمان وضعيف الإيمان فلا يحتاج إلى اختباره وامتحانه، ولكنه تعالى أراد أن يظهر للناس صادق الإيمان من كاذبه، وكان السبب في ذلك هو كثرة الذين

---

(١)- **سؤال:** هل الفعل «حسب» يحتاج إلى مفعولين؟ إن كان فأين هما؟ وما الفرق بين المصدرين «أن يتركوا» و«أن يقولوا»؟

الجواب: «حسب» تحتاج إلى مفعولين إلا أن «أن» المصدرية وما دخلت عليه في تأويل مصدر قد سد مسد المفعولين. والفرق بين المصدرين: أن الأول في محل نصب والثاني في محل جر بحرف جر محذوف تقديره: لأن يقولوا، وهو متعلق بيتركوا أو بالباء، ويكون متعلقاً بمحذوف حال من الفاعل، أي: متمسكين بأن يقولوا آمنا.

(٢)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أنها تأتي ابتلاءات جديدة فكيف؟ أم تريدون أنه يصدق بحدوث التكاليف في أول الإسلام وفي أيامنا بحدوث الاختلافات مع التخلية، وبالغناء والفقر والأولاد والزوجات، ونحو ذلك؟

الجواب: اختبر الله تعالى المسلمين الأولين بحدوث تكاليف جديدة فكان أول اختبار هو التكليف بالهجرة من مكة إلى المدينة؛ فافتتن بذلك قوم من المسلمين، ثم بعد ذلك اختبر الله المسلمين بعد أن كثر عددهم في المدينة بالجهاد؛ فافتتن قوم وظهر نفاقهم، وانكشفت حقائق إيمانهم، وقد ذكر الله تعالى أولئك في سورة آل عمران عند ذكره لغزوة أحد، وفي سورة الأحزاب، وغزوة الخندق، وفي سورة المنافقين، وفي سورة النساء، وسورة التوبة و.. إلخ. والاختبار مستمر إلى يوم القيامة، فمن أعظم الاختبار اختبار أهل الإسلام بولاية علي بن ابي طالب عليه السلام، وبفضل أهل البيت عليهم السلام وخلافتهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والاختبار بالفقر والغنى والصحة والمرض والخوف والأمن، ومن الناس من يفتتن في طاعة والديه أو في صلة أرحامه أو في جيرانه أو في الأمانة أو في الزكاة أو... إلخ.

يدخلون في الإسلام، فبعضهم كان لا يدخل إلا لخوف أو لأجل مصلحة دنيوية أو نحو ذلك، فاختبرهم الله سبحانه وتعالى بالتكاليف؛ ليتبين الصادق من الكاذب، وقد اختبرهم الله سبحانه وتعالى في أول الإسلام بالحروب والجهاد كيوم أحد ويوم حنين ونحوهما، فكان لا يثبت إلا أولئك الذين أخلصوا في إيمانهم وهم القلة القليلة، وأما الباقون فكانوا يهربون ويفرون خوفاً على أنفسهم من الموت والقتل[١].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن الاختبار والابتلاء سنته

---

(١)- **سؤال:** قد يقال: إذا كان الخوف طبيعة بشرية أو كان لمشاهدة أهوال عظام فما ذنب الذي يخاف، خصوصاً مع كون الجهاد فرض كفاية، وظهور عفو الله سبحانه عنهم في أحد، ومع اشتراط تلك الشروط في كون الفرار من الزحف كبيرة؟

الجواب: في الإنسان طبائع الخوف والبخل والكبر والعجب والفخر وحب الراحة والكسل وظن السوء وحب المال و... إلخ، وهي طبائع ذميمة يقدر الإنسان أن يتخلص منها قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى۝٤١﴾ [النازعات]، وإنما سميت الأحكام الشرعية تكاليف والمؤمن مكلفاً لما فيها من الكلفة والمشقة على المؤمن، ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام: (ما من طاعة الله شيء إلا ويأتي في كره) أي: إن كل طاعة من طاعات الله ثقيل على النفس تنفر من القيام به النفس وتستثقله؛ لذلك لا يقوم بالتكاليف الشرعية إلا أهل العزائم القوية والصبر العظيم؛ لذلك نقول: إن الخوف ليس عذراً عند تحتم القتال بحصول جميع شرائطه، والبخل ليس عذراً عند وجوب الزكاة و... إلخ. وعفو الله عن أهل أحد خاص بهم، وقد يكون ذلك لأنه علم أنهم قد ندموا، وقد يكون ذلك لأنها من أول معارك النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع المشركين، وقد كان المسلمون حينذاك في ضعف بالنسبة لكثرة أعدائهم من المنافقين والمشركين، فكان التخفيف عنهم بالعفو أقرب إلى تقوية دولة الإسلام ونشر الدين، أما بعد أحد فقد شدد الله تعالى أمر الجهاد وأنزل فيه قرآناً كثيراً، وكان من آخر ما نزل سورة التوبة وذم المتخلفين عن الجهاد بما لا مزيد عليه من الذم، ولم يعذرهم حين تركوا الجهاد، إلا الذين لا يجدون ما ينفقون، وإلا أهل الأعذار الشرعية كالمرض والعمى والعرج.

في الأولين والآخرين، يختبر أتباع الأنبياء لينكشف ويتميز صادق الإيمان من غيره.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ۝٣﴾ يعني بذلك أنه أراد أن يكشف للناس أمر الصادقين وأمر الكاذبين، وأن تظهر حقيقة كل واحد على الساحة أمام الناس جميعاً[1].

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ۝٤﴾[2] فلا يظن أولئك الذين يعملون المعاصي والمنكرات أن الله تعالى لن يستطيع أن يلحقهم أو ينالهم، أو أنهم سيهربون من قبضته وقدرته، فلن يفوتوه وسيلحق بهم وسيجازيهم. ومعنى «يسبقونا»: يعجزوننا أو يفوتونا.

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ۝٥﴾ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وبالبعث والحساب ويأمل ذلك فسيلقى جزاءه يوم القيامة، وسيوفيه حسابه، وسيجازي كل امرئ على جميع أقواله وأفعاله، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها.

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ۝٦﴾ فالله سبحانه وتعالى غير محتاج لعباده ولجهادهم عن دينه، وإنما ينفعون بذلك أنفسهم، وتكليفهم بالجهاد إنما هو فتنة واختبار لإيمانهم، وتعريض لهم على الدرجات الرفيعة في الجنة.

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل يمكن أن نحمل علم الله تعالى على ظاهره، وأنه يعلم الذين صدقوا واقعياً بعد وقوع صدقهم في الاختبار، وأنه قبل الاختبار كان يعلم أنه سيقع صدقهم أو نحو ذلك؟

الجواب: نعم، معنى الآية هو كما ذكرتم، فالله تعالى يعلم من هو الذي سيجاهد ومن سيترك الجهاد، فإذا جاهد المؤمن علم الله أنه قد جاهد وسماه مجاهداً، أما قبل أن يجاهد المؤمن فلا يصح أن يعلم الله أنه قد جاهد وأنه مجاهد.

(٢)-**سؤال:** ماذا تفيد «أم» في هذه الآية؟ وكذا ما في قوله: ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾؟

الجواب: «أم» بمعنى «بل» والاستفهام فيها للإنكار، و«ما» في محل نصب تمييز، و«يحكمون» في محل نصب صفة لما.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ[١] الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ۝٧﴾ هذا وعد من الله سبحانه وتعالى للذين آمنوا به وبرسوله وعملوا الأعمال الصالحة وما كلفوا به، وعدهم الله بأنه سيمحو أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها وسيجازيهم بأجزل الثواب وأفضله.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾[٢] ثم انتقل الله سبحانه وتعالى إلى تفصيل حق الوالدين؛ لما لهما من المنزلة العظيمة والحقوق على الولد، فأمر وحتم وألزم الولد بالإحسان إلى والديه ولو كانا كافرين.

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ[٣] لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ فأمر بطاعتهما في كل شيء، واستثنى من ذلك معصية الله تعالى والشرك به، فلا طاعة لهما في معصية الخالق.

﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۝٨﴾ والولد والوالد مرجعهم جميعاً إلى الله تعالى وسيقفون بين يديه فيجازي كل واحد منهم على ما عمل من عمل[٤].

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: «أحسن» مفعول ثان؟ أم أنه حذف حرف الجر منه؛ من فضلكم بيِّنوا ذلك ليتضح المعنى؟

الجواب: هو مفعول ثان لتضمن الجزاء لمعنى الإعطاء، ويصح أن ينصب بنزع الخافض وهو الباء.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب «حسناً» تفصيلاً؟

الجواب: حسناً: مفعول مطلق؛ لأن التقدير: ووصينا الإنسان بوالديه إيصاءً ذا حسن، وقد أعربوه على عدة وجوه، ولكن ما ذكرناه أقربها، والله أعلم.

(٣)-**سؤال:** ما الوجه في تسمية عملهما جهاداً؟

الجواب: الوجه أنه لا يتوقع من المؤمن أن يترك الإيمان لأجل والديه المشركين، إلا إذا ألح عليه الوالدان من الترغيب والترهيب والتهديد والتضييق والحبس والقيد و..إلخ، فيتوقع في مثل هذه الحالة أن يطيع الولد والديه ويرتد عن الإيمان إلى الشرك. ومعنى «جاهداك» أي: بذلا جهدهما وبذلا وسعهما في الرجوع إلى الشرك، فنهى الله تعالى المؤمن إذا لقي من والديه مثل ما ذكرنا أن يطيعهما.

(٤)-**سؤال:** هل في هذه الآية تهديد للوالد والولد أم كيف؟

الجواب: نعم فيها تهديد واضح وتحذير من مخالفة أمره.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ۝٩﴾[1] فأهل الإيمان والأعمال الصالحة سيلحقهم الله تعالى بعباده الصالحين من الأنبياء والمرسلين، وسيدخلهم معهم في رحمته وثوابه.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن بعضهم يأتي إليه مدعياً أنه مؤمن بالله وبنبيه بلسانه فقط، وأما قلبه فلا زال على الكفر والنفاق.

﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾[2] كانت قريش إذا آمن أحد من أولادهم أو عبيدهم يحبسونه ويضربونه ويعذبونه حتى يرجع إلى الكفر، فحثهم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية على الصبر على الإيمان وتحمل الأذى فعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وأنه لا يصح لهم أن يرجعوا إلى الكفر لأجل ما يلحقهم من العذاب، وأن الأولى بهم أن يتحملوا ما يلحقهم من عذاب الناس بدل أن يعرضوا أنفسهم لعذاب الله تعالى. ومعنى «فتنة الناس»: تعذيبهم.

﴿وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ[3] إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ هؤلاء الذين هم

---

(١)-**سؤال:** هل «في» في قوله: «في الصالحين» على بابها؟ أم كيف؟

الجواب: الذي يظهر أنها على بابها أي: في جملة الصالحين وبينهم.

(٢)-**سؤال:** ظاهر الآية أن الوعيد على عدم تحمل العذاب والأذية، وهذا يشكل مع قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦]، وقول النبي لعمار: ((إن عادوا لك بمثلها فعد لهم))؟ أم أنه مقيد في هذه الآية بضعف الإيمان والتخلي عنه في القلب؟ فما قرائن ذلك؟

الجواب: المراد بهذا هو الذي يكفر ويتخلى عن الإيمان ظاهراً وباطناً للإكراه ودليل ذلك قوله: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ فخوف الله وخوف عذابه باعث قوي للدخول في دين الله ظاهراً وباطناً فمساواة فتنة الناس بعذاب الله تشير إلى أن فتنة الناس قد أخرجتهم من الدين ظاهراً وباطناً. وكذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ۝١٠﴾ فإن فيه ما يشهد لما ذكرنا.

(٣)-**سؤال:** هل الفعل «ليقولن» للمفرد أم للجمع لضم لامه؟

الجواب: الفعل للجمع لضم لامه، وأصله ليقولون، ثم لما أكدوه بالنون الثقيلة حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال وحذفت واو الجماعة لالتقاء الساكنين وتركوا الضمة للدلالة عليها.

ضعاف الإيمان أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عنهم بأنه إذا حصل نصر للنبي ﷺ وغنائم فإنهم يقبلون إليه يطلبون نصيبهم وحصتهم منها بدعوىٰ أنهم مؤمنون وأنهم مع النبي ﷺ، وأما في الحقيقة فهم ليسوا كذلك فقد ارتدوا عن الإيمان وأصبحوا منافقين.

﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴿١٠﴾﴾ فهو سبحانه وتعالىٰ مطلع علىٰ قلب كل إنسان، وعالم بما استكن في داخله من الإيمان والكفر.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴿١١﴾﴾ أكد الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ أنه لا بد أن يكشف أمر المؤمن وأمر المنافق بحيث تظهر حقيقة كل واحد أمام الناس جميعاً، وذلك بما يفتنهم ويختبرهم من التكاليف التي تُظْهِر كل واحد علىٰ حقيقته.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ[1] خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴿١٢﴾﴾ كان أناس من المشركين يرغبون أناساً من المؤمنين في الكفر مقابل أن يتحملوا عنهم وزر كفرهم، فأنزل الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ نبيه ﷺ هذه الآية ليخبرهم بأنه لن يحمل أحد ذنب أحد، وأن كل امرئ مسؤول عن عمله لا يحمله عنه أحد.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ سيحملون وزر أعمالهم وكفرهم وسيتحملون ذنوب وأوزار أولئك الذين[2] كانوا يضلونهم ويصدونهم عن الإيمان

---

(١)-**سؤال:** كيف يتأتىٰ من الإنسان أن يأمر نفسه؟

الجواب: الأمر هنا بمعنىٰ الخبر بدليل قوله في آخر الآية: ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴿١٢﴾﴾ ودخول لام الأمر علىٰ الفعل المضارع المبدوء بنون المتكلمين أو بهمزة المتكلم جائز وإن كان قليلاً.

(٢)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذا مع مدلول: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾ [النحل:٢٥]، يعارض: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ فكيف يُجمع بين المفهومين؟

الجواب: في الحديث: ((ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلىٰ يوم القيامة من =

من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.

﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴿١٣﴾﴾ وسيحاسبهم الله سبحانه وتعالىٰ يوم القيامة ويسألهم عن افترائهم الكذب علىٰ الله تعالىٰ ونسبة الشركاء إليه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ[1] إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴿١٤﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ أن يصبر علىٰ أذىٰ قريش وتكذيبهم وكفرهم وعدم استجابتهم، وأن ينظر إلىٰ من سبقه من الأنبياء وما لاقوا من أقوامهم، فقد لبث نوح عليه السلام يدعو قومه تسعمائة وخمسين عاماً، ومع ذلك فلم يؤمن به أحد من قومه، فعذبهم الله تعالىٰ بالطوفان وأغرقهم جزاءً علىٰ تكذيبهم وتمردهم.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ قبل أن ينزل الله سبحانه وتعالىٰ عذابه بقوم نوح أمر نوحاً عليه السلام أن يصنع سفينة له ولمن آمن معه؛ لينجُوا فيها من العذاب النازل بقومه.

﴿وَجَعَلْنَاهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ﴿١٥﴾﴾ وقد مكثت هذه السفينة بعد الطوفان قروناً عدة، تركها الله سبحانه وتعالىٰ آية لمن أراد أن يعتبر من الأمم بعدهم، ولينظروا كيف كان مصير الذين كذبوا وتمردوا علىٰ أنبيائهم؛ وقد قيل إن بقايا سفينة نوح عليه السلام لا زالت

غير أن ينقص من وزرهم شيء)) أو كما قال، فقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: أن خطايا التابعين تامة كاملة لا ينقص منها شيء، وبما أن المتبوع هو السبب في خطايا التابعين فهو في الحكم كالفاعل لها فعليه ذنبها من غير أن ينقص من ذنوب فاعليها شيء، وحينئذ فيكون الفاعل لجريمة التابعين طرفان التابع والمتبوع فيتحمل كل طرف ذنبه، فقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: من خطاياهم الخاصة بهم التي يستحقونها علىٰ فعلتهم.

(١)-**سؤال:** ما إعراب «ألف سنة»؟

الجواب: «ألف» ظرف زمان؛ لأنه أضيف إلىٰ ظرف فأخذ منه ظرفيته.

قائمة إلى اليوم والله أعلم بصحة ذلك(١).

﴿وَإِبْرَاهِيمَ(٢) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴿١٦﴾﴾ وكذلك قص الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم قصة إبراهيم عليه السلام ودعوته لقومه إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده وترك عبادة الأصنام؛ ليحذر قومه أن ينزل بهم سخط الله وعذابه كما نزل بقوم إبراهيم، وليعتبروا بهم إن كانوا من أهل العقول.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾(٣) يحاججهم إبراهيم عليه السلام

---

(١)- **سؤال:** يقال: هل يمكن أن يكون جعلها آية- إبقاءها عبرة معنوية لمن تفكر وتأمل في خبرها المتواتر المشهور بين الناس وخبر أهلها، لا آية حسية كما في إبقاء فرعون وحفظه؟

الجواب: نعم، يصح ذلك لأن العبرة تحصل بالخبر المعلوم كما تحصل بالمرئي المحسوس، فهي آية لمن رآها ولمن لم يرها.

(٢)-**سؤال:** علام عطف قوله: «وإبراهيم»؟

الجواب: معطوف على «نوحاً»، أو على ضمير المفعول في «أنجيناه»، أو لفعل محذوف.

(٣)-**سؤال:** ما العلة في تسمية انتحالهم الكذب خلقاً؟ وهل هي من أقوى الأدلة على نسبة فعل العبد إليه؟ وهل يؤخذ منها جواز تسمية فعل الإنسان خلقاً؟ إن كان فما هو الداعي لأكثر العدلية والزيدية إلى عدم استخدامها في ألفاظهم والتعبير بدلاً عن ذلك بقولهم: «فاعل الشر» ونحوه؟

الجواب: سمي الكذب خلقاً في هذه الآية لوجود المعنى الموضوع له لفظ الخلق والخلق هو التقدير، أي: تقدرون إفكاً، فكأن الإفك المذكور في هذه الآية كان إفكاً اجتمع على صنعته أهل الرأي والمشورة، ولم يخرجوه إلا بعد أن قدروه تقديراً وأحكموه إحكاماً، وكان هذا الإفك مثل الإفك الذي أدلى به الوليد بن المغيرة المخزومي المذكور في سورة المدثر: ﴿**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴿٢٤﴾**﴾ فقول المغيرة هذا: ﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴿٢٤﴾**﴾ هو ناتج عن تفكير وتقدير ونظر عميق، فمثل هذا الكذب يصح أن يقال فيه: إن أصحابه خلقوه، أي: قدروه وأحكموه وفكروا فيه

=

ويوقظ عقولهم بأن ينظروا بها إلىٰ حقيقة ما يعبدون، فليست إلا أحجاراً ينحتونها بأيديهم، فكيف ينسبون إليها الربوبية والإلهية وهم يعلمون أنها بعيدة عن ذلك كل البعد. ومعنىٰ «وتخلقون إفكاً»: تفترون كذباً قبيحاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾[1] وأن ينظروا إلىٰ هذه التي يعبدونها من دون الله هل تستطيع أن تجلب لهم الرزق؟

﴿فَابْتَغُوا[2] عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ⑰﴾[3] فالحق أن تعبدوا الله سبحانه وتعالىٰ وحده دون الحجارة، وتطلبوا منه الرزق فهو وحده الذي بيده ذلك، وأن تشكروه علىٰ نعمه عليكم فمرجعكم إليه وهو الذي سيجازيكم علىٰ أعمالكم.

ونظروا قبل أن يخرجوه للناس. ويؤخذ من الآية: جواز تسمية الفعل المتقن المحكم الصادر من الإنسان خلقاً، وهذا مأخذ واضح. وعدول أكثر العدلية والزيدية إلىٰ لفظ: «فاعل الشر» ونحوه بدلاً عن: «خالق الشر» ونحوه هو من أجل أن أفعال الشر في الغالب خالية عن التقدير، ويمكن أن يقال: قد نقل العرف العام الخلق وما تصرف منه عن معناه العام في اللغة إلىٰ معنىٰ خاص، هو ما أوجده الخلاق العليم.

(١)-**سؤال:** ما السر في فصل هذه الجملة عن سابقتها؟

الجواب: فصلت لأنها علة لما قبلها أي: في جواب سؤال مقدر عن العلة.

(٢)-**سؤال:** ما معنىٰ الفاء هنا؟

الجواب: هي الفاء الفصيحة لأنها في جواب شرط مقدرٍ، هكذا: إن كانوا لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا.. إلخ.

(٣)-**سؤال:** ما السر في تعدية الفعل «اشكروا» باللام في قوله: «اشكروا له» وهو يتعدىٰ بنفسه؟ وما العلة في فصل جملة: ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ⑰﴾ عما قبلها؟

الجواب: فعل الشكر يتعدىٰ إلىٰ المفعول به بنفسه وباللام، وباللام أفصح كما في الصحاح. وفصلت جملة: «إليه ترجعون» عما قبلها لأنها علة لما قبلها.

﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فانظروا إلى تلك الأمم كيف كان مصيرها عندما كفرت وكذبت بأنبيائها، وكيف أهلكهم الله سبحانه وتعالى بسبب ذلك، وأنتم إن كذبتم فسيحل بكم مثل ما حل بهم.

﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾ وأخبرهم الله أن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قد فعل ما يجب عليه من تبليغهم وإعذارهم وإنذارهم، وأما أمر حسابهم وجزائهم فهو على الله سبحانه وتعالى وهو الذي سيتولى ذلك.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ[1] اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ ثم وجه الله سبحانه وتعالى الخطاب إلى مشركي قريش؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث والحساب، ويزعمون أن من مات فقد انتهى بموته كل شيء، فكيف يستطيع الله تعالى أن يحيي العظام وقد صارت تراباً؟ فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن ينظروا ويتفكروا في بداية خلقهم كيف خلقهم وأوجدهم من العدم؟ فإن فطر عقولهم ستذعن إلى أن الذي قدر على خلقهم وإيجادهم من العدم قادر على أن يعيد خلقهم مرة أخرى.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾[2] ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يأمر قومه أن يسيروا في الأرض فينظروا في مخلوقاته كيف أوجدها واخترعها من العدم بقدرته.

---

(١)- **سؤال:** ما العلة في التعبير بالرباعي في الفعل «يبدئ» مع صلاحية الثلاثي، كما في الآية التي بعدها، إن لم نقل بعدم صلاحية الرباعي كما يتبادر إلى الأذهان؟

الجواب: الثلاثي «بدأ» والرباعي «أبدأ» بمعنى واحد، كما في مختار الصحاح، ولعل اختيار الرباعي في الآية الأولى لمجاورته لقوله: «يعيده» فيتوافقا في الوزن.

(٢)- **سؤال:** هل هذه الآية تكرير لسابقتها؟ أم أن فيها فائدة جديدة؟ وضحوا ذلك.

الجواب: ليس في ذلك تكرير؛ لأن الآية الأولى استنكر الله فيها عدم نظرهم فيما خلق من آياته، وفي هذه الآية أمرهم بالنظر، وهي نحو أن تقول: ما لك يا فلان لا تقرأ ولا تتعلم، اقرأ وتعلم.

﴿ثُمَّ اللَّهُ[١] يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ فمن ابتدأ خلقها فهو قادر لا محالة على أن يعيد[٢] خلقها مرة أخرى، يعلم ذلك كل عاقل إذا نظر وتفكر.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ وقد اقتضت حكمته أن لا يعذب إلا من استحق العذاب، وأما المؤمنون فهم في رحمته وثوابه، ويوم القيامة سوف يرجع جميع الناس إليه للحساب والجزاء.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ أنتم أيها الكفار لستم معجزين لله تعالى فأنتم تحت قبضته وسيطرته، ولا مفر ولا مهرب لكم من قبضته، فلا تظنوا أنكم تستطيعون الهروب والفرار من الله تعالى ومن حسابه وجزائه، ولن تجدوا لكم حين ذلك من ينصركم أو يدفع عنكم العذاب، فلا صاحب ولا قريب.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ

(١)-**سؤال:** ما العلة في تقديم المسند إليه هنا، وكان حقه التأخير لمناسبة ما قبله؟

الجواب: أمرهم الله تعالى في هذه الآية أن ينظروا كيف بدأ الخلق، فإذا نظروا فسيعلمون أن الذي بدأ الخلق هو الله. «ثم الله ينشئ» أي: ثم الله الذي عرفتموه بعد النظر والتفكر في بدء الخلق ورأيتم آثار عظيم قدرته هو الذي ينشئ النشأة الآخرة بعد الموت، وبهذا يعرف السبب الداعي إلى إظهار الاسم العظيم وتقديمه؛ فالذي قدر على البدء هو وحده القادر على الإعادة.

(٢)- **سؤال:** إذا قيل بأن الإنشاء يدل على ابتداء خلق جديد لا على إعادة ما أصله موجود، فالإنشاء ليس أسهل من البداية؛ فكيف يجاب على ذلك؟

الجواب: يقال في الجواب: الإنشاء –سواء كان ابتداء خلق أم إعادة الأولى– يكون أسهل هذا ما تعهده العقول وتحكم به، وذلك من حيث ما تعهده في مصنوعات البشر أن من ابتدأ صنع آلة محكمة ونجح في صناعتها ثم أراد أن يصنع مثلها فإن صناعتها تكون أسهل عليه، وذلك لأنه قد اكتسب من الصناعة الأولى خبرة وتجربة، وهذا أمر واضح بين البشر.

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٢٣﴾﴾(١) تهديد من الله سبحانه وتعالىٰ للمكذبين بآياته وبأنبيائه ورسله والمنكرين للبعث والحساب، فأخبرهم أن لا حظ ولا نصيب لهم في شيء من رحمته وثوابه.

﴿فَمَا كَانَ(٢) جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴿٢٤﴾﴾(٣) فعندما دعاهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ الله تعالىٰ وإلىٰ عبادته وترك عبادة الأصنام كان جوابهم عليه أن أضرموا له النار ليلقوه فيها ويستريحوا منه، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ جعلها برداً وسلاماً عليه فخرج منها أمام

---

(١)- **سؤال:** ما السر في التعبير عن حرمانهم بالماضي وذلك في قوله: ﴿يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾؟ وما فائدة إعادة المبتدأ باسم الإشارة «أولئك»؟

الجواب: التعبير بالماضي هو الظاهر فقد يئس الذين كفروا بآيات الله ولقائه من رحمة الله في الدنيا، فكل كافر بذلك هو يائس في الدنيا من رحمة الله لا يؤمل ولا يرجو شيئاً من رحمة الله وثوابه. وأعيد اسم الإشارة في قوله: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٢٣﴾﴾ ليشير إلىٰ أنه قد ظهر استحقاقهم للعذاب الأليم وانكشف، وكأنه قد استوضح للناس جميعاً.

(٢)- **سؤال:** أين اسم كان في هذه الآية؟

الجواب: اسمها هو«أن قالوا»، فهو في تأويل مصدر مرفوع.

(٣)- **سؤال:** يقال: ما العلة والحكمة في تأخير جواب قوم إبراهيم عن آية دعائه لهم مع تخلل ست آيات في الحديث عن كفار قريش؟ وهل لها نظير؟

الجواب: هذا من باب الاستطراد، وهو باب يحسن عند أهل البلاغة، فيحسن من المتكلم أن يخرج من الموضوع الأصلي إلىٰ موضوع آخر إذا حصل سبب لذلك، ثم إلىٰ موضوع آخر، ثم إلىٰ آخر، ثم يعود للموضوع الأصلي. وفي القرآن الكريم أمثلة من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء:١٠٥]، فإنه مرتبط بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ...﴾ [الإسراء:٨٨]، وبين ذلك أكثر من عشر آيات، وليس ذلك بعيب في الكلام بل إنه مما يستظرف ويحسن عند البلغاء غاية الإحسان.

أعينهم جميعاً سالماً ففي ذلك آية عظيمة لهم إن أرادوا أن يتعظوا ويعتبروا، ويعلموا أنهم في ضلال.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ[1] بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يخاطب إبراهيم عليه السلام قومه بأنكم لم تتخذوا هذه الأصنام وتعبدوها إلا لأجل أهواء أنفسكم، وإشباع شهواتكم ورغباتكم بالتواد والتواصل بينكم، وذلك لما يحصل من اجتماعهم عندها من اختلاط الرجال بالنساء، والرقص والغناء، واللهو واللعب، ونحو ذلك.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ ويوم القيامة لن تجتمعوا كما كنتم تجتمعون في الدنيا حول أصنامكم هذه بل كل واحد سيلعن صاحبه، ويتهم كل واحد منكم الآخر بأنه السبب في ضلاله وإغوائه وكفره، ولن ينفع أحد الآخر كما هو شأنكم في الدنيا من الاجتماع والتآلف على المعاصي والشهوات.

﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝٢٥﴾ ومرجعكم جميعاً إلى جهنم، وعذابها ولن تجدوا من يدفع عنكم عذابها.

﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لم يؤمن لإبراهيم عليه السلام من قومه (أهل بابل) إلا لوط عليه السلام[2].

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب «مودة بينكم»؟ وما الوجه في إضافتها إلى الظرف؟ وهل تنوينها ونصب الظرف هو الأولى؟

الجواب: «مودة» مفعول من أجله، أو مفعول ثان لاتخذتم. وتنوين مودة ونصبها هو الأصل. والإضافة هنا مثل الإضافة في قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ..﴾ [سبأ:٣٣]، ويمكن أن يلحق هذا بالإسناد المجازي.

(٢)-**سؤال:** من أين نفهم هذا الحصر في لوط عليه السلام؟

الجواب: فهم ذلك من تخصيص لوط عليه السلام بالذكر؛ إذ لو كان معه غيره لذكروا جرياً على سنة الله عند ذكره لرسله، فإنه يذكر المؤمنين الذين اتبعوه، ولم يذكر هنا إلا لوطاً عليه السلام.

﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي[١] إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝٢٦﴾ بعد أن دعا إبراهيم قومه أمره الله سبحانه وتعالى أن يهاجر إلى أرض الشام، وقد لحق به لوط[٢]، ثم إن الله تعالى أنزل عذابه بأهل بابل، وأبادهم واستأصلهم بالزلازل التي ضربتهم حتى تهدمت عليهم سقوف منازلهم، وقتلتهم جميعاً.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ[٣] النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ وبعد أن هاجر رزقه الله سبحانه وتعالى بالأولاد فولد له إسحاق وكان نبياً، وولد لإسحاق يعقوب وكان نبياً أيضاً، وبارك الله تعالى في ذريته فجعل النبوة في عقبه.

﴿وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وهو ما رزقه من الذرية المباركة الصالحة وما أخرج من الأنبياء من عقبه، وما جعل له من الذكر الحسن إلى يوم القيامة فما من أمة إلا وقد أمرت بالصلاة عليه والثناء والمدح له[٤].

---

(١)-**سؤال:** هل معنى «إلى ربي»: من أجل ربي؟ أو على حذف مضاف أي: إلى مرضاة ربي؟ أم ماذا؟ ماذا؟

الجواب: قد يصح الأمران، وتكون الغاية المستفادة من «إلى» على الأمر الثاني معنوية.

(٢)-**سؤال:** من أين نستفيد أن لوطاً لحق بإبراهيم عليهما السلام إلى الشام؟

الجواب: استفيد ذلك من قول ضيف إبراهيم المكرمين لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ... قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ فاسم الإشارة يدل على أن القرية بالقرب من مكان إبراهيم عليه السلام، ومن قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ۝٧١﴾ [الأنبياء].

(٣)-**سؤال:** هل الضمير في «ذريته» يعود إلى يعقوب عليه السلام؟ أم إلى إبراهيم عليه السلام؟ أم إلى إسحاق؟

الجواب: الأولى عود الضمير إلى «إبراهيم»؛ لأن السياق في ذكر إبراهيم.

(٤)-**سؤال:** ما الوجه في تسمية هذه العطاءات أجراً؟

الجواب: سماها تعالى أجراً وإن كانت فضلاً لوعده تعالى للمحسنين بثواب الدنيا والآخرة، ولتعظم في نفس أولياء الله، مع ما في ذلك من اللطف الداعي للمؤمن إلى الجد والعمل الدؤوب فيما يكسبه الأجر والثواب.

﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ۝٢٧﴾ ولم ينقص ثوابه في الدنيا شيئاً مما أعده الله له من الثواب في الآخرة، وسيثيبه الله سبحانه وتعالى ثواب الأنبياء.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ۝٢٨﴾(١) ثم إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى لوط عليه السلام بالنبوة وأرسله إلى خمس قرى من قرى الشام، وكان أهلها يعملون المنكرات والفواحش من اللواط، وقطع الطريق والنهب، والاعتداء على الناس، وكانوا يجاهرون بالمعاصي والمنكرات من دون أي خوف أو حياء، فكان الرجل ينكح الرجل جهرة أمام الملأ، فبعثه الله سبحانه وتعالى إليهم لينهاهم عن ذلك ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الأصنام والمعاصي والمنكرات والفواحش.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾(٢) واستنكر عليهم ما كانوا يأتونه من المعاصي من إتيان الرجال بعضهم بعضاً علناً، وقطع الطريق(٣) على الناس ونهبهم وأكل أموالهم، وفعل المنكرات والفواحش(٤)

---

(١)- **سؤال:** يقال: كيف ساغ وصف الفاحشة بقوله: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا...﴾ إلخ؟ أم أنها غير صفة؟ فوضحوا ذلك أمدكم الله بألطافه السَّنِيَّة.

الجواب: جملة «ما سبقكم» في محل نصب حال من الفاعل أو من المفعول، أي: حال كونكم مبتدئين بها، أو حال كونها مبتدأً بها.

(٢)-**سؤال:** ما العلة في إفراد المنكر؟

الجواب: أفرد لأنه أراد الماهية، أي: ما صدق عليه اسم المنكر واحداً أو أكثر.

(٣)- **سؤال:** هل يمكن أن يحمل السبيل الذي يقطعونه على مأتى النساء الذي جعله الله لهم على معنى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ﴾ [الشعراء:١٦٦]؟

الجواب: يجوز ذلك، وقد فسروها به، والأقرب ما ذكرناه.

(٤)- **سؤال:** وردت آثار في المنكر الذي كانوا يعملونه في نواديهم مثل الخذف بالحصى ونحو ذلك، فما رأيكم في ذلك؟ وهل يمكن أن نحملها على ما صح عن أئمتنا من أخبار نحو: ((عشر

=

في النوادي التي جعلوها لذلك علناً أمام مرأى ومسمع جميع الناس.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴿٢٩﴾﴾ فهذا هو جوابهم على نبيهم استهزاءً به وبما جاء به، فكانوا يقولون له: إن كنت صادقاً كما تزعم فعجل بنزول عذاب الله علينا الذي تتوعدنا به.

﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴿٣٠﴾﴾ وعندما رأى منهم ما رأى من التكذيب والاستهزاء، وبعد سماعه لجوابهم هذا دعا الله سبحانه وتعالى أن يعجل بنصره وينزل عليهم عذابه.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴿٣١﴾﴾ وهؤلاء الرسل الذين دخلوا على إبراهيم(1) عليه السلام هم الذين نزلوا بالعذاب على قوم لوط، فقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعوته،

من أفعال قوم لوط فاحذروهن: إسبال الشارب، ومضغ العلك، و... إلخ))؟

الجواب: تلك العشر من أعمالهم، ولكن ينبغي تفسير المنكر في الآية بما هو أعظم منها وأدخل في اتصافه بالمنكر، والعشر الخصال من فروع الدين الجزئية وليست من أساسيات الدين. **وبعد،** فقوله: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ يدل على أنهم كانوا يخصون النادي بفعل المنكر فيه، ولا يصح ذلك في إسبال الشارب.

(١)- **سؤال:** هل عرف اسم القرية التي كان يسكنها إبراهيم عليه السلام؟ وكم المسافة بينها وبين قرية لوط عليه السلام؟ وما السر في تسميتها قرية وهي خمس قرى كما تقدم؟

الجواب: قرية إبراهيم عليه السلام كانت في كنعان، وقرية لوط عليه السلام كانت قريبة من قرية إبراهيم عليه السلام بدليل: ﴿إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ فاسم الإشارة يدل على أن الرائي يراها من قرية إبراهيم. سميت قرية مع أنها خمس كما روي؛ لأنها كانت القرية الكبرى وعاصمة قراهم، وبقية القرى ليست إلا صغاراً مضمومات في جوانب القرية الكبرى، والقرية الكبرى تجمعهم وتجمع الفساد والمنكر، وفيها النادي الجامع لقوم لوط عليه السلام، والمعروف أنه يعبر باسم العاصمة عن بقية المدن والقرى، هكذا يخيل إلي، والله أعلم.

فدخلوا أولا على إبراهيم يبشرونه بمولود[١] سيولد له، وأخبروه بأنهم قد نزلوا بالعذاب على قوم لوط، وقد حان موعد إهلاكهم؛ لأنهم قد استوجبوا ذلك.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ۝٣٢﴾ فخاف إبراهيم على لوط عليه السلام وأخبر الملائكة بأنه لا زال في القرية، فأجابوه بأنهم يعلمون ذلك، وأنهم سينجونه وأهله إلا امرأته فقد استحقت العذاب مع قومها. والغابرين: يعني به الهالكين.

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾[٢] وبعد أن خرجوا

---

(١)- **سؤال:** يقال: إن كان المبشر به هنا هو إسحاق عليه السلام نظراً لقوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ۝١١٢﴾ [الصافات]، فيضعفه تقدم الحكاية عنه آية (٢٧)؟ وإن كان إسماعيل عليه السلام فيضعفه أن البشارة به في الصافات قبل إسحاق، وأنه وجد حال مهاجرة أبيه، وظاهر ما هنا أنه وجد بعد إسحاق؛ فكيف؟

الجواب: بشر نبي الله إبراهيم عليه السلام مرتين مرة بإسماعيل ومرة بإسحاق كما في الصافات، وكان المبشر به أولاً إسماعيل كما ذكرتم. فالبشرى المذكورة هنا هي بإسحاق، بقرينة أن إهلاك قوم لوط عليه السلام متأخر عن مهاجرتهما إلى الشام، فالمعروف من سنن الله أنه لا يهلك المكذبين بدعوة رسله إلا بعد طول إنذار، وبعد إقامة حجج الله عليهم. وقال تعالى في الآية المتقدمة: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ..﴾ ويبعد أن يقول ذلك قبل أن يولد لإبراهيم يعقوب عليهما السلام.

(٢)- **سؤال:** ما هو إعراب «أن» في قوله: «أن جاءت»؟ وما يكون إعراب الجميع؟ وما إعراب «ذرعاً» أيضاً؟

الجواب: «لما» ظرف مضمن معنى الشرط متعلق بـ«سيء». «أن» صلة، وجملة «جاءت..» جملة الشرط، وجملة «سيء بهم..» جملة الجواب. «ذرعاً» تمييز محول عن فاعل.

سؤال: ما نوع التعبير في قوله: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾؟

الجواب: هو كناية عن ضيق الوسع والطاقة، أو عن امتلاء القلب بالهموم، كما يُفْهِم الاستخدام في الأمرين كلامُ القاموس المحيط.

من عند نبي الله إبراهيم عليه السلام ذهبوا إلى لوط، وعندما رآهم ضاق بهم ذرعاً، واستاء بوجودهم خوفاً عليهم من قومه أن يفعلوا بهم الفاحشة.

﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ(١) وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۝٣٣ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝٣٤﴾(٢) فطمأنوه بأن لا يخاف عليهم فلن يستطيعوا أن يلحقوا بهم أي سوء أو مكروه، وأخبروه بأنهم رسل الله قد نزلوا بالعذاب على قومه لإهلاكهم واستئصالهم بعد أن ينجوه وسائر أهله عدا زوجته، ومعنى «رجزاً»: عذاباً شديداً.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٣٥﴾(٣) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى

---

(١)- **سؤال:** يقال: ما السر في ابتدائهم بإخباره بنجاته وأهله قبل إخباره بإنزال العذاب على قومه؟

الجواب: السر في ذلك -والله أعلم- أن يطمئنوه أولاً قبل أن يصدموه بخبر الخوف الذي لا تتحمل البشر رؤيته لعظمه وفضاعته.

(٢)- **سؤال:** هل يؤخذ من الآية أن خوف المؤمنين من توقع مكروه لا يضر إيمانهم؟ إن كان فما هو الخوف المذموم؟

الجواب: الخوف لا يخل بالإيمان؛ لأنه طبيعة لا يمكن التخلص منها. والمراد بالخوف المذموم هو الخوف الذي ينتج عنه ترك واجب أو فعل محرم؛ لذلك يكون الذم هو ترك الواجب أو فعل المحرم لا الخوف نفسه؛ لذلك ذم الله تعالى الذين تركوا الهجرة إلى المدينة خوفاً من المشركين مع تمكنهم من الهجرة، وذم الذين ارتدوا عن الإسلام خوفاً من المشركين، وهم الذين ذكرهم الله في أول هذه السورة بقوله: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ...﴾** الآية [العنكبوت:١٠].

(٣)- **سؤال:** لا زال يشكل علينا تحليل أسلوب التعبير هذا: **﴿تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً﴾**، فضلاً أوضحوه لنا مع معنى «من» في الآية؟

الجواب: «منها» حال من «آية» متعلق بمحذوف، و«من» لابتداء الغاية، أي: أن الآية ناشئة من القرية أي: أن الآية نتجت من القرية وخرجت منها كخروج الولد من أمه.

أن آثار قراهم لا زالت قائمة لمن أراد أن يذهب لينظر إليها ويتفكر فيها، ويعتبر بما حل بأهلها من العذاب، ويحذر أن يفعل مثل أفعالهم فيحل به مثل ما حل بهم.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ[1] شُعَيْبًا فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ۝٣٦﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن قصة أهل مدين مع نبيهم شعيب[2] عليه السلام، فأخبر أنه قد أرسل إليهم نبياً منهم يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الأصنام، وأن يؤمنوا بالبعث والمعاد بعد الموت والحساب والجزاء، ونهاهم عن الفساد في الأرض من قطع الطريق ونهب الأموال، وأكل أموال الناس بالباطل.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ۝٣٧﴾ ولكنهم رفضوا دعوته وتمردوا عليه فعاقبهم الله تعالى ليلاً بالرجفة[3]، فزلزل عليهم الأرض، ولم يصبح على أحد منهم. ومعنى «جاثمين»: جثثاً هامدةً لا حراك بها.

---

(١)-**سؤال:** ما هو العامل في قوله: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾؟

الجواب: العامل فيه فعل محذوف معطوف على أرسلنا في قصة نوح، أي: وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيباً.

(٢)-**سؤال:** يشكل على كثير من المرشدين قصة شعيب وإهلاك قومه متى كان؟ فظاهره متقدم، وظاهر هروب موسى إليه وقصة زواجه بابنته أنه متأخر، وأن مدين عمرت بأهلها كما في ازدحامهم على الماء، حتى رأى بعض الإخوان أن شعيب الذي زوج موسى غير شعيب هذا الذي أهلك الله قومه بالرجفة، فما رأيكم في ذلك؟

الجواب: الذي يظهر لي -والله أعلم- أن شعيباً هذا عليه السلام هو غير شعيب موسى عليه السلام، فشعيب المذكور هنا يذكر عند ذكر نوح وعاد وثمود في القرآن، ثم يذكر موسى بعد ذلك، فهذا قرينة على تقدمه على موسى عليه السلام.

(٣)-**سؤال:** كيف يجمع بين هذا وبين ما تقدم: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ [الشعراء:١٨٩]؟

الجواب: قد تقدم الجواب على هذا في هذه الآية: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ [الشعراء:١٨٩].

﴿وَعَادًا وَثَمُودَ﴾[١] وأخبر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه أرسل إلى قبائل عاد وثمود رسله، وعاد كانت في حضرموت، وأما ثمود فكانت تسكن ما بين تبوك والمدينة، فكذبوا بأنبيائهم، فأهلكهم الله ودمرهم جزاءً على ذلك.

﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى المشركين بأنهم يمرون على مساكنهم[٢] في أسفارهم إلى الشام، ويرون آثار الدمار والعذاب على مساكنهم.

﴿وَزَيَّنَ لَهُمَ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ وأن الشيطان قد حسن لأولئك القوم أعمالهم حتى صاروا يظنون أنهم في خير العمل وعلى سواء الطريق.

﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝٣٨﴾[٣] بسبب تزيينه لهم أعمالهم

---

(١)-**سؤال:** علام نصب قوله: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ﴾؟

الجواب: نصب بفعل محذوف تقديره «وأهلكنا» دل عليه قوله: «فأخذتهم الرجفة».

(٢)-**سؤال:** متى كانوا يمرون على مساكن عاد؟ وأين فاعل «تبين»؟

الجواب: قد كان لقريش رحلتان في السنة (رحلة الشتاء والصيف)، ورحلة الشتاء كانت إلى اليمن فقد كانوا يصلون إلى جنوب الجزيرة العربية حيث ترسو سفن دول الشرق، وحيث تنسج أنواع الثياب الفاخرة، وأرى أنهم كانوا يسافرون عبر الصحراء في الربع الخالي؛ لأن الطرق الجبلية في غاية الوعورة بالنسبة للإبل التي تحمل البضائع ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦﴾ [النحل]، وطرق الجبال لا تحتاج إلى النجوم؛ لذلك أرى أنهم كانوا يصلون إلى عمان وحضرموت ومساكن عاد في حضرموت. وفاعل «تبين» هو التبين.

(٣)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ۝٣٨﴾؟

الجواب: محلها النصب على الحالية.

سؤال: ما هي الفوائد التي يمكن استفادتها من هذه الآية الكريمة: ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ...﴾إلخ؟

الجواب: يستفاد منها:

=

صدهم عن الإيمان بالله وبأنبيائه ورسله، على الرغم من أنهم كانوا من أهل العقول والبصيرة غير أن الشيطان قد تغلب عليهم وصدهم عن اتباع الأنبياء والرسل.

﴿وَقَارُونَ(١) وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ﷺ خبر فرعون وهامان وقارون، وكانوا من كبار مصر وزعمائها، فأرسل إليهم رسوله، ولكنهم رفضوا دعوته واستكبروا وتمردوا.

﴿وَلَقَدْ(٢) جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ وقد أرسل الله تعالى إليهم موسى بالآيات الواضحة والحجج المنيرة التي لا يبقى عندها أي شك أو شبهة، ولكنهم رفضوا واستكبروا.

﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ۝٣٩﴾ فأخبر الله سبحانه وتعالى أنهم ما استطاعوا أن يفروا من قبضته أو يهربوا من قدرته.

﴿فَكُلًّا(٣) أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ كل أمة من تلك الأمم المكذبة بأنبيائها كعاد وثمود وفرعون وهامان وقارون وغيرهم، قد أهلكهم الله تعالى، فبعضهم أرسل عليه حاصباً حصبه وهم قبيلة عاد لما أرسل عليهم الريح

- أن الشيطان هو الذي زين للكافرين كفرهم وأعمالهم القبيحة، ليس الله تعالى.
- أن الشيطان هو الذي صدهم عن الدين الحق والإيمان بالله، وأدخلهم في الكفر والضلال، ليس الله تعالى.

(١)-**سؤال:** هل هذا معطوف على قوله: «عاداً» أم لا؟ فما وجهه؟

الجواب: هذا معطوف على «عاداً»، وعاداً منصوب بفعل محذوف معطوف على ما قبله.

(٢)-**سؤال:** ما هي هذه الواو في قوله «ولقد»؟

الجواب: للاستئناف، والجملة مستأنفة لبيان السبب في إهلاكهم.

(٣)-**سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟ وما إعراب «كلاً»؟

الجواب: معناها التفريع والتفصيل، و«كلاً» مفعول به مقدم لـ«أخذنا».

الشديدة التي رمتهم بالحصباء، وبعضهم أهلكه بالصيحة كثمود، وبعضهم أهلكه الله تعالى بالخسف وهو قارون، وبعضهم أهلكه الله تعالى بالغرق وهم فرعون وهامان وقومهما.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ[1] وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2] فلم يظلمهم الله تعالى عندما أنزل بهم عذابه وأهلكهم، وإنما هم الذين تسببوا في هلاك أنفسهم باستكبارهم وتمردهم على أنبيائهم، وسعيهم بالفساد في الأرض.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ[3] الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ[4] بَيْتًا﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال أولئك الذين يعبدون الأصنام ويتخذونها آلهة من دونه ظناً منهم أنها التي تنفعهم وتعطيهم وترزقهم وتمنع وتدفع عنهم، فحالهم

---

(١)-**سؤال:** ما الوجه في انتصاب «يظلمهم»؟

الجواب: منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود.

(٢)-**سؤال:** كيف يمكن لنا أن نستدل من هذه الآية على هدم مذهب المجبرة؟

الجواب: يمكن من حيث إن الله تعالى نسب إليهم الظلم لأنفسهم بارتكابهم المعاصي الموبقات.

(٣)-**سؤال:** ماذا يسمى التشبيه الذي حوته هذه الآية الكريمة؟ وهل له قاعدة مطردة؟

الجواب: يسمى هذا التشبيه بالتشبيه المرسل، وهو ما ذُكِرَت فيه أداة التشبيه.

(٤)-**سؤال:** ما محل جملة «اتخذت بيتاً»؟

الجواب: محلها الجر صفة للعنكبوت.

سؤال: يشاع عند العامة بأن هذه العنكبوت تُحْتَرم وتُجَلّ زيادة على أخواتها من الحشرات؛ لكونها حمت النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين نسجت عليه خيوطها في الغار، فما توجيهكم في ذلك؟

الجواب: قد روي أن العنكبوت نسجت على باب الغار وأن حمامتين باضتا في أسفل الباب، فلا ينكر على العامة احترامهم للعنكبوت لأجل نسجها على باب الغار الذي اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحبه؛ إذ من شأن المحب أن يحب كل ما تعلق بمحبوبه أو اتصل به أو أشبه ما تعلق به.

كحال العنكبوت تلك الحشرة الصغيرة التي تنسج بيوتها التي هي في غاية الضعف والوهن، فمثل أصنامهم في نفعها لهم كمثل ذلك البيت الضعيف الذي لا يمكنه أن يحميهم من البرد أو الحر أو الرياح أو المطر أو يدفع عنهم أي شر أو يجلب لهم أي نفع؛ لضعفه ووهنه، فكذلك الأصنام لا تستطيع أن تجلب لهم أي نفع، أو تدفع عنهم أي ضرر.

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ لو كان المشركون يستعملون عقولهم، ويتفكرون في تلك الأحجار التي يعبدونها من دون الله لعرفوا أنها لا تستطيع أن تفعل لهم أي شيء من ذلك الذي يدعونه لها.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا[1] يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٤٢﴾ فهم بعبادتهم تلك إنما يعبدون أحجاراً ينحتونها بأيديهم، ولا حظ لها ولا نصيب في شيء من صفات الإلهية، وقد عبر الله تعالى عنها بلا شيء أمام قدرته وقوته وعزته وحكمته.

﴿وَتِلْكَ[2] الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ۝٤٣﴾ والأمثال التي يضربها الله تعالى لعباده إنما ضربها لهم لأجل أن يتفكروا فيها، ولكنه لن يتفكر فيها ويعرف معانيها إلا أهل العقول الذين يستعملون عقولهم، ويستجيبون لما

---

(١)-**سؤال:** هل «ما» في قوله: ﴿مَا يَدْعُونَ﴾ نافية أو موصولة؟ إن كانت موصولة فأين العائد؟ وبماذا تعلقت «من» ومجرورها ﴿مِنْ دُونِهِ﴾؟ ومن أين استفدنا أن الله عبر عنها بلا شيء؟

الجواب: «ما» نافية وعلى هذا بنينا في التفسير، وقد جوزوا فيها مع ما ذكرنا أن تكون موصولة أو استفهامية، و«من» الثانية زائدة لتأكيد عموم النفي، و«من» الأولى ومجرورها متعلق بمحذوف حال مما بعدها «من شيء». واستفيد ما ذكرنا من التعبير عن الأصنام بلا شيء من العموم ﴿مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: لا يعبدون شيئاً مع أنهم يعبدون الأصنام وغيرها.

(٢)-**سؤال:** ما وجه الإشارة إليها بالبعيد؟

الجواب: الوجه هو تعظيم المشار إليه، وأنه واضح مكشوف للعقول.

تدعو إليه فطر عقولهم(١).

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً(٢) لِلْمُؤْمِنِينَ﴿٤٤﴾﴾ ثم أخبر تعالىٰ أنه خلق السماوات والأرض وما فيهما لغرض عظيم وحكمة عظيمة، وهو ما يترتب علىٰ خلقهما من الجزاء والدار الآخرة، وإلا فما الفائدة في أن يخلقهما الله تعالىٰ ويخلق ما فيهما من البشر وغيرهم؟ وما الفائدة في إرسال الرسل إلىٰ الناس، ثم يميتهم وينتهي بموتهم كل شيء؟ فلو كان الأمر كذلك لكان ذلك من الله تعالىٰ عبثاً وباطلاً، ولكان ظالماً أن يسلط بعض الخلق علىٰ بعض ثم يميتهم من دون أن نرىٰ انتصاف بعضهم من بعض، وأيضاً أن يخلق هذا مريضاً وذاك صحيحاً، وهذا غنياً وهذا فقيراً، فلم يبق إلا أنه لا بد أن يكون هناك دار غير هذه الدار.

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يستمر في تبليغ ما أوحي إليه، فلا يصدنه ما يراه من إعراض المشركين، وصدهم عن دعوتك وتبليغك لرسالة الله

---

(١)-**سؤال:** قد يكون هناك أناس أهل ذكاء وفطنة ونظر وتأمل بدون دراسة وتعلم، ولكنهم لا يصلون إلىٰ تعقل تلك الأمثال وفهمها كما ينبغي؛ فما السر في ذلك؟ وما ينبني عليه من فائدة لنا؟

الجواب: نعم، قد يكون الأمر كما ذكرتم، أي: فلا يتعقلون ما ضربه الله من الأمثال ولا يفهمونها حق فهمها، أي: أن الكثير من المسلمين لا يفهمونها كما ينبغي، وهذا أمر ملموس وواقعي، إلا أن معاني تلك الأمثال مغروزة في عقولهم، فهم علىٰ يقين لا يخالجه شك بأن الحجر والجبل لا يستحق العبادة، وأن الله تعالىٰ هو الذي يستحق العبادة؛ لأن الحجر والجبل والشجر لم تَخْلُقْ ولم تَرْزُقْ، وأنه ليس لها حياة ولا إرادة ولا علم و... إلخ، وعلىٰ هذا فالمؤمنون يعلمون كل الأمثال التي ضربها الله تعالىٰ في القرآن ليبرهن بها علىٰ بطلان الشرك وأحقية التوحيد للواحد الحميد، وإنما لم يفهموها من القرآن لقصور علمهم باللغة العربية.

(٢)-**سؤال:** ما هو المراد بـ«آية» في هذه الآية؟

الجواب: الآية المذكورة في هذه الآية هي خلق السموات والأرض وما فيهما من المخلوقات، فالمؤمنون بعد أن نبههم الله تعالىٰ إلىٰ هذه الآية علموا أنه لا بد من البعث والجزاء.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ[١] عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ولأن شأن كل من لا يرى القبول لبضاعته أن ينكسر خاطره، وتفتر عزيمته، ويقل نشاطه، فشد الله تعالى من عزم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وأمره بالمواصلة والاستمرار في تبليغ دعوته ورسالة ربه، وأن يقيم صلاته غير مبال باستهزائهم وسخريتهم، وأخبره أن ذكر الله سبحانه وتعالى الذي هو الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من أعمال الطاعات أكبر من كل شيء[٢]، وقد خص الصلاة بالذكر تنبيهاً على زيادة أهميتها وفضيلتها على سائر الطاعات، وسميت صلاة لما تجعل من الصلة بين العبد وربه.

---

(١)- **سؤال:** يا حبذا لو عرفتمونا كيفية نهي الصلاة عن المنكرات؟ وما هي الوسائل التي تجعل صلاة الغافل ناهية له عن القبائح والسيئات؟

الجواب: تكون الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر بما فيها من إيقاظ القلب بعظمة الله وكبريائه وأنه أهل الحمد وحده والمالك لكل شيء والمنعم المتفضل بخلق الكون وما فيه وأنه المنعم بكل نعمة وأن مصائر الخلق إليه للجزاء والحساب وأنه المستحق للعبادة وحده، وبه تتحقق المطالب، وبمعونته تتم الأعمال وتحصل النتائج، وأن العبد الفقير محتاج إلى الله ليأخذ بيده في طريق الحق المستقيم الذي سلكه أولياء الله الصالحون، وينقذه مما سواه من طرق الغواية والضلال، وبما فيها من الخشوع والتواضع والتذلل لرب العالمين، ومن تنزيهه وتقديسه عن الشريك والصاحبة والولد وفعل القبيح، وما فيها من الثناء على الله وحمده والاعتراف بمننه الدينية والدنيوية، والشهادة والإقرار بوحدانيته، والاعتراف بنعمة الإسلام وبنعمة الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبأهل بيته عليهم السلام والدعاء لهم، فإن ذلك إذا كرره المسلم في الصلاة الواحدة عدة مرات مع حضور القلب ووعيه لكل ما ذكرنا، ثم يكرر ذلك في كل يوم خمس مرات؛ فحتماً سيترك ذلك أثراً قوياً في المصلي يحجز المصلي عن الفحشاء والمنكر، ويدفعه إلى فعل ما يجب عليه من طاعة الله.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن يحمل هذا على أن ذكر الله أكبر من نهي الصلاة عن الفحشاء والمنكرات؛ لأجل السياق، ويحمل ذكر الله على الدعاء إلى الله والسعي في هداية الناس، كما ورد عن بعض الأئمة الطاهرين؟

الجواب: لا مانع من ذلك لأن المراد بذكر الله هو الذكر القلبي الذي يبعث على أداء ما افترض الله وترك ما نهى عنه.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴿٤٥﴾﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى أنه مطلع على عمل كل امرئ، وسيجازي المشركين على أعمالهم من التكذيب والسخرية والاستهزاء، وسيجازيك الله تعالى يا محمد أجر تبليغك رسالة ربك وما أوحي إليك.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كان اليهود حول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة وكانوا كثرة؛ فنهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عن التعنيف والقسوة في جدالهم، ونحو ذلك من الأعمال التي تتسبب في تنفيرهم عن الإسلام، وتغيير نظرتهم تجاه المسلمين.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا(١) مِنْهُمْ﴾ واستثنى الله سبحانه وتعالى منهم أولئك الذين كانوا يكيدون للإسلام ويحاولون الإفساد فيه، ويسعون في إضلال الناس وإفساد أمر الدعوة، فهؤلاء قد رخص الله سبحانه وتعالى للمسلمين في التعنيف والقسوة عليهم.

﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴿٤٦﴾﴾ يرشد الله سبحانه وتعالى عباده إلى هذا القول معلماً لهم كيف يجادلونهم، وأخبرهم أن القول اللين يكون أدعى إلى تأليف قلوبهم نحو الإسلام والمسلمين، ولما فيه من الترغيب في الإسلام إن أرادوا الدخول فيه(٢).

---

(١)- **سؤال:** ما رأيكم فيما قيل عن علماء النحو بأن معنى ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: ولا الذين ظلموا منهم، بحجة أنهم ظالمون جميعاً، وبالتعميم المستفاد من آية النحل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]؟

الجواب: الظاهر أن «إلا» للاستثناء ولا مانع من حمله على ظاهره، فالمجادلة بالتي هي أحسن هي للملتزمين بالوفاء بالعهود، والاستثناء هو لأهل الحرب منهم وأهل الغدر والخيانة الذين يسعون بالفساد على الإسلام وأهله، وعلى هذا فيكون هذا الاستثناء مخصص لآية النحل أيضاً.

(٢)- **سؤال:** إذا قيل: بأن هذا قد يكون من المصانعة أو من المداهنة المنهي عنها، فكيف يجاب على ذلك؟

الجواب: يقال: هذا القول لأهل الوفاء بالعهود التي بينهم وبين المؤمنين، فما داموا ملتزمين بها =

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أنزلنا إليك القرآن يا محمد مثل ما أنزلنا على الأنبياء من قبلك الكتب، وهناك طوائف من[١] أهل التوراة ومن أهل الإنجيل قد آمنوا بما أنزل إليك.

﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ وأنّ مِنْ قومك يا محمد ومَنْ حولهم من العرب أناساً سيؤمنون به وبما جاء فيه.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾ وأما أكثر الناس[٢] فقد امتلأت قلوبهم كفراً واستكباراً فلن يؤمنوا به أبداً.

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان أمياً لم يقرأ أي

شرط عليهم في العهد فلا مداهنة ولا مصانعة، ولا ينبغي أن نؤذيهم لا في دينهم ولا في دنياهم ما داموا ملتزمين بالوفاء، فلا يجوز أن نهريق خمرهم أو أن نمنعهم من عصره وبيعه من بعضهم البعض؛ لأنهم يستحلون ذلك في دينهم؛ لدخولهم في العهد والذمة والجزية ووفائهم بذلك، وعلى هذا فإقرار أهل العهد والذمة على دينهم وعدم التعرض لهم فيما عوهدوا عليه من دينهم خارج عن المداهنة والمصانعة المذمومة.

(١)-**سؤال:** يقال: ما السر في قصرها على طوائف منهم مع أن ظاهر اللفظ العموم؟

الجواب: يمكن أن يقال: إن المراد بقوله: «الذين آتيناهم الكتاب» هم الذين آمنوا بالقرآن ونبي القرآن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دون من كفر، بدليل قوله في آخر الآية: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾ فمن كفر بالقرآن من اليهود يكون كافراً، ويخرج من تحت اسم أهل الكتاب في حكم الله؛ لأن كفرهم ببعض ما أنزل الله في التوراة يخرجهم عن كونهم من أهلها.

(٢)-**سؤال:** من أين نستفيد هذا من الآية؟

الجواب: نستفيده من قوله: ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾، فالكافر الذي يتلو عليه رسل الله آيات الله وحججه وبيناته، ثم يكذب بها بعد أن عرفها وتبينها- لا يتوقع منه الإيمان، هذه سنة الكافرين ومكذبي الرسل، ولم يستثن الله منهم إلا قوم يونس، فإنهم آمنوا بعد الكفر والتكذيب.

كتاب قبل نزول القرآن عليه، ولم يتعلم عند أي أحد القراءة أو الكتابة، وأنه لو كان كذلك وكان قد تعلم قبل نزول القرآن لكان ذلك مدخلاً للمشركين وغيرهم في الشك والريبة في أمره، غير أنهم عالمون أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يخالط أهل كتاب قط أو يتعلم منهم؛ لذلك سيعلم قومك أن ما تتلوه عليهم من عند الله.

﴿بَلْ(١) هُوَ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾(٢) ارتسم القرآن وبيناته في صدور المؤمنين، وعلموا أنه من عند الله فآمنوا به واستنارت به قلوبهم.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴿٤٩﴾﴾ ولم يبق للمشركين والمنكرين أي حجة أو عذر في حجية ما جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولم يكن إنكارهم لما جاءهم به من القرآن إلا كبراً وعناداً.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا(٣) أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ وهؤلاء هم المشركون يحتجون على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه إن أراد أن يؤمنوا له ويستجيبوا لدعوته فليأتهم بآيات يرونها كتلك التي أنزلت على موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء.

﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فأمره الله سبحانه وتعالى بأن يجيب عليهم أن أمر ذلك إلى الله تعالى، وأنه وحده هو الذي يختار آياته وينزلها متى شاء.

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة الإضراب هنا؟

الجواب: الإضراب هنا هو عن الارتياب في قوله: ﴿لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴿٤٨﴾﴾.

(٢)-**سؤال:** هل في هذه الآية دلالة على أن حفظ القرآن في الصدر أولى من كتابته وقراءته أم كيف؟

الجواب: نعم، فيه إشارة إلى ذلك، ولا ريب أن حفظ القرآن في الصدر فضيلة عند العلماء وغيرهم من عوام المسلمين.

(٣)- **سؤال:** ما معنى «لولا» في هذه الآية؟ وهل نفهم من هذه الآية جحدانهم لكون القرآن معجزة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

الجواب: معناها التحضيض، ولدخولها على الماضي تفيد التنديم، ويفهم من هذه الآية أنهم لم يعتدوا بالقرآن أنه آية ومعجزة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ۝﴾ وأن يخبرهم بأنه ليس إلا رسولاً مبلغاً ما أمره ربه بتبليغه، وأما اقتراحهم الآيات على الله تعالى فليس ذلك بيده.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾(١) ثم أجاب الله سبحانه وتعالى بأنه يكفيهم من الآيات أنه قد أنزل عليهم القرآن إن أرادوا الإيمان فهو آية واضحة وبينة، فإن من سمعه أيقن أن هذا الكلام ليس من كلام البشر، وأنه من عند الله تعالى، ولمعرفتهم بلغة العرب وما يتمتعون به من الفصاحة والبلاغة سيعرفون عند سماع آياته أنه خارق لقوى البشر عن الإتيان بمثله، وأنه لا يقدر على مثله إلا الله سبحانه وتعالى.

هذا، وقد كان من سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الناس يتلو القرآن يتأثر به وربما آمن به، ولذا كانت قريش تصد الناس عن الذهاب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والسماع إليه، وكانت تمنع من أراد ذلك بأي وسيلة استطاعت، وكانوا يقفون على أبواب مكة ومداخلها يحذرون كل من أقبل إليها من العرب من السماع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وينفرونهم عنه بأن من ذهب واستمع إليه فإنه يصيبه بسحره ويؤدي إلى جنونه.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ۝﴾ وأنه قد أنزل عليهم القرآن رحمة منه بهم ليستنقذهم من ظلمات الشرك والجهل إلى نور الحق والهدى، وما فيه صلاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة(٢).

---

(١)-**سؤال:** أين فاعل «يكفهم»؟ وما محل جملة ﴿يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾؟

الجواب: الفاعل هو«أن» وما دخلت عليه؛ إذ هو في تأويل مصدر، و«يتلى عليهم» في محل نصب حال من الكتاب.

(٢)- **سؤال:** هل يستوحى من هذه الآية أن معجزة القرآن كونه رحمة ومصدر هداية بمواعظه وتعاليمه أم لا؟

الجواب: من أي جهة أتيت القرآن تجده معجزاً، فإن أتيته من جهة البلاغة والفصاحة وجدته معجزاً، وإن أتيته من جهة التشريع وجدته معجزاً و... إلخ.

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(١) وأمره أن يخبرهم بأنه يكفيه شهادة الله تعالى بأنه قد بلغهم، وأنهم قد عاندوا واستكبروا، وسيجازيهم على كفرهم وعنادهم هذا.

﴿وَالَّذِينَ(٢) ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ۝٥٢﴾ وأخبرهم يا محمد بأن من آمن بالأصنام وكفر بالله تعالى فهذا هو الخاسر الذي خسر الدنيا والآخرة.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ ثم أخبر الله تعالى أن المشركين كانوا يستعجلون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بإنزال العذاب عليهم، ويتحدونه بأنه إن كان صادقاً فيما يدعي فليعجل بنزول العذاب الذي يهددهم به.

﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ ثم أجاب الله سبحانه وتعالى أنه لولا حكمته التي قد اقتضت أن يضرب لهم أجلاً معلوماً، ويحدد لهم وقتاً لتعذيبهم لعذَّبَهم الآن، ولكن حكمته قد اقتضت أن يبلغوا ذلك الأجل المعلوم.

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ۝٥٣﴾ وأنه سيفاجئهم بالعذاب(٣) في الدنيا

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾؟ وما محل جملة: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؟

الجواب: «كفى» فعل ماض. «بالله» الله فاعل مجرور لفظاً مرفوع محلاً، والباء زائد. «شهيداً» تمييز. «بيني وبينكم» متعلق بشهيداً، وجملة «يعلم...» لا محل لها من الإعراب؛ لأنها عطف بيان.

(٢)-**سؤال:** هل الواو عاطفة؟ فما وجه عطفها على الفعلية؟ أم استئنافية؟

الجواب: الواو استئنافية لبيان مصير الكافرين المذكورين قبل هذه الآية، ومع كونها استئنافية فإن فيها فائدة الربط الصوري.

(٣)-**سؤال:** وهل يمكن أن يكون هذا العذاب الموعود به هو النار يوم القيامة أم لا؟

الجواب: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينذر قريشاً بعذاب أليم في الدنيا كالعذاب الذي نزل بالمكذبين الأولين: ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ۝١٣﴾ [فصلت]، والإنذار بمثل هذا لقريش في القرآن كثير، ويصح أن يكون العذاب الذي استعجلوه هو عذاب يوم القيامة في نار جهنم.

فلماذا الاستعجال؟ وسينزله بهم في حين غفلة منهم.

وقد اقتضت حكمته تعالى أن لا يستأصل جميع المشركين كما فعل ببقية الأمم السابقة، ولم يأخذ إلا أولئك المترفين من قريش وكباراتهم، وهم الذين كانت لهم اليد العليا في الوقوف في وجه الدعوة والصد عنها، وقد أخذهم الله سبحانه وتعالى بعذابه يوم بدر فقُتِلَ جميعُ كبارِ قريش وكانوا سبعين رجلاً.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ۝٥٤﴾ ثم أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن قريشاً يستعجلونه بإنزال العذاب، فلو كانوا يعلمون ما أعد الله سبحانه وتعالى لهم من العذاب لما استعجلوه، وأن عذاب جهنم ينتظرهم. ومعنى «لمحيطة»: محيطة بهم كإحاطة السور على شيء فيه، لا يستطيعون الخروج منها.

﴿يَوْمَ[1] يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۝٥٥﴾[2] يذكرهم الله تعالى بجهنم وعذابها عندما يغشاهم من فوقهم ومن تحتهم.

﴿يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ۝٥٦﴾[3] يرشد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين إذا أحسوا بمضايقة المشركين ومنعهم لهم عن عبادته إلى أن يهاجروا في أرضه -فهي واسعة- إلى مكان يستطيعون أن يعبدوه فيه من دون

(١)-**سؤال:** ما هو العامل في نصب هذا الظرف؟

الجواب: متعلق بقوله: «لمحيطة».

(٢)-**سؤال:** يقال: هل حذف المضاف هنا وأقيم المضاف إليه مقامه فيكون التقدير: جزاء ما كنتم تعملون؟ أم كيف؟

الجواب: الأمر كما ذكرتم؛ لأنهم لا يذوقون إلا جزاء أعمالهم.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب كل من: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، و﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾؟

الجواب: «الذين آمنوا» صفة لعبادي، و«إياي» مفعول به لفعل محذوف، أي: اعبدوا، يفسره الفعل الذي بعده.

أن يضايقهم أحد أو يمنعهم عن ذلك، وأن ذلك واجب عليهم إذا استدعى الأمر، وبلغت الأمور إلى هذا الحد.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ(١) الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ۝٥٧﴾ وأن كل نفس منفوسة لا بد أن تموت وترجع إلى الله سبحانه وتعالى للحساب والجزاء، فليحذر كل أمرئ ذلك الموعود، وليعد له ما يلزم من العدة.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ۝٥٨﴾ هذا وعد من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة بأنه قد أعد لهم القصور العالية، وبساتين الثمار في الجنة خالدين فيها أبداً جزاءً على ما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۝٥٩﴾ ثم وصف الله تعالى هؤلاء الذين سيجازيهم بالجنة بأنهم الذين صبروا على ما يلحقهم من الأذى في سبيل دينهم وعقيدتهم وتوكلوا على الله تعالى في ذلك.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ۝٦٠﴾(٢) يخبر الله تعالى عباده المؤمنين ويطمئنهم بأن لا يخافوا الفقر إذا هاجروا وانتقلوا من بلد إلى بلد فكم من دابة لا تستطيع أن تحمل رزقها معها، وإنما تأكل حتى تشبع، ثم تسير في أرض الله لا تحمل معها شيئاً، فإذا جاعت أتاها رزقها

---

(١)-**سؤال:** ما نوع المجاز في قوله: ﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾؟

الجواب: المجاز هذا هو استعارة بالكناية.

(٢)- **سؤال:** لو تكرمتم بتفصيل الكلام في قوله: «كأين» من حيث المعنى والإعراب؟ وما محل جملة: ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾؟

الجواب: «كأين» بمعنى «كم» الخبرية وهي مبتدأ، والخبر هو جملة: ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾. و﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ في محل جر صفة لدابة.

وساقه الله تعالىٰ إليها فتأكل حتىٰ تشبع، من دون أن تدخر شيئاً للوجبة الأخرىٰ، فكذلك أنتم فشأنكم كشأنها، ولا بد أن يرزقكم الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ قدر حاجتكم وحالتكم أينما كنتم.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ثم أخبر الله تعالىٰ نبيه ﷺ بأنه إن سألهم هذا السؤال فسيكون جوابهم بأنه الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿فَأَنَّى[1] يُؤْفَكُونَ ۝٦١﴾ وإذا كان هذا جوابهم فكيف يصرفون عن عبادته إلىٰ عبادة الأصنام؟ وما هو الذي صرفهم إلىٰ ذلك؟ وهذا استنكار من الله سبحانه وتعالىٰ عليهم علىٰ قبح صنيعهم هذا، وإلزام لهم بالحجة حيث يعترفون به علىٰ أنفسهم.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٦٢﴾ الله وحده الذي يرزق الناس جميعاً، وقد اقتضت حكمته أن يوسع رزقه علىٰ بعض عباده، وأن يضيق علىٰ البعض الآخر، وأنه قد فعل ذلك لأجل حكمة عظيمة لا تستقيم الحياة علىٰ الدنيا ولا يتم التكليف إلا علىٰ هذه السنة الإلهية من تضييق الرزق وتوسعته، فلو أنه جعل الناس جميعاً أغنياء لما عمرت الأرض، ولَمَا زرعت، ولما كان هناك الأيدي العاملة التي تعمرها، ولفات الابتلاء بالفقر والصبر عليه، وفات التكليف بمدافعة الحسد والعُجْب، ولذهب التكليف بالصدقة وإخراج الزكاة، ولذهب هم الرزق وطلبه بالدعاء والاستغفار و...إلخ.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٦٣﴾ وأيضاً لو سألتهم يا محمد من الذي ينزل المطر؟ ومن الذي ينبت به الشجر ويخرج به الثمر؟ فسيكون جوابهم بأنه الله تعالىٰ؛ فلماذا يعترفون له بذلك ثم يذهبون إلىٰ عبادة تلك الأصنام التي لا

---

(١)-**سؤال:** ما معنىٰ الفاء هنا؟ وما إعراب «أنىٰ»؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة. و«أنىٰ» في محل نصب علىٰ الحال وهي بمعنىٰ كيف.

تصنع لهم شيئاً، أو تنفعهم بشيء، أو تدفع عنهم ضرراً؟ فكل ذلك مما يدل على شدة كفرهم وتعنتهم واستكبارهم.

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن شأن الدنيا وحالها، فعبر عن حقارتها ودناءتها بأنها كمثل ما يفعله الصبيان من اللهو واللعب، فلا يستقر الطفل على لعبة، فلا يأخذ في لعبة إلا وسرعان ما يتركها وينتقل إلى غيرها.

﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ[1] لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ۝٦٤﴾ وأن الدار الآخرة هي التي تستحق أن يعد المرء لها العدة؛ لأنها الحياة التي ستدوم، فالمرء فيها إما في نعيم دائم، أو عذاب دائم، وأن أولئك المشركين لو كانوا من أهل العلم الذين يستعملون عقولهم لما آثروا متاع الحياة الدنيا الفانية على الآخرة الباقية.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ۝٦٥﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى حالة المشركين التي هم عليها من الحقارة والدناءة بأنهم إذا أصابهم سوء أو شدة حال ركوبهم السفن وعرفوا أن لا مخرج لهم منها فعند ذلك يخلصون في دعائهم[2] لله تعالى، وينسون تلك الأصنام التي يعبدونها؛ لأنهم أيقنوا أنها لن تستطيع أن تنفعهم أو تدفع عنهم، فما إن ينجيهم الله سبحانه وتعالى حتى يرجعوا إلى شركهم وأصنامهم، وينسوا العهد الذي قطعوه على أنفسهم لله تعالى.

﴿لِيَكْفُرُوا[3] بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ۝٦٦﴾ فهم يشركون بالله

---

(١)- **سؤال:** ما نوع اسمية «الحيوان»؟

الجواب: المراد بالحيوان هنا الحياة التامة الكاملة.

(٢)- **سؤال:** يقال: إذا كان المراد بالدين الدعاء فما وجه تسميته بالدين؟

الجواب: سماه ديناً حين دعوا الله وحده ولم يدعوا معه غيره.

(٣)- **سؤال:** ما هي هذه اللام في قوله: «ليكفروا»؟ وهل فيها وجه آخر فما هو؟ وما ينبني على ذلك من معنى؟

=

سبحانه وتعالىٰ تمرداً عليه وكفراً بنعمته عليهم، وليتمتعوا في الدنيا ويمتعوا أنفسهم بأعمال الكفر والضلال، ولكنهم سوف يعلمون عاقبة فعلهم هذا عندما يعاينون نزول العذاب بهم، وسيندمون علىٰ ذلك أشد الندم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴿٦٧﴾﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالىٰ قريشاً ويوبخهم لماذا لا يشكرون الله تعالىٰ، ويرجعون إليه؟ وقد أنعم عليهم دون سائر العرب بهذه النعمة العظيمة، وهي ما جعل لهم من الحرمة لأنفسهم، ولبلدهم يسيرون آمنين مطمئنين في سائر البلاد دون أي خوف(١)، بينما بقية العرب في خوف شديد وحرب وقتل وقتال وثارات، لا يستطيع أحد أن يأمن علىٰ نفسه إن خرج من بلده، وكانت العرب تسمي قريشاً أهل الله، فلا تعتدي علىٰ أحد منهم أو تعترض طريقه لما جعل الله سبحانه وتعالىٰ لهم من الحرمة بحرمه الآمن؛ فلماذا يذهبون إلىٰ عبادة الأصنام ويتركون عبادة الذي أنعم عليهم بهذه النعمة، وهم يعلمون أنه الذي يستحق العبادة والشكر؟

ومعنىٰ «يتخطف»: يتعرض الناس لنهب الأموال والقتل والاسترقاق.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا(٢) جَاءَهُ أَلَيْسَ(٣) فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴿٦٨﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه لا أحد أضل وأظلم

الجواب: اللام لام التعليل، ويجوز أن تكون لام العاقبة، أو لام الأمر، ويكون الأمر للتهديد.

(١)-**سؤال:** من فضلكم هل هناك دلائل أخرىٰ علىٰ أمن قريش خارج الحرم؟

الجواب: نعم، هناك دليل واضح في سورة قريش: ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴿٢﴾﴾.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب «لما» في قوله: ﴿لَمَّا جَاءَهُ﴾؟

الجواب: «لما» اسم شرط، و«جاءه» جملة الشرط.

(٣)-**سؤال:** وماذا يفيد الاستفهام في قوله: ﴿أَلَيْسَ﴾؟

الجواب: الاستفهام لتقرير ما بعد النفي، أو لإنكار النفي والمنفي.

من ذلك الذي يفتري على الله الكذب ويدعي على الله أنه الذي أمره بالشرك وعبادة الأصنام، وكذلك ذلك الذي يكذب بما جاء به القرآن والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقد بلغ هؤلاء الغاية والنهاية في الكفر والعصيان.

أراد الله تعالى بهؤلاء الذين هذه صفتهم- قريشاً؛ لأنهم هم الذين افتروا الكذب على الله تعالى، وصدوا عن دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وكذبوا بها.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا[1] لَنَهْدِيَنَّهُمْ[2] سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴿٦٩﴾﴾[3]

ثم أثنى الله سبحانه وتعالى على أولئك الذين يُجِدُّون في عبادته وفي الدعوة إليه، ويصبرون على طاعته وعلى الأعمال الصالحة، فأخبر تعالى بأنه سيزيد هؤلاء من التنوير في قلوبهم الذي يهتدون به إلى معرفة الحق وإلى طريق الجنة، وأنه معهم بنصره وحفظه وتأييده.



(١)-**سؤال:** هل «في» التي في قوله: «فينا» على بابها أم لا، فكيف؟ ولماذا سمى الله الجد في العبادة والدعوة مجاهدة؟ وهل يحق لنا أن نسمي إرشاد المرشدين أيدهم الله جهاداً؟ فما وجه ذلك؟

الجواب: «في» على بابها كالتي في: ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢١٨]، و﴿جِهَادًا فِي سَبِيلِي﴾ [الممتحنة:١]، وسمي مجاهدة لما في ذلك من إبلاغ الجهد في الطاعة؛ فيكون الإرشاد جهاداً لما فيه من إجهاد النفس في الدعوة والإرشاد.

(٢)-**سؤال:** هل الفعل «نهدي» يتعدى إلى مفعولين حتى نصب سبلنا؟ أم على أي وجه كان نصبه؟

الجواب: «هدى» ومشتقاته يتعدى إلى المفعول الثاني بنفسه وبالحرف، كل ذلك جاء.

(٣)-**سؤال:** ما المقصود بالمحسنين المذكورين في الآية؟ وما إعراب: «لمع»؟

الجواب: المراد بالمحسنين المجاهدون في الله، وإنما جاء بالظاهر لينوه بالثناء عليهم بالإحسان. واللام في «لمع» هي المزحلقة، و«مع» ظرف مصاحبة متعلق بمحذوف خبر «إن».

سورة الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الم۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ يحكي الله سبحانه وتعالى عن الروم وما جرى عليهم بعد أن كان قد مكنهم في الأرض، فأخبر أنهم غُلبوا في أدنى[(١)] الأرض وأقربها إلى بلاد العرب، وأراد بها بلاد الشام[(٢)]، فكانت تحت سيطرتهم، وذلك أنها نشبت بينهم الحرب مع فارس، وكانت هاتان الدولتان هما أعظم الدول في ذلك الوقت.

وأخبر تعالى أنهم بعد غلبتهم هذه سيستعيدون قوتهم، وينتصرون على فارس ويغلبونهم، وأن موعد غلبهم هذا بعد بضع سنين، والبضع من الثلاثة إلى التسعة.

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ فهو الذي هيأ للروم هذا النصر والغلبة لغرض ومصلحة يعلمها، وهي ما ذكره في قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ۝٥﴾ وهذه المصلحة هي ما يعود على المسلمين من نصر الروم، وذلك أن فارس كانت أشد عداوة للدين

---

(١)-**سؤال:** سمعنا عن بعض المختصين في العصر الحديث أنهم نظروا في مكان المعركة بين الروم وفارس فوجدوها أخفض مكان بالنسبة لمستوى سطح البحر، ففسروا بها لفظة «أدنى»؛ فما رأيكم في ذلك؟

الجواب: لا مانع من التفسير بذلك، فللقرآن أسرار، وهو ذو وجوه يصح تفسيره بكل الوجوه التي يحتملها اللفظ ما لم يمنع مانع.

(٢)-**سؤال:** قد يشكل علينا أن بلاد الشام من بلاد العرب، فكيف؟

الجواب: بلاد العرب هي الجزيرة العربية وشيء من أطرافها الشمالية، وبلاد الشام والعراق ليست أصلاً من بلاد العرب سوى شيء من الأجزاء الجنوبية من العراق وبلاد الشام، وإنما تعربت العراق والشام بعد الفتوح الإسلامية.

وللمسلمين، ولما كانوا يسببونه من القلق الشديد للمسلمين، مما جعل انتصار(١) الروم عليهم يسبب فرحاً شديداً في قلوب المؤمنين(٢)، وذلك لكون فارس مجوساً لا دين لهم، وأما الروم فكانوا من النصارى وكانوا أهل دين وكتاب، وفيهم لين على الإسلام والمسلمين: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ [المائدة:٨٢]، وعندما أرسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كتبه إلى فارس والروم؛ فأما ملك فارس فعندما وصل إليه كتاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غضب غضباً شديداً ومزق كتاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأما هرقل

---

(١)- **سؤال:** يقال: هل هذا النصر يعارض ما حكاه بأنه ينصر المؤمنين في قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الروم]، أم لا فكيف؟

الجواب: لا معارضة فيما ذكرتم، فمن نصر الله للمؤمنين أن يدفع الله عنهم بتسليط بعض الظالمين على بعض، وتماماً كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج]، فسمى الله تعالى في هذه الآية دفع الله الناس بعضهم ببعض نصراً للمؤمنين الذين ينصرون الله ورسوله.

(٢)- **سؤال:** قال بعض العلماء بأن فرح المؤمنين إنما هو لانتصارهم في بدر؛ لأنه وافق انتصار الروم على فارس، فما رأيكم في ذلك؟ وهل يؤخذ من ذلك جواز الفرح بانتصار ظالم على ظالم، أو نحو ذلك؟ أم إنه يعارض وجوب معاداتهم؟

الجواب: الوجه هو ما ذكرنا وليس هناك ما يدعو إلى الخروج عن الظاهر مع استقامته، واقتتال الظالمين مع بعضهم الآخر فضل من الله ونعمة على المؤمنين: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝٢٥١﴾ [البقرة]، فلا حرج على المؤمنين إذا رأوا أعداءهم يتقاتلون ويتناحرون... في أن يفرحوا ويشكروا الله تعالى. وهكذا لا حرج في أن يفرحوا بانتصار الأقل ظلماً على الأكثر ظلماً؛ لما لهم في ذلك من الراحة والتخفيف. والفرح إنما هو لما يترتب على النصر من تخفيف الظلم عنهم؛ إذ ليس من شأن المؤمن أن يفرح بانتصاره لأجل ظلمه أو كفره؛ لأن المؤمن لا يحب الكفر ولا الظلم ولا يرضاه.

ملك الروم فعندما قرأ كتاب النبي ﷺ تمعن فيه وعرف أن ما جاء به هو الدين الحق، وأنه نبي من عند الله سبحانه وتعالى، وبعد قراءته لكتاب النبي ﷺ جمع أعيان دولته وأشرافها، وقرأ عليهم كتاب النبي ﷺ، وشاورهم في أمره، واقترح عليهم أن يدخلوا في دينه؛ لأنه النبي الموعود الذي بشر به عيسى عليه السلام، ولكن قومه غضبوا من اقتراحه عليهم ذلك الاقتراح، واعترضوا عليه فاعتذر إليهم بأنه إنما كان يختبر قوة إيمانهم وتمسكهم بدينهم؛ فهذا يدل على أنهم كانوا أقرب مودة للمؤمنين.

وقد قص الله سبحانه وتعالى على نبيه هذه القصة قبل حدوثها بحوالي سبع سنين مما يدل على أن القرآن من عند الله تعالى، وأنه حق وصدق.

﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾(١) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن هذا وعد منه، ولا بد أن يقع؛ وفعلاً فقد وقع ذلك كما أخبر به النبي ﷺ.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ فأكثرهم لا زالوا على الكفر، ولن يصدقوا وعد الله هذا.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا(٢) مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝٧﴾(٣)

---

(١)- **سؤال:** علام نصب قوله: ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾؟ وما محل جملة: ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾؟ وهل عرفت السنة التي تحقق فيها هذا الوعد؟

الجواب: انتصب «وعد الله» على أنه مصدر مؤكد لمضمون الكلام الذي قبله. ولا محل لجملة «لا يخلف الله وعده» لأنها علة، أي: في جواب سؤال مقدر. وقد تحقق ذلك الوعد في يوم بدر أي: في السنة الثانية من الهجرة.

(٢)- **سؤال:** ما محل جملة ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا﴾؟ ولم فصلت هذه الجملة عن سابقتها؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب؛ لأنها عطف بيان للجملة التي قبلها.

(٣)- **سؤال:** ما السر في تكرير الضمير «هم» في قوله: ﴿هُمْ غَافِلُونَ ۝٧﴾؟

الجواب: سبب التكرير هو أنه لما فصل قوله: «بالآخرة» بين الضمير وبين «غافلون» استدعى ذلك تجديد ذكره وذلك للاهتمام بالتخصيص.

يحكي الله سبحانه وتعالى عن طبيعة أكثر الناس وشأنهم في الدنيا، فأخبر تعالى أن خبرتهم فيها وفي مجالاتها عالية، وأنهم من أهل العلم والمعرفة بأحوالها وحاجاتها ومتطلباتها، من الصناعة والزراعة والتجارة والسياسة(١) وغير ذلك، وأما أمور الدين والآخرة فهم بعيدون كل البعد عنها، وغافلون عن ذلك غير مبالين بها.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾(٢) يستنكر الله سبحانه وتعالى على أهل الدنيا لماذا لا يتفكرون ويجيلون عقولهم وخواطرهم في الحكمة من خلق السماوات والأرض وما فيهما، وأنهم لو نظروا في ذلك لعرفوا أنه لا بد من حياة أخرى مترتبة عليها.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ۝٨﴾ غير أن أكثر الناس معرضون عن ذلك، ومنكرون للبعث والحساب.

---

(١)-**سؤال:** ما وجه الإطلاق على هذه المعارف اسم الظاهر من الحياة الدنيا؟

الجواب: لأنهم عرفوا ما يتعلق بمصالحهم في الحياة الدنيا فاستخرجوا خيرات الأرض ومنافعها و...إلخ، وغفلوا عن الحكمة من خلقها وما جعل الله فيها من الآيات على البعث والحساب والجزاء ولم ينظروا كما نظر المؤمنون (أولو الألباب) الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ۝١٩١**﴾ [آل عمران]، حيث أوصلهم النظر والتفكر في خلق السموات والأرض إلى الإيمان والتصديق باليوم الآخر وما فيه من الجزاء.

(٢)-**سؤال:** هل قوله: ﴿**مَا خَلَقَ اللَّهُ...**﴾إلخ ابتداء كلام جديد أم لا؟ وما معنى الأجل المسمى في الآية؟ وما علاقته في الحكمة من خلقهما؟

الجواب: ﴿**مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ...**﴾ في محل نصب لأنها معلقة والعامل فيها فعل التفكر فليست ابتداء كلام جديد. والأجل المسمى هو يوم القيامة، وهو الحكمة المقصودة من خلق السموات والأرض، أي: الحكمة العظمى.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الاستفهام هنا للتقرير وهو حمل المخاطب على الاعتراف بما استقر عنده ثبوته أو نفيه(١)، وهنا أراد الله سبحانه وتعالى حمل المشركين على أن يعترفوا بأنهم قد ساروا في الأرض، ورأوا كيف كانت عاقبة تلك الأمم التي كذبت قبلهم، وكانوا يرون ذلك في طريق أسفارهم إلى بلاد الشام واليمن للتجارة ونحوها، ولكنهم لم يعتبروا بما رأوه من حال قراهم ومساكنهم، كيف أصبحت بسبب كفرهم وعنادهم، وأصروا على البقاء على كفرهم وتكذيبهم بالنبي ﷺ.

﴿كَانُوا أَشَدَّ(٢) مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾(٣) وأخبر أن أولئك القوم كانوا أكثر وأشد منهم قوة وجمعاً، وقد أشادوا الأرض بالبناء والعمران والزراعة أكثر مما عمرتها قريش.

﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ وقد أخذهم الله سبحانه وتعالى بسبب كفرهم وتكذيبهم بأنبيائهم؛ يحذر الله تعالى هنا المشركين أن يفعلوا مثل أفعالهم فيحق عليهم مثل ما صار على أولئك القوم، ويخبرهم أن الأحسن لهم أن يعتبروا بهم وبما جرى عليهم.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما الفرق بين هذا وبين ما تقدم في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا...﴾؟

الجواب: لا فرق، ولكن يجوز أن نقول: إن الاستفهام لتقرير ما بعد النفي، ويجوز أن نقول: إنه للاستنكار، أي: استنكار النفي والمنفي.

(٢)-**سؤال:** يقال: ما السر في فصل هذه الجملة: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ عن سابقتها؟

الجواب: فصلت لأنها مستأنفة في جواب سؤال مقدر عن حال الذين من قبلهم.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾؟ وإلى أين يعود الضمير؟

الجواب: «أكثر» نعت لمصدر محذوف أي: عمراناً أكثر من عمرانهم، و«من» حرف جر، و«ما» مصدرية، وضمير الفاعل يعود إلى أهل مكة المذكورين في السياق: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ [الروم:٨]، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ [فاطر:٤٤].

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴿١٠﴾﴾(١) ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن عاقبة أولئك الذين يرتكبون المعاصي والسيئات، فقال إن عاقبتهم هي الكفر بالله تعالىٰ وبما جاءتهم به رسله، وأن معاصيهم تلك هي التي جرتهم إلىٰ ارتكاب معصية الشرك بالله تعالىٰ والتكذيب بأنبيائه ورسله، وهي السبب في دخولهم في الكفر.

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ وهذا محسوس مشاهد نراه بأعيننا، فنرىٰ الشجرة بعد أن لم تكن، وكذلك الثمر نرىٰ حدوثه وخروجه، ونرىٰ كذلك ما يحصل من التوالد والتكاثر، فحتماً سنعلم من خلال ذلك أن الله علىٰ كل شيء قدير.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴿١١﴾﴾(٢) وأنه لا بد أن يعيد خلقكم يوم القيامة

---

(١)-**سؤال:** فضلاً فصلوا لنا إعراب: ﴿عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا﴾؟ وما نوع اسمية «السوأىٰ»؟

الجواب: «عاقبة» خبر كان مقدم، و«الذين» مضاف إليه، «أساءوا» صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، «السوأىٰ» اسم كان مرفوع، «أن كذبوا..» في تأويل مصدر بدل من السوأىٰ أو عطف بيان، و«السوأىٰ» مؤنث الأسوأ اسم تفضيل.

(٢)- **سؤال:** ما السر في عطف الرجوع علىٰ الإعادة وهما تقريباً شيء واحد؟ وما الحكمة في الإتيان بـ«ثم» في ذلك العطف؟

الجواب: عطف الرجوع علىٰ الإعادة لأنه غير الإعادة؛ لأنه يحصل يوم القيامة:

١- بعث الأموات وإحياؤهم وهذا هو الإعادة.

٢- الحساب علىٰ الأعمال والجزاء عليها، فمن كان من المحسنين أدخله الله جنات النعيم، ومن كان من المجرمين أدخله في عذاب الجحيم، وهذا هو الرجوع إلىٰ الله، فهذا هو تفسير الرجوع في هذه الآية.

أما في نحو: «إنا لله وإنا إليه راجعون» ونحوها فيمكن أن يفسر الرجوع بمجموع الأمرين، كما ذكرتم في السؤال.

=

للحساب والجزاء، وكل من تفكر في ذلك سيعلم أن ذلك واقع لا محالة.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ۝١٢﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى عن حال المجرمين ساعة بعثهم للحساب والجزاء، فأخبر سبحانه وتعالى أنه سيصيبهم البهت والتحير حين يرون أهوال القيامة.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ﴾ وسيبحثون حينها عن تلك الشركاء التي كانوا يعبدونها ويدعون أنها سوف تشفع لهم عند الله، ولكنهم لا يجدونها.

﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ۝١٣﴾ سيكفر المشركون يوم القيامة بما كانوا يعبدونه من دون الله.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ(١) يَتَفَرَّقُونَ۝١٤﴾ ينقسم الناس يوم القيامة إلى فريقين:

﴿فَأَمَّا(٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ۝١٥﴾ هذا هو الفريق الأول، فهم في رياض الجنة يتمتعون ويأكلون مكرّمين.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ۝١٦﴾ وهذا هو الفريق الثاني، فهم في نار جهنم يتقلبون جزاءً على ما كانوا يكذبون ويستهزئون بأنبيائهم، وبما جاءوهم به من عند الله تعالى.

ومعنى «محضرون»: مقيمون غير غائبين.

وجيء بـ«ثم» لتعظيم الإعادة وتعظيم الرجوع إلى الله، وتعظيم الإعادة من حيث إنها إعادة إلى حياة عظيمة أبدية دائمة إما في نعيم أو في عذاب الجحيم.

(١)-**سؤال:** هل قوله: «يومئذ» تكرير للتأكيد أم كيف؟ وهل العامل فيهما واحد؟

الجواب: التكرير هو للتأكيد تأكيد لفظي، والعامل فيهما واحد «يتفرقون».

(٢)-**سؤال:** ما معنى الفاء هنا؟ وما محل جملة: «يحبرون»؟

الجواب: الفاء للتفريع والتفصيل. ومحل جملة «يحبرون» الرفع خبر ثان.

﴿فَسُبْحَانَ(١) اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾(٢) ثم أمر الله سبحانه وتعالىٰ عباده بتسبيحه وذكره في هذه الأوقات، وقد أراد بذلك أداء الصلاة في هذه الأوقات فصلاة المساء هي صلاة المغرب والعشاء، وصلاة الصبح هي صلاة الفجر.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(٣) وأنه وحده الذي يستحق الحمد والثناء لما أنعم به من النعم الظاهرة والخفية.

﴿وَعَشِيًّا(٤) وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ ثم أمر بتسبيحه في هذه الأوقات أيضاً،

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾؟ ومن أين نفهم أنه أمر للعباد بالتسبيح؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة، أي: فإذا تبين ذلك فسبحان الله، وسبحان: مصدر منصوب بفعل محذوف وجوباً، أي: أسبح أو نسبح سبحان الله. وفهم أنه أمر للعباد بالتسبيح بالقرائن وهي:

- ذكره لأوقات الصلوات الخمس.
- أنه قال: فسبحان الله حين تمسون، فعلق التسبيح بحين مستقبل بالنسبة للمخاطب فعلم أنه يريد منا حصوله في ذلك الحين المستقبل، وهذا هو ما نريده في التفسير.

(٢)- **سؤال:** هل يستوحىٰ من هذه الآية أن الليل يسبق النهار؟ وأنه يحسب اليوم من دخول المساء أم لا؟

الجواب: الذي يخيل إلي في الباعث علىٰ البدء بذكر المساء: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ علىٰ البدء بالصباح هو أن رسول الله ﷺ كان يقرأ القرآن علىٰ أصحابه ويتلوه عليهم ويعلمهم في النهار دون الليل؛ لأنهم كانوا أهل أعمال شاقة يشق عليهم بسببها سهر الليل، فاقتضىٰ الحال لذلك أن يؤمروا أولاً بصلاة المساء؛ لأنها أول صلاة يستقبلونها.

(٣)-**سؤال:** ما معنىٰ ظرفية السماوات والأرض للحمد؟ وكيف ساغ إقحام المكان (السماوات والأرض) بين الأزمنة المتعاطفة؟

الجواب: السموات والأرض هي أمكنة الثناء علىٰ الله وأمكنة حمده وشكره لا ينبغي أن يحمد فيها سواه، فهو وحده الذي يستحق الحمد والشكر. وجملة: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جملة معترضة بين المتعاطفات وفي إقحامها إشارة إلىٰ الأمر بالتسبيح.

(٤)-**سؤال:** ما نكتة تقديم العشي علىٰ الظهر مع مخالفتها للترتيب المعهود؟

=

فصلاة العشي هي صلاة العصر، وحين تظهرون أراد بذلك صلاة الظهر، فهذه خمس صلوات كتبها الله سبحانه وتعالىٰ في اليوم والليلة.

﴿يُخْرِجُ(١) الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فمن هو على هذه الصفات هو الذي يستحق التسبيح والحمد والثناء، ومعنى إخراج الحي من الميت والعكس قد تقدم مراراً.

﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١٩﴾ فكما يحيي الأرض بعد موتها كذلك سيحييكم بعد موتكم، فكما ترون تلك الشجرة التي قد يبست وتفتتت عروقها تحيا بالمطر الذي ينزل عليها، فكذلك عظامكم سوف يحييها الله سبحانه وتعالىٰ بعد أن قد نخرت وصارت رفاتاً.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ(٢) مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ۝٢٠﴾ أن من آياته الدالة على ربوبيته وإلاهيته وقدرته آية خلقكم، وكيفية ابتداء ذلك من التراب، ثم كيفية تكاثركم بعد ذلك من النطف التي تلقىٰ في أرحام النساء.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا(٣) إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ وأن من آياته الدالة عليه ما أنعم به عليكم من أن خلق

الجواب: بدأ في قوله: ﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾ بالعشي قبل الظهر للتناسب مع «حين تمسون وحين تصبحون».

(١)-**سؤال:** ما محل جملة «يخرج»؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب لأنها تعليل لما قبلها أي: في جواب سؤال.

(٢)-**سؤال:** ما محل المصدر هنا؟ وما معنى «إذا» في قوله: «ثم إذا»؟ وعلام عطفت؟

الجواب: محل المصدر الرفع مبتدأ مؤخر. و«إذا» هي الفجائية، والجملة معطوفة على صلة الموصول الحرفي.

(٣)-**سؤال:** من فضلكم ما معنى «السكون» في قوله: «لتسكنوا»؟ وهل في الآية تقديم وتأخير؟

الجواب: السكون هو الميل إليهن والطمأنينة في القرب منهن وذلك هو الراحة التي ذكرناها وليس في الآية تقديم وتأخير فقوله: «لتسكنوا» علة لخلقهن من جنس الرجال إذ لو خلقن من جنس آخر لنفر الرجال عنهن.

لكم من أنفسكم أزواجاً وألقى المودة بينكم لتسكنوا وتستريحوا إليهن، وما جعل بينكم من الصلات والترابط والألفة. ومعنى «من أنفسكم»: من جنسكم لا من جنس آخر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴿٢١﴾﴾ وأن من نظر وتفكر في آياته هذه فسيعرف قدرة الله تعالى وعظمته وإحاطة علمه بكل شيء.

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وكذلك من آياته الدالة على علمه وحكمته وقدرته خلق السماوات والأرض، ففي ذلك دليل واضح على الله تعالى لمن نظر وتفكر فيها.

﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ[1] وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴿٢٢﴾﴾[2] وكذلك من آياته الدالة عليه اختلاف اللغات باختلاف البلدان، فلكل أهل بلاد لغة يتخاطبون بها فيما بينهم، وكذلك لون البشرة التي تختلف باختلاف البلدان، فترى أهل هذا البلد تختلف بشرتهم عن بشرة أهل ذلك البلد الآخر، وفي البلد الواحد أيضاً لكل فرد صورة يتميز بها عن غيره، وعلى الرغم من كثرة الناس لا تكاد ترى اثنين بينهم متشابهين، مما يدل ذلك على مدى قدرة الله سبحانه وتعالى الخارقة، وعلمه المحيط بكل شيء.

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾[3] وكذلك

---

(١)- **سؤال:** هل يصح حمل اختلاف الألسنة على اختلاف الأصوات وتمايزها حتى في البيت الواحد والقرية الواحدة؟ أم لا؟

الجواب: نعم، يصح التفسير بما ذكرتم فقد فسرت الآية بالوجهين أي: باختلاف اللغات وباختلاف الأصوات، فلكل شخص صوت متميز عن كل صوت من أصوات الناس.

(٢)- **سؤال:** لماذا خص الله الآيات هذه بالعالِمين فقط؟

الجواب: خصوا بها لأنهم الذين انتفعوا بها وبما فيها من الدلالة على عظمة الله.

(٣)- **سؤال:** يقال: هل يستفاد من هذه الآية أن النوم بالنهار حسن لا قبح فيه؟ أم أن النهار متعلِّق للابتغاء فقط؟

=

النوم فهو آية من آيات الله تعالى الدالة عليه وعلى علمه وحكمته ورحمته، فانظر إذا أرهقك التعب كيف يزيل النوم عنك ذلك التعب، وكيف ترى جسمك يستعيد نشاطه وكامل قواه عندما يأخذ حاجته من ذلك النوم، فيكون عنده الطاقة التي تمكنه من السعي وراء رزقه والابتغاء من فضل ربه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ۝٢٣ وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا[1] وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ۝٢٤﴾ وكذلك من آياته الدالة على عظمته وقدرته ذلك البرق الذي ترونه يلمع في السماء يكاد يخطف الأبصار من قوة وهجه ولمعانه، وكيف يكون ذلك البرق سبباً في نزول المطر من السحاب، ثم يحيي الله تعالى بذلك المطر الأرض اليابسة الميتة، أليس ذلك يدل على أنه لا بد أن يكون هناك مدبر حكيم قد أوجد ذلك وسخره وهيأه على حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة، وتدعو إليه الحاجة

الجواب: قد قيل: إن في هذه الآية لف ونشر غير مرتب، أي: أن الابتغاء من فضل الله بالنهار، والنوم بالليل، فلا يكون في الآية دليل على ما ذكرتم، ويمكن الاستدلال على هذا القول بنحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا۝١١﴾ [النبأ]، وهذا التفسير أولى من غيره.

(١)- **سؤال:** يقال: ما السر في عدم الإتيان بالمصدر في «يريكم»، ومخالفته لما قبلها وما بعدها من الآيات؟ وما إعراب: «خوفاً وطمعاً»؟

الجواب: السر هو التفنن في العبارة، ألا تراه كيف عبر بالمصدر نفسه في قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُم﴾، ومرة بـ«أن» والفعل وهو الأكثر، وأخرى بالفعل وحده. و«خوفاً وطمعاً» مفعول من أجله أي: لأجل الخوف والطمع، وقد أشكل عليهم أنه لم يتحد فاعل الفعل وفاعل الخوف والطمع، واتحادهما شرط في صحة المفعول من أجله، وقد تأول أهل النحو هذا بعدة تأويلات ليصح كون ذلك مفعولاً من أجله، فأحسن ما قيل إن «خوفاً وطمعاً» بمعنى: إخافة وإطماعاً، وبذلك يكون فاعل الفعل (الإراءة) وفاعل الإخافة والإطماع واحد وهو الله تعالى.

من دون أي زيادة أو نقصان عما يحتاج إليه الخلق، فانظر لو أنه زاد على القدر المعتاد أو نقص كيف ستكون حالة الأحياء؟ وهل ستستمر الحياة أم أن أكثر المخلوقات ستموت، وأن توازن الحياة سيختل؟ فسبحان من أوجده على ذلك الميزان الدقيق.

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ۝٢٥﴾[1] وأن من آياته الدالة على عظمته وجلاله وقدرته هو ما قد أقامه من ذلك النظام الدقيق في السماوات والأرض من إنزال المطر، وإجراء الأنهار، وإخراج الثمار، وجري السحاب، ومسير الشمس والقمر، وما فيهما من المخلوقات العاقلة وغير العاقلة كل ذلك يُسَيِّرُهُ بأمره وإرادته وقدرته، فهذا هو قيام السماوات والأرض بأمره، وكل ذلك سينتهي ويزول، ولكن لا بد من حياة أخرى مترتبة على هذه الحياة لتكتمل الحكمة والمصلحة وإلا لعد كل ذلك الخلق عبثاً، وذلك مستحيل على الله سبحانه وتعالى، فلا بد من البعث والحساب والجزاء.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ۝٢٦﴾ فكل من في السماوات والأرض لله تعالى وتحت قبضته وسيطرته، وكلهم خاضعون له ومنقادون لأمره وإرادته.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ وهو وحده الذي ابتدأ خلق السماوات والأرض وما فيهما، واخترع كل ذلك بقدرته وعلمه وحكمته، ولا بد أن يفني جميع ما قد خلقه وأوجده.

---

(١)-**سؤال:** أين الاستعارة في قوله: «أن تقوم السماء والأرض»؟ وعلام عطفت الجملة الشرطية: «إذا دعاكم.. إلخ»؟

الجواب: الاستعارة هي في الفعل فالاستعارة تبعية، وعطف الشرطية على: ﴿أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾؛ لأن قيام الأرض بأمره يراد به استمرار حياة الأحياء على ظهرها بما جعل الله لهم فيها من الهواء والماء والأرزاق والشمس والقمر والنجوم والبحار و..إلخ.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾(١) وسيعيد ذلك الخلق بعد إعدامه، لا كما يزعم أولئك المنكرون للبعث بعد الموت، بل إن إعادة الخلق أهون على الله تعالى من الابتداء في الظاهر.

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى(٢) فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ(٣) وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٧﴾ فهو وحده الذي يستحق تلك الصفات العظيمة من القدرة والعلم والعظمة والكبرياء وكل صفات الكمال التي سمى بها نفسه، والعزيز هو القوي الذي لا يغلبه غالب، وهو الغالب لكل شيء، والحكيم هو الذي كل أفعاله على حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة، وقد تنزه أن يفعل شيئاً لغير غرض أو مصلحة.

---

(١)- **سؤال:** هل أفعل التفضيل «أهون» على بابه أم لا، فكيف؟

الجواب: يمكن إجراؤه على ظاهره وعلى بابه، ويكون التفضيل مصروفاً إلى المخاطبين، أي: إلى ما هو مركوز في اعتقاد المخاطبين وعلى هذا فسرنا الآية. ويمكن أن يعدل به عن ظاهره إلى معنى هين أي: إلى معنى الصفة؛ لأن خلق المخلوقات عند الله على سواء لا يثقل عليه مخلوق ويهون عليه خلق مخلوق آخر ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس]، ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨].

(٢)- **سؤال:** حينما نستخدم أقيسة كثيرة لتفهيم بعض النقاط في أصول الدين فيقال بعدها: «ولله المثل الأعلى» فيثبت لله ما أنتجه القياس مثل: أن علم الله لا يؤثر في المعلوم، فهل هذا صحيح؟

الجواب: يجوز ويصح استخدام الأدلة جميعها في تفهيم الطالب وترسيخ المعلومة في فهمه، ويستثنى من ذلك ما يفهم منه التصوير والتحديد أو التجسيم لله تعالى أو تشبيهه بالمخلوقين.

(٣)- **سؤال:** ما فائدة التقييد بالسموات والأرض؟

الجواب: ليفيد أن ما في السموات والأرض يدل على وحدانيته وعظمته وقدرته وعلمه و..إلخ بما فيهما من الآيات البينات على ذلك، وأن الملائكة تسميه بأسمائه الحسنى، وأن أولياءه من أهل الأرض يسمونه كذلك، أي: أن ما في السموات والأرض يسمونه كذلك بلسان الحال والمقال.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴿٢٨﴾﴾(١) ضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل للمشركين على حسب ما يتعاملون به فيما بينهم ويتعايشون معه، فسألهم الله تعالى عما يملكونه من العبيد هل يرضون أن يشاركوهم في أملاكهم أم لا؟ وهل سيتركونهم يقتسمون معهم أملاكهم بالسواء أو تجعلون لهم نصيباً في ذلك؟ فهذا ما لا ترضونه أبداً؛ فكذلك الله سبحانه وتعالى لن يرضى لهذه المخلوقات أن تكون شركاء له في ملك السماوات والأرض، فكيف ترضون له ما لا ترضون لأنفسكم؟ إذاً أليس ظلماً أن تنسبوا إليه ما لا ترضون أن تنسبوه إلى أنفسكم؟

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(٢) ولن يرضى أولئك المشركون بذلك على أنفسهم فلماذا يرضون لله ما لا يرضون لأنفسهم، ولكنهم إنما يتبعون أهواءهم وما تدعو إليه شهواتهم، ولا حجة لهم ولا دليل فيما يدعونه من الشركاء مع الله جل وعلا.

﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ وقد حكم(٣) الله سبحانه وتعالى بضلالهم

---

(١)- **سؤال:** ما معنى «من» في قوله: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾؟ وما إعراب: ﴿مِنْ شُرَكَاءَ﴾؟ وما محل جملة: ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾؟

الجواب: معنى «من» ابتداء الغاية أي: كائناً من أنفسكم (ناشئاً من أنفسكم)، و«من شركاء» شركاء: مبتدأ مرفوع محلاً مجرور لفظاً بمن الزائدة، و«لكم» خبره مقدم. «تخافونهم» في محل رفع خبر ثان لأنتم.

(٢)- **سؤال:** بماذا تعلق «بغير علم»؟

الجواب: تعلق «بغير علم» بمحذوف حال من فاعل اتبع أي: اتبعوا أهواءهم حال كونهم جاهلين أو مصاحبين للجهل.

(٣)- **سؤال:** إذا طولبنا بالدليل الموجب لحمل إضلال الله على الحكم بالضلال؟ فهل قوله في نفس الآية: ﴿اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ من ذلك الدليل؟

الجواب: نعم، فذلك الذي دعانا إلى تفسير الإضلال بالحكم والتسمية، أي: أن الله تعالى حكم =

وغوايتهم فلن يستطيع أحد أن يردهم إلى الهدى، أو يحكم لهم به لا النبي[١] صلى الله عليه وآله وسلم ولا غيره.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝٢٩﴾ ولن يجدوا بعد ذلك من يدفع عنهم عذاب الله تعالى وسخطه الذي استوجبوه.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾[٢] ثم خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم - وأتباعُهُ يدخلون تبعاً له صلى الله عليه وآله - فأمرهم بأن يتوجهوا بأنفسهم إلى إقامة دين الله تعالى والعمل به مخلصين أنفسهم لله سبحانه وتعالى غير مائلين إلى عبادة شيء غيره.

﴿فِطْرَةَ[٣] اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ والله تعالى قد فطر الناس[٤] جميعاً على

على المتبعين لأهوائهم بالضلال وسماهم ضُلّالاً، وذلك من أجل أن لا يكذب آخر الآية أولها.

(١)-**سؤال:** يقال: قد يهدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حكم الله عليه بالضلال حكماً هو في معلوم الله غير مؤبدٍ، فكيف؟

الجواب: إذا تراجع الضال عن ضلالته وترك الباطل وعدل بهواه إلى الحق حينئذ يمحو الله الحكم عليه بالضلال ويجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الطريق إلى هدايته، أما ما دام الضال مصراً على ضلالته فلا سبيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا لغيره إلى هدايته؛ لأن حكم الله تعالى لا زال سارياً.

(٢)-**سؤال:** هل قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ من باب الكناية أو المجاز، وضحوا ذلك؟

الجواب: يمكن جعل ذلك استعارة تمثيلية، فإن من اهتم في نفسه بشيء انتصب وأقبل بوجهه إلى ذلك الشيء وأدام النظر فيه، فهذه الجملة المركبة هي المشبه به، أي: مجموعها هو المشبه به، أي: المستعار منه، والمستعار له هو الاهتمام والجد والاجتهاد في نشر الهدى والدين والاستقامة على ذلك.

(٣)-**سؤال:** قوله «حنيفاً» حال من ماذا؟ وما إعراب: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ﴾؟

الجواب: قد أجازوا أن يكون حالاً من فاعل «أقم»، ومن مفعوله، ومن «للدين». و«فطرة الله» مفعول به لفعل محذوف، أي: الزموا فطرة الله (الإغراء)، فهذا أجود ما قيل فيه من الإعراب.

(٤)-**سؤال:** نريد توضيح معنى فطْرِ اللهِ للناس على ذلك؟

الجواب: طبع الله فطر العقول وغرز فيها أن الفعل لا بد له من فاعل فعله؛ لذلك تجد الطفل عند

=

معرفة الدين الحق، وأولئك الذين اتبعوا غيره إنما استجابوا لما استهوتهم الشياطين إليه وما نشأوا عليه في تلك المجتمعات الكافرة حتى تربوا على طريقتها، وإلا فكل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذين يهودانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسَانه، فإنهم لو تركوا الإنسان وما تدعو إليه فطرته وغريزته لآمن بالله تعالى وصدق بما جاءت به رسله.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴿٣٠﴾﴾ فهي فطرة الله تعالى ولن يستطيع أحد أن يبدل خلق الله أو يغيره[1].

بدء التمييز يكثر السؤال على أبويه: من الذي فعل ذاك؟ ومن الذي فعل هذا؟ من الذي أعطاك هذا؟ و..إلخ؛ لهذا فإن البشر جميعاً يتوجهون إلى ذلك الغائب بما غرز الله في عقولهم حتمية وجوده، إلا أن الأبوين والمجتمعات توجه الصغار والناشئين إلى الدين الذي هم عليه، هكذا البشر على طول التاريخ، إلا أنه في القرن الماضي ثارت ثورة على الدين هي ثورة الشيوعية فحاربوا الأديان جميعاً، وغلقوا أبواب الدين والديانة وجعلوا الطاعة كلها للدولة والحزب الحاكم، وجميع الرعايا عمال مع الدولة وكل شيء للدولة، ومن زرع وحصد فللدولة، والمصانع والمنتجات للدولة، والأرض كلها للدولة، ولا يملك المواطن شيئاً، وعلى الدولة نفقات الشعب وكسوتهم ومساكنهم وعلاجهم وكل ما يحتاجون إليه بحساب دقيق، والشعب كله عمال مسخرون، أي: أن الشعب كله عبيد مماليك للدولة. وقد استمر هذا الوضع سبعين عاماً على شعوب دولة الإتحاد السوفيتي إلى أن تفككت في أواخر القرن الماضي. وما جاءت به الشيوعية هو دين أيضاً حيث جعلت الدولة لنفسها منزلة الربوبية، وجعلت الشعب لها عبيداً مسخرين في طاعتها وجردتهم من الأملاك التي كانت بأيديهم، وحظرت عليهم التملك و..إلخ.

(١)-**سؤال:** يقال: كيف نجمع بين هذا وبين الحديث: ((يهودانه أو.. إلخ))؟ وما أوضحتموه في شرحه فقد يفهم منه أن بمقدور الشياطين ونحوهم أن يبدلوا تلك الفطرة؟

الجواب: لا يقدر الشياطين على تبديل الفطرة، ولكنهم يضلون الفطرة، ويسلكون بها في طريق غير الطريق التي لو تُرِكت لسارت فيها، ثم يزينون لها الدين الذي أوصلوها إليه، ويذمون لها ما

=

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ حال من الناس في قوله: «فطر الناس».

﴿وَاتَّقُوهُ﴾ فلا تعصوه فيهلككم ويعذبكم.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ وقد خص الله سبحانه وتعالى الأمر بإقامة الصلاة؛ لأنها عمود الدين فمن أقامها وحافظ عليها فإنه سيحافظ على بقية الطاعات.

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴿٣١﴾﴾ ولا تسيروا بسيرة المشركين في طريق الضلال ومعصية الله تعالى.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴿٣٢﴾﴾[1] من المشركين الذين صفتهم أنهم كانوا ينقسمون إلى فرق وأحزاب، وكل فريق كان يظن أنه الذي على الحق وأن غيره في ضلال؛ لأن المشركين منهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد النار، ومنهم من يعبد الشمس، ومنهم من يعبد البقر، وكل فريق منهم كان له إله يعبده، وقد زين له إبليس أنه على الحق والهدى وغيره في ضلال وهلاك، فنهى الله سبحانه وتعالى عباده أن يكونوا من هؤلاء

سواه من الأديان، فإذا زينوا لها ذلك وأيّ أبويه وأهل بلده وجيرانه وأقرانه كلهم يدين بذلك الدين ويعظمونه ويكرهون من يخرج عنه أشد الكراهة وأبلغها- لا يجسر على المخالفة، مع أن فطرته غير مصدقة بما وصل إليه من الدين؛ لأن فطرة العقل لا تطمئن إلا إلى الحق ولو كثر الملبسون عليها، إلا أنها تستسلم للأمر الواقع وتذعن لدين الآباء والأجداد والمجتمع، أما الفطرة فلا تذعن ولا تستقر.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا﴾؟ وما محل جملة: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴿٣٢﴾﴾؟

الجواب: «من الذين فرقوا» بدل من قوله: «من المشركين» فمحله النصب، وجملة «كل حزب بما لديهم فرحون» لا محل لها من الإعراب؛ لأنها مستأنفة في جواب سؤال مقدر.

سؤال: هل إطلاق تفريق الدين على التفرق فيه حقيقة أو مجاز؟

الجواب: تفريق الدين مجاز؛ لأن الظاهر أن التفريق والتفرق هو للمحسوسات، هذا ما ظهر لي من كلام الزمخشري في كتابه (أساس البلاغة) الذي فصل فيه الحقيقة والمجاز.

المتفرقين قطعاً وأحزاباً[١].

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً[٢] إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ۝﴾[٣] أخبر الله تعالى في هذه الآية عن طبيعة البشر بشكلٍ عام بأنهم إذا أصابهم ضر وشدة ومصيبة توجهوا إليه، وانقطعوا إليه؛ ليفك عنهم ما حل بهم من المصائب، ويخلصهم من تلك الشدائد، وينسون عند ذلك تلك الآلهة التي يعبدونها؛ فإذا كشف الله عنهم ذلك الضر وتلك البلوى رجعوا إلى ما كانوا عليه من الشرك والضلال، ونسوا الله تعالى.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾[٤] وأنهم يرجعون إلى شركهم وأصنامهم ليكفروا بنعمة الله تعالى التي أنعم بها عليهم تمرداً وعناداً.

---

(١)-**سؤال:** قد يعتقد المتمسك بالحق من المسلمين أن تمسكه من هذا التفرق المذموم حيث يرى أن فرقته الناجية، وغيرها في ضلال، وأنه قد شابه أولئك المتفرقين؛ فما توجيهكم في ذلك؟

الجواب: المقصود بالذين فرقوا دينهم الذين خالفوا الدين الحق، أما الذين أقاموا وجوههم للدين حنفاء وأنابوا إلى الله وأقاموا الصلاة واستقاموا على الصراط المستقيم، فليسوا داخلين في تلك الفرق المذمومة.

(٢)-**سؤال:** ما السر في تقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿مِنْهُ رَحْمَةً﴾؟

الجواب: قدم للاهتمام والتركيز على كون الرحمة صادرة منه تعالى.

(٣)-**سؤال:** هل في قوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ دلالة على إخراج المؤمنين الثابتين على إيمانهم في الرخاء والشدة؟ وهل في تقليل الدعاء والرجوع إلى الله من المؤمن في الرخاء عكس الشدة ما يخل بإيمانه؟

الجواب: في ذلك قرينة دالة على أنه أراد بالناس ما سوى المؤمنين، أي: أن المؤمنين لم يدخلوا في عموم الآية. وأما قلة الدعاء في حال الرخاء فلا يخل بالإيمان، فمن شأن المؤمن أن يكون مستشعراً للفقر إلى الله والحاجة إليه وأن الخير بيده، وأن يكون قلبه مائلاً إلى الله معتمداً عليه؛ لإيمانه أن أزِمَّة الأمور بيده ومصادرها عن قضائه، وأنه لا حول له ولا قوة؛ فما دام ذلك في قلبه وبين لحمه ودمه فهو من الذاكرين الله وإن قل ذكره بلسانه.

(٤)-**سؤال:** هل يصح في هذه اللام أن تحمل على وجه آخر؟ وما معنى الفاء في قوله: «فتمتعوا»؟

=

﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ۝٣٤﴾ يهددهم الله سبحانه وتعالى بسبب كفرهم ذلك وتمردهم عليه، ويخبرهم أنهم عما قريب سوف يعلمون عاقبة كفرهم وتمردهم هذا.

﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ[1] بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ۝٣٥﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم عبادتهم للأصنام، ولماذا يعبدونها؟ وهل يملكون حجة ودليلاً على إلهيتها وربوبيتها؟ أم أنهم يعبدونها اتباعاً لأهوائهم وشهواتهم؟

فلا دليل لهم ولا حجة ولا سلطان لا من كتاب ولا من عقل ولا من أي شرع، وإنما يتبعون أهواءهم وما تدعو إليه أنفسهم.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾ وأيضاً من طبيعتهم أنهم إذا أسبغ الله تعالى عليهم النعم وأوسع عليهم في الأرزاق فرحوا بها فرح بطر، واستعملوها فيما يغضب الله تعالى من المعاصي والشهوات.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ۝٣٦﴾ وأنهم إن عاقبهم الله سبحانه وتعالى بسبب ما أذنبوا أصابهم القنوط واليأس من رحمته، وظنوا عند ذلك أنه قد انتهى عليهم كل شيء، لعدم اعتمادهم على الله تعالى وتوكلهم عليه فتنقطع لذلك آمالهم في الله تعالى وفضله، وأنه الذي يعطي ويمنع؛ وأما المؤمن[2] بالله فهو متوكل عليه في جميع أموره إن أمده بنعمه وأوسع عليه في رزقه شكر الله تعالى على ما أعطاه، واستعان بذلك على طاعته وفعل ما يرضيه، وإن سلب نعمته عنه فلا ينقطع أمله في الله تعالى فهو على يقين أن ما عند الله من العوض خير مما

الجواب: يصح فيها أن تكون لام العاقبة أيضاً، والفاء استئنافية.

(١)-**سؤال:** ما وجه إسناد الكلام إلى السلطان والحجة؟

الجواب: في «يتكلم» استعارة تبعية، حيث شبه الدلالة بالكلام فاستعاره لها.

(٢)- **سؤال:** ما الذي خصص المؤمن مما دلت عليه هذه الآية أدلالة السياق؟ أم مخصصات منفصلة أخرى؟

الجواب: خصص المؤمن السياق كما ذكرنا أولاً.

أخذ منه، وأنه إن لم يعوضه في الدنيا فسيعوضه في الآخرة(١).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴿٣٧﴾﴾ أولم يعلم أولئك المشركون وغيرهم أن الله تعالى هو الذي يعطي ويمنع ويوسع رزقه على من يشاء من عباده، ويضيق رزقه على من يشاء من عباده، وأن الناس لو أجالوا خواطرهم في هذا المجال لعرفوا أن ذلك آية من آياته الدالة على علمه وحكمته، وذلك لما جعل في ذلك من المصلحة العظيمة لعباده لكي تستمر حياتهم.

فإذا نظر المرء في ذلك علم أن الدنيا لن تستقيم ولن تعمر إلا بذلك، وكذلك التكليف لن يتم إلا بذلك التفاوت بين عباده، وذلك بما يحصل فيه من الاختبار لهم هل سيصبر هذا على فقره، والآخر هل سيشكر على غناه، ويخرج ما أوجب الله سبحانه وتعالى عليه في أمواله؟ وبما يقع من تسخير عباده بعضهم لبعض لتتم الحياة، وتستقيم المعيشة، فلو كانوا جميعاً أغنياء فكيف ستكون حالتهم؟ وهل ستعمر الأرض؟ طبعاً لن يكون شيء من ذلك، ولما خدم بعضهم بعضاً، أو عمل بعضهم مع بعض، وكذلك العكس لو كانوا جميعاً فقراء.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لن يعرف آياته هذه إلا المؤمنون.

﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى

---

(١)- **سؤال:** هل توجه الناس واندفاعهم بقوة لإصلاح مزروعاتهم ومن ضمنها القات بعد الضريب مثلاً- يعد من الهلع وشدة الحرص أم لا، فما توجيهكم في ذلك؟

الجواب: ليس الاهتمام بإصلاح القات بعد الضريب من الهلع والحرص فقد أمر الله المؤمنين: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك:١٥]، ولم ينقطع رجاؤهم في الله وأملهم في فضله ورحمته فتوجهوا بعد الضريب إلى استصلاح ما فسد وتنميته والعناية به، ولا ضير على المؤمن فيما يعرض له من الحزن والضيق عند نزول نحو الضريب؛ فطبيعة البشر مبنية على الحزن والفرح والسرور والأمن وأضداد ذلك.

نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بصلة أرحامه وقرابته لما لهم من الحقوق التي أوجبها الله تعالى، ولما في ذلك من المصلحة التي تعود على الأقارب فيما بينهم من إنشاء الروابط، وتوثيق العلاقات وغير ذلك من المصالح الكثيرة العظيمة، وكذلك أمر بصلة المساكين[١] وأبناء السبيل، لما في ذلك من الثواب العظيم والمصلحة العظيمة.

وقد وجه الله سبحانه وتعالى الخطاب هنا إلى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لكونه كبير أمته، وباقي أمته تدخل تبعاً له.

وأما صلتهم فلم يحددها الله سبحانه وتعالى بحد معلوم كالزكاة وما أشبهها فترَكَ ذلك على حسب الظروف المحيطة، وعلى قدر التفاوت فيما بينهم من ناحية الغنى والفقر، فإذا كان أحد هؤلاء محتاجاً وأنت غني فيجب عليك أن تواسيه بقدر ما يسد حاجته وجوعته، وبما يكسوه ويستر عورته، وكذلك يجب على الأغنياء في المساكين أن يسدوا جوعتهم ويستروا عورتهم ويؤووهم، وكذلك عابر السبيل فيجب لمن أقبل[٢] وافداً عليك أن تعطيه ما يقيه الحر والبرد، وأن تشبع جوعته إن لم يكن هناك أحد يقوم مقامك في ذلك.

﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۝٣٨﴾[٣] وذلك

---

(١)-**سؤال:** هل المراد بصلة المساكين وأبناء السبيل هنا من غير الواجب (الزكاة) أم منها فقط؟
الجواب: المراد بالحق الواجب للمساكين وابن السبيل من الحقوق المالية هو الزكاة، فقوله في الآية: ﴿حَقَّهُ﴾ يدل على أن هناك حقاً معروفاً معهوداً، ولم يعهد ويعرف إلا الزكاة، أما غيرها فهي حقوق عارضة تعرض عند عروض أسبابها كالتي ذكرناها في التفسير.

(٢)-**سؤال:** هل المراد ضيافة الضيف الوافد أم المراد به لمن كان مسافراً غير مستضيف؟
الجواب: المراد بذلك المسافر الذي يفد عليك حيث لا يوجد حولك مطاعم ولا أسواق، فإن أطعمته وآويته وإلا بات في الخلاء جائعاً وربما أهلكه الجوع والبرد.

(٣)-**سؤال:** يقال: قد قيد أهل الفقه هذه الأمور من الإنفاق بقيود، مثل الإعسار في حق القريب وكون المنفِق وارثاً، ومثل أن الضيافة على أهل الوبر ونحوها؛ فهل يتوقف عندها؟ أم لا؛ نظراً لعموم هذه الآية: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ...﴾ إلخ؟
الجواب: الذي ينبغي القول به في مثل تلك الحقوق اللازمة لذوي الأرحام ونحوهم أن الذي
=

باب من أبواب الخير التي جعلها الله سبحانه وتعالى لعباده، وفرصة هيأها الله سبحانه وتعالى لكسب الحسنات والفوز برضوانه ونعيمه، فينبغي للمؤمن أن يستغل ذلك ولا يضيعه.

﴿وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾ كان الأغنياء في الجاهلية لا يعطون الفقراء أو يقرضونهم إلا على سبيل الربا، فلا يعطيه شيئاً إلا ويشرط عليه أن يرده مضاعفاً[١]، فأخبر الله تعالى أن ما أعطاه هذا المديون للغني فلا ثواب فيه ولا أجر له على هذه الزيادة، وحذر عباده أن يتعاملوا بمثل هذه المعاملة.

﴿وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ۝٣٩﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن الثواب إنما يكون لأولئك الذين يخرجون زكاة[٢] أموالهم التي فرضها الله سبحانه وتعالى عليهم خالصة له تعالى، وأما أولئك الذين يخرجونها إلى الأغنياء لأجل أن يربوا في أموالهم ويضاعفوها لهم فلا ثواب لهم في شيء من ذلك.

يجب منها ما جرت به الأعراف بين طبقات المجتمع، أي: العرف المعروف بين الأغنياء، والعرف المعروف بين من دونهم، و...إلخ. والمراد بهذا العرف الذي إذا حصل التقصير فيه أو التهاون به تعرض المقصر للذم والتحقير عند عموم الناس، وهذا في حقوق الأرحام والجيران والمساكين وابن السبيل والصاحب و..إلخ. وابن السبيل يشمل الضيف الوافد إلى أهل الوبر، أو إلى من في حكم الوبر وهو أهل البيوت المبنية في القفار حيث لا يوجد أسواق ولا مطاعم ولا مأوى.

(١)- **سؤال:** يقال: هذا هو ظاهر الآية والخطاب فيها، وهل يصح حمله على الأغنياء ويكون الوعيد متوجهاً إليهم لتقابل الآية التي بعدها؟

الجواب: كان المسلمون في المدينة أهل مزارع نخيل، وكانوا يستدينون من اليهود إلى جذاذ النخل، فإذا جذوا نخلهم أوفوهم، وكان اليهود أهل ربا لا يبيعون لأهل المدينة إلا بالربا، وعلى هذا فالآيتان هذه والتي بعدها هي خطاب لأهل المدينة (أهل النخيل).

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما هو وجه المقابلة بين الزكاة والربا؟

الجواب: يظهر وجه المقابلة مما تقدم في الجواب الذي قبل هذا، فالمخاطبون هم أهل المدينة ذم الله لهم الربا وقبحه، وزين لهم فعل الزكاة.

﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ۝٤٠﴾ ثم وجه الله سبحانه وتعالى خطابه إلى المشركين يخبرهم بأنه وحده الذي خلقهم، وهو وحده الذي بيده رزقهم بما أنزل لهم من المطر، وأخرج لهم به الثمر، وأن بيده وحده حياتهم ومماتهم، وأما تلك الأصنام التي تعبدونها فلا تستطيع أن تفعل لكم شيئاً، فلماذا تعبدونها وتتركون عبادة الإله الذي بيده كل ذلك؟ وقد تنزه وتقدس عن أن يكون له شريك كما يزعمون.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ[1] بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ۝٤١﴾ ظهر الفساد في الأرض وهو ما يحصل من إخافة الطريق، ونهب الأموال، وإقلاق الأمن، وبث الرعب في قلوب الناس، فأخبر سبحانه أن كل ذلك الذي يحصل إنما هو عقاب بسبب الذنوب والمعاصي التي أطبقت وانتشرت بين أوساط الناس، فلو أنهم استقاموا على طاعة الله سبحانه وتعالى لهيأ لهم أسباب الأمن والأمان ولسهل لهم أرزاقهم، ووفر لهم أسباب معايشهم، ولأصلح لهم جميع أحوالهم، وبارك لهم في تجاراتهم وثمارهم وزروعهم.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن ما يحصل إنما هو جزاء[2] على بعض ذنوبهم، وأنه لو أخذهم بذنوبهم جميعها لأهلكهم ولدمرهم، وأخبر أيضاً أن في ذلك مصلحة

---

(١)- **سؤال:** إذا قيل: ما هو الفساد في البحر فبماذا نجيب؟

الجواب: قد يكون الفساد في البحر هو تعسر ركوب البحر لشدة العواصف وهيجان البحر، وأيضاً قلة ماء الأنهار، وكثرة قراصنة البحر، وكثرة الغرقى فيه.

(٢)- **سؤال:** هل هنا مقدر محذوف تقديره: ليذيقهم جزاء بعض الذي عملوا؟ أم كيف؟

الجواب: الأمر كذلك، فلا بد من التقدير المذكور.

سؤال: هل العقوبة من الله في هذه الآية بتخلية أهل الفساد وفسادهم؟ أم ماذا؟

الجواب: بعضها من الله كقلة الأمطار وفساد الثمار وهيجان البحار، وبعضها يحصل بالتخلية كتسليط الظلمة وقلة الأمن ونحو ذلك.

لهم لعل ذلك يكون سبباً إلىٰ رجوعهم إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وتنبيهاً لهم إن أرادوا أن ينتبهوا من غفلتهم، ويستيقظوا من رقدتهم.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾[1] عندما دعا النبي ﷺ قومه رفضوا وعاندوا واستكبروا، فأنزل الله سبحانه وتعالىٰ عليه أن يأمر المشركين بأن ينظروا كيف كانت عاقبة أولئك الذين كانوا يتمردون علىٰ أنبيائهم، وذلك عند مرورهم علىٰ قراهم ومساكنهم، وكيف أصبحت بسبب ذلك؟ وكيف استأصلهم الله سبحانه وتعالىٰ وأهلكهم جزاءً علىٰ كفرهم وتكذيبهم؟

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ بأن يتوجه بوجهه وعبادته إلىٰ الدين القيم، وأن يستقيم عليه، وأن لا يأخذه الوهن والفتور في مواصلة دعوته وتبليغه ما أمره.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ وهو يوم القيامة، فإذا حان موعده فقد انقطع الأمل، وأغلقت أبواب التوبة، فلا الندم ينفع ولا أحد يشفع.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ أي: يتفرقون إلىٰ الجنة وإلىٰ النار، وذلك يوم القيامة سينقسم الناس إلىٰ فريقين: كفار ومؤمنين؛ ثم ذكر كل فريق وما يستحق فقال:

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ فالذين كفروا يكون وبال كفرهم عليهم في نار جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ وأما أهل الأعمال الصالحة فقد نفعوا أنفسهم بما قدموا من الأعمال الصالحة، وسيخلدون في نعيم الجنة.

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾؟

الجواب: الجملة مستأنفة للتعليل فلا محل لها من الإعراب.

﴿لِيَجْزِيَ[(١)] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ[(٢)] إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ۝٤٥﴾ فسيبعث الله سبحانه وتعالى الناس جميعاً يوم القيامة للحساب والجزاء، فيجزي المؤمنين بما استحقوه من الثواب على أعمالهم، ويعذب الكافرين جزاءً على كفرهم وتكذيبهم بالله تعالى وبما جاءت به رسله؛ فهذا هو الغرض الذي سيبعث الله تعالى الناس من أجله.

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾[(٣)] ومن آياته الدالة على قدرته وإلهيته وعظمته وجلاله تلك الرياح التي يرسلها مبشرة بقدوم المطر.

﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ﴾ وسخرها أيضاً لتسيير السفن في البحر.

---

(١)- **سؤال:** هل قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ إلخ علة لقوله: ﴿يَصَّدَّعُونَ۝٤٣﴾ كما هو ظاهر كلامكم أيدكم الله بتأييده؟

الجواب: نعم، ذلك متعلق بيصدعون.

(٢)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذه الآية أن الثواب تفضل من الله سبحانه لا استحقاق، فكيف ترون ذلك؟ وكيف يجمع بين هذه الآية والآيات الأخرى: ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ آية النور [النور:٣٨]؟

الجواب: قد سبق منا جواب على مثل هذا السؤال خلاصته: أن الثواب في الآخرة تفضل من الله تعالى، إلا أنه سبحانه وتعالى جعله جزاءً؛ تفضلاً منه تعالى ولطفاً لأوليائه المؤمنين؛ ليستكثروا من الأعمال الصالحة؛ ليكثر أجرهم وثوابهم، وليحلو لهم الأجر والثواب ويعظم في نفوسهم، فإن ما حصل للمرء من المكاسب بعمل يده وبتعبه وجهده يكون أوقع في نفس المرء مما حصل عفواً بغير تعب.

(٣)-**سؤال:** هل إذاقة الرحمة هي التبشير بالمطر؟ أم أنها شيء آخر فما هو؟

الجواب: الذي يظهر أن الرحمة هي المطر وما يحصل بسببه من الأرزاق، وذلك أنه قد ذكر الرياح وذكر التبشير ثم عطف قوله: ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ...﴾، وظاهر العطف التغاير.

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾[(١)] وهذا من فوائد الرياح التي سخرها الله تعالى لخلقه، وهو أنها تُسيِّرُ السفن التي تحمل المسافرين في البحر للتجارة وجلب البضائع، وتسوق السحب وتلقحها، وبها تصلح الأشجار وتزكو الثمار، ويتلطف الهواء وتتخفف حرارة الجو.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ۝٤٦﴾ ومن فوائدها أيضاً أن جعلها الله تعالى من النعم العظيمة التي إذا شكرناه عليها تعرضنا لنيل ثوابه ورضوانه، وفيها أيضاً تلقيحُ الأشجارِ وإصلاحُ الثمارِ، وغير ذلك من الفوائد التي يكثر تعدادها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قد أرسل كثيراً من الأنبياء إلى أممهم ليبلغوهم آياته وحججه، وأن كل نبي قد لاقى مثل ما لاقيت من أمتك يا محمد، فلا يضق صدرك أو يفتر عزمك أو تضعف قوتك في مواصلة ما أمرك ربك.

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ فاصبر يا محمد فإن الله تعالى سوف ينتقم لك من قومك كما انتقم من المكذبين بأنبيائهم قبلك.

﴿وَكَانَ حَقًّا[(٢)] عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ۝٤٧﴾ وعد من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه

---

(١)- **سؤال:** هل هذا العطف ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ على ما قبله من باب عطف الخاص على العام، أم لها مفهوم آخر؟

الجواب: ليس هذا العطف من عطف الخاص على العام، بل من عطف المتغايرات فالابتغاء من فضل الله هو غير جري الفلك في البحر، فالجري بالسفن على الماء نعمة، وتحصيل المكاسب والأرباح وتنمية الأموال بالتجارة نعمة أخرى.

(٢)-**سؤال:** ما السر في تقديم الخبر في قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا﴾؟

الجواب: قدم للاهتمام به وذلك أن المؤمنين كانوا قد استبطأوا النصر حتى ضعف يقين بعضهم بوقوعه، فقدم «حقاً» ليصدمهم أولاً بحتمية وقوع النصر، وأنه قضاء مقضي لا خلف فيه، وكون النصر حقاً أو غير حق هو الغرض من الكلام وهو المقتضي له؛ لذلك قدم.

لا بد أن ينتصر لأوليائه المؤمنين[١]؛ وكان المؤمنون قد استبطئوا نصر الله سبحانه وتعالىٰ، وقد طالت عليهم مدة انتظارهم لذلك، فطمأن الله تعالىٰ نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بذلك، وبشره بأنه لا بد أن ينزل نصره للمؤمنين حين الموعد الذي قد حدده بحكمته لنزوله.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ۝٤٨﴾ ثم أخبر الله تعالىٰ المشركين بأنه هو الذي يرسل الرياح التي تسوق ذلك البخار الذي يتصاعد من البحار فتجمعه حتىٰ يتكون سحاباً يحمل الماء[٢]، ثم تسوقه الرياح بأمر الله تعالىٰ إلىٰ حيث أراد أن ينزل رحمته التي يستبشر بها كل من وصلت إليه. ومعنىٰ «كسفاً»: قطعاً متفرقة، والودق: المطر.

---

(١)- **سؤال:** كثير من المؤمنين لا يرىٰ النصر الفعلي لجماعة الحق فيتشكك في كونهم علىٰ الحق، فما توجيهكم في ذلك؟

الجواب: الابتلاء بالأعداء وقوتهم وظلمهم فتنة واختبار للمؤمنين، ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ..﴾ [محمد:٤]، فمن نظر وتدبر فيما لقي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين من الأذىٰ والمضايقات سنين طويلة، وما أصابهم من القتل والجرح، ثم ما لقي علي عَلَيْهِ السَّلَام وأهل بيته من ذلك- لم يحصل له شك بعدم النصر.

(٢)- **سؤال:** إذا قيل بأن البخار الذي يتصاعد لا يمكنه أن يكوّن السحاب الكثيف الكثير الذي يشبه الجبال، خصوصاً في أوقات الشتاء والبرودة، فبماذا يجاب علىٰ ذلك؟

الجواب: قال تعالىٰ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا۝١﴾ [النازعات]، فسرها الإمام القاسم بن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام بالرياح تنزع السحاب من البحر، وبإرادة الله فإن الرياح تغرق في النزع، أي: تبالغ في سحب الماء من البحر وترفعه في السماء علىٰ شكل ذرّات صغيرة ثم تسوقه الرياح إلىٰ حيث يشاء الله، **وبعد،** فقد صار ذلك من الحقائق الثابتة اليوم عند أهل العلم الحديث.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ(١) عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ۝٤٩﴾ أخبر الله تعالى أنه ينزل المطر عليهم بعد أن كان قد أصابهم اليأس والقنوط من رحمته، وأخبر أن هذه سنته أن ينشر رحمته بعد أن يصيبهم اليأس.

﴿فَانْظُرْ إِلَى ءَاثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ انظر وتفكر يا محمد، أو أيها السامع إلى الأثر الذي يتركه المطر بعد نزوله من إحياء الأرض بالزرع والشجر والثمر بعد أن كانت قد يبست وتفتتت وقد أخذ الجفاف منها كل مأخذ.

﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ۝٥٠﴾ فالذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الموتى بعد تفتت عظامهم، فإن كل من نظر وتفكر في إحياء الأرض بعد موتها علم علماً يقينياً أن من قدر على ذلك فهو قادر على أن يبعث الأموات، ويحييهم بعد موتهم وتفتت عظامهم، وأن ذلك ليس ببعيد على قدرته(٢).

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ(٣) يَكْفُرُونَ۝٥١﴾ وهذه

---

(١)- **سؤال:** ما محل هذا المصدر «أن ينزل» من الإعراب؟ وما إعراب: «لمبلسين»؟ وما الحكمة من زيادة قوله: «من قبله»، مع فهم المعنى بدونها؟ وما إعرابها؟

الجواب: محل المصدر «أن ينزل» الجر بإضافة «قبله» إليه، و«لمبلسين» اللام: هي الفارقة، و«مبلسين»: خبر كان. وزيادة «من قبله» قد كانت للتأكيد حيث أفادت «من قبله» الثانية أن يأتيهم من المطر حاصل إلى حين نزوله، بخلاف الأولى فإنها محتملة للفسحة في الزمان، وتعرب «من قبل» الثانية إعراب الأولى بالتبعية لها في إعرابها.

(٢)- **سؤال:** هل هذا المدلول للآية هو المسمى بالقياس العقلي عند أهل علم الكلام؟ وهل في قولهم: «قياس الشاهد على الغائب» تعكيس للعبارة، أم كيف توجيهها؟

الجواب: هذا هو القياس العقلي عند أهل علم الكلام وهو غير القياس المنطقي. وقولهم «قياس الشاهد على الغائب» يقصدون به قياس الغائب على الشاهد فالعبارة معكوسة، إلا أنهم لا يقصدون بها إلا عكسها.

(٣)- **سؤال:** إلام يرجع الضمير في قوله: «من بعده»؟

الجواب: يعود الضمير للاصفرار أو للريح أو للمطر كل ذلك جائز.

هي طبيعة المشركين أن الله تعالىٰ إذا أرسل تلك الريح[١] التي تجعل الزرع أو النبات أصفر بعد الخضرة تشاءموا بها وانقطع أملهم في الله تعالىٰ وفي رحمته، فلا تراهم يلجأون إليه أو يتوسلون، وإنما طبيعتهم القنوط واليأس من رحمة الله سبحانه وتعالىٰ والكفر به.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ[٢] إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ۝٥٢ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ يريد الله سبحانه وتعالىٰ أن يقطع طمع النبي ﷺ في إيمان قريش، فأخبره أنهم لن يؤمنوا أبداً مهما حاول فيهم، ولذلك شبههم الله تعالىٰ بالموتىٰ الذين لا يستطيعون أن يسمعوا شيئاً، وكذلك بالصم عندما يلوي أحدهم ظهره عنك فلا تستطيع أن تُسْمِعَهُ مهما حاولت؛ فذلك حال المشركين، وكذلك شبههم بالعمي فمهما وصفت لهم الطريق لن يستطيعوا أن يهتدوا إليها.

﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ وأنه لن يسمع منك يا محمد ويستجيب لدعوتك إلا أولئك الذين آمنوا بالله تعالىٰ وصدقوا ما جئت به وتواضعوا لقبول الحق.

---

(١)- **سؤال:** ما هي هذه الريح؟ وكيف عملها؟ وما هي الحكمة في عملها مع أن في ظاهرها إضراراً بالنبات؟

الجواب: هذه الريح هي من جنس الريح المبشر بالمطر إلا أنه لا يعقبها مطر فيصفر الزرع ويجف لعدم المطر، ولما خاب ظنهم في نزول المطر انتعشت فيهم دواعي الكفر وظلوا يكفرون. وعمل هذه الريح هو كعمل المبشرة إلا أنه لا يعقبها المطر، ويمكن أن تكون هذه الريح ريح عذاب تضرب زرعهم كالريح التي تضرب شجرة القات، بقرينة تسميتها باسم الريح أما ريح الرحمة فتسمىٰ رياحاً.

(٢)-**سؤال:** هل قوله: «الدعاء» مفعول للفعلين المتقدمين أم ماذا؟

الجواب: الفعلان متنازعان للدعاء؛ لذلك يكون مفعولاً به للفعل الأول، ويضمر للفعل الثاني ضمير الدعاء. ووجه آخر: أن يكون الدعاء مفعولاً به للثاني، ويقدر للأول مفعول به علىٰ غير وجه التنازع.

﴿فَهُمْ(١) مُسْلِمُونَ۝٥٣ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ(٢) ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ يكرر الله تعالى نداءه للمشركين ويذكرهم بما قد بث لهم من الآيات التي يحثهم على النظر والتفكر فيها، فأمرهم هنا أن يتفكروا في كيفية خلقهم من تلك النطفة الماء المهين، وكيفية تكوينهم درجة بعد درجة وطوراً بعد طور إلى أن يصبح هذا المخلوق إنساناً سوياً ثم كيف تبتني قوته شيئاً فشيئاً إلى أن يصبح إنساناً في أوج قوته.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾(٣) وكيف يصير بعد أن يستكمل قوته فيبدأ بالنقص والتدرج إلى الوراء إلى أن يرجع إنساناً ضعيفاً كما كان من قبل.

﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ۝٥٤﴾ فالخلق خلقه وهذه مشيئته وإرادته يخلق ما يشاء بعلمه وقدرته، فمن تفكر في ذلك عرف الله سبحانه وتعالى حق معرفته.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾(٤) ثم أخبر الله

---

(١)-**سؤال:** ما الوجه في عطف هذه الجملة الاسمية على سابقتها الفعلية؟

الجواب: عطفت على معنى الجملة الأولى، أي: على التوهم، كأنه قيل: إلا الذين هم مؤمنون.

(٢)- **سؤال:** هل «من» في قوله: «من ضعف» على بابها؟ فكيف تعلقها؟ أم ليست على بابها فما معناها؟ وما نوع اسمية «ضعف»؟

الجواب: «من» على بابها ابتدائية، فخلق الآدميين ناشئ من ضعف، ومتعلق بخلقكم، أي: أن الخلق ابتدأ ونشأ من الضعف، و«ضعف» مصدر للفعل «ضَعُفَ»، والله أعلم.

(٣)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من الإعراب؟

الجواب: يجوز أن تكون خبراً ثانياً فتكون في محل رفع، ويجوز أن تكون في محل نصب حالية، ويصح أن تكون للتأكيد؛ لأن معناها هو معنى ما سبقها من الجمل.

(٤)- **سؤال:** هل لجملة: ﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ محل من الإعراب أم لا؟ وما إعراب «غير ساعة»؟ وهل المراد بالساعة هذه المعروفة في زماننا بتحديدها أم ماذا؟

الجواب: لا محل لقوله: ﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ من الإعراب؛ لأنها جواب القسم، و«غير ساعة» غير: ظرف زمان لإضافته إلى ظرف زمان فهو مفعول فيه لـ«لبثوا»، وساعة: مضاف إليه. والمراد

=

سبحانه وتعالى عن حال المشركين والكافرين ساعة مبعثهم وقيامهم من قبورهم إلى الحساب والجزاء حيث يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا[١] فيحلفون أنهم لم يلبثوا إلا ساعة.

﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ۝٥٥﴾ وهكذا كانت حالتهم في الدنيا، لا يهتدون إلى الحق والصدق؛ لأنهم بقولهم ذلك القول يوم القيامة: ما لبثوا إلا ساعة لم يتكلموا بالحق والصدق فقد لبثوا في الحقيقة أكثر من ذلك، فطبيعتهم الكذب في الدنيا والآخرة والعمى عن معرفة الحق والصواب.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ۝٥٦﴾[٢] ثم أخبر الله تعالى أن المؤمنين

بالساعة هنا جزء من النهار مقدر على أكثر تقدير من شروق الشمس إلى الزوال، بدليل قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا۝٤٦﴾ [النازعات]؛ لذلك فتفسر الساعة المذكورة هنا وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف:٣٥] بهذا، والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

(١)- **سؤال:** فضلاً هل يصح أن تحمل الآية على استقصارهم لمدة لبثهم في القبور ليوافق قولهم: ﴿يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس:٥٢]، ولقولهم: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [المؤمنون:١١٣]، ولأنه المتبادر؟ أم كيف؟

الجواب: نعم، ذلك يدل على استقصارهم للمدة مع علمهم بأنهم لبثوا أكثر، ولكنهم لاستقصارهم المدة شبهوا بمن لم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف:٣٥].

(٢)- **سؤال:** هل في هذه الآية رد صريح على من استدل على نفي عذاب القبر بتسمية المجرمين له مرقداً واستقصارهم لمدته؟

الجواب: حياة البرزخ ونعيمه أو عذابه كالمجمع عليه بين علماء أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أنها حياة روحية لا جسدية، فالأجساد قد ماتت وفارقتها الروح وصارت تراباً وعظاماً نخرة، لا حياة لها في القبر. والحياة في القبر يراد بها حياة الروح وحدها، وعذاب الروح في البرزخ هو عذاب معنوي حيث تعرض على المجرم ما أعد الله له من العذاب في نار جهنم، فيرى جزاءه وما فيه من الأهوال

=

سوف يردون على كذبتهم تلك بأنهم قد لبثوا أكثر من ساعة، وقد لبث أنبياء الله ورسله يدعونهم إلى الله سبحانه وتعالى الأعمار والسنين الطويلة.

ومعنى «في كتاب الله»: أي في مصاحبة كتاب الله في الدنيا وهذا على تفسير استقصارهم لمدة لبثهم في الدنيا كما قدمنا، وإن فسرناه باستقصارهم لمدة لبثهم في البرزخ فمعناها فيما علمه الله من المدة المقدرة عنده في اللوح المحفوظ.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ۝٥٧﴾[1] وذلك

والشدة، ويرى لهيب النار وشدة سعيرها، ويرى مكانه فيها، ويعلم أن مصيره إليها؛ فهو في ضيق شديد وخوف عظيم وفزع لا يقدر قدره، ولا يزال مع ذلك متوقعاً لليوم الذي تبعث فيه الأجساد؛ فإذا وقع ذلك اليوم وبعث الله الأجساد وأحياها ورد فيها أرواحها استقصر المجرمون مدة لبثهم في البرزخ؛ لعلمهم بما أعد الله لهم من العذاب الدائم في نار جهنم، وعلمهم بشدته.

سؤال: يقال: هل بين مدلول هذه الآية والتي قبلها وبين ما يقال: إنهم سيصدقون يوم القيامة بجميع ما أنكروه ضرورة تعارض أم لا؟

الجواب: ليس بين ما ذكرتم تعارض، وليس في الآيتين ما ينافي تصديقهم يوم القيامة لجميع ما كانوا أنكروه في الدنيا؛ إذ لم يقع منهم يوم القيامة إلا استقصارهم لمدة لبثهم في الدنيا، وقد أجاب عليهم الذين أوتو العلم والإيمان بأنهم لبثوا في الدنيا زمناً طويلاً يتلى عليهم فيه كتاب الله وآياته وحججه عليهم فكذبوه، وأنذرهم بيوم القيامة فكذبوه، فقالوا لهم: فهذا يوم القيامة الذي كنتم تكفرون به.

سؤال: ما علاقة تذييل الآية بقوله: ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ۝٥٦﴾؟

الجواب: علاقته أنه تتمة لقوله: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ...﴾ أي: ولكنكم أعرضتم عن كتاب الله وكذبتم به ولم تصدقوا ما جاءكم فيه من الإنذار بيوم القيامة وما أعد الله للكافرين وكنتم من الجاهلين به.

(١)-**سؤال:** مم أخذت هذه الكلمة «يستعتبون» وما أصلها؟

الجواب: الأصل «عَتَبَ» وبابه نصَر وطرِب، يعتب عَتَباً وعَتْباً، عتب عليه بمعنى: وجِد عليه وغضب عليه مع الإذلال، ولا زلنا نستعمل هذا اللفظ إلى اليوم. وأعتبه بمعنى: سرَّه، واستعتبه بمعنى: استرضاه، أي: طلب رضاه. اهـ من المختار. [وقد تقدم هذا الكلام في جواب سؤال على الآية (٨٤) من سورة النحل].

يوم القيامة لا تنفعهم الأعذار عند الله سبحانه وتعالىٰ، ولن يروا هناك من يلومهم أو يعاتبهم ويردهم إلىٰ صوابهم كما في الدنيا فقد انتهىٰ كل شيء، ولم يبق لهم إلا أن يلقوا جزاء أعمالهم.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه قد صَرَّفَ للمشركين آياته، ونوع لهم الأمثال في القرآن لعل شيئاً من ذلك ينفع فيهم، أو لعلهم يعتبرون بشيء من ذلك فيرجعون إلىٰ رشدهم وصوابهم، ويقلعون عن كفرهم وضلالهم، ولكنهم لا زالوا علىٰ إصرارهم علىٰ كفرهم وتكذيبهم وضلالهم.

﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴿٥٨﴾﴾ وأنك مهما حاولت فيهم يا محمد، ومهما جئتهم به من الآيات فلن يقبلوا منك أبداً.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴿٥٩﴾﴾(٢) فقد أصبحت قلوبهم كالمطبوع عليها فلا يستطيع الإيمان أن ينفذ إليها أبداً، فلا تطمع في إيمانهم يا محمد فلن يؤمنوا أبداً.

---

(١)-**سؤال:** ما معنىٰ «من» في قوله: ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾؟

الجواب: يتعدىٰ «ضربنا» بنفسه إلىٰ المفعول به كقوله تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ...﴾ [الفرقان:٣٩]، ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا﴾ [الروم:٢٨]، ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التحريم:١٠]، فمجيء «من» هنا يكون:

١- إما لأن «ضرب» ضُمّن معنىٰ فعل يتعدىٰ إلىٰ المفعول به بـ«من» فتكون للتعدية.

٢- أو أن يكون «ضرب» هذا يتعدىٰ مرة بنفسه ومرة بـ«من».

٣- وإما أن تكون «من» للتبعيض أي: أن الله تعالىٰ ضرب للناس بعضاً من الأمثال الحسنة لا كل مثل حسن، وقد يكون هذا المعنىٰ هو الأولىٰ؛ لأن الله تعالىٰ لم يضرب للناس في القرآن كل مثل وإنما ضرب لهم منها ما يتعلق ببيان الدين الحق.

(٢)-**سؤال:** ما العلة في تخصيصهم بهذه الصفة وهي نفي العلم عنهم؟

الجواب: خصهم بهذه الصفة لأن رسول الله ﷺ جاءهم بالعلم من عند الله فردوه وكفروا به، فوصفوا لذلك بأنهم لا يعلمون.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يصبر على دينه وعلى مواصلة دعوته وتبليغه ما أمره ربه؛ ووعده بأنه سينتصف له منهم، وسوف يعذبهم بسبب أذيتهم واستهزائهم وتكذيبهم.

﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾[1] واثبت على ما أنت عليه يا محمد، ولا تترك لهم مدخلاً عليك، أو تدعهم يستخفوا عقلك بأفكارهم وضلالاتهم، أو يستهووك حتى تدخل معهم في باطلهم وأعمال كفرهم.



---

(١)-**سؤال:** ما هي مناسبة جعل هذه الاية خاتمة لهذه السورة المباركة؟

الجواب: من شأن التكذيب والكفر بما جاءهم به النبي ﷺ وعدم الاستجابة له وهو يدعوهم الوقت بعد الوقت والسنة بعد السنة من غير أن يرى أثراً لدعوته سوى التكذيب والسخرية والكفر والاستهزاء- من شأن ذلك كله أن يكون سبباً لفتور عزيمته وقلة نشاطه وانهيار قوته؛ لذلك جاءت هذه الآية لتبعثه على الصبر، وتنهاه عن ترك الدعوة والفتور فيها والإعراض عنها، مع ما فيها من الإشارة لانتهاء السورة وتمامها، وذلك من حيث أن وعد الله بالنصر له هو العاقبة والنهاية التي تنتهي بها دعوتك، وتصير إليها في عاقبة أمرك.

سورة لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الم۝١ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ۝٢﴾ أشار الله سبحانه وتعالى إلى أن هذه الآيات التي سيتلوها عليهم في هذه السورة هي من آيات الكتاب الذي قد أحكمت آياته وسلمت من كل زيغ أو تحريف أو تناقض أو اختلاف.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ۝٣﴾[1] وهذا الكتاب الحكيم قد اشتمل على هداهم وطريق نجاتهم، غير أنه لا ينتفع بآيات الكتاب الحكيم ولا يهتدي بهداه، ولا يأخذ بأسباب الرحمة إلا المحسنون.

ثم وصف الله سبحانه وتعالى المحسنين فقال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ۝٤﴾[2] فهؤلاء الذين هذه صفتهم من المحافظة على أداء ما افترض الله عليهم من الواجبات والإيمان الصادق بالآخرة وما فيها هم الذين يستضيئون بنوره، ويهتدون بهديه.

﴿أُولَئِكَ[3] عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ۝٥﴾ وهم الذين سيفوزون برضوان الله تعالى، ويظفرون بثوابه في الدنيا والآخرة.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: «هدى ورحمة»؟

الجواب: يعربان حالاً من آيات الكتاب، والعامل ما في الإشارة من معنى الفعل.

(٢)-**سؤال:** يقال: كيف جُعِلَت إقامة الصلاة و.. و... إلخ من الإحسان؟

الجواب: من عمل ما أوجب الله عليه كما ينبغي فهو محسن، وهذا من قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

(٣)-**سؤال:** ما السر في استخدام إشارة البعيد؟

الجواب: ليشير بذلك إلى بعد منزلتهم في الفضل.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ(١) وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا(٢) أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ۝٦﴾ يحكي الله سبحانه وتعالى في هذه الآية عن أحد زعماء قريش، وكان قد اشترى عدة نساء يُحسِنّ الرقص والغناء، وجلبهن إلى مكة ليستهوي بهن الناس، ويجمعهم حولهن ليستمعوا إلى غنائهن، ويشاهدوا رقصهن، وكان يحثُّ الناس على الاستماع إليهن، ويقول لهم: إن ذلك أفضل من السماع لمحمد وسحره، وما يدعوكم إليه، وكل ذلك منه ليصد عن سبيل الله وعن سماع القرآن، فأخبر الله سبحانه وتعالى أن لهؤلاء الذين يصدون عن سبيله منزلة سيبلغونها في نار جهنم بسبب صنيعهم هذا(٣).

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يفيد أنه كان يضلهم بغير معرفة؟ أم له توجيه آخر؟

الجواب: «بغير علم» متصل في المعنى بقوله:﴿يَشْتَرِي﴾ وليس بـ«يضل»، أي: يشتري حال كونه غير عالم بالشراء، فهي في المعنى كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ۝١٦﴾ [البقرة]، أي: ما كانوا مهتدين لطرق التجارة الرابحة أي: اشتروا الضلالة غير عالمين بطرق التجارة الرابحة.

(٢)-**سؤال:** ما نوع اسمية «هزواً»؟

الجواب: «هزواً» مصدر مثله مثل قولنا «زيدٌ عدل».

(٣)- **سؤال:** إذا استدل بعض المروجين لإباحة الغناء بما يفهم من الآية في الظاهر، وذلك أنه إنما يحرم إذا كان فيه إضلال عن دين الله وطرقه، لا في غير تلك الحال؛ فكيف يجاب عليه؟

الجواب: ظاهر مفهوم الآية أنه لا يحرم إلا إذا كان لغرض الإضلال، إلا أن هذا المفهوم قد عارضه منطوقات صريحة؛ للأدلة المتكاثرة التي تقضي بتحريمه في كل حال؛ لذلك تبطل دلالة ذلك المفهوم ولا تقاوم المنطوق من الأدلة الواضحة على تحريمه، مما صح وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأحاديث الكثيرة التي روتها أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والتي تقرب من التواتر المعنوي، فتكون هذه الآية مؤكدة وشاهدة على صحة الأحاديث النبوية، وأما مجرد تسمية الغناء لهواً فلا يكفي في الدلالة على تحريمه، فاسم اللهو شامل للمحرم والمكروه والمباح: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ

=

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ۝٧﴾[1] هذا الذي يصد الناس عن سبيل الله أخبر الله سبحانه وتعالى أن هذه صفته، وهي أنه إذا سمع آيات الله تتلى عليه فإنه يأنف من الاستماع إليها مُوَلِّياً لظهره استكباراً وعلواً كأنه لم يسمع شيئاً من شدة الغرور والكبر. ومعنى «وقراً»: صمماً مانعاً أو شيئاً يُسَدّ به الأذن يمنع من الاستماع.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ۝٨ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ[2] حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝٩﴾ وأما أهل الإيمان بالله جل وعلا وباليوم الآخر الذين يعملون الأعمال الصالحة فإن لهم البشرى من الله تعالى في جنات النعيم خالدين فيها أبداً، وهذا وعد منه تعالى ولا بد أن يقع.

وَلَهْوٌ...﴾ [محمد:٣٦]، والدليل الواضح على تحريم الغناء: هو ما صح وثبت عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الأحاديث الكثيرة التي روتها أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وتكون هذه الآية مؤكدة وشاهدة على صحة الأحاديث النبوية.

سؤال: هل يدخل في هذه الآية كل ما يلهي ويكون سبباً في صد الناس عن الدين والاستماع إليه، أم لا؟

الجواب: ليس كل ما يلهي عن ذكر الله وعن الصلاة بمحرم: **﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾** [المنافقون:٩]، **﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ...﴾** [الجمعة:٩]، فمن ألهاه ماله أو أولاده أو تجارته عن فعل ما فرضه الله تعالى عليه فيؤاخذه الله تعالى على تركه للفريضة، لا على ما جمع من المال الحلال.

(١)-**سؤال:** ما إعراب: **﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾**؟

الجواب: الجملتان حاليتان من فاعل «ولى»، فكل منهما في محل نصب.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: **﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾**؟

الجواب: «وعد الله» مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة، و«حقاً» مصدر أيضاً منصوب بفعل محذوف، أي: يحق حقاً.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾(١) خلق السماوات، ومنعها بقدرته عن السقوط، فلا عماد يمسكها إلا قدرته.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾(٢) وهو الذي هيأ لكم الأرض، وجعل لكم فيها الجبال الشامخة التي تمنعها من الاضطراب والتزلزل؛ لتستطيعوا العيش على ظهرها بهدوء وسلام.

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝١٠﴾(٣) وهو الذي سخر لكم جميع ما خلق وبث في الأرض من الدواب، وهو الذي أنزل لكم المطر، وأخرج لكم به طيبات الرزق وأنواع الثمر.

﴿هَذَا(٤) خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ وهو تعالى وحده

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر جملة «ترونها» أنه صفة لـ«عمد»، فينبني عليه أن هناك عمداً مخفية لا نراها، فكيف نعربها أو نوجهها حتى يستقيم المعنى؟

الجواب: «ترونها» جملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها مستأنفة لبيان العلة، أي: بيان الدليل على أن السماء مرفوعة بغير أعمدة تمسكها، أي: أنكم ترون السماء مرفوعة بعيونكم لا يمسكها من السقوط غير قدرة الله، ولو كان هناك أعمدة لرأيتموها بعيونكم.

(٢)- **سؤال:** ما محل المصدر: «أن تميد بكم»؟

الجواب: محله الجر أو النصب على نزع الخافض، والتقدير: كراهة أن تميد بكم.

(٣)- **سؤال:** يقال: بعض النباتات غير مفيدة بالنسبة للإنسان، وظاهر قوله: «كريم» كأنه يتنافى مع ذلك، فكيف توجيهه؟

الجواب: النباتات على العموم نافعة للإنسان والحيوان، إلا أن بعض النبات لا يعرف منافعه إلا الأطباء المتخصصون في هذا الباب، وقد خطت المؤلفات منذ زمن بعيد في منافع النباتات، وقد أثبت العلم الحديث أن الأشجار تولد الأكسجين في الهواء الذي هو ضروري لحياة الإنسان والحيوان، وهذه منفعة عامة لجميع الأشجار، وفي الأشجار عامة جمال وزينة للأرض يستحسنها الناس وتبعث في نفوسهم الأريحية والنشاط.

(٤)- **سؤال:** ما السر في الإشارة بالمفرد؟ وما معنى الفاء في قوله: «فأروني»؟

الجواب: أشار بإشارة المفرد «هذا» لأن المشار إليه مفرد «خلق الله»، فلفظ «خلق الله» مفرد. والفاء هي الفصيحة أي: فإن لم تؤمنوا بالله فأروني ماذا خلق الذين من دونه.

المتفرد بخلق ذلك وإبداعه وإيجاده؛ ثم سأل المشركين -ليبكِّتهم ويوبِّخهم على عبادتهم لتلك الأصنام التي ليست إلا أحجاراً ينحتونها بأيديهم-: ماذا خلقت تلك الأصنام التي يعبدونها من دونه؟ ولن يجدوا جواباً على سؤاله هذا إلا ما يضطرهم إلى الإقرار والاعتراف لله سبحانه وتعالى.

﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴿١١﴾﴾ ثم أخبر عنهم بأنهم في ضلال وضياع وهلاك بصنيعهم ذلك، وذهابهم إلى عبادة تلك الأحجار التي هم على يقين تام بأنها لا تستطيع أن تخلق أو ترزق، أو تفعل لهم أي شيء.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ(١) الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾(٢) ثم انتقل الله سبحانه وتعالى إلى ذكر لقمان وما كان من شأنه وأمره ووصاياه لابنه؛ فأخبر أنه قد رزقه العلم والحكمة، وزكاه بالعقل الذي اهتدى به واستعمله فيما ينبغي أن يستعمله فيه، وهو الشكر لله تعالى على نعمه.

﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴿١٢﴾﴾(٣)

---

(١)-**سؤال:** هل عرفت شخصية لقمان الحكيم وزمانه بمرويات صحيحة فأفيدونا بها؟

الجواب: رويت روايات غير موثوق بها حول شخصيته وزمانه فقيل إنه ابن أخي نبي الله داود، وقيل من النوبة أسود، وقيل من مصر، وقيل كان عبداً مملوكاً، وقيل...، وقيل كان في زمن نبي الله داود عليه السلام، رحمة الله عليه ورضوانه.

(٢)- **سؤال:** ما معنى «أن» في قوله: «أن اشكر»؟ وما ينبني على إعرابها من معنى؟

الجواب: «أن» مفسرة، ويصح أن تكون مصدرية وتكون هي وما دخلت عليه في تأويل مصدر منصوب على أنه بدل من الحكمة، وتكون الحكمة هي الشكر لله، وصح ذلك لأن الشكر هو ثمر الحكمة ولا قيمة للعلم والحكمة إذا لم يتبعهما العمل، وإذا لم يعمل العالم بعلمه فهو جاهل، وهذا المعنى هو الذي قصدناه في التفسير.

(٣)-**سؤال:** ما معنى «حميد» بما يناسب الآية؟

الجواب: معنى ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ ومن لم يعترف بنعم الله ولم يحمده ويشكره فإن الله حميد ينطق المطر بلسان حاله بحمد الله، ويعترف بعظيم فضله وإحسانه، وتحمده الشمس والقمر، والليل والنهار، والرياح والسحاب، والأشجار والأثمار، والبحار والأنهار و..إلخ، فلسان حال كل ذلك =

ومن هداه عقله إلى شكر الله تعالى على ما أنعم به عليه فشكره نفع نفسه، وأما الله سبحانه وتعالى فهو غني عن شكر الشاكرين، ولا يضره كفر الكافرين.

﴿وَإِذْ[(١)] قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴿١٣﴾﴾[(٢)] يعظ لقمان ابنه وينصحه مخبراً له بأن من الحكمة عدم الشرك بالله تعالى؛ لأن الشرك معصية كبيرة.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾[(٣)] ثم انتقل الله سبحانه وتعالى إلى إرشاد عباده إلى

ناطق بحمد الله وعظيم فضله وإحسانه، منادٍ بأن الله وحده هو المتفضل على عباده المنعم عليهم دون غيره، قال الشاعر في مثل ما ذكرنا:

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

(١)-**سؤال:** ما العامل في «إذ» الظرفية في هذه الآية؟

الجواب: العامل في «إذ» هو «اذكر» محذوفاً فإذ مفعول به لا ظرف هنا.

(٢)-**سؤال:** كيف كان الشرك ظلماً عظيماً؟

الجواب: كان ظلماً عظيماً:

١ - لما فيه من الكفر بنعمة المنعم ذي الفضل العظيم.

٢ - فبدل أن يشكروا الله على نعمه شكروا شركاءهم وحمدوهم وعظموهم وعبدوهم.

٣- عبدوا وشكروا وحمدوا من لم يصدر منه أي نعمة عليهم، وتركوا عبادة المنعم.

٤ - ساووا الرب العظيم بالعبد الضعيف والخالق بالمخلوق في الإلهية والربوبية.

٥ - كفروا بالله ورسله وكتبه وآمنوا بالباطل.

(٣)- **سؤال:** ما السر في حذف المُوَصَّى به؟ وهل هو مضاف إلى والديه تقديره مثلاً: ببر والديه؟ أم ماذا؟

الجواب: حذف لوجود ما يدل عليه في سياق هذه القصة أي: قصة لقمان: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾، ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ فإن في هذا دليلاً على الأمر بطاعتهما في غير معصية الله، ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ يدل على الأمر ببرهما والإحسان إليهما ولو كانا كافرين.

طاعة الوالدين والإحسان إليهما، وأن يتعاهدهما الولد بالبر والصلة، وأن يجعلهما تحت رعايته وعنايته، وأن لا يفرط في حقهما، وفيما أوجب الله عليه في شأنهما.

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى سبب توصيته بهما فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ[١] وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾[٢] فما أمر به الولد في حقهما فهو رَدٌّ لبعض أتعابهما عليه، ومكافأة لهما على إحسانهما إليه حيث حملته أمه في بطنها تسعة أشهر يتضاعف عليها في التسعة الأشهر التعب والثقل والضعف فلا تضعه إلا بعد أن تشرف على الموت.

﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ وكذلك ما لاقته من أتعاب الرضاعة لمدة عامين.

﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴿١٤﴾﴾[٣] قرن الله تعالى شكر الوالدين بشكره ليدل على عظيم حقهما والتشديد في أمرهما، ويدل أيضاً على التشديد في حقهما تهديدُه ووعيدُه الشديد على الإخلال بحقهما بقوله: «إلي المصير».

---

(١)- **سؤال:** هل يعني أن النكتة في فصل هذه الجملة «حملته...» عن سابقتها كونها جواباً لسؤال مقدر؟ أم كيف؟

الجواب: نعم، تلك هي النكتة في فصل الجملة المذكورة؛ فقد نشأ من الجملة السابقة سؤال مقدر عن السبب الباعث للوصية بالوالدين والعلة الداعية للبر بهما والإحسان إليهما، فكانت هذه الجملة «حملته..» هي جواب ذلك السؤال المقدر.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: «وهناً على وهن»؟ وما السر في عطف الاسمية: «وفصاله..» على الفعلية؟

الجواب: «وهناً» مفعول مطلق لفعل محذوف أي: تهن وهناً، وتكون الجملة في محل نصب حال. «على وهن» متعلق بمحذوف صفة لوهن. والسر في اسمية «وفصاله» مع أنها معطوفة على الجملة الفعلية «حملته...» لوجود المقتضي لاسميتها وهو إرادة بيان الحكم الذي هو تقدير مدة الرضاع ثم يفطم إذا تمت، ولو أنه قال: وفصلته في عامين لم يحصل بيان ذلك الحكم.

(٣)- **سؤال:** هل «أن» في قوله: «أن اشكر» مفسرة للوصاية أم ماذا؟ وما السر في تعدية الفعل «اشكر» لمفعوله باللام في قوله: «لي ولوالديك»، وفي قوله: «اشكر لله»؟

الجواب: «أن» مفسرة للوصاية؛ لأنه تقدمها معنى القول دون حروفه. وفعل الشكر يتعدى باللام وبنفسه: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة]، ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [العنكبوت:١٧]، ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل:١٩]، ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ [النحل:١١٤]،

﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ وأما إذا دعاك والداك إلى الشرك بالله تعالى أو السعي فيما يغضبه ويسخطه فلا تطعهما في ذلك.

ومعنى «جاهداك» : أبلغا جهدهما في ردك إلى الشرك.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[(١)] وأما المعروف والإحسان إليهما فلا تقطعه عنهما ولو كانا كافرين.

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يرشد الله سبحانه وتعالى عباده إلى كيفية التعامل مع الوالدين الكافرين، فأمر بمصاحبتهما بالمعروف وعدم الإساءة إليهما والحرص على إرضائهما، ولكن في غير ما يغضب الله تعالى أو يوجب سخطه، وأن لا يسير بسيرتهما، ودله على اتباع الصالحين المنيبين إلى الله[(٢)].

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴿١٥﴾﴾ بعد أن أرشد الله سبحانه وتعالى عباده إلى هذه التعاليم أخبرنا أنه مطلع على أعمال عباده، وسيجازي كل واحد على حسب ما عمل إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب «معروفاً»؟

الجواب: صفة لمصدر محذوف أي: صحاباً معروفاً.

(٢)- **سؤال:** إذا كان الأب يتألم من متابعة ولده للمحقين والمرشدين ويكون رضاه في تركهم، فكيف يعمل الولد؟

الجواب: لا يجوز للولد أن يطيع أباه أو أمه في فعل معصية الله أو في ترك ما أوجبه الله، فطاعة الله أولى من طاعتهما قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾، فنهى الله تعالى الولد في هذه الآية عن طاعة والديه في معصية الشرك؛ فدل ذلك على أن طاعة الله أولى من طاعة الوالدين، وأن حقه أكبر وأعظم من حق الوالدين، فلا يجوز للولد أن يؤثر طاعتهما على طاعة الله، ولكن يجب على الولد أن يتلطف لهما ويواصل برهما والإحسان إليهما ويحاول إدخال السرور إليهما، ويظهر الشفقة عليهما والرحمة بهما و...إلخ، ولو كانا كافرين؛ لقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

﴿يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ(١) فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ(٢) إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ١٦﴾ ثم رجع الله تعالى إلى ذكر وصايا لقمان لابنه: فأوصى ابنه بأن يحذر الله تعالى ويتقي الوقوع فيما يغضبه أو يوجب سخطه، لأنه تعالى مطلع على جميع أعمال بني آدم ومحصٍ لها، ولن يضيع عنده شيء حتى وزن حبة الخردل، فالله تعالى عالم بها وبمكانها. واللطيف: هو العالم بما دق وخفي، فعلمه ينفذ ويتغلغل حتى في بواطن الأشياء قبل ظواهرها.

﴿يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ(٣) وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ(٤) عَلَى مَا

---

(١)- **سؤال:** إلام يعود الضمير في «إنها»؟ وهل فيه قاعدة مطردة؟ وهل انتصب قوله: «مثقال» على الخبرية لكان فأين اسمها؟ وما السر في حذف نون «تكن»؟ وما المراد بحبة الخردل؟

الجواب: الضمير في «إنها» هو ضمير القصة، وقد خالفوا بضمير القصة والشأن سنة الضمائر فيعود على القصة التي بعده ولا يعود على شيء قبله كما هي القاعدة في الضمائر، ففي هذه الآية يكون الضمير لقوله: ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ..﴾ الآية، واسم «تك» ضمير مستتر لدلالة السياق عليه ﴿يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ..﴾ أي: الخطيئة، وحذفت نون «تكن» للتخفيف. و«حبة الخردل» يضرب بها المثل في الصغر والحقارة.

(٢)- **سؤال:** ما المراد ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾؟ وهل المراد وزن حبة الخردل من الأعمال، أم وزنها من حقوق الناس وأملاكهم، أم الأمران جميعاً؟

الجواب: المراد بقوله: ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ يعرضها في صحف الأعمال ليحاسب العاملين عليها ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ٤٩﴾ [الكهف]، والمراد وزن حبة الخردل من الأعمال السيئة ومن حقوق المخلوقين، والمراد تصوير السيئات التي ليس لها مقادير حسية وتشبيهها بالشيء المحسوس «حبة الخردل» التي هي مثل في الصغر والحقارة؛ لئلا يتساهلوا في شيء من معصية الله، ولو كانت بمنزلة حبة الخردل في الصغر.

(٣)- **سؤال:** يقال: هل صلاتهم في ذلك الزمان أذكار وأركان كصلاتنا؛ أم كيف؟

الجواب: الصلاة هي في جميع الأديان بأذكار وأركان إلا أنها قد تختلف، فصلاة أمة موسى عليه السلام ليس فيها ركوع، وفي صلاة أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ركوع.

(٤)- **سؤال:** إذا قيل: أمره بالصبر على ما أصابه بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤخذ منه وجوبهما ولو أديا إلى تضرر فاعلهما بالتلف أو نحوه فلا صحة لما اشترطه بعض الأصوليين في

=

أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴿١٧﴾﴾(١) ثم أوصى ابنه بالمحافظة على أداء الصلوات لما لها من الأهمية، وما فيها من الصلة بين العبد وربه، وكذلك يوصيه بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يصبر في سبيل ذلك، ويبذل في ذلك المجال الغالي والرخيص؛ وهذه الوصايا من الأمور التي قد شدد الله تعالى في أدائها ونبه على الحرص عليها لما لها من الأهمية والدور في نشر دينه، بل لأن ذلك هو الغرض الذي بعث الأنبياء من أجله.

الوجوب من عدم خشية التلف أو نحوه، فكيف يجاب على ذلك؟

الجواب: إذا ظن المؤمن أنه إن ذهب إلى ظالم أو فاسق ليأمره أو ينهاه فسوف يقتله أو يجرحه أو يسجنه فإنه لا يجب عليه، وذلك لأنه لا فائدة من أمره ونهيه ولا أثر له إلا تعريض نفسه للقتل أو الجرح أو...، وذلك لا ينبغي ولا يجوز إلا إذا كان في ذلك إعزاز للدين وإدخال للهيبة والرعب في قلوب الظالمين، ودليل ذلك ترك رسول الله ﷺ لنصرة آل ياسر والدفاع عنهم لَمَّا مرَّ وهم يعذبون بل قال: ((صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة))، وكذا أجاز سبحانه وتعالى لعمار بن ياسر النطق بكلمة الكفر عند خشيته على نفسه وأنزل فيه: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**﴾ [النحل:١٠٦]، وكذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام فقد ترك القيام للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد موت النبي ﷺ، وفي خطبته المسماة الشقشقية ما يدل على ما ذكرنا، وعلى هذا فيجب الأمر والنهي إذا ظن التأثير ووجد المعين على إزالة المنكر، وكل منكر بحسبه، ويجب الصبر حينئذ، ففي آخر الشقشقية: (أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها... إلخ) فقد بين أن الحجة لم تلزمه إلا بوجود الأنصار وظن التأثير فعند ذلك صبر أمير المؤمنين وأصحابه على ما أصابهم في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١)-**سؤال:** لو فصلتم لنا القول في معنى «عزم الأمور» لكان مناسباً؟

الجواب: «عزم الأمور» بمعنى: معزومات الأمور، أي: مفروضاتها ومقطوعاتها، فوضع المصدر «عزم» موضع اسم المفعول «معزوم»، ومعزوم بمعنى مقطوع أي: مفروض، يقال: عزمت عليك إلا فعلت كذا، أي: حتمت عليك وألزمتك.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾[١] ونصحه أيضاً بالتواضع وعدم التكبر والتعالي على الناس، وتصعيرُ الخدِّ هو الإعراض عنهم، وعدم السماع إليهم من شدة الكبر.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا[٢] إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٨﴾ ونصحه أن لا يسير بسيرة الجبارين والمتكبرين؛ لأن التكبر على الناس صفة ذميمة يكرهها الله سبحانه وتعالى ويمقت صاحبها. والفخور: هو من يعدد مناقبه تطاولاً، أو هو الذي يفخر على عباد الله بما أعطاه الله من النعم.

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي توسط في سيرك، فلا تمش مشي المتكبرين، ولا مشي أهل الذلة، وكن على الوسط بين ذينك[٣].

﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ١٩﴾[٤] وأمره بأن يخفض صوته ويتأدبَ في كلامه مع الناس وفي مخاطبتهم، لأن رفع الصوت صفة

---

(١)-**سؤال:** هل اللام في قوله: «للناس» على بابها أم ماذا؟

الجواب: الصعر قد يكون لغرض أي ميل العنق قد يكون لمرض وقد يكون لرؤية أمر مخوف أو...؛ لذلك جيء بلام العلة أي لأجل الناس، أي: لأجل الترفع عليهم والاحتقار لهم.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب «مرحاً»؟ وهل الخيلاء داخل تحت التكبر أم لا؟

الجواب: الخيلاء هو داخل تحت الكبر. «مرحاً» مفعول مطلق منصوب بتمشي؛ لأنه من نوعه، أو بفعل مقدر من لفظه، أي: تمرح مرحاً، وتكون الجملة في محل نصب على الحالية.

(٣)- **سؤال:** قد يتوهم بعض الإخوان المعارضة بين هذا وبين قوله: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣]، فكيف يجمع بينهما؟

الجواب: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ بمعنى: يمشون مشي المتواضعين، ومشي المتواضعين هو المعنى المقصود في هذه الآية، و«اقصد في مشيك» أي: امش مشي المتواضعين، أي: لا مشي المتكبرين، ولا مشي الذلة أي: المشي الذي ينافي المروءة وتسقط به العدالة وينسب فاعله إلى خفة العقل.

(٤)-**سؤال:** هل يستثنى من رفع الصوت صوت الخطيب والمؤذن ونحوهما أم ماذا؟

الجواب: نعم يستثنى ذلك؛ لأنه مشروع غير مستنكر، وكذا يستثنى رفع الصوت لحاجة كنداء البعيد ومخاطبته وخطاب الأصم.

ذميمة تورث البغض والحقد في قلوب الناس عليك، وقد شبه الله سبحانه وتعالىٰ صوت الذي يرفع صوته بصوت الحمير، مما يدل علىٰ دناءة صاحب ذلك وخسته، وأيضاً لا يخفض من صوته إلىٰ حد أن لا يسمعه أحد، وليكن علىٰ الوسط بين ذلك.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ ثم رجع الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ خطاب المشركين فاستنكر عليهم عدم النظر والتفكر في الآيات التي بثها لهم في الكون، وأنهم لو نظروا لعرفوا أن كل ما خلقه الله سبحانه وتعالىٰ في السماوات والأرض قد سخره في مصلحتهم، فجميع ذلك يصب في مصلحتهم ومنفعتهم، فالشمس والقمر والنجوم، والمطر والشجر والنبات، والبحار وما فيها، والأرض وما عليها وما في باطنها، كل ذلك قد سخره الله تعالىٰ في مصلحة الإنسان، وقد تفضل عليه بجميع النعم التي توفر له رغد العيش، وأن من النعم ما هو ظاهر يراه الإنسان ويعلمه. وهناك أيضاً نعم خفية لا يعلمها الإنسان نحو ما يدفع عنك من البلاءات والأمراض وأسباب الموت والهلاك وغير ذلك كثير، فلماذا لا يرجعون إليه ويتركون تلك الأصنام التي لا حظ لها ولا نصيب في شيء من ذلك؟

ومعنىٰ «أسبغ»: أتم وأوسع عليكم نعمه كاملة.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ[1] بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ۝٢٠﴾ بعض الناس وهم قريش كانوا يجادلون النبي ﷺ عن غير علم أو كتاب أو حجة أو دليل، وكل ذلك تمرد علىٰ الله، ورد لما جاءهم به نبيهم محمد ﷺ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ أخبر عنهم بأنهم إذا دعوا إلىٰ اتباع شريعة الله لجأوا إلىٰ اتباع عادة آبائهم وما ورثوه

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بقوله: «في الله»؟

الجواب: المراد: في دينه حيث كان المشركون يجادلون النبي ﷺ عن دينهم وإبطال دين الإسلام.

من معبوداتهم وأصروا على كفرهم وتكذيبهم بعد أن وضحت لهم الحجج، وتيقنوا أن ما جاءهم به نبيهم هو الحق والهدى.

﴿أَوَلَوْ(١) كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴿٢١﴾﴾ وهل ستتبعون دين آبائكم ولو كان الشيطان يدعوهم بذلك إلى النار؟ ولو كانت تؤدي بكم هذه العبادة إلى جهنم؟

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ(٢) فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴿٢٢﴾﴾ يثني الله سبحانه وتعالى هنا على أولئك الذين توجهوا إلى الله، وانقطعوا بعبادتهم إليه ولم يلتفتوا إلى غيره من الأصنام، واستسلموا لله تعالى ممتثلين لما أمرهم به، فهؤلاء هم الذين سيسلمون من عذابه وسخطه؛ لأنهم قد أخذوا بالحبل المتين الوثيق الذي ينجو من تمسك به، وأخبر سبحانه أن منتهى أحوال الناس المستسلم منهم والعاصي إليه تبارك وتعالى وسيجازي كلاً بما يستحقه.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ﴾ ومن كفر يا محمد فلا تحزن أو تأسف عليه فهو الذي اختار طريق الكفر ورضيها لنفسه فدعه وما اختار، وما عليك إلا البلاغ.

﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴿٢٣﴾﴾ وسيرجعون إلينا فنجازيهم على جميع أعمالهم سرها وعلانيتها.

والمراد بـ«ذات الصدور» أي: صاحبة الصدور، وصاحبة الصدور: هي الاعتقادات والظنون والأوهام والأسرار والأخبار والمعارف والنوايا و...إلخ.

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴿٢٤﴾﴾ وأخبر الله تعالى أنه

---

(١)-**سؤال:** ما معنى الاستفهام هنا؟

الجواب: معناه الإنكار والتقبيح.

(٢)-**سؤال:** هل قوله: «وهو محسن» في مقام الشرط؟ فمن أي ناحية؟ وما المراد بالإحسان هنا؟

الجواب: نعم، ذلك بمثابة الشرط؛ لأنه حال، والحال قيد لعاملها. والمراد بالإحسان الأعمال الحسنة الصالحة.

سيمتعهم في الدنيا مدة قصيرة، ثم يضطرهم إلى الخروج من الدنيا رغماً عن أنوفهم، وذلك إلى الحساب والجزاء الذي كذبوا به.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ عن حال المشركين، بأنهم مقرون ومعترفون بخالق السماوات والأرض، ومع ذلك لا زالوا مصرين على كفرهم وشركهم(١).

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ۝٢٥﴾ ثم أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يحمد الله تعالى أنه قد بلغهم رسالة الله، وأكمل لهم الحجة حتى أصبحوا على بصيرة من أمرهم.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ۝٢٦﴾ السماوات والأرض وما فيهما لله تعالى، وهو تعالى غني عن كل ما خلق في السماوات والأرض، فليس بمحتاج إلى أن يتخذ منهم ولداً أو بنتاً أو شريكاً أو معيناً.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا

---

(١)-**سؤال:** هل يعم هذا الإقرار غير مشركي العرب من أهل الإلحاد وغيرهم؟

الجواب: هذا خاص بمشركي العرب الذين نزلت فيهم الآية، وليس فيها لفظ عموم، إلا أنه يلحق بهم من كان دينه مثل دينهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر:٣].

سؤال: هل كان اعترافهم ناتجاً عن تبليغ النبي ﷺ أم استجابة لدواعي الفطرة؟ وما السبب في الحكم عليهم آخر الآية بأنهم لا يعلمون وهم قد اعترفوا بأن الله خالق السموات والأرض؟

الجواب: هم معترفون بالله من قبل بعث النبي ﷺ فقد كانوا يقولون: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»، وحكى الله تعالى عنهم قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، ووصفهم الله تعالى بأنهم لا يعلمون؛ لأنهم لم يعملوا بعلمهم، والذي لم يعمل بعلمه جاهل، فالذي يعلم مثلاً أن هذا الشراب مسموم بسم قاتل ثم يشربه يقال له: جاهل، ويوصف بالجهل والحمق، ولا يكون ذلك إلا من ناقص العقل، أو من هو في حكم ناقص العقل؛ لأن العاقل يعمل بموجب علمه.

نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴿٢٧﴾﴾(١) يخبر الله تعالىٰ هنا عن سعة علمه ومدىٰ إحاطته بكل شيء، فعبر عن ذلك بأن جميع أشجار الأرض لو كانت أقلاماً، وبحارَ الأرضِ -ومثلُها سبعُ مرات- تصير مداداً ثم يقوم الكُتَّاب يكتبون المعلومات التي يعلمها الله تعالىٰ بتلك الأقلام وبذلك الحبر لنفد المداد والأقلام قبل أن يحصوا ما أحاط به علم الله(٢).

---

(١)- **سؤال:** هل «ما» المتصلة بـ«أن» موصولة؛ فما قاعدة كتابتها هل الفصل عن «أن» أم الوصل مع التعليل؟ وما معنىٰ «من» في قوله: «من شجرة»؟ وعلام رفع قوله «البحر» وظاهره العطف علىٰ اسم «أن»؟

الجواب: «ما» موصولة والقاعدة أن تفصل الموصولة عن «أن» لأنها كلمة مستقلة كالذي والتي فتفصل كأخواتها، وإنما وصلت في المصحف لأن الصحابة كتبوها موصولة فتبعهم المسلمون في ذلك وقالوا: كتابة المصحف سنة لا تغير ولو كانت علىٰ خلاف قاعدة الكتابة.

و«من» هي البيانية وهي ومجرورها في محل نصب حال من فاعل استقر المقدر، فقد بينت «من» ماهية الفاعل، ورفع البحر بالعطف علىٰ محل «إن» واسمها، فمحلهما الرفع.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ما الوجه في كون كلمات الله هي معلوماته؟ وهل يصح حملها علىٰ شريعته وكتبه؟

الجواب: قد تمدح الله إلىٰ عباده بسعة علمه: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف:٨٩]، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧]، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴿١٢﴾﴾ [الطلاق]، ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴿٢٨﴾﴾ [الجن]، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام]، ونحو هذا كثير في القرآن فيعلم سبحانه وتعالىٰ ما قد كان وما هو كائن وما سيكون و...، وشرائع الله ودينه هي أحكام كلف الله تعالىٰ بها عباده، فهي كلمات محدودة يمكن للمكلف العلم بها أو بأكثرها، أو بما يجب عليه منها، وقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علىٰ علم بما أنزل الله إليه من الدين والشريعة.

﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝٢٨﴾[١] ثم تحدث الله تعالىٰ هنا عن مدىٰ قدرته، فأخبر سبحانه وتعالىٰ أنه لا يكبر عليه كبير، أو يثقله شيء من المقدورات، وأن جميع ما خلق من الأنفس في قدرته سبحانه كنفس واحدة، وكذلك إماتة جميع الأنفس كإماتة نفس واحدة، وأن الأمرين سيان بالنسبة لقدرة الله عليه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ ألم تنظر أيها السامع وتتفكر في مدىٰ قدرة الله تعالىٰ كيف يدخل الليل في النهار والعكس؛ وذلك أن ساعات الليل والنهار تتفاوت وتتداخل بعضها في بعض بحسب أوقات السنة، ففي بعضها يكون اليل والنهار مستويين، وفي بعضها يكون أحدهما أكثر من الآخر فتدخل بعض ساعات أحدهما في الآخر، وكل ذلك ليرينا من عجيب آياته الدالة علىٰ قدرته؛ لأن المرء إذا نظر في ذلك وتفكر علم أنه لا بد أن يكون هناك مدبر دبرها وحكيم أحكمها، ولا بد أن يكون قادراً علىٰ ذلك ومتمكناً فيه، وذلك هو الله جل وعلا.

﴿وَسَخَّرَ[٢] الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة تذييل الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝٢٨﴾؟

الجواب: بعدما ذكر الله خلق الناس وبعثهم للحساب والجزاء قال: إن الله سميع بصير، أي: أنه يقال: يسمع قول كل قائل ويرىٰ عمل كل عامل؛ ليتحفظوا عن قول ما لا يرضاه الله وعن فعل ما يسخط الله، ويجتنبوا معاصي الله، فمن علم وأيقن أن الله يراه ويسمعه تحذر أن يصدر منه ما لا يرضاه الله من قول أو عمل.

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في عطف الماضي علىٰ المضارع؟

الجواب: إيلاج الليل في النهار والعكس حادث متجدد كل يوم تقريباً، فلزم التعبير عنه بالمضارع الذي يفيد التجدد، وأمر الله الشمس والقمر بالسير يوم خلقهما إلىٰ يوم القيامة فهما تسيران بذلك الأمر، وقد مضىٰ الأمر لهما بالسير الدائم الذي هو التسخير.

خَبِيرٌ﴿٢٩﴾﴾ وهو الذي خلق الشمس والقمر وجعل كلاً منهما يسير في بروجه ومنازله، لا يتخلف عن ذلك المسار الذي رسمه له الله جل وعلا.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ(١) هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ من أبدع هذه الأشياء وأوجدها على هذه الدقة العظيمة والنظام العجيب، وسخرها في مصلحة عباده فهو الإله الجدير بالعبادة والذي يستحق الطاعة والخضوع والاستسلام(٢)، لا تلك الأصنام التي يعبدونها من دونه التي لا تستطيع فعل شيء من ذلك.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴿٣٠﴾﴾ فهو وحده المتعالي عن صفات المخلوقين بقدرته وعلمه وبجميع صفاته التى لا يشاركه فيها أحد.

ومعنى الكبير في حق الله: العظيم المتناهي في قدسه وجلاله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ(٣) اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ ءَايَاتِهِ﴾ ثم انظر أيها السامع إلى تلك السفن وعجيب أمرها من الذي سخر البحر لحملها؟ والرياح لتسييرها بأمره وقدرته؟ أليس ذلك نعمة عظيمة أن سخر لكم ما تستطيعون أن تتنقلوا على ظهورها لمصالحكم وأمور معايشكم؟ أليس ذلك آية من آياته التي ينبغي أن تتحير عندها الأفكار؟ وتعرف أن هناك قدرة خارقة هي التي جعلتها على ذلك النمط وسخرتها ذلك التسخير؟

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾؟

الجواب: «ذلك» مبتدأ، و«بأن الله هو الحق» متعلق بمحذوف خبر، أي: ذلك كائن بسبب أن الله هو الإله الحق.

(٢)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن كون الله حقاً هو السبب في ذلك الإبداع والإيلاج والتسخير أم أن لها توجيهاً آخر، فما هو؟

الجواب: الآية تفيد أن ذلك الإبداع والتسخير والإيلاج حاصل من الإله الحق، وأنه هو الذي خلقها وأبدع خلقها وسخر الشمس والقمر و..إلخ.

(٣)-**سؤال:** ما معنى الباء في قوله: «بنعمة الله»؟

الجواب: الباء للآلة كالتي في نحو«كتبت بالقلم»، أي: تجري بالرياح التي هي نعمة من الله.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴿٣١﴾﴾ ولكنه لن يعرف آياته الدالة على قدرته وعجيب صنعه وعلمه وأنه هو المنعم وحده إلا أولئك الذين صبروا على حمل دينهم وتأدية ما أمرهم به ربهم، وأما غير هؤلاء فلن يعتبروا بشيء من ذلك؛ لأن طبيعتهم الكفر والعناد والتمرد.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ(١) دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال المشركين بأنهم إذا ساروا في البحر ثم غشيتهم الأمواج وأيقنوا بالهلاك فعند ذلك يحصل لهم اليقين بالله تعالى، ويعرفون أنه لن يخلصهم غيره فيلجئون إليه بالدعاء والتضرع ليكشف عنهم ما هم فيه، وينسون تلك الآلهة التي يعبدونها؛ لأنهم يعرفون أنها لن تجيبهم أو تسمعهم.

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ فما إن يستجيب الله سبحانه وتعالى لهم ويخرجهم إلى البر إذا هم يتراجعون عن الإيمان(٢) بالله والإخلاص له إلى الشرك وعبادة الأصنام والكفر بالله.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴿٣٢﴾﴾ ولكن طبيعتهم الخيانة والغدر وكفر نعم الله سبحانه وتعالى عليهم؛ لذلك جحدوا آيات الله وكفروا بها.

والختّار: هو الغدّار.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ يدعو الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الناس جميعاً إلى طاعته وإخلاص العبادة له، وأن يحذروا سخطه وغضبه بفعل ما يأمرهم

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بالظلل المشبه بها الأمواج؟

الجواب: المراد بالظلل ما يظل الإنسان من جبال أو سحاب.

(٢)- **سؤال:** يقال: ظاهر قوله: «فمنهم مقتصد» التقسيم وإن لم يذكر القسم الآخر، فعلى هذا كيف نفهم أن الاقتصاد بمعنى التراجع عن الإيمان؟

الجواب: المراد بالاقتصاد التوسط إما في الكفر أو الإيمان، ولا ينبغي أن يراد به هنا التوسط في الإيمان؛ لأن السياق في ذمهم لا في مدحهم، وعلى هذا فيكون المراد توسطهم في الكفر.

واجتناب ما ينهاهم عنه.

﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ[١] هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴿٣٣﴾﴾ وأن يحذروا يوم القيامة، ذلك اليوم الذي لا يستطيع أحد أن ينفع أحداً، أو أن يقدم له شيئاً ولو كان أقرب الناس إليه؛ وهذا وعد من الله سبحانه وتعالى ولا بد أن يقع لا محالة، فلا يغتروا بالدنيا ونعيمها وزخارفها وما يمتعهم الله سبحانه وتعالى فيها من الصحة والعافية، وعليهم أن يحذروا الشيطان أن يغرهم عن ذلك اليوم بما يزينه لهم من المعاصي والشهوات.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴿٣٤﴾﴾ ثم أخبر سبحانه وتعالى بالأشياء التي يختص بعلمها وحده:

فالأول: موعد قيام الساعة فلم يطلع الله أحداً من خلقه على العلم بوقت قيامها لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً.

والثاني: متى ينزل المطر[٢].

---

(١)- **سؤال:** هل عطفت الجملة الاسمية هنا على الفعلية؟ إن كان فما السر في ذلك؟ وما إعراب قوله: «شيئاً»؟

الجواب: قد قيل: إن أغلب آباء الصحابة كانوا كفاراً فلم تستدعِ الحال التأكيد، وكان الأبناء مسلمين فاقتضى الحال تأكيد الجملة المعطوفة: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ..﴾ بالاسمية وضمير الفصل؛ ليحسم طمع الأبناء عن رجاء النفع يوم القيامة لآبائهم بأي نفع، لا شفاعة ولا غيرها، أفاد معنى هذا الزمخشري، و«شيئاً» مفعول به لجازٍ.

(٢)- **سؤال:** وهل يمكن أن نستفيد من مغايرة العطف في قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ لما قبله اختصاص الباري تعالى بإنزال الغيث فقط لا بموعد إنزاله، وفيما بعدها قد صرح تعالى باختصاصه بعلمها؟

الجواب: ذلك هو الظاهر وتكون الفائدة من إدخال: ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ بين تلك التي يختص الله

=

والثالث مما يختص بعلمه: هو ما يلقيه الذكور من النطف في الأرحام هل تكون تلك النطفة ذكراً أم أنثى، وقد حاول أهل العلم الحديث اكتشاف ذلك، ولكنهم لم يتوصلوا إلى نتيجة، فلا يعرفون ذلك إلا إذا اكتمل خلق الجنين في بطن أمه(١).

والرابع مما يختص الله سبحانه وتعالى بعلمه: الأمور المستقبلة، فعلم ذلك محجوب عن المخلوقين.

والخامس: الموت فلا يستطيع أحد أن يعرف موعد نزوله، أو يعرف مكان موته.



بعلمها هي التذكير بالدليل الدال على صحة إحياء الموتى بعد ذكره للساعة التي يبعث الله فيها الموتى، وذلك من حيث أن نزول الغيث على الأرض الميتة يبعثها على الحياة من جديد، فيكون في قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ رد على المشركين الذين استبعدوا إحياء الموتى حين قالوا: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴿٧٨﴾﴾ [يس]، وبهذا تظهر المناسبة لإدخال ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ بين التي يختص الله بعلمها، أي: بعد ذكره للساعة.

(١)- **سؤال:** ما أروع محملكم هذا لكن ما هو الصارف عن عموم الأوقات المستفاد من قوله: ﴿مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾؟

الجواب: الذي دعانا إلى ذلك هو ما ظهر اليوم من إمكان معرفة الجنين الذي اكتمل خلقه في بطن أمه بواسطة الآلات الحديثة.

سورة السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الم۝١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝٢﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالى أن هذا القرآن كلامه، وأنه الذي أنزله بعلمه وقدرته وحكمته فلا يصح أن يدخل الشك أو الريب فيه؛ لأن الله قد تعالى عن صفات المخلوقين من الغلط والتناقض والبدا ويكفي الناظر أن يتأمل في آياته وسيعرف ذلك ويعلم أنه كلام رب العالمين وأنه أنزله بعلمه الذي أحاط بكل شيء.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾(٢) ولكن المشركين يزعمون أن النبي ﷺ قد افتراه وتقوله من نفسه.

﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ۝٣﴾ وأخبر أن الأمر ليس كما يقوله ويزعمه المشركون، فهو الكلام الحق والصدق المنزل من عند الله تعالى، وقد أنزله الله سبحانه وتعالى عليك يا محمد لتنذر به قريشاً، وذلك أن عهدهم بالأنبياء قد طال، فقد مضت عليهم مدة طويلة لم يأت إليهم فيها نبي(٣) حتى ضاعت شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ووقعوا في الشرك والضلال. وقد أنزله عليك يا محمد رحمة بقومك ليدخلوا في الهدى وليعرفوا طريق نجاتهم وما فيه سعادتهم.

---

(١)-**سؤال:** لعلكم تلحظون أن تنزيل الكتاب مبتدأ فهل الخبر «لا ريب فيه» أم «من رب العالمين»؟

الجواب: الخبر هو«من رب العالمين»، و«لا ريب فيه» حال من الكتاب.

(٢)-**سؤال:** لو تفضلتم بتفصيل القول في «أم» في هذه الآية وأمثالها؟ وما فائدة «بل» بعدها؟

الجواب: «أم» بمعنى «بل» وهمزة الاستفهام الإنكاري، أي: أن الاستفهام فيها للإنكار. و«بل» بعدها إضراب يفيد إبطال قولهم.

(٣)-**سؤال:** يقال: كيف نجمع بين هذا وبين قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ۝٢٤﴾ [فاطر]؟ واسمحونا إن كان قد تقدم نحو هذا السؤال؟

الجواب: قد تقدم الجواب عن هذا السؤال مستوفى. [على الآية (٤٦) من سورة القصص].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يُذَكِّرُ الله سبحانه وتعالى المشركين بأنه وحده المتفرد بخلق السماوات والأرض وما بينهما، فلا شريك له في ذلك، وقد خلقهما بالتدريج شيئاً فشيئاً على حسب ما اقتضته الحكمة.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ بعد أن خلق السماوات والأرض وما بينهما، أخبر سبحانه وتعالى أن ذلك هو ملكه وحده، وأنه وحده المسيطر على جميع ذلك الملك بعلمه وقدرته وإحاطته وتدبيره[١].

﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾[٢] ولن ينفعكم أحد أيها المشركون غير الله سبحانه وتعالى، فخصوه وحده بالعبادة؛ لأنه الذي بيده نفعكم وبيده جميع أموركم، فلا ملكٌ ولا نبي ولا صنم ولا أي شيء سينفعكم.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴿٤﴾﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم لماذا لا يتفكرون بعقولهم ويرجعون إلى خالق السماوات والأرض ويتركون تلك الأصنام التي يعبدونها.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾[٣] أراد الله سبحانه وتعالى أنه ينزل القرآن من السماء الدنيا إلى الأرض؛ والسماء الدنيا هي هذه التي نراها فوقنا بما فيها من الكواكب الزاهرة المتوقدة نوراً، وقد أنزله الله تعالى أولاً إلى السماء[٤] الدنيا جملة

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذا أن الترتيب الذي اقتضته «ثم» في الأخبار فقط، فما الموجب عن العدول عن أصل استعمالها وهو الترتيب في المخبر عنه؟ وما قرائن ذلك؟

الجواب: الذي أوجب العدول عن المعنى الظاهر لـ«ثم» هو ما لا يخفى أن الله عز وجل هو مالك السموات والأرض المستولي عليهما منذ بدء خلقهما، وأن ملكه لهما لم يتجدد بعد خلقهما بفترة من الزمن بعد أن لم يكن مالكاً لهما، ولا ريب في هذا، وهذا دليل عقلي قطعي.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾؟ وما السر في فصل هذه الجملة عن سابقتها؟

الجواب: «ولي» مبتدأ مرفوع محلاً مجرور لفظاً، و«شفيع» معطوف على ولي. وفصلت هذه الجملة لأنها استئناف بياني مقرر للجملة السابقة في جواب سؤال مقدر.

(٣)-**سؤال:** ما محل هذه الجملة: «يدبر الأمر..» إلخ؟

الجواب: خبر ثان للمبتدأ «الله الذي..».

(٤)- **سؤال:** يقال: ما الوجه في قصر السماء على السماء الدنيا؟ وهل يصح أن يحمل الأمر على

=

واحدة، ثم بعد ذلك أنزله الله تعالى على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مفرقاً ومنجماً في ثلاث وعشرين سنة.

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ۝﴾(١) يخبر الله سبحانه وتعالى عن كيفية نزول القرآن، وذلك(٢) أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَام أنزله مفرقاً على

معايش الناس وحياتهم وموتهم و.. و.. إلخ؟ أم لا مع تعليلكم القويم؟

الجواب: الوجه هو ما اشتهر عند أهل العلم أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا ثم أنزله مفرقاً على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وما حكاه الله تعالى عن الجن: **﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا۝﴾** [الجن]، والمراد بالسماء في قولهم هذا هو سماء الدنيا بدليل: **﴿زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾** [الملك:٥]، فالشهب التي جعلها الله تعالى رجوماً للشياطين هي في السماء الدنيا. ويصح أن يحمل الأمر على ما ذكرتم إلا أن الذي ذكرناه هو تفسير الإمام القاسم بن إبراهيم والهادي عَلَيْهِمَا السَّلَام وهو الأولى؛ لأن السياق في تنزيل الكتاب الكريم وعظمة منزلته.

(١)-**سؤال:** هل المراد بقوله «يوم» يوم من أيامنا المعروفة أم كيف؟

الجواب: المراد باليوم هو اليوم المعروف عندنا أي: أن نزول الوحي من السماء إلى الأرض وعروج العمل من الأرض إلى السماء كل ذلك يكون في يوم من أيامنا بحيث أن تلك المسافة لو بسطت في الأرض لم يقطعه المسافرون في ألف سنة.

(٢)- **سؤال:** يقال: إذا كان هذا إخباراً عن نزول القرآن فما فائدة: **﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾**؟ ومتى سيصعد القرآن؟ أم أنكم تريدون يصعد جبريل إلى السماء فسيشكل عود ضمير فاعل «يعرج» إلى غير مذكور وهو جبريل؟ أم ترونه عائداً إلى الأمر والمراد به جبريل فهو يحوجنا إلى تأويل بعيد فما رأيكم سلام الله عليكم؟

الجواب: أخبر الله تعالى هنا عن نزول أمره ثم عروجه إليه في يوم مقداره ألف سنة أي خمسمائة نزول وخمسمائة عروج، فالفائدة هي بيان مقدار المدة لذلك، والمراد بالعروج هو عروج العمل، والضمير في «يعرج» هو للعمل، وصح ذلك لأنه أثر من آثار الأمر ونتيجة من نتائجه فهو مثل:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

أي: فيكون ضمير «يعرج» عائداً إلى الأمر على أنه بمعنى العمل، والدليل على أن المراد عروج العمل قوله تعالى: **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾** [فاطر:١٠].

النبي ﷺ، وكان يقطع المسافة التي تستغرق ألف سنة للواحد من الناس في أقصر مدة زمنية بقدرة الله تعالى.

﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ۝٦﴾ وأن ذلك تدبير عالم الغيب والشهادة والعالم بما تقتضيه الحكمة والمصلحة لعباده.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[1] يعني خلق كل شيء وأحسن وأبدع في خلقه.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ۝٧﴾ مما يدل على عجيب صنعه وإبداعه في خلقه أن جعل من ذلك التراب الجماد إنساناً سوياً ناطقاً يتحرك ويمشي وذلك آدم عليه السلام، وكل ذلك بعلمه وقدرته وحكمته.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ۝٨﴾[2] بعد أن خلق آدم من التراب، أخرج نسله من النطفة التي وضعها في حواء، ثم سارت سنة الله سبحانه وتعالى في التوالد والتناسل على هذا المنوال. ومعنى «سلالة»: خلاصة.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾[3] عندما خلق الله آدم على صورة إنسان نفخ

---

(١)-**سؤال:** هل تقصدون أن جملة «خلقه» صفة لـ«شيء»؟ أم ماذا؟

الجواب: نعم، ذلك هو المراد.

(٢)-**سؤال:** بماذا تعلق الجار والمجرور في قوله: «من ماء»؟

الجواب: تعلق بمحذوف صفة لسلالة.

(٣)-**سؤال:** ما السر في إضافة الروح إلى الباري تعالى؟

الجواب: أضيفت الروح إلى الباري تعالى لتعظيمها ومكانتها الرفيعة، والغاية والمراد هو استدعاء شكر الآدميين وطاعتهم لمن أولاهم تلك الكرامة الكريمة والشرف الرفيع بأن نفخ فيه من روحه.

سؤال: هل في هذه الآية تقديم وتأخير؟ فلا تزال تشكل كثيراً، أم لها محمل بعود التسوية والنفخ إلى نسل آدم؟

الجواب: ليس في الآية تقديم وتأخير، وجيء بـ«ثم» هنا لأن ما بعدها أعظم في النعمة على بني آدم مما قبلها وأدخل في المنة عليهم، فالترتيب بـ«ثم» هو الترتيب في فضل النعمة وكبرها لا الترتيب الزمني.

فيه الروح فحصلت ودبت الحياة في أعضائه وبدأ يتحرك بقدرة الله تعالى.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ۝٩﴾[١] يتمنن الله سبحانه وتعالى على جميع خلقه بأنه المنعم عليهم بنعمة السمع والبصر والعقول التي يتمكنون بها من النظر والتفكر وأداء ما يجب عليهم من شكر تلك النعم، ولكن أكثرهم كفر بما أنعم الله سبحانه وتعالى عليه، ولم يشكره على ذلك.

﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يستنكر المشركون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف يصح أن يعودوا خلقاً جديداً بعد أن أصبحوا تراباً وتفتت عظامهم ونخرت؟ مستبعدين ذلك غاية الاستبعاد. ومعنى «ضللنا»: غبنا وضعنا.

﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ[٢] رَبِّهِمْ كَافِرُونَ۝١٠﴾ وسبب استنكارهم أنهم قد كفروا بالله سبحانه وتعالى وأنكروا البعث والحساب.

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ۝١١﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر المشركين بأن الله سبحانه وتعالى قد وكل ملكاً[٣] من ملائكته يتولى قبض أرواحهم، ولا بد أن يبعثهم الله سبحانه وتعالى بعد موتهم للحساب والجزاء، ولن ينفعهم إنكارهم وتكذيبهم.

---

(١)- **سؤال:** ما يكون محل الجملة المضارعية «تشكرون» بالنسبة لما قبلها إذا كان قوله: «قليلاً» وصفاً لمصدر محذوف؟

الجواب: جملة «تشكرون» مستأنفة لا محل لها من الإعراب، كأنها في جواب سؤال مقدر، أي: فكيف كان شكر بني آدم على ما أولاهم الله من تلك النعم؟ فقيل: ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ۝٩﴾.

(٢)- **سؤال:** ما السر في تقديم الجار والمجرور ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾؟

الجواب: قدم الجار والمجرور لأنه الباعث على ذمهم، فلم يرد في هذه الجملة أن يذمهم على الكفر، وإنما أراد أن يذمهم على متعلق الكفر ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾.

(٣)- **سؤال:** هل يستفاد من الآية أن ملك الموت واحد فقط؟ أم كيف؟

الجواب: نعم، يستفاد منها ذلك وهو أن ملك الموت واحد، ولا مانع من أن يجعل الله تعالى له أعواناً من الملائكة يأتمرون بأمره: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان:٢٢].

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴿١٢﴾﴾ يقص الله سبحانه وتعالى على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حالة أهل النار عند مبعثهم وقيامهم إلى الحساب والجزاء، وذلك أنه سيظهر على وجوههم عند ذلك الخوف والجزع والذل والخزي، ولو ترى يا محمد أو أيها السامع حين يستغيثون ويصرخون من شدة الخوف والجزع قائلين[(١)]: يا رب الآن قد عرفنا الحق، وأيقَنَّا بصدق وعدك ووعيدك، فهل لنا من رجعة لنتدارك ما فرط منا؟ ولكن حين لا ينفع الندم، ولا الصراخ والدعاء.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حريصاً أشد الحرص على إيمان قومه ودخولهم في الهدى، وقد أجهد نفسه في ملاحقتهم؛ خوفاً عليهم من عذاب الله وسخطه، ولكنهم لم يستجيبوا له أو يؤمنوا له، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه بأن لا يتعب نفسه في ملاحقتهم فلن يؤمنوا أبداً، وأخبره أنه لو أراد أن يلجئهم[(٢)] إلى الإيمان لفعل ذلك، غير أن الحكمة اقتضت أن يكون ذلك موكولاً إلى مشيئتهم واختيارهم؛ ليتم التكليف، فيبتني عليه الثواب والعقاب، وذلك أن الثواب لا يستحق إلا إذا كان على ذلك الوجه من الاختيار، فأما المضطر إلى الفعل فلا يستحق شيئاً من الثواب على فعل ما اضطر إلى فعله، وكذلك العقاب.

---

(١)- **سؤال:** هل مرادكم أن قوله: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ مقول لقول محذوف منصوب على الحال؛ فهل هو كذلك؟

الجواب: نعم، ذلك هو المراد.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما الدليل على أن المشيئة هنا في الآية مشيئة إلجاء؟

الجواب: الدليل على ذلك هو معنى: ﴿لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ أي: بأن يجعل لها هدى في طبيعتها لا تخرج عنه ولا تميل إلى غير الهدى، كما جعل تعالى للحيوانات هدى تهتدي به إلى ما أراده الله منها من استمرار الحياة والتكاثر، والتوقي من المهالك، والدفاع عن أنفسها، والهروب مما يُخاف والتخفي، وطلب الطعام والشراب، ونحو ذلك.

﴿وَلَكِنْ[1] حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ۝١٣﴾ اقتضت حكمة الله أن يوكل الناس إلى مشيئتهم واختيارهم، فمن اختار الهدى وطريق الخير فجزاؤه الجنة، وأما من اختار الضلال وطريق الشر فقد أعد الله لهم عذاب جهنم خالدين فيها أبداً؛ لذلك استحق أهل الضلال أن يملأ الله بهم جهنم لكثرتهم.

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۝١٤﴾[2] يقال لأهل النار ذوقوا عذاب الحريق بسبب كفركم وتكذيبكم بعذاب الله في اليوم الآخر، فليس لكم في رحمة الله نصيب وذوقوا عذاب الخلد بسبب أعمالكم الخبيثة.

---

(١)- **سؤال:** لم نفهم الاستدراك هذا من مدخول «لو» فهل فيه حذف؟ أم كيف؟ لو وضحتموه أجزل الله مثوبتكم.

الجواب: يظهر معنى الاستدراك عند معرفة المعنى المقصود، فالمعنى: ولكن سبق القضاء واقتضت الحكمة بخلق البشر على طبيعة غير طبيعة الحيوانات وهي كما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا۝٨﴾ [الشمس]، وقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ۝١٠﴾ [البلد]، أي: أن الله تعالى ركب طبيعة هذا الجنس البشري من طبيعتين مختلفتين يسيطر عليهما الإنسان ويتحكم فيهما ويختار أيهما إما طبيعة الخير وإما طبيعة الشر، يميل العقل والحكمة إلى طبيعة الخير ويميل الهوى والشهوة إلى طبيعة الشر، وكلاهما تحت سيطرة الإنسان وعنده الاستطاعة والقدرة على اختيار أيهما شاء، وعلى السير في أيهما شاء، وفطر الله عقله على معرفة الطريقين وحسن الخير وقبح الشر، فهكذا اقتضت حكمة الله، وذلك من أجل أن يجزي الله الذين أحسنوا الاختيار وسلكوا طريق الخير في جنات النعيم، ويجزي الذين أساءوا الاختيار وسلكوا طريق الشر في عذاب النار، وبهذا يتبين معنى الاستدراك، وليس هناك حذف اصطناعي -أي: نحوي- لا يستقيم الكلام إلا به، بل إن الاستدراك مرتب في المعنى على ما ذكرنا، والله أعلم.

(٢)-**سؤال:** ما مفهوم النسيان الأول؟ وهل الثاني مثله؟ وما نوع البلاغة فيه؟

الجواب: النسيان الأول هو خلاف التذكر، وهذا هو معناه الحقيقي، والنسيان الثاني بمعنى الترك، وسمى الترك نسياناً لوقوعه في صحبته أي: للمشاكلة، أي ليشاكل الثاني الأول في اللفظ، وهذا مما يستظرفه أهل البلاغة.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ۩﴾(١) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يصدق بآياته ويؤمن بها إلا أولئك الذين إذا ذَكَّرَهم أحدٌ بالله تعالى خافوا وتذكروا عذابه وسخطه وأذعنوا لأوامره، وخضعوا له وتواضعوا لعظمته وجلاله.

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أراد الله تعالى أنه لا يؤمن بآياته إلا أولئك الذين هذه صفتهم(٢)، وهم الذين يهجرون أماكن نومهم لأجل إحياء الليل بعبادة الله تعالى والتضرع بين يديه لينجيهم من عذابه وسخطه، ويحقق طمعهم فيما عنده من الثواب، ويتوسلون إليه بأن يقبل منهم ما يخرجونه إلى فقرائهم من النصيب الذي أوجبه عليهم في أموالهم؛ يخبر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بأن هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين سيستجيبون له ويقبلون ما جاء به. ومعنى «تتجافى جنوبهم»: ترتفع عن المراقد.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً(٣) بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فلا يستطيع أحد أن يصف ذلك النعيم الذي أعده الله سبحانه

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب «سجداً»؟ وما معنى الباء في قوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾؟ وهل التسبيح على حقيقته؟

الجواب: «سجداً» حال من فاعل «خروا»، والباء للملابسة والمصاحبة، أي: خروا سجداً حال كونهم متلبسين بحمد ربهم أي: حامدين ربهم. والتسبيح حقيقي؛ إذ لا داعي لإخراجه عن حقيقته.

(٢)-**سؤال:** إذاً فما محل جملة: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾؟ وكذا جملة: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾؟

الجواب: هاتان الجملتان مستأنفتان لتقرير ما تضمنته الآية التي سبقتهما، ويصح أن يكونا حاليتين، وعلى كلا التقديرين فالحصر متناول لهما.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؟

الجواب: «جزاءً» مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة. «بما كانوا يعملون» الجار والمجرور متعلق بجزاءً، و«ما» مصدرية مسبوكة بما بعدها بمصدر أي: بعملهم.

وتعالى لأهل هذه الصفة[١].

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ۝١٨﴾[٢] أنكر المشركون البعث والجزاء والجنة والنار، وبإنكارهم هذا يستوي عندهم المؤمن والفاسق والظالم والمظلوم والشاكر والكافر؛ لأن الجميع يموتون وينتهي بموتهم كل شيء فاستنكر الله تعالى عليهم ظنهم هذا وعقيدتهم هذه ورد عليهم بأنه لا بد من الجزاء لكل بما يستحقه في الدار الآخرة.

﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا[٣] بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ۝١٩ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ۝٢٠﴾ فلا[٤] بد أن

---

(١)- **سؤال:** هل المراد من الوصف الذي لا يستطاع معرفة تفاصيله لكون الجملة معروفة في الغالب أم ماذا؟

الجواب: لا يستطاع معرفة تفاصيله لعدم قدرته على معرفة التفاصيل ولو فصلت له، وذلك لأن العقل لا يفهم ما يوصف له حق الفهم إلا إذا كان قد عرف في الدنيا مثل ما يوصف له أو يقاربه، وما أعده الله تعالى في الجنة لا يشبه ما رأيناه وتنعمنا به في الدنيا إلا في الاسم دون الوصف، ألا ترى أن الذي يولد أعمى لا يمكنه أن يعرف ويفهم الألوان أي: كيفيتها وليس في قدرته أن يتصورها كما نتصورها، وهكذا الذي يولد بغير حاسة الشم أو الطعم.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب جملة: «لا يستوون»؟

الجواب: الجملة لا محل لها من الإعراب مستأنفة لتقرير الجملة التي قبلها أي: أنها بمنزلة الجملة المؤكدة، والجملة: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ خبرية في المعنى؛ لأن الاستفهام فيها تقريري.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «نزلاً» بالتفصيل؟

الجواب: «نزلاً» مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة التي سبقته.

(٤)-**سؤال:** هل صح ما يروى في هذه الآيات أنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام والوليد بن عقبة؟ وما يترتب على صحة نزولها فيهما؟

=

يبعثهم الله تعالى ليجازي كلاً بما عمل، فيثيب المؤمنين على أعمالهم الصالحة، ويعذب أولئك الخارجين عن حدوده المتمردين عليه في جهنم خالدين فيها أبداً جزاءً على تكذيبهم وتمردهم، كلما حاولوا الخروج من العذاب ردتهم الزبانية وأرجعتهم إلى العذاب.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ۝٢١﴾

أقسم الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا بد أن يعذب قريشاً ببعض العذاب في

الجواب: قد صح ذلك برواية أئمتنا عليهم السلام وغيرهم[١]، أي: أنهما السبب في نزولها؛ لما روي من أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط سَابَّ علياً أمير المؤمنين فقال له: أنا أبسط منك لساناً، وأحد منك سناناً، وأملأ منك للكتيبة، فقال له علي عليه السلام: (اسكت فإنك فاسق) فنزلت الآية. هذا معنى ما روي. ويترتب على ذلك أن علياً أمير المؤمنين مؤمن مستحق لجنات المأوى، وأن الوليد فاسق مأواه النار، ثم إن الآية بعد ذلك تتناول كل مؤمن وكل فاسق.

[١]- [من ذلك ما أورده الشوكاني في تفسيره (فتح القدير) قال فيه: وأخرج أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني والواحدي وابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن عساكر من طرقٍ عن ابن عباس قال: قال الوليد بن عقبة لعلي بن أبي طالب: أنا أحدُّ منك سناناً، وأنشط منك لساناً، وأملأُ للكتيبة منك، فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق، فنزلت: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ۝١٨﴾ يعني بالمؤمن: علياً، وبالفاسق: الوليد بن عقبة بن أبي معيط. وأخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر عنه في الآية نحوه. وروي نحو هذا عن عطاء بن يسار والسدي وعبدالرحمن بن أبي ليلى.اهـ وينظر أيضاً: سير أعلام النبلاء، والاستيعاب، والوافي بالوفيات، وغيرها كثير].

سؤال: كيف يمكننا أن نثبت أن في هذه الآية دليلاً قطعياً على خلود أهل الكبائر في النار ولو كانوا من أهل الشهادتين، وذلك من خلال قواعد أصول الفقه المتفق عليها؟

الجواب: الذين فسقوا هم الذين خرجوا عن أمر ربهم إما بترك ما فرضه عليهم، أو بفعل ما نهاهم عنه، هذا هو المعنى الشرعي للفسق: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف:٥٠]، وعلى هذا فالمسلم إذا خرج عن طاعة الله بفعل كبيرة داخل في عموم هذه الآية.

الدنيا لعل ذلك أن ينفع فيهم فيرجعوا إلى هداهم وصوابهم ورشدهم؛ وفعلاً فقد عذبهم الله تعالى بالجدب والفقر نحواً من سبع سنين ولكنهم لم يرجعوا(١).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴿٢٢﴾﴾(٢) فلا أحد أظلم من قومك يا محمد فقد ذكرتهم بالقرآن وبآيات الله سبحانه وتعالى، ولكنهم أعرضوا وتمردوا، وسوف ننتقم منهم جزاءً على تكذيبهم وإعراضهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَابِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَابِيلَ﴿٢٣﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه قد أنزل التوراة على

---

(١)- **سؤال:** في أمالي المرشد بالله روايات ظاهرها الصحة عن الباقر وزين العابدين في غالب ظني أن العذاب الأدنى عذاب القبر، فما رأيكم في ذلك؟ وكيف نوجه: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴿٢١﴾﴾ على هذا التفسير؟

الجواب: روى ذلك المرشد بالله عن شيخه الجوزداني عن.. إلخ، ولم يذكره في مختصر الطبقات لا بتوثيق ولا تضعيف، فالرواية ليست كما ينبغي من الصحة، فيرجح ظاهر الآية على ما روي في ذلك.

(٢)- **سؤال:** هل يصح للمرشد الاستدلال بهذه الآية على من أعرض ولم يستجب للمواعظ والتذكير؟ ومن أي ناحية؟

الجواب: يمكن تفسير الإعراض بوجهين من التفسير لكل وجه حكم يخصه:

١- قد لا يرضى المسلم المحافظ على صلاته و.. أن يحضر مجالس الوعظ والإرشاد، فلا ينبغي أن يدخل مثل هذا في عموم الآية.

٢- والمعرض المراد في هذه الآية هو الذي يسمع الموعظة ويعرف أنها حق ثم لا يعمل بها ويعرض عنها.

وهناك ثالث يسمى معرضاً، وهو الذي لا يبالي بدينه ولا يسأل، ولا يحضر مجالس العلم والإرشاد، يدعونه للحضور فلا يحضر مع قربها منه، فهذا يسمى معرضاً، ويلحق بالقسم الثاني.

موسى من قبله، وقد لاقى(١) من قومه مثل ما لاقاه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من قريش من التكذيب والاستهزاء والأذى، وقد مكث على تلك الشدائد زماناً طويلاً حتى أنزل الله تعالى عليه الفرج والنصر، فقد مكث يدعو فرعون وقومه نحواً من أربعين سنة كما قيل، ثم إن الله تعالى أهلك فرعون ونصر موسى، واستنقذ بني إسرائيل من قبضته وسيطرته.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد أنزل التوراة على موسى ليهتدي بنو إسرائيل بما فيها من الأحكام والتشريعات.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا(٢) لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

---

(١)-**سؤال:** إذا قيل: لعلكم تقصدون: فلا تكن يا محمد في شك من لقاء الأذى، فمفعول المصدر محذوف وهو الأذى؛ فإن قيل: الحذف خلاف الظاهر فما جوابه؟ وما هي المحامل الأخرى في «لقائه»؟ وما مرجحات ما اخترتموه أيدكم الله بتأييده؟

الجواب: المراد من لقاء الأذى الذي لقيه موسى أي: مثله، والهاء في «لقائه» هي ضمير يعود إلى الأذى المدلول عليه بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، وقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عالماً بما لقي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في تبليغ رسالة ربه من فرعون وملئه أولاً، ثم من قومه ثانياً. وقد فسروا ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ بلقاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إما في السماء ليلة المعراج أو في يوم القيامة. والذي رجح ما قلنا: أنه يظهر من سياق السورة أنها نزلت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد أن ضاق ذرعاً من إصرار قومه على الإعراض عن دعوته، والتكذيب بما جاءهم به، وطول الأذى والتضييق عليه وعلى أصحابه المستضعفين؛ فأنزل الله تعالى عليه ما أعده للفاسقين في نار جهنم، وما أعده للمؤمنين في جنات المأوى؛ ليخفف عنهم ما يجدون من الضيق والبلوى، ثم ذكر الله تعالى نبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه آتى موسى الكتاب ليسليه بذكره، فإن البلوى إذا عمت هانت، أي: فإن كنت قد أوذيت يا محمد في تبليغ رسالة ربك فقد أوذي موسى من قبل في تبليغ رسالة ربه، فستلقى مثل ما لقي موسى؛ فجدد عزيمتك واصبر، ولا تضق بتكذيب قومك. والتفسير الذي ذكرناه مذكور في البرهان، وفي تفسير الرازي، وهو في المصابيح.

(٢)-**سؤال:** ما معنى الباء في قوله: «بأمرنا»؟ وما المراد بالأمر هذا؟

الجواب: معناها التلبس والمصاحبة أي: متلبسين بأمرنا، فالجار والمجرور في محل نصب على الحال من فاعل «يهدون». والمراد بالأمر: تكليفهم بذلك أو معرفتهم بشريعة الله، والله أعلم.

وجعل تعالى من بني إسرائيل أئمة يقتدي بهم الناس ويسيرون على طريقتهم ونهجهم، وكل ذلك بسبب[١] صبرهم على دينهم؛ وأنت يا محمد فاصبر على ما تلاقيه من قومك كما صبر أولئك الصالحون.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ۝٢٥﴾ يحكي الله سبحانه وتعالى في هذه الآية عن بني إسرائيل بأنهم قد اختلفوا بعد موسى على فرق ومذاهب شتى، وقد غيروا وبدلوا وحرفوا التوراة، وسيحكم بينهم[٢] يوم القيامة، وسيميز المحق من المبطل منهم فيجازي كلاً بما يستحقه.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ۝٢٦﴾ يستنكر الله سبحانه[٣] وتعالى هنا على قريش لماذا لا يعتبرون بتلك القرون والأمم التي أهلكها بسبب تكذيبهم وتمردهم على أنبيائهم، وكفرهم بما جاءوهم به من عند الله، ولماذا يصرون على كفرهم وتكذيبهم مع أنهم قد رأوا وعلموا كيف كانت عاقبة أولئك المكذبين من تلك الأمم السابقة عندما كانوا يمرون على مساكنهم وقراهم في طريق أسفارهم وتنقلاتهم، كقرى قوم لوط وقوم صالح وقوم هود وغيرهم. ومعنى «أو لم يهد»: ألم يتبين.

---

(١)-**سؤال:** من أين نفهم هذه السببية؟

الجواب: فهم السبب من «لما» الشرطية، وجملة «جعلنا» هي دليل الجواب.

(٢)-**سؤال:** إلام يعود الضمير في قوله: «بينهم»؟

الجواب: يعود الضمير إلى بني إسرائيل في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ۝٢٣﴾ والسياق فيهم.

(٣)- **سؤال:** هل يصح أن نجعل الاستفهام تقريراً هنا؟ وأين فاعل «يهد»؟ وما محل جملة «يمشون» في هذه الآية؟

الجواب: الاستفهام هذا تقرير لما بعد النفي، ويصح أن نقول: إنكار للنفي. وجملة «يمشون» مستأنفة لبيان وجه هدايتهم. وفاعل «يهد» إما مصدره أي: الهدى، أو مقدر أي: كثرة المهلكين.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ۝٢٧﴾ وكذلك يستنكر الله تعالى عليهم لماذا لا يتفكرون في هذه الآية التي يرونها أمام أعينهم؟ وينظرون كيف نسوق السحاب إلى تلك الأرض اليابسة الجرداء التي لا أثر للحياة عليها، ثم ننزل عليها المطر فإذا بها تنبض بالحياة من جديد، وتخرج خيراتها من الزروع والثمار وأصناف النبات الذي يأكلون منه ويعيشون عليه هم وأنعامهم، أفلا يبصرون ذلك، ويعلمون أن الله قادر على إحيائهم بعد مماتهم؟

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ۝٢٨﴾ كان النبي ﷺ عندما يشعر بالضيق الشديد من أذية قومه واستهزائهم يقول لهم: إن الله سبحانه وتعالى سوف يحكم بيني وبينكم، وسيأتي بالفتح والفرج فيعذبكم وينتصف لي منكم عما قريب؛ فكان المشركون يسألونه عن ذلك الفتح والفرج متى سيكون؟ ومتى سيحين موعد هذا الفتح الذي تتوعدنا به[1]؟

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ فأمره الله سبحانه وتعالى أن يجيب عليهم بهذا الجواب، وهو أنه متى حل موعد ذلك اليوم فقد انقطع الأمل ولن ينفعكم الندم، ولم يبق إلا ما قدمتموه من الأعمال.

---

(١)- **سؤال:** يقال: هل مراد النبي ﷺ بالفتح الذي يتوعدهم به يوم القيامة كما قد يظهر من الآية التي بعد هذه؟ أم في الدنيا؟ فكيف نتأول هذه الآية: ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾؟ وهل يصح حمله على فتح مكة فيلزم أيضاً نفس الإشكال؟

الجواب: المراد بالفتح هو إهلاكهم في الدنيا، أما قوله: ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ أي: لا ينفعهم الإيمان إذا آمنوا حين نزول العذاب بهم، ولا يقبل منهم حينئذ الإيمان؛ لأن العذاب قد نزل بهم، والموت قد حال بينهم وبين الإيمان بدليل: ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ۝٢٩﴾ أي: فلا ينفع الإيمان من نزلَ به العذابُ وَقَطْعُ الأجلِ وإزهاقُ الروح. أما من لم ينزل به من الكافرين الهلاك واخترام الأجل فليس بداخل فيما ذكر.

﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ۝٢٩﴾ وأنهم لن يمهلوا لحظة واحدة كما هو حالهم الآن في الإمهال والتأني بهم.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ۝٣٠﴾ اتركهم يا محمد في غيهم وضلالهم واستهزائهم ولا تُجَارِهِمْ، ولا ترد عليهم، وانتظر لهلاكهم كما هم منتظرون لهلاكك.

ثم إن الله سبحانه وتعالى أهلك كبار قريش يوم بدر، وكانوا سبعين رجلاً، وهم الذين كانوا يصدون عن دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويقفون في وجهه، ويمنعون الناس عن الذهاب إليه والسماع لما يتلوه عليهم من رسالة ربه(١).



---

(١)-**سؤال:** يقال: هل استكمل يوم بدر جميع الصادين؛ أم كيف؟

الجواب: أهلك الله بعذابه يوم بدر أكابر المجرمين ورؤوس الكفر قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ۝٩٥﴾ [الحجر]، ولم يبق من رؤوسهم سوى أبي سفيان فإنه كان في العير ولم يكن في نفير قريش يوم بدر، ولعل بقاءه فتنة ومتاع إلى حين.

سؤال: ما مناسبة كون هذه الآية خاتمة لهذه السورة المباركة؟

الجواب: في هذه الآية إشارة إلى نهاية السورة، فإن أمر الله تعالى لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالإعراض عن قومه والانتظار للفرج بعد أن بلغهم رسالة ربه وتلا عليهم آياته هو آخر ما كلف به ونهايته وتمام رسالته إليهم، وذلك يؤذن بنهاية السورة.

سورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا۝١﴾ وجه الله سبحانه وتعالى خطابه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به غيره؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان من أهل العصمة، وقد أراد الله سبحانه وتعالى لعباده أن يتقوا عذابه وسخطه ويتركوا ما يوجب ذلك من المعاصي، وتقوى الله سبحانه وتعالى تكون بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

وكان أهل الكفر يدارون النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن يفعل لهم بعض ما يريدون من دينهم، وأن يتساهل معهم في بعض آخر من أعمال الكفر، ويعدونه بأنه إن فعل ذلك ورضي لهم فسيؤمنون له ويصدقون ما جاء به.

وكذلك المنافقون كانوا يعرضون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يفعل معهم مثل ذلك من الأعمال التي لا ترضي الله تعالى فنهاه عن طاعتهم وعن الاستماع لهم أو الميل إلى شيء مما يقترحونه عليه، وأمره أن يترك مشورتهم وأخذَ الرأي منهم؛ لأنهم لن ينصحوا للإسلام، ولن يشيروا عليه إلا بما فيه فساد أمر الدين، وزرع الفرقة بين المسلمين[1].

---

(١)- **سؤال:** يقال: إذاً فالأمر موجه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكيف؟ وهل يصح أن يحمل على أنه أمر بالاستمرار في التقوى وترك طاعة الكافرين والمنافقين؟ وأن المراد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولو كان معصوماً؛ إذ العصمة لا تسقط التكليف، وقد يكون فيه لطف لبقية المكلفين حينما يشعرون بأن الأمر لا زال للمعصوم، وسيعظم عندهم هذا الأمر ويكون منهم اهتمام بالغ؟

الجواب: الأمر موجه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو المخاطب به، وكما ذكرتم فإنه يراد منه الاستمرار على تقوى الله وترك طاعة الكافرين والمنافقين، والمراد أتباعه المؤمنين، وهذا كما يقال: من باب «إياك أعني واسمعي يا جارة»، ودليل ذلك قوله: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا۝٢﴾، فوجه الخطاب إلى أتباعه صلى الله عليه وآله وسلم في آخر هذه الآية.

وأخبره أنه عليم حكيم لا يأمر إلا بما فيه مصلحة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وللدين وللإسلام والمسلمين، وعلى الجملة فإن ما يأمرنا الله سبحانه وتعالى به من الشرائع ليس إلا لمصلحة قد علمها لنا، وأنه لم يأمر بشيء لأجل أن يشق علينا أو يتعبنا به، ولم ينهنا عن شيء لأجل أن يحرمنا أو يمنعنا، وإنما لأجل دفع الشر والفساد عنا، وما فيه ضرر علينا، وأما هو تعالى فلا تنفعه طاعة من أطاعه ولا تضره معصية من عصاه.

فالصلاة مثلاً لم يأمر عباده بها إلا للمصلحة التي تعود عليهم منها في دينهم ودنياهم، وذلك لما فيها من القربة إلى الله سبحانه وتعالى، وكسب رضوانه وثوابه، وأيضاً لما فيها من الرياضة للجسم.

وما شَرَطَهُ من الوضوء لإقامتها إنما هو لما فيه من الطهارة والنظافة للجسم، وإزالة الأوساخ والأمراض والجراثيم التي تَعْلَقُ بالجسم.

وكذلك الزكاة لما فيها من النفع للفقراء، والسبب الذي تعود به من استقامة الحياة بما يحصل من التعامل بينهم، وكذلك فإن العقل يستحسن إشباع الفقراء وسد جوعتهم، وأيضاً فإن العاقل لا يقبل أن يبيتَ الغنيُّ شبعاناً وجاره جائع، ويمقت من فعل ذلك ويذمه، فلذلك أمر الله سبحانه وتعالى الغني بمواساة الفقير، ولما فيها من بقاء الأخوة بين الأغنياء والفقراء فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها.

وكل الشرائع هكذا ليست إلا لمصالح تعود على العباد، لا غرض لله سبحانه وتعالى فيها غير ذلك؛ لأنه غني لا يحتاج(1).

---

(1)-**سؤال:** وكيف ندرج الشكر لله بالصلاة ونحوها ضمن المصالح التي تعود للعبد؟

الجواب: المصالح التي تعود للعبد من فعل الصلاة:

- الطهارة والنظافة التي من شأنها إزالة الميكروبات المؤذية للصحة.
- الوضوء والصلاة يجددان للمرء الحيوية والنشاط، يظهر ذلك في وجه المصلي.
- رياضة بدنية تتحرك فيها جميع أجزاء الجسم، وجميع ما يحتاجه البدن من الرياضة الضرورية.

=

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا۝٢﴾ بعد أن نهى الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن طاعة الكافرين والمنافقين أمره أن يتبع ما أوحي إليه من الشرائع والتعاليم في القرآن(١)، وأمته تدخل تبعاً له في هذا الأمر.

ثم أخبره تعالى بأنه عالم بجميع أعمال عباده، ومطلع على أسرارهم وما في ضمائرهم، وسيجازيهم على ظاهرها وباطنها.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا۝٣﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يتوكل عليه في ذلك لأجل أن يدفع عنه ضرر الكافرين والمنافقين ومؤامراتهم ومحاولاتهم لقتله وإفساد أمره، وأن لا يبالي بهم؛ لأنهم مهما حاولوا أن يضروه فلن يستطيعوا ذلك ما دام متوكلاً عليه وكفى بالله حافظاً(٢).

- الاجتماع بالأقارب والجيران والإخوان كل يوم عدة مرات، ولا يخفى ما يترتب على ذلك من المصالح التي فيها دوام التواصل، والإحساس بالترابط، ومنها التشاور عند الحاجة، ومنها السؤال عن الغائب والمريض، ونحو ذلك.
- إنعاش القلب بذكر الله فلا يزال القلب حياً بذكر الله بالمداومة على الصلاة، ولا يخفى ما في انتعاش القلب بذكر الله من آثار على سلوك الإنسان، فيترك القبيح ويتجنب الشر، ويندفع إلى فعل الخير وحسن المعاملة، وبسلوكه هذا يحصل على ثقة الناس به وميلهم إليه وحبهم له، ويكتسب حسن معاملتهم له، وحسن الثناء عليه ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا۝٩٦﴾ [مريم].

(١)- **سؤال:** قد يفهم أنه لم يوح الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا القرآن فقط دون السنة، فكيف تقولون في ذلك؟

الجواب: السنة تابعة للقرآن أي: أنها لبيان ما شرع الله تعالى في القرآن وتفصيل ما فيه من الأحكام، فالصلاة والزكاة مما أمر الله تعالى به في القرآن، وبيان كيفية الصلاة ومقادير الزكاة جاءت من السنة، إلا أنها لبيان ما أراده الله في القرآن؛ لذلك فالسنة ليست شيئاً آخر غير القرآن.

(٢)- **سؤال:** يقال: وبماذا يُفَسَّر الضر الذي حصل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة أحد وليلة الهجرة ونحو ذلك؟

الجواب: المراد أنهم لن يصلوا إلى إفساد دعوة النبي وإبطال أمره ألا ترى أن الله تعالى سمى نجاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المشركين واختبائه في الغار نصراً: ﴿**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**

=

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لم يخلق لأحد قلبين ليرتب على هذا الخبر ما بعده من الأحكام.

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝٤﴾ كان الرجل يقول: زوجتي علي كظهر أمي، أو مثل أمي، فاستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم ذلك؛ لأنه لا يصح أن تكون زوجته حلالاً وحراماً في آن واحد، كما أنه لا يصح ولا يجوز أن يكون مع الرجل قلبان في جوفه.

وكذلك كانوا يتبنون الأولاد، فكان أحدهم يشتري عبداً ثم يعتقه[1] ثم بعد ذلك يعلن بين الناس أنه ولده وأنه يرثه ويورث منه، وأنه ينسب إليه، ونحو ذلك من الأحكام التي تكون لأبناء النسب.

وقد فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك في زيد بن حارثة قبل النبوة، فقد اشتراه وأعتقه، ثم أعلن بين الناس أنه ولده، فكان الناس ينادونه بزيد بن محمد، ثم إن الله سبحانه وتعالى نهاهم أن ينسبوهم إليهم، وأن لا يقولوا زيد بن محمد، وإنما ينسبونه إلى أبيه الذي ولده فيقولون: زيد بن حارثة؛ لأنه لا يصح أن يكون ابن محمد وابن حارثة في

ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ...﴾ الآية [التوبة:٤٠]، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هجرته متوكلاً على الله معتمداً عليه مطمئناً إلى حفظه حتى في حالة إحاطة العدو، وهكذا نجاه الله تعالى يوم بدر وهو في وسط الميدان وقد انهزم عنه المسلمون ولم يبق حوله إلا عدة أنفار.

(١)- **سؤال:** فضلاً هل كانت قصة التبني مقصورة على العبيد المعتقين، فما السر في تسميتهم أدعياء؟ أم تشمل من لا أب له؟

الجواب: الذي يظهر لي أن التبني كان ظاهرة منتشرة في المماليك، يعتقه سيده ثم يعلن للملأ أنه ابنه، وتسميتهم أدعياء لأنه لا حقيقة لهذه البنوة، وإنما يقولونها بألسنتهم، ويسمون ابن التبني دعياً لأنه إنما دعي ونسب بالدِّعوة، وأدعياء: جمع دعي، ولا يراد بتسميتهم أدعياء أنهم من سفاح أو لقطاء.

آن واحد كما لا يصح أن يكون للرجل قلبان في جوفه، وأخبرهم أن قولهم: زيد بن محمد، وجعلهم للزوجة أُمًّا كل ذلك لا يصح ولا يجوز، فقد أمرهم الله سبحانه وتعالى أن ينسبوا زيداً إلى أبيه الحقيقي، وأن يتركوا الظهار.

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ أي: لا تنسبوا زيداً إلى محمد، وانسبوه إلى أبيه الحقيقي الذي هو حارثة، وكذلك غيره من الأبناء الذين ينسبونهم إلى أنفسهم بالدعوة والتبني، وذلك لما كانوا يرتبونه على ذلك من الأحكام من التوارث وحرمة التناكح، وغير ذلك من الأحكام التي تلحق النسب.

﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني: أن نسبتهم إلى آبائهم هو الحق والعدل الذي يريده الله سبحانه وتعالى.

﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ وإن لم تعلموا لهم آباءً تنسبونهم(١) إليهم فنادوهم بـ: «يا أخي في الدين، أو يا مولاي»؛ لأن المعتَق يسمى مولى.

---

(١)- **سؤال:** من كان لغير رشدة فابتلي بتبنيه أحد المؤمنين في عصرنا، فكيف يعمل في نسبته، فقد يتحسس الصبي لو نسبه إلى أُخُوَّته في الدين؟ وما هو دليل أهل المذهب في جواز النسب لمن أرضع منهم كما قيل؟

الجواب: إذا ابتلي المؤمن بمولود منبوذ عند باب بيته أو في المسجد أو في أي مكان فأخذه ورباه عنده، فليعلم أهل قريته إن لم يكونوا قد علموا، فإذا علموا ذلك وعرفوا الطفل فلا محذور بعد ذلك أن يراعوا مشاعر الطفل فيتركوه ليقول: يا أبي ويا أمي ويا أخي و...، وليقولوا له: يا بني؛ إذ لا يترتب على ذلك مفاسد كالتي كانت في دين الجاهلية، ولا تحصل أحكام البنوة والأبوة، ولا يحصل تغرير، فأهل البلد يعرفون، وإنما لأجل مراعاة مشاعر الطفل، فالأبوة ليس لها حقيقة وإنما هي مجاز وتشبيه، والعلماء لا يستنكرون على من يقول لولد غيره: يا بني، ولا من يقول لغير أبيه: يا أبي، لعلم المخاطب والسامع أن ذلك ليس حقيقة، بخلاف ما كانت عليه الجاهلية. فإذا رضع الطفل من زوجة الرجل الذي أخذه فقد صارت المرضع أماً له وزوجها أباً، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لعائشة لما احتجبت عن رجل: ((إنه عمك)).

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ[(١)] وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ وإذا نسيتم هذه التعاليم وناديتموهم بذلك فلا حرج ولا بأس عليكم، إن كان على سبيل الخطأ والنسيان؛ لأن الله تعالى يغفر الخطأ والنسيان[(٢)]، ولا يؤاخذ عباده عليه.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[(٣)] ثم أنزل الله سبحانه وتعالى فرض الطاعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحكم على جميع أمته أن يطيعوه ويمتثلوا لما يأمرهم به، ولو كان ذلك فيما يكرهونه، أو يظنون فيه خلاف مصلحتهم.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً: ما فائدة التنصيص على هذا مع فهمه من قوله: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾؟

الجواب: الفائدة هي التأكيد للحكم المفهوم، فإن التصريح به بعد الدلالة عليه بالمفهوم دليل على عناية الشارع به أيما عناية.

(٢)- **سؤال:** هل للخطأ صور غير النسيان فلو ذكرتموها؟ وما الوجه في تعميم الاستدلال بها في أوجه الخطأ؟

الجواب: قد يكون الرجل معتقداً أن ذلك الرجل هو ابن فلان حقيقة فيسميه به وينسبه إليه بعد علمه بالنهي، وفي الواقع أنه ليس ابناً له، فهذا خطأ وليس من النسيان. ووجه تعميم الاستدلال بها في كل ما هو خطأ: هو ما فيها من عموم الموصول «فيما»، فإن «ما» هي من ألفاظ العموم والشمول، فتشمل كل خطأ وقع من المسلم، إلا ما استثناه الدليل من الجناية على النفس بالجرح أو القتل أو على المال؛ فإن الشارع أوجب الدية والكفارة في النفس والأرش في الجرح والضمان في الأموال.

(٣)- **سؤال:** ظاهر الآية أن المقصود بالأولوية الولاية العامة التي لا يد لأحدٍ معها، فإذا قيل إنها في قوله: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ [الأحزاب:٦] ليست الولاية العامة فلتكن الأولى مثلها، فبماذا نجيب على ذلك؟

الجواب: يقال: الولي والأولى من الألفاظ المشتركة لفظياً مع اختلاف معانيها، والقرائن والسياق هو الذي يعني المعنى المراد في مثل ذلك، فإذا قيل: فلان ولي فلان معناه أنه أولى به، ولفظ «ولي» مشترك كما ذكرنا بين معان كثيرة، منها: الولاية العامة، ومنها: ابن العم، والوارث، والحليف، والعبد، والسيد، والناصر.

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ ونساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فهن أمهات للمؤمنين يجب عليهم توقيرهن واحترامهن احترام الولد لأمه ويحرم عليهم نكاحهن حرمة الأمهات.

﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ[1] اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ وما كانوا يجعلونه من التوارث ونحوه لأبناء التبني لا يجوز ولا يصح، فأولو الأرحام أولى بذلك التوارث ونحوه، والقريب أولى بقريبه من دون جميع الناس، حكم حكم الله به في كتابه، وألزم به جميع عباده.

﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا[2] إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝٦﴾ إلا إذا أردتم أن تحسنوا إلى أولئك الذين كنتم تدعونهم بالتبني على سبيل الصلة والصدقة والوصية فذلك لكم، وأما النصيب المفروض في الميراث فليس لهم شيء منه.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۝٧﴾[3] والميثاق الذي أخذه الله سبحانه

---

(١)-**سؤال:** بماذا تعلق الجار والمجرور: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾؟ وما السر في عدم تصريحه بالأنصار، أو في تنصيصه على المهاجرين فقط؟

الجواب: «في كتاب الله» متعلق بأولى أو بضمير الفاعل في أولى. ولم يذكر الأنصار لأنهم المرادون بقوله «المؤمنين» في قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ إذ لم يكن يوم نزلت الآية في الجزيرة إيمان إلا في المدينة.

(٢)-**سؤال:** مم الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا﴾؟

الجواب: الاستثناء متصل، وهو من أعم عام الأحوال، أي: إلا أن تعطوا أولياءكم على وجه الهبة والهدية والإحسان.

(٣)- **سؤال:** من فضلكم ما معنى «إذ» في هذه الآية؟ وما هو العامل فيها؟ وهل توهم أن أخذ الميثاق كان متقدماً فكيف بقوله: «ومنك»؟ وهل الأخذ يتعدى بـ«من» أو بـ«على»؟ وما السر في إضافة الميثاق إلى الأنبياء في قوله: «ميثاقهم»؟ وما النكتة في تقديم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على الأنبياء عَلَيْهِم السَّلَام في أخذ الميثاق؟

الجواب: «إذ» مفعول به وهي اسم زمان وناصبها فعل محذوف تقديره «واذكر»، وأخذ الميثاق قد كان متقدماً على نزول الآية حيث أخذ الله ميثاق كل نبي على تبليغ رسالة ربه، كل نبي في وقت

=

وتعالىٰ علىٰ أنبيائه هو أن يبلغوا رسالاته إلىٰ أممهم، فذلك عهد مؤكد قد شدد الله سبحانه وتعالىٰ عليهم فيه، وأكده عليهم أبلغ تأكيد.

﴿لِيَسْأَلَ(١) الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا۝٨﴾ وأن الله تعالىٰ سيسأل الأنبياء يوم القيامة: هل بلغوا رسالاته وأدوا ما أمرهم به؟ وكذلك الكافرين بهم سيسألهم: كيف كان موقفهم من أنبيائهم؟ وماذا كان جوابهم عندما دعوهم؟ وكيف قابلوا دعوتهم؟

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا۝٩﴾ نزلت هذه الآية في شأن ما حصل في يوم الخندق عندما أحاط المشركون بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه في المدينة من كل مكان، وكان سلمان الفارسي قد أشار علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بحفر خندق حول المدينة ليمنع المشركين منهم، فأراد الله سبحانه أن يذكِّر المؤمنين بتلك النعمة التي أسداها إليهم حين تلك الواقعة الأليمة حيث كان المشركون قد اجتمعوا من كل صوب، وتعاهدوا علىٰ أن يجتثوا الإسلام، ويستأصلوا أهله، ثم إن الله سبحانه وتعالىٰ أنزل رحمته علىٰ المؤمنين فأرسل علىٰ المشركين ريحاً شلت حركتهم، وأخذت خيامهم، وأطفأت نيرانهم، وأقلقتهم قلقاً شديداً حتىٰ اضطروا إلىٰ الرجوع والعودة من حيث أتوا خائبين منكسرين، والمقصود بقوله: «وجنوداً لم تروها»: قد تكون هي الرعب والخوف والاختلاف مع اليهود.

رسالته، وقد كان أخذ الميثاق علىٰ نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو في أول رسالته. وقدم ذكر نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ذلك لأنه المقصود بتذكير الله له بأخذ الميثاق عليه وعلىٰ غيره من الأنبياء، وذلك ليشد من عزمه ويبعث من نشاطه علىٰ المضي في سبيل رسالته وتبليغ رسالته. وذكر الله تعالىٰ هنا من ذكر من الأنبياء ليهون علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما هو فيه من المشاق في تبليغ رسالة ربه، فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا علم أن الله أخذ الميثاق من الأنبياء في تبليغ رسالات الله وأنهم واجهوا مثل ما يواجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من التكذيب والأذىٰ والمشاق فإنه يهون عليه ما هو فيه، فالمصائب إذا عمت هانت.

(١)-**سؤال:** قوله: «ليسأل» علة لماذا؟

الجواب: المعلول هو أخذ الميثاق علىٰ الأنبياء في تبليغ رسالات الله.

﴿إِذْ[١] جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ[٢] مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا۝١٠﴾[٣] يذكِّر الله سبحانه وتعالى المسلمين بذلك اليوم عندما كان المشركون قد تحالفوا من جميع أطراف البلاد العربية عازمين على القضاء على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه، وقد أقبلت جيوشهم من كل مكان حتى أحاطوا بالمدينة، وعندما كان الرعب قد أخذ منهم كل مأخذ وأيقنوا عندها بالهلاك لما رأوا من الكثرة التي قد أقبلت عليهم، وكان الشك قد دخل في قلوب المسلمين في ذلك الوعد بالنصر الذي كان قد وعدهم به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وساورهم التردد في صدق كلامه الذي كان يقوله لهم من أنهم سيظهرون على البلاد جميعها، وأنهم سيملكون قصور كسرى وقيصر، ومعنى «زاغت الأبصار»: مالت عن طريقها وعادتها، و«بلغت القلوب الحناجر» تصوير وتمثيل للخوف والضيق الذي

---

(١)-**سؤال:** علام انتصبت «إذ» الظرفية في هذه الآية؟

الجواب: على البدلية من نعمة الله في قوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

(٢)- **سؤال:** هل المراد بقوله: ﴿مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ مواضع سفلى وعليا أتوا منها؟ أم كناية عن إحاطتهم من كل مكان؟

الجواب: المراد أنهم حوصروا من كل جانب بالجيشين؛ الجيش الذي أتى من أسفل، والجيش الذي أتى من أعلى، أي: من جهة الشرق ومن جهة الغرب.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب «الظنونا»؟ وما وجه جمعه مع كونه مصدراً؟ وما هي «أل» هذه التي دخلت عليه؟ وكذا الألف الأخيرة؟

الجواب: «الظنونا»: مفعول مطلق مبين للنوع؛ إذ يدل على أنواع مختلفة من الظنون، ولعل هذا هو الوجه في جمعه مع كونه مصدراً، وظاهر مذهب سيبويه المنع من ذلك، وهذه الآية تصلح دليلاً لمن أجاز جمع المصدر المبين للنوع، والألف الأخيرة مزيدة فيه كألف الإطلاق التي تدخل على قوافي الشعر، وأما «أل» التي دخلت عليه فهي «أل» الجنسية التي تدخل على الجنس كما صرح به بعض المعربين، والله أعلم.

بلغ بالمسلمين.

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ⑪﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالى أن ذلك كان اختباراً منه لهم وتمحيصاً لقلوبهم، وكيف سيكون موقفهم تجاه نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأن ما صار على المسلمين يوم الخندق هو من الفتن والاختبارات التي قد تحدث الله سبحانه وتعالى عنها في قوله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ②﴾ [العنكبوت]، فقد ابتلى الله سبحانه وتعالى المسلمين هنا حتى ظهر صادق الإيمان من المختل فيه.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ⑫﴾(٢) عندما رأى المسلمون ما رأوا من إقبال أهل الشرك إلى المدينة من كل مكان خافوا خوفاً شديداً، وساورت أكثرهم الشكوك والريبة في صدق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وما وعدهم به من النصر وظهور الإسلام، وكان ذلك اختباراً من الله تعالى وتمييزاً لصادقي الإيمان الثابتين مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من غيرهم، وظهر عند ذلك ضعاف الإيمان من المنافقين وغيرهم، وبدأوا يُصَرِّحُون بنفاقهم في ذلك الموقف، ويرمون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالكذب وخلف الوعد. ومعنى «غروراً»: لا صحة له.

---

(١)- **سؤال:** هل يمكن أن نستفيد من الآية مدى التمحيص والشدة التي نزلت بالمؤمنين، حتى يكون ذلك كالعذر لهم في شدة الهلع والخوف، فلا يُنتقدوا في ذلك حتى يعتبروا من ضعاف الإيمان، من حيث شرح حالتهم، وخاطبهم بالمؤمنين؟

الجواب: نعم، يستفاد ذلك من الآية، فلا يضر الخوف الشديد إيمان المؤمنين، إلا من بلغ به الخوف إلى أن يترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ساحة المواجهة مع العدو ويغادر إلى بيته أو مأمنه؛ فإنه بذلك يكون منافقاً، كما ذكر الله في الآيات التالية لهذه الآية.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب «غروراً»؟

الجواب: «غروراً» نعت لمصدرٍ محذوف حل محله، فهو مفعول مطلق.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ وبدأ المنافقون بالإرجاف بين أوساط المسلمين وبث الرعب والخوف في قلوبهم فقال فريق منهم: يا أهل المدينة ارجعوا إلى بيوتكم فإنه لا إقامة لكم هاهنا.

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴿١٣﴾﴾(١) وبعض المسلمين قام يستأذن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويختلق الأعذار كقولهم: إن اليهود ستستغل ذلك الموقف، وتدخل بيوتهم لكونها خالية عمن يدافع عنها، وتنهب أموالهم، وتسبي نساءهم وذراريهم، وإنه لا بد أن يذهبوا لحماية بيوتهم، وهم بذلك إنما يريدون الفرار، وهؤلاء الذين هذه حالهم هم المنافقون، وأما المؤمنون صادقو الإيمان الثابتون مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقد ثبتوا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولم يظهر منهم أي شيء من ذلك، أو يظهر عليهم أي شيء من أمارات الخوف.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴿١٤﴾﴾ فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خبرهم ليطلعه على حقيقة أمرهم ونفاقهم، وأن المشركين لو دخلوا عليهم وظهروا على جوانب من بلادهم ثم أمروهم بالردة(٢) والكفر لأجابوهم إلى ذلك من دون أي تردد. ومعنى «ما تلبثوا بها»: ما انتظروا بها.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾(٣) وهؤلاء المنافقون

---

(١)- **سؤال:** ما محل جملة: «يقولون»؟ وهل الواو عاطفة في قوله: «وما هي بعورة»، فما وجه وصلها؟ أم لا، فما هي؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب؛ لأنها بمنزلة عطف البيان مما قبلها؛ لهذا فصلت عما قبلها. والواو في قوله: «وما هي بعورة» ليست للعطف بل هي واو الحال، والجملة في محل نصب على الحال.

(٢)-**سؤال:** من أين نستفيد أن الفتنة في الآية هي الردة؟ وهل يصح أن نحملها على مقاتلة المسلمين؟

الجواب: الفتنة : هي الردة أو طاعة المشركين فيما يدعونهم إليه من قتال المسلمين أو غيره، وهذا من أنواع الردة.

(٣)-**سؤال:** ما محل جملة «لا يولون الأدبار»؟ وما إعراب «الأدبار»؟

الجواب: لا محل لها جواب العهد. والأدبار: مفعول به.

كانوا قد عاهدوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قبل ذلك على الثبات معه، وعدم الفرار من بين يديه مهما كان، ولكنهم نقضوا تلك العهود وظهر كذبهم.

﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۝١٥﴾[1] وسوف يسألهم الله سبحانه وتعالى عن عهودهم تلك التي قد نقضوها.

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٦﴾[2] أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يخبر أولئك المنافقين الذين فروا من بين يديه بأن فرارهم لن ينفعهم، وأنهم لو سلموا من القتل تلك الساعة فلن يسلموا من الموت، فما هي إلا مدة يسيرة ثم يأتيهم ذلك الذي يفرون منه رغماً عن أنوفهم.

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝١٧﴾[3] وأمره أيضاً أن يسألهم هذا

---

(١)- **سؤال:** هل لا بد من تقدير نائب الفاعل في قوله: «مسئولاً» أي: مسؤولاً عنه ليتم المعنى؟ أم أنه تام بدون هذا التقدير؟

الجواب: يجوز ألا نقدر «عنه» ويكون نائب الفاعل ضميراً مستتراً فيه يعود إلى العهد، ويكون هذا من المجاز العقلي، وهذا هو الأولى من تقدير «عنه» محذوفاً؛ لأن التقدير خلاف الأصل.

(٢)- **سؤال:** فضلاً فصلوا القول في إعراب: ﴿وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٦﴾؟

الجواب: الواو في قوله: «وإذاً..» استئنافية، والكلام بعدها مستأنف. «إذاً» قد تكون حرف جواب فالتنوين أصلي وليس عوضاً عن شيء، ويصح أن تكون «إذا» الشرطية والتنوين عوضاً عن جملة الشرط، و«لا تمتعون» جواب الشرط، أي: وإذا فررتم من الموت أو القتل لا تمتعون. و«قليلاً» ظرف زمان، أي: إلا زمناً قليلاً.

(٣)- **سؤال:** يقال ما الوجه في عطف قوله: ﴿أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ على ﴿أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ مع تباينهما وظهور أن العصمة من العقوبة لا من الرحمة؟ وما إعراب: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾؟

الجواب: المعنى في قوله: «أو أراد بكم رحمة»: أو من ذا الذي يمنع الرحمة إن أراد بكم رحمة، وهذا المعنى كما في قوله: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:٢]، «من» اسم استفهام مبتدأ، و«ذا» اسم إشارة خبر، و«الذي» بدل من «ذا».

السؤال: من الذي سيدفع عنكم عذاب الله وعقوبته إن أراد إنزالها بكم؟ وإلى من ستفرون إن أراد اللحاق بكم؟

﴿قَدْ(١) يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه عالم بأولئك الذين يخذلون الناس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويثبطونهم عن القتال بين يديه.

﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾(٢) وعالم أيضاً بأولئك الذين يثبطون إخوانهم وأصدقاءهم بترك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعدم القتال بين يديه، ويدعونهم إلى الإقبال إلى صفهم، وبأولئك الذين يختلقون الأعذار للفرار من بين يديه. ومعنى «البأس»: القتال والحرب.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾(٣) ثم وصف الله سبحانه وتعالى هؤلاء الذين يخذلون الناس ويثبطونهم عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنهم إنما يبخلون على المؤمنين بتثبيطهم ذلك ويحسدونهم على كل خير من النصر والظفر والغنائم، وأن ذلك منهم ليس إلا لكرههم الشديد للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والثابتين معه.

﴿فَإِذَا(٤) جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ(٥) إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى

---

(١)-**سؤال:** ما معنى «قد» في قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ﴾؟

الجواب: معنى «قد» هنا التكثير مع التحقيق، وأصلها إذا دخلت على المضارع تفيد التقليل.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾؟ وعلام عطف قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ﴾؟

الجواب: «هلم» اسم فعل أمر يستوي فيه الواحد والمثنى والجمع ومعناه: أقبلوا، ففاعله مستتر، و«إلينا» جار ومجرور متعلق بـ«هلم». «ولا يأتون» الواو للحال والجملة بعدها في محل نصب على الحال.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾؟ وما نوع اسمية «أشحة»؟

الجواب: «أشحة» منصوب على الحال من فاعل «يأتون». و«أشحة» جمع شحيح وهي صفة، وكان القياس أن تجمع على أشحاء كصحيح وأصحاء مما لامه وعينه من جنس واحد.

(٤)-**سؤال:** ما علاقة هذه الجملة بقوله قبلها: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾؟

الجواب: الفاء عطفت حالة المنافقين في حال الخوف على حالتهم المحكية فيما قبل الفاء، ويجوز أن تعرب الفاء استئنافية.

(٥)-**سؤال:** ما محل جملة: «ينظرون إليك»؟ وجملة: «تدور أعينهم»؟

=

﴿عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾(١) فإذا حصلت شدة على المسلمين ودارت رحى الحرب فإنك ترى أعينهم تدور من كثرة تلفتهم من شدة الفزع، وتنعقد ألسنتهم خوفاً على أنفسهم من الموت والقتل.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ فإذا ذهبت تلك الشدة وزال الخوف فإنك تراهم يتفننون في سب المؤمنين والكيد بهم، وانتهاك أعراضهم وحرمهم. ومعنى «سلقوكم بألسنة حداد»: آذوكم بكلامهم الصادر من ألسنة ذربة قاطعة كالحديد.

﴿أَشِحَّةً(٢) عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ⁽¹⁹⁾﴾ ولا يحبون الخير للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولا لأحد من أصحابه، وإن كانوا قد آمنوا بألسنتهم ودخلوا في الإسلام فهم ما زالوا على الكفر في الحقيقة، ولن يقبل الله سبحانه وتعالى منهم أي قربة أو عمل، وسيعذبهم على ذلك ويخزيهم في الدنيا والآخرة.

﴿يَحْسَبُونَ(٣) الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ عندما أرسل الله تعالى جنده على المشركين

الجواب: الجملة الأولى في محل نصب على الحالية من فاعل ينظرون، والثانية كذلك.

(١)-**سؤال:** ما الوجه في تشبيههم بمن يغشى عليه من الموت؟

الجواب: تدور أعينهم كدوران أعين من يغشى عليه من الموت، ووجه الشبه ظهور أثر الخوف في العين، فدوران الأعين هو علامة الخوف الذي بلغ الغاية والنهاية وهو ظاهر في المغشي عليه من الموت، فشبه به هؤلاء المنافقين عند حضور لقاء العدو ومواجهته ليكشف لنا بالتشبيه ما يحصل للمنافقين من الخوف الشديد الذي بلغ النهاية والغاية.

(٢)-**سؤال:** هل يصح أن نحمل قوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ على أنهم بخلاء حريصين على كل خير من مال أو غنيمة أن لا يفوتهم؟

الجواب: نعم، يصح ذلك، والبخيل يكون كذلك يطلب الخير لنفسه ولا يحبه لغيره.

(٣)-**سؤال:** ما محل هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: يبدو أنها استئنافية لبيان وتصوير شدة خوفهم.

في الخندق وهزمهم و عادوا خائبين مكسورين إلى مساكنهم، كان المنافقون يظنون أنهم لا زالوا محيطين بالمدينة من شدة خوفهم وشكهم في نزول الفرج والنصر.

﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾(١) وأخبر سبحانه أن تلك الأحزاب المتحزبة ضد النبي ﷺ والإسلام لو عادوا بعد هزيمتهم تلك لتمنى أولئك المنافقون أنهم من أهل البوادي البعيدة عن المدينة فلا تصل إليهم أخبار النبي ﷺ إلا عن طريق السؤال والتقصي للأخبار.

﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ۝٢٠﴾(٢) فلا فائدة من وجودهم بينكم أيها المؤمنون، فلا يحزنكم فرارهم، فوجودهم كعدمهم سواءً.

﴿لَقَدْ كَانَ(٣) لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾(٤) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه قد جعل للمؤمنين في النبي ﷺ الأسوة الحسنة التي ينبغي أن يتأسوا به في الثبات على القتال وعدم

---

(١)- **سؤال:** ما معنى «لو» في قوله: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ﴾؟ وما محل جملة: ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾؟ وهل «في» في قوله: ﴿فِي الْأَعْرَابِ﴾ على بابها؟ أم لا، فما معناها؟

الجواب: «لو» حرف مصدري يسبك مع ما بعده بمصدر. وجملة «يسألون» في محل عطف على الحال من فاعل «بادون». و«في» على بابها ظرفية أي: في بلد الأعراب.

(٢)-**سؤال:** هل «في» بمعنى «بين» في قوله: «فيكم» أي: بينكم؟

الجواب: «في» على بابها أي: في جملتكم والظرفية معنوية.

(٣)-**سؤال:** هل «كان» في هذه الآية ناقصة أم تامة مع بيان ذلك؟

الجواب: الظاهر أنها ناقصة لدخولها على المبتدأ والخبر «لكم، أسوة»، ولا محوج إلى القول بأنها تامة، ولا يعدل إلى القول بتمامها إلا إذا لم يستقم إعرابها ناقصة.

(٤)-**سؤال:** يقال: من أين نفهم بوضوح وجوب التأسي علينا بالنبي ﷺ من هذه الآية الشريفة؟

الجواب: فهم ذلك من حيث أنه جعل التأسي ملازماً للإيمان بالله واليوم الآخر؛ إذ المعنى: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فله في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، أي: أن التأسي صفة ثابتة للمؤمنين، فمن لم يتصف بها فليس من المؤمنين.

الفرار، وأن يقتدوا به في جميع أعماله، فلن يكتمل إيمانهم إلا بذلك، ولن يتأسى به إلا من كان يخاف الله تعالى ويخاف عقابه وسخطه، ويكثر من ذكره طمعاً فيما عنده من الثواب والجزاء.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴿٢٢﴾﴾(١) يخبرنا الله سبحانه وتعالى كيف كان موقف أولئك المؤمنين الثابتين مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما حاصرت جيوش المشركين المدينة بأنهم كانوا ثابتين مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يداخلهم أي شك أو ريبة فيما كان وعدهم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من النصر والظفر، ولا زالوا مستبشرين بنصر الله سبحانه وتعالى وأنه لا بد أن ينزل، وسلموا لأمر الله تعالى وأيقنوا أن ما هم فيه من البلاء ليس إلا تمحيصاً واختباراً من الله تعالى لإيمانهم؛ وذلك لأنهم كانوا على بصيرة من دينهم، وتحقق بأن مثل تلك البلاوي لا بد أن تقع، وأن الفرج لا يكون إلا بعد شدة ومحنة، وعرفوا أن النصر لن يتم لهم إلا إذا صبروا وثبتوا على دينهم.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾(٢) وذلك يوم الأحزاب

---

(١)- **سؤال:** هل قالوا: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وقد رأوا شيئاً من النصر؟ أم وثوقاً منهم بأنه سيحصل؟

الجواب: قالوا ذلك ولم يروا شيئاً من النصر، وإنما قالوه وثوقاً بما وعد الله تعالى من النصر، أي: هذا ما وعدنا الله من الابتلاء والتمحيص، وصدق الله ورسوله فيما وعدنا به من الفتوح والنصر والتمكن في الأرض.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾؟ وما فائدة تنكير «رجال»؟ وهل يتعدى الفعل «صدق» بنفسه كما في الآية؟ أم بحرف جر كما في «صدق في كذا»؟

الجواب: «من المؤمنين رجال» الجار والمجرور خبر مقدم، ورجال: مبتدأ مؤخر، وتنكير «رجال» للتعظيم. و«صدق» هنا يتعدى بنفسه ومعناه يختلف عن قولك: صدق في كلامه.

بيان ذلك: أن يعدك رجل بتسديد ما عليه من الدين في يوم كذا، فإذا أوفى حسب وعده تقول:
=

«الخندق» أظهر الله سبحانه وتعالى فيه أمر أولئك الذين يراءون في دينهم، وأخبر أنه لا زال هناك مؤمنون صادقون في إيمانهم لم ينقضوا عهودهم ومواثيقهم، ولم تزلزلهم تلك الفتن.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ[1] وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ۝٢٣﴾ وأن من أولئك الرجال من قد استشهد في سبيل الله، ومنهم من لا يزال ينتظر الشهادة في سبيل الله وإعلاء كلمته، فلم تثن تلك الفتن عزائمهم أو يظهر منهم الضعف والوهن، ولا زالوا متمسكين بالنبي ﷺ وثابتين معه.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٢٤﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه اختبرهم وامتحنهم بتلك المحن والشدائد في ذلك اليوم ليظهر كل واحد منهم على حقيقته[2]، وليتميز

صدقني وعده، فتعديه إلى مفعولين، فإن لم يف بوعده قلت: كذبني وعده. تقول ذلك ولو لم يصدر منه قول، وعلى هذا فالمفعول الأول في الآية محذوف أي: صدقوا الله ما عاهدوه عليه، ولك أن تقدر «في» في المفعول به الثاني وأن لا تقدرها.

(١)-**سؤال:** يقال: مم أخذت هذه الكلمة «نحبه»؟ وما أصلها؟

الجواب: النحب: المدة والوقت، ومنه: «قضى فلان نحبه» أي: مات. اهـ(صحاح). ويظهر أن هذه الكلمة أصل برأسها، وليست مأخوذة من شيء.

(٢)-**سؤال:** على هذا فقوله: «ليجزي» علة لماذا؟ وهل لهذا الأسلوب قاعدة مطردة فما هي؟

الجواب: «ليجزي» هو علة لما تقدم من ذكر ما حصل في غزوة الأحزاب من الشدائد الشديدة التي زلزلت قلوب المسلمين، التي تكشفت بها حقائقهم؛ فأظهر المنافق نفاقه، وتبين بها المؤمنون الصادقون، أي: أن ما حصل كان فتنة واختباراً للمسلمين: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت]، وهذا هو ما ذكرناه في التفسير.

سؤال: فضلاً ما الفعل الذي من الله تعالى في هذا البلاء إذا كانت الشدة والزلزلة بسبب تحالف المشركين عليهم؟

=

الصادقون في إيمانهم من المتزلزلين فيه، وليجازي كل واحد من المؤمنين والمنافقين، إلا أن يتوبوا، وأما المصرون على نفاقهم فسيعذبهم[١].

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾[٢] فقد هزم الله سبحانه وتعالى المشركين يوم الأحزاب، ورجعوا خائبين مكسورين لم يشفوا غيظهم من النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، وخاب ما كانوا قد أجمعوا عليه من استئصال الإسلام والمسلمين، وهزمهم الله سبحانه وتعالى من دون قتل أو قتال.

﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥﴾ فقد ردهم بقوته وإرادته، وهزم تلك الآلاف المؤلفة بريح أرسلها عليهم كسرت شوكتهم، وردتهم على أعقابهم.

﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا[٣] تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝٢٦﴾ كان هناك عدة قبائل من اليهود في المدينة وحولها قد تعاقدت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعاهدت معه على الصلح وعدم مقاتلته بأي وجه، وعندما أقبل المشركون وحاصروا المدينة عزموا على نقض تلك

الجواب: الفعل الذي هو من الله في ذلك هو التخلية والتمكين: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤].

(١)-**سؤال:** يقال: من أين نستفيد هذا؛ فظاهر الآية التخيير بين تعذيبهم والعفو عنهم؟

الجواب: استفيد ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٤٦﴾ [النساء].

(٢)-**سؤال:** ما معنى الباء في قوله: ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾؟ وما محل جملة: ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾؟

الجواب: معنى الباء المصاحبة، وهي ومجرورها في محل نصب حال، ومحل «لم ينالوا خيراً» النصب على الحالية.

(٣)-**سؤال:** ما محل جملة: «فريقاً تقتلون»؟

الجواب: محلها النصب على الحال من ضمير «قلوبهم».

العهود ظناً منهم أنه قد حان موعد استئصال الإسلام والمسلمين، وأنه لن يبقى للإسلام أي ذكر بعد ذلك، فأعلنوا نقضهم لما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعندما هزم الله سبحانه وتعالى المشركين نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأمره بأن لا يبيت هو وأصحابه إلا في بني قريظة، فصاح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه قائلاً: ((من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة))، فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه ذلك اليوم، وحاصر بني قريظة حتى ألجأهم على النزول على حكم سعد بن معاذ، وكان سعد حليفاً لهم، وكان قد أصابه سهم من المشركين في الخندق فنصب له النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيمة، فحكم سعد بن معاذ فيهم بأن يقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجالهم ويسبي ذراريهم ويسترق نساءهم، وقد ذبح المسلمون ذلك اليوم ستمائة رجل من اليهود، واسترقوا جميع نسائهم وذراريهم، وأخذوا جميع أموالهم، وأما باقي اليهود فقد حكم عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخرجوا من ديارهم وأموالهم، ولم يسمح[1] لهم من الأمتعة إلا بحمل بعير لكل واحد منهم، وقد كانوا أهل ثراء وأموال طائلة، وقد عاد على المسلمين من بعدهم المال الكثير. ومعنى «الذين ظاهروهم»: الذين عاونوا الأحزاب من بني قريظة، و «صياصيهم»: حصونهم ومعاقلهم.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ وقد جعل الله تعالى أموال اليهود غنائم للمسلمين يتقاسمونها فيما بينهم، نعمة من الله سبحانه وتعالى امتن بها على المسلمين، فانقلبت أحوالهم من الفقر إلى الغنى، وأما اليهود فكان ذلك عقاباً لهم جزاءً على نقضهم للعهد الذي عاهدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَأَرْضًا[2] لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝٢٧﴾ وأخبرهم الله

---

(١)-**سؤال:** من هي هذه القبائل التي حكم عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الحكم؟

الجواب: هم الذين كتب الله عليهم الجلاء بنو النضير.

(٢)-**سؤال:** علام عطف قوله: «وأرضاً»؟

الجواب: معطوف على «أرضهم» أي: وأورثكم أرضاً.

سبحانه وتعالى أنه لا زال هناك أرض قد كتبها لهم، وأنهم لن يدخلوها إلا عندما يحين موعد ذلك، وهي أرض فارس والروم استولى عليها المسلمون بعد فترة من نزول هذه الآية التي تعدهم بذلك(١).

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ كان زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يكثرن المطالبة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بتحصيل أسباب الزينة والترف(٢) مع ما هو فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

---

(١)- **سؤال:** وهل يصح أن تحمل هذه الأرض التي وعدوا بها على أرض خيبر ونحوها، ويكون معنى ﴿لَمْ تَطَئُوهَا﴾: لم تدخلوها بعدُ؛ لأنهم لم يفتحوا خيبر إلا في السنة السابعة؟ أم لا، مع التعليل أيدكم الله بتأييده؟

الجواب: الذي يصح هو أن الأرض الموعود بها هي أرض لم يطأوها بأقدامهم من قبل، وذلك:

- لأن حمل «تطئوها» على المعنى الحقيقي أولى من المجازي.
- وقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يعد المسلمين أو يذكر لهم مدائن كسرى وقصور الشام، وقد تحقق ذلك للمسلمين.
- قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ في آخر الآية يدل على أن المسلمين كانوا يستبعدون فتح تلك الأرض؛ لما يرون من ضعفهم وقوة شوكة سلطان تلك الأرض، فهذه قرائن قد ترجح ما ذكرنا، والله أعلم.

(٢)- **سؤال:** يقال: هل يطلق على إرادة تلك الأشياء بأن صاحبها يريد الحياة الدنيا فكيف بنا؟ أم أنها خاصة بأزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وهل يصح أنهن إنما طالبنه زيادة أشياء في النفقة ونحو ذلك؟

الجواب: حب الدنيا وزينتها هو طبيعة بشرية لا يمكن التخلص منها ولا يلام المرء عليها. ويظهر —والله أعلم– أن أزواج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كن يسألنه ويطلبن منه ما ليس في وسعه، وكن يتذمرن مما هن فيه من شظف العيش عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فتضايق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من ذلك فنزلت الآية. وقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ينفق عليهن مما آتاه الله ولا يبخل عليهن، ولو كان عنده ما أرادته أزواجه لأعطاهن من غير أن يلحقهن ذم في ذلك الطلب؛ فالواجب على الزوج أن ينفق إذا

=

من تبليغ رسالة ربه، وما يلقى في سبيلها من الأمور العظام والأهوال الجسام، وزوجاته بذلك يتسببن في زيادة قلقه والتشويش عليه، فأراد الله تعالى أن يخفف على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مشاكل أزواجه التي تؤذيه وتشوش عليه وتحزنه فأمره الله تعالى أن يحسم تلك المشاكل ويقطع دابرها بتخيير جميع نسائه بين أمرين: إما أن يخترن الحياة الدنيا وزينتها، فمن اختارت منهن الحياة الدنيا وزينتها فلتأخذ طلاقها(١) من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يلزم لها من المتاع(٢).

وإما أن يخترن الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والدار الآخرة؛ فإن اخترن ذلك فليصبرن مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليطعنه ويتركن مطالبته، وليحتسبن الأجر من الله إن أحسنَّ العمل والطاعة.

كان ذا سعة من سعته، فإن كان غنياً فلينفق على أزواجه نفقات الأغنياء، وكل زوج على قدر غناه: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا۝٧﴾ [الطلاق]، لا حرج على المؤمن أن يتمتع بالحلال وطيبات الرزق: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المؤمنون:٥١].

(١)- **سؤال:** ظاهر كلام الفقهاء أن من اختارت الحياة الدنيا فذلك طلاقها من غير إحداث طلاق؛ فما رأيكم في ذلك بالنسبة للآية؟

الجواب: ليس في ظاهر الآية ما يدل على ما ذكروا، بل الظاهر أنه لا بد من طلاق إذا اخترن الحياة الدنيا وزينتها: ﴿إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا۝٢٨﴾ [الأحزاب]، فجواب الشرط في هذه الآية ظاهر في أنه لا بد من أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يسرحهن، والتسريح هو الطلاق ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة:٢٢٩]، والتسريح يكون بحل عقدة النكاح التي جمعت بين الزوجين والطريق التي شرعت لحلها هو الطلاق.

(٢)-**سؤال:** هل المراد بـ«أمتعكن» متعة الطلاق؟ فكيف مع دخولهن وقد سمى لهن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مهراً عدا الواهبة نفسها؟ أم المراد نفقة العدة؟

الجواب: المراد النفقة التي أوجبها الله تعالى للمعتدة المدخولة، وهي غير المتعة التي أوجبها الله تعالى للمطلقة غير المدخولة، وهي أن يعطيها الزوج ما يسرها ويطيب خاطرها، وأقل ذلك كسوة مثلها.

﴿يَانِسَاءَ[١] النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا۝٣٠﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويرشدهن إلى ما يتحتم عليهن فعله، وذلك لأنهن لسن كغيرهن من النساء، فحذرهن الله سبحانه وتعالى أن تلطخ إحداهن عرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعمل أي فاحشة سواءً كانت صغيرة[٢] أم كبيرة، وأمرهن أن يحتشمن أشد الحشمة، وهددهن بأن من فعلت ذلك منهن فسيضاعف لها العذاب ضعفين؛ لأن مسؤوليتهن ليست كمسؤولية بقية النساء فهي أعظم وأشد؛ لاتصالهن برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فليحافظن على كرامة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أشد المحافظة، وليحرصن على صون بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي هو مهبط الوحي من أن يعرضن أنفسهن لأي كلمة سوء تلحق به[٣].

---

(١)- **سؤال:** ما السر في تغيير الخطاب إلى «نساء النبي»، وفي لفظ الآية قبلها «أزواجك»؟ وما رأيكم في قول بعض علمائنا: إن المراد بنساء النبي هنا فاطمة الزهراء أخذاً من آية المباهلة: ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ [آل عمران:٦١]؟

الجواب: الآية الأولى خطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ وما بعدها خطاب لأزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وليس في ذلك مخالفة للظاهر. والمراد هنا بنساء النبي: أزواجه؛ بقرينة السياق، وذلك أولى من تفسيرها بفاطمة لقوله في آل عمران ﴿وَنِسَاءَنَا﴾، فأزواجه هن هنا نساؤه، والإضافة يكفي فيها أدنى مناسبة.

(٢)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن الفاحشة المبينة المعصية التي ظهر قبحها وتزايد فهي الكبيرة، فكيف؟

الجواب: نعم، ظاهر الآية هو كما ذكرتم، وأردنا بالصغيرة الصغيرة المشينة التي من شأنها أن تخدش في كرامة زوجهن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أو تشين عرضه، لا الصغائر المعفو عنها.

(٣)-**سؤال:** هل مأخذ بعض أئمتنا من هذه الآية في قوله: إن العاصي من أهل البيت يضاعف له العذاب ضعفين؟

الجواب: نعم، في هذه الآية مأخذ لذلك القول؛ لأن العلة هي عظم النعمة بالقرب من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي موجودة في أهل البيت.

﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۝٣١﴾(١) أي: ومن يتواضع منكن ويتذلل لطاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع استقامتها على القيام بما أوجب الله تعالى عليها من الأعمال الصالحة وعلى ترك ما نهاها الله عنه فسيؤتيها الله أجرها على ذلك كاملاً ثم يعطيها مثله زيادة من الله وكرامة أكرم بها من أطاعه وأطاع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أزواج نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع ما أعد لها من الرزق الكريم في جنات النعيم.

﴿يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾(٢) ونهاهن الله سبحانه وتعالى عن أن يصدر منهن الكلام الذي لا يصدر إلا من عديمات الحياء وقليلات العفة والمروءة، الذي يؤدي إلى طمع أهل الفسق والريبة فيهن. والخضوع بالقول: تليينه وترقيقه للرجال.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝٣٢﴾ وأمرهن أن لا يتكلمن إلا بما ينبي عن العفة والطهارة والنزاهة.

---

(١)- **سؤال:** ما هي الأحكام الشرعية التي تؤخذ من قوله: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ إلخ الآية؟

الجواب: يؤخذ من الآية:

١- أن مضاعفة الأجر مرتين خاص بأزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

٢- أنه لا يقبل العمل الصالح من العاصي ولا يثاب عليه؛ لأن القنوت هو ملازمة الطاعة، والعاصي غير ملازم للطاعة.

(٢)-**سؤال:** يقال: إذا كانت العلة في تحريم الخضوع بالقول هي طمع أهل الريبة فهل يقاس على ذلك تحريم كشف الوجه؛ لوجود هذه العلة فيه بالأولى والأحرى، أم كيف؟

الجواب: يحرم كشف الوجه عند حصول هذه العلة حيث لا تغض الأبصار، وقد قال أهل المذهب: إنه يجب التستر على المرأة عن من لا يعف.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾(١) وأمرهن بصيانة أنفسهن في بيوتهن حفاظاً على كرامتهن ومروءتهن، وإذا اضطررن إلى الخروج فلا يلبسن ثياب الزينة أو ما يلفت أنظار الناس إليهن، والجاهلية الأولى هي: التي قبل الإسلام، والأخرى: ما يظهر من فسقة المسلمين من التهتك والتعري ومن غيرهم من جاهلية الأمم التي عمرت الأرض بعد الإسلام ﷺ، هذا ما ظهر والله أعلم.

﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وأمرهن بالمحافظة على أداء الصلوات، وعلى إخراج زكاة أموالهن، والالتزام بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾ وكل تلك التعاليم التي أملاها الله سبحانه وتعالى على نساء النبي ﷺ لأنه يريد أن يطهر بيت(٢) النبي ﷺ، فلا تلحقه أي كلمة تنافي العفة وتسقط المروءة.

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم ما هي حقيقة التبرج لغة وشرعاً، مع بيان المأخذ؟

الجواب: قالوا: إن أصل «برج» هو: سعة العين وظهورها، ومن ذلك «البروج» لظهورها، ويظهر أن معنى التبرج في اللغة والشرع واحد؛ فالمراد هنا بالتبرج إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال.

(٢)-**سؤال:** يقال فعلى هذا زوجات النبي ﷺ داخلات في مفهوم أهل البيت عليهم السلام؟ وكيف يتم لنا توجيه حصرها في الخمسة أهل الكساء مع دلالة السياق على دخولهن؟

الجواب: نساء النبي ﷺ غير داخلات فيما ذكرنا من التفسير؛ لأن المقصود بما وجه الله إليهن من الأوامر والنواهي هو للمحافظة على صيانة بيت الرسالة وحَمَلَة الوحي وأهل بيت النبي ﷺ من أن يلحقهم ما يخدش في بياض كرامتهم، أو ينكت في أعراضهم، فإذا صدر من زوجة الرجل ما لا ينبغي من التبرج ونحوه انعكس سوء فعلها على زوجها وأولاده، فتسقط منزلتهم عند الناس وتقل كرامتهم، ويكونون عرضة للذم و..إلخ، وعلى هذا فالنساء غير داخلات. وقد صحت الرواية من صحاح أهل السنة أن المراد بالآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ...﴾ الخمسة أهل الكساء: النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وإذا كان السياق يوهم دخولهن فقد أخرجهن صحيح السنة من رواية مسلم وغيره، فمن أراد الاستيضاح فليرجع إلى تفسير ابن كثير لهذه الآية.

وذلك أن المرأة إذا فعلت شيئاً من ذلك فإن عارها يلحق جميع أهلها وقبيلتها، وأي شيء يصدر من زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فإن عار ذلك سيلحق بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وجميع أهل بيته، والله تعالى يريد أن يطهر[١] بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من كل ما يخل بالكرامة. ومعنى «الرجس»: هو قذر المعاصي.

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾[٢] أمر الله أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بذكر ما يتلى في بيوتهن من القرآن وما يسمعن من الحكمة على لسان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهن إذا ذكرن ذلك ذكرن ما فرضه الله تعالى عليهن من الفرائض وما أمرهن به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الأوامر وشرعه لهن من الشرائع.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝٣٤﴾ تلك المواعظ والإرشادات التي خص الله سبحانه وتعالى بها نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كانت لما قد علم من الحكمة والمصلحة التي اقتضت أن يخص أزواج نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بما خصهن به من الأحكام وفرضه عليهن من التكاليف[٣].

---

(١)-**سؤال:** من أين دلت الآية هذه على أن إجماع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حجة يجب العمل بها؟

الجواب: دلت هذه الآية أن الله تعالى قد أذهب عنهم الرجس أي: رجس المعاصي وقذرها؛ لذلك يكون ما أجمعوا عليه حقاً، ولا يجوز ولا يصح أن يكون باطلاً؛ لأن الباطل رجس، والله تعالى قد أكد في هذه الآية أنه قد أذهبه عنهم.

(٢)-**سؤال:** هل يؤخذ من الآية أن الحكمة هي السنة النبوية؟

الجواب: يؤخذ منها ذلك؛ لأنه لا يخرج من فم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا القرآن أو أقواله، وأقواله سنة وشريعة متبعة.

(٣)- **سؤال:** يقال: قد يفهم أن تحريم الخضوع بالقول والتبرج والأمر بالقرار في البيوت وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة خاص بأزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فهل هو كذلك؟ أم عام لهن ولغيرهن من نساء المسلمين، مع التعليل؟

الجواب: ذلك عام لهن ولغيرهن، وإنما خصصن بالخطاب لشرفهن بالقرب من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

=

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ فالمسلمون: هم الذين استسلموا لله سبحانه وتعالى وانقادوا له.

والمؤمنون: هم المصدقون بالله سبحانه وتعالى ووعده ووعيده وبما جاءت به أنبياؤه ورسله(١).

والقانتون: هم المطيعون لله تعالى والمستجيبون لأوامره.

والصادقون: أراد الله سبحانه وتعالى بهم المخلصين في إيمانهم وأعمالهم(٢).

والصابرون: أراد الله تعالى بهم من يصبر على طاعته وترك معاصيه وما يغضبه.

والخاشعون: هم المتواضعون لله تعالى ولأوامره.

والمتصدقون: هم الذين يخرجون زكاة أموالهم.

والصائمون: هم المؤدون ما أوجب الله سبحانه وتعالى عليهم في شهر رمضان

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، وقد أمر الله تعالى المؤمنات في سورة النور بمعنى ما في هذه الآيات، أما الصلاة والزكاة فعمومها معلوم للرجال والنساء جميعاً.

(١)-**سؤال:** يقال: إذا كانت بهذه المعاني فما هو الوجه في عطف المؤمنين على المسلمين؟

الجواب: الوجه في العطف هو تغاير معنى المسلم والمؤمن في الآية، فالمسلمون هم المنقادون المستسلمون، والمؤمنون هم الذين وقر التصديق بالله و... في قلوبهم وثبت فيها، وقد قال الله تعالى في سورة الحجرات: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤]، فدلت هذه الآية أن الإسلام غير الإيمان وعلى ذلك فسرنا: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ و....﴾.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم هل يمكن أن نجعل الصادقين بمعنى غير الكاذبين في الأقوال؟

الجواب: لم نفسر ذلك بما ذكرتم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝١٥﴾ [الحجرات].

من الصيام على الوجه الذي أمرهم الله تعالى.

والحافظون فروجهم: هم أهل العفة والنزاهة الذين لا يضعون فروجهم إلا فيما أحل الله سبحانه وتعالى لهم(١).

والذاكرون الله: هم الذين لا ينسون الله تعالى؛ لأنه لا يعصي الله سبحانه وتعالى إلا الذين نسوه، وأما من كان ذكره على قلبه فإنه لن يقدم على معصيته وفعل ما يغضبه؛ لأنه كلما أوشك على اقتراف معصية تذكر الله سبحانه وتعالى وأمسك عن تلك المعصية، وليس من شرط الذكر أن يكون باللسان؛ لأن المرء ما دام ذاكراً لله تعالى بقلبه مؤدياً لجميع ما أوجب الله عليه بحيث يمنعه ذلك عن فعل المعصية فهذا هو الذاكر لله سبحانه وتعالى في الحقيقة، والدليل على ذلك أن من يذكر الله تعالى بلسانه لا يسمى ذاكراً له ما دام يفعل المعاصي.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا۝٣٥﴾ هذا وعد من الله سبحانه وتعالى لأهل هذه الصفات بأنه قد أعد لهم الثواب العظيم ومغفرة ذنوبهم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ(٢) لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ فإذا حكم الله تعالى بحكم أو حتم وألزم بشيء فليس لأحد الاختيار أو أن يعترض على ذلك، أو يفرض رأيه على الله سبحانه وتعالى أو على

---

(١)- **سؤال:** ما الحكمة في التنصيص على المسلمات والمؤمنات والقانتات.. إلخ رغم دخولها في المسلمين والمؤمنين والقانتين.. إلخ؛ تغليباً لخطاب المذكرين؟

الجواب: يذكر المفسرون عند هذه الآية ما روي عن أم سلمة قالت: يا رسول الله ما للرجال يذكرون في القرآن ولا تذكر النساء؟ فنزلت الآية.

(٢)- **سؤال:** ما محل المصدر هذا من الإعراب؟ وكيف يكون تقديره بما يناسب أول الكلام؟ وبماذا تعلق قوله: «من أمرهم»؟

الجواب: محله الرفع اسم كان. «من أمرهم» متعلق بمحذوف حال من الخيرة، أي: ما كان لمؤمن ولا مؤمنة الخيار في أن يفعل أو لا يفعل إذا أمر الله ورسوله بأمر.

رسوله، وإنما يجب الامتثال والطاعة من دون أي سؤال[1]، والأمر الذي قد قضاه الله سبحانه وتعالى في هذه الآية هو أن يتزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بامرأة زيد بن حارثة الذي كانوا ينادونه بزيد بن محمد، وكان الله سبحانه وتعالى قد ألقى في قلب زيد كرهها حتى عزم على تطليقها؛ لحكمة أرادها الله تعالى في ذلك الأمر، وهي ما أراد من محو فكرة التبني هذه، وأن يقطع هذه العادة عن الناس، فإذا كان ذلك الفعل من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه سيكون له من التأثير أكثر مما لو كان من غيره؛ وأما المشركون فقد قالوا في ذلك الأقاويل، واستغلوا ذلك الموقف لذم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهتك عرضه وتنفير الناس عنه فقالوا: إن محمداً تزوج بزوجة ابنه.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا۝٣٦﴾ ومن لم يمتثل لما حكم الله ورسوله، واعترض على أوامر الله تعالى ورسوله فقد خرج عن طريق الهدى إلى طريق الضلال والردى.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ يذكِّرُ الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عندما هم زيد بن حارثة بتطليق امرأته، ثم إنه صلى الله عليه وآله وسلم سعى إلى الصلح بينهما، مع أنه كان قد عرف[2] أمر الله سبحانه وتعالى، وأنه قد حكم عليه بأن يتزوجها؛ ليقطع عادة الجاهلية وفكرة التبني واتخاذ الأبناء؛ فأخبر سبحانه بما حاول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخفيه وهو كراهته الزواج بها اتقاءً لقالة الناس وقال: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ

(١)-**سؤال:** هل السؤال عن الحكمة أو الغرض في بعض الأوامر من قبيل الاعتراض هذا أم لا؟

الجواب: ليس السؤال عن الحكمة إذا خفيت من الاعتراض على الله، فقد سألت الملائكة رب العالمين حين أراد خلق آدم لما خفيت عليهم الحكمة في خلقه.

(٢)-**سؤال:** قد يقال: من أين كان قد عرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر الله له بتزوجها؟

الجواب: عرفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتعريف الله له بذلك، والدليل أنه كان قد عرف: قوله في هذه الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾.

تَخْشَاهُ﴾(١) فأخبر بما كان يخشاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من ردة فعل الناس كيف ستكون إذا تزوج زوجة زيد، وما سيفتحه من القيل والقال في ذلك على نفسه، فقد أراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن لا يدخل في هذا الأمر، ولكن مشيئة الله تعالى فرضت عليه ذلك فرضاً، وقد تحتم عليه الامتثال مهما كان ومهما قيل فيه، فإرادة الله سبحانه وتعالى فوق كل إرادة، وأمره فوق كل أمر.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۝٣٧﴾(٢) حكم الله

---

(١)- **سؤال:** ما محل ﴿أَنْ تَخْشَاهُ﴾ من الإعراب؟ وهل ترك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لهذا الأمر الإلهي لأجل هذه الخشية يعد صغيرة، أم كيف؟

الجواب: محل «أن تخشاه» الجر بباء مقدرة، أو النصب بنزع الخافض. ولا تعد خشية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من قالة الناس فيه ذنباً؛ لأن ذلك طبيعة، وإنما تعد معصية إذا ترتب عليها فعل أو ترك، وقد امتثل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأمر الله، وفعل ما أمر به، ولم يذكر أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تردد في أن يفعل أو لا يفعل أو تلوم وتراخى، وإنما ذكر أنه خشي وخاف.

سؤال: إذا استدل أحد بقوله: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ على وجوب النهي عن المنكر ولو مع خشية الضرر، فكيف يجاب عليه؟ وما هي الخشية المذمومة التي لا يترك لأجلها النهي عن المنكر؟

الجواب: إنكار المنكر يكون باليد واللسان، ثم بالقلب عند عدم الاستطاعة على تغييره باليد أو اللسان، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. وقد عذر الله المسلمين في مكة عن تغيير المنكر لضعفهم وقوة أهل المنكر، وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يمر على آل ياسر ويقول لهم: ((اصبروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة)) أو كما قال، وقد سكت أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هو وأهل بيته بعد موت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولم يرفعوا رؤوسهم لما حدث من مخالفات. والخشية المذمومة التي لا يترك لأجلها النهي عن المنكر: هي نحو أن يترك النهي عن الغناء مثلاً لئلا يقال عنه: إنه متشدد، أو إنه رجعي، أو غير منفتح، أو ليس وسطي.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۝٣٧﴾ مع أن فعل هذا الأمر متوقف على اختيار المأمور، فقد يفعل وقد لا يفعل؟ وكذا الآية التي بعدها: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ۝٣٨﴾؟

الجواب: إتمام الحجة على المكلفين بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين وتفصيل الشرائع والأحكام مما قضت به حكمة الحكيم، فكان لا بد من حصوله عن طريق رسل الله الذين يبلغون رسالات الله

=

تعالى على نبيه ﷺ بذلك الحكم ليرفع عن المؤمنين ما كانوا يتحرجون من الوقوع فيه، وليس لأحد أن يعترض عليه أو أن يطعن فيه. ومعنى «قضى منها وطراً»: نال منها حاجته زمناً مّا.

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ[1] فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴿٣٨﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد رفع الحرج عن نبيه ﷺ في زواجه بطليقة ربيبه زيد بن حارثة، ولو قال الناس في ذلك الأقاويل، فهذه سنة الله تعالى ولا حرج ما دام الله سبحانه وتعالى هو الذي فرض ذلك ولو كان ذلك مستنكراً عند الناس.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن هذا الحكم وهو تزوج امرأة زيد بن حارثة بعد أن يطلقها زيد فرض واجب عليه، ولا بد أن يمتثل ذلك الأمر.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ[2] اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ يرشد الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ لأن يتحلى بصفات الأنبياء، ولا يخشى في الله أحداً مهما كان.

الذين اختارهم الله بعلمه لتبليغ رسالاته، وقد علم تعالى أنهم أهل لتبليغها لا يفرطون بل إنهم معصومون عن معصية الله، ولكونهم كذلك فما قضاه الله عليهم من تنفيذ أمر نفذوه بتوفيقه وحفظه، ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ...﴾ [الجن]، لذلك فما كلفوا بتبليغه وتشريعه وبيان حكم الله فيه أمر محتوم وقدر مقدور؛ لأنهم رسل الله وخلفاؤه في الأرض، وهم الذين يتكلمون عنه، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته.

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾، و ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾؟

الجواب: «من» حرف جر زائد، و«حرج» اسم كان مؤخر مجرور لفظاً مرفوع محلاً، و«سنة الله» مصدر منصوب بفعل محذوف مثل: «صبغة الله».

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ مفصلاً؟

الجواب: يجوز في «الذين» أن يكون مجروراً بدلاً من «الذين خلوا من قبل..»، ويجوز أن يكون منصوباً بتقدير: أعني أو أمدح، وأن يكون مرفوعاً على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي: هم الذين.

﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا۝٣٩﴾[1] ومهما أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لم يغضب الله سبحانه وتعالى ولم يفعل ما يوجب سخطه؛ فلا يخش أحداً في طاعة الله تعالى وفعل ما يرضيه، ولو كان ذلك لا يرضي الناس، فالله تعالى هو الذي سيحاسبه على ذلك.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ[2] رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا۝٤٠﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين ويخبرهم بأن محمداً ليس أباً لزيد بن حارثة الذي كانوا يدعونه: زيد بن محمد، ولكنه رسول من عند الله جعله الله تبارك وتعالى خاتماً لأنبيائه بما قضاه ودبره في سابق علمه وعظيم حكمته؛ يريد الله سبحانه وتعالى أن يترك الناس هذه العادة التي رسخت في أذهان المؤمنين، وأن يقتنعوا بأن ذلك لا يصح.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا۝٣٩﴾؟

الجواب: «كفى» فعل ماض، «بالله» الباء حرف جر صلة، ولفظ الجلالة فاعل كفى مرفوع محلاً مجرور لفظاً. «حسيباً» تمييز.

(٢)-**سؤال:** ما علاقة الاستدراك لنبوته عن نفي أبوته للمتبنين؟

الجواب: وجه ذلك: أنه تعالى نفى واحداً من اثنين ثبتا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هما كونه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وكونه أباً لزيد بن حارثة، فلما نفى عنه الأبوة التي كانت صفة ثابتة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في اعتقادهم لثبوت الرسالة استدرك بـ«لكن» ما عسى أن يتوهم متوهم نفي الرسالة عنه.

سؤال: ما إعراب: «رسول الله»؟

الجواب: «رسول الله» خبر لكان محذوفة، أي: ولكن كان رسول الله وخاتم النبيين.

سؤال: قد يستدل بعض القاصرين بهذه الآية على أن الحسنين وأبناءهما ليسوا أبناءً لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأنهما عَلَيْهِمَا السَّلَامُ من جملة الرجال المعنيين بقوله: ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ فكيف يجاب عليه؟

الجواب: الخطاب في هذه الآية موجه لعامة المسلمين دون أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بدليل قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ۝٦١﴾ [آل عمران]، وبالإجماع والاتفاق أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دعا للمباهلة علياً وفاطمة والحسن والحسين، ولم يدع غيرهم؛ لذلك فبنوة الحسن والحسين ثابتة بنص القرآن.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا۝٤١﴾ يحث الله سبحانه وتعالى المؤمنين على الإكثار من ذكره، وأن يملئوا قلوبهم بتذكر عظمته وقوته ونعمه(١)، وأن يعترفوا بإلاهيته، وأنه الواحد في الإلهية الذي يستحق العبادة، وأن طاعته واجبة، وأن يتذكروا سخطه وعقابه، وأن يشغلوا أوقاتهم بذلك، وذلك لأن من نسي الله سبحانه وتعالى فإنه سيكون قريباً من اقتراف المآثم والمعاصي.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا۝٤٢﴾ والتسبيح لله تعالى هو تنزيهه، وقد أراد الله سبحانه وتعالى بذلك المداومة على أداء(٢) ما افترض عليهم من الصلوات الخمس.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا۝٤٣﴾(٣) فهو الذي يستحق منكم الذكر والتسبيح لما يشملكم من

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم ما وجه عدم جعلها في الذكر باللسان خصوصاً مع اقترانها بالتسبيح إذا جعلناه تسبيحاً باللسان؟

الجواب: الذكر بالقلب هو الأصل؛ لأنه الذي يدفع بالجوارح إلى العمل الصالح وترك المعاصي، ولا عبرة بذكر اللسان وحده من دون ذكر القلب؛ لذلك وصف الله المنافقين بأنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً، والمراد ذكرهم لله بألسنتهم دون قلوبهم، يراؤون الناس بذلك. فمن كان قلبه مطمئناً بالإيمان مقراً بفضل الله عليه وإحسانه وإنعامه و... إلخ فهو الذاكر لله كثيراً.

(٢)-**سؤال:** فضلاً من أين نستفيد هذا؟

الجواب: استفيد ذلك مما ثبت أنه لا يجب التسبيح لله باللسان إلا في الصلوات الخمس، والتسبيح هو أعم من «سبحان الله»، فـ«الله أكبر» تسبيح لله وتنزيه له من أن يشاركه غيره في صفة الكبر، و«الحمد لله رب العالمين» تنزيه له جل وعلا من المشاركة له في الحمد و... إلخ.

(٣)- **سؤال:** كيف كان الإخراج من الله لعباده إلى النور علة لرحمته، مع أن الإخراج لهم نفسه رحمة أيضاً؟

الجواب: المراد بالرحمة هي فعل أسباب الهدى، فأنزل الله تعالى القرآن وأرسل الرسول، وأمدهم بالألطاف والتسديد، وذلك من أجل أن يخرجهم الله من الظلمات إلى النور، ولا مانع من تعليل الرحمة برحمة لاختلاف الرحمتين، ومثل ذلك ما لا يخفى من أن إنزال المطر رحمة، وإخراج الأثمار والحبوب رحمة، وإخراج الأثمار والحبوب علة لإنزال المطر.

رحمته، ولما يغذيكم من نعمه، وأيضاً فإن الملائكة تستغفر لكم وتدعو لكم، وذلك من رحمته تعالى أن جعل الملائكة تتحنن على عباده، وليخرجهم من ظلمات الشرك والجهل والمعاصي إلى نور الحق والهدى، ولا زال الله تعالى يتغمد عباده برحمته، ويتعاهدهم بلطفه وتسديده في كل أوقاتهم.

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ[١] وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴿٤٤﴾﴾ الضمير عائد على المؤمنين، يبشرهم الله سبحانه وتعالى بأنه سوف يحييهم يوم القيامة، وكذلك الملائكة أيضاً ستسلم عليهم وستقبل عليهم وفوداً في الجنة بالتهاني والتبريكات، وأعظم بها من بشارة عندما يعرف ما سيلقاه من التكريم والتعظيم.

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴿٤٦﴾﴾ شاهداً يوم القيامة على أمته التي أرسل إليها، وذلك أن العصاة يوم القيامة ستختلق الأعذار والافتراءات بأنه لم يبلغهم أو ينذرهم أحد، وأنها لم تصل إليهم دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتشهد عليهم الأنبياء بكذبهم في تلك الادعاءات[٢].

---

(١)-**سؤال:** ما محل الجملة الاسمية: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾؟ وما النكتة في تنكير «سلام»؟

الجواب: لا محل للجملة؛ لأنها مستأنفة لبيان ما أعد الله لهم في الآخرة. وتنكير «سلام» للتعظيم أي: سلام لا يعرف كنهه لعظمته.

(٢)-**سؤال:** سيدي العزيز: قد يتبادر لنا على هذا إشكالات فتفضلوا بإزالتها أعلى الله مقامكم:

١- قوله: «شاهداً» حال فظاهره أن الشهادة في وقت الإرسال لا بعدها في الآخرة.

٢- كيف ينكر العصاة مع قول الله سبحانه عنهم: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ..﴾ الآية [الملك:٩].

٣- في شهادة الأنبياء على التبليغ تقرير لما فعلوه ومن المعروف أنها لا تقبل شهادة المقرر لقوله أو فعله، فكان من حق ذلك أن يشهد المؤمنون المبلَّغون على بلاغ الأنبياء؟

الجواب:

١- يسمى الشاهد شاهداً بتحمله الشهادة قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ [البقرة:٢٨٣]، وقال: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة:٢٨٢]،

=

وكذلك أرسله ليبشر من آمن بالله سبحانه وتعالى وعمل الأعمال الصالحة بالثواب والأجر العظيم عند الله تعالى، ولينذر من كفر بالله أو خرج عن حدوده ولم يتب من ذلك بالعذاب الشديد في نار جهنم خالدين فيها أبداً.

وكذلك داعياً للناس إلى الله تعالى وإلى ما فيه خلاصهم ونجاتهم، وكذلك سراجاً يضيء للناس طريق الهدى حتى يبصروها ويسيروا فيها[١].

٢- قد يكون الإقرار في موقف والإنكار في موقف، والدليل على وقوع الإنكار يوم القيامة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ۝ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ...﴾ [الأنعام:٢٤]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ۝﴾ [المجادلة].

٣- قد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا۝ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا۝﴾ [النساء]، فتدل هذه الآية أن الشهادة تكون يومئذ حجة قطعية يستسلم المشهود عليهم لحجيتها ولا يقدرون على إنكارها، ولا يستبعد أن يكون هناك ما يدل على صحتها، وذلك نحو ما نراه اليوم من الوثائق الحية على الشاشات بالصورة والصوت، ويدل على هذا ما ذكر الله تعالى من شهادة الأيدي والأرجل والألسنة، فالذي يظهر لي أنها تعرض أعمال الإنسان التي كان يعملها في الدنيا على ما هو أبلغ من الشاشة فيرى الإنسان ما كان يعمله بيده ويرى رجليه وهي تسير إلى المعصية ويرى حركة لسانه وهو يتكلم بها لا يرضاه الله، ويرى... إلخ.

(١)- **سؤال:** ما السر في عدم ذكر الجهاد (إبادة الكفار) بين وظائف النبي صلى الله عليه وآله وسلم رغم أنها من أهم ما قام به؟

الجواب: رسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي تبليغ الناس ما أرسل به ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى:٤٨]، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ۝﴾ [النور]، ولم يأذن الله تعالى في قتال المشركين إلا بعد الهجرة وقد كان ذلك الإذن لسبب هو أن المشركين وقفوا في وجه دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضيقوا الخناق على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحاصروه هو وأتباعه في المدينة فمن رأوه خارج المدينة قتلوه بل غزوه إلى المدينة فلم يمكن دفع شرور المشركين وضررهم إلا بمواجهتهم بالقتال لدفع ظلمهم وشرورهم عن النبي والمؤمنين ولفتح الطريق لنفوذ الدعوة إلى خارج المدينة.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴿٤٧﴾﴾(١) أمر الله تعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يبشر المؤمنين ويرغبهم فيما عند الله من الثواب العظيم الذي أعده لهم، ليكون ذلك دافعاً لهم إلى المزيد من اكتساب الأعمال الصالحة.

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴿٤٨﴾﴾ واستمر في تبليغ ما أمرت بتبليغه، ولا تبال بما تلقاه من صد المشركين والمنافقين عنك واستهزائهم بك وأذيتهم لك، فإن الله سبحانه وتعالى سيكفيك شرهم وأذاهم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ(٢) تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴿٤٩﴾﴾ إذا عقد الرجل النكاح على امرأة ثم طلقها قبل أن يخلو(٣) بها فلا يجب على هذه المرأة أن تعتد، وأما تمتيعها فإن كان قد سمى لها المهر فيجب لها نصف المهر، وإن لم يكن قد سمى لها مهراً فعلى الأقل يمتعها بكسوة مثلها من مثله. والسراح الجميل هو: بترك الضر والأذى لهن والقول الحسن.

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾(٤) فمن كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أعطاها مهرها من

---

(١)-**سؤال:** ما الحكمة في إبهام الفضل الذي بشر به المؤمنون؟

الجواب: أبهم لتعظيمه وتعظيم كنهه حيث أن الأوهام تذهب في تصوره كل مذهب.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: «من عدة»؟ وما محل جملة: «تعتدونها»؟ ولم ذكر هذا الفعل ولم يؤنثه؟

الجواب: «من عدة» مبتدأ مجرور لفظاً مرفوع محلاً، وجملة «تعتدونها» في محل رفع صفة لعدة، وذُكِّر «تعتدونها» لأن العدة حق للرجال يستوفونه منهن إذا كن مدخولات.

(٣)-**سؤال:** من أين نفهم هذا القيد من الآية، أم أنه بدلالة أخرى؟

الجواب: فهم من قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾، وقد جعلوا الخلوة بالزوجة مظنة للمسيس فأوجبوا بها العدة والمهر في ظاهر الحكم والفتوى.

(٤)-**سؤال:** هل يعمل بمفهوم ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾؟ فلا يحل له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يشتري الإماء ويتسراهن أم كيف؟

الجواب: هذا من المفاهيم التي يجب العمل بها إلا أنه معارض بمنطوق قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ

=

النساء وقد أصبحت تحته فهي حلال له؛ أراد الله سبحانه وتعالى أن يقر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية على من قد أمهرهن من النساء وقد أصبحن تحته فلا ينكح غيرهن بعد نزول هذه الآية.

وأما ما أفاء الله سبحانه وتعالى عليه من الغنائم فله أن يتسرّى ما أراد منهن.

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ وأيضاً قد أحل الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم نكاح من أراد من هؤلاء[1].

﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قد أحل له تلك المرأة التي وهبت نفسها له، وأن له أن يأخذها إن أراد من دون مهر أو صداق، وأن هذا حكم اختصه الله تعالى به دون سائر المؤمنين، غير أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتزوج بهذه الواهبة نفسها وزوجها لرجل آخر وهو رجل لم يسم في الرواية، والواهبة نفسها اسمها خولة بنت حكيم وأم شريك بنت جابر وليلى بنت الحطيم؛ فهؤلاء ثلاث لم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهن.

النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [الأحزاب:٥٢]، لذلك لا يجوز العمل به فيحل له أن يشتري الإماء ويتسراهن لما ذكرنا.

(١)- **سؤال:** هل تريدون أنه أحل له أي هؤلاء زيادة على من أمهرهن، فظاهره يتعارض مع ما تقدم على أول الآية؟ أم كيف؟

الجواب: الأولى أن يقال: إن ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ...﴾ داخلات في عموم أزواجه اللاتي آتاهن أجورهن، فيكون من عطف الخاص على العام لزيادة فضلهن على غيرهن من أزواجه، وهذا القول أولى من القول بأن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ...﴾ الآية، وذلك لأن الظاهر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتزوج بعد نزول آية التخيير لنسائه.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا(١) عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا(٢) يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أراد الله سبحانه وتعالى أن المؤمنين كانوا يعرفون(٣) ما يجب عليهم من مهور أزواجهم، ويعرفون ما يلزم لهن من الحقوق، وكذلك كانوا يعلمون بما أحل الله تعالى لهم من الإماء وقد أقرهم على ذلك.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قد أحل له هؤلاء النسوة اللاتي كن تحته عند نزول هذه السورة؛ وقد مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتحته تسع نساء، و قد اختص بهذا الحكم من دون الناس جميعاً.

﴿تُرْجِي(٤) مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ أراد الله سبحانه وتعالى أنه قد خصه بهذا الحكم(٥) فله أن يفضل من شاء منهن، ولا يجب عليه أن يعدل في

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب؛ لأنها مستأنفة.

(٢)-**سؤال:** هل تريدون أن قوله: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ راجع إلى أول الآية؟

الجواب: ذلك راجع إلى أول الآية: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا﴾.

(٣)-**سؤال:** بأي دلالة نفهم هذا؟

الجواب: نفهم ذلك من قوله: «علمنا» أي: ما فرضنا من أن لا يتجاوزوا الأربع الزوجات والمهور و..إلخ، والنكتة في التعبير بـ«علمنا» -والله أعلم- هي أن ما شرعه الله تعالى لرسوله وللمؤمنين قد كان مبنياً على العلم بالمصالح، ولم يكن تخصيص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بخصائص في النكاح مخالفة لما فرضه على المؤمنين، ولم يكن ذلك عشوائياً.

(٤)-**سؤال:** ما محل جملة ﴿ترجى من تشاء﴾؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب، أي: أنه كلام مستأنف لبيان كيفية معاشرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأزواجه.

(٥)-**سؤال:** من فضلكم ما الدليل على اختصاص النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الحكم؟

الجواب: الدليل أن هذا -«ترجي...»- من جملة الخطاب الموجه إليه خاصة: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ...﴾

=

المبيت. ومعنى «ترجي»: تؤخر عن المبيت، و «تؤوي»: تضم إليك أو إلى مبيتك.

﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾(١) ومن أردت المبيت عندها بعدما عزلتها فلا حرج عليك في ذلك.

﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا(٢) ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾(٣) وذلك الترخيص ووقوف المبيت على مشيئة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقرب لراحتهن ورضائهن عندما يعلمن أنه من عند الله سبحانه، ورغم هذا الترخيص إلا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اختار الأفضل عند الله وهو العدل والقسم بالسوية بين نسائه.

وجملة: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ معترضة بين ما وجه إليه من الخطاب الخاص به من دون المؤمنين، والظاهر أن ذلك اتفاق بين العلماء.

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾؟ وما معنى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾؟

الجواب: «من» اسم شرط في محل نصب مفعول به لـ«ابتغيت». «ممن عزلت» حال متعلق بمحذوف لبيان الإبهام الذي في «من». «فلا جناح عليك» أي: ومن رغبت في المبيت عندها بعدما عزلتها فلا جناح عليك.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم حفظكم الله لو فصلتم إعراب هذه الآية: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ..﴾ إلى قوله: ﴿كُلُّهُنَّ﴾؟

الجواب: «ذلك» مبتدأ وهو إشارة إلى تفويضه صلى الله عليه وآله وسلم في الإيواء والإرجاء والعزل. «أدنى» متعلق بمحذوف خبر. «أن تقر أعينهن» أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بإضافته إلى أدنى. «ولا يحزن» معطوف على «أن تقر..» وكذا «ويرضين». «بما» جار ومجرور متعلق بيرضين. «آتيتهن» صلة الموصول والعائد محذوف أي إياه. «كلهن» تأكيد لفاعل يرضين.

(٣)-**سؤال:** ما فائدة تذييل الآية بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾؟

الجواب: الفائدة هي التحذير من إضمار ما لا يرضاه الله تعالى من نحو الكيد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتحيل لفعل ما يؤذيه والعزم على عصيانه.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ[(١)] يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴿٥٢﴾﴾ كان تحت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تسع نساء عندما نزلت عليه هذه الآية فحرَّم الله عليه الزيادة على ذلك، وكذلك حَرَّمَ عليه أن يطلق[(٢)] أو يستبدل مهما كان، وأما ما يملك من الإماء فلا حرج عليه في ذلك[(٣)].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾[(٤)] نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن الدخول على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في بيته إذا دعاهم إلى الطعام إلا بعد أن يستأذنوا، وأمرهم أن ينتظروا خارج بيته حتى يحصل الطعام ثم يناديهم،

---

(١)-**سؤال:** هل منطوق: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ يعارض مفهوم: ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾؟

الجواب: نعم، هو معارض للمفهوم، ولكن من شروط العمل بالمفهوم أن لا يعارضه منطوق.

(٢)-**سؤال:** من أين استفدنا تحريم التطليق عليه؟

الجواب: فهم ذلك من قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ والتبديل لا يتم ولا يصدق إلا بأن يطلق امرأة أو امرأتين ثم يتزوج امرأة أو امرأتين مكان من طلق، وهذا من دلالة الاقتضاء، وهو نوع من أنواع النص.

(٣)-**سؤال:** هل يستفاد التهديد لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴿٥٢﴾﴾؟

الجواب: نعم، يفيد ذلك التهديد، إلا أنه ينبغي أن تكون الغاية من ذلك هي اللطف للمؤمنين، فإنهم إذا سمعوا ذلك التهديد الموجه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع عظيم منزلته عند الله وما هو عليه من الغاية في تقوى الله إذا سمعوا ذلك ووعوه خافوا الله، واشتد حرصهم على المحافظة على التقوى، وعلى التحرز من الصغائر ومحقرات الذنوب، ولم يتهاونوا بشيء منها مهما صغر.

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: «أن يؤذن» و«غير ناظرين» و«لا مستأنسين لحديث»؟ وما فائدة الاستدراك بقوله: ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ﴾ وقد فهم من الاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾؟

الجواب: «أن يؤذن» في تأويل مصدر مجرور بمضاف محذوف أو منصوب بنزع الخافض إلا حال أن يؤذن أو إلا وقت أن يؤذن لكم. «غير ناظرين إناه» غير: حال من الكاف في «لكم». «ولا مستأنسين لحديث» معطوف على «غير ناظرين»، أي: وغير مستأنسين لحديث. أما الاستدراك فهو من أجل أن النهي الأول قد يتسبب في الاستنكاف من الدخول مطلقاً فاستدرك.

وأمرهم أيضاً إذا أكلوا وشبعوا أن يسرعوا بالخروج، وأن لا يجلسوا بعد ذلك أو يتحدثوا ويسترسلوا في الحديث في بيته. ومعنى «إناه»: نضجه واستواء طبخه.

﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى السبب في تلك التعليمات وهو الحرص على عدم إلحاق الأذية بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لما يكون في ذلك من تعطيله عن كثير من الأعمال التي قد وزعها ورتبها على ساعات اليوم والليلة، ولم يكن يجلس مع أهله إلا في ساعات مخصوصة؛ لكثرة مشاغله وأعماله.

﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ وقد أرشدكم الله تعالى إلى هذه التعاليم والآداب، في حق نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم(١).

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ(٢) مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ(٣)﴾ وتأدبوا عند زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي حضرتهن، وليكن حديثكم معهن من وراء حجاب حفاظاً على حرمتهن، وإعظاماً لحقهن وحق نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم. ومعنى «متاعاً»: شيء ينتفع به.

---

(١)-**سؤال:** هل هذه الآداب المتقدمة خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، أم تلزم مع العالم ونحوه؟ وهل تنافي الأخلاق والمعاملة الحسنة لو أشار إليها العالم مؤدباً لأصحابه وأتباعه أم لا؟

الجواب: قد تقدم في سورة النور النهي عن الدخول إلى البيوت إلا بإذن، وقد علل الله تعالى في هذه الآية ما ذكر بقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى النَّبِيَّ﴾، فعلى ذلك تكون الأذية هي المناط، فإذا حصلت الأذية للعالم أو لغيره من المؤمنين من عدم الانتشار بعد الطعام أو من الجلوس للحديث بعده أو قبله فيحرم، وتأديب الأصحاب والأتباع بمثل هذا لا ينافي الأخلاق الحسنة؛ إذ هو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢)-**سؤال:** إلى أين يعود هذا الضمير؟ أم أنه فهم من السياق؟

الجواب: يعود إلى نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم المفهوم من السياق.

(٣)- **سؤال:** ظاهر تعلق الجار والمجرور أن لزوم الحجاب على السائلين لنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا عليهن، فمن أين استفدنا أن اللزوم عليهن؟

الجواب: المعنى المراد في الآية هو الأمر لمن احتاج حاجة من بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يسألهن الحاجة وجهاً لوجه، فإذا سألهن فليكن سؤاله وهو في يسار الباب أو يمينه، أو إذا كان ثَمّ باب فلا يفتحه، أو ستارة فلا يرفعها، أو يسأل من خلف الجدار، هذا هو المعنى المراد.

﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ وأن ذلك أزكى لكم، وأبعد عن الوقوع في الفتنة(١).

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾(٢) ولا ينبغي لكم ولا يجوز أن تؤذوا رسول الله بفعل خلاف هذه التعاليم.

﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ ولا يحل لأحد بعد موته أن يتزوج إحدى نسائه، حفاظاً على حرمة نبيهم، فشأنه ليس كشأن سائر الناس، وأيضاً لكون أزواجه أمهاتكم أيها المؤمنون.

﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا۝٥٣﴾ وأن من فعل ذلك فقد ارتكب جريمة كبيرة عند الله سبحانه وتعالى.

﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا(٣) أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا۝٥٤﴾(٤) فهو

---

(١)- **سؤال:** قد يقال: إذا كان فرضية الحجاب على نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لخشية وقوعهن في الفتنة فبالأولى والأحرى بقية نساء المؤمنين؛ إذ خشية الافتتان في حقهن أعظم وأطمّ، فما رأيكم؟

الجواب: ما وجب على نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحجاب فهو واجب على سائر النساء المؤمنات، وليس الحجاب خاص بأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، سواء بدلالة الأولى أو بكونهن قدوة وأسوة لبناتهن المؤمنات.

(٢)- **سؤال:** ما محل المصدر «أن تؤذوا»؟

الجواب: محله الرفع فاعل «كان» إن أعربناها تامة، أو اسمها إن أعربناها ناقصة.

(٣)- **سؤال:** إلام الإشارة بهذه الآية: «إن تبدوا.. إلخ»؟

الجواب: الإشارة هي إلى ما روي أن بعض الصحابة قال: لو توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتزوجت عائشة، ولم يسم في أسباب النزول للواحدي اسم الصحابي، وروي عن بعضهم أنه قال: لنجولن بين خلاخيل نسائه كما جال بين خلاخيل نسائنا، فهذا مما أبداه الصحابة، وقد تأذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك القول في نسائه فقال تعالى للصحابة: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا۝٥٣﴾ فحسم الله تعالى طمع الطامعين من الصحابة فيما نووه من التزوج بنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته، ثم توعدهم على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا۝٥٤﴾.

(٤)- **سؤال:** كيف نجمع بين هذه الآية وما اشتهر من الأحاديث أن من همَّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه؟ وكذا: ((رفع عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تفعل)) ونحو ذلك؟

=

بما في قلوبكم ومطلع على نياتكم، وسيجازيكم على كل ذلك، فاحذروا عذابه وسخطه وأصلحوا نياتكم.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَانِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴿٥٥﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنه قد رفع الجناح والحرج على نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأباح لهن أن يدخل عليهن آباؤهن وأبناؤهن وإخوانهن وذوو أرحامهن.

و﴿نِسَآئِهِنَّ﴾: المراد بهن نساء المؤمنين(١)، والمراد بـ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾: من الإماء لا من الرجال.

وقد شدد الله سبحانه وتعالى على نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الحفاظ على هذه

الجواب: «من هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه» الهم بالسيئة هو العزم والنية على فعلها وهذا معصية، فقوله: «ولم يعملها» أي: تركها خوفاً من الله، أو تركها لكونها معصية، أما من هم بالمعصية ولم يعملها لأنه لم يتيسر له عملها مع إصراره على العزم والنية على عملها فإنه عاصٍ بالإصرار على النية والعزم. أما حديث: ((رفع عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تفعل)) فالمراد به حديث النفس ووساوسها التي تأتي بغير اختيار المرء فهذا معفو عنه، ما لم يقل أو يفعل؛ فيحاسب على القول أو الفعل، وعلى هذا فالعزم والنية هو غير حديث النفس.

(١)-**سؤال:** من أين استفدنا هذا؟ وكذا أن ما ملكت أيمانهن الإماء لا الرجال؟

الجواب: استفيد ذلك من الإضافة فإنها تفيد أن النساء المضافات إلى أزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هن المؤمنات؛ لما بينهن من الأمومة والبنوة: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، والمودة، والروابط، والمخالطة، والموالاة. واستفيد أن المراد الإماء لا العبيد في قوله: ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من حيث أن العبيد رجال أجانب فهم في افتتانهم بالنساء وافتتان النساء بهم سواء هم والأحرار، وقد تكون الفتنة بهم أعظم لو جوزنا للمرأة إظهار زينتها عند مملوكها والخلوة به ومخالطتها له و.. إلخ، ولا سيما مع طول المدة والمصاحبة وانبساط بعضهم إلى بعض.

التعاليم[١] والإرشادات، وحذرهن عن مخالفة شيء من ذلك؛ لما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحرمة والمكانة عنده.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ[٢] عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا۝٥٦﴾[٣] ينبه الله تعالى المؤمنين على المنزلة العظيمة والمكانة الرفيعة

---

(١)- **سؤال:** هل تشمل هذه التعاليم غيرهن من نساء المؤمنين أم لا؟ أفيدونا بعلة ذلك، كان الله في عونكم؟

الجواب: نعم، تشمل هذه التعاليم نساء المؤمنين، وذلك أن الله تعالى قد أمر المؤمنات في سورة النور بمثل ما أمر به أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم هنا، وإنما خص الله تعالى نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتوجيه تلك التعاليم إليهن لشرفهن ومكانتهن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وزيادة تأكيد لما أمر الله به المؤمنات عموماً -أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيرهن- في سورة النور.

(٢)- **سؤال:** هل يعود الضمير في «يصلون» على الملائكة وحدهم؟ أم عليهم وعلى الباري، فسيشكل جمعه معهم في ضمير؟

الجواب: يعود الضمير على الملائكة وحدهم، وضمير الباري تعالى مقدر مع فعله، أي: إن الله يصلي وملائكته يصلون.

(٣)-**سؤال:** ما السر في إرجاعنا أمر الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله حين نقول: «اللهم صل على على محمد.. إلخ» رغم أن مقتضى الأمر أن نقول: صلينا عليه؟

الجواب: سأل الصحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين نزل الأمر بالصلاة عليه فقالوا: كيف نصلي عليك؟ فقال: ((قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...إلخ)) أو كما قال، ولعل السر -والله أعلم- أننا نحن معاشر المكلفين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاجزون عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأمرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ندعو الله ونسأله أن يصلي عليه صلى الله عليه وآله وسلم.

سؤال: مقتضى الآية أن نقول: اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد إلا أن الكيفيات الواردة في بيان الآية عنه صلى الله عليه وآله وسلم خالية عن جمع التسليم مع الصلاة، فلماذا؟

الجواب: الذي يظهر لي -والله أعلم- أن للصلاة عليه «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» موارد تقال فيها، وللسلام عليه موارد يقال فيه؛ فتقال الصلاة عليه عند ذكره صلى الله عليه وآله وسلم، ((من
=

التي جعلها للنبي ﷺ ليحفظوا حرمته وكرامته في نسائه وأهله، وليعاملوه بما يستحق من التشريف والاحترام، فأخبر أنه يصلي على هذا النبي بمعنى أنه يرحمه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا۝٥٧﴾ وهذا تهديد من الله تعالى لمن آذى نبيه ﷺ، وحكم بأن من آذاه فقد آذى الله سبحانه وتعالى، وسواء كانت الأذية في زوجاته أو في دينه أو في عرضه، أو بأي وجه من أوجه الأذية، وأن من فعل ذلك فقد استحق لعنة(١) الله سبحانه وتعالى وعرض نفسه لغضبه وسخطه وعذابه في نار جهنم.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا

ذكرت عنده فلم يصل عليك...)) الحديث، ومن هذه الموارد تشهد الصلاة. أما موارد السلام فعند الدخول إليه وعند لقائه فيقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، أو السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

ويمكن أن يقال: إن قولنا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» شامل للسلام عليه ﷺ، وذلك لأن الصلاة من الله هي الرحمة، والرحمة تشمل خير الدنيا والآخرة، فإذا قلنا: «اللهم صل على محمد وآل محمد» فمعناه: اللهم أعطه خير الدنيا والآخرة واحفظه من شرور الدنيا والآخرة.

ويمكن أن يستدل لهذا بما ذكرتم من كيفيات الصلوات التي بين بها رسول الله ﷺ للمسلمين كيفية الصلاة عليه، وبما عليه الزيدية من كيفية التشهد وكذا سائر أهل المذاهب الإسلامية من الاقتصار في كيفية الصلاة الواجبة عليه ﷺ في التشهد، وقد روي في صفة بعض تشهدات الصلاة المروية: ((السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)) إلا أنا لم نر من أوجبها من أئمتنا وعلمائنا، فكل هذا قرينة وشاهد لما ذكرنا. ويكون وجوب السلام عليه ﷺ هو في حياته عند مواجهته والدخول عليه، أي: أنه يجب ذلك وجوباً للنبي ﷺ بخلاف الدخول أو المواجهة لغيره فإنه لا يجب وإنما يندب ابتداء السلام.

(١)-**سؤال:** ما معنى لعنة الله سبحانه في الدنيا؟

الجواب: هي عذاب الخزي في الدنيا بعذاب من عنده أو بأيدي عباده.

﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴿٥٨﴾﴾ وكذلك من آذى مؤمناً أو مؤمنة عن غير سبب أو مبرر[١]، ولا على وجه الاقتصاص؛ فإنه سيتحمل من الإثم ما يوجب غضب الله وسخطه، ويستوجب عذابه في نار جهنم؛ لأنه قد فعل كبيرة من الكبائر.

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ[٢] عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ كان النساء في زمان النبي ﷺ يخرجن إلى الخلاء لقضاء حاجاتهن بعد المغرب بعيداً عن بيوتهن، وكان أهل الفسق والفجور وأهل الدناءة يقفون في طريقهن ويتعرضون لهن، فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يأمر نساءه ونساء المؤمنين بأن يرخين ويرسلن الجلابيب السود على وجوههن[٣] وصدورهن

---

(١)- **سؤال:** لو تفضلتم بتعديد صور من المبررات للأذية لكان مناسباً؟ وما هو المقصود بالبهتان في الآية؟

الجواب: منها ما أذن الله تعالى فيه النفس بالنفس والعين بالعين والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص، وفي قوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤]، ومن ذلك حد الزاني وقطع يد السارق وجلد القاذف وتعزير الظالم وحد قطاع الطرق وحبس المتهم والمتمرد والمماطل عن الوفاء بما عليه من الدين حتى يفي بدينه أو يظهر إعساره والحبس في النفقة الواجبة. والبهتان هنا: قول الزور من حيث أن الأذى يكون بالقول كثيراً.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «يدنين»؟

الجواب: مضارع مجزوم في جواب الطلب، والتقدير: قل لهن: «أدنين عليكن من جلابيبكن يدنين»، وهذا المقدر هو مقول القول، وهذا الإعراب أحسن ما قيل، والله أعلم.

(٣)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذا أن الجلباب يستر الوجه، فهل يؤخذ من هذا شرعية تغطية الوجه أم لا؟ مع تعليلكم حفظكم الله؟

الجواب: كانت النساء لا يخرجن لقضاء الحاجة إلا في سواد الليل لأجل أن يسترهن سواد الليل، فأمرهن الله بإسدال بعض من خمرهن على جيوبهن، أي: بأن يلبسن الخُمُر ويسدلن بعضه على جيوبهن، وذلك من أجل أن يتميزن عن الإماء؛ لئلا يتعرض لهن المتعرضون من المنافقين وغيرهم؛ لذلك فلا يستدل بهذه الآية على وجوب تغطية الوجه؛ لأن سواد الليل ساتر لهن.

ليتميزن عن الإماء وليعرفهن أولئك الذين يقفون في طريقهن فلا يتعرضون لهن.
ومعنى «يدنين»: يرخين ويرسلن.

﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ(١) وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴿٥٩﴾﴾(٢) وكان المنافقون يعلمون أن من تعرض لحرة بأي أذى فإن أهلها وأولياء أمرها لن يسكتوا على ذلك.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ(٣) وَالْمُرْجِفُونَ(٤) فِي الْمَدِينَةِ

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾؟ وهل يحسن أن تقدر «لا» النافية هنا حتى يكون التقدير: أدنى أن لا يعرفن، فيشمل عدم الأذية حتى الإماء أم لا؟

الجواب: «ذلك» مبتدأ، «أدنى» خبر، «أن يعرفن» أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بإلى محذوفة متعلق بأدنى، «فلا يؤذين» معطوف على يعرفن. ولا يحسن تقدير «لا» لأن عدم الأذية مترتب على المعرفة لهن، وقد كن يتعرضن للأذى لعدم تمييز المتعرضين للإماء من الحرائر مع أن التقدير خلاف الأصل.

سؤال: وهل كانوا يتساهلون في الإماء إلى هذا الحد فلا يغارون على من أراد تدنيس كرامتهن؟

الجواب: ليس هناك تساهل، ولكن من شأن الأمة أن تكون أكثر عرضة للأذى من الحرة بسبب الأحكام الشرعية التي جعلها الله تعالى لكل منهما، فعورة الأمة في الإسلام كعورة الرجل، ولعل الحكمة في ذلك أنها سلعة معروضة للبيع، فمن رغب فيها اشتراها، فإذا أراد مالكها أن يتسراها لنفسه حجبها وسترها.

(٢)- **سؤال:** ما علاقة تذييل الآية بقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴿٥٩﴾﴾؟

الجواب: العلاقة هي الإشارة إلى عفو الله ومغفرته لترك الحرائر ما يميزهن عن الإماء فيما مضى قبل نزول الآية.

(٣)- **سؤال:** ما وجه المغايرة بين مرضى القلوب والمنافقين، فلم تتضح لنا كما ينبغي؟

الجواب: مرضى القلوب هم -والله أعلم- ضعاف الإيمان الذين لا يحجزهم إيمانهم عن التعرض للنساء والإماء، وليس لهم هوى في دين الكفر، ولا في المكر بدين الإسلام.

(٤)- **سؤال:** ما هو تعريف الإرجاف؟ وهل يعد نشر الخبر المثير للقلق منه ولو كان صدقاً؟

الجواب: هو كما في الكشاف: أرجف بكذا إذا أخبر به على غير حقيقة؛ لكونه خبراً متزلزلاً غير ثابت، من الرجفة وهي الزلزلة. وإذا صحب الخبر الصادق ما يثير القلق والخوف كتصوير ما وقع =

لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾(١) هذا تهديد من الله سبحانه وتعالى لأولئك المنافقين وغيرهم من الذين يبثون الرعب وينشرون الخوف والقلق عند حصول الحرب في قلوب الناس وبين أوساطهم؛ لأن ذلك يؤدي إلى تثبيط المقاتلين وتشتيت عزائمهم وتخذيلهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك كل من يلحق الأذى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بأنهم إن لم ينتهوا عن ذلك ليسلطن الله عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين فيبيح لهم قتلهم وطردهم من المدينة.

﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ۝﴾(٢) وأن لعنة الله سبحانه وتعالى ستطاردهم أينما حلوا، وسيسلط الله سبحانه وتعالى أهل كل بلد ينزلون فيه عليهم فلا يتركونهم يستقرون أبداً. ومعنى «ثقفوا»: وجدوا وأدركوا.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن هذه سنته في كل من يلحق الأذى بأنبيائه وبالمؤمنين في كل زمان، وذلك أنه يسلط عليهم

بصورة توهم هزيمة المسلمين، وأنه لم يبق إلا الاستسلام للعدو فيلحق بالإرجاف، أما نقل الخبر الصادق كما هو فليس من الإرجاف فقد قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر فأعلن للمسلمين عن قتل جعفر ثم أعلن عن قتل زيد بن حارثة ثم أخبر المسلمين بقتل عبدالله بن رواحة، فلم يكن ذلك إرجافاً.

(١)-**سؤال:** ما إعراب «قليلاً»؟ وما السر في استثنائها؟

الجواب: تعرب صفة لزمن محذوف أي: أن قليلاً قائم مقام ظرف الزمان وكان الأصل: إلا زمناً قليلاً، وقد تكون صفة لمصدر محذوف فتكون مفعولاً مطلقاً، أي: إلا جواراً قليلاً. والسر في الاستثناء –والله أعلم– هو ما جرت عليه سنة الله من الحكم والتأني بالعصاة، فلا يؤاخذهم إلا بعد الحلم الطويل عنهم.

(٢)-**سؤال:** هل قوله: «أينما» معمول لـ«ملعونين» أم لـ«أخذوا»؟

الجواب: «أينما» اسم شرط جازم في محل نصب على الظرفية المكانية وهو معمول لجوابه «أخذوا»، و«ملعونين» من متعلقات لا يجاورونك؛ إذ هو حال من فاعله دخل الاستثناء على الظرف «قليلاً» وعلى الحال معاً، أفاد ذلك الزمخشري، ولا يتعلق بأخذوا؛ لأنه لا يعمل ما بعد أداة الشرط فيما قبلها.

ويبيح دماءهم مما يؤدي إلى قتلهم واستئصالهم وطردهم[1].

﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۝٦٢﴾ فليحذر أولئك المنافقون والمرجفون والذين يلحقون الأذى بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يصيبهم مثل ما أصاب الذين من قبلهم ممن آذوا أنبياءهم.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه إذا سأله سائل عن موعد القيامة فليجب عليهم بهذا الجواب، وهو: أن موعدها مما يختص الله سبحانه وتعالى بعلمه، ولم يطلع عليه أحداً من خلقه لا من أهل السماء ولا من أهل الأرض.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣﴾[2] وقد يكون اقترب موعد حلولها، وأما موعدها بالتحديد فلا يعلم بذلك أحد.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا

---

(١)- **سؤال:** يقال: إن الأذية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تنقطع بعد ذلك، ولم يعرف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أباح دماء أهلها أو نحو ذلك مما ذكر في الآية، فكيف وهو صادق الوعد والوعيد؟

الجواب: يقال في الجواب: قد ترك المنافقون أذية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التعرض للنساء المؤمنات وتركوا إعلان الإرجاف بعد نزول التهديد، وتركوا أيضاً إظهار الأذى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين، وأظهروا الإخلاص رياءً وخافوا على أنفسهم وتركوا ما كانوا يعملون من الأذى؛ لأن الإسلام كان عند نزول الآية قد قويت شوكته وكثر أهله.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣﴾؟

الجواب: «ما» استفهامية مبتدأ، وجملة «يدريك..» في محل رفع خبر، ونائب فاعل يدريك ضمير يعود إلى المبتدأ، والكاف مفعول به ثان، و«لعل الساعة..» في محل نصب المفعول الثالث. ويجوز أن تكون هذه الجملة مستأنفة والمفعول الثالث محذوف أي: وما يدريك أمرها.

الرَّسُولَا۝﴾[1] وأما الكافرون فقد لعنهم الله تعالى وأخزاهم في الدنيا، وأما في الآخرة فذلك أشد وأطم في نار جهنم خالدين فيها أبداً، ولو لم يكن لهم من العذاب إلا تلك الحسرة والندامة التي تملأ قلوبهم في ذلك الموقف لكفتهم، ناهيك عن أنواع العذاب الذي سيجدونه.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا۝﴾ يذكرهم الله تعالى بالموقف الذي سيقفونه يوم القيامة عندما يُلْقُون اللوم على كبرائهم وسادتهم الذين اتبعوهم، ولكن ذلك لن ينفعهم عند الله سبحانه وتعالى، فقد خلق لهم العقول التي يميزون بها الحق من الباطل فلماذا لم يتبعوا عقولهم وما أرشدتهم إليه.

﴿رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا۝﴾ بسبب إضلالهم وإغوائهم لنا ضاعف لهم العذاب والعنهم في جهنم.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا۝﴾[2] يحذر الله سبحانه وتعالى المسلمين أن لا يسلكوا سبيل بني

---

(١)-**سؤال:** ما موضع جملة: ﴿لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا۝﴾؟ وما العامل في «يوم» النصب؟ وما إعمال: ﴿يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ﴾؟ وما هو هذا الألف الذي ألحقوه بالرسول في قوله: ﴿الرَّسُولَا۝﴾؟

الجواب: «لا يجدون ولياً ولا نصيراً» في محل نصب حال ثانية، والأولى خالدين. والعامل في «يوم» النصب هو قوله: «يجدون» أو«اذكر» محذوفاً. وألف «الرسولا» و«السبيلا» تسمى ألف الإطلاق أي إطلاق الصوت حيث أنهم جعلوا فواصل الآي كقوافي الشعر.

(٢)-**سؤال:** هل عرف شيء مما أوذي به موسى فبرأه الله منه؟

الجواب: تفيد هذه الآية أنهم اتهموا موسى بمعصية الله سبحانه وتعالى معصية كبيرة منفرة؛ إذ من شأن أهل الخبث إذا أرادوا أن يشوهوا أحداً أن يفعلوا ذلك، فقوله: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا۝﴾ يدل على أنهم اتهموه بمعصية لله، وقوله: ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ﴾ يدل على أنها منفرة، وعلى هذا فلا يبعد صحة الرواية التي رويت أنهم أرشوا امرأة زانية لتخرج بين الناس وتصيح أن موسى زنى بها. هذا معنى الرواية.

إسرائيل الذين كانوا ينسبون إلى موسى عليه السلام السوء والفحشاء ويلصقون به التهم الباطلة التي هو بريء منها[١]، وأن يحذروا أن يفعلوا مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما فعل أولئك، وذلك كقذف عائشةَ ورميها بالفاحشة، وخيانته في تقسيم الغنائم وغير ذلك مما يلطخ عرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويحط منزلته بين الناس ويسبب النفرة عنه. ومعنى «وجيهاً»: مقبولاً ذا قدرٍ وجاه.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا۝٧٠﴾ احذروا سخط الله سبحانه وتعالى وغضبه من قول مثل تلك الأكاذيب والافتراءات، وتحروا قول الحق وليكن الصدق هو الغرض الذي تسددون أقوالكم إليه.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا۝٧١﴾[٢] إذا اتقيتم الله سبحانه وتعالى وتحريتم قول الصدق فإن الله

---

(١)- **سؤال:** ما صحة ما روي في بعض كتب الحديث أنهم كانوا يعيبونه في خلقه وأن به أدرة فكان يغتسل عليه السلام وقد وضع ثوبه على حجر ثم إن ثوبه طار فكان يتبعه وهو يقول: ثوبي حجر، حتى رأوا سلامة عورته من الأدرة؟

الجواب: لا ينبغي أن تصح هذه الرواية؛ لما فيها من نقص على موسى عليه السلام بخروجه عارياً بين الناس، ومثل ذلك لا يكون من جهلة الأتباع فكيف لنا أن ننسبها إلى موسى عليه السلام.

وبعد، فالأدرة ليست مما يعاب به الرجل في دينه، وإنما هي فتق يخرج منه ثوب البطن إلى مكان الخصيتين فتكبر الخصيتان وتثقل، وليس ذلك من فعل الإنسان حتى يعاب به.

(٢)- **سؤال:** ما الذي يستفاد من هذه الآية والتي قبلها في المخرج لهذه الأمة من المأزق الذي وصلت إليه؟

الجواب: مخرج هذه الأمة مما هي فيه اليوم هو في شيئين اثنين:

١- الالتزام بتقوى الله تعالى، والتقوى هي: أن يطاع الله تعالى فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى.

٢- الالتزام بقول الحق والصدق وترك القول الباطل الذي كثر اليوم أهلوه؛ من ثلم أعراض الصالحين وذمهم وإلصاق التهم بهم وتنفير الناس عنهم، ولكن **﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** [يونس:٩٨].

تعالى سيصلح دينكم ودنياكم وسيغفر لكم ذنوبكم وسيئاتكم، واعلموا أن طاعة الله تعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هي الطريق الموصلة إلى الفوز العظيم.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾[١] الأمانة هي تكاليف الإسلام وشرائعه التي أرسل الله تعالى بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى الناس، وقد صور الله تعالى لنا عظمة دين الإسلام وشرائعه فقال: إنه عرض هذه الأمانة التي هي دين الإسلام وشرائعه على السموات والأرض والجبال فامتنعت من قبولها وخافت من حملها، فصورها الله تعالى لنا بهذه الصورة من أجل أن يملأ قلوبنا تعظيماً لها، ولنحرص غاية الحرص على القيام بها وحملها حق حملها، وأن لا نفرط في صغير أحكامها ولا كبيرها.

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ[٢] اللَّهُ

---

(١)-**سؤال:** يقال: الاستئناف بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ يوحي بأن الإنسان هو السبب في تحمله للأمانة، فكيف يتعقل أن السبب كونه ظلوماً وجهولاً؟ وما المراد بهذا الحكم؟ هل الغالب أم ماذا؟

الجواب: ليس قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ هو العلة والسبب لحمل الإنسان الأمانة، وإنما هو استئناف يبين به حالة الإنسان في حمله لما حمله من الأمانة، فبين أن الناس عامة خاسوا في حملها وظلموا أنفسهم بالتفريط في حملها، وتهاونوا بها ولم يف إلا القليل، والكثرة الغالبة مفرطون مضيعون لها.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما السر في قوله: «ويتوب» بدل قوله: «ويثيب» أو نحوها؟ وما العلة في تقديم المنافقين على المشركين؟

الجواب: قد يكون السر –والله أعلم– هو اللطف للمؤمنين إلى أن يكون مطلبهم من الإيمان والعمل الصالح ورجاؤهم هو الوصول إلى أن يتوب الله عليهم، فإذا كان هذا هو غايتهم ومطلبهم سلموا من العجب والغرور بما هم فيه من الإيمان والعمل الصالح، فلو قال: «ليثيب» لتوجه

=

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴿٧٣﴾﴾ أخبرنا الله تعالىٰ هنا بالحكمة التي من أجلها كلف عباده بشرائع الإسلام وأحكام الدين فقال تعالىٰ إنه كلف عباده من أجل أن يجازيهم علىٰ أعمالهم في الدار الآخرة فمن أطاعه أدخله الجنة، ومن عصاه أدخله النار.



الإنسان المؤمن بعبادته وأعماله الصالحة لطلب الثواب، فمع طول المدة فقد يعجب المؤمن بكثرة ثوابه لكثرة عمله، وكلما زاد في العمل الصالح والعبادة ازداد سروراً وأريحية لما يتوهم ويتصور من كثرة الثواب، وهذه الآية في المعنىٰ مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴿٦٧﴾﴾ [القصص]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴿١٨﴾﴾ [التوبة]. والوجه في البدء بذكر المنافقين الاهتمام بشأن خطورتهم وتحذير المؤمنين منهم؛ لأنهم كانوا متخللين لصفوف المسلمين وفي أوساطهم وربما اغتروا بهم ولم يسلموا من حيلهم وخداعهم لتظاهرهم بالإسلام.

سورة سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١﴾ لا يستحق الحمد والثناء والمدح إلا الله سبحانه وتعالى وحده، دون غيره من الآلهة التي يدعونها ويعبدونها من دون الله، فليست إلا أحجاراً ينحتونها بأيديهم، ولا تستحق شيئاً من التعظيم والتقديس.

ويستحق الله سبحانه وتعالى الحمد لأنه وحده المسيطر على السماوات والأرض وما فيهما بقدرته، وهو وحده المتفرد بجلائل النعم ودقائقها على جميع الخلق، وكذلك يستحقه في الآخرة لأنه مالك يوم الدين وجميعُ نعم الآخرة من الثواب والجزاء بيده وحده.

ثم وصف نفسه بالحكيم؛ لأن جميع أفعاله لا تصدر إلا على مقتضى الحكمة وما تدعو إليه المصلحة، وكل ما في السماوات وما في الأرض قد خلقه الله سبحانه وتعالى لحكمة عظيمة، ولم يخلق شيئاً لغير فائدة أبداً، ومنافع مخلوقاته وفوائدها كلها تعود على عباده من الجن والإنس والملائكة، ثم وصف نفسه بأنه الخبير أي العالم بكل ما في السماوات وما في الأرض وكل ما يحدث فيهما، ولذا عقب ذلك بقوله:

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ﴾ أي كل ما اختفى بداخلها وتوارى أوساط أحشائها وبواطِنِها أو دخل فيها من مطر وغيره.

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ وكذلك يعلم بكل ما يخرج منها من النبات والحيوان ونحو ذلك فلا يخفى عليه خافية، وكذلك بكل ما ينزل من السماء من الخير والشر.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ وكذلك لا يخفى عليه شيء مما يصعد إلى السماء من أعمال العباد.

﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝٢﴾ ثم وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بأنه الرحيم

بعباده، ومن رحمته بهم أنه لا يأخذهم بذنوبهم، ويمهلهم ويتأنى بهم لعلهم يرجعون إليه ويتوبون.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ كان المشركون عندما ينذرهم النبي ﷺ ويحذرهم غضب الله تعالى وما أعد لهم من العذاب الشديد يوم القيامة- ينكرون البعث والنشور والحساب والجزاء، وكل ما يأتيهم به محمد ﷺ من أمر الساعة وشأنها ينكرونه ويقولون لا حقيقة له ولا أساس له من الصحة.

﴿قُلْ بَلَى(١) وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ فأمره الله سبحانه وتعالى أن يخبرهم بأنه لا بد من حدوثها وإتيانها، وأن يقسم لهم على ذلك، وأنهم سيبعثون وسيجازيهم الله سبحانه وتعالى على أعمالهم صغيرها وكبيرها.

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾(٢) أقسم النبي لهم بربه الذي هو عالم بجميع الأمور الغيبية وبما سيكون في المستقبل، الذي لا يغيب ولا يخفى عليه شيء في السماء ولا في الأرض حتى مثقال الذرة فهو في علمه.

﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ۝٣﴾(٣) ولا أصغر من مثقال الذرة فهو محيطٌ بعلمه ولا أكبر منه فغير خاف عليه، وفي ذلك أيضاً تحذير

---

(١)-**سؤال:** ما معنى «بلى» في قوله: ﴿بَلَى وَرَبِّي﴾؟

الجواب: معناها رد الكلام السابق وإثبات خلافه.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾؟ وما محل جملة: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾؟

الجواب: «عالم الغيب» صفة لربي أو بدل منه. وجملة «لا يعزب» في محل نصب حالية.

(٣)-**سؤال:** يقال: كيف ساغ الاستثناء هنا إذا كان قوله: «ولا أصغر» معطوفاً على «مثقال ذرة»؟

الجواب: قوله: «في كتاب» متعلق بمحذوف حال من «مثقال ذرة» أي: إلا مسطوراً في كتاب مبين، أي: لا ينفصل عن الغيب شيء إلا مسطوراً في اللوح.

للمشركين بأن الله سبحانه وتعالى محص لجميع أعمالهم، وأنه سيبعثهم وسيجازيهم على جميع أعمالهم صغيرها وكبيرها.

﴿لِيَجْزِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ۝٤﴾ يخبرهم الله أن الساعة سوف تأتي لغرض عظيم وهو أن يجازي أولئك الذين آمنوا بالله سبحانه وتعالى وعملوا الأعمال الصالحة على أعمالهم، بالمغفرة والرزق الكريم في جنات النعيم وليعذب[1] المشركين والمكذبين على أعمالهم، وهذه هي الحكمة من البعث والحساب، وإلا لوصف الله تعالى بالظلم والعبث لو لم يبعث المكلفين للجزاء والحساب.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِى ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ۝٥﴾[2] وليجزي أولئك الذين جدوا واجتهدوا في محاربة أنبيائه ورسله وسعوا في إفساد آياته وحججه، ظناً منهم أنهم سيغلبون الله تعالى بفعلهم ذلك بأشد العذاب وأسوئه.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِى إِلَى صِرَاطِ

---

(١)- **سؤال:** من أين نفهم هذا؟ أمِنَ السياق وذكره للذين آمنوا وعملوا الصالحات؟ أم من غيره فوضحوه لنا سلام الله عليكم ورحمته وبركاته؟

الجواب: قوله: «ليجزي» علة لقوله: «بلى وربي لتأتينكم» وجزاء المشركين من الآية التالية لهذه الآية.

(٢)- **سؤال:** هل قوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ معطوف على قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؟ أم أنه ابتداء كلام جديد؟ وما إعراب «أليم» حال رفعه وجره؟

الجواب: يصح أن يكون معطوفاً على المعنى -أي: على ما يقال له في النحو: التوهم- كأنه قيل: فالذين آمنوا...، كما في آية الحج: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ۝٥٠ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِى ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ۝٥١﴾، ويصح أن يكون مستأنفاً لبيان حال الكافرين الذين سعوا في آيات الله. «أليم» إن جر فهو صفة لـ«رجز»، وإن رفع فهو صفة لـ«عذاب».

﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ۝٦﴾[1] ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ بأن المؤمنين[2] -الذين هم أولو العلم- هم الذين يعتقدون بصدق ما جاء به النبي ﷺ من الدين والقرآن، وأنه الذي يدلهم علىٰ طريق الهدىٰ والصواب، وأما أولو الجهل والضلال فهم بعيدون عن ذلك كافرون بما جاء به محمد ﷺ.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ۝٧﴾[3] الذين كفروا هم مشركو مكة كانوا يسخرون من النبي ﷺ ومن الدين الذي جاء به، فكانوا يقولون لبعضهم البعض: هل

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب ﴿هُوَ الْحَقَّ﴾؟ وعلام عطف قوله: ﴿وَيَهْدِى إِلَى صِرَاطِ..﴾ رغم أنه لم يتقدمه إلا أسماء؟

الجواب: «هو» ضمير فصل دخل علىٰ ما كان أصله خبراً، و«الحق» هو المفعول الثاني لـ«يرىٰ». «ويهدي» معطوف علىٰ المفعول الثاني، فجملة «ويهدي» في محل نصب، ويجوز في خبر المبتدأ أن يكون جملة ومفرداً، وأن يتعدد الخبر مفرداً وجملة، ويتعاطف كذلك.

(٢)- **سؤال:** يقال: ما السر في تعميمكم لأولي العلم في جميع المؤمنين رغم أن فيهم جهالاً لا يصلون إلىٰ معرفة أحقية القرآن معرفة راسخة ثابتة كالعلماء وأهل المعرفة؟

الجواب: السر هو أن المؤمن هو الذي عرف أهل الحق واتبعهم واستقام علىٰ ذلك، فمن كان كذلك فهو عند الله عالم وإن لم يقرأ ولم يكتب، وكفىٰ بما اشتهر وتواتر من كرامات الحاج أحمد الصفي ﷫، فقد كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولكنه عرف أهل الحق واتبعهم واستقام علىٰ ذلك.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ۝٧﴾؟ وأين المعمول الثاني لـ«ينبئكم»؟

الجواب: «إذا مزقتم» إذا: أداة شرط، ومزقتم كل ممزق: جملة الشرط، وكل: مفعول مطلق لإضافتها إليه، وجوابه محذوف، أي: تبعثون. و«إنكم لفي خلق جديد»: إن واسمها وخبرها سد مسد المفعولين، وكسرت «إن» لوجود اللام المزحلقة أي: لام الابتداء. وينبئكم: تحتاج ثلاثة مفاعيل؛ الأول ضمير المخاطبين، وسدت «إن» ومدخولها مسد الاثنين.

تريدون أن نخبركم بالرجل الذي يدعي أن عظامكم ستعود إلىٰ الحياة بعد أن قد صارت تراباً ورفاتاً؟ وأنكم ستبعثون بعد موتكم؟

فإن ذلك الرجل هو محمد فانظروا إلىٰ سخافة عقله عندما يقول ذلك القول، ليروا الناس أنه سخيف العقل، ولينفروا الناس عن دينه ودعوته.

﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾[(١)] ويسأل بعضهم بعضاً عن قول محمد ﷺ بالبعث بعد الموت، هل صدر ذلك منه افتراءً علىٰ الله أم أنه قد أصيب بالجنون؟ فرد الله سبحانه وتعالىٰ عليهم فقال:

﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴿٨﴾﴾ أجاب الله سبحانه وتعالىٰ عليهم بأن ما نسبوه إليه ﷺ بعيد عن الحق والصواب فليس بمفتر علىٰ الله وليس به جنة، وأنهم هم الذين يفترون علىٰ الله الكذب، وهم الذين يستحقون عذاب الله تعالىٰ وسخطه لبعدهم عن الحق والهدىٰ، وأنكم أيها المشركون لو نظرتم وتفكرتم في ذلك لعرفتم أنه الحق[(٢)]، وأنه لا بد أن يكون هناك بعث وحساب.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ[(٣)] نَشَأْ

---

(١)-**سؤال:** علام عطفت جملة: «به جنة»؟

الجواب: عطفت علىٰ جملة «افترىٰ».

(٢)- **سؤال:** هل يمكن أن يجعل الضلال البعيد في الآخرة كما جعلنا العذاب فيها أم هناك سر في التوزيع؟

الجواب: الضلال البعيد هو في الدنيا، ويراد بالعذاب أسبابه التي تزج بهم في العذاب يوم القيامة؛ لهذا يكون الضلال والعذاب في الدنيا.

(٣)-**سؤال:** يقال: ما السر في فصل هذه الجملة عن سابقتها؟ وهل الجملة الشرطية خبرية أم إنشائية؟

الجواب: فصلت لأنها مستأنفة في جواب سؤال مقدر، والجملة الشرطية تكون بحسب جواب الشرط فإن كان إنشاءً كانت الجملة الشرطية إنشائية وإلا فهي خبرية.

﴿نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴿٩﴾﴾ ثم استنكر الله سبحانه وتعالى عليهم استبعادهم لقدرته تعالى على إحيائهم وبعثهم بعد موتهم، فلماذا لا ينظرون إلى ما بين أيديهم من آيات السماء والأرض التي يرونها ويشاهدونها أمام أعينهم ناطقة بقدرة الله تعالى على ذلك.

وأنه كما خلق هذه الأشياء التي يرونها من العدم وأوجدها بعد أن لم تكن- سيقدر حتماً على إعادة خلقهم مرة أخرى، وأنهم لو نظروا في ذلك وتفكروا لعرفوا صحة ذلك، وأنه ليس ببعيد على قدرة الله سبحانه وتعالى.

والمراد بـ«ما بين أيديهم وما خلفهم»: أن السماء والأرض محيطتان بهم من أمامهم ومن خلفهم وأينما كانوا وأن آياتها مشاهدة لهم بدون تكلف.

ثم ذكر سبحانه صوراً من مظاهر قدرته التي تبهر العقول فأخبر بأنه لو شاء أن يخسف بهم الأرض ويغيبهم فيها لفعل كما فعل بقارون ولو أراد لأسقط عليهم قطع العذاب من السماء كما فعل بأهل مدين لما أخذهم عذاب يوم الظلة.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لن ينتفع بآياته هذه إلا المؤمنون المتواضعون لقبول الحق، وأما أولئك المشركون فقد ملئت قلوبهم كبراً ولن يؤمنوا ويصدقوا بالبعث والحساب أبداً مهما جاءهم من الآيات.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾[1] ثم قص الله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ بعض أخبار نبيه داوود عليه السلام فأخبره أنه قد أنعم عليه بنعم كثيرة عظيمة، وأنه قد جعل الجبال والطير تردد معه تسبيح الله سبحانه

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: «يا جبال» معمول لمحذوف فما تقديره؟ أم لا فما إعرابه؟ وما الوجه في ضم ضم «جبال» مع أنه نكرة غير مقصودة على الظاهر؟ وعلام انتصب قوله: «والطير»؟

الجواب: «يا جبال» جبال: مفعول به لفعل محذوف نائب عنه «يا»، وبني على الضم لكونه نكرة مقصودة؛ إذ ليس من المفروض أن يأمر الله جبالاً غير معروفة بالتسبيح. «والطير» يجوز أن يكون مفعولاً معه أو معطوفاً على «فضلاً»، أو منصوباً بتقدير فعل محذوف: سخرنا الطير، أو نحوه.

وتعالى وتحميده، آية منه اختص بها نبيه داوود عليه السلام وميزة فضَّله بها على سائر الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ۝١٠ أَنِ اعْمَلْ(١) سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ وكذلك أنعم الله سبحانه وتعالى عليه بأن علمه كيف يصوغ الحديد ويلينه(٢)، وقد علمه كيفية صنع الدروع السابغة الكاملة التي تلبس في الحرب لتحمي من ضرب السيوف وطعن الرماح، فكان يعملها على شكل حلقات صغيرة ويربط بعضها في بعض حتى تصير على شكل لباس، وكان داوود هو أول من صنع الدروع.

ومعنى «قدر في السرد» أي: اجعل السرد على قدر صغير بحيث لا تدخل الرماح ونحوها من آلات الحرب. والسرد: الْحِلَق المستطيلة المسرودة المتصل بعضها ببعض.

﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ۝١١﴾(٣) ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه داوود وأهل بيته أن يشكروه على هذه النعم التي اختصهم بها، وأن يعملوا

---

(١)- **سؤال:** ما معنى «أن» في قوله: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾؟ وما السر في حذف الموصوف «دروعاً»؟

الجواب: «أن» مفسرة لفعل محذوف فيه معنى القول مثل «أمرنا»، ويجوز أن تكون مصدرية مجرورة بلام مقدرة متعلقة بـ«ألنَّا».

(٢)-**سؤال:** هل علمه الله تليينه أم جعله له ليناً؟

الجواب: الأولى أن الله علمه كيفية تليينه ولا زال معمولاً بذلك العلم حتى اليوم.

(٣)- **سؤال:** ما مناسبة تذييل الآية بقوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ۝١١﴾؟ وهل يصح أن يحمل الخطاب في: ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ على أمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: قد يكون التذييل ليأخذ آل داود حذرهم من التفريط في شكر الله تعالى والخطاب هو لآل داود عموماً. ومن البعيد أن يراد بقوله: «واعملوا صالحاً» أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن السياق في ذكر آل داود عليه السلام، ولاختلال ترابط الآية بعضها ببعض لو جعلناه لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الأعمال الصالحة.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾(١) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قد سخر لسليمان الريح تجري بأمره، وقد جعلها تحمله في الهواء مسيرة شهر ذهاباً ومسيرة شهر إياباً، مثل الطائرات في زماننا هذا.

﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ وكذلك أنعم الله سبحانه وتعالى عليه بأن علمه كيف يذيب النحاس، ثم يصيغه ويصنعه كيفما أراد(٢).

﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ وأيضاً سخر الله تعالى له الجن(٣) لخدمته ومنفعته، وكان من خرج منهم عن طوعه وأمره فإن الله سبحانه وتعالى يحرقه ويعذبه بالنار جزاءً على ذلك.

﴿يَعْمَلُونَ(٤) لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ

---

(١)-**سؤال:** هل يصح أن يحمل نصب «الريح» على العطف على «فضلاً» و«سليمان» على «داود» واللام زيادة للتقوية؟ وما محل جملة: «غدوها شهر»؟

الجواب: الأولى أن يقدر هنا فعل أي: سخرنا، وتكون الجملة معطوفة على قوله: «آتينا داود منا فضلاً». وجملة «غدوها شهر» في محل نصب على الحال من «الريح».

(٢)-**سؤال:** لكم في (الزُّبُر) كلام عظيم في أن عين القطر هو البترول، فما وجه ذلك؟ وما الحامل للمفسرين في تفسيره بالنحاس؟

الجواب: ما في (الزُّبر) محتمل احتمالاً قوياً؛ لذكر العين والإسالة، والذي حمل المفسرين على تفسيره بالنحاس هو أن القطر في اللغة النحاس، والقرآن كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ذو وجوه)؛ لذلك تكون التفاسير المختلفة صحيحة إلا ما يمنع منه الدليل.

(٣)-**سؤال:** على هذا فما يكون إعراب: «من يعمل»؟

الجواب: يعرب «من يعمل» مبتدأ مؤخراً، و«من الجن» خبراً مقدماً، والمراد في التفسير جنس الجن لا كلهم.

(٤)-**سؤال:** ما محل هذه الجملة من الإعراب؟

الجواب: الجملة مستأنفة في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ماذا يعملون له.

رَاسِيَاتٍ﴾ فقد سخرهم الله تعالى لخدمته، والمحاريب هي دور العبادة، والتماثيل هي تماثيل الحيوانات والأشجار والبيوت و... إلخ، والجفان هي الأواني الكبيرة التي تشبه حياض الماء، والقدور الراسيات هي أيضاً الأواني الكبيرة الثابتة التي لا تنقل، وكانوا يستخدمونها لطعام الجيوش ونحوهم من الجموع الكثيرة.

﴿اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾(١) أنعم الله سبحانه وتعالى على آل داود بهذه النعم ثم أمرهم أن يؤدوا حق شكرها بتأدية ما أمرهم الله به من طاعته وعبادته.

﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ۝١٣﴾(٢) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يشكره إلا القليل من عباده، وأن العادة فيهم أن من أسبغ الله سبحانه وتعالى عليه نعمه طغى وتكبر على الله سبحانه وتعالى، وسخر تلك النعم فيما يغضب الله سبحانه وتعالى ويوجب سخطه: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ۝٦ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ۝٧﴾ [العلق].

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾(٣) وعندما توفى الله سبحانه وتعالى نبيه سليمان وأخذ ملك الموت روحه وهو قائم متكئ على عصاه، لم يزل على هذه الحالة واقفاً والشياطين قائمة على حراسته وخدمته(٤) لمدة عام كامل كما قيل، فلم يعرفوا موته إلا عندما أكلت

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: «شكراً» مفعول به، أم مفعول لأجله؟

الجواب: «شكراً» مفعول من أجله، أو مفعول مطلق، أو مفعول به.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ۝١٣﴾؟

الجواب: «وقليل» الواو حالية، و«قليل» خبر مقدم، والجار المجرور «من عبادي» صفة لقليل، و«الشكور» مبتدأ مؤخر لكونه معرفاً، ولعله يجوز العكس إذ قد وصفت النكرة «قليل» والله أعلم.

(٣)-**سؤال:** ما الوجه في تسمية العصا منسأة؟

الجواب: منسأته: اسم آلة مِنْ «نسأ» بمعنى: طرد وزجر، وهو بمعنى العصا؛ لأنها آلة الطرد.

(٤)-**سؤال:** يقال: ما الوجه في بقائهم على حال الخدمة؟ ألم يشعروا بأنه لم يبق على تلك الحال إلا لتغير في حاله فيتساءلوا؟ أم كيف؟

=

الأرضة العصا فسقط سليمان عليه السلام.

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ(١) مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ ولو كانت الشياطين تعلم الغيب كما تدعي لما لبثت على تلك الحالة من الخدمة لسليمان عليه السلام، ولتركت سليمان وذهبت من بين يديه.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ(٢) عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ يقص الله سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم هذه القصص والأخبار لما فيها من الآيات والعبر للمعتبرين، وليعرف المشركون صدق نبوته وأن ما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى عندما يخبرهم بهذه الأمور الغيبية على الرغم من أنهم يعرفون أنه لم يخالط أهل الكتاب أو يتعلم منهم ولا من غيرهم، وهنا أوحى الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما جرى على أهل سبأ، وهم حي من أحياء اليمن كانوا يسكنون مأرب بعد أن أنعم عليهم وأوسع عليهم في نعمه، وجعل لهم البساتين والثمار المتنوعة التي لا تنقطع، وكانت أراضيهم على ضفاف واد كبير يشق بلادهم من أولها إلى آخرها، والبساتين عن يمين وشمال هذا الوادي يسقونها متى أرادوا.

الجواب: صرف الله شعورهم وأفكارهم عن النظر في حال نبي الله سليمان عليه السلام لما يريده من إبطال دعوى الجن لعلم الغيب وكشف كذبهم كشفاً ظاهراً لا خفاء فيه للناس عامة.

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾؟

الجواب: «أن» مصدرية مسبوكة مع ما بعدها بمصدر مفعول به، أي: تبينت الجن جهلهم، ويصح أن تكون مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والجملة التي بعدها في محل رفع خبر، و«أن» وما بعدها في تأويل مصدر مفعول به.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب «جنتان»؟ ولماذا أطلق عليها اسم الجنتين مع أن الظاهر أنها بساتين كثيرة؟

الجواب: «جنتان» بدل من آية، أو خبر مبتدأ محذوف. وأطلق عليها جنتان باعتبار أن ما عن يمين الوادي جنة واحدة لاتصال مزارعها، وما عن يساره لذلك جنة.

﴿كُلُوا مِنْ(١) رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾(٢) وقد أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم بهذه النعم وقلبهم فيها وأمرهم أن يقابلوا نعمه هذه بأداء حقِّها من الشكر، وأن يشكروه على ما جعل لهم من الأمن والأمان، وما أنعم به عليهم من خصوبة أراضيهم، وأخبرهم أنهم إن شكروه على نعمه فسيغفر لهم ذنوبهم ويزيدهم من نعمه.

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ ولكنهم بدل أن يقابلوا نعم الله سبحانه وتعالى عليهم بالشكر والطاعة طغوا وتكبروا على الله سبحانه وتعالى وكفروا بنعمه عليهم فأخرب(٣) عليهم السد الذي كان يحجز مياه الأمطار فأغرق بلادهم ومزارعهم ودمرها، ودمر مساكنهم وجميع أموالهم.

﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾(٤) ثم إن الله سبحانه وتعالى أبدلهم بذلك النعيم وتلك البساتين وأنواع

---

(١)-**سؤال:** هل جملة «كلوا من رزق ربكم» مقول لقول محذوف أم ماذا؟

الجواب: هو مقول لقول محذوف.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾؟ وما الوجه في فصلها عن سابقتها؟

الجواب: «بلدة» خبر لمبتدأ محذوف أي: بلدتكم بلدة طيبة وربكم رب غفور. وفصلت لأنها علة لما سبقها فهي في جواب سؤال مقدر عن العلة.

(٣)-**سؤال:** ما الذي صح لكم في سبب خراب السد عليهم؟ وهل المراد بسيل العرم السيل الذي الذي خرج من السد؟ فما وجه تسميته بسيل العرم؟

الجواب: لم يظهر لي سبب خراب السد، وقد قيل إن السبب في ذلك هو فأرة حفرت في العرم -وكان من الطين- جحراً فخرج منه الماء وتوسع بقوة خروج الماء حتى ذهب العرم كله فخرج الماء المجتمع في السد، فأتى على الجنتين وجرفها وما فيها ولم يترك لها أثراً.

(٤)- **سؤال:** ما معنى الباء في قوله: «بجنتيهم»؟ وما إعراب «ذواتي»؟ وكذا ما إعراب «ذلك جزيناهم بما كفروا»؟

=

الثمار- بساتين الخمط وأشجار الأثل والسدر التي لا تحمل أي ثمر. ومعنى «أكل خمط»: نوع من شجر الصحراء.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ۝١٧﴾ وكان ما نزل بهم جزاءً على كفرهم بنعم الله تعالى وطغيانهم وتمردهم على الله سبحانه وتعالى؛ لأن الله تعالى لا يسلب نعمه عن أحد إلا بسبب معاصيه، فلو شكروا نعم الله عليهم لما سلبهم شيئاً ولزادهم من خيره ونعمه ما داموا شاكرين لها.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا[1] آمِنِينَ ۝١٨﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى نعمة أخرى أنعم بها على أهل سبأ، وذلك أنه سهل لهم طريق أسفارهم وتنقلاتهم من اليمن إلى بلاد الشام، فقد جعل لهم خلال تنقلاتهم تلك قرى كثيرة على مراحل محدودة ليتهيأ للمسافر أن يمسي في قرية ويتغدى في قرية ويتعشى في قرية على طول تلك الطريق، وكل ذلك كان بتدبير منه تعالى لتسهيل طرق أسفارهم وتأمينها وتوفير ما يحتاجون إليه من الزاد والماء في سفرهم، نعمة منه تعالى أنعم بها عليهم ويجب عليهم شكره عليها. ومعنى «قدرنا فيها السير»: جعلناه على مراحل متقاربة.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾[2] ثم إنهم بطروا وكفروا هذه النعمة العظيمة، وطلبوا من الله سبحانه وتعالى أن يزيل هذه القرى التي تسهل تنقلاتهم،

الجواب: الباء للبدلية أي: بدل جنتيهم. و«ذواتي» صفة لجنتين منصوب وعلامة نصبه الياء. «ذلك جزيناهم» ذلك مفعول به ثان لجزيناهم، أي: جزيناهم ذلك التبديل.

(١)-**سؤال:** ما السر في تنكير «ليالي وأياماً»؟

الجواب: السر هو التكثير، وإنما حملناه على التكثير لأن المقام مقام التمنن عليهم بالنعمة، والتكثير أدخل في التمنن.

(٢)-**سؤال:** هل هنا مقدر محذوف هكذا: «بين مراحل أسفارنا» أم كيف؟

الجواب: نعم، فالمعنى مبني على ذلك التقدير.

أرادوا بذلك أن يظهروا قوتهم وقدرتهم على قطع الفيافي والقفار من دون ما يؤمن طريقهم ليثبتوا أنهم قادرون على تأمين أنفسهم، وليعرف الناس قوتهم وقدرتهم على حماية أنفسهم وتوفير الزاد والماء حيث لا يوجد الزاد والماء.

﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بعصيان الله وكفر نعمته.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ[1] وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى عذبهم وفرقهم، وشتت شملهم في جميع البلدان، فبعض منهم سكنوا أرض عمان، وأناس في المدينة، وبعضهم في مصر، وبعضهم في المغرب، وبعضهم في العراق، ولم تبق بلاد إلا وقد استوطنها أناس منهم، ولم يبق من أثرهم إلا ما يتحدثه الناس في مجالسهم بأنه كان هناك قوم يسكنون تلك البلاد و...و...و..

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن فيما جرى على أهل سبأ لعبرة لمن أراد أن يعتبر ويعرف كيف يكون جزاء كفر نعم الله تعالى.

ووصف الصبار بالشكور فيه دلالة[2] على أنه لا بد من الصبر على أداء شكر الله تعالى، ومجاهدة النفس وقمع هواها.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ[3] عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾

---

(١)- **سؤال:** يقال: كيف ساغ حمل اسم المعنى «أحاديث» على الذات وهو ضمير «هم» في قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾؟

الجواب: ساغ ذلك للمبالغة لكثرة ما يتحدث الناس عما صاروا إليه من البؤس بعد النعمة.

(٢)- **سؤال:** فضلاً من أين فهمنا هذه الدلالة؟

الجواب: فهمناها من حيث إن الله تعالى يذكر هنا أنه يتعظ ويعتبر بهذه الآية من اتصف بهاتين الصفتين جميعاً.

(٣)- **سؤال:** يقال: هل من الممكن أن نقول: إن التضعيف في قوله: «صدَّق» أفادنا الصيرورة بمعنى: صير ظنه صدقاً؟

الجواب: نعم، التضعيف يفيد ما ذكرتم وهو المعنى المراد في الآية.

إبليس عندما أغوى آدم وأخرجه من الجنة أقسم إنه ليغوين جميع عباده إلا المخلصين منهم؛ فأخبر الله سبحانه وتعالى هنا أن إبليس قد صدق في ظنه ذلك الذي أقسم عليه، وأن من جملة من أغواهم أهل سبأ هؤلاء فقد أضلهم جميعاً وأغواهم إلا القلة القليلة من المؤمنين فلا طريق له إليهم(١).

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ وخروجهم عن شكر الله وطاعته، واتباعهم لإبليس كان باختيارهم ومشيئتهم واستجابة لهوى أنفسهم، فلم يكن له أي تسلط أو قدرة على إلجائهم إلى الخروج رغماً عنهم.

﴿إِلَّا(٢) لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾(٣) وحكمة الله سبحانه وتعالى قد اقتضت التخلية بينه وبينهم، وأن يجعل اختيارهم موكولاً إلى أنفسهم يختارون ما أرادوا ويسلكون أي طريق أرادوا، وهذه التخلية امتحان واختبار منه لهم ليتميز من يؤمن بالله سبحانه وتعالى من غيره.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ

---

(١)-**سؤال:** هل عرف أن ثَمَّ مؤمنين من أهل سبأ؟ أم أن الآية عامة فيهم وفي غيرهم؟

الجواب: الأولى أنها عامة فيهم وفي غيرهم.

(٢)- **سؤال:** هل الاستثناء هنا أثبت لإبليس التسلط والاستيلاء بالوسوسة لأجل هذه الحكمة العظيمة، وهي التمييز بين المؤمن بالآخرة والمتشكك فيها؟

الجواب: نعم، أثبت له ذلك، أي: أن الله تعالى خلى بينه وبين المكلفين ليزين لهم الباطل، فسلطانه هو تزيين الباطل وتسهيله عليهم بالأماني، وليس له سلطان فيما سوى ذلك.

(٣)- **سؤال:** هل اقتضت هذه الآية أن من استجاب لوسوسة إبليس فهو متشكك في أمر الآخرة أم لا؟

الجواب: نعم، تقتضي الآية ذلك، ويتأيد ذلك بما روي في الحديث: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...)) الحديث.

وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾[١] ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يأمر المشركين بأن يدعوا تلك الأصنام التي يزعمون أنها آلهة من دون الله تعالى لينفعوهم، وأخبرهم أنهم مهما دعوهم فلا يملكون مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، فكل ما فيهما لله سبحانه وتعالى وحده ولا نصيب لتلك الآلهة التي يعبدونها في شيء من ذلك؛ وهو وحده المسيطر على السماوات والأرض وما فيهما بقدرته، فلا ظهير له ولا شريك يحتاج إليه في تدبير أمرهما وشؤونهما، فلماذا يعبدون تلك الآلهة وهم يعلمون بضعف آلهتهم تلك وعدم قدرتها على شيء من ذلك؟ ومعنى «ظهير»: معين على الخلق والتدبير.

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[٢] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لن يكون هناك شفاعة لأحد إلا لمن أذن الله سبحانه وتعالى بشفاعتهم من الأنبياء ومن يقوم مقامهم، وذلك أن المشركين كانوا يقولون: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨]، فأجاب الله سبحانه وتعالى عليهم بهذا الجواب.

---

(١)- **سؤال:** ما محل جملة: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾؟ وما إعراب: ﴿مِنْ شِرْكٍ﴾؟ وما نوع اسمية «شرك»؟

الجواب: «لا يملكون مثقال ذرة» حالية من ضمير المفعول العائد إلى الموصول، ويصح أن تكون مستأنفة لبيان ضعف الآلهة المزعومة. «من شرك» مبتدأ مرفوع محلاً مجرور لفظاً، وشرك: اسم مصدر شرِك يشرَك شركة أي: ما لهم فيهما من خَلْقٍ أي: لم يشارك الخالق جل وعلا في خلق السموات والأرض.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ظاهر الآية أن اللام دخلت على المشفوع لهم، فكيف جعلناها للشافعين وذلك في ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾؟

الجواب: الآية محتملة للأمرين إلا أن السياق يفيد أنها للشافعين. وفي الكشاف: تقول: الشفاعة لزيد على معنى أنه الشافع، وعلى أنه المشفوع له. اهـ

﴿حَتَّى(١) إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴿٢٣﴾﴾ عندما يبعث الله سبحانه وتعالى الناس جميعاً سيستولي الفزع والخوف الشديد على أولئك المشركين والمكذبين، وستصيبهم الدهشة والذهول فترة من الزمان بعد مبعثهم، فإذا انتهوا من تلك الدهشة وزال عن قلوبهم الخوف والفزع فإنهم سيسألون هذا السؤال، فيأتيهم الجواب بأنه قد قال القول الحق وهو ما كان الله سبحانه وتعالى قد وعد به من الثواب للمؤمنين والعقاب للمشركين في نار جهنم.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾(٢) ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يجادل المشركين ويسألهم من الذي ينزل عليهم المطر ويخرج لهم به الزرع والثمر؟ وهم حتماً سيجيبونه ويعترفون بأنه الله جل وعلا وحده فهو الذي بيده كل ذلك.

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴿٢٤﴾﴾ هذا أمر من الله سبحانه وتعالى لنبيه أن يجادلهم بالرفق واللين، وقد أرشد نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هنا كيف يفعل في

---

(١)-**سؤال:** ما علاقة هذه الآية بما قبلها؟ وما إعراب «الحق»؟

الجواب: هي متعلقة بما قبلها، وذلك من حيث أن قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ...﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ...﴾ يحملان على العرض يوم القيامة، وعلى صدمة الفزع العظيم يومئذ للمشركين، وعلى شدة حيرتهم وانتظارهم لما يقول رب العالمين وما يحكم به فلا يزالون في حيرة من شدة صدمة الفزع والهول الهائل إلى أن تستفيق قلوبهم من شدة صدمة الفزع عند ذلك يتكلمون فيقولون: ماذا قال ربكم... إلخ.

(٢)-**سؤال:** ما السر في جعل الجواب على لسان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله: «قل الله»؟

الجواب: قد كان ذلك من أجل أنهم قد ينكرون لئلا تلزمهم الحجة مع اعترافهم بأن الله تعالى هو الذي يرزقهم من السموات والأرض.

جدالهم؛ وذلك لأن في هذا الترديد[1] والإبهام المستفاد من «أو» ما يستجلبهم ويبعثهم على تجديد النظر والتفكر.

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2] كان المشركون يحكمون على محمد ﷺ وأصحابه بأنهم مجرمون وأنهم قاطعون لرحمهم وخارجون عن دين آبائهم وأجدادهم، والنبي ﷺ أيضاً كان يحكم عليهم بالشرك والضلال والخروج عن الدين، فأمره الله تعالى أن يرد عليهم بهذا الرد، وهو أن يجيبهم بأن الله سبحانه وتعالى لن يسألكم عما أجرمنا، ولن يسألنا عما تجرمون، فكل واحد سيحمل ذنبه فوق ظهره.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ وأن يخبرهم بأن مرجعنا جميعاً إلى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وأنه وحده الذي سيحكم بيننا وبينكم بالحكم الحق والعدل؛ لأنه الحاكم المطلع على كل شيء الذي لا تخفى عليه خافية.

﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾[3] وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأل

---

(١)-**سؤال:** وهل في هذا الترديد نوع من التغرير أم لا؟ وهل يسلم من الدخول في المداهنة أم لا؟

الجواب: ليس في ذلك الترديد أي تغرير؛ لأنه لم يقله إلا بعد أن احتج عليهم وبيّن بطلان دينهم وإثبات وحدانية الله وربوبيته دون ما سواه، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾.

ولا مداهنة مع بيان الحق وإقامة الدليل القاهر عليه وبطلان غيره، فلا يكون هذا من المداهنة.

(٢)-**سؤال:** هل «ما» في قوله: ﴿عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ هي نفسها التي في قوله: ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؟ أم غيرها؟ فما معناها في الموضعين؟

الجواب: محتملة في الموضعين أن تكون اسماً موصولاً، وأن تكون مصدرية، والأولى أن تكون مصدرية في الموضعين؛ لعدم الاحتياج إلى تقدير.

(٣)-**سؤال:** ما معنى «أروني» في هذه الآية؟ وما إعراب: «شركاء»؟ وأين عائد الصلة في: ﴿الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾؟

=

المشركين أين تلك الآلهة التي تزعمون أنها شركاء مع الله سبحانه وتعالى.

﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝٢٧﴾ ارتدعوا فلا شريك مع الله تعالى كما تزعمون بل هو وحده المتفرد بصفات الإلهية والكمال.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً(١) لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ۝٢٨﴾(٢) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أنه قد أرسله إلى الناس جميعاً ليبشر المؤمنين بثوابه ونعيمه الذي أعده لهم، وينذر الكافرين والمنافقين إن لم يقلعوا عما هم فيه من الكفر بالنار والعذاب الأليم.

وأخبره أيضاً أنه لم يرسله إليهم ليدخلهم في الهدى سواءً كانوا طائعين أم مكرهين، فما عليه إلا تبليغهم فقط؛ وكان قد أصاب النبي ﷺ الأسى والحزن الشديدان حين لم يستجيبوا له، وكان يخاف أن يكون ذلك بسبب تقصير منه في تبليغ رسالته، فأنزل الله سبحانه وتعالى عليه هذه الآية ليخفف من حزنه ذلك.

الجواب: معنى «أروني»: أظهروا لي شركاءكم حتى أراهم ببصري، والمراد أظهروا لي ماذا خلقوا في الأرض والسماء حتى أتحققه. «شركاء» حال من عائد الموصول، أي: الذين ألحقتموهم به حال كونها شركاء، وإذا جعلنا «أروني» قلبية فشركاء هي المفعول الثالث لأروني، والأول هو ياء المتكلم، والثاني الاسم الموصول.

(١)- **سؤال:** هل قوله: «كافة» حال من الكاف في «أرسلناك»؟ أم من «الناس»؟ وضحوا ذلك للمرشدين.

الجواب: «كافة» حال من الكاف في «أرسلناك» ولا يصح أن تكون حالاً من «الناس» لأن تقدم الحال على صاحبها المجرور بمنزلة تقدم المجرور على الجار.

(٢)- **سؤال:** يقال: مفاد قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ۝٢٨﴾ عدم علم أكثر الخلق بأن النبي ﷺ أرسل للتبشير والإنذار والظاهر من الواقع أنهم يعلمون ذلك؟ أم أن له فائدة أخرى؟

الجواب: ينزل العالم الذي لا يعمل بمقتضى علمه منزلة الجاهل؛ فيوصف بأنه جاهل أو بأنه لا يعلم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴿٢٩﴾﴾ بعدما أنذر النبي ﷺ المشركين وحذرهم عذاب الله تعالى سألوه على سبيل الهزء والسخرية هذا السؤال، فأمره الله سبحانه وتعالى أن يجيب عليهم بهذا الجواب: ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ[1] عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴿٣٠﴾﴾[2] لكم ميعاد محدد أيها المشركون يحل فيه عذاب الله عليكم فإذا حان ذلك الموعد فلن يمهلكم الله تعالى لحظة واحدة، فلا تقديم ولا تأخير عن ذلك اليوم الموعود.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْءَانِ وَلَا بِالَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ وهم مشركو قريش كانوا يقولون للنبي ﷺ هذا القول ليقنعوه بعدم إيمانهم، وأنه مهما حاول فلن يؤمنوا بما جاءهم به من القرآن أبداً، وأيضاً لن يؤمنوا بما تقدمه من الكتب.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ[3] إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾[4] فلو ترى يا محمد حالة هؤلاء المشركين يوم القيامة وهم يترادون فيما بينهم التهم، ويلقي كل واحد منهم اللوم على صاحبه.

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: «لا تستأخرون»؟

الجواب: الجملة في محل رفع صفة لميعاد، أو في محل جر صفة ليوم.

(٢)- **سؤال:** ما السر في قوله: «ولا تستقدمون» وهم عالمون أنه إذا حصل الموعد فإنهم لن يتقدموا عليه؟

الجواب: قال المشركون للنبي ﷺ: متى هذا الوعد؟ وفي سؤالهم ذلك استعجال لما وعدوا به، فكان الجواب عليهم: له موعد معلوم عند الله لا يمكن تأخيره ولا تقديمه عن وقته المعلوم، فطلبكم اليوم لتقديمه طلب ضايع.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «إذ» في هذه الآية؟ وما محل جملة «يرجع بعضهم..»؟ وأين جواب «لو»؟

الجواب: «إذ» ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ«ترى». «يرجع بعضهم» في محل نصب حال من الضمير المرفوع في موقوفون، أو خبر ثان للمبتدأ. وجيء بـ«إذ» وهي ظرف لما مضى من الزمان لتنزيل المستقبل منزلة الماضي لتحقق وقوعه. وجواب «لو» محذوف أي: لرأيت أمراً عظيماً.

(٤)-**سؤال:** يقال: ظاهر قوله: «القول» أنه مفعول ليرجع، وظاهر «يرجع» الثلاثي أنه لازم فكيف؟

=

أراد الله سبحانه وتعالى أن يصور لنبيه ﷺ فظاعة ذلك الموقف الذي سيقفونه، وسوء حالهم التي يكونون عليها ذلك اليوم.

﴿يَقُولُ(١) الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴿٣١﴾﴾ ويصور أيضاً ما يقع من الجدال بين التابعين والمتبوعين، وما يتبادلونه من اللوم فيما بينهم؛ فالتابعون يلقون باللوم على المتبوعين بأنهم السبب في عدم إيمانهم بما كانوا يخذلونهم ويمنعونهم عن الذهاب والسماع لأنبيائهم، وأنهم لو لم يقفوا في طريقهم لكانوا مؤمنين.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ(٢) جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴿٣٢﴾﴾(٣) هذا هو جواب كبارهم وزعمائهم ينفون ما ألصقوه بهم من إغوائهم، ويقررون أنهم الذين تسببوا على أنفسهم باستجابتهم

الجواب: ضمن «يرجع» الثلاثي معنى «يَرُدُّ» فتعدى تعديته.

(١)-**سؤال:** ما محل جملة «يقول» مفصلاً؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب؛ لأنها مسوقة في جواب سؤال مقدر.

(٢)-**سؤال:** ما معنى «إذ» في قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾؟

الجواب: «إذ» ظرف لما مضى من الزمان وهي ومدخولها قيد للبعدية الزمانية المطلقة، ومثلها في دخول الزمان على الزمان «حينئذ»، وقد قيل بأن «إذ» هنا بمعنى «أن» المصدرية، وهو من حيث المعنى قول وجيه.

(٣)- **سؤال:** هل في هذه الآية دليل يفحم القدرية الجبرية في قولهم بتقدير الضلال؟ فمن أي وجه؟

الجواب: فيها دليل واضح مفحم للقدرية الجبرية، وذلك من حيث أن الأتباع والرؤساء يقول بعضهم لبعض: إنه فاعل الضلال والمتسبب في حصوله، فحكى الله قولهم ذلك ولم ينكره عليهم، ولو كان قولهم باطلاً لما قررهم عليه، مع أن الحق يظهر في يوم القيامة، فلا مجال هناك لاعتقاد الدين الباطل.

لهواها وشهواتها(١).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ(٢) بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ فيرد(٣) عليهم أتباعهم بأنهم هم الذين تسببوا في ضلالهم وكفرهم بما مكروا بهم من إعمال الحيل فيهم ليل نهار حتى استطاعوا أن يتمكنوا من إغوائهم وإضلالهم.

﴿وَأَسَرُّوا(٤) النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ

---

(١)-**سؤال:** كيف ساغ للرؤساء أن ينفوا عن أنفسهم إغواء التابعين وهم قد أغووهم في الواقع؟

الجواب: ساغ لهم ذلك من حيث أن التابعين كان هواهم في الغواية وميولهم إليها والذي فعله الرؤساء هو الدعوة لهم إلى طريق الغواية وتزيينها لهم فاستجابوا لهم، ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم:٢٢]، فالأتباع كانوا في أنفسهم مجرمين كما حكى الله تعالى هنا من مراجعة بعضهم لبعض.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في إسناد المكر إلى الليل والنهار؟ وما إعراب «مكر الليل»؟ وما محل المصدر: «أن نكفر» من الإعراب؟

الجواب: يسمى هذا الإسناد بالإسناد المجازي أو المجاز العقلي، وقد أسند هنا المكر إلى الليل والنهار لوقوعه فيه، وصح ذلك للقرينة العقلية، وقوله: «مكر الليل» مبتدأ وخبره محذوف تقديره: «صدنا»، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: سبب كفرنا مكر الليل، و«أن نكفر» في تأويل مصدر مجرور بباء الجر المحذوفة.

(٣)- **سؤال:** هل ستحصل هذه المراجعة بين الأتباع والمتبوعين من أهل الضلال ولو كانوا من أهل القبلة؟

الجواب: الذي يظهر أنها تحصل المراجعة بين الأتباع والمتبوعين من أهل الضلال عموماً؛ إذ لا وجه لتخصيص البعض دون البعض؛ لأن العلة هو إظهار بطلان معاذيرهم وزيادة حسرتهم وغمهم وإظهار عدل الله تعالى في حكمه الحق يومئذ، وأهل الضلال في هذا شرع واحد.

(٤)-**سؤال:** إلامَ يرجع الضمير في ﴿وَأَسَرُّوا﴾ إلى الأتباع أم إلى المتبوعين أم إليهم جميعاً؟

الجواب: يعود إليهم جميعاً؛ لأن كلاً منهم سيندم على ما قدم من الأعمال الموجبة للنار.

كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿٣٣﴾﴾[(١)] فأخبر الله سبحانه وتعالىٰ عنهم بأنهم في الأخير سيسكتون ويستسلمون، والندم والحسرة تملآن قلوبهم، لم يبق إلا أن تسوقهم ملائكة العذاب علىٰ وجوههم إلىٰ جهنم وبئس المصير.

ثم أخبر الله تعالىٰ أن تعذيبهم لم يكن ظلماً منه لهم، بل إنه من تمام العدل والحكمة، وأنه الجزاء العادل الذي يستحقونه بسبب أعمالهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴿٣٤﴾﴾ والله سبحانه وتعالىٰ لم يرسل نبياً إلىٰ أمته إلا ويقفون في وجه دعوته، والذين يقفون في وجوه أنبيائهم هم أهل الشرف والرياسة والوجاهة وأصحاب الأموال والثروات، فهم أول من يتلقاهم بالتكذيب والرد.

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴿٣٥﴾﴾ كان هذا جوابهم جميعاً علىٰ أنبيائهم، والجدال الذي يجادلون به أنبياءهم، فيزعمون أن الله سبحانه وتعالىٰ لم ينعم عليهم بهذه النعم إلا لأنهم يستحقون ذلك، ولأنهم أهل الله، ومهما وقد أعطاهم الله في الدنيا فلا بد أن يعطيهم في الآخرة، وأنهم أكرم علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ من هؤلاء الفقراء الذين يدعون الرسالة.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ بأن يجيب علىٰ المشركين إن هم جادلوه بهذا الجواب، فيخبرهم بأن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالىٰ وحده، وأنه يبسط رزقه علىٰ من يشاء من عباده ويضيقه علىٰ من يشاء منهم، علىٰ ما تقضي به الحكمة.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: «لما رأوا»؟ وما معنىٰ «هل» في قوله: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ﴾؟ وما وجه فصلها عن سابقتها؟ وما موضع المستثنىٰ في قوله: ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾؟

الجواب: «لما» ظرفية مضمنة معنىٰ الشرط، «رأوا» جملة الشرط في محل جر بإضافة لما إليها، ومعنىٰ «هل» هنا النفي أي: لا يجزون. وفصلت لأنها مستأنفة لتأكيد ما قبلها، وجملة: ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ في محل نصب حال من «قرية».

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ۝٣٦﴾ وحكمة الله تعالىٰ هي التي اقتضت ذلك ولن تستقيم الدنيا إلا بذلك، غير أن أكثر الناس غافل عن تلك الحكمة لبعدهم عن الله سبحانه وتعالىٰ وعن شرائعه.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾[1] أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ أن يخبر المشركين بأن كثرة الأموال والأولاد ليست هي التي تقرب الناس إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وليست ميزان التقوىٰ، وإنما الأعمال الصالحة والتقوىٰ هي التي تقرب العبد إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وهذا هو الذي أراد الله سبحانه وتعالىٰ بقوله:

﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ۝٣٧﴾ فسيجازيهم الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ أعمالهم الصالحة، وعلىٰ ما صبروا في سبيل دينهم، وبما حرصوا من إرضاء ربهم أضعافاً مضاعفة.

و«الغرفات»: هي المنازل الرفيعة في الجنة.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ۝٣٨﴾ وأما الذين يسعون جهدهم في إبطال آيات الله تعالىٰ، ومحو حججه وبيناته، ويقفون في وجه الدعوة إليه فإن جزاءهم جهنم خالدين فيها أبداً، وسوف تحضرهم الزبانية إليها.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾[2] ثم أمر الله تعالىٰ

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب «زلفىٰ»؟ وكذا: «بالتي تقربكم»؟ وما نوع اسمية «زلفىٰ»؟ وهل الاستثناء منقطع أم متصل في قوله: «إلا من آمن»؟

الجواب: «زلفىٰ» مصدر مؤكد لـ«تقربكم» من نوعه، أي: تقربكم قربة، والاستثناء منقطع كما يظهر. «بالتي»: خبر «ما» مجرور لفظاً منصوب محلاً.

(٢)-**سؤال:** ما فائدة التكرير لهذه الآية: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ...﴾؟

الجواب: ذكرت هذه الآية أولاً ليرد علىٰ المشركين حين اعتقدوا أن كثرة المال والولد دليل علىٰ رضوان الله عليهم؛ إذ لو لم يكن راضياً عنهم لما أوسع عليهم بالمال والبنين. وكررت ثانياً للمؤمنين
=

نبيه ﷺ أن يخبر المشركين بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يبسط رزقه لمن يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء منهم لحكمة ومصلحة قد علمها لهم في ذلك.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ[1] شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴿٣٩﴾﴾ وما أنفق فيما يرضي الله سبحانه وتعالى من أعمال البر فإن ذلك لن يضيع عند الله تعالى وسيعوضه عن ذلك إما في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً[2].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴿٤٠﴾﴾[3] كان المشركون ينحتون أصناماً ويزعمون أنها على شكل ملك من الملائكة، ثم يعبدونها بزعمهم أنها بنات الله؛ فأخبر الله تعالى أنه سيحشرهم إليه يوم القيامة، ثم يحضر الملائكة أمامهم ويسألهم: هل كنتم تدعون هؤلاء إلى عبادتكم؟ فتجيب الملائكة على الله تعالى وتقول:

ليبين لهم أن بسط الرزق وقدره حكمة ومصلحة للمؤمنين، لا يدل على كرامة من بسط له، ولا هوان من قدر عليه رزقه، وليبني عليه الوعد الجميل للمؤمنين بإخلاف ما أنفقوا.

(١)-**سؤال:** ما السر في دخول «من» بين الفعل والمفعول؟ وهل لها ضابط محدد؟

الجواب: السر في دخول «من» هو تأكيد عموم ما دخلت عليه، ولا تدخل إلا على نكرة منفية، وهذا هو ضابط دخول «من» الزائدة.

(٢)-**سؤال:** يفهم بعض الناس أن إخلاف الرزق لا بد أن يكون في الدنيا، فبماذا يجاب عليهم؟

الجواب: وعد الله تعالى في الآية مطلق غير مقيد بوقت محدد؛ لذلك قد يكون وعد الله في الدنيا، وقد يؤخره الله تعالى في الآخرة، أي: فإن لم يعطه في الدنيا أعطاه في الآخرة.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴿٤٠﴾﴾؟ وما الشاهد فيها للنحاة؟

الجواب: اسم الإشارة مبتدأ. إياكم: ضمير نصب مفعول به ليعبدون. وجملة «كانوا» في محل رفع خبر المبتدأ. والشاهد فيه جواز تقدم خبر «كان وأخواتها» إذ تقدم المعمول «إياكم» يؤذن بجواز تقدم العامل «يعبدون».

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ[١] بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ[٢] أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾[٣] ننزهك يا الله فلسنا إلا عبيداً من عبيدك، وهؤلاء المشركون إنما كانوا يعبدون الجن والشياطين.

﴿فَالْيَوْمَ[٤] لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ يخاطب الله تعالى المشركين ومعبوداتهم من الجن والشياطين بأنهم قد أصبحوا في قبضته وتحت سيطرته، ولن يستطيعوا أن ينفعوا بعضهم البعض أي نفع.

﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ وذلك بعد ما يكون من الجدال بينهم وبين معبوداتهم، وبعدما تنقطع حججهم وأعذارهم فإن الله سبحانه وتعالى سيأمر زبانية جهنم أن تسوقهم مع آلهتهم إلى جهنم وبئس المصير.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُكُمْ﴾[٥] كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا قرأ القرآن على المشركين

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة قولهم: «من دونهم» في تقرير نفي عبادتهم للملائكة عليهم السلام؟

الجواب: الولي يقع على الموالي والموالَى فكانت «من دونهم» لنفي الموالاة بينهم وبين المشركين، أي: أنهم لم يرضوا بعبادتهم لهم، فأثبتوا الموالاة لله ونفوها عن المشركين.

(٢)-**سؤال:** هل تحققت عبادة هؤلاء المشركين للجن على أرض الواقع، أم كيف؟

الجواب: ليس هناك عبادة للجن على أرض الواقع، إلا أن المشركين لما أطاعوا الجن - «الشياطين» - حين دعوهم إلى عبادة غير الله وزينوها لهم كانت طاعتهم لهم عبادة.

(٣)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾؟

الجواب: الجملة بدل من جملة: ﴿يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ فهي في محل نصب.

(٤)-**سؤال:** ما الذي عمل في الظرف «اليوم» النصب؟

الجواب: الذي عمل فيه هو الفعل الذي بعده «يملك».

(٥)-**سؤال:** ما إعراب «بينات»؟ وما محل جملة: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ﴾؟

=

ضحكوا منه واستهزأوا به، وأشاعوا بين الناس بأنه ليس إلا رجلاً كذاباً يريد أن يضل الناس ويغويهم عن دين آبائهم وأجدادهم، محذرين للناس عن الاستماع إليه.

﴿وَقَالُوا(١) مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى﴾ ويعلنون بين الناس أن ما جاء به محمد ليس إلا كلاماً اختلقه وافتراه من عند نفسه ليضل الناس ويغويهم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ(٢) لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴿٤٣﴾﴾ ويقولون أيضاً: إن ما جاء به محمد في القرآن ليس إلا كلام السحرة والمشعوذين، ويحذرون الناس عن سماعه والإصغاء إليه.

﴿وَمَا(٣) آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴿٤٤﴾﴾ كان المشركون من قريش أميين ليس لهم كتاب مثل اليهود والنصارى، ولم يأتهم(٤) نبي من بعد إسماعيل عليه السلام إلى أن بعث الله تعالى إليهم خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

الجواب: «بينات» حال منصوب من آياتنا، وجملة: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ﴾ صفة لرجل فهي في محل رفع.

(١)-**سؤال:** ما السر في تكرير لفظة «قالوا، وقال» في هذه الآية مع تقدمها؟

الجواب: السر -والله أعلم- أن تكريرها هو للدلالة على أن المشركين استأنفوا للطعن في القرآن قولاً آخر غير ذلك القول الأول، واعتنوا في تأليفه عناية خاصة، وأخرجوه للناس، ونشروه وحده غير مضموم إلى القول الأول.

(٢)-**سؤال:** هل اللام في قوله: «للحق» على بابها؟ أم أنها بمعنى «عن» كما ورد مثلها في اللغة؟

الجواب: اللام على بابها أي: أنها للتعليل، ويصح أن تكون بمعنى «عن» أو «في».

(٣)-**سؤال:** ما علاقة هذه الآية بهذا السياق الذي فيه ذكر تكذيبهم للقرآن والنبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: العلاقة هي أن تكذيب المشركين للقرآن والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يستند إلى حجة جاءتهم من عند الله إما من كتاب أنزله الله عليهم أو من قول رسول أرسل إليهم.

(٤)-**سؤال:** يقال: كيف نجمع بين هذا وبين قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر]؟

الجواب: قد تقدم لنا الجواب على ذلك في سؤالٍ على آية (٤٦) من سورة القصص.

﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أنه قد بعث رسله وأنبياءه إلى أمم كثيرة قبل هؤلاء، فكذبوهم وردوا دعوتهم وكفروا بها.

﴿وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا(١) رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ۝٤٥﴾(٢) وكانت تلك الأمم تملك من القوة والعزة ومتاع الدنيا ما لا يقدر قدره، ولكنهم عندما كذبوا رسلهم لم ينفعهم ما هم فيه من ذلك النعيم والثراء وكثرة الأموال فعذبهم الله واستأصلهم جزاءً على كفرهم وتكذيبهم فلم ينفعهم ما هم فيه من القوة والعزة والكثرة؛ فأين قريش الذين لم يبلغوا عشر ما آتينا أولئك؟ فلا يغتروا بقوتهم وكثرتهم وعددهم وعدتهم، فقد أهلك الله سبحانه وتعالى من هم أشد منهم قوة وأكثر جمعاً.

---

(١)-**سؤال:** هل هذا تكرير فما فائدته؟ أم غير تكرير فما محله؟

الجواب: ليس ذلك بتكرير؛ لأن الأول جاء لتسلية النبي ﷺ حين كذبه قومه؛ فقد كذبت أمم كثيرة برسلها كما كذبك قومك، ولقوا مثل ما لقيت من التكذيب والاستهزاء، والتكذيب الثاني جاء لبيان أن الله تعالى أهلك المكذبين بالرسل وعذبهم عذاباً عظيماً.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾؟ وكذا: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ۝٤٥﴾ مفصلاً؟ مع ذكر نوع الاستفهام في: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ۝٤٥﴾؟

الجواب: «معشار» مفعول به، «ما» اسم موصول في محل جر بالإضافة، «آتيناهم» صلة الموصول والعائد محذوف: آتيناهم إياه. «كيف» اسم استفهام في محل نصب خبر كان مقدم، و«نكير» اسم كان مرفوع بضمة مقدرة على الراء، وهو مضاف إلى ياء المتكلم التي حذفت تخفيفاً وتركت الكسرة على الراء للدلالة عليها.

ويراد بالاستفهام هنا التعظيم والتهويل، أي: أن نكير الله –أي: عذابه– بلغ من العظمة والهول حداً لا يتصور ولا يكتنه؛ لذلك لا يزال عند الفكر مجهولاً يبحث عن كيفيته.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ(١) أَنْ تَقُومُوا(٢) لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى(٣) ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يعظ قريشاً

---

(١)- **سؤال:** ما السر في وصف هذه الموعظة بـ«واحدة»؟ وهل قوله: «ثم تتفكروا..» في جنس الواحدة؟

الجواب: وصفت الموعظة بالواحدة ليقبلوا إليها وينظروا فيها، ولئلا يتثاقلوها، ويتركوا النظر فيها والإقبال عليها؛ لكثرتها أو لتوهم كثرتها. وقوله: «ثم تتفكروا..» هو من الموعظة الواحدة أي: من توابعها التي تترتب عليها، وقد جمعت هذه الموعظة الواحدة أصول الإسلام: «أن تقوموا لله» التوحيد. «ما بصاحبكم من جنة» إثبات الرسالة للنبي ﷺ. «بين يدي عذاب شديد» الإيمان باليوم الآخر.

(٢)- **سؤال:** ما محل: «أن تقوموا» من الإعراب؟ وهل عطف «ثم تتفكروا» عليه؟ وما إعراب: «مثنى وفرادى»؟ وهل: «ما بصاحبكم من جنة» في حيز المعمولية لـ«تتفكروا» أم لا؟ وما إعراب «من جنة»؟

الجواب: محل المصدر «أن تقوموا» الجر بدلاً من «واحدة»، و«ثم تتفكروا» معطوف على «أن تقوموا» لذلك أعرب إعرابه. «مثنى» حال من فاعل «تقوموا»، و«فرادى» معطوف عليه، وليس قوله: «ما بصاحبكم» معمولاً لـ«تتفكروا»؛ لأن «ما» النافية علقت الفعل «تتفكروا» عن العمل. «من جنة» مبتدأ مؤخر مرفوع محلاً مجرور لفظاً، و«بصاحبكم» خبر مقدم.

(٣)- **سؤال:** هل يؤخذ من قوله: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ فضيلة الدعاء الجماعي؟ وكذا صحة الصلاة فرادى؟

الجواب: لم يظهر لي أن في هذه الآية مأخذاً لما ذكرتم؛ لأنها وردت في التفكر فيما يدعو إليه الرسول ﷺ من التوحيد و.. إلخ، فأرشدهم فيها أولاً أن يهيئوا أنفسهم للنظر في توحيد الله ويجتمع اثنان اثنان أو كل واحد لحاله منفرداً؛ فسيتضح لهم إذا فعلوا ذلك صحة ما يدعو إليه رسول الله ﷺ من توحيد الله و.. إلخ، ولا يجتمع أكثر من اثنين لما يحصل من التشويش على النظر إذا اجتمع أكثر من اثنين، فمن هنا لا يستدل بمثنى على استحباب الجمع في الدعاء؛ إذ لو أريد بالآية فضل الاجتماع لما قصره على اثنين اثنين.

بهذه الموعظة: وهي أن يتوجهوا إلى الله تعالى وحده، وأن يقوموا بين يديه جماعات وفرادى، ثم يتفكروا وينظروا في أمر محمد ﷺ وما جاء به، وسيعرفون صدق ما جاء به.

﴿إِنْ[1] هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ۝٤٦﴾ وستعلمون أيضاً أن الله سبحانه وتعالى لم يرسله إلا رحمة لكم لينذركم العذاب الذي قد استوجبتموه بأعمالكم، والذي قد أوشك على نزوله بكم.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ[2] مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ۝٤٧﴾ وأن يخبرهم بأنه لم يطلب منهم أجرة تعبه في دعوتهم وتبليغهم حتى يتهربوا منه، ومما جاءهم به.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ۝٤٨﴾[3] والحق هو القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى ليمحو به ظلمات الجهل والشرك والضلال. ومعنى «يقذف به»: يرمي به الباطل.

---

(١)-**سؤال:** ما السر في فصل هذه الجملة عن سابقتها؟ وبماذا تعلق الظرف ﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾؟

الجواب: فصلت الجملة لأنها مستأنفة استئنافاً بيانياً في جواب سؤال مقدر، وتعلق «بين يدي» بنذير أي: أن الإنذار لهم حصل في هذا الوقت الذي هو قبيل قيام الساعة أو يتعلق بمحذوف نعت لنذير.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾؟ وكيف يكون الأجر لهم؟

الجواب: «ما» اسم شرط جازم مفعول به ثان لسألتكم مقدم. «سألتكم» فعل وفاعل ومفعول والفعل في محل جزم. «من أجر» جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من «ما» جيء به لبيان إبهامها، وجملة «فهو لكم» في محل جزم جواب الشرط. ومعنى «فهو لكم» أن النبي ﷺ إذا سأل الأجر من أهل دعوته فإن منافع الأجر ومصالحه تكون لهم وحدهم فينتفعون بمنافعها في الدنيا وبثوابها في الآخرة، أما رسول الله ﷺ فأجره على الله.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ۝٤٨﴾؟

الجواب: يعرب خبراً ثانياً لـ«إن».

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ۝٤٩﴾[١] وأن يخبر قريشاً بأن الحق قد أقبلت دولته، وأن الباطل قد أوشك على النهاية والزوال، فالأولى بهم أن يتركوا تصميمهم ذلك على الكفر ونشره، أما آن لهم أن يعلموا أنها لن تقوم له قائمة بعد الآن، وأن يعلموا أنه قد بدأ في التناقص والاضمحلال.

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا[٢] يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ۝٥٠﴾ كان المشركون يقولون إن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ضال وجاهل وصابئ، فأمره الله تعالى أن يخبرهم بأن ضلاله على نفسه إن كان قد ضل، وأما إن كان قد اهتدى فذلك إنما هو بما أوحى الله سبحانه وتعالى إليه.

وأن يخبرهم بأن الله سبحانه وتعالى عالم بعمله وأعمالهم ومطلع عليها، وسيجازي كلاً على عمله.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ[٣] وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ۝٥١﴾ لو ترى يا محمد حالهم وأمرهم وما يكون عليهم من الفزع والذهول عندما يرون نزول العذاب وحلوله بهم، فحينها لن يستطيعوا أن يفروا أو يهربوا من الله سبحانه وتعالى.

---

(١)-**سؤال:** لو وضحتم لنا تحليل: ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ۝٤٩﴾ حتى نفهم أن معناها قرب نهاية الباطل؟

الجواب: نهاية الباطل وقربه جاء من قوله: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ وقوله: ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ۝٤٩﴾ بمعنى: وزهق الباطل فالباطل إلى زوال، والحق هو الثابت، وهو الله تعالى الذي يبدئ الخلق ويعيده، أما الباطل فلا يبدئ ولا يعيد، فلكونه كذلك فإنه إلى اضمحلال وزوال. أما قربه فهو بمعونة أول الآية.

(٢)-**سؤال:** ما معنى «الباء» في قوله: ﴿فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾؟

الجواب: الباء سببية، أي: بسبب ما يوحي إلي ربي.

(٣)-**سؤال:** أين خبر «لا» في قوله: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾؟

الجواب: خبرها محذوف، أي: فلا فوت لهم.

وقوله: ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ كناية عن سرعة أخذ الله سبحانه وتعالى لهم، وانتقامه منهم، وإحاطة قدرته بهم.

﴿وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ۝٥٢ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ عندما يرون نزول العذاب بهم، ويتيقنون أنه واقع بهم لا محالة فحينها يؤمنون به، ولكن حين لا ينفعهم الإيمان، وكيف يستطيعون أن يتناولوا الإيمان من ذلك المكان البعيد، وهم لم يتناولوه من ذلك المكان القريب في الدنيا.

أراد الله تعالى بالمكان البعيد الآخرة، وأما القريب فهو في الدنيا.

﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ۝٥٣﴾[1] وكيف يصح إيمانهم الآن وقد كانوا في الدنيا ينكرون البعث والحساب والجنة والنار، وكانوا يقولون ذلك رجماً بالغيب من عند أنفسهم، فلا دليل من كتاب أو نبي أو عقل أو نقل على كفرهم وتكذيبهم.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ وذلك في الآخرة لأنهم سيتمنون الإيمان ويشتهونه، ولكن قد أصبح بينهم وبينه حائل فلن يصلوا إليه ولن يقبل منهم.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ۝٥٤﴾[2] وحالهم كحال الذين كانوا من قبلهم على طريقتهم، فمن مات منهم فقد حال موته بينه وبين إيمانه، ولن يقبل الله سبحانه وتعالى إيمانهم لما كانوا عليه من الشك والريبة في دعوة أنبيائهم وما جاءتهم به من عند ربهم.

۞۞۞۞۞

---

(١)-**سؤال:** هل المراد بالمكان البعيد في هذه الآية الدنيا أم كيف؟ لأنه لو كان الآخرة لكان رجماً بالغيب؛ لأنهم لا ينكرونها ذلك اليوم؟

الجواب: المراد بالمكان البعيد الدنيا.

(٢)-**سؤال:** ما الذي يظهر في كون هذه الآية نهايةً لهذه السورة؟

الجواب: في الآية إيذان بانتهاء السورة وذلك من حيث إخباره بعاقبة أمر الكفار ونهايته وما صاروا إليه.

سورة فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الله سبحانه وتعالىٰ هو وحده المختص بالحمد والثناء؛ لأنه المتفرد بخلق السماوات والأرض وما بينهما، فهو الذي يستحق الحمد دون تلك المعبودات من دونه التي لا تستطيع أن تخلق شيئاً.

﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ ثم وصف نفسه بهذا الوصف لينبه عباده على نعمة هدايتهم بما قد أرسل إليهم من الملائكة التي تنزل بوحي الله سبحانه وتعالىٰ إلى الأنبياء الذين يبلغونهم رسالات ربهم، وما فيه نجاتهم وهدايتهم.

﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ①﴾[1] ثم وصف الله سبحانه وتعالىٰ هذه الملائكة بأنه قد جعل لها الأجنحة التي تحملها وتطير بها، وأنه قد جعل لبعضها جناحين اثنين وبعضها ثلاثة أجنحة وبعضها أربعة، وبعضها أكثر من ذلك وكل ذلك على حسب ما تقتضيه الحكمة.

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾[2] ثم أخبر الله سبحانه

---

(١)- **سؤال:** فضلاً لو أعربتم: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾؟ وما موضع الجملة: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾؟

الجواب: «جاعل الملائكة» صفة لله، والإضافة حقيقية لأنها بمعنى الماضي. «رسلاً» مفعول به ثان لجاعل، أو حال إذا قلنا: إن جاعل بمعنى خالق، ومذهب الكسائي هو عمل اسم الفاعل مطلقاً. «أولي» صفة لرسلاً. «مثنى» صفة لأجنحة. و«ثلاث ورباع» معطوف على مثنى. و«يزيد في الخلق...» لا محل لها من الإعراب لأنها مستأنفة.

(٢)- **سؤال:** ما معنى «ما» في قوله: «ما يفتح»؟ وما إعرابها وعملها؟ وهل «من» الداخلة على رحمة زائدة أم لا فما معناها؟

الجواب: «ما» اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به ليفتح. و«يفتح» مجزوم بها. و«من» بيانية أصلية وليست زائدة، وهي ومدخولها متعلقات بمحذوف في محل نصب على الحال من «ما»، وصح لما في «ما» من العموم والإبهام.

وتعالى أن أمر عباده بيده سواءً كان ذلك خيراً أم شراً، وأن ما أراد لهم فهو كائن ولن يستطيع أحد أن يرد ما قضاه وأمضاه، وأنه إذا أراد بسط رزقه على أحد من خلقه فلن يستطيع أحد أن يحول دون ذلك أو يرفع تلك النعمة عنه.

﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝﴾ وما أمسك على أحد من خلقه من رحمته ورزقه فلن يستطيع أحد أن يفتح له باب الخير، فإذا أمسك المطر عن أحد فلن يستطيع أحد أن ينزله لهم غيره؛ لان ذلك بيده وحده فهو القوي الغالب على كل شيء.

وكل ما يفعله الله سبحانه وتعالى من البسط والقبض وغير ذلك فإنما يكون لحكمة ومصلحة لعباده قد علمها في ذلك.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى عباده ويأمرهم بأن يتذكروا نعمه الكثيرة عليهم في أنفسهم وفي أموالهم وأولادهم ليؤدوا حق شكره فإن الإنسان إذا ذكر نعمة المنعم عليه أقبل على شكره.

ألا ترى أن من أحسن إليك وكثر إنعامه عليك فإنك ستتوجه إليه وتتحرى كل ما يرضيه وتتجنب كل ما يسخطه عليك، وتحرص أشد الحرص على ذلك؛ فكذلك الله سبحانه وتعالى فالمفترض عليكم أن تتذكروا نعمه عليكم وإحسانه إليكم في كل وقت؛ لأن ذلك سيعينكم على طاعته وفعل ما يرضيه.

﴿هَلْ[1] مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

---

(١)- **سؤال:** ماذا تعني «هل» هنا؟ وما إعراب: ﴿مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾؟ وما محل جملة ﴿يَرْزُقُكُمْ﴾؟ وما إعراب: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ۝﴾؟

الجواب: معنى «هل» هنا النفي أي: ما من خالق غير الله. و«من» حرف جر زائد، وخالق: مجرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ، وخبره محذوف أي: لكم. و«غير الله» صفة لخالق مرفوعة على محله، و«يرزقكم» في محل رفع صفة لخالق. «فأنى» اسم استفهام منصوب على الحالية أو مفعول مطلق، والتقدير: أيّ إفك تؤفكون.

كل ما هم فيه من النعم هي من الله تعالىٰ وحده، فلا خالق غير الله سبحانه وتعالىٰ، ولا إله موجود غير الله جل وعلا.

﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ۝٣﴾ فكيف تصرفون عن عبادته؟ وما هو الذي صرفكم عن عبادته إلىٰ تلك الأصنام التي لا تملك شيئاً من صفات الإلهية؟

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ۝٤﴾ ثم أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن لا يكبر في نفسه تكذيب قومه وصدهم عن دعوته فكل الأنبياء قد لاقوا نفس التكذيب من أممهم، وأن لا يحزن علىٰ ما يلاقي من قومه فمرجعهم إليه جميعاً، وسيلقون جزاء أعمالهم وكفرهم وتكذيبهم.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ يؤكد الله سبحانه وتعالىٰ صدق ما وعد به من الحساب والجزاء، ولن يخلف وعده ذلك، فليحذروا أن تغرهم الدنيا وزينتها ولذاتها وشهواتها.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ۝٥ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾(١) وحذرهم من الشيطان أن يقعوا في حبائله ومصائده، أو يستجيبوا لما يزينه لهم من الشهوات، وأمرهم أن يعدوا العدة لحربه وعداوته كما قد أعد العدة لحربهم وإغوائهم(٢).

---

(١)-**سؤال:** ما وجه تسمية الشيطان بالغرور؟ وما نوع اسمية الغرور؟

الجواب: سمي الشيطان غروراً لكثرة غروره للناس بوساوسه وخيله وخدعه، ولكثرة المغرورين. وغرور فعول من أفعلة المبالغة بمعنىٰ فاعل لا بمعنىٰ مفعول، وهو صفة مأخوذة من اسم الفاعل «غارّ».

(٢)-**سؤال:** هل يمكن أن يقال: إن الله سبحانه أراد أن يثير عندنا الحمية أو العصبية بذكره لعداوة إبليس لنا، فنقول: إن بعض الحمية أو العصبية محمود؟

الجواب: نعم، يصح ذلك والمفروض أن تكون الحمية للدين والغيرة علىٰ الحق مُثَارة عند كل مسلم، والحمية المذمومة هي الحمية للباطل والكفر.

﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ۝٦﴾ وأيضاً فهو لا يدعوكم إلا إلى ما فيه هلاككم وضياعكم، وإلى ما يتسبب في استحقاقكم العذاب في نار جهنم فاحذروه.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ تهديد من الله تعالى لمن كفر به، وصد عن دعوة أنبيائه وكذب بهم- بأنه سيجازيهم بالعذاب الشديد في نار جهنم.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ۝٧﴾ وهذا تبشير من الله سبحانه وتعالى لمن آمن به وعمل الأعمال الصالحة بأنه سيغفر لهم ذنوبهم، وسيثيبهم بأجزل الثواب وأحسنه في جنات النعيم.

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾[1] فهل يستوي ذلك الذي يفعل المعاصي من الشرك والزنا ونحو ذلك، ويظن أنه بذلك في خير العمل، هو وذلك الذي آمن بالله سبحانه وتعالى وصدق بما جاءت به أنبياؤه ورسله[2]؟

---

(١)- **سؤال:** ما النكتة في إبهام فاعل التزيين في هذه الآية؟ وهل يستفاد من الآية هذه أن صاحب العقيدة الباطلة قد يهلك ولو كان قاطعاً بعقيدته ظاناً أنها الحق؟

الجواب: أبهم الفاعل هنا لأنه لا يتعلق بذكره غرض؛ إذ الغرض هنا هو إنكار المساواة ونفيها بين المجرم والمؤمن بغض النظر عمن هو الذي أدخل المجرم في الإجرام أو تسبب في دخوله فيه. ويؤخذ من الآية: أن من اعتقد الدين الباطل فهو من الهالكين ولو قوي اعتقاده أنه على الحق، إلا أن الذي أراه وأعتقده أن نفوس المبطلين لا تطمئن ولا تسكن إلى ما يدينون به من الدين الباطل، ولا إلى ما يذهبون إليه من المذاهب الباطلة.

(٢)- **سؤال:** هل تريدون أن الخبر محذوف؛ فما الذي دل عليه؟ وأين مبتدأه؟

الجواب: «من» في قوله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ..﴾ مبتدأ وخبره محذوف أي: كالذين آمنوا... والذي دل عليه هو السياق، فإن هذه الآية جاءت بعد قوله: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ..﴾ يخاطب الله بها المشركين الذين أنكروا البعث والجزاء، ثم ساق فذكر أن جزاء الكافرين العذاب الشديد وجزاء المؤمنين المغفرة والرزق الكريم. ولما كان إنكار المشركين للبعث والجزاء يستلزم أن يكون المؤمن الذي يعمل الصالحات والمجرم الذي يرتكب الموبقات مستويان عند الله- أنكر الله تعالى عليهم ذلك الاعتقاد الذي يتساوى فيه المجرم والمؤمن، فقال: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ﴾، وقد استنكر الله تعالى على

=

أراد الله سبحانه وتعالى أنهما لا يستويان حتماً، وأن كل عاقل سيحكم عليهما بذلك، وبما يستحقه كل واحد منهما.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يحكم بين عباده المختلفين فالضال هو من حكم الله بضلاله، والمهتدي هو من حكم بهداه، أما أنتم أيها الناس فليس من حكمتم بضلاله يكون ضالاً وليس من حكمتم بهداه يكون مهتدياً(١).

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾(٢) فلا تحزن يا محمد عندما رفضوا اتباعك والإيمان بك والتصديق بدعوتك حتى تهلك نفسك بذلك.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ۝٨﴾ أراد الله سبحانه وتعالى أنه سيجازيهم على أعمالهم التي عملوها وصنعوها.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ هو تعالى وحده الذي يقدر على إرسال الرياح التي تجمع البخار الذي يتصاعد من البحار وتكثفه حتى يجتمع على شكل سحاب يحمل الماء، ثم تسوقه تلك الرياح وتسيره ليصب حيث أراد الله سبحانه وتعالى من البلاد التي

المشركين ذلك في عدة آيات فذكر الطريقين فقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ۝٣٦﴾ [القلم]، ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ۝١٨﴾ [السجدة]، ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر:٢٠].

(١)-**سؤال:** فضلاً هل من قرينة على تأويلكم هذا في الضلال والهدى؟

الجواب: الدليل هو قوله في آخر الآية: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ أي: ليس إليك يا محمد ولا إليكم أيها الناس إدخال الناس في الهدى أو الحكم بهدايتهم إنما ذلك إلى الله، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ۝٨﴾ دليل أيضاً على أن حكم الله تعالى بالضلال والهدى صادر عن علم بالأسباب التي اقتضت الحكم من الله على الضالين بالضلال.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب «حسرات»؟

الجواب: أحسن ما قيل فيها: إنها حال، ونسب إلى الزمخشري، وقيل بأنها تمييز، ونسب إلى المبرد، والله أعلم.

أصابها الجدب؛ فإذا نزل المطر على تلك البلاد أحيا أرضها بالنبات بعد أن كانت قد يبست وأجدبت.

﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ۝٩﴾ فكما أحيا الله سبحانه وتعالى الأرض بالخضرة بعد اليباس والجدب كذلك سيحيي تلك العظام التي قد يبست وتفتتت يوم القيامة.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا(١)﴾ من كان يطلب العزة والرفعة والمنعة في الدنيا فليعلم أن أمر ذلك بيد الله سبحانه وتعالى وحده فهو الذي يعز ويرفع(٢)، فمن أرادها فليطلبها من مظانها، وليفعل أسبابها وما يوجبها من طاعة الله سبحانه وتعالى وعمل ما يرضيه واجتناب ما يسخطه.

﴿إِلَيْهِ(٣) يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(٤) والكلم الطيب هو

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: «جميعاً» في الآية مفصلاً؟

الجواب: «جميعاً» حال من العزة الثانية، والعامل الجار والمجرور لما فيه من معنى الفعل. ومعنى: «جميعاً» أي: في الدنيا والآخرة.

(٢)- **سؤال:** قد نفهم أن الآية تفيد اختصاص أو استحقاق الله تبارك وتعالى بالعزة، بمعنى أنه المتعزز وحده، لا أن أمر العزة بيده سبحانه يعطيه من أراد، فمن أين نفهم ذلك؟

الجواب: فهم ذلك من قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ...﴾ أي: من كان يطلب العزة ويريدها ويسعى لها.. إلخ، و لاريب أن العزة بيد الله وحده، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ۝٢٦﴾ [آل عمران].

(٣)- **سؤال:** قد يستدل أهل الغباوة على عقيدتهم أن الله في السماء أو نحو ذلك بهذه الآية؛ فكيف يجيب عليهم المرشد بجواب مقنع؟

الجواب: لا زال يقال اليوم بين الناس: رفع فلان قضيته إلى الحاكم، ونحو: ارفع شكواك إلى المحافظ أو الرئيس، ونحو ذلك، ويقول المحافظ أو الرئيس: قد رُفِعَت قضية فلان إليّ، ولا يعني ذلك أن الرئيس أو المحافظ أو الحاكم على رأس جبل أو في السماء، وإنما يراد أن المحافظ أو الحاكم أو الرئيس له مكانة رفيعة ومنزلة عالية في السلطة، أي: رفعة وعلو معنوي لا حسي.

(٤)- **سؤال:** ما العلة في تخصيص الكلم الطيب والعمل الصالح مع أنه يرفع إلى الله العمل السيئ والكلام السيئ فكله في علمه سبحانه وتعالى؟

الجواب: صعود الكلم الطيب ورفع العمل الصالح إلى الله كناية عن قبوله والثواب عليه، والكلم =

ما طاب من الكلام من ذكر الله سبحانه وتعالىٰ والثناء عليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا الذي يتقبله الله تعالىٰ ويثيب عليه، وكذلك الأعمال الصالحة يتقبلها الله سبحانه وتعالىٰ ويجعلها في ميزان الحسنات.

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ وأما أولئك الذين يسعون بالفساد في الأرض ويعملون المعاصي والمنكرات، ويتحيلون لإبطال دين الله وشرائعه فهم من أهل عذاب الله تعالىٰ وسخطه.

﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴿١٠﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أن مكرهم ذلك لن يضره، وأن ما يكيدونه لدينه ولأوليائه سيبطله، وأن ضرر ذلك لن يكون إلا علىٰ أنفسهم(١).

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يبعث الله تعالىٰ عباده علىٰ التفكر في قدرته والتأمل في آياته، وفي نعمه عليهم، وأن ينظروا في خلقهم ليعرفوا حقارة أنفسهم، وأنهم لم يخلقوا إلا من تلك النطفة القذرة المهينة، ثم لينظروا إلىٰ تلك النطفة كيف تحولت بقدرته تعالىٰ إلىٰ إنسان سوي كامل القوىٰ.
والمراد بقوله «ثم جعلكم أزواجاً»: أي جعلكم ذكوراً وإناثاً.

الخبيث والعمل السيئ غير مقبول عند الله ولا يستحق فاعله ثواباً من الله؛ لذلك خص الكلم الطيب والعمل الصالح بالصعود والرفع إلىٰ الله.

(١)-**سؤال:** يقال: قد يصيب المؤمنين أشياء كثيرة من مكر أولئك المبطلين فكيف مع هذه الآية؟

يقال في الجواب: المراد أنه لا يتم للكافرين وأعداء الإسلام وأهله ما أرادوه ودبروه من محو الدين واجتثاثه من أصله واستئصال أهله، بل ما زال الدين ينمو ويتوسع، وما زال أهله يكثرون حتىٰ صار له كيان كبير ودولة عظمىٰ في جزيرة العرب، واندحر المشركون وفسد مكرهم وبطلت مكائدهم، هذا هو المراد، ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال:٣٦]، وليس المراد أنه لا يصيب المؤمنين أي أذىٰ إطلاقاً في سبيل الدعوة إلىٰ الله، بل المراد كما ذكرنا أن العاقبة الحسنة تكون لهم.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ(١) مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴿١١﴾﴾ وأيضاً يطلعهم الله سبحانه وتعالى على مدى علمه وإحاطته بكل شيء، وأن علمه محيط بكل ما في السماوات وما في الأرض من غير مشقة أو تعب أو بحث في تعلمه، فلا تحمل أيُّ أنثى ولا تضع حملها إلا وهو يعلم ذلك وزمانه بالدقة، وكذا يعلم أعمار طوال الأعمار ومن كان قصير العمر، فكلها بعلمه سبحانه وتعالى.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ(٢) أُجَاجٌ﴾ ومن آثار قدرته أيضاً -التي تبعث على الحيرة والدهشة والقطع بأن ذلك لا بد أن يكون بقدرة قادر لا تتناهى قدرته، وتدبير حكيم عليم دبره- ما أظهره تعالى من آيات قدرته في البحرين: أحدهما عذب بالغ العذوبة سائغ شرابه والبحر الآخر ملح شديد الملوحة فإن في ذلك آية عظيمة لمن نظر وتفكر.

﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾(٣) ثم جعل

---

(١)- **سؤال:** هل يصح أن تحمل هذه الآية على نقصان عمر الجنين نحو قوله: ﴿**وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ**﴾ [الرعد:٨]، أم لا؟ وعلام تدل إن كانت دالة على نقصان عمر الإنسان المكتوب له؟

الجواب: الذي يظهر لي -والله أعلم- أن المراد في هذه الآية أن الله تعالى عالم بعمر كل إنسان من طال عمره ومن كان عمره ناقصاً بالنسبة لطويل العمر و.. و.. إلخ، وليس المراد ما سألتم عنه.

(٢)-**سؤال:** ما نوع اسمية «ملح»؟ وهل من حقها أن تكون «مَلِح» بكسر اللام لتكون على صيغة صيغة «فَعِل»؟ أم لا؟

الجواب: الملح اسم وليس بصفة فلا تكسر لامه.

(٣)- **سؤال:** يقال: الحلي من اللؤلؤ والمرجان لا يستخرج إلا من المالح، فكيف أخبر الله تعالى أنهما يستخرجان من العذب والمالح على ظاهر الآية؟

الجواب: قد يقال: لما اجتمع البحران صح أن يقال: منهما، ومثله قوله تعالى: ﴿**يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ**﴾ [الأنعام:١٣٠]، والرسل من الإنس لا من الجن، ويمكن أن يقال: إن

=

الله سبحانه وتعالىٰ يعدد الفوائد التي جعلها لعباده في البحار، والمنافع العظيمة التي قد جعلها فيها فمن ذلك أنه جعل فيهما جميعاً اللحم الطري الذي يأكله الناس ويتلذذون بأكله، ويستخرجون منهما الحلي التي يلبسونها ويتزينون بها، نعمة من الله سبحانه وتعالىٰ أنعم بها عليهم.

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[(١)] وأيضاً سخر البحار لحمل السفن التي تسهل للناس تنقلهم في أسفارهم وتجاراتهم، وما تحمله لهم من البضائع، وكل ذلك من آيات قدرته وبالغ حكمته وعظيم نعمته. ومعنىٰ «مواخر»: المخر شق الماء بحيزومها عند سيرها.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ ومن آياته العظيمة الدالة علىٰ قدرته وعظمته آية الليل والنهار، وإدخال ساعات أحدهما في الآخر، فتارة تعتدل ساعاتهما، وتارة ترىٰ الليل يتناقص وتدخل بعض ساعاته في النهار، وتارة يكون الأمر علىٰ العكس من ذلك، وهكذا علىٰ هذا المنوال طوال السنة علىٰ ميزان دقيق لا يتخلف أو يختل إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[(٢)] ومن آياته أيضاً منازل الشمس والقمر التي جعلها الله تعالىٰ لهما ليسيرا فيها علىٰ مدار العام، فلا تتخلف أحدهما عن منازلها تلك التي قدَّرها الله سبحانه وتعالىٰ لها لحظة واحدة إلىٰ يوم

اللؤلؤ والمرجان يستخرجان من مجمع البحرين العذب والمالح.

(١)-**سؤال:** ما إعراب «مواخر»؟ وهل التعليل بقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يعود إلىٰ نعمة تسخير البحر للسفن أم إلىٰ الكل؟

الجواب: «مواخر» حال لأن الرؤية بصرية، و«لعلكم تشكرون» يعود إلىٰ نعمة تسخير البحر للسفن أي: أنه علة لقوله: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ...﴾.

(٢)-**سؤال:** ما محل الجملة الاسمية: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾؟

الجواب: الجملة في محل نصب حال من الشمس والقمر.

القيامة، وكل ذلك سخره الله سبحانه وتعالى لعباده ومنفعتهم، وإصلاح معايشهم، فإن في ذلك لآية عظيمة من آيات عظمته وقدرته وعلمه وحكمته.

﴿ذَلِكُمُ[(١)] اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ۝١٣﴾ فهو وحده الذي أنعم عليكم بهذه النعم، وهو الذي خلق لكم هذه الأشياء ودبرها وأحكمها بعلمه وقدرته، وأما تلك الآلهة التي تعبدونها من دونه فلا يملكون أي شيء.

والقطمير: هو تلك القشرة البيضاء التي تكون فوق نواة التمر. يستنكر الله تعالى هنا على المشركين لماذا يعبدون الأصنام وهم يعرفون أنها لا تملك شيئاً من ذلك، ولا حتى ما يساوي القطمير.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ فلماذا تعبدونهم، وتتوجهون إليهم وأنتم تعلمون أنكم إذا دعوتموهم لا يسمعون دعاءكم.

﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ ولو فرض أنهم سمعوا دعاءكم فلن يستطيعوا أن يلبوا مطالبكم؛ لأنهم لا يملكون شيئاً؟

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ وآلهتكم هذه يوم القيامة سوف تنكر عليكم عبادتكم لها[(٢)]، وتنفي أنها قد دعتكم إلى عبادتها، وتواجهكم بالقول بأنكم لستم إلا كذابين ومفترين على الله سبحانه وتعالى.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ۝١٤﴾[(٣)] يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

---

(١)-**سؤال:** ما السر في استخدام إشارة البعيد هنا؟

الجواب: السر هو تعظيم الله وعلو مقامه وظهور آيات عظمته ورحمته وإنعامه وإحسانه.

(٢)-**سؤال:** هل المراد الأصنام فكيف يتأتى الإنكار منها؟ أم الملائكة التي صوروا الأصنام عليها؟

الجواب: المراد الملائكة والصالحين الذين صوروهم بالأصنام.

(٣)-**سؤال:** كيف تحليل هذا التركيب: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ۝١٤﴾؟ وهل هو كناية أو مجاز أو ضرب مضرب المثل؟

=

بأنه قد جاءه بالنبأ الحق والصدق.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴿١٥﴾﴾ ينبه الله سبحانه وتعالى عباده على غناه وسعة ملكه، وإلى حاجة الخلق إليه أشد الحاجة في جميع أمورهم، وافتقارهم إليه وإلى ما عنده، ويخبرهم أنه غير محتاج لهم ولا إلى طاعتهم. ومعنى الحميد هنا: المنعم على المخلوقات حتى استحق الحمد وكان أهلاً للحمد والثناء.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴿١٧﴾﴾ وهو قادر على أن يزيلكم ويستأصلكم، ويأتي بقوم آخرين يحلون مكانكم، فلن تستطيعوا أن تمتنعوا منه إن أراد بكم ذلك، فاحذروا غضبه وتجنبوا ما يسخطه فإذهابكم واستئصالكم ليس بممتنع عليه.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾(١) فليحذر كل امرئ أن يعصي الله تعالى ويفعل ما يغضبه، فكل امرئ سيحمل وزره على ظهره، ولن يتحمل أحد ذنب أحد.

﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ وإذا كانت هناك نفس قد أثقلتها الذنوب والأوزار فلن يستطيع أحد أن يخفف عنها ثقلها ذلك أو يحمل عنها شيئاً من وزرها، ولو كان أقرب أقربائها.

الجواب: التحليل: ولا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبيرٍ به، والخبير بالأمور هو الله تعالى. والتركيب حقيقي ليس فيه مجاز ولا كناية، والمعنى: أنه لا يوجد مخبر مماثل لله تعالى يخبر بالحق والصدق، وليس ذلك مثلاً إلا أنهم أجروا ذلك مجرى المثل لما فيه من الإيجاز والبلاغة ونظير ذلك مما أجري مجرى المثل في القرآن كثير، نحو: **﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾** [البقرة:٢٨٦]، **﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾** [فاطر:٤٣]، **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴿٢﴾﴾** [الطلاق]، **﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾** [النحل:٥٣]، **﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴿٢٧٩﴾﴾** [البقرة]، ونحو ذلك من العبارات القصيرة الدالة على معان جليلة.

(١)-**سؤال:** الوازرة هي النفس المعاقبة فمم أخذ ذلك؟ وما ماضي الفعل «تزر»؟

الجواب: أخذ من مصدر «وَزَرَ يَزِرُ».

﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ[(١)] وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن مواعظه وإنذاره لن ينفع إلا أولئك الذين يخافون الله تعالى، ويخشون عذابه وسخطه، ويصدقون بوعده ووعيده، وما أخبرهم به من الأمور الغيبية، من يوم القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار، ويحافظون على إقامة فرائض الله من الصلوات وغيرها، فهؤلاء هم الذين ستنفع فيهم مواعظه، وسيتقبلون منه ما يقرأه عليهم من القرآن.

﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝١٨﴾ ومن قَبِل ما جاء به نبيه ﷺ فتطهر عن المعاصي فقد نفع نفسه، ومرجع الناس في الأخير سيكون إلى الله سبحانه وتعالى فيعاقب المسيء ويثيب المحسن.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ۝١٩﴾ شبه الله سبحانه وتعالى الكافر بالأعمى الذي لا يبصر شيئاً، ولا تستطيع أن تهديه أو تدله على الطريق مهما وصفت له، فكذلك الكافر لن تستطيع أن تدخل الهدى والدين إلى قلبه مهما حاولت فيه ومهما جئته به من الآيات والحجج، وشبه الله تعالى المؤمن بالبصير الذي إن تدله على الطريق فإنه يهتدي إليها ويسير فيها.

﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۝٢١﴾[(٢)] وكذلك شبه الله

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما موضع «بالغيب» من الإعراب؟ وما الوجه لتأويل الآية بمن ينفع فيهم الإنذار؟

الجواب: موضع «بالغيب» النصب على أنه حال من فاعل «يخشون» أو من مفعوله. والوجه في تأويل الآية بمن ينفع فيهم الإنذار: هو ما علم أن رسول الله ﷺ بلغ المشركين رسالة ربه واستمر على إنذارهم وسعى جهده في ذلك، فلما جاء الحصر في هذه الآية بقصر الإنذار على الذين يخشون ربهم بالغيب علمنا أنه قصد به الانتفاع بالإنذار.

(٢)-**سؤال:** يقال: بأن الحرور بالليل يقابل السموم بالنهار فما صحة ذلك؟ أم أنه أيضاً يطلق على شدة الحر في النهار؟ وما علة ذلك؟

الجواب: الحرور يطلق على شدة الحر، أي: على السموم، والحرور: مبالغة في الحر غلب على =

تعالى حال المؤمن والكافر بهذه الأشياء، ووجه الشبه هو التفاوت الكبير الذي بين هذين الشيئين، وما هو عليه أحدهما من الارتفاع والآخر من الانحطاط، فشبه الله المؤمن بالنور والظل(١)، والكافر بالظلمات وحرارة الشمس في القيظ.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ شبه الله سبحانه وتعالى الكافر بالميت، فكيف تستطيع أن تسمعه أو تفهمه؟ وشبه المؤمن بالحي السوي.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۝٢٢﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه سيهدي إلى دعوة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أولئك الذين تواضعوا لقبول الحق واستجابوا له(٢)؛ لأنهم هم الذين سيسمعون آياته وسيهتدون بها، وأما أولئك المشركون فهم كالأموات فكيف تستطيع أن تسمع الميت؟

﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝٢٣﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن الذي يلزمه هو الإنذار فقط، سواء قبلوا أم لم يقبلوا، فقد خلق الله سبحانه وتعالى لهم العقول وجعل لهم القدرة على التمييز والاختيار، فليختاروا ما أرادوا من الهدى والضلال، وأنه غير لازم عليه أن يدخلوا في الهدى.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أرسل الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن

السموم، وما ذكرتم من أن الحرور بالليل والسموم بالنهار هو قول معروف، وقد صدر البيضاوي التفسير بما ذكرناه ثم قال: وقيل: إن الحرور بالليل... إلخ.

(١)- **سؤال:** ما السر والعلة في الابتداء بالظل الذي هو شبه المؤمن رغم ابتداء الآيتين السابقتين بوصف الكافر؟

الجواب: ابتدأ بذكر الكافر أولاً في الآيتين السابقتين، ثم ابتدأ بذكر وصف المؤمن في جملتين، أي: أن هناك تعادل في ذلك، وسر ذلك هو تقرير وتأكيد نفي المساواة، أي: لا يستوي الكافر والمؤمن، ولا يستوي المؤمن والكافر.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم ما الوجه في هذا القيد مع أن الآية مطلقة؟

الجواب: قد تقدم ما يدل على التقييد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾.

الذي جعل فيه هداهم، وما يدلهم على طريق الحق والصواب، وأيضاً أرسل الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليبشر المؤمنين بما أعد لهم من الثواب والجزاء، وينذر العصاة والمشركين بما أعد لهم من العذاب.

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤﴾(١) اقتضت الحكمة والعدل أن لا يعذب الله تعالى أمة من الأمم إلا بعد أن يعذرهم وينذرهم ويرسل إليهم رسله ينذرونهم ويحذرونهم، ويبلغون إليهم حججه وآياته. ومعنى «خلا»: مضى.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝٢٥﴾ وقومك يا محمد إن هم كذبوك فاعلم أن كل تلك الأمم السابقة قد أرسلنا إليهم الرسل وأيدناهم بالآيات والحجج الواضحة، وأنزلنا عليهم الكتب(٢) التي فيها هدايتهم وطريق نجاتهم، ولكنهم كذبوا بأنبيائهم، وبما جاءوهم به من الشرائع والآيات وتمردوا عليهم وكفروا بهم.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٢٦﴾ وعندما أصروا على كفرهم وتكذيبهم أخذهم الله سبحانه وتعالى بعذابه الذي أبادهم واستأصلهم، ولم يبق على أحد منهم.

والاستفهام هنا بقوله: «فكيف» لتفخيم شأن عذابه الذي أخذهم به.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾؟ وكيف يتم الجمع بين هذه الآية والآيات المتقدمة التي نبهنا عليها أمثال: ﴿مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [القصص:٤٦]؟

الجواب: «إن» نافية، و«من» صلة. «أمة» مبتدأ مجرور لفظاً مرفوع محلاً، والذي سوغ الابتداء بها هو النفي والعموم. «إلا» أداة استثناء مفرغ، والجملة التي بعدها في محل رفع خبر. وأما الشطر الثاني فقد تقدم الجواب عليه في سورة القصص آية (٤٦).

(٢)- **سؤال:** هل المراد بالزبر الكتب المنزلة والصحف؟ فما السر في الإتيان بقوله: ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝٢٥﴾ بعد ذلك، وظاهر الكتاب الجنس؟

الجواب: «الكتاب المنير» التوراة، وخص بالذكر لبيان فضله.

ومعنى «نكير»: إنكاري عليهم بالاستئصال.

وقومك يا محمد إن لم يستجيبوا ويؤمنوا فسيصيبهم مثل ما أصاب تلك الأمم من قبلهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾(١) ألم تنظر إلى أثر قدرة الله سبحانه وتعالى كيف ينزل المطر من السماء بقدرته فيحيي به الأرض، وينبت به أصناف النبات والثمار المتنوعة في ألوانها وأشكالها، فمن الذي خالف بين أشكالها وألوانها تلك، وهي تسقى بماء واحد، وتنبت في أرض واحدة(٢)؟ أليس ذلك من عجيب قدرة الله تعالى ومن الآيات الدالة عليه؟

﴿وَمِنَ(٣) الْجِبَالِ جُدَدٌ(٤) بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ وكذلك من آياته الدالة

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: «مختلفاً ألوانه» وما السر في تذكير «مختلفاً»؟

الجواب: «مختلفاً» صفة لثمرات، وذكر لرفعها لفاعلها المذكر.

(٢)- **سؤال:** قد يقال بأن الاختلاف إنما جاء نتيجة لاختلاف البذر أو الشجرة المغروسة فبماذا يجاب على ذلك؟

الجواب: لا شك أن اختلاف الثمرات يكون لاختلاف البذر والشجر، إلا أن الله تعالى هو الذي أنزل الماء وأخرج به تلك الثمرات، فالله تعالى هو الذي أنزل الماء بقدرته وهو الذي أخرج الثمار المختلفة بقدرته، وليس البذر هو الذي أخرج الثمار؛ إذ لا قدرة له ولا اختيار ولا حياة.

(٣)- **سؤال:** هل الواو عاطفة فعلامَ عطف «جدد»؟ أم استئنافية، فهل «جدد» مبتدأ مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم؟ وما وجه الاستئناف فيها؟

الجواب: الواو استئنافية، ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ...﴾ مبتدأ وخبر، ووجه الاستئناف بيان آثار قدرة الله في ألوان الجبال بيض وحمر وغرابيب سود، وفيها الإشارة إلى اختلاف الطرق فمنها البيض الواضحة التي لا يضل سالكها، ومنها... إلخ. والتنبيه إلى أن طريق الحق واضحة لا التباس فيها ولا تعتيم عليها.

(٤)- **سؤال:** ما نوع اسمية «جدد»؟ وما أصل اشتقاقها حتى صارت الطرق؟ وهل يمكن أن =

عليه وعلى قدرته تلك الطرق التي جعلها لعباده في الجبال، نعمة منه تعالى أنعم بها عليهم، وفيها لهم آية حيث خالف تعالى بين ألوان الطرق التي في الجبال.

﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧﴾[1] أراد الله سبحانه وتعالى بذلك الجبال الحالكة في السواد، فهناك الجبال البيض والحمر والسود آية من آياته الدالة على قدرته وعلمه وعلى عجيب صنعته واقتداره.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ وأيضاً من آياته الدالة عليه وعلى قدرته ما جعل من المخالفة بين الناس في الشكل واللون والخلقة، وكذلك المخالفة التي جعلها بين بقية الكائنات، مما يدل على أنه لا بد أن يكون هناك مخالف خالف بينها، ومقتدر اقتدر عليها، ومدبر دبرها وأحكمها.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ثم حصر الله تعالى خشيته في أهل معرفته وهم العلماء أهل العقول التي لم تغطها ظلمات الجهل والضلال فهم وحدهم الذين يخشون الله ويعظمونه[2].

يكون معناها: جبال ذات طرائق بيض وحمر؟ أم أنها في الطرق خاصة؟

الجواب: أصل الكلام: ومن الجبال جبال ذات جُدَد، والجدد جمع جُدَّة وهي طريق في الجبل أو غيره يخالف لونها لون الجبل. اهـ(مختار الصحاح). ويقال للخطة التي على ظهر الحمار أو غيره: جُدَّة، سواء أكانت سوداء أم غير سوداء، وقد فسرنا في الكتاب ذلك تفسيراً مجملاً يؤول إلى هذا المعنى التفصيلي.

(١)-**سؤال:** هل عطف قوله: «غرابيب» على قوله: «بيض»؟ أم على قوله: «جدد»؟

الجواب: عطف «غرابيب» على قوله: «بيض» وليس على «جدد».

(٢)-**سؤال:** يقال: فكيف بالجاهل ونجاته مع هذه الآية وأمثالها، وقوله في الجنة والثواب: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝٨﴾ [البينة]؟

الجواب: المراد بالعلماء هنا من استحكمت معرفة الله في قلبه ولو كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وطريق معرفة الله تعالى ميسرة لأهل العقول، وآيات عظمته ورحمته مبثوثة في جميع الآفاق وفي

=

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ والعزيز هو القوي الغالب، والغفور هو الذي يتأنى بعباده ولا يعجل بمؤاخذتهم والانتقام منهم لعلهم يتوبون ويرجعون إليه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً(١) يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ۝٢٩﴾ فأهل هذه الصفات الذين يمتثلون لما أمرهم الله تعالى ويطبقون ما أنزله في كتابه، والمحافظون على أداء ما افترض عليهم من الصلاة والزكاة، فهؤلاء هم أهل الرجاء لما عند الله سبحانه وتعالى من الثواب(٢) العظيم والنعيم الذي لا ينقطع ولا ينفد.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٠﴾(٣) وقد كلفهم

أنفسكم، وقد رأينا وشاهدنا الكثير من العوام الذين لا يقرأون ولا يكتبون ثبتوا على الحق في كثير من الفتن العارمة، ولم يزعزعهم تيارها الجارف، ولم تحركهم عواصفها العاتية، وكم من عالم ضليع قد قتله جهله، يميل مع الفتن حيثما مالت.

(١)-**سؤال:** ما إعراب: «سراً وعلانية»؟ وما الوجه في مدح إخراجهم الواجب علانية؟

الجواب: يجوز أن ينصبان بنزع الخافض، ويجوز أن يكونا مصدرين في موضع الحال أو حالين أي: مسرين ومعلنين. ولعل الوجه في مدح علانيتهم أنهم يكونون قدوة حسنة للآخرين في ذلك، أو أنهم من أهل الإخلاص لله تبارك وتعالى، فلا يشوب علانيتهم أي شائبة من رياء أو نحو ذلك، والله أعلم.

(٢)-**سؤال:** يقال: الأصل في البوار عدم نفاق السلعة فكيف يناسب تحصيل الثواب هذا المعنى؟

الجواب: المعروف أن التجارة معرضة في الدنيا للنقص والبوار، أما تجارة المؤمنين فلا يلحقها بوار ولا نقص، والسلعة إذا بارت نقصت قيمتها وقل ثمنها بخلاف العمل الصالح.

(٣)-**سؤال:** ما الوجه في التفريق بين الزيادة والأجور نفسها؟ وهل يصح أن نطلق على الأجور نفسها أنها تفضل؟

الجواب: الوجه في التفريق هو بيان أن ما يعطيه الله تعالى يوم القيامة للمؤمنين قسمين: قسم يعطيهم إياه على أنه أجر وثواب مستحق لهم على أعمالهم، وقسم يعطيهم إياه زيادة وتفضلاً منه =

الله سبحانه وتعالى بهذه الأعمال ليعطيهم ما يستحقونه من الأجر والثواب، ويزيدهم على ذلك أضعافاً مضاعفة.

ثم وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بأنه كثير المغفرة لعباده، وأنه يعطيهم أكثر مما يستحقونه.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا(1) لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴿٣١﴾﴾ ثم أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن ما أوحى إليه من القرآن هو الدين الحق، وأنه قد أنزل ذلك القرآن مصدقاً لذلك الدين الذي جاءت به التوراة والإنجيل ومطابقاً له.

وأخبره أيضاً أن ما أوحى إليه من القرآن هو الحق الثابت الخالي من احتمال البطلان الذي لا يوجد فيه ريب ولا خرافة.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ كان بنو إسرائيل هم أهل الكتاب وأهل العلم والحكمة، وقد جعلها الله سبحانه وتعالى فيهم على مدى زمان طويل، وقد اقتضت حكمته بعد ذلك أن يصطفي قوماً غيرهم لحمل نبوته وعلمه وحكمته، وذلك لما كان حصل فيهم من التمرد والتحريف، وما كثر بينهم من الكفر والفسوق والعصيان والفساد في الأرض حتى فقدوا أهلية حمل العلم والكتاب والحكمة.

وقد اصطفى الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وجعله نبياً وأنزل معه القرآن الذي حَمَّلَه من اصطفاه من أمته، وقد اصطفى الله سبحانه وتعالى من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين

وإحساناً زائداً على أجورهم التي يستحقونها بأعمالهم. ويصح أن نطلق على الأجور المستحقة على الأعمال أنها تفضل من الله، إلا أنها وإن كانت تفضلاً منه تعالى فقد وعد المؤمنين العاملين أن يثيبهم ويجزيهم على الأعمال الصالحة. وقد قدمنا في جواب سؤالٍ تفصيل هذا فيُرجع إليه.

(١)-**سؤال:** ما إعراب «مصدقاً»؟

الجواب: حال مؤكدة.

آمنوا وصبروا على إيمانهم وثبتوا عليه، وهم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم للنصوص المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولو لم يكن إلا حديث الثقلين.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن أمة محمد بأنهم قد انقسموا وتفرقوا إلى فرق، وبدأ بذكر الذين ظلموا أنفسهم بما فعلوا من المعاصي وخالفوا أوامر الله تعالى وتجاوزوا حدوده، وذلك لأنهم الكثرة من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ أي يعمل بعلمه لنفسه، ولا ينتفع أحد بعلمه(١).

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ(٢) هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ وهم الذين يقومون بأعمال الأنبياء من الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ونشر دينه وهداية الناس، فأخبر أن أهل هذه الصفة هم الذين فازوا بالدرجات الرفيعة والثواب الأسنى في الجنة، وأنهم هم الذين اصطفاهم من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾(٣) يصف الله سبحانه وتعالى ما أعده من النعيم في الاخرة لأولئك

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما الوجه في جعل المقتصد من يعمل ولا تتجاوز منفعته غيره؟

الجواب: الوجه هو كونه مقابلاً للسابق، والسابق هو الذي يقوم بالدعوة إلى الدين وينشر تعاليمه في الناس، وعلى هذا فينبغي أن يكون المقتصد بخلافه.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم إذا كانت الإشارة بـ«ذلك» إلى السبق بالخيرات فكيف أخبر عنه بالفضل الكبير والمراد بالفضل الجنات؟ أم أن هناك محذوفاً أم كيف؟

الجواب: الإشارة هي إلى السبق بالخيرات، والسبق بالخيرات فضل كبير، و«جنات عدن» مبتدأ، وجملة «يدخلونها» خبر المبتدأ في محل رفع ويجوز أن تكون «جنات» بدلاً من الفضل الكبير تنزيلاً للمسبب منزلة السبب فإن السبق سبب لدخول الجنة فسمي باسمها.

(٣)- **سؤال:** إذا لم يكن قوله: «جنات» بدلاً فما إعرابه؟ وما محل جملة: «يدخلونها»؟ وكذا جملة: «يحلون»؟ وما معنى «من» في قوله: «من أساور»؟ وما إعرابها؟ وبم تعلق قوله: «من ذهب»؟ =

السابقين بالخيرات جزاءً على ما صبروا في الدنيا، وعلى ما ضحوا به في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى ونشر دينه، ويخبرهم بما يكون عليهم من الفرح والسرور عندما يرون ذلك الذي أعده الله سبحانه وتعالى لهم. ومعنى «الحزن»: يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا.

﴿الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾(١) وهي الجنة التي ستدوم إقامتهم فيها، وسيدوم نعيمهم فيها دون أي كلل أو ملل.

﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۝٣٥﴾(٢) عندما يرون ذلك النعيم الذي أعد لهم سيحمدون الله تعالى على أن أحلهم في ذلك النعيم الدائم الذي لا حزن معه أو هم أو منغص ينغص عليهم ذلك النعيم، ويحمدون الله سبحانه وتعالى

وعلام عطف قوله: «ولؤلؤاً»؟ وما محل جملة: «ولباسهم فيها حرير»؟

الجواب: قد سبق إعراب «جنات» و«لا يدخلونها» في جواب السؤال السابق، وجملة «يحلون فيها» في محل رفع خبر ثان لجنات عدن. «من أساور» من: للتبعيض، والجار والمجرور في محل نصب مفعول به. و«من ذهب» متعلق بمحذوف صفة لأساور، و«لؤلؤاً» معطوف على محل «من أساور». وجملة «ولباسهم فيها حرير» معطوفة على جملة «يحلون فيها» فهي في محل رفع، ويجوز أن تكون في محل نصب على الحال من نائب الفاعل لـ«يحلون»، والله أعلم.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: «الذي أحلنا»؟ وما معنى «من» في قوله: ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾؟ وما الوجه في ضم ميم المقامة؟

الجواب: «الذي» بدل من ﴿الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾، و«من» للابتداء أو للتعليل، وضُمَّ ميم المقامة لكونها مأخوذة من الرباعي أقام، وتفتح الميم إذا كان من الثلاثي، وهي اسم مكان.

(٢)-**سؤال:** ما الفرق بين النصب واللغوب؟ وما محل جملة: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾؟

الجواب: النصب هو ما يحصل من التعب والمشقة عند مزاولة الأعمال، واللغوب هو ما يعقب ذلك من الفتور والوهن، و«لا يمسنا..» في محل نصب حال من مفعول «أحلنا» الأول، ويجوز أن تكون حالاً من مفعولها الثاني.

أيضاً علىٰ ما صاروا إليه من الراحة الدائمة التي لا تعب معها أو نصب ينغصها. ومعنىٰ «لغوب»: فتور ووهن.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا(١) وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ ثم وصف الله سبحانه وتعالىٰ ما أعده للذين كفروا من العذاب الدائم الذي لا يموتون معه، أو يخفف عنهم من شدته.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ۝٣٦﴾ ومثل هذا الجزاء سيجازىٰ كل من كفر بالله تعالىٰ، وكذب برسله وصد عن دعوتهم.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا(٢) أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ وهم خلال تلك الشدة التي هم فيها يصرخون بأشد الصياح وينادون الله تعالىٰ، ويتضرعون إليه بأن يخرجهم من تلك الشدة وذلك العذاب؛ ليعملوا الأعمال الصالحة، ويعوضوا أعمارهم تلك التي ضيعوها في المعاصي والضلال، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ يجيب عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَا(٣) يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ

---

(١)- **سؤال:** ما السر في حذف نون الفعل المضارع «فيموتوا»؟ وهل القضاء نفس الموت فكيف يجعل علة له؟ أم له مدلول آخر فما هو؟

الجواب: حذفت نون «فيموتوا» لأن الفعل منصوب بأن مضمرة بعد الفاء المسبوقة بالنفي. والقضاء هو الحكم عليهم بالموت فصح أن يكون علة للموت.

(٢)- **سؤال:** ما محل هذا الاسم وما بعده من الإعراب؟ وعلام جزم قوله: «نعمل»؟ وما إعراب: «صالحاً غير الذي كنا نعمل»؟

الجواب: محل «ربنا» وما بعده النصب مقول قول محذوف. وجزم «نعمل» في جواب الأمر. و«صالحاً غير» صفتان لمصدر محذوف أو لمفعول به محذوف.

(٣)- **سؤال:** ما نوع الاستفهام في الآية؟ وما إعراب: ﴿مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾؟ وما الوجه في الإبهام في «ما»؟

الجواب: يقال: هذا الاستفهام هو الاستفهام الإنكاري، ويصح أن يقال فيه: إنه استفهام تقريري =

وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ[١] فَذُوقُوا[٢] فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴿٣٧﴾﴾ يخبرهم بأنه قد في الدنيا بالأعمار الطويلة وأعطاهم الفرصة التي يتمكنون فيها من الأعمال الصالحة، وقد أرسل إليهم الرسل، وأنزل لهم الآيات والحجج التي تنير لهم طريق الحق والهدى وتدلهم عليه، وأمدهم بالألطاف، وأنعم عليهم بالنعم العظيمة، ولكنهم أعرضوا عن كل ذلك، واستكبروا عن الإذعان والقبول للحق، وبعد كل ذلك الإعذار والإنذار لم يبق لهم أي عذر، وقد استأهلوا ما هم فيه من العذاب ولا مخرج لهم منه.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴿٣٨﴾﴾ فهو وحده المختص بعلم الغيب وما خفي في السماوات والأرض، وكذلك عالم بما اشتملت عليه الضمائر وعقدت عليه النفوس من النيات، فليحذر كل امرئ ربه في سره وعلانيته، وليراقب نفسه؛ فالحكم الله، والموعد القيامة، وإلى الله ترجع الأمور.

﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَايِفَ فِى الْأَرْضِ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن

لما بعد النفي. و«ما» نكرة موصوفة بمعنى «وقتاً» فهي منصوبة على الظرفية، أو بمعنى المصدر أي: تعميراً يتذكر فيه من تذكر، وجملة «يتذكر فيه من تذكر» في محل نصب صفة لـ«ما»، والوجه في إبهام «ما» هو من أجل أن يصدق على كل عمر يمكن فيه التذكر.

(١)-**سؤال:** ما صحة الأثر أن المقصود بالنذير الشيب؟

الجواب: الشيب وإن كان منبهاً للمرء على اقتراب أجله ونذيراً له من غفلته إلا أنه لا يصح تفسير النذير هنا بالشيب لما جاء في آيات كثيرة من أن الله تعالى يحتج على الكافرين يوم القيامة بأنه قد أرسل إليهم الرسل لينذروهم عذاب الله يوم القيامة كقوله تعالى: **﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ...﴾** [الملك]،

(٢)-**سؤال:** ما السر في الإتيان بقوله: «فذوقوا» على صيغة الأمر؟

الجواب: السر بالمجيء بصيغة الأمر هنا هو الإهانة، فإن مخاطبتهم بالأمر «فذوقوا» مما يزيد في إهانتهم وزيادة حسرتهم وحزنهم.

حكمته اقتضت أن يجعل الناس يخلف بعضهم بعضاً، وأن يعمروا الدنيا جيلاً بعد جيل إلىٰ يوم القيامة، وحكمته تلك هي ما يترتب علىٰ ذلك من غرض التكليف، وما يحمِّلُهم من الشرائع والأحكام والأديان.

﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴿٣٩﴾﴾(١) فمن كفر بالله سبحانه وتعالىٰ وبأنبيائه وما أنزله من شرائعه وأحكامه فإن وبال كفره علىٰ نفسه، ولن يضر بكفره ذلك إلا نفسه، وأما الله تعالىٰ فهو غير محتاج إلىٰ طاعتهم ولن يضره كفرهم، وإنما سيزيدهم عنده مقتاً وبعداً، وسيضاعف لهم العذاب كلما ازدادوا كفراً. ومعنىٰ «مقتاً»: بغضاً، والمقت أشد البغض.

وكما ذكرنا لم يخلق الله سبحانه وتعالىٰ عباده إلا لغرض وحكمة عظيمة وهي التكليف، وما يترتب عليه من الثواب والجزاء، غير أن أكثر الناس كانوا كلما أرسل الله سبحانه وتعالىٰ إليهم نبياً كفروا به، وتمردوا عليه، فيعذبهم الله تعالىٰ بسبب ذلك، ويستخلف قوماً غيرهم ثم يرسل إليهم رسله كذلك، وهكذا كلما كذب قوم دمرهم وأتىٰ بقوم غيرهم.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾(٢) ثم أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يسأل المشركين بأن يخبروه

(١)-**سؤال:** ما إعراب: «خساراً»؟ وما نوع اسميته؟

الجواب: «خساراً» مفعول به ثان، وهو مصدر بمعنىٰ الهلاك.

(٢)-**سؤال:** هل قوله: «أروني» كالتأكيد لقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ﴾؟ إن كان فما فائدته؟ وما إعراب: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾؟

الجواب: «أروني..» بدل من «أرايتم شركاءكم» فكلاهما بمعنىٰ «أخبروني»، وفائدته التقرير والتوكيد. «ماذا خلقوا من الأرض» ماذا: اسم استفهام مفعول به لخلقوا، «من الأرض» متعلق بمحذوف حال مبينة لإبهام «ماذا».

عن أصنامهم تلك التي يعبدونها من دون الله هل خلقت شيئاً من هذه الأشياء التي يرونها في الأرض حتى يعبدوها من دون الله؟ وماذا فعلت لهم حتى قدسوها وعبدوها؟

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾[(١)] وأن يسألهم مرة أخرى بأن يخبروه: هل لتلك الأصنام نصيب في ملك السماوات والأرض حتى يعبدوها من دون الله سبحانه وتعالى؟

﴿أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ﴾ وأن يسألهم ثالثة بأن يخبروه: هل هناك كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى عليهم أو رسول أرسله إليهم يأمرهم بعبادة تلك الأصنام؟ أو هل يملكون أي دليل أو حجة على شركهم وعبادتهم لها؟

ثم أجاب الله سبحانه وتعالى عن تلك التساؤلات بالنفي[(٢)] الذي لن يجد المشركون جواباً غيره فقال: ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ۝٤٠﴾ فلن يستطيع المشركون أن يحتجوا لآلهتهم تلك، وشركُهم ذلك إنما هو مبني على الأباطيل والوعود الكاذبة والأماني الباطلة التي يتمنونها فيما بينهم، ويمني بعضهم بعضاً بها من أنهم على الدين الحق وثابتون على دين الآباء والأجداد وإنكار البعث والحساب، وأن ما جاء به محمد ليس إلا كلاماً مفترى من عند نفسه، وليس إلا ساحراً أو مجنوناً، وغير ذلك مما كانوا يتواصون به فيما بينهم ويغر بعضهم بعضاً به، يقولون كل ذلك رجماً بالغيب فلا دليل ولا حجة لهم في شيء من ذلك كله.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما معنى «أم» هنا؟ إن كانت المعادلة فماذا عادلت؟ وما هو ضابطها؟

الجواب: أم هذه للإضراب وليست المعادلة كما يظهر.

(٢)-**سؤال:** هل نفهم النفي هذا من الجواب بـ«بل» فكيف؟ وما معنى «إن» في قوله: «إن يعد»؟ وما عملها؟ وما إعراب: «بعضهم» و«غروراً»؟

الجواب: فهم النفي من «إن» النافية، وليس لها عمل هنا. و«بعضهم»: بدل من الظالمون. وغروراً: صفة لمصدر محذوف، أي: إلا وعداً باطلاً.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾(١) ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ المشركين بأنه وحده القادر علىٰ تدبير أمر السماوات والأرض، وهو الذي أمسك السماوات والأرض وما فيهما، وحفظهما بقدرته، لا تلك الأحجار التي يعبدونها ويدعون إلهيتها.

﴿وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾(٢) ولو فرضنا واختل نظامها وتهاوت أجرامها فأي قدرة ستستطيع أن تمسكها غير قدرة الله سبحانه وتعالىٰ؟ وماذا ستفعل تلك الأصنام لو حصل شيء من ذلك؟

﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴿٤١﴾﴾ غير أن الله تعالىٰ قد حلم عن المشركين والعاصين وتأنىٰ بهم فلم يعجل بعقوبتهم وإنزال عذابه بهم.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾(٣) هؤلاء هم المشركون كانوا يحلفون بأبلغ الأيمان وأغلظها أن الله سبحانه وتعالىٰ لو يرسل إليهم نبياً يدعوهم لاستجابوا له ولكانوا أهدىٰ من اليهود أو النصارىٰ، ولتمسكوا بدينهم أشد التمسك.

---

(١)-**سؤال:** ما موضع «أن تزولا» من الإعراب؟

الجواب: موضعه النصب علىٰ نزع الخافض أو الجر بمن مقدرة.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب كل من «ولئن»، «إن أمسكهما»، «من أحد»؟ وما محل جملة: «إن أمسكهما»؟

الجواب: «لئن» اللام موطئة للقسم، وإن شرطية. «إن أمسكهما» إن: نافية، أمسكهما: فعل ماض والضمير مفعول به. «من أحد» من صلة وأحد فاعل مرفوع محلاً مجرور لفظاً.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب «جهد أيمانهم»؟

الجواب: «جهد أيمانهم» جهد: مفعول مطلق مضاف إلىٰ أيمانهم.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا۝ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾(١) فلما أرسل الله تعالى إليهم محمداً ﷺ لم يزدهم ذلك إلا بعداً عن الحق ونفوراً عنه، ولم يزدهم ذلك إلا توغلاً في الشرك والضلال، وتكبراً على الله سبحانه وتعالى وأنبيائه، واستكباراً عن قبول الحق، فبدلاً من أن يتبعوا محمداً ﷺ ويستجيبوا له قاموا يحيكون المؤامرات ضده، ويدبرون الحيل والمكائد لإبطال دينه ودعوته.

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم لن يضروا بمكرهم ذلك دينه أو نبيه ﷺ، وإنما سيضرون أنفسهم، ووباله سيعود عليهم، وسيدمرهم الله سبحانه وتعالى بسبب ذلك ويعذبهم ويهلكهم.

ومعنى «لا يحيق»: لا يحيط.

﴿فَهَلْ(٢) يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا۝﴾ وأنه سيحيق بهم ما قد حاق بمن سبقهم من الهلاك والدمار، فلا ينتظر هؤلاء المشركون أو يفكرون في أنهم سيظهرون على النبي ﷺ أو سينتصرون عليه؛ لأن سنة الله سبحانه وتعالى قد جرت بإهلاك وتعذيب من قام في وجه دعوة أنبيائه وصد عنها، وأن هذه هي سنته في الأولين والآخرين فلن تتغير أو تتبدل.

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب «ما زادهم إلا نفوراً استكباراً في الأرض، ومكر السيئ» مفصلاً فهي تشكل على الكثير منا؟ وما هو السيئ الذي أضيف المكر إليه؟

الجواب: «ما زادهم» ما: نافية، وزادهم: فعل ومفعول وفاعله ضمير نذير، ونفوراً: مفعول به. و«استكباراً» مفعول من أجله أو بدل من «نفوراً». و«مكر السيئ»: أصل هذا من إضافة الموصوف إلى صفته وأصله المكر السيئ، ودليل هذا قوله بعد هذا: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾. ووصف المكر بالسيئ من باب الصفة المؤكدة، وإذا كان المكر سيئاً وحسناً فالصفة للتخصيص.

(٢)-**سؤال:** ما معنى «هل» في هذه الآية؟

الجواب: «هل» للنفي هنا ودليله الاستثناء.

وفعلاً فقد أهلك الله تعالىٰ المشركين وانتصر نبيه ﷺ وظهر دينه علىٰ شركهم وباطلهم بعد أن قُتِل أولئك الذين وقفوا في وجه دعوته وصدوا عنها.

﴿أَوَلَمْ(١) يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ المشركين غفلتهم تلك وتمردهم وعنادهم، وكأنهم لم يعرفوا كيف كانت عاقبة أولئك الذين كانوا يتمردون علىٰ أنبيائهم؟ وكيف دمرهم الله تعالىٰ وعذبهم واستأصلهم بسبب ذلك؟

وذلك أن المشركين كانوا يمرون في طريق أسفارهم وتجارتهم علىٰ قرىٰ تلك الأمم المهلكة ومساكنهم، كقرىٰ قوم لوط وعلىٰ ديار عاد، وعلىٰ مدائن شعيب، ويرون آثارهم، وكانوا يعرفون أيضاً ما كان سبب تدميرهم وتعذيبهم بما كانوا يسمعون من أخبارهم، ويتتبعون من آثارهم، ولكنهم لم يعتبروا بهم، ولم يحذروا أن يحل بهم مثل ما قد حل بتلك الأمم من قبلهم.

﴿وَكَانُوا(٢) أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فقد أهلكهم الله تعالىٰ ودمرهم وهم أشد قوة من قريش، وأعظم بطشاً، وأكثر جمعاً منهم، فلا يستبعدوا أن يحل بهم مثل ما حل بأولئك القوم.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ(٣) مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴿٤٤﴾﴾ فلا يظن أولئك المشركون أنهم سيعجزون الله سبحانه وتعالىٰ أو أنهم

---

(١)-**سؤال:** ظاهر الاستفهام أنه هنا للتقرير طبقاً للضابط الذي قدمتموه، أم أنكم ترون صلاحه للاستنكار ويكون المستنكر عدم السير والنظر في عاقبة الذين من قبلهم؟

الجواب: الاستفهام للاستنكار، أو لتقرير ما بعد النفي.

(٢)-**سؤال:** هل هذه الواو عاطفة؟ فعلام عطفت الجملة بعدها؟ أم غير عاطفة فما معناها؟

الجواب: الواو للحال وليست عاطفة.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: «ليعجزه من شيء»؟

الجواب: اللام هذه تسمى لام الجحود أي لام النفي، وتأتي بعد كون ماض منفي لتقويته وتأكيده، وأن المصدرية مضمرة بعدها وجوباً. ويعجزه: منصوب بها والضمير مفعول به. ومن شيء: فاعل مجرور لفظاً مرفوع محلاً.

سيستطيعون أن يفروا من تحت قبضته.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا[(١)] كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[(٢)] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حلمه بهم ورحمته لهم فلو أنه يؤاخذهم بذنوبهم لما ترك على وجه الأرض مخلوقاً[(٣)]، ولأهلكهم الله تعالى جميعاً، ولكنه قد حلم عنهم وتأنى بهم لعلهم يرجعون إليه، ويقلعون عما هم فيه، فقد اقتضت حكمته أن يؤخر تعذيبهم إلى يوم القيامة.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴿٤٥﴾﴾ وإذا حل ذلك اليوم الذي قد جعله موعدهم فسيجازي كل امرئ على حسب استحقاقه وعمله، فهو عالم بعباده ومحص لجميع أعمالهم ولا يضيع عنده شيء.



---

(١)-**سؤال:** ما الراجح في «ما» هذه؟ هل الموصولية أو المصدرية؟

الجواب: الراجح المصدرية.

(٢)-**سؤال:** يقال: هل هذه في المشركين خاصة أم في الناس عامة حتى من أسلم منهم؟

الجواب: الآية عامة كما هو ظاهر العموم، فتتناول جميع العصاة من الكافرين والمسلمين.

(٣)- **سؤال:** يقال: فكيف بالأنبياء؟ وأولياء الله الصالحين فلا زال يشكل على الكثير قوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ فلو وضحتموه أعلى الله مقامكم؟ وأيضاً كيف يسوغ هلاك الدواب من الحيوانات وغيرها بذنوب الناس؟

الجواب: أنبياء الله وعباده الصالحون مخصوصون من ذلك بدليل ما جرت عليه سنة الله من أنه تعالى إذا أهلك المجرمين بمجيء العذاب نَجَّى من الهلاك عباده المؤمنين، ومن تاب من العصاة نجاه الله تعالى من الهلاك بدليل: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ..﴾ [يونس:٩٨]، وخَلْقُ الله تعالى للدواب إنما هو لمصلحة المكلفين بدليل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩]، فإذا أهلك الله المكلفين لم يكن لوجودها حكمة ومصلحة فأهلكها الله تعالى لذلك، ألا ترى أن الله تعالى لما أهلك قوم نوح أهلك معهم دواب الأرض إلا ما أمر نوح بحمله معه في السفينة.

سورة يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يس۝ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ۝﴾ كان المشركون ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وينسبونه إلى الكذب والافتراء على الله سبحانه وتعالى؛ فأقسم الله سبحانه وتعالى بـ«يس» وبالقرآن الحكيم الذي أحكمت آياته بأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نبي صادق مرسل من عنده. والمراد بـ«يس» هو مثل المراد بـ«ألم، وحم».

﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ۝﴾ وأنه على الدين الحق وعلى الطريق القويم غير مائل عنه أو زائغ.

﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ۝﴾ وأن ما جاء به من القرآن منزل من عند الله العزيز الرحيم، وأنه قد أنزله رحمة بعباده لينقذهم به من ظلمات الشرك والضلال والجهل إلى نور الحق والهدى[1].

﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا﴾ وقد أرسلك الله سبحانه وتعالى يا محمد، وأوحى إليك بالقرآن لتنذر قريشاً وغيرهم.

﴿مَا أُنْذِرَ ءَابَاؤُهُمْ﴾[2] وأخبره الله تعالى بأنه لم يكن قد أرسل نبياً قبله قط لا

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر كلامكم على رفع قوله «تنزيل» كما هي قراءة نافع، وعلى نصبه بقراءة حفص ما يكون إعرابه؟ وما ينبني عليه من معنى؟

الجواب: الرفع على تقدير مبتدأ، أي: هو تنزيل، وقراءة النصب على تقدير فعل، أي: أعني أو أمدح. ولا يظهر لي أن هناك فرقاً في المعنى بين القراءتين فكلاهما يفيد المدح.

(٢)- **سؤال:** يقال: كيف يجمع بين هذا وبين قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ۝﴾ [فاطر]، والمعذرة على تكرر هذا السؤال إلا أنه مفيد في هذا الموضع؟

الجواب: قد كانت قريش على دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ولم يكن دينهما قد انطمس وقد كان آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على دين إبراهيم لا يعبدون الأصنام ولا يستقسمون بالأزلام، فإبراهيم وإسماعيل هما حجة الله تعالى على قريش وهما نذير قريش، ولو أنهم نظروا لأنفسهم لاستنقذوها

=

إليهم ولا إلى آبائهم وأجدادهم من قبلهم.

﴿فَهُمْ غَافِلُونَ۝٦﴾[(١)] فهم غافلون عن شرائع السماء وعن الكتب والأديان، وأنت أول نبي إلى قريش، فلم يروا نبياً من عهد إسماعيل وإبراهيم، وقد مضى على ذلك العهد مئات السنين.

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝٧﴾[(٢)] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن أكثر قريش قد حق عليهم العذاب وقد استوجبوه، فلا يتوقع منهم الإيمان بعد الآن فلن يؤمنوا أبداً.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ۝٨﴾ مَثَلٌ ضربه الله سبحانه وتعالى ليشبه حال المشركين في عدم نفاذ الدعوة إليهم وعدم رغبتهم في التخلص من شركهم وضلالهم بمن غلت يداه إلى عنقه وأحكم غله، وصار وجهه مرفوعاً إلى السماء بسبب إحكام الغل، فمن كان في هذه الحالة فلا

من الضلال والشرك؛ لوجود دين إبراهيم بين أظهرهم ممثلاً في آباء النبي ﷺ وفي غيرهم كقس بن ساعدة. وحينئذ فالمراد بقوله: ﴿مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: لم يأتهم نبي من بعد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى أن بعثك الله إليهم نذيراً أي: أن ما بين مبعثك وبين إسماعيل وإبراهيم فترة طويلة لم يبعث الله فيها نذيراً إليهم، إلا أن حجة الله قائمة عليهم في تلك الفترة الطويلة كما ذكرنا.

(١)-**سؤال:** ما الوجه في عطف الجملة الاسمية «فهم غافلون» على الفعلية قبلها؟

الجواب: لا يلزم مراعاة التناسب بين الجمل المتعاطفة بالفاء.

(٢)-**سؤال:** إذا قيل بأن استيجابهم للعذاب مؤثر في عدم إيمانهم لإفادة الفاء التعقيب والسببية في قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝٧﴾ فبماذا يجاب عليهم؟

الجواب: التوغل في الفسوق والتمرد على الله سبب في عدم التوفيق للتوبة بدليل: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ۝٧٧﴾ [التوبة]، فقوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝٧﴾ هو مسبب وناتج عن توغلهم في الكفر والفسوق والعصيان، وليس عن إخبار الله باستيجابهم للعذاب، فإخبار الله تعالى بذلك إنما هو بسبب ما ذكرنا من توغلهم في الكفر والفسوق.

يتأتى منه السير على طريق الهدى[1].

ثم شبههم الله سبحانه وتعالى بصورة ثانية فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ۝٩ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝١٠﴾[2] أراد الله سبحانه وتعالى هنا أن يقنع نبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعدم إيمان قريش، وعدم استجابتهم لدعوته مهما حاول فيهم، وأنه مهما وعظهم وذكرهم فلن ينتفعوا أو يهتدوا بمواعظه وتذكيره لهم، وذلك أن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان طامعاً في إيمانهم، وقد أجهد نفسه في ملاحقتهم ولكن دون أي فائدة وكاد أن يهلك نفسه في سبيل ذلك.

---

(١)- **سؤال:** قد يقال في هذا وفي الذي بعده: ما وجه إسناد الجعل إلى الله تعالى؟ وكذلك التغشية وهي موهمة ولا سيما على الجاهل؟ وأيضاً ما هي القرائن والدلائل على أنه مَثَلٌ ليس إلا؟ وهل يشترط في القرينة أن تكون في نفس السياق أم لا وضحوا ذلك رفع الله شأنكم وأدامكم ذخراً للإسلام والمسلمين؟

الجواب: ساغ إسناد الجعل والتغشية إلى الله بما فعله تعالى من سلب الألطاف والتوفيق والتنوير، وكلما ازداد المجرم توغلاً في إجرامه ضعفت أنوار بصيرته حتى يكون ظلام الكفر والإجرام هو المسيطر فلا يدرك حينئذ العقل الهدى، وصار حاله كحال من غلت يداه إلى عنقه فارتفع وجهه إلى السماء بسبب الغل، فإنه في هذه الحالة لا يمكنه رؤية الطريق ولا يتأتى منه المضي فيها. والدليل على أن هذا مَثَلٌ أي مجاز مركب: أن المعنى الحقيقي منتف عن المشركين الذين وصفوا بهذا المثل فلا أغلال ولا إقماح ولا سدود ولا غواش، فالقرينة عقلية، والعلاقة هي حصول المانع من إدراك الهدى، وهي في المشبه معنوية وفي المشبه به حسية.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝١٠﴾؟ وما محل جملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ۝١٠﴾؟

الجواب: «سواء» خبر مقدم، و«أأنذرتهم أم لم تنذرهم» في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، والتقدير: الإنذار وعدمه سواء عليهم، وهذا من المواضع التي يقدر فيها الفعل بالمصدر من غير حرف مصدري، ومن ذلك: «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه». «لا يؤمنون» لا محل لها من الإعراب، مؤكدة لجملة المبتدأ والخبر لأن معنى الجملتين متحد.

وقد شبه الله تعالىٰ حال أولئك القوم بحال من قد ضرب عليهم بسد وحاجز من أمامهم ومن خلفهم، فلا يستطيع أحد أن يسمعهم الخطاب، وأيضاً شبههم في عدم اهتدائهم واستجابتهم للنبي ﷺ كمثل الذي قد غُطِيَ علىٰ عينيه فهو يتخبط ولا يستطيع أن يهتدي إلىٰ طريق أبداً، ومهما وصفت له الطريق فلن يهتدي إليها.

﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴿١١﴾﴾[1] إنه لن ينتفع بتذكيرك ومواعظك إلا أولئك الذين اتبعوك وآمنوا بالقرآن، وصدقوا ما أخبرتهم به من الأمور الغيبية كيوم القيامة والحساب والجزاء، وهم الذين يخشون الله تعالىٰ إذا ذكروه، ويخافون غضبه وسخطه وعقابه.

وقد أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ أيضاً أن يبشر هؤلاء الذين آمنوا به، وصدقوا ما جاء به بأن الله سبحانه وتعالىٰ سيغفر لهم ذنوبهم يوم القيامة، ويجزل لهم الثواب العظيم والنعيم الدائم الذي لا ينقطع.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ[2] وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي

---

(١)- **سؤال:** قد يستدل بهذه الآية علىٰ أنه لم يجب علىٰ النبي إنذار من لم يتبع القرآن ويستجب للذكرىٰ أو لم يظن فيه تأثير الذكرىٰ فكيف ذلك؟ وهل يمكن أن يكون دليلاً علىٰ سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا لم يظن المؤمن التأثير أم لا؟

الجواب: معنىٰ «إنما تنذر»: إنما ينتفع بإنذارك بدليل المقابلة بين أهل هذه الآية وبين الكافرين الموصوفين قبل هذه الآية، وحينئذ فلا تدل الآية عن سقوط الإنذار علىٰ النبي ﷺ كيف وقد قال الله تعالىٰ: ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴿٥﴾ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ ءَابَاؤُهُمْ...﴾ الآيات.

(٢)- **سؤال:** ما وجه التأويل بالمجاز لقوله: «إنا نحن نحيي الموتىٰ»؟ وهل يصح أن تحمل الآية علىٰ إحياء الموتىٰ حقيقة لمناسبتها لقوله: «نكتب ما قدموا وآثارهم»؟

الجواب: سياق ما قبل هذه الآية يفيد أن النبي ﷺ كان يبالغ في السعي إلىٰ هداية قومه جاداً جد من يرجو إسلامهم ويتوقع إيمانهم، فأخبر الله تعالىٰ بأن مبالغته وجده في ذلك لا يؤثر فيهم ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ فليس في قدرتك يا رسول الله أن تدخلهم في الهدىٰ، ثم جاءت هذه

=

﴿إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ لن يقدر على إحياء الموتى إلا الله سبحانه وتعالى وحده، فهو قادر على أن يدخلهم في الإيمان، ويلجئهم إليه لولا حكمة التكليف التي اقتضت تركهم إلى اختيارهم، وعدم إجبارهم على الهدى، وإكراههم على الدخول فيه؛ لأن الأمر لو كان كذلك لبطل الغرض من التكليف الذي هو استحقاق الثواب والعقاب، وهذا ما لا يريده الله سبحانه وتعالى.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن ما عملوا من الأعمال السيئة، وما ترتب عليها ولحق بها فهو في علمه(١)، ولن يضيع عنده شيء، وسيجازيهم على كل صغيرة وكبيرة. والمراد بـ«آثارهم»: ما سنوا من سيئات يعمل بها بعدهم.

الآية لتدل على أن الله تعالى وحده هو القادر على أن يضطرهم إلى الدخول في الهدى، فعلى هذا فالسياق هو القرينة الدالة على إرادة المجاز.

وبعد، فقد كثر في القرآن استعمال الموت والحياة في الكفر والإسلام **﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾** [الأنعام:١٢٢]، **﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾** [فاطر].

(١)- **سؤال:** إذا قلنا بأن تأويل: «إمام مبين» علم الله وحفظه، فما قرينة هذا التأويل؟ وممن نأخذ ذلك؟ وهل يصح أن يحمل على حقيقة الكتب والتسجيل كما مر لكم حفظكم الله في سورة الإسراء وغيرها؟

الجواب: الظاهر في تسجيل الحفظة لأعمال بني آدم أنه حقيقة، والمصلحة والحكمة فيه تعود إلى المكلفين من الناس؛ لأن المكلف إذا علم أن عنده رقيباً يحفظ أعماله ويحصيها ويكتبها صغيرها وكبيرها حتى الكلمة والنظرة... احتاط لنفسه وتحرز عن الوقوع في المأثم وإن صغر، ويكون ما سجله الحفظة وثيقة شاهدة على أعمال المكلف إذا أنكر، وفيها حكمة أخرى وهي إظهار عدل الله فيما حكم به على كل مكلف حين تعلن صحيفته يوم القيامة، وقد مر لنا جواب في ذلك، هذا وقد يكون التوثيق والتسجيل بتسجيل الصوت والصورة، ويدل على ذلك قوله تعالى: **﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [النور]، **﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [يس]، والله أعلم.

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ[1] جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ۝١٣﴾ أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ أن يقص علىٰ قريش قصة أهل القرية الذين أرسل إليهم رسله وكيف أهلكهم الله تعالىٰ ودمرهم بالصيحة جميعاً عندما كذبوا وتمردوا عليهم، ليعتبروا بهم ويحذروا أن يحل بهم مثل ما قد حل بأهل تلك القرية[2].

﴿إِذْ[3] أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ۝١٤ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ وهؤلاء الرسل الذين أرسلهم الله تعالىٰ كانوا من حواري عيسىٰ عليه السلام كان قد بعثهم ليرشدوا أهل تلك البلاد وينذروهم، وقد أرسل إليهم أولاً رسولين فكذبوهما، وأنكروا أنهما رسولان من عند الله، فعززهما الله سبحانه وتعالىٰ وقوَّىٰ جانبهما برسول ثالث، ولكنهم أصروا علىٰ تكذيبهم وتمردهم، وقالوا لو كانوا رسلاً من عند الله لما كانوا بشراً مثلهم، ولكانوا جنساً غير جنسهم كالملائكة.

﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ۝١٥﴾ وأنكروا أن يكون الله تعالىٰ قد أرسلهم أو أنزل وحياً أو كتاباً.

﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ۝١٦ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ۝١٧﴾ فبعد أن أنكروهم وكذبوهم أقسموا[4] لهم علىٰ ذلك، وأخبروهم أنهم قد أدوا ما يجب عليهم من تبليغهم وإنذارهم فإن شاءوا قبلوا، وإن أرادوا أن يتمردوا

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «أصحاب القرية» و«إذ»؟

الجواب: «أصحاب القرية»: المفعول الأول لـ«اضرب». و«إذ»: بدل من أصحاب القرية.

(٢)-**سؤال:** فضلاً هل عرفت هذه القرية بعينها فما هي؟ وفي أي زمان كانت هذه القصة؟

الجواب: يذكر المفسرون أن القرية هي أنطاكية، وقد كانت هذه القصة في زمن عيسىٰ بن مريم عليه السلام.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب «إذ» هذه؟

الجواب: هي بدل من «إذ» الأولىٰ التي هي بدل من أصحاب القرية.

(٤)-**سؤال:** يقال: من أين فهمنا القسم هذا؟ وهل يُعَدُّ قسماً لو حلف شخص بمثله أم لا؟

الجواب: ما ذكر هو في قوة القسم بدليل تمثيل أهل المعاني والبيان بهذه الآية لمقام الإنكار الذي يستدعي غاية التأكيد، وليس قسماً يوجب الكفارة لو حُلِف به.

فحسابهم عند الله سبحانه وتعالى وسيجازيهم ويعذبهم.

﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ ثم إن أهل هذه القرية هموا بطرد الرسل وتشاءموا بهم، وزعموا أنهم لم يروا خيرا من حين أقبلوا إليهم، وأنهم لو كانوا رسلاً من عند الله سبحانه وتعالى كما يزعمون لأقبل الخير معهم، وهددوهم بأنهم إن لم ينتهوا عن دعوتهم وتبليغهم فسوف يقتلونهم شر قتلة رمياً بالحجارة حتى يموتوا، وسوف يلحقون بهم أشد العذاب إن لم يقلعوا عن دعوتهم الكاذبة.

﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ(١) ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾(٢) فأجابت عليهم الرسل بهذا الجواب: وهو أن الشؤم الذي لحقهم هو بسبب أعمالهم وذنوبهم المصاحبة لهم، وأن شؤمهم من عند أنفسهم؛ ولو أنهم شكروا الله تعالى وآمنوا برسله لما لحق بهم ما لحق من الجدب والغلاء وموت البهائم والأطفال وعقم النساء، وغير ذلك من المصائب، وأن سبب ما هم فيه هو تجاوزهم للحد في معصية الله تعالى، وسعيهم للإفساد في الأرض.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾(٣) وقد أقبل عليهم رجل من أطراف هذه

---

(١)-**سؤال:** أين جواب الشرط الذي دخل عليه الاستفهام: «أئن ذكرتم»؟

الجواب: جواب الشرط محذوف لتقدم ما يدل عليه، والتقدير: فتطيروا.

(٢)-**سؤال:** لطفاً ما فائدة الإضراب هنا في قوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾؟

الجواب: فائدته تكذيب قولهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ ورده وإبطاله.

(٣)-**سؤال:** من فضلكم ما فائدة وصفه بقوله: «يسعى»؟ وما الذي يستفاد من قوله: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾؟

الجواب: وصف الرجل بوصفين:

١- أن مجيئه كان من أقصى المدينة أي: من أبعد مكان في المدينة، أي: أنه قطع مسافة طويلة إلى أن وصل إلى قومه.

٢- أنه كان يسعى عند مجيئه هذا أي يجري إلى أن وصل إلى قومه؛ فيدل ذلك على أن الرجل مؤمن

=

المدينة يقال له مؤمن آل يس، ويسمى بحبيب النجار، وكان الإيمان قد دخل في قلبه، فدخل على قومه ينصحهم بأن يستجيبوا لدعوة الله تعالى ودعوة رسله، وأن الأولى بهم أن يتبعوهم ويؤمنوا لهم؛ لأنهم إنما يدعونهم إلى ما فيه نجاتهم وخلاصهم.

﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[(١)] استنكر هذا الرجل الذي آمن على قومه فقال: لماذا نعبد الأصنام التي لا تملك شيئاً، ونترك عبادة الله سبحانه وتعالى الذي بيده خلقنا، وإليه مرجعنا وإليه حسابنا؟

ووعظهم وذكرهم بالله سبحانه وتعالى، وأنه الإله الذي يستحق أن يتوجهوا بالعبادة إليه.

﴿ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ[(٢)] يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ وكيف أتخذ آلهة من دون الله سبحانه وتعالى، وهو الذي خلقني؟ ومن الذي سيدفع عني الضر والبلاء إن أراد أن ينزله بي؟ وهل تستطيع هذه الأصنام أن تدفع عني ذلك الضر والبلاء، أو تنقذني من الهلكة إن

مستحكم الإيمان حريص على إيمان قومه، ويؤخذ من ذلك أن من شأن المؤمن أن يسعى جهده في إرشاد الناس وتعليمهم والحرص على هدايتهم، وأن يدعوهم إلى اتباع العلماء المخلصين الذين لا يطلبون بعلمهم الدنيا ولا يستأكلون الناس به.

(١)- **سؤال:** قد يقال: ما السر والحكمة في إدخاله لنفسه في الخطاب والمفروض أن يقول: وما لكم لا تعبدون؟ وما إعراب: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾؟

الجواب: قد يكون السر والحكمة هو استدعاء إصغاء قومه إلى نصيحته، فلو أنه وجه اللوم إليهم وجبههم به لنفروا. «ما لي» ما: مبتدأ، ولي: متعلق لمحذوف خبر، أي: أي شيء مانع لي. «لا أعبد الذي فطرني» في محل نصب حال.

(٢)-**سؤال:** فضلاً هل جملة الشرط هنا صفة أم الجواب؟ وما السر في حذف ياء المتكلم من قوله: «يردن» وهي لا تحذف خطاً وإن حذفت نطقاً؟

الجواب: الجملة الشرطية بكاملها صفة لآلهة؛ لأن الشرط قيدت في الجواب، وحذفت الياء من «يردن» اتباعاً لخط المصحف.

أراد الله تعالى إنزالها بي؟

﴿إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴿٢٤﴾﴾ فبعد كل هذا إن عبدت تلك الأصنام، أو اتخذت إلهاً غير الله سبحانه وتعالى فاعلموا أني خارج عن طريق الهدى والصواب.

وقد أراد هذا المؤمن بذلك كله أن يبعثهم على النظر والتفكر؛ إذ يستثيرهم بطريق غير مباشرة، وذلك من خلال توجيهه هذه التساؤلات واللوم إلى نفسه، وكذلك ما فيه من لفت أنظارهم، وجذب انتباههم إليه.

﴿إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴿٢٥﴾﴾(١) ثم أعلن إيمانه على مسمع من قومه، وطلب منهم أن يسمعوا حجج الله وبيناته التي تدل على إلهيته وربوبيته.

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾(٢) فبعد أن أفصح لقومه عن إيمانه ووعظهم وذكرهم بالله سبحانه وتعالى قتلوه شر قتلة، وقد روي أنهم داسوه بأقدامهم إلى أن مات.

﴿قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ(٣)﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴿٢٧﴾﴾ أخبر الله تعالى عن ما صار إليه ذلك المؤمن من المنازل الرفيعة والكرامة عنده، وما

---

(١)- **سؤال:** هل يفيد قوله: «فاسمعون» أنه أسمعهم حججاً أخرى غير هذه التي نقلها لنا القرآن الكريم؟

الجواب: المراد فاسمعوا ما ذكرت لكم من الحجج والبينات سماع وعي وانتفاع.

(٢)- **سؤال:** هل هذا القول حقيقة أم أنه الحكم باستحقاقه الجنة؟ وهل يدلنا على أن المؤمن يدخل في النعيم بعد الموت مباشرة؟

الجواب: الذي يظهر أنه إخبار باستحقاقه دخول الجنة؛ لأن دخولها لا يكون إلا يوم القيامة كما تظاهرت به آيات القرآن ويتلقى المؤمن البشرى عند الموت: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ٣٠﴾ [فصلت]، ثم تتنعم روحه بعد الموت نعيماً دون نعيم الجنة.

(٣)- **سؤال:** هل يدل قوله: «يا ليت قومي..» إلخ على حياة الأرواح أم على أي جهة كان تمنيه هذا التمني؟

الجواب: قوله: «يا ليت قومي يعلمون» يتمنى ذلك عند البشرى أو بعد الموت في حياته الروحية.

تمنى بعد[١] موته على قومه بأنهم لو كانوا يعلمون بما صار إليه من الكرامة والنعيم عند الله سبحانه وتعالى، وما غفر له من الذنوب بسبب إيمانه؛ وتمنيه ذلك كان إشفاقاً على قومه من عذاب الله سبحانه وتعالى؛ لأنهم لو عرفوا ما صار إليه لسارعوا إلى الإيمان بالله تعالى.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ[٢]﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴿٢٩﴾﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى عن حال أهل هذه القرية عندما أرسل إليهم رسله فكذبوهم كيف عذبهم؟ وكيف يكون سرعة انتقامه؟ فلم يحتج إلى أن ينزل عليهم جنوداً من السماء ليقتلوهم وإنما بصيحة واحدة أهلكتهم جميعاً في لحظة واحدة عن بكرة أبيهم.

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن يقرأ على قريش قصة أهل هذه القرية ليعتبروا بها ويعتزلوا ما هم فيه من التكذيب والاستهزاء.

﴿يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ[٣] مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴿٣٠﴾﴾ إن

---

(١)-**سؤال:** ما الفائدة التي يأخذها المرشدون من تمني هذا المؤمن لصلاح قومه؟

الجواب: الذي يستفاد من ذلك أن على المؤمن ولا سيما المرشد أن يكون حريصاً على هداية الناس الذين يمكنه هدايتهم، وأن يكون ذلك من أهم أعماله، وأن يحاول صلاحهم بكل ما يمكنه من وسائل الإصلاح والهداية، وأن يكون حريصاً على أن لا يفوته سعي في استصلاحهم، وأن يأسى على ما فاته من ذلك.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «من جند» و«إن كانت إلا صيحة واحدة»؟ وهل قوله: «وما كنا منزلين» تكرير لما سبق؛ فما فائدته؟

الجواب: «من جند» مفعول به مجرور لفظاً منصوب محلاً، و«من» حرف جر زائد للتوكيد. «إن» نافية. «كانت» فعل ماض ناقص واسمها مستتر، «إلا» أداة استثناء، «صيحة» خبر كان، و«واحدة» صفة مؤكدة، «وما كنا منزلين» جملة اعتراضية وفائدتها التأكيد.

(٣)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب: «يا حسرة على العباد»؟ وممن هذا التحسر؟

الجواب: «يا» حرف نداء، «حسرة» منادى منصوب وتكون حسرة للتعظيم والتهويل ونصبت «حسرة» لأنها شبيه بالمضاف، «على العباد» متعلق بمحذوف صفة لحسرة. وقوله: «يا حسرة على

=

اختيار الناس للكفر بآيات الله وتكذيب رسله عليهم السلام سيكسبهم سخط الله وغضبه ويستوجبون به عذاب جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ(١) إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ٣١﴾ يحث الله سبحانه وتعالى قريشاً على النظر في تلك الأمم والأجيال والتتبع لأخبارهم، وما جرى عليهم؛ ليعرفوا كيف أهلكهم الله تعالى ودمرهم بسبب تمردهم وتكذيبهم واستهزائهم؛ لعلهم يعتبرون بهم وبما جرى عليهم بسبب صنيعهم.

﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ(٢) لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ٣٢﴾ ثم أكد الله تعالى لهم أن تلك الأمم التي أهلكها الله تعالى سيبعثهم إليه يوم القيامة ليجازيهم على جميع أعمالهم التي عملوها.

﴿وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا(٣) وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ٣٤﴾ ثم ضرب

العباد» يراد به أنهم جديرون بأن يتحسر عليهم المتحسرون أو جديرون بأن يتحسروا على أنفسهم، فالتحسر مصروف إلى العباد على حسب ما ذكرنا، ولا يجوز أن ننسبه إلى الله تعالى؛ لأن التحسر صفة تعرض للمخلوقين، والله جل وعلا لا تحله الأعراض؛ لأنها محدثة لا تحل إلا في المحدثات، وقد استدل العلماء على حدوث الأجسام بحدوث الأعراض.

(١)-**سؤال:** ما إعراب: «كم أهلكنا»؟ وما الوجه في فتح همزة «أن» في قوله: «أنهم إليهم»؟

الجواب: «كم» هي الخبرية في محل نصب مفعول به مقدم لأهلكنا، وأهلكنا فعل وفاعل، وفتحت همزة «أن» لوقوعها مع مدخولها بدلاً من «كم أهلكنا» على المعنى (التوهم)، والتقدير على هذا: ألم يروا كثر إهلاكنا.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ما تكون «إن» في هذه الآية؟ وما عملها؟ وما معنى «لما» هنا؟ وما إعراب «جميع»؟ وهل هي من باب «فعيل» بمعنى «مفعول»؟ أم كيف؟

الجواب: «إن» نافية مهملة عن العمل، و«لما» هنا بمعنى «إلا» وتسمى: لما الإيجابية، أي: أن ما بعدها يكون موجباً غير منفي، و«جميع» خبر المبتدأ، «كل» وجميع بمعنى مجموع لدينا.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «آية»؟ وما محل جملة «أحييناها»؟

الجواب: «آية» خبر مقدم، و«الأرض» مبتدأ مؤخر. «أحييناها» يجوز أن تكون صفة للأرض أو حالاً منها، أي: أن الأرض آية في حال إحيائها.

الله سبحانه وتعالىٰ لقريش مثلاً الأرض الميتة المجدبة كيف يحييها بعد موتها بالخضرة والنبات ويخرج منها الزروع بحبوبها ويزينها بالأشجار المتحملة لأنواع الثمار ويفجر فيها عيون الأنهار فتزهو بجمالها بعد أن كانت يباساً لا أثر للحياة عليها؛ لأنهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت، ويستبعدون ذلك أشد الاستبعاد، فضرب الله سبحانه وتعالىٰ لهم هذا المثل لينظروا ويتفكروا بعقولهم فيعرفوا أن شأن البعث بعد الموت كشأن الأرض التي يرونها يابسة مجدبة ثم يرون الحياة تدب علىٰ ظهرها من جديد، مكتسية بالخضرة والنبات، ويعرفوا قدرة الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ إحيائهم بعد موتهم.

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ[١] وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٣٥﴾ جعل الله تعالىٰ لهم ذلك ليشكروه سبحانه وتعالىٰ علىٰ ما أخرج لهم من طيبات الرزق يأكلون، ويتنعمون من خيراتها، وما أخرجت لهم من الثمار المتنوعة. والمراد بـ«ما عملته أيديهم»: أي ما صنعت أيديهم من العصير وغيره مما صنعوه من الثمر والعنب.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ[٢] الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦﴾[٣] أراد الله سبحانه وتعالىٰ بذلك أصناف المخلوقات التي خلقها وأوجدها علىٰ وجه الأرض، وأنه تنزه وتقدس عن أن يكون له شريك فهو

---

(١)-**سؤال:** إلام يعود الضمير المذكر في قوله: «ليأكلوا من ثمره»؟

الجواب: يعود إلىٰ النخيل والأعناب علىٰ المعنىٰ أي: ليأكلوا من ثمر ذلك المذكور.

(٢)-**سؤال:** بماذا تعلق الجار والمجرور في قوله: «مما تنبت»؟

الجواب: متعلق بمحذوف حال مبينة للأزواج.

(٣)- **سؤال:** هل نستفيد من هذه الآية أن جميع الأشجار والحيوانات لا بد أن تكون أزواجاً في منزلة الذكر والأنثىٰ؟ أم كيف؟

الجواب: المراد هنا بالأزواج الأجناس والأصناف، فالعنب جنس تحته أصناف متشابهة وكل صنف تحته أصناف لكل صنف ميزة يختص بها مع تشابهها، وليس المراد كون الأزواج بمنزلة الذكر والأنثىٰ.

وحده المتفرد بالقدرة على كل ذلك. والمراد بما لا نعلمه: أصناف من المخلوقات التي لا نعلمها.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ(١) فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧﴾ وأيضاً أمر الله سبحانه وتعالى أولئك المكذبين بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى أن ينظروا في الآية التي جعلها لهم في الليل حال دخوله وإظلامه وكيف يتغطى به ضوء النهار حتى كأنه يسلخ عن الليل سلخاً.

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ وكذلك أرشدهم أن ينظروا في الآية التي جعلها لهم في الشمس كيف تجري في مسارها الذي رسمه الله سبحانه وتعالى لها، وفي منازلها التي حددها لها لا تتخلف عن ذلك أو تتغير إلى أن يهلك(٢) الله الأرض ومن عليها.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما محل جملة: «نسلخ منه النهار»؟ وهل «من» في قوله «منه النهار» على بابها؟ أم أنها بمعنى «عن»؟

الجواب: «نسلخ منه النهار» لا محل لها من الإعراب واقعة في جواب سؤال مقدر، و«من» على بابها ولا حاجة إلى تقديرها بمعنى «عن»؛ لأن نسلخ بمعنى: نخرج، ونخرج يتعدى بـ«من».

(٢)- **سؤال:** يقال: هل المراد بالمستقر زمان انتهاء سير الشمس وذلك القيامة أم ماذا؟ وما رأيكم في قول بعض أئمتنا إنه على حذف الألف وأن أصلها: «لا مستقر لها» مع كون اللام مكسوراً؟

الجواب: المراد إلى زمان انتهاء سير الشمس وهو يوم القيامة؛ فإنها لا تزال تجري ليلاً ونهاراً، لا يقف سيرها ولا يتوقف إلا يوم القيامة.

وتفسير بعض أئمتنا صحيح في المعنى، ويشهد لصحة تخريجه على حذف الألف أنه قد قرئ: لا مستقرَّ لها، ولا مستقرٌّ لها، حكى هاتين القراءتين البيضاوي في تفسيره، وكسرت اللام لزوال الألف فعادت اللام بعد حذف الألف إلى البناء على الكسر كما هو الغالب في الحروف المفردة، إلا أنه يرد على هذا إشكالات هي جر مستقر والالتباس بلام الجر والخروج عن الظاهر، ويمكن النحوي التفصي عن هذه الإشكالات بأدلة نحوية، والتعليل لصحتها من بحور عللهم التي لا تنزف.

﴿وَالْقَمَرَ[1] قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ۝٣٩﴾ وكذلك أرشدهم أن ينظروا في الآية التي جعلها لهم في القمر، والمنازل التي رسمها له والتي تعرف بها الأيام والشهور؛ فإنك تراه على مسارات محدودة، ومنازل معلومة طول الشهر في ميزان دقيق لا تتغير منازله تلك أو تتبدل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأخبر سبحانه وتعالى أن القمر بعد اكتماله ينقص في كل منزلة قليلاً حتى يصير في الدقة كالعرجون القديم.

وقد شبهه الله سبحانه وتعالى بالعرجون القديم الذي هو عود عنقود ثمر النخل عندما ييبس.

وما جعله الله سبحانه وتعالى من المنازل للقمر فلفوائد كثيرة جعلها لعباده وأنعم بها عليهم، فيجب عليهم أداء شكرها، وأيضاً جعل في ذلك آية دالة على قدرته وعلمه وتدبيره.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا[2] اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ۝٤٠﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد جعل للشمس منازل مقدرة تسير فيها، وأنه يكون لها في كل يوم منزلة تسير فيها على طول العام ثلاثمائة وستون منزلة، ولا يمكن لها أن تلحق القمر، وكذلك القمر يسير في منازل حددها الله سبحانه وتعالى له على مدار الشهر لا يتخلف عنها، وأن كل واحد من الشمس والقمر يسير في مكانه المحدد والمقدر من دون أن يحدث بينهما أي تصادم أو تلاقي. والمراد بـ«لا الليل سابق النهار»: أي لا يمكن الليل أن يسبق النهار أو يزاحمه،

---

(١)-**سؤال:** علام انتصب قوله: «القمر»؟ وعلام عطفت الجملة بأكملها؟

الجواب: القمر منصوب بفعل محذوف يفسره ما بعده، والجملة لا محل لها من الإعراب معطوفة على: «وآية لهم الليل».

(٢)-**سؤال:** هل «لا» هنا نافية أم عاطفة؟

الجواب: «لا» نافية وليست عاطفة في الموضعين.

وذلك لأن الأرض تدور في الفضاء «تسبح» وهي كروية تواجه كل بقعة منها الشمس عند دورانها حتى إذا انزوت تلك البقعة عن الشمس انسلخ منها النهار ولفها الظلام.

وكذلك الليل والنهار يتعاقبان فيما بينهما بقدرته تعالى، ولا يمكن أن يختل ذلك التعاقب أو يتغير؛ فلماذا لا ينظر هؤلاء المشركون في هذه الآيات ليعرفوا قدرة مدبرها وعلمه؟

﴿وَءَايَةٌ لَهُمْ أَنَّا[1] حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ۝٤١﴾ ثم ذكر الله تعالى أنه جعل لهم آية من آياته الدالة عليه وعلى قدرته وعلمه، وهي أنه تعالى برحمته سخر السفن لحمل بني[2] آدم والمشي بهم على ظهر الماء وفوق الأمواج؛ فمن هو الذي يمسك هذه السفن ويحفظها من الغرق؟ ومن الذي سخر الريح لتسييرها؟

فكل ذلك آية من آياته الدالة عليه، وأثر من آثار رحمته بعباده، ونعمة من نعمه العظيمة عليهم التي ينبغي أن يشكروه ويعبدوه حق عبادته.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ[3] مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ۝٤٢﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد سخر لهم ما يركبون على ظهره في البر، وأراد بذلك الإبل والخيل والحمير التي تحملهم وتحمل أثقالهم وبضائعهم وأمتعتهم من بلد إلى بلد، ويلحق بذلك ما سخره لهم في زماننا هذا من السيارات والطائرات التي تحملهم في الجو وتسافر بهم البلاد البعيدة.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما موضع المصدر: «أنا حملنا ذريتهم»؟

الجواب: موضعه الرفع على أنه مبتدأ مؤخر، و«آية» خبره مقدم.

(٢)-**سؤال:** يقال: ما السر في ذكره لحمل ذريتهم لا حملهم أنفسهم؟

الجواب: السر هو أنه لا يحتاج لركوب البحر إلا بعض ذراري العباد لا كلهم.

(٣)-**سؤال:** بم تعلق قوله: «من مثله»؟ وما علة التقييد به؟

الجواب: تعلقت «من» بمحذوف حال من «ما يركبون» وذلك لبيان جنس ما يركبون، وفائدة التقييد به بيان صفة المركوب ونوعه.

﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾[(١)] فإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يغرقهم في البحر فمن الذي يستطيع أن ينقذهم؟

والصريخ: هو المنادي بالغوث والطالب للنجدة.

﴿إِلَّا رَحْمَةً[(٢)] مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ فلن يستطيع أحد أن ينقذهم إلا إذا شملتهم رحمة الله سبحانه وتعالى واقتضت حكمته أن يمتعهم في الدنيا ويمهلهم إلى أن يستوفوا آجالهم المعلومة والمكتوبة.

﴿وَإِذَا قِيلَ[(٣)] لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى هنا عن طبيعة المشركين وذلك أن النبي ﷺ إذا وعظهم وذكرهم بالله سبحانه وتعالى وأن يحذروا غضبه وسخطه الذي قد استحقوه واستوجبوه بسبب معاصيهم وشركهم بالله تعالى، وأن يتقوا عذابه الذي أوشك

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما معنى الفاء في قوله: «فلا صريخ لهم»؟ وما هو الوجه في قوله: «ولا هم ينقذون» دون «ولا منقذ»؟

الجواب: الفاء عاطفة لجملة «صريخ لهم» على جواب الشرط «نغرقهم».

والوجه في قوله: «ولا هم ينقذون» دون «ولا منقذ لهم» لأنه قد يوجد من يعز عليه غرقهم فيحاول استنقاذهم منه فلا ينجح في محاولته إنقاذهم فيموتون غرقاً.

(٢)- **سؤال:** يقال: مم هذا الاستثناء؟ وما نوعه؟

الجواب: الاستثناء مفرغ ورحمة مفعول من أجله أي: لا ينجون من الغرق إلا لأجل رحمة الله، ويصح أن يكون منقطعاً.

(٣)- **سؤال:** ما السر في حذف جواب الشرط: «إذا قيل» هنا؟ ومن أين يقدر؟

الجواب: السر في حذفه هو وجود القرينة الدالة عليه ولا مقتضي لذكره مع ما في الحذف من الإيجاز الذي يرفع من شأن الكلام ويقدر: أعرضوا؛ للآية التي بعد هذه الآية: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ أو كذبوا واستهزءوا لما في أول السياق: ﴿يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أو لما في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

علىٰ النزول بهم في الدنيا -وهذا هو المراد بـ«ما بين أيديكم»، وقد أراد بقوله: ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ أن يتقوا عذاب يوم القيامة- فإنهم يعرضون عنه أشد الإعراض وينكرون ما يحذرهم منه وينذرهم بوقوعه بهم إن استمروا علىٰ شركهم.

﴿وَمَا[1] تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴿٤٦﴾﴾ يخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن شدة عناد قريش وتمردهم واستكبارهم علىٰ الله تعالىٰ وعلىٰ نبيه ﷺ وإعراضهم عن آياته التي ينزلها عليهم، فلا ينزل لهم آية إلا كذبوا بها وأعرضوا عنها استكباراً وعناداً عن قبول الحق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾[2] وإذا طلب أحد منهم الإنفاق من فائض أموالهم علىٰ أرحامهم وفقرائهم فإنهم يستنكرون علىٰ من يعظهم بذلك، فكيف يعترضون علىٰ حكم الله تعالىٰ حسب زعمهم حيث ضيق عليهم في الرزق ويطعمون هؤلاء الذين لو شاء الله أن يغنيهم لأغناهم ولأنعم عليهم؟ ويزعمون أنهم لو أطعموهم وأعطوهم لاعترضوا علىٰ مشيئة الله سبحانه وتعالىٰ وإرادته.

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴿٤٧﴾﴾ وعندما يعظهم النبي ﷺ والمؤمنون بشيء من ذلك فإنهم ينسبونهم إلىٰ الضلال والغواية عن طريق الحق والهدىٰ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ[3] إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴿٤٨﴾﴾ وعندما يحذرونهم سخط

---

(١)-**سؤال:** علام عطفت هذه الجملة؟

الجواب: الجملة معترضة والواو اعتراضية، وفائدتها التأكيد لما قبلها من الكلام.

(٢)-**سؤال:** يقال: ما العلة في سقوط اللام من جواب «لو» في قوله: «أطعمه»؟

الجواب: دخول اللام علىٰ الماضي في جواب «لو» يدل علىٰ تأخر الجواب عن الشرط وسقوطها دليل علىٰ عدم تأخره عن الشرط، فيدل سقوط اللام هنا علىٰ عدم تأخر الجواب عن الشرط.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «متىٰ هذا الوعد»؟ وهل المراد به موعد القيامة أو موعد العذاب في الدنيا؟

الجواب: «متىٰ» ظرف زمان متعلق بمحذوف خبر مقدم، وهذا: مبتدأ مؤخر، والوعد: نعت =

الله وعقابه فإنهم يستهزئون بهم، وينكرون ذلك أشد الإنكار، ويطلبون منهم أن يعجلوا بنزول هذا العذاب إن كانوا صادقين فيما يزعمون.

﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩﴾[1] فأجاب الله سبحانه وتعالى عليهم بأنه قد قرب ما يستعجلونه من العذاب، ولن يلبثوا إلا يسيراً وسيرون ذلك الذي يكذبون به وينكرون نزوله. ومعنى «وهم يخصمون»: يختصمون أي: يتنازعون.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝٥٠﴾ وأن ذلك العذاب[2] إذا حل بهم موعده فلا إمهال أو فرصة لهم في الرجوع وسيأخذهم بغتة، وقد أهلك الله سبحانه وتعالى كبار المشركين وعذبهم وقتلهم يوم بدر.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ۝٥١﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه عند حلول القيامة سوف ينفخ في صور بني آدم فيحييهم جميعاً، ويقومون من قبورهم جميعاً في وقت واحد مسرعين متجهين إلى ساحة المحشر للحساب والجزاء.

لـ«هذا» أو بدل منه، والمراد بهذا الوعد: الموعدان معاً بدليل الآية السابقة ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٤٥﴾ فما بين أيديكم عذاب الدنيا، وما خلفكم عذاب الآخرة، وبدليل ما بعدها: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً...﴾، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ...﴾.

(١)-**سؤال:** يقال: ما أصل «يخصمون»؟ وما محل جملة: «تأخذهم»؟

الجواب: أصل «يخصمون» يختصمون، فأدغمت التاء في الصاد بعد حذف حركتها فالتقى ساكنان الخاء والصاد الأول المدغمة، فحركت الخاء بالكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين بالكسر. جملة «تأخذهم» في محل نصب صفة ثانية لصيحة أو حال منها لوجود المسوغ وهو الوصف.

(٢)-**سؤال:** وهل يصح أن يحمل على أمر الموت وحصول القيامة أم لا؟

الجواب: الفاء العاطفة تدل على أن المراد ما ذكرنا من أن ذلك مسبب عن الصيحة.

﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا(١) مِنْ مَرْقَدِنَا﴾(٢) يعبر الله سبحانه وتعالى عن شدة الفزع والذهول الذي يكون على المشركين والمكذبين عند قيامهم وبعثهم، وكيف ينادون بالويل على أنفسهم عندما يرون تحقق ما كانوا يوعدون به في الدنيا.

﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴿٥٢﴾﴾(٣) فيقال لهم(٤): هذا وعد الرحمن الذي كنتم تكذبون به وتنكرونه، وهذا تصديق ما كانت رسل الله تعالى

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «يا ويلنا»؟ و«من بعثنا»؟

الجواب: يا: حرف نداء، «ويلنا» منادى مضاف أي: يا ويلنا احضر فهذا وقت حضورك. «من» مبتدأ في محل رفع، «بعثنا» الجملة في محل رفع خبر المبتدأ.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ما وجه تسميته «مرقداً»؟ وما هو مأخذ من يستدل بها على نفي عذاب القبر؟ وكيف يرد عليه؟ وهل في آية الروم رد حاسم عليه وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ...﴾ إلخ [الروم:٥٦]، أم لا؟

الجواب: بل في الآية دليل على عذاب القبر (العذاب الروحي) لا الجسدي، وذلك من حيث تشبيه الموت بالرقاد (النوم) واستعارة الرقاد للنوم، فيؤخذ من ذلك: أن روح الميت المجرم ترى المخاوف العظيمة والأهوال المخيفة والشدائد والأهوال، كما أن النائم يرى في نومه نحو ذلك من الشدائد والأهوال والمخاوف العظيمة. أما جسد الميت والنائم فلا يحس بشيء من ذلك ولا يتألم به، وإنما الروح وحدها هي التي تتضايق بما ترى وتتألم به دون الجسد؛ لذلك فلا تكون الآية دليلاً على نفي عذاب القبر، بل إن الأولى أن تكون دليلاً على إثباته كما ذكرنا، ولا سيما مع ما ورد كثيراً من الأدلة على ثبوت عذاب القبر.

(٣)-**سؤال:** فضلاً علام عطف قوله: «صدق المرسلون»؟

الجواب: معطوف على صلة الموصول، أي: على «وعد الرحمن»، والعائد في «وصدق المرسلون» محذوف، أي: فيه.

(٤)-**سؤال:** من أين نفهم أن هذا جواب عليهم؟

الجواب: فهم من الإشارة «هذا» فإنها تشير إلى بعثهم من مراقدهم، وقد يكونون هم الذين أجابوا على تساؤلهم.

وأنبياؤه ينذرونكم به وهو يوم القيامة الذي كنتم تكذبون به.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ۝﴾(١) يخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن كيفية مبعثهم إليه، وسرعة إحيائهم بعد موتهم جميعاً في لحظة واحدة ووقت واحد ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ۝﴾.

﴿فَالْيَوْمَ(٢) لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۝﴾ عند حضورهم إلىٰ ساحة المحشر سيعرفون أن الله سبحانه وتعالىٰ حينها سيحكم بينهم بالحكم الحق والعدل، وأنه سيجازيهم علىٰ جميع أعمالهم التي عملوها في الدنيا صغيرها وكبيرها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ۝ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ(٣) فِي ظِلَالٍ عَلَى

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم فصلوا القول في إعراب هذه الآية؟ مع ذكر اسم كان ما هو؟

الجواب: «إن» نافية، «كانت» فعل ماض ناقص واسمها مستتر فيها أي الصيحة، «إلا» أداة استثناء، «صيحة» خبر «كانت» منصوب، «واحدة» صفة مؤكدة، الفاء سببية عاطفة، «إذا» فجائية لا محل لها من الإعراب، «هم» مبتدأ، «جميع» خبر المبتدأ، «لدينا» ظرف مكان متعلق بما بعده، «محضرون» خبر ثان.

(٢)-**سؤال:** هل الفاء هنا عاطفة؛ فما هو معطوفها؟ أم ما هي؟ وما العامل في نصب «اليوم»؟

الجواب: كأنّ الفاء فصيحة، والتقدير: إن كان يحصل في الدنيا ظلم فاليوم لا تظلم نفس شيئاً، واليوم: منصوب بـ«لا تظلم».

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما محل «فاكهون»، و«في شغل» من الإعراب؟ وهل يصح أن يكون قوله: «هم وأزواجهم» فاعلاً لفاكهون؟ أم أنه مبتدأ؟

الجواب: هي أخبار متعددة لـ«إنَّ أصحاب الجنة». «هم وأزواجهم» مبتدأ، ولا ينبغي أن يكون فاعلاً لـ«فاكهون» لشبهه بـ«أكلوني البراغيث».

﴿الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ[١]﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴿٥٧﴾﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى عن حال المؤمنين يوم القيامة بأن شغلهم الشاغل سيكون في النعيم الذي يتقلبون فيه متفكهين هم وأزواجهم، وأن كل ما يطلبونه أو يتمنونه على الله سبحانه وتعالى سيجدونه بين أيديهم.

﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴿٥٨﴾﴾[٢] ويشرفهم الله تعالى بالسلام عليهم في كل وقت وحين فنعم الشرف وما أعظمه من شرف.

---

(١)- **سؤال:** هل صح لكم الأثر أو الرواية في معنى الآية أنه اشتغال الأبرار بافتضاض الأبكار على حافات الأنهار أم لا؟

الجواب: في الآية ما يغني عن صحة الأثر؛ فسواء صح الأثر أم لم يصح فالآية تدل على اشتغال الأبرار بما أعطاهم الله تعالى من نعيم التمتع بالحور العين: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴿٣٨﴾﴾ [الواقعة]، وبالتمتع بما سواهن من أنواع المطاعم والمشارب والفواكه وما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين و... إلخ. وشغل أهل الجنة ليس إلا ما ذكرنا من التنعم بما فيها من النعيم الذي ذكره الله تعالى في كتابه الكريم ليس لهم شغل سواه، وعلى هذا فمعنى الحديث صحيح.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم فصلوا إعراب هذه الآية الكريمة، وأشيروا إلى ما فيها من النكت البيانية؟

الجواب: قد أعربوها على عدة أوجه، وأحسنها عندي هو: سلام: مبتدأ خبره محذوف أي: لهم سلام. قولاً: مفعول مطلق لفعل محذوف أي: يقال لهم قولاً. من رب: متعلق بمحذوف صفة لقولاً. رحيم: صفة لرب.

بلاغة الآية: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴿٥٨﴾﴾:

١- الإيجاز بحذف خبر «سلام» وبحذف ناصب «قولاً»، أي: أن «سلام» جملة، و«قولاً» جملة.

٢- تنكير «سلام» وإبهامه ينبئ عن فخامته وعلو شأنه.

٣- «سلام» جملة اسمية فتنبئ عن أن السلام الصادر من الرب الرحيم ثابت مستمر لا ينقطع.

٤- التخصيص للسلام بقوله: «قولاً» يدل على أنه تحية من الله لأهل الجنة وتكريم لهم، فيوحي ذلك بأن أهل الجنة يعظمون بزيارة تعظم عندهم بقدر عظمة الله إلا أن الله تعالى لعظمته لا يجوز عليه الذهاب والمجيء لأنه ليس كالأجسام؛ لذلك فقد تكون الملائكة الكرام هي التي تأتي إلى أهل الجنة بتحية الله وبإكرامه لهم.

٥- تخصيص «قولاً» بقوله: «من رب رحيم».

﴿وَامْتَازُوا(١) الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال المشركين والخارجين عن حدوده وشرائعه بأنهم على العكس من حال المؤمنين.

وقوله «امْتَازُوا» أي: انحازوا في جهة عن المؤمنين، وبعد انحيازهم يخاطبهم الله فيقول لهم: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي ءَادَمَ أَنْ(٢) لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(٣) فيسألهم الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ويبكتهم ويوبخهم بأنه قد عهد إليهم بشرائعه وأحكامه على ألسنة رسله وأنبيائه ينذرونهم ويحذرونهم عن عبادة الشيطان والسير في طريقه.

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾(٤) وأيضاً يقول لهم: ألم أكن قد دعوتكم إلى الهدى وإلى عبادتي وشكري على ألسنة رسلي، وترك عبادة ما دونه من الأصنام فرفضتم اتباعهم والإيمان بهم؟

---

(١)-**سؤال:** هل هذا الأمر مقول لقول محذوف، أم كيف؟

الجواب: هو مقول لقول محذوف.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما معنى «أن» هنا وما عملها؟ وما إعراب: «لا تعبدوا الشيطان»؟

الجواب: يصح في «أن» أن تكون مفسرة وأن تكون مصدرية، فإن أعربناها مفسرة كانت «لا» ناهية، و«تعبدوا» مجزوم بلا الناهية بحذف النون. وإن أعربناها مصدرية كانت «لا» نافية، و«تعبدوا» منصوب بأن المصدرية وعلامة نصبه حذف النون. وجملة «لا تعبدوا الشيطان» على الأولى لا محل لها لأنها مفسرة، وعلى الثاني في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر.

(٣)-**سؤال:** هل المراد بعبادة الشيطان الاستماع لوساوسه فلِمَ سماه عبادة؟

الجواب: المراد بعبادته هي طاعته واتباعه فيما يدعو إليه من معصية الله، وسميت طاعته واتباعه عبادة كما سميت طاعة الله واتباع أمره عبادة، وطاعة الأئمة الهادين والعلماء الصالحين ليست عبادة لهم؛ لأنهم ليسوا إلا مبينين لأمر الله وأحكامه ومترجمين لما أنزل الله في كتابه ولما جاء به رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(٤)-**سؤال:** هل «أن» هنا مكررة أم لا؟ وما موضع جملة: «هذا صراط مستقيم»؟

الجواب: «أن» وما دخلت عليه معطوفة على «أن» الأولى فلها حكمها في الوجهين. وجملة «هذا صراط مستقيم» مستأنفة للتعليل فهي في جواب سؤال مقدر.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا(١) كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ۝٦٢﴾ ونهيتكم عن اتباع الشيطان وعبادته، وأخبرتكم أيضاً بأنه قد أضل أمماً كثيرة قبلكم، وجعلت لكم العقول التي تميزون بها وتعرفون الحق من الباطل، فلماذا لم تستجيبوا لرسلي وتؤمنوا لهم؟ أم كنتم فاقدين لعقولكم عندما أرسلوا إليكم؟

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ۝٦٣ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ۝٦٤﴾(٢) فهذه جهنم التي كنتم تنكرونها، والتي حق عليكم عذابها بسبب استهزائكم وتكذيبكم بالرسل.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ۝٦٥﴾(٣) وذلك يوم القيامة عندما يبعث الله تعالى المشركين والفاسقين فسيقفل أفواههم فلا يستطيعون التفوه بأي كلمة، وعندها ستتكلم بدل ذلك أيديهم وأرجلهم، وستشهد عليهم بما عملوا وزاولوا بها من المعاصي والمنكرات.

---

(١)-**سؤال:** ما أصل كلمة «جِبِلًّا»؟ وما الذي يناسبه من المعاني؟

الجواب: قد تقدم في جواب سؤال عند قوله تعالى: ﴿وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ۝١٨٤﴾ [الشعراء]، جواب هذا. [ولفظه: أُخِذَت من: جَبَلَهُ الله أي: خلقه خلقاً قوياً متماسكاً كخلق الجبل، يشير بذلك إلى قوم هود وصالح].

(٢)- **سؤال:** يقال: ما الوجه في فصل: ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ۝٦٤﴾ عما قبلها؟ مع أنها لا زالت من مقول الله لهم؟

الجواب: الوجه في فصلها عما قبلها: هو كونها إنشائية وما قبلها خبرية؛ فبين الجملتين كمال الانقطاع.

(٣)-**سؤال:** ما الذي عمل في «اليوم» النصب؟ وما الوجه في الاقتصار على الأيدي والأرجل؟

الجواب: الوجه هو أن الله تعالى يختم على أفواههم في هذا المقام فلا تشهد ألسنتهم، وشهادة الأيدي والأرجل متضمنة لشهادة الجلود، ولم تكن أفواههم مختوماً عليها عندما ذكر الله في آية أخرى شهادة الألسن؛ لأن ألسنتهم لم تكن مختومة في ذلك المقام والموقف، أي: أن مواقف يوم القيامة تختلف فبعضها يختم الله على الأفواه، وفي بعضها لا يختم عليها.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى عن هؤلاء المشركين المصرين على كفرهم وتكذيبهم بأنه الذي قد خلق لهم الأسماع والأبصار وأنه لو شاء لذهب بها وسلبها عنهم فلا يستطيعون أن يبصروا أو يسمعوا أو يهتدوا إلى سواء الطريق فلماذا لا يشكرون الله تعالى على ما أنعم عليهم من الأسماع والأبصار والعقول؟ ومعنى «فاستبقوا الصراط»: ابتدروا في الطريق الذي اعتادوا أن يسلكوه فلا يبصرونه وأنى لهم أن يبصروه.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ولو شاء الله تعالى أن يسلب[1] قواهم لسلبها فلا يستطيعون حركة أو مزاولة أي عمل؛ فلماذا لا يخافون من الله تعالى الذي أنعم عليهم بالأسماع والأبصار وأعطاهم القوة والقدرة على الحركة والمشي؟ ولماذا لا يستعملون ذلك في طاعته وما يرضيه؟ ومعنى «على مكانتهم»[2]: في مكان معاصيهم.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾[3] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن مشيئته اقتضت أن تتناقص قوة الشباب التي أعطاها الله الإنسان مع التقدم في السن شيئاً فشيئاً، وأن ذلك آية من آياته الدالة على قدرته لمن نظر وتفكر في خلق نفسه كيف خلقه الله سبحانه وتعالى ضعيفاً، ثم ينموا شيئاً فشيئاً إلى أن تكتمل قوته، ثم بعد ذلك يبدأ في التناقص شيئاً فشيئاً إلى أن تنتهي تلك القوة ويرجع ضعيفاً كما بدأه ضعيفاً.

---

(١)-**سؤال:** يقال: من أين نفهم أن المسخ هو سلب القوى؟

الجواب: فهم ذلك من قوله: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ فذلك يدل على ما ذكرنا، والمسخ يكون بتغيير الصورة أو بتغيير القوى أو بكليهما، وفي هذه الآية أراد تغيير القوى بأن يجمدوا في مكانهم لا يقدرون على المضي ولا على الرجوع.

(٢)-**سؤال:** مم أخذت كلمة «مكانتهم»؟

الجواب: «مكانتهم» أصلها: مكانهم، فزيدت التاء للتأنيث كما يقال: مقام ومقامة.

(٣)-**سؤال:** ما معنى الاستفهام في قوله: «أفلا يعقلون»؟

الجواب: هذا هو الاستفهام الإنكاري.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ(١) الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ(٢) وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ۝٦٩﴾ عندما قرأ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على المشركين القرآن وبلغهم رسالة ربه قالوا: قد أصاب محمداً الجنون وقد أصبح يقول الشعر، فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بأن محمداً لا يقول الشعر ولم يقله قبل أن يقرأ عليهم القرآن كما يعلمون، ولا ينبغي له أن يكون شاعراً، وأخبرهم أن ما يتلوه عليهم إنما هو كلام الله سبحانه وتعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه تنزيل رب العالمين.

﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ(٣) الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ۝٧٠﴾ وأن الله تعالى أنزله على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لينذر به الأحياء من أمته فهم الذين سيستجيبون له ويؤمنون به؛ وقد أراد الله سبحانه وتعالى بالأحياء الذين تواضعوا للحق ولم يأنفوا عن قبوله واتباعه، وجعل المشركين كالأموات الذين لا يستطيع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يسمعهم شيئاً مهما حاول إسماعهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ۝٧١ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ(٤) وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ۝٧٢﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى

---

(١)-**سؤال:** ما العلة في التعبير عن نفي الشعر بنفي تعليمه من قِبَل الله؟

الجواب: السر هو أن الله تعالى هو الذي يجعل للمرء ملكة وقوة على نظم الشعر، ولم يجعل الله تعالى لنبيه ملكة ولا قوة.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: «إن هو إلا ذكر»؟

الجواب: «إن» نافية. «هو» مبتدأ. «إلا» أداة استثناء. «ذكر» خبر المبتدأ.

(٣)-**سؤال:** علام عطف الفعل «يحق»؟ وما يبتني على ذلك من معنى؟

الجواب: «ويحق» معطوف على «لينذر»، والذي يتركب من المعنى على ذلك أنه لا يحق العذاب في جهنم على الكافر إلا بعد إرسال الرسل وإنزال القرآن ونحوه.

(٤)-**سؤال:** ما نوع اسمية «ركوبهم»؟

الجواب: «ركوبهم» صفة مبالغة.

على المشركين المصرين على كفرهم وضلالهم لماذا لا يتفكرون وينظرون فيما خلق لهم من الأنعام وفي تسخيرها لهم وفيما لهم فيها من المنافع من أكل لحومها، والانتفاع بصوفها والركوب على ظهورها؟ ومن الذي سخرها وذللها لهم على الرغم من كبر أجسامها وقوتها؟

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ۝٧٣﴾ وكذلك فيما جعل لهم من المنافع الكثيرة فيها من الحرث واللبن وغير ذلك من المنافع الكثيرة.

فلماذا لا يشكرون الله تعالى على ما أنعم عليهم من هذه النعم؟

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ۝٧٤﴾ ولكنهم بدل أن يشكروا الله سبحانه وتعالى على نعمه ذهبوا إلى عبادة غيره من تلك الآلهة راجين نصرتها ونفعها وهم يعلمون أنها لا تستطيع أن تفعل لهم شيئاً أو تنفعهم أو تنصرهم عند الحاجة.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ[١] جُنْدٌ مُحْضَرُونَ۝٧٥﴾[٢] فلن تستطيع آلهتهم هذه التي يعبدونها وينتصرون بها أن تنصرهم بشيء أو تدفع عنهم شيئاً، وسوف يحضرهم الله سبحانه وتعالى جميعاً هم وآلهتهم إلى جهنم.

﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ فلا يكبر في نفسك يا محمد تكذيبهم وصدهم عن دعوتك، وما يلحقونه بك من الأذى، وما ينسبونه إليك من الافتراءات.

﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ۝٧٦﴾ فنحن محصون لجميع أعمالهم ومطلعون عليها، وسنجازيهم على سرها وعلانيتها صغيرها وكبيرها.

---

(١)-**سؤال:** إلام يرجع الضمير «هم» وكذا «لهم»؟

الجواب: «هم» للآلهة. و«لهم» لمتخذيها آلهة.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم أوضحوا لنا كون الأصنام جنداً للكفار؟ وما علاقة إحضارهم معهم للعذاب بكونهم جنداً لهم؟

الجواب: تكون الأصنام كالجند تحضر جهنم معهم لتعذيبهم بها، ولا يجوز أن يكون ضمير «وهم» لعبدة الأصنام، و«لهم» للأصنام. ويكون المعنى: أن عبدة الأصنام جند تحضر عند الأصنام لعبادتها.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا[١] هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ۝٧٧﴾ يحث الله سبحانه وتعالى عباده على النظر والتفكر في كيفية ابتداء خلقهم ليعرفوا ضعفهم وحقارتهم عند الله سبحانه وتعالى، وليعلموا أنهم لا يساوون شيئا، فكيف ينصبون أنفسهم لعداوة الله سبحانه وتعالى وينصبون الحرب له؟ وكيف وصلت الجرأة بهم إلى أن يتخذوا من دون الله آلهة، معاندة ومحاربة له وهو الذي خلقهم وأنعم عليهم؟ ومعنى «خصيم مبين» مبالغ في خصومته الواضحة بالباطل لربه وخالقه.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا[٢] وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي[٣] الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ۝٧٨﴾ وكيف وصلت الجرأة بهذا الإنسان الكافر أن يضرب هذا المثل الذي فيه إنكار البعث والحساب، وكيف يستبعد قدرة الله سبحانه وتعالى على ذلك؟

فلو أنه نظر في بداية خلقه لعرف صحة ما أخبرته به الرسل من البعث والجزاء.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ۝٧٩﴾[٤] فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيب عليهم بأن من قدر على خلقهم وإيجادهم من العدم سيقدر حتماً على إحيائهم مرة ثانية بعد موتهم.

---

(١)-**سؤال:** علام تدل الفاء الداخلة على «إذا» الفجائية في قوله: «فإذا هو خصيم»؟

الجواب: تفيد الفاء العطف لا الترتيب والتعقيب.

(٢)-**سؤال:** يقال: ما الوجه في تسمية هذا الزعم مثلاً؟

الجواب: الوجه في تسميته مثلاً كونه عجيباً وغريباً فجرى مجرى المثل.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما موضع: «قال من يحيي»؟

الجواب: لا موضع لها لأنها جملة مبينة لما قبلها فهي بمنزلة عطف البيان.

(٤)-**سؤال:** ما إعراب «أول مرة»؟ وعلام عطفت الجملة: «وهو بكل خلق عليم»؟

الجواب: «أول مرة» منصوب على الظرفية متعلقة بأنشأها. «وهو بكل خلق عليم» في محل نصب على الحال من فاعل «أنشأها»، ويجوز أن تكون مستأنفة وليست الواو للعطف. «الذي...» بدل من الذي أنشأها.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴿٨٠﴾﴾(١) وسيحييها القادر الذي قدر على أن يجعل لكم من ذلك الشجر الأخضر ناراً تستنفعون بها بعد أن ييبس؛ فتفكروا في صنع من قدر على إيجاد هذه النار من الشجر الأخضر الممتلئ ماءً لتعلموا أن من فعل(٢) ذلك قادر على أن يخلق الإنسان ويعيد إليه حياته من رميم العظام.

﴿أَوَلَيْسَ(٣) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴿٨١﴾﴾(٤) الذي قدر على خلق السماوات بأفلاكها والأرض وما فيها،

---

(١)-**سؤال:** ما رأيكم في هذه الآية وحملها على شجرة «المرخ» التي قيل عنها بأنها تقدح فيها النار وهي خضراء؟

الجواب: الأولى تفسير ذلك بعموم الأشجار الخضر الممتلئة ماءً والتي هي مخلوقة من الماء ثم تتحول إلى وقود ملتهب، أما تفسيره بشجرة المرخ فشجرة المرخ غير معروفة للكثير وللغالبية من الناس، ولا ندري أين تنبت ولم نرها ولم نعرفها، وإنما نسمع عنها سماعاً غير متواتر، فلا ينبغي أن تكون دليلاً وحجة عامة لله تعالى مع إمكان تفسير الآية بما هو معروف لعامة بني آدم رجالاً ونساءً، والله أعلم.

(٢)- **سؤال:** يقال: هل هذا المثال من قياس العكس إذ إيجاد الحي من الميت (العظم المتفتت) عكس إخراج النار من الشجر الأخضر؟

الجواب: بل الذي يظهر لي أن ذلك مستوٍ وليس من قياس العكس، فالشجر الأخضر مثل العظم المتفتت ففي الشجر الأخضر حرارة كامنة وفي العظم المتفتت حرارة الحياة كامنة فلا يستبعد ظهور حرارة الحياة في العظم وانتعاشها فقد رأوا ظهور حرارة النار وانتعاشها من الشجر الأخضر.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما نوع الاستفهام في هذه الآية؟

الجواب: هو الاستفهام الإنكاري، ويصح أن يكون لتقرير ما بعد «ليس».

(٤)-**سؤال:** ما فائدة اقتران صفة الخلاق بالعليم في آية (٧٩)؟

الجواب: جيء بصفة «عليم» ليدل بها تعالى على أنه قادر على إحياء الموتى فإن الله تعالى إذا كان

=

وأوجدهما من العدم ألا يقدر على أن يخلق البشر مرة ثانية؟ بلى سيقدر على ذلك مهما وقد قدر على خلق ما هو أكبر وأعظم من ذلك.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴿٨٢﴾﴾(١) فهو قادر على كل شيء ولن يعجزه شيء، فإذا أراد(٢) شيئاً فإنه كائن لا محالة من دون مزاولة أي عمل أو حركة أو سكون.

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ(٣) كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴿٨٣﴾﴾(٤) فتنزه الله

علياً قدر أن يجمع أجزاء الميت الذي تحول تراباً وجرفته السيول وقدر أن يجمع فتيت عظامه المتفرق، وبكونه قادراً خلاقاً أعاد إحياء الموتى.

(١)-**سؤال:** يا حبذا لو أعربتم هذه الآية جزاكم الله خيراً؟

الجواب: «إنما» أداة حصر وقصر. «أمره» مبتدأ وخبره المصدر المؤول من «أن» وما دخلت عليه. «إذا أراد...» جملة شرطية معترضة بين المبتدأ والخبر وجواب الشرط محذوف.

(٢)- **سؤال:** ما الذي تختارونه في هذه الآية في معنى الإرادة؟ هل علمه باشتمال الفعل على المصلحة، أم فعله للشيء؟ مع التعليل حفظكم الله.

الجواب: الذي يقوى -والله أعلم- أن إرادة الله العلي الأعلى هي علمه باشتمال الفعل في وقت معين على الحكمة والمصلحة، وذلك لأن الإرادة متقدمة على المراد، والمراد مترتب على الإرادة، ولا يلزم على هذا وجود جميع المرادات في الأزل؛ إذ المقصود أن الله تعالى عالم في الأزل بأن الحكمة والمصلحة تقتضي إغراق مدينة كذا وكذا في ليلة كذا وكذا في عام ١٤٥٠ للهجرة مثلاً، فهذا هو المقصود بما ذكرنا، ولا يلزم منه أن يفعله الله في الأزل، كما وضحنا، وليس فيه ما يخدش في تنزيه الله عز وعلا، ولا يلزم منه محذور.

(٣)-**سؤال:** ما نوع اسمية «ملكوت»؟ وماذا تفيد؟

الجواب: الملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت في الرحمة والرهبة.

(٤)-**سؤال:** ما الذي يظهر لكم في مناسبة جعل هذه الآية خاتمة لهذه السورة المباركة؟

الجواب: تسبيح الله تعالى في هذه الآية يؤذن بتمامها، وأيضاً ذكر الرجوع إلى الله يوحي بذلك وذلك من حيث إن الرجوع إلى الله هو نهاية الحياة الدنيا.

وتقدس عما يقوله المشركون، وعما يستبعدونه على قدرته، وعن كل ما ينسبون إليه من العجز، فهو المالك لأمر السماوات والأرض القادر على أن يتصرف في ملكه كيف يشاء وأنى يشاء، الذي بيده خلقكم وموتكم وبعثكم وإليه مرجعكم للحساب والجزاء.



سورة الصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا۝٣﴾(١) أقسم الله سبحانه وتعالى هنا بملائكته الصافَّة أجنحتها لعبادته تعالى، وبالزاجرات وهم الملائكة المكلفون بسوق الرياح والسحاب وإنزال الأمطار، وبالملائكة المكلفين بإنزال الذكر.

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ۝٤ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ۝٥﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بهذه الثلاثة الأصناف من الملائكة على أنه لا إله إلا إله واحد يستحق العبادة في السماوات والأرض وهو الله الذي خلقهما وخلق ما فيهما، وخلق منازل الشمس التي تشرق منها، وذلك أنها تشرق كل يوم من مكان محدود على طول أيام السنة، ولها كل يوم منزلة تشرق منها لا تتغير عنها أو تتبدل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهذا وجه الجمع بقوله: «المشارق».

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ۝٦﴾(٢) والله هو الذي زين هذه السماء التي ترونها بالكواكب المنيرة المتوهجة بقدرته كالزهرة والمشتري وعطارد والمريخ وما أشبهها من الكواكب شديدة التوهج، وأما تلك النجوم التي نراها خافتة فهي في غير سماء الدنيا(٣).

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «صفاً» و«ذكراً»؟

الجواب: «ذكراً» مفعول مطلق لأنه من نوع التاليات، والتاليات بمعنى الذاكرات، ويجوز أن يكون مفعولاً به.

(٢)-**سؤال:** لطفاً ما إعراب «الدنيا» و«الكواكب» مع تنوين «زينة»؟ وعلى قراءة عدم التنوين؟

الجواب: «الدنيا» صفة للسماء والكواكب بدل من «زينة» إذا كانت منونة، وإن لم تنون فزينة مضاف والكواكب مضاف إليه.

(٣)-**سؤال:** هل نستفيد هذا من هذه الآية أم من دلالة أخرى؟ فضلاً بينوها لنا أحسن الله إليكم.

الجواب: استفيد هذا من هذه الآية ومن قوله تعالى في سورة الملك: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ...﴾ [الملك:٥]، والكواكب اسم خاص للمصابيح المضيئة في السماء.

﴿وَحِفْظًا[١] مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ۝٧﴾ وأيضاً جعلها الله سبحانه وتعالىٰ وهيأها لحراسة السماء من الشياطين المتمردة التي تصعد إلىٰ السماء لتسترق السمع، وما يدور بين الملائكة من الكلام، فإذا هم أحدهم بالصعود قذفه الله سبحانه وتعالىٰ بشهاب يحرقه.

﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ[٢] مِنْ كُلِّ جَانِبٍ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ۝٩﴾[٣] أراد الله تعالىٰ أن لا يتجسسوا علىٰ ما يجري في الملأ الأعلىٰ بين الملائكة، فجعل الله سبحانه وتعالىٰ تلك الشهب لتدحر وتحرق كل من صعد إلىٰ السماء وهمَّ بذلك من مردة الشياطين. ومعنىٰ «عذاب واصب»: دائم غير منقطع.

---

(١)-**سؤال:** قوله: «وحفظاً» في معنىٰ المفعول لأجله فعلام عطف؟ وهل في ذلك قاعدة مطردة؟

الجواب: عطف علىٰ المعنىٰ كأنه قيل خلقنا الكواكب زينة وحفظاً، ويسمىٰ مثل هذا في النحو التوهم.

(٢)- **سؤال:** فضلاً هل قوله «لا يسمعون» في موضع التعليل؟ فلماذا لم تحذف النون من الفعل «يسمعون»؟ أم في غير موضع التعليل؟ فما موضع جملته؟ وهل قوله: «ويقذفون» معطوف عليه فيلزم نفيه؟ أم كيف العطف فيها؟ وضحوا جميع ذلك فهي تشكل علينا.

الجواب: قد قالوا إن ذلك تعليل وأن الأصل: لئلا يسمعوا، إلا أنهم استضعفوا هذا القول وردوه لضعفه، وأحسن ما قيل في إعراب هذه الجملة إنها مستأنفة لبيان حال الجن بعدما حفظ الله تعالىٰ السماء عنهم، وجملة «ويقذفون..» لا محل لها من الإعراب معطوفة علىٰ جملة «لا يسمعون..»، ولا مانع من عطف الجملة المثبتة علىٰ الجملة المصدرة بالنفي، أي: علىٰ أن يكون النافي جزءاً من الجملة المعطوف عليها، ولا يلزم نفي «ويقذفون» إلا إذا جعلته معطوفاً علىٰ ما بعد «لا» النافية أي: علىٰ «يسمعون» وحدها؛ لأن المعطوف حينئذ يكون داخلاً في حيز النفي، وإذا عطفت علىٰ «لا» والفعل جميعاً لم يلزم نفي المعطوف، ويعرف المعنىٰ المراد بالقرائن.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب «دحوراً»؟ وعلام عطف قوله: «ولهم عذاب واصب»؟

الجواب: «دحوراً» مفعول من أجله أو مطلق؛ لأنه مرادف ليقذفون في المعنىٰ، كأنه قيل: ويدحرون دحوراً. «ولهم عذاب واصب» لا محل لها من الإعراب معطوفة علىٰ جملة: «لا يسمعون».

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ[١] شِهَابٌ ثَاقِبٌ۝﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه لا زال هناك شيء من الخطف[٢] من بعض مردة الشياطين الذين يستطيعون أن يصلوا إلىٰ السماء فيسترقوا بعض الكلمات، ولكن الواحد منهم لا يستطيع أن يرجع بشيء إذ يطارده الله سبحانه وتعالىٰ بشهاب يحرقه ويعذبه.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ۝﴾ فاسأل المشركين يا محمد أهم أشد خلقاً من خلق الملائكة[٣] الذين خلقوا من نور، والسماء وما فيها، وذكرهم بضعفهم وأصل خلقهم كيف كان من التراب؛ والطين اللازب: هو الذي خلط بالماء حتىٰ اشتد تماسكه والتصقت أجزاءه.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ[٤]۝ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ۝﴾ ثم أخبرنا الله

---

(١)- **سؤال:** مم الاستثناء هنا بقوله: «إلا من خطف»؟ وما العلة في التعدية بالهمزة في قوله: «فأتبعه» مع صلوح «فتبعه» الثلاثي؟

الجواب: الاستثناء هو من فاعل يسمعون. «أتبعه» مزيد موافق للمجرد فليست الهمزة فيه للتعدية، وفائدة الزيادة فيه هي تأكيد المعنىٰ، فزيادة الحروف تدل علىٰ زيادة المعنىٰ.

(٢)- **سؤال:** يقال: ما السر في التخلية من الله للشياطين في الخطف هذا؟

الجواب: لعل السر –والله أعلم– هو زيادة الفتنة والاختبار من حيث أن الشياطين تلقي ما تختطفه من أخبار السماء الدنيا (الغيب) إلىٰ أوليائها من الكهنة، فتنشر الكهنة ذلك بين الناس؛ فإذا حدث ما أخبرت به الكهنة افتتن الناس بالكهنة، واعتقدوا فيهم علم الغيب.

(٣)- **سؤال:** فضلاً من أين نفهم أنهم الملائكة؟

الجواب: فهمنا ذلك من الاسم الموصول «من» الموضوع للعقلاء والسماء وما فيها، وفي سورة النازعات قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا۝ رَفَعَ سَمْكَهَا..﴾ [النازعات]، ويمكن أن يكون المراد في هذه الآية هو المراد في آية النازعات، ويراد بالاسم الموصول «من» السماء ونجومها واستعمل «من» لغير العاقل لمعادلتها للعاقل ووقوعها في صحبته.

(٤)- **سؤال:** يقال: كيف ساغ عطف المضارع علىٰ الماضي في ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ۝﴾ إن كانت الواو عاطفة؟

الجواب: الواو في «ويسخرون» واو الحال وليست للعطف أي: وهم يسخرون.

تعالى عن نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه قد تعجب من تكذيب قومه واستهزائهم به وبما جاء به، وأنه إذا ذكرهم بآيات الله تعالى فهم لا يتعظون ولا يتذكرون.

﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ۝١٤ وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ۝١٥﴾ وأنهم إذا أنزل الله سبحانه وتعالى عليهم آية من آياته، أو أطلعهم أحد على شيء من آياته فإنهم يتكلفون[١] السخرية والتكذيب بها، وأما في الحقيقة فقد عرفوا أنها حق وصدق، وأنها آية من آيات الله سبحانه وتعالى، وأيضاً يتهمون محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن ما يتلوه ليس إلا من كلام السحرة والمشعبذين.

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ۝١٦﴾ وكانوا أيضاً ينكرون البعث والحساب، ويستبعدون على الله سبحانه وتعالى أن يقدر على إعادة خلقهم وإحيائهم بعد أن صارت عظامهم تراباً ورفاتاً.

﴿أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ[٢]۝١٧ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ[٣]۝١٨ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ

---

(١)-**سؤال:** هل فهمنا التكلف منهم من السين الداخلة على «يسخرون» فما هي قاعدتها المطردة؟

الجواب: السين والتاء الداخلة على الفعل تفيد طلب الفعل يقال: «استخرج زيد الطين» مثلاً أي: طلب خروجه يستخرجه، والطلب هنا هو بالفعل لا بالقول، والطلب بالفعل هو تكلف خروجه فهذه قاعدة السين والتاء في كل فعل، وقد تأتي السين والتاء الداخلة على الفعل لغير الطلب كالصيرورة يقال: استحجر الطين أي: صار حجراً، واستنوق الجمل أي: صار ناقة.

(٢)- **سؤال:** علام عطف قوله: «آباؤنا الأولون»؟ وهل الاستفهام الداخل عليه للتأكيد؟ أم أنه للتأسيس؟

الجواب: عطف «آباؤنا...» على ضمير الرفع الذي في «لمبعوثون»، والاستفهام الداخل على «وآباؤنا» للتأكيد وليس للتأسيس.

(٣)-**سؤال:** كيف نعرب قوله: «نعم»؟ وما محل جملة: «أنتم داخرون»؟

الجواب: «نعم» حرف جواب حذفت بعده جملة الجواب، والتقدير: نعم أنتم مبعوثون أنتم وآباؤكم، ومحل جملة «أنتم داخرون» النصب على الحالية.

﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ۝١٩ وَقَالُوا يَاوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ۝٢٠ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ۝٢١﴾[١] فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيبهم بأن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبعثهم وسوف يعيد خلقهم وهم صاغرون، وأن ما ينكرونه سوف يرون عما قريب تحقق وقوعه، وعند ذلك سينادون على أنفسهم بالويل والثبور. ومعنى «زجرة واحدة»: صيحة واحدة.

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ۝٢٢ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ[٢] إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ۝٢٣ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ۝٢٤﴾[٣] فعند ذلك سيأمر الله سبحانه وتعالى ملائكة العذاب بأن يجمعوا أولئك المكذبين بآياته مع أزواجهم ومعبوداتهم فيقفوا بهم وقفة بين يدي الله سبحانه وتعالى للمحاكمة والمساءلة، ثم يسوقوهم[٤] على وجوههم إلى جهنم وبئس المصير. ومعنى «أزواجهم» أشباههم وأمثالهم ومعاونوهم.

---

(١)- **سؤال:** هل عطف قوله: «وقالوا» على «ينظرون» فلِمَ؟ وما إعراب: «يا ويلنا»؟ وهل قوله: «هذا يوم الفصل..» إلخ، لا زال من كلامهم؟ أم أنه من كلام الله سبحانه كالجواب عليهم؟

الجواب: «وقالوا» استئناف وليس بمعطوف على «ينظرون». «يا» حرف نداء، «ويلنا» منادى مضاف منصوب. «هذا يوم الفصل» محتمل لأن يكون من كلامهم، ويحتمل أنه من كلام الله تعالى.

(٢)- **سؤال:** هل معنى الهداية هنا السوق فمم أخذت؟

الجواب: السوق إلى النار هو هداية بعنف إليها. والهداية: هي بمعنى الدلالة، إلا أنها دلالة بعنف وإهانة.

(٣)- **سؤال:** هل يصح أن يستدل المرشد بهذه الآية: «إنهم مسؤولون» على وقوع السؤال بين يدي الله عن كل صغير وكبير؟ أم أنها خاصة هنا في السؤال عن المناصرة بين هؤلاء ومعبوداتهم؟

الجواب: الذي يظهر أن هذه الآية خاصة عن المناصرة بين المشركين ومعبوداتهم من دون الله، وهذا ما يفيده ظاهر السياق.

(٤)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن السوق إلى جهنم قبل وقفة المساءلة، فما وجه تقديمها عليه؟

الجواب: يساقون إلى النار بعد حشرهم ويوقفون في طريقهم للسؤال والجواب.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾[1] يسألهم الله تعالى عن آلهتهم التي كانوا يعبدونها ويدعون أنها ستنصرهم، وستدفع عنهم إن احتاجوا إليها أين تلك الآلهة لكي تنصركم وتدفع عنكم؟ وهذا سؤال توبيخ يزيدهم الله به غماً إلى غمهم.

﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ ولكن خاب ظنهم فيها، فلم يبق لهم إلا الاستسلام لله تعالى ذليلين مقهورين صاغرين.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ[2] قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ[3] قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ يخبر الله تعالى عن حال أهل النار عند سوقهم إليها كيف يتلاومون فيما بينهم، فيرد كل واحد اللوم على صاحبه في أنه السبب في ضلاله وخروجه بما كان يزعم أنه يبذل له النصح في الكفر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به، ويدعي أنه إنما يشفق عليه من الضياع والهلاك، فيجيبه صاحبه بأنه ليس السببَ كما يزعم، وأنه الذي أُتِيَ من قِبَل نفسه، فلم يكن يريد الإيمان كما يزعم وإلا لما استجاب لداعي الكفر.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ وأنك الذي تركت الحق بمحض إرادتك واختيارك، فلم نقسرك على الضلال قسراً أو نكرهك عليه. ومعنى «طاغين»: مجاوزين الحد في معصية الله سبحانه وتعالى.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: «ما لكم لا تناصرون»؟

الجواب: «ما لكم» ما: اسم استفهام مبتدأ، ولكم: متعلق بمحذوف خبر. «لا تناصرون» جملة لا محل لها من الإعراب مستأنفة لبيان المراد من الاستفهام.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما موضع جملة «يتساءلون» الإعرابي؟

الجواب: هي في محل نصب حالية من فاعل «أقبل».

(٣)-**سؤال:** يقال: ما الوجه في التعبير عن صدهم لهم بأنهم يأتونهم عن اليمين؟

الجواب: تقع اليمين كناية عن الخير والدين والنصيحة والقوة والقسم.. والشمال عن الشر و...، فوقعت اليمين هنا في هذه الآية بمعنى أنهم يأتونهم من باب النصيحة والدين والخير فاغتروا بذلك.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ۝٣١﴾[(١)] وأن ما صرنا فيه من العذاب إنما هو بما جنيناه على أنفسنا وقد وقعنا فيما أنذرتنا به رسل الله من العذاب ولا مخرج لنا منه.

﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ۝٣٢ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ۝٣٣﴾[(٢)] وقد استجبتم لنا عندما دعوناكم إلى الضلال، فقد صرنا جميعاً سواء في الغواية والعذاب.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ۝٣٤﴾[(٣)] أخبر الله سبحانه وتعالى أن هذا هو حكمه في كل من ضل وخرج عن الطريق.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما السر في فصل جملة: «إنا لذائقون» عن التي قبلها؟

الجواب: فصلت لأنها مستأنفة لبيان ما هو القول في جواب سؤال مقدر.

(٢)- **سؤال:** هل قوله سبحانه: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ۝٣٣﴾ لا زال من كلامهم؟ أم أنه من كلام الله وحكمه فيهم؟

الجواب: هو من كلام الله تعالى وليس من كلامهم.

(٣)- **سؤال:** كيف يتلخص لنا الاستدلال من هذه السبع الآيات على أن فعل الإنسان وارتكابه للمعاصي إنما هو بمحض إرادته واختياره؟

الجواب: في أول هذه الآيات السبع يوجه بعضهم إلى بعض بأنكم الذين أوقعتمونا في الضلال بخدعكم لنا عن طريق النصيحة، فلو كان الله تعالى هو الذي خلق فيهم الضلال وأجبرهم عليه لأكذبهم الله ولما أقرهم على ما يقولون ويعتذرون بين يديه في موقف القيامة، وفي رد البعض الموجه إليه السؤال ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ۝٣٢﴾ اعتراف بين يدي الله بفعل الإغواء ولو لم يكن ذلك حقاً لأكذبهم الله تعالى.

وبعد، فكون الإنسان مختاراً في أفعاله إن شاء فعل وإن شاء ترك هو شيء فطري ووجداني يدرك الإنسان بفطرته ويجد من نفسه أنه مختار في أفعاله بفعل ما يشاء ويترك ما يشاء، لا يجد في نفسه أن وراءه أمراً يدفعه إلى الفعل أو الترك سوى إرادته واختياره.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ۝٣٥(١) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ۝٣٦﴾ يبين الله سبحانه وتعالىٰ السبب في استحقاقهم العذاب بأنهم كانوا إذا دعاهم أحد إلىٰ عبادة الله سبحانه وتعالىٰ وحده فإن الكبر يأخذهم عن قبول الحق، ويستنكرون علىٰ النبي ﷺ إذا ذكرهم بالله تعالىٰ، فكيف يتركون آلهتهم تلك لأجل كلام شاعر قد أصابه الجنون.

﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ۝٣٧﴾ فيجيب الله سبحانه وتعالىٰ عليهم بأنه ليس بشاعر ولا مجنون كما يقولون، وأنه إنما أتاهم بالدين الحق من عند الله سبحانه وتعالىٰ، وقد سلك في دعوته نفس الطريق التي سار عليها المرسلون قبله، فجاء بما جاءوا به من الحق.

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ۝٣٨ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ(٢)۝٤٠ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ۝٤١(٣) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ۝٤٢(٤) فِي

---

(١)-**سؤال:** إذا كان قوله: «يستكبرون» خبراً لـ«كان» فأين جواب الشرط «إذا قيل»؟

الجواب: الشرط معترض وجوابه مقدر مدلول عليه بكانوا وخبرها.

(٢)-**سؤال:** فضلاً هل الاستثناء بقوله: «إلا عباد الله المخلصين» متصل أم منفصل؟ مع بيان علته؟

الجواب: الاستثناء منقطع لعدم دخول عباد الله المخلصين في الوعيد الذي هو المستثنىٰ منه.

(٣)-**سؤال:** يقال: ما الوجه في جعل الرزق معلوماً؟ ولا سيما مع قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]؟

الجواب: قد فسر الرزق بالفواكه، والفواكه في الدنيا أنواع كثيرة وكل نوع تحته أنواع. وتختلف الفواكه من بلد إلىٰ بلد، ولكل بلد فواكهه وأنواعه. ولعل الله تعالىٰ ذكر الرزق المعلوم وفسره بالفواكه لكونها أعظم نعيم الجنة لكثرتها في الجنة ولكثرة أنواعها واختلاف صفاتها وطعومها مع أن هناك غيرها من النعيم كأنهار العسل والخمر ولحم الطير، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر.

(٤)-**سؤال:** هل قوله: «فواكه» بدل من رزق؟ وما موقع جملة: «وهم مكرمون»؟

الجواب: «فواكه» بدل من «رزق» أو عطف بيان. «وهم مكرمون» يحتمل النصب علىٰ الحالية والرفع بالعطف علىٰ الخبرية.

جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴿٤٤﴾﴾[١] التبشير والإنذار[٢] هو الدين الذي جاء به الأنبياء والمرسلون من عند الله رب العالمين، وهو إنذار من أشرك بالله سبحانه وتعالى وعبد غيره بالعذاب الأليم في نار جهنم، وتبشير من آمن بالله تعالى وصدق رسله بالثواب العظيم في جنات النعيم، ثم وصف الله سبحانه وتعالى ذلك النعيم الذي أعده لأهل الجنة بأنه أصناف المأكولات من الفواكه المتنوعة والأكلات الكثيرة المتعددة، مع ما يكون من اجتماعهم مع أصحابهم وندمائهم يتبادلون أطراف الحديث فيما بينهم مع ما يكون من الخدم والحشم الذين يحفون بهم وينتظرون أوامرهم، ويقدمون لهم كؤوس المشروبات التي يتلذذون بها ويستمتعون بشربها.

﴿يُطَافُ[٣] عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ[٤] لِلشَّارِبِينَ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ

---

(١)-**سؤال:** بماذا تعلق قوله: «على سرر»؟ وما إعراب «متقابلين»؟

الجواب: «على سرر» متعلق بمتقابلين، و«متقابلين» منصوب على الحالية.

(٢)-**سؤال:** لعلكم بنيتم كلامكم هنا على أن جملة: «إنكم لذائقو العذاب..» جواب لسؤال مقدر من مضمون «وصدق المرسلين» تقديره: فيم صدقهم؟ فهل يصح أيضاً أن يكون ابتداء كلام جديد في الحكم على هؤلاء المتهمين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالشعر والجنون بإذاقة العذاب، أم لا؟

الجواب: لا مانع من أن يكون «إنكم لذائقوا..» مستأنفاً لبيان صدق الوعيد الذي كذبوا به فيما حكاه الله عنهم في الآية السابقة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴿٣٦﴾﴾ فإن ذلك يدل على أنهم كذبوا بكل ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من التوحيد والبعث والنار والجنة و... إلخ.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما موضع هذه الجملة «يطاف عليهم...»؟

الجواب: موقعها النصب على أنها حال من ضمير متقابلين. ويصح أن تكون مستأنفة في جواب سؤال مقدر: كيف يكرمون؟ أو ما هي الكرامة التي يكرمون بها؟ فلا محل لها من الإعراب.

(٤)-**سؤال:** هل يطلق على الكأس خمر؟ أم نفهم الخمرية من قوله: «من معين»؟ وقوله: «بيضاء لذة» صفة لماذا؟

الجواب: يقال للزجاجة التي فيها الخمر كأس، ويقال للخمر كاس مجاز مشهور، هكذا قالوا، «من معين» صفة لكأس، و«بيضاء ولذة» كل منهما صفة لكأس فالكأس اسم للخمر مجاز مشهور.

وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴿٤٧﴾﴾[1] ثم وصف الله سبحانه وتعالى المشروبات التي يطاف عليهم بها بأنها من الخمر التي يتلذذون بشربها من دون أن تغير عقولهم أو يصيبهم الصداع من شربها كما هو الحال في خمر الدنيا، ولن يلحقهم أي ضرر من شربها.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴿٤٩﴾﴾[2] الحور العين اللواتي خلقهن الله وسخرهن لمتعة أزواجهن، فلا يرفعن أبصارهن إلى غيرهم أبداً، وهن كاملات الحسن والجمال واسعات العيون يشبهن في صفاء أبشارهن وحسنها وجمالها اللؤلؤ الذي لم يتعرض للشمس ولا للهواء.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴿٥٠﴾﴾ ثم وصف الله تعالى اجتماعهم على الأرائك، وكيف يتبادلون الحديث فيما بينهم، وما يدور بينهم من الحوار فقال: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴿٥١﴾[3] يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴿٥٢﴾﴾ فيخبر

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم هل حرف الجر «عنها» على بابه أم لا؟ فما معناه؟ ومم أخذت كلمة: «ينزفون»؟ وما الفرق بينها وبين الغول المنفي بالجملة قبلها؟

الجواب: «عنها» على بابها ومعناها المجاوزة والسبب في مجيء «عن» أن الآية وردت في وصف خمر الجنة بأنه لا يسكر و... أي: لا يتجاوز السكار والغول عنها إلى شاربها، فإذا وصفت الرجل بالقوة ومتانة الأعصاب عند شرب الخمر تقول: لا يصدع الرجل من الخمر، فالخمر سبب للسكر إلا أن الرجل قوي لا يؤثر فيه الخمر. «ينزفون» أصل الكلمة: نزف، والنزف أخذ الماء من البئر ونحوها. والغول: هو الصداع، وينزفون: بمعنى تذهب عقولهم (يسكرون).

(٢)-**سؤال:** يقال: هل إطلاق البيض على اللؤلؤ حقيقة أم مجاز؟

الجواب: تفسير البيض المكنون باللؤلؤ تفسير مأثور عن ابن عباس وغيره، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة]، وإطلاق البيض المكنون على اللؤلؤ من الدلالات المجازية الذي علاقته التشبيه كما يظهر.

(٣)- **سؤال:** فضلاً على من يطلق القرين هل على الصاحب الصديق؟ أم على من لازم ولو لم يكن صديقاً؟

الجواب: يطلق على الملازم ولو لم يكن صديقاً.

بعضهم عن بعض ما جرىٰ عليه في الدنيا وما حصل له فيها من وساوس شياطين الإنس والجن، وكيف كانوا يستنكرون عليه إيمانه بالله تعالىٰ وتصديقه برسله، وكيف كانوا يدعونه إلىٰ التكذيب بالله تعالىٰ وبرسوله.

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ وما كان هذا القرين يستنكر عليه من الإيمان بالبعث والحساب. ومعنىٰ «المدينون»: مجزيُّون محاسبون.

﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ۝ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ ثم ما يكون من دعوة هذا المتحدث عن قرينه إلىٰ الخروج للإطلاع علىٰ أهل النار وهم يعذبون فيها، وكيف سيرىٰ كل واحد قرينه الذي كان يحاول إضلاله في الدنيا، وما يكون من إطلاعه بنفسه ورؤيته لقرينه معذباً في وسط الجحيم.

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ[1] ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ وما سيقوله عندما يرىٰ قرينه ذلك وهو يعذب، وأنه سيحمد الله تعالىٰ أنه قد تداركه برحمته ووفقه بعدم الاستجابة والسماع لمحاولة قرينه في إضلاله وإغوائه؛ فإنه قد كاد أن يغويه ويهلكه بزخرف قوله ومعسول كلامه.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ وما سيقوله[2]

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: «تالله إن كدت لتردين»؟

الجواب: «إن» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن مستتر فيها وجوباً، والجملة التي بعدها في محل رفع خبر، واللام هي الفارقة.

(٢)-**سؤال:** فعلىٰ هذا ما يكون معنىٰ الاستفهام في هذه الآية؟

الجواب: معناه الإنكار، والمراد في التفسير أن الرجل الصالح ذكَّر قرينه الكافر بما كان يعتقده ويقوله في الدنيا من إنكار البعث علىٰ وجه الاستنكار.

سؤال: ما الذي نستفيده ونأخذه من هذه الآيات وحديث القرين مع قرينه؟

الجواب: الذي يستفاد من هنا ويؤخذ أن جليس السوء سبب مؤثر في جرِّ جليسه إلىٰ السوء وإلىٰ معصية الله تعالىٰ والعكس صحيح، فحقيق بالمؤمن أن يقصد إلىٰ مجالسة الصالحين ومصاحبتهم وأن يتجنب مجالسة العصاة والقاسطين والمنافقين وذوي الدناءة والأخلاق الفاسدة، وأن يكون =

لذلك القرين، ويذكِّره بما كان ينكر من البعث والحساب، وما صار إليه بسبب ما كان ينكره.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ۝ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ۝﴾(١) وأنه سيحمد الله سبحانه وتعالى على سلامته من العذاب، والفوز بالجنة والنعيم الذي ينبغي أن يجد المرء جده ليصل إليه.

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ۝﴾ ومما يقوله لقرينه أيضاً: أي النُّزُلين أفضل: أَطَعَام الزقوم ذلك الذي تأكله؟ أم النعيم العظيم الذي في الجنة الذي حرمت منه بسبب كفرك وتكذيبك؟

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ۝ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ۝﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن أصل منبت شجرة الزقوم هذه في قعر جهنم، وأنها نبتت لأجل تعذيب الظالمين بما يأكلون من ثمارها القبيحة ومذاقها اللاسع الأليم. والمراد بقوله: «طلعها كأنه رؤوس الشياطين»: ثمرها قبيح المنظر يشبه رؤوس الشياطين أي: أن ثمرتها في غاية القبح.

﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ۝﴾ وسيأكلون منها وإذا أكلوا فإنها ستقطع أمعاءهم، وستشوي أجوافهم من شدة حرارتها ومرارتها(٢).

على حذر منهم فلا يصغي إلى حديثهم ولا يثق بما قالوه: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ۝﴾ [الحجرات]، فسمى الله تعالى خبرهم جهالة تتبعها ندامة.

(١)-**سؤال:** يقال: هل يصح أن نحمل هذا الكلام على أنه من كلام الله لا من كلام هذا المؤمن؟ وكذا الآية التي بعدها ليوافق الآية الثالثة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً﴾؟ أم لا يصح ذلك؟ وما إعراب: «نزلاً»؟

الجواب: نعم يصح حمله على ما ذكرتم فالسياق محتمل لما ذكرنا وما ذكرتم. و«نزلاً» تمييز.

(٢)-**سؤال:** إذاً فما يكون المقصود بقوله: «فمالئون منها البطون»؟

الجواب: يأكلونها ويملأون بطونهم منها مع ما يفعله في بطونهم من شويها وتقطيع أمعاءهم، ولا يمنعهم ذلك من الأكل.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴿٦٧﴾﴾ وما سيجعل الله سبحانه وتعالىٰ لهم مع هذا الأكل من شراب الحميم الذي يقطع أمعاءهم.

ومعنىٰ «لشوباً»: خلطاً ومزاجاً.

﴿ثُمَّ(١) إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴿٦٨﴾﴾ ومع أكلهم وشربهم من الحميم فلا زالوا أيضا يتقلبون بين النار ولهيبها، ويذوقون أصناف العذاب في وسطها.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ ءَاثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴿٧٠﴾﴾(٢) ثم ذكر الله سبحانه وتعالىٰ السبب فيما صاروا إليه من العذاب، وهو أنهم سلكوا في الدنيا طريقة آبائهم في الشرك والضلال وعبادة الأصنام. ومعنىٰ «ألفوا»: وجدوا.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴿٧٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴿٧٤﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ بأن أكثر الأمم السابقة كانوا علىٰ طريقة قومه في الشرك وعبادة الأصنام علىٰ الرغم من الأنبياء الذين أرسلهم الله إليهم يدعونهم إلىٰ عبادة الله تعالىٰ وحده وينذرونهم لقاء ربهم، وقد أهلكهم الله تعالىٰ وعذبهم بسبب تكذيبهم وتمردهم، لم ينج منهم أحد إلا من كان آمن بالله تعالىٰ.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ(٣)﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما السر في استخدام حرف العطف «ثم»؟ وما إعراب: «لإلىٰ الجحيم»؟

الجواب: السر في «ثم» هنا هو الإشارة إلىٰ أن ما بعدها أعظم وأشد علىٰ المعذبين مما قبلها أي: أنه لا راحة لهم بعد الأكل من الزقوم وشراب الحميم. «لإلىٰ الجحيم» اللام هي المزحلقة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر «إن» في محل رفع.

(٢)-**سؤال:** قد يقال: ما السر في استخدام صيغة المبني للمجهول في قوله: «يهرعون»؟

الجواب: ليفيد أن شيئاً يستحثهم ويزعجهم وهو ما يفعله بعضهم ببعض من الحث والإزعاج.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: «فلنعم المجيبون»؟

الجواب: الفاء عاطفة واللام في جواب قسم محذوف ونعم فعل ماضي جامد للمدح والمجيبون فاعل نعم والمخصوص بالمدح محذوف أي: نحن.

﴿الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾[١] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه بأنه قد استجاب لنوح عليه السلام عندما دعاه بأن يحكم بينه وبين قومه، وقد أنزل بهم عذابه فأغرقهم وأهلكهم جميعاً، ولم ينج منهم إلا من كان قد آمن من أهله[٢].

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ وأنه لم يبق على وجه الأرض بعد ذلك العذاب المستأصل من بني آدم إلا نوح ومن آمن من أهله وأولاده، وأن كل من على وجه الأرض الآن من البشر فهم من عقبه.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ[٣] فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ[٤] ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن نبيه نوح عليه السلام بأنه قد أعطاه ثواب الدنيا مع ثواب الآخرة جزاءً على صبره في سبيل نشر دينه والدعوة إليه، وذلك بما جعل له من الذكر الحسن والثناء الجميل بين جميع الأمم إلى يوم القيامة، وأن هذا

---

(١)- **سؤال:** هل الكرب الذي نجّاه الله تعالى منه هو الاغتمام بطول معاناته من قومه أم لا؟

الجواب: الكرب الذي نجاه الله تعالى منه هو الطوفان الذي أهلك الله تعالى به قومه، ويحتمل أن الكرب هو أذى قومه وما ذكرناه أولاً هو الأولى لقوله تعالى في آية أخرى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا...﴾ [الأعراف:٦٤]، وفي آية: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ...﴾ [العنكبوت].

(٢)- **سؤال:** ما وجه الحصر هنا؟ أو من أين فهمناه؟

الجواب: فهم ذلك مما قصه الله تعالى عن قوم نوح من أنه نجى المؤمنين وأغرق الباقين، وقوله: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح].

(٣)- **سؤال:** فضلاً هل «على» في قوله: «عليه في الاخرين» على بابها أم لا؟ ولِمَ حذف المفعول الذي هو ثناءً حسناً أو ذكراً جميلاً؟

الجواب: تركنا مضمن معنى «أبقينا» وأبقينا يتعدى بعلى يقال: لا أبقى الله عليك إن أبقيت علي، وأبقى على فلان إذا رحمه. اهـ من مختار الصحاح باختصار. وحذف المفعول به للعلم به من السياق.

(٤)- **سؤال:** هل قوله: «سلام على نوح..» تأكيد لمدلول الآية الأولى أم لها فائدة جديدة؟

الجواب: قوله: «سلام على نوح...» هو مفعول به لتركنا أي تركنا عليه هذه التحية، «سلام على نوح» تحييه بها الأمم إلى يوم القيامة، والمراد أنبياء الله وأتباعهم فهم الذين يحيونه هم وأتباعهم المؤمنون.

الجزاء سيجازي به كل من أحسن إلى نفسه وامتثل لأوامره وانتهى عما نهاه عنه.

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ۝٨١ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ۝٨٢﴾[1] وكل ما أعطى الله سبحانه وتعالى نبيه نوحاً عليه السلام من إجابة دعائه، وما جعل له من الثواب في الدنيا والآخرة هو لأجل إيمانه بالله تعالى، وصبره في طاعته ومرضاته.

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ۝٨٣﴾ ثم ذكر الله تعالى أن ممن سار على طريقة نوح عليه السلام من الدعوة إلى الله تعالى والصبر على دينه إبراهيم عليه السلام، فأخبر أنه من المشايعين له على دعوته ومن المصدقين بنبوته ورسالته[2].

﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ۝٨٤﴾ وقد أثنى الله سبحانه وتعالى عليه بأن قلبه كان نظيفاً من الشرك بالله تعالى وعبادة الأصنام قبل[3] أن يبعثه الله تعالى للنبوة ويصطفيه للرسالة.

---

(١)- **سؤال:** يقال: ما العلة في العطف بـ«ثم» في قوله: «ثم أغرقنا الآخرين»؟ وأيضاً قد أشير إلى غرقهم بقوله: «فلنعم المجيبون..»؟

الجواب: جيئ بـ«ثم» هنا لتفيد أن ما بعدها من المنة والنعمة أعظم مما قبلها، والإشارة إلى الغرق أولاً لا يفيد هذا المعنى الذي تفيده هذه الآية.

(٢)- **سؤال:** فضلاً هل من الممكن أن نعرف كم بين إبراهيم ونوح عليهما السلام؟

الجواب: قال الله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا۝٣٧ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا۝٣٨﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ...﴾ [إبراهيم:٩]، فالأقرب أن تاريخ ما قبل إبراهيم عليه السلام مجهول لا يعلمه إلا الله تعالى.

(٣)- **سؤال:** من أين نستفيد سلامة قلبه قبل النبوة؟ ومن أين استفدنا أن سلامة قلبه من الشرك والظاهر التعميم؟

الجواب: استفيد سلامة قلبه قبل النبوة بمعونة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ۝٥١﴾ [الأنبياء]، وبما علم في علم الكلام من عصمة الأنبياء قبل النبوة من الكبائر. واستفيد سلامة قلبه من الشرك بورود قوله تعالى بعده: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ۝٨٥﴾ فـ«إذ قال لأبيه» بدل من: إذ جاء ربه.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ۝٨٥ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ۝٨٦﴾(١) وأثنى الله تعالى عليه أيضاً بسبب ما كان منه من الصبر والتفاني في الدعوة إلى الله تعالى، وما بذل من نفسه في سبيل نشر دعوته ودينه، وما لاقاه من قومه في سبيل ذلك حيث أنكر عليهم باطلهم واختلاقهم لما أرادوا عبادة غير الله، وكيف واجههم غير مبال بهم ولا بآلهتهم مع عظم الأمر الذي قام به.

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ۝٨٧﴾(٢) فلماذا تتركون عبادة رب السماوات والأرض وما فيهما الذي هو جدير بالعبادة دون تلك الأحجار التي تنحتونها بأيديكم.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ۝٨٩ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ۝٩٠﴾(٣) قد حكى الله سبحانه وتعالى في سورة الأنعام مجادلة إبراهيم لقومه في قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي....... إلى قوله: .. لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ۝٧٧﴾ [الأنعام:٧٦، ٧٧]، وما كان من استدراجه لهم إلى التسليم بكذب ما يدعون، فهذا هو المراد من نظره في النجوم وتأمله في الشمس والقمر وتوصله

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما هو العامل في «إذ» في قوله: «إذ قال»؟ وما إعراب: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ۝٨٦﴾؟

الجواب: العامل في الظرف «إذ» قوله: «من شيعته»؛ لأن المعنى: وممن شايعه على دينه لإبراهيم حين جاء ربه...، و«إذ قال..» بدل من «إذ جاء» والعامل في البدل هو العامل في المبدل منه.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ۝٨٧﴾؟

الجواب: «ما» اسم استفهام مبتدأ، و«ظنكم» الخبر. «برب العالمين» جار ومجرور متعلق بظنكم، والاستفهام إنكاري بناء على أنهم ظنوا أن الله راض أن يجعلوا له أنداداً ليعبدوها من دونه وأنه لا يعذبهم على ذلك.

(٣)- **سؤال:** يقال: ما الوجه في عدم صحة ما يروى عن إبراهيم عليه السلام في معنى هذه الآيات أنه اعتذر بكونه مريضاً عن خروجه إلى عيدهم بعد أخذه لذلك عن علم النجوم أو نحو ذلك؟

الجواب: لا تصح تلك الرواية لأن الله تعالى يختص وحده بعلم الغيب فلا طريق إلى معرفته لا من علم النجوم ولا غير علم النجوم.

بذلك إلى مطلوبه. والمراد بقوله «إني سقيم»: أي مريض مرضاً قلبياً من الشرك؛ ولكنهم بعد أن ألزمهم الحجة وغلبهم أصروا على كفرهم وتمردهم، ونفروا من إبراهيم وما يدعوهم إليه.

﴿فَرَاغَ إِلَى ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ۝٩٢﴾ بعد أن حاججهم وألزمهم الحجة ولم يؤمنوا وأصروا على كفرهم، تحول بعد ذلك إلى آلهتهم التي يعبدونها من دون الله تعالى يسألها: لماذا لا تأكلين من هذه القرابين التي يقدمونها إليك؟ ولماذا لا تجيبين على ما سألتك؟

وسؤاله لها إنما كان تهكماً بها وسخرية من قومه عندما يعبدونها.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ۝٩٣﴾(١) فعزم على تكسيرها وتحطيمها، ولم يُبْقِ إلا على كبيرها لحاجة أضمرها في نفسه، وذلك أن الله سبحانه وتعالى ألهمه أن يترك كبيرها ليحاجج قومه بتوجيه اللوم عليه.

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ(٢)۝٩٤ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ۝٩٥ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ۝٩٦﴾(٣) عندما علموا بما فعل أقبلوا عليه مسرعين عازمين على الانتقام

---

(١)- **سؤال:** هل أخذ قوله: «فراغ» من الروغان؟ فمن لوازمه الخفية أليس كذلك؟ وما إعراب «ضرباً»؟وهل الباء في قوله: «باليمين» للاستعانة أم ما معناها؟

الجواب: نعم المعنى: فمال إليهم في خفية. «ضرباً» مفعول مطلق لـ«راغ» لأنه في معناه أو لفعل محذوف أي يضربهم ضرباً، والباء في «باليمين» للاستعانة أو الآلة أي: بالقوة التي هي كالآلة للضرب.

(٢)- **سؤال:** لطفاً ما أصل كلمة «يزفون» ومم اشتقاقها؟

الجواب: «يزفون» مأخوذة من زفيف النعام أي: جريها.

(٣)- **سؤال:** إذا استدل أهل القدر على خلق أفعال العباد بهذه الآية فما هو الجواب البسيط المقنع للعوام الذي يجيب به المرشد؟

الجواب: يقول المرشد: إن المعنى: والله خلقكم وخلق الحجار التي تنحتونها. والدليل أن الله تعالى استنكر على المشركين في أول هذه الآية عبادتهم للحجار التي ينحتونها: ﴿**أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ۝٩٥**﴾ [الصافات]، فالله أحق بالعبادة لأنه الذي خلقكم وخلق الحجارة التي تنحتونها أصناماً.

لآلهتهم، فسألهم: كيف تعبدون حجراً تنحتونه بأيديكم؟ مستنكراً عليهم خفة عقولهم عندما يجعلون إلههم حجراً لا تسمع ولا تبصر، ويتركون عبادة الذي خلقهم وخلق الأحجار التي ينحتونها بأيديهم.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ۝٩٧﴾(١) عندما غلبهم إبراهيم عليه السلام بحجته، وإلزاماته فلم يحيروا جواباً، عزموا على قتله والتخلص منه فأضرموا له ناراً عظيمة، وألقوه بينها.

﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ۝٩٨﴾ أرادوا أن يحرقوه ويتخلصوا منه فنجاه الله سبحانه وتعالى من تلك النار التي ألقوه فيها، وجعلها برداً وسلاماً عليه، وخابوا فيما أرادوا من الكيد به وقتله.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ۝٩٩﴾ وبعد أن أنجاه الله تعالى من النار عزم على الهجرة من بين قومه إلى أرض الشام بأمر من الله تعالى(٢).

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ۝١٠١﴾(٣) توكل إبراهيم على الله تعالى وفوض أمره إليه، ودعاه أن يرزقه بالذرية الصالحة، فاستجاب الله

---

(١)-**سؤال:** هل عرف شيء عن هذا البناء الذي ألقوه بداخله؟

الجواب: قد روي عن ابن عباس أنهم بنوا بنياناً من الحجارة طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون، والله أعلم.

(٢)-**سؤال:** هل كانت هجرته من أرض بابل أم من غيرها؟

الجواب: كانت هجرته عليه السلام من أرض بابل التي هي أرض أبيه وقومه.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما السبب في اضطراب كلام المفسرين هنا فيمن هو الذبيح هل إسماعيل أو إسحاق عليهما السلام؟

الجواب: السبب هو اليهود حسدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين أن يكون أبوهم إسماعيل عليه السلام هو الذي حاز ذلك الفضل الكبير الذي ذكره الله هنا في سورة الصافات فتسرب قول اليهود ودخل بين المسلمين.

سبحانه وتعالىٰ دعاءه، وأتته الملائكة تبشره بإسماعيل نبياً. والمراد بـ«حليم»: صبور قوي الصبر.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى[(١)] فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ[(٢)] افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴿١٠٢﴾﴾ وعندما بلغ إسماعيل مبالغ الرجال، وأصبح إبراهيم يعتمد عليه في كثير من أموره، ابتلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ نبيه إبراهيم، وامتحنه بذبح ولده، فامتثل لأمر الله تعالىٰ ورضي بقضائه، فشاور ولده في ذلك فاستسلم الولد لأمر الله تعالىٰ ورضي بقضائه وقدره، وأعان والده علىٰ الامتثال والتسليم لأمر الله.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ﴿١٠٤﴾[(٣)] قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ فاستسلما لأمر الله سبحانه وتعالىٰ، وأضجع إبراهيم ولده علىٰ جبينه، ووقف[(٤)] منتظراً لأمر الله له بالذبح؛ فناداه الله سبحانه وتعالىٰ بأن قد فعلت ما أمرت به يا إبراهيم.

---

(١)-**سؤال:** من أين نأخذ من الآية أن رؤيا الأنبياء حق يجب العمل بها؟

الجواب: من قوله: «افعل ما تؤمر».

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب كل من: «السعي، ماذا ترىٰ»؟

الجواب: «السعي» مفعول به لبلغ، «ماذا» مفعول به مقدم، و«ترىٰ» فعل مضارع والفاعل مستتر.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: «أن يا إبراهيم»؟ وما معنىٰ اللام في قوله: «للجبين»؟

الجواب: «أن» مفسرة لتقدم معنىٰ القول دون حروفه، «يا» حرف نداء، «إبراهيم» منادىٰ مبني علىٰ الضم. واللام في «للجبين» بمعنىٰ: علىٰ.

(٤)-**سؤال:** يقال: من أين استفدنا هذا؟

الجواب: من قوله: ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ ولم يقل: «افعل ما أمرت» فدل علىٰ أنه لم يؤمر إلا بمقدمات الذبح ولم يؤمر بالذبح، وكان إبراهيم عليه السلام لا يشك في أنه سيؤمر بالذبح.

وذلك أن الله سبحانه وتعالىٰ إنما كان أمره في الرؤيا بفعل مقدمات(١) الذبح من أخذ السكين وسوق ولده إلىٰ المنحر وإضجاعه علىٰ جبينه، وظن إبراهيم عندما رأىٰ ذلك في المنام أن الله سيأمره بذبح ولده؛ فأخبره الله تعالىٰ أنه لم يأمره بذلك؛ لأن قوله ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ يدل علىٰ أنه لم يؤمر إلا بمقدمات الذبح.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ۝١٠٥﴾(٢) ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه قد جعل لهما ثواب الدنيا من الذكر الحسن والثناء الجميل بين جميع الأمم ونجاه الله من بنيان الجحيم وأخرجه إلىٰ الأرض المباركة ورزقه الولد الصالح الحليم جزاءً علىٰ ما كان من صبرهما علىٰ امتثال أوامره، وسيجزي الله المحسنين الذين أحسنوا الطاعة لله بثواب الدنيا ثم ثواب الآخرة.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ۝١٠٦﴾ وأي اختبار فوق هذا الاختبار، وأي محنة أشد من هذه المحنة؟ ومن يستطيع أن يصبر علىٰ امتثال مثل هذه المحنة علىٰ عظمها وشدتها علىٰ النفس؟

فإذا تأملنا عظيم بلوىٰ إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ تبين لنا استحقاقهما لهذا المدح والثناء والفضل الذي خصهما به تبارك وتعالىٰ.

---

(١)- **سؤال:** إذاً أفيدونا بما نجيب به علىٰ من قال: بأن ظاهر قوله: «أني أذبحك» رؤيته للحدث نفسه وهو الذباحة؟

الجواب: لو كان قوله: «أني أذبحك» دالاً علىٰ رؤيته للذباحة نفسها وتقطيع أوداجه ونحو ذلك لما قال له ربه: «قد صدقت الرؤيا» وهو لم يفعل إلا مقدمات الذبح فقط مع أن المقدمات من جملة الذباحة التي يدل عليها المصدر المؤول من «أني أذبحك»، ومن الأدلة علىٰ هذا أيضاً «افعل ما تؤمر» كما قدمناه في الجواب علىٰ السؤال قبل هذا، والله أعلم.

(٢)- **سؤال:** يقال: هل يصح أن نحمل الجزاء هنا علىٰ إعانة الله سبحانه وتخفيفه التكليف علىٰ إبراهيم وولده فيأتي مثل ذلك في المحسنين؟

الجواب: يصح أن يكون ذلك من جملة الجزاء.

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴿١٠٧﴾﴾[(١)] بعد أن اجتاز محنته هذه وهبه الله سبحانه وتعالى كبشاً، وأمره بذبحه بدلاً عن ذبح ولده.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ[(٢)]﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴿١١١﴾﴾ ثم أخبر الله تعالى أنه قد أعطاه ثواب الدنيا، وجعل له ذكراً حسناً بين جميع الأمم التي تأتي بعده إلى يوم القيامة، و«الآخرين» هم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد أمرهم الله سبحانه وتعالى أن يذكروه بالصلاة والتسليم، وهكذا جزاء الله سبحانه وتعالى لكل من أطاعه وامتثل لأوامره

---

(١)- **سؤال:** هل يشرع للمؤمن الذباحة عند اجتيازه لمرض أو أي محنة أو سلامته من حادث أو نحوه أخذاً من مدلول: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴿١٠٧﴾﴾؟ أم أن المأخذ ضعيف؟

الجواب: تعتبر هذه الآية كالأصل لما يفعله الناس من الذبح لإطعام الأرحام والجيران والأصحاب عند السلامة من حادث أو محنة أو الشفاء من مرض أو نحو ذلك، بمعنى: أن لما يفعله الناس أصل في الشريعة والقرآن. وقوله: «وفديناه» نسب الفعل إلى الله تعالى لأنه الذي أمر به، وإبراهيم هو الذي فعل الذبح.

وبعد، فلو لم يكن لذلك أصل فإن السلامة من حادث ونحوه يستدعي الشكر لله بالقول والفعل،والذبح للأرحام والجيران والإخوان نوع من أنواع الشكر بل من أعظم الشكر ولا سيما مع الحاجة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴿١٦﴾﴾ [البلد].

سؤال: هل تدل هذه الآية على أن الضأن أفضل أنواع الأنعام الثلاثة في أضحية أو غيرها؟

الجواب: نعم، فيها دلالة على أن الضأن أفضل من الماعز وأفضل من سبع بقرة أو عشر ناقة في الأضاحي وغيرها.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴿١١٠﴾﴾ تفصيلاً؟

الجواب: «كذلك» جار ومجرور في محل نصب صفة لمصدر محذوف منصوب بالفعل «نجزي..»، والتقدير: نجزي المحسنين جزاءً مثل ذلك الجزاء الذي جزيناه إبراهيم.

وتواضع للحق والهدى، ولم يعص الله تعالى فإنه يجازيه في الدنيا قبل الآخرة، ويجعل له الذكر الحسن(١) على ألسنة الناس، وكل شخص يجزيه على قدر إحسانه وعلى قدر صبره في طاعة ربه.

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴿١١٢﴾﴾(٢) كانت أول بشرى بشره الله سبحانه وتعالى بإسماعيل عليه السلام، ثم بشره بعد ذلك بإسحاق(٣)، وأخبره أنه قد جعله نبياً أيضاً، ولم يرزقه الله سبحانه وتعالى بالأولاد إلا بعد أن بلغ أوان الشيخوخة، وتجاوز سن الإنجاب.

﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ وجعل في ذرية إسحاق بن إبراهيم البركة من النبوة والكتاب والحكمة.

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ(٤) لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴿١١٣﴾﴾(٥) ثم أخبر الله تعالى أنه قد

---

(١)-**سؤال:** يقال: قد يكون لبعض الصالحين مذمة على ألسن أكثر الخلق، فكيف؟ أم بماذا يفسره؟

الجواب: المراد على ألسنة الناس المؤمنين وليس على ألسنة عموم الناس ويبعد غاية البعد أن يكون لبعض الناس المؤمنين مذمة على ألسن عباد الله الصالحين، وإذا كان فقد يكون لمن عرف بالمعاصي ثم تاب ولم تعرف توبته ولم تشتهر كما اشتهرت معاصيه.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب «نبياً»؟

الجواب: «نبياً» حال من إسحاق.

(٣)- قد تقدم على هذا سؤال بجوابه في سورة العنكبوت آية (٣١).

(٤)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: «ومن ذريتهما محسن وظالم»؟

الجواب: «من ذريتهما» خبر مقدم. «محسن» مبتدأ مؤخر. «وظالم» معطوف على محسن.

(٥)-**سؤال:** هل في هذه الآية ضرب مثل لأبناء محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتنبيه لهم ليحذروا أن يكونوا من القسم الثاني «وظالم لنفسه مبين»؟ أم بماذا توجهونه؟

الجواب: لم يظهر لي أن فيها إشارة وتنبيهاً على ما ذكرتم ففي ذرية آدم محسن وظالم، وكذلك ذرية نوح وإبراهيم وإسحاق عليهم السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

خرج من ذرية إبراهيم وإسحاق الصالحون وغير الصالحين.

والبركة التي جعلها الله سبحانه وتعالى فيهما هو ما جعل من النبوة والكتاب، وحملة العلم والملكِ في ذريتهما زماناً طويلاً وقروناً عديدة إلى أن بعث الله تعالى نبيه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقد كان جميع أنبياء بني إسرائيل من ذرية إسحاق كموسى وعيسى وزكريا ويحيى ويعقوب ويوسف وغيرهم كثير، وأما إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يكن في ذريته أي نبي إلا محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ۝١١٤﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هنا بما أنعم به على موسى وهارون من النعم العظيمة وذلك أن اصطفاهما الله تعالى للنبوة وحمل الرسالة، وما أيدهما به من آياته العظيمة، وما جعل لهما من القوة على مقابلة فرعون الجبار، ومنن الله تعالى على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كثيرة منذ ولادته إلى أن اختاره الله تعالى لحمل رسالته، وقد مر تعدادها في سورة طه.

﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ۝١١٥ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ۝١١٦﴾ ومن نعم الله العظيمة على موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أن الله تعالى نجاهما وقومهما بني إسرائيل من ظلم فرعون وجبروته، وكان فرعون قد سخرهم لخدمته وللأعمال الشاقة وكان يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم ثم إن الله تعالى نجى موسى وهارون وبني إسرائيل جميعاً من ظلم فرعون وأخرجهم على يد موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ من مصر إلى الشام.

﴿وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ۝١١٧ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ۝١١٨﴾ وآتاهما الله تعالى التوراة التي أوضح سبحانه وتعالى لهم فيها بيناته وحججه وشرائع أحكامه، وبين لهم فيها سبل الهدى.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ۝١١٩ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ۝١٢٠ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ۝١٢١﴾ وأخبره الله أيضاً بأنه قد جزاهما بثواب الدنيا قبل ثواب الآخرة فجعل لهما الذكر الحسن في أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يذكرونهما إلى يوم القيامة، ويصلون

عليهما، فقد أمر أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالتسليم[١] على موسى وهارون والثناء عليهما، وأنه جعل ذلك ثواباً لهما وجزاءً على إحسانهما.

﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ فهذا هو السبب فيما جعل الله سبحانه وتعالى لهما من الثواب في الدنيا، وذلك صبرهما في سبيل نشر دين الله تعالى، وحسن طاعته وما يقتضيه صدق الإيمان من الأعمال الصالحة.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[٢] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه أرسل إلياس إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى، ويحذرهم عذابه وسخطه إن استمروا على كفرهم وتكذيبهم.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ[٣] ۝ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ وقد استنكر إلياس على قومه عندما اتخذوا صنماً يعبدونه من دون الله تعالى الذي خلقهم، وخلق كل ما في السماوات والأرض؛ وكان اسم هذا الصنم «بعلاً».

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ وأنه عندما دعاهم إلى الله سبحانه وتعالى- رموه بالكذب والافتراء فيما يدعوهم إليه، فعذبهم

---

(١)-**سؤال:** هل نفهم هذا الأمر بالتسليم عليهما من حكاية الله لذلك بقوله: «سلام على موسى وهارون»، أم من مأخذ آخر فما هو؟

الجواب: أخذ ذلك من حكاية الله لذلك، فتدل هذه الآية على أن الله تعالى قد شرع في الآخرين السلام عليهما.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «إذ» في قوله: «إذ قال»؟ وكذا «الله ربكم»؟

الجواب: «إذ» ظرف لقوله: المرسلين. «الله ربكم» كل منهما عطف بيان.

(٣)-**سؤال:** هل يقتضي قوله: «أحسن الخالقين» أنه قد يطلق خالق على غير الله تعالى كما في قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧]، أم لها دلالة أخرى فما هي؟

الجواب: في ذلك دليل على إطلاق خالق على غير الله تعالى، يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾.

الله تعالىٰ بسبب كفرهم وتكذيبهم، وأهلكهم ودمرهم، ولم يبق علىٰ أحد منهم إلا من كان آمن معه منهم فقد نجاهم الله تعالىٰ.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه جعل له ذكراً حسناً في أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وثناءً عظيماً في قرآنهم الكريم، وسلاماً عليه جزاءً علىٰ إحسانه في طاعة الله والإيمان به(١).

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أن لوطاً من جملة المرسلين الذين أرسلهم إلىٰ الناس يدعونهم إلىٰ عبادته وتوحيده وطاعته.

﴿إِذْ(٢) نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ ثم أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يذكر قصة لوط لقريش، ويخبرهم بما جرىٰ عليه من قومه، وكيف نجاه الله سبحانه وتعالىٰ من العذاب الذي أنزله علىٰ قومه بسبب كفرهم وتكذيبهم وتمردهم، وإصرارهم علىٰ شركهم وضلالهم، وكذلك نجىٰ أهله معه إلا امرأته فقد كانت من جملة المهلكين لتمردها وعصيانها.

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم هل إلياس نفسه المقصود بـ«إل ياسين» فكيف؟ وكيف علىٰ قراءة نافع: «آل ياسين»؟ أم تفيد أنه غيره وضحوا ذلك؟ وكيف نعمل بالآثار الكثيرة حتىٰ عن المخالفين أن آل ياسين هم آل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

الجواب: المقصود بـ«آل ياسين» هو إلياس، وآل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هم أهل لأن يذكروا في القرآن مع المرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وقد أوجب الله تعالىٰ علىٰ المصلين أن يصلوا عليهم في صلواتهم مع أبيهم النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وتفسير «آل ياسين» بآل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذه الآية غير مناسب لقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾﴾ ولا لقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ وذلك واضح.

(٢)- **سؤال:** ما الذي عمل في هذا الظرف النصب؟

الجواب: «إذ» ظرف لقوله: «المرسلين» وهو الناصب للظرف.

ثم خاطب الله تعالى قريشاً بعد ذلك فقال: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ۝١٣٧ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ۝١٣٨﴾[(١)] بعد أن ذكر لوطاً عليه السلام وما جرى على قومه أخبر قريشاً بأنهم يمرون على قرى قوم لوط ومساكنهم في طريق تجارتهم إلى بلاد الشام، ويرون آثار ما جرى عليهم، فلماذا لا يعتبرون بما جرى عليهم، ويتركون كفرهم وباطلهم والتمرد على نبيهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟

وأمرهم بأن يعتبروا بما جرى على أولئك القوم؛ لأن عادة كل عاقل إذا رأى أحداً قد وقع في سوء أو مهلكة أن يعتبر بذلك ويتجنب أن يقع في نفس الأسباب التي أوقعت ذلك الشخص في المهلكة.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ۝١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ۝١٤٠ فَسَاهَمَ[(٢)] فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ۝١٤١ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ۝١٤٢﴾[(٣)] ثم أوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قصة يونس عندما أرسله الله سبحانه وتعالى إلى قومه فدعاهم إلى الله تعالى ووعظهم وذكرهم بالله تعالى، وحذرهم عقابه وسخطه فلم يستجيبوا له، ثم

---

(١)- **سؤال:** هل يكون قوله: «مصبحين» حالاً أم ظرف زمان؟ وهل معنى الباء الداخلة على الليل الظرفية بمعنى في أم ماذا؟ وهل المراد بالوقتين التعبير عن الدوام؟

الجواب: «مصبحين» حال. «وبالليل» معطوف على مصبحين فهي حال والباء للملابسة أي: متلبسين بالليل، وليس المراد الدوام بل المراد أنهم يمرون حيناً وقت الصباح وحيناً وقت المساء.

(٢)- **سؤال:** من هو الذي ساهم؟ وهل يؤخذ بالقرعة في مثل هذا؟ أم أنها كانت في شريعتهم فقط فما الناسخ لها في شريعتنا؟

الجواب: الذي ساهم هو يونس عليه السلام، ولا يؤخذ بالقرعة في مثل ذلك، وإنما يلقى من فوق السفينة بالأموال عند خشية الغرق، وأما المؤمنون فيصبرون لقضاء الله، ولا يجوز لهم الإلقاء بأحدهم أو القرعة على ذلك، إلا أنه قد يؤخذ من هنا جواز أن يتبرع أحدهم للإلقاء بنفسه في مثل هذه الحالة إذا كان في ذلك سلامة للجماعة أو من هو كالجماعة؛ لأن هلاك واحد وسلامة البقية أسهل من هلاكهم جميعاً. وقرعة يونس عليه السلام قد تكون -والله أعلم- قضية عين مخصوصة يراد منها تنبيهه على ذنبه ومعاقبته وبيان فضله ومنزلته وكرامته على الله، ثم العظة والعبرة للمؤمنين من بعده إلى يوم القيامة.

(٣)- **سؤال:** مم أخذت كلمة «مليم»؟

الجواب: أخذت من «ألأم» بزيادة الهمزة، وهو لغة في «لَأَمَ» الثلاثي، ومليم: اسم فاعل من أَلْأَمَ.

إنه خرج من بينهم قبل أن يأذن الله سبحانه وتعالىٰ له بالخروج بسبب إغضابهم له، وركب في السفينة المملوءة بحملها مغاضباً لهم فلما توسطت البحر أوشكت على الغرق فاضطروا إلى القرعة ليخففوا من حمولتها، فخرج السهم على يونس عليه السلام، ثم التقمه الحوت عقاباً من الله سبحانه وتعالىٰ له على خروجه من بين قومه. ومعنى «أبق»: هرب، و«المدحضين»: المغلوبين حين خرجت عليه القرعة، و«هو مليم» أي داخل في الملامة لأنه فعل ما يستحق عليه اللوم.

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ[١] مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤﴾[٢] ولولا إيمانه بالله سبحانه وتعالىٰ، وتنزيهه وتوحيده[٣] له؛ لكان بطن ذلك الحوت قبراً له إلى يوم القيامة.

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝١٤٥ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ[٤] شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ۝١٤٦﴾ وبسبب إيمانه أخرجه الله سبحانه وتعالىٰ من بطن ذلك الحوت وطرحه بفضاءٍ من الأرض بعد أن كان الهزال والمرض الشديد قد أخذ منه كل مأخذ في بطن ذلك الحوت، ثم إن الله تعالىٰ أنبت عليه شجرة يأكل منها، ويتظلل تحتها إلى أن يستعيد عافيته رحمة منه له.

---

(١)- **سؤال:** ما محل المصدر: «أنه كان من المسبحين» الإعرابي؟

الجواب: محل المصدر الرفع مبتدأ خبره محذوف وجوباً.

(٢)- **سؤال:** كم صح لكم أنه لبث في بطن الحوت؟

الجواب: قد قيل إنه لبث بعض يوم وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعون يوماً، والصحيح أنه لبث في بطن الحوت مدة مجهولة بالنسبة لنا والله أعلم.

(٣)- **سؤال:** فضلاً من أين نفهم أن هذا هو معنى تسبيحه؟ وهل قد يكون الأولى فيه جعله الذكر بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝٨٧﴾ [الأنبياء]، أم لا؟

الجواب: ما ذكرناه هو معنى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾.

(٤)- **سؤال:** فضلاً هل قوله: «عليه» على بابها أم لها معنى آخر فما هو؟

الجواب: هي على بابها ومعنى الاستعلاء فيها واضح فالشجرة فوقه يستظل بها.

واسم الشجرة التي أنبتها عليه يقطين[١].

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ[٢] يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى أرسله بعد أن صح بدنه وتعافى إلى قومه مرة ثانية[٣] فآمنوا له، واستجابوا له جميعاً، وكانوا يزيدون على مائة ألف شخص، فمنع الله سبحانه وتعالى عنهم عذابه وسخطه بسبب إيمانهم وحَفِظَهم من اخترام آجالهم إلى أن استوفى كل واحد منهم عمره الذي كتبه له[٤].

---

(١)- **سؤال:** هل هذه الشجرة هي المعروفة بـ«الدباء» التي يعمل منها عصير في وقتنا الحالي؟ وما السر في اختيار هذه الشجرة؟

الجواب: قالوا إن اليقطين هو الشجر الذي يتمدد على الأرض ولا ساق له كالبطيخ، والدبا نوع من البطيخ وكذلك الكوسة والحبحب والخربز والشمام، فكل من ذلك بطيخ. ولعل السر في اختيار اليقطين ليونس عليه السلام أن شجرة اليقطين لها ظل ظليل لكبر أوراقها وشدة خضرتها وأن ثمرها قريب في متناول الجالس والمضطجع.

(٢)- **سؤال:** ما هي القرينة على أن «أو» بمعنى الواو؟ تولاكم الله.

الجواب: يمكن أن تكون «أو» على بابها ويكون التخيير مصروفاً إلى الناس أي: أن الذي يراهم يقول: هم مائة ألف أو يزيدون، أي: أنه يتردد تقديره لعددهم بين ذلك. ويمكن أن تكون «أو» بمعنى الواو إذا جعلنا الكلام لله وليس مصروفاً إلى غيره، وذلك لأن الله تعالى عالم بأي التقديرين غير متردد بعلمه بينهما؛ لذلك ألزم أن يكون «أو» بمعنى الواو.

(٣)- **سؤال:** فضلاً من أين فهمنا أنه مرة ثانية؟

الجواب: أرسله الله تعالى أول مرة فذهب مغاضباً لقومه فلقي ما لقي، ثم أرسله ثانية إليهم فآمنوا، وقد دلت أول قصته هنا على ما ذكرنا: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ والثانية بعد أن التقمه الحوت وبعد أن أنبت عليه شجرة من يقطين.

(٤)- **سؤال:** هل توحي هذه الآية بأن العمر الذي بلغوه مشروط بإيمانهم؟ والهلاك الذي يأتي على المكذبين مشروط بتمردهم وعصيانهم ويكون الأجل الذي تنتهي فيه حياتهم واحداً فقط لا أجلين أم لا ترونه مناسباً؟

الجواب: الآية توحي بما ذكرتم، وهناك آيات أخرى تؤيد ذلك الذي ذكرتم.

ويونس هو النبي الوحيد دون جميع الأنبياء الذي آمن به قومه جميعاً.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يسأل قريشاً هذا السؤال؛ لأنهم كانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله ثم يعبدونهم، فاستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم ذلك حين نسبوا إليه تعالى البنات ولم يرضوا لأنفسهم إلا البنين، أما البنات فكان من ولد له بنت فإنه يدفنها حية.

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ فهل كانوا حاضرين حين خلق الله تعالى الملائكة فعرفوا أنها بنات.

﴿أَلَا[1] إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ[2] لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ بل إنما يفترون ذلك، ويختلقون هذا الكلام من عند أنفسهم، فلا مستند لهم على هذا القول لا من نبي أرسل، ولا من كتاب نزل. ومعنى «من إفكهم»: أي من أجل إفكهم.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[3] ثم استنكر الله سبحانه وتعالى عليهم اعتقادهم ذلك، وادعاءهم على الله سبحانه وتعالى اختيار البنات وهم لا يرضونها لأنفسهم، فكيف ينسبون الاختيار الأدنى لرب العالمين؟!

ثم استنكر الله سبحانه وتعالى عليهم أيضاً حكمهم الجائر هذا، ونسبتهم إليه ما يكرهونه لأنفسهم، فكيف يحيفون ويميلون هذا الميل؟ إذ ينزهون أنفسهم ويشرفونها، ويضعون الله تعالى في أدنى المنازل وأوضعها.

---

(١)-**سؤال:** ماذا تفيد «ألا» هذه؟

الجواب: تفيد «ألا» تنبيه المخاطب ليصغي إلى الكلام الذي بعدها لأهميته ولأنه حقيق بالتنبيه له.

(٢)-**سؤال:** علام عطفت: «وإنهم لكاذبون»؟ أم أن الواو غير عاطفة؟

الجواب: «وإنهم لكاذبون» الجملة حالية في محل نصب.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾؟

الجواب: ما: اسم استفهام مبتدأ، ولكم: متعلق بمحذوف خبر، والاستفهام للإنكار. كيف: اسم استفهام في محل نصب على أنه مفعول مطلق مقدم. تحكمون: فعل وفاعل.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فلماذا لا تحكمون عقولكم[١]، وترجعون عن حكمكم الجائر هذا.

﴿أَمْ[٢] لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فهل تملكون دليلاً قاطعاً، وحجة واضحة على دعواكم اتخاذ الله تعالى للملائكة بناتاً له، فهاتوا الدليل على ذلك إن كنتم صادقين في دعواكم هذه؟

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ وذلك بجعلهم الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وأراد بـ «الجنة» الملائكة[٣].

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾[٤] وقد علمت الملائكة أن المشركين الذين ادعوا أن الملائكة بنات الله من أهل جهنم الخالدين في عذابها وأن قريشاً قد صاروا من أهل غضب الله سبحانه وتعالى، وقد استحقوا سخطه وعذابه، وأنهم من أهل جهنم.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ تقدس الله وتعالى عما يقولونه عليه، فلم يلد

---

(١)- **سؤال:** هل يؤخذ من هذه الآيات المتقدمة جواز القياس العقلي الذي يستخدمه الأصوليون؟

الجواب: القياس العقلي يعتمده العقل وتحكم به الفطرة؛ لذلك خاطب الله أهل العقول ودعاهم إلى الرجوع إلى ما هو مركوز في فطر عقولهم: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فما عليهم إلا أن يرجعوا إلى ما هو مركوز فيها وسيجدون إذا رجعوا إليها صدق ما دعاهم الله إليه من الحق.

(٢)-**سؤال:** ما فائدة «أم» هذه وتكرارها في هذه المسألة؟

الجواب: فائدتها الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما العلة في تسمية الملائكة بالجِنّة؟

الجواب: سموا بذلك لاجتنانهم عن الأبصار.

(٤)-**سؤال:** فضلاً ما فائدة هذه الجملة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾؟

الجواب: فائدتها تأكيد فساد مذهب المشركين وتقرير بطلانه فلا يستحق النار إلا المبطلون.

ولم يولد، ولم يكن له كفؤاً أحد.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ۝١٦٠﴾[١] ثم استثنى الله سبحانه وتعالى من أولئك الذين سيحضرهم إلى جهنم أولئك الذين استجابوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وآمنوا بدعوته وما جاءهم به.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ[٢]۝١٦١ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ[٣] بِفَاتِنِينَ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ۝١٦٣﴾ ثم خاطب الله سبحانه وتعالى المشركين وأخبرهم بأنهم لن يستطيعوا هم ولا معبوداتهم أن يدخلوا أحداً في الضلال، وأنه لن يتبعهم على باطلهم إلا من أراد الضلال، واختاره لنفسه، وأما المؤمنون فلن يستطيعوا ذلك فيهم.

---

(١)- **سؤال:** قد يقال بأن المخلصين لم يكونوا قد دخلوا إذ الضمائر في: «جعلوا» و«المحضرون» لم تتناول إلا هؤلاء الذين قالوا: الملائكة بنات الله، فما رأيكم في ذلك؟

الجواب: الأمر كما ذكرتم ولكن المراد أن الاستثناء منقطع.

(٢)- **سؤال:** هل يمكن أن نجعل هذا الكلام: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ۝١٦١...﴾ من كلام الملائكة للمشركين ليتم سياق ما بعدها: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ۝١٦٤﴾ على ضرب من التأويل أم لا؟

الجواب: ليس في الظاهر ما يدل على أنه من جملة كلام الملائكة، وليس هناك ما يحوج إلى تقديره من جملة كلام الملائكة، ووقوع كلام الملائكة بعده يعارضه كلام الله قبله فهو صالح لربطه بما قبله وما بعده.

(٣)- **سؤال:** إلام يعود الضمير في «عليه»؟ وما معنى «عليه» هنا؟ وهل قوله: «ما أنتم... إلخ» خبر لقوله: «فإنكم» أم لا؟

الجواب: الضمير في «عليه» يحتمل وجهين:

-الأول: أن يكون عائد إلى الله أي: ما أنتم بمفسدين عليه إلا من هو...

-الثاني: أن يكون لطريق الضلال أي: ما أنتم بحاملين عليه إلا من هو صال... وتكون «على» على بابها.

و«ما أنتم» جملة في محل رفع خبر «إن». ويحتمل أن تكون مستأنفة لسد واو المعية مسد خبر «إن» لأن: «إنكم وما تعبدون» مثل قولهم: كل رجل وضيعته.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾(١) هذا من كلام الملائكة، أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم يقولون إنه لا يوجد ملك من الملائكة إلا وله مقام عظيم معروف في السماء يعبد الله فيه.

فكل صنف من الملائكة ثابت في مقامه الذي جعله الله سبحانه وتعالى له لا يتعداه إلى غيره إلى يوم القيامة، فمنهم ركوع لله تعالى لا يرفعون رؤوسهم إلى يوم القيامة، ومنهم من يسبحون الله تعالى لا ينفكون عن ذلك إلى يوم القيامة، وكذلك كل صنف ثابت على عبادته التي أمره الله سبحانه وتعالى أن يكون عليها إلى يوم القيامة.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾(٢) أخبرت الملائكة عن أنفسهم بأنهم مصطفون لعبادة الله تعالى ومسبحون له إلى يوم القيامة، تخبر الملائكة المشركين عن حالها وبما هي عليه من عبادة الله وتعظيمه وتقديسه.

﴿وَإِنْ(٣) كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ(٤) ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ

---

(١)- **سؤال:** يقال: إذا كان قوله «منا» متعلقاً بمحذوف خبراً لـ«ما» فأين المبتدأ؟ وما محل جملة: «له مقام معلوم»؟

الجواب: المبتدأ مقدر بعد «منا» أي: وما منا أحد إلا.... «له مقام معلوم» في محل نصب حال من المبتدأ المقدر.

(٢)- **سؤال:** يقال: هل في توسط هذه الآيات ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾...﴾ بين الآيات المتحدثة عن المشركين ما يدل على ضعف دلالة السياق؟ أم كيف؟ أفيدونا بضوابط هذه الدلالة حفظكم الله.

الجواب: هذه الآيات المتوسطة التي سألتم عنها هي مما اقتضاها السياق فإنها جاءت لإيصال قول المشركين إن الملائكة بنات الله، ولإبطال عبادتهم لها، أي: لسنا كما تعتقدون أيها المشركون فليس هناك ملك من الملائكة إلا وله مقام معلوم في عبادة الله، و... إلى آخر ما قالته الملائكة.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما هي «إن» هذه؟ وما ضابطها؟

الجواب: «إن» هذه هي المخففة من الثقيلة، أي: أنها للتوكيد. والذي يميزها عن النافية وجود اللام بعدها، فإذا وجدت اللام بعدها فهي المخففة من الثقيلة، وتسمى اللام بالفارقة.

(٤)- **سؤال:** ما فائدة قولهم: «من الأولين»؟

=

﴿الْمُخْلَصِينَ۝١٦٩﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أن المشركين كانوا يقولون قبل إرسال النبي ﷺ إليهم: لو أن الله تعالىٰ أنزل علينا كتاباً مثل ما أنزل علىٰ اليهود والنصارىٰ لكنا أفضل منهم وأحسن، ولكنا متبعين لما أنزل الله سبحانه وتعالىٰ غير مخالفين لشيء من أوامره.

﴿فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ۝١٧٠﴾ ثم أرسل الله تعالىٰ إليهم محمداً ﷺ بالذكر المبين فكفروا به وكذبوه وسلوا سيوفهم في وجهه. والمراد بقوله: «فسوف يعلمون»: التهديد البالغ لهم بالعذاب الذي ينتظرهم لكفرهم وتوليهم بعد تبجحهم بتلك الأقوال.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ۝١٧٢[(١)] وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ۝١٧٣﴾[(٢)] ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه قد سبق منه الوعد

الجواب: فائدتها بيان جنس الذكر، أي: ذكراً من جنس ذكر اليهود والنصارىٰ.

(١)- **سؤال:** فضلاً هل قوله: «إنهم لهم المنصورون» جواب لسؤال مقدر ناشئ عن الكلمة تقديره: ما هي الكلمة؟ وهل يصح فيها أن تكون بدلاً من «كلمتنا» أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: أحسن ما يقال في ذلك: إنها مستأنفة في جواب سؤال مقدر، وإذا أعربناها بدلاً من «كلمة» فلا يتم إلا بعد تأويل الكلمة بجملة؛ ليكون بدل جملة من جملة، أو تأويل الجملة بمفرد حتىٰ يكون بدل مفرد من مفرد.

(٢)-**سؤال:** قد يرىٰ بعض الناس قهر جماعة الحق وتغلب المبطلين أو الظلمة عليهم فيتشكك في مثل هذه الآيات أو في المحقين، فبماذا نفسر النصرة المذكورة في الآية؟ وما توجيهكم في ذلك؟

الجواب: قد تحقق وعد الله تعالىٰ لرسوله ﷺ بالنصر والغلبة فقهر المشركين وكنس الشرك من جزيرة العرب ولم يبق للشرك والمشركين أثر في جزيرة العرب، إلا أن النصر لم يأت إلا بعد شدائد شديدة ومحن طويلة ومداحض تزل فيها الأقدام، ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا۝١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا۝١١﴾ [الأحزاب]، ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ۝٢١٤﴾ [البقرة].

وبعد، فلا زال الحق والمحقون ولن يزالوا في مواجهة دائمة مع الباطل والمبطلين إلىٰ نهاية التكليف، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا...﴾ [البقرة:٢١٧]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ

=

لأنبيائه ورسله بأنه سينصرهم على أعدائهم، وسوف يظهرهم عليهم؛ وكان قد طال انتظار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين لنصر الله سبحانه وتعالى، واستبطأوا نزوله وأوشك البعض منهم على اليأس، فأنزل الله تعالى هذه الآية ليؤكد لهم حصول وعده، وأنه ناصرهم لا محالة.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ۝١٧٤﴾[1] ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن يعرض عن

عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان:٣١]، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان:٢٠]، ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤].

وكثيراً ما يتغلب الباطل وأهله على الحق وأهله، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]، وقال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فَلَئِن أَمِرَ الباطل -أي: استقوى الباطل- لقديماً فعل، وَلَئِنْ قَلَّ الحق فلربما ولعل) أي: فلا تيأس من أن يستقوي ويتغلب ويكثر أهله ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ۝٨٧﴾ [يوسف].

وبعد، فنصر الله تعالى للمؤمنين يكون على وجوه:

١- أن ينتشر الدين الحق ويتمدد في البلدان، ولا يتمكن الظالمون المتغلبون من القضاء عليه مع حرصهم على القضاء عليه، ولا على إيقاف تمدده وانتشاره، مع ضعف أهله وقلتهم.

٢- أن يظهر الله حجة المستضعفين وتقوم لهم الحجة القاهرة على المتغلبين الظالمين، كما كان لموسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ من غلبتهما بالحجة على سحرة فرعون.

٣- أن يكون بالسلامة من كيد الكائدين الظالمين، وذلك كما فعله الله تعالى لنبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحكاه بقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...﴾ [التوبة:٤٠].

٤- أن يكون بتسليط الله بعض الظالمين على بعض قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ۝٤٠﴾ [الحج].

(١)-**سؤال:** من فضلكم هل تتعارض هذه الآية مع آية السيف أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: كانت هذه الآية في أول الإسلام يوم كان المسلمون في قلة، فلما استقوى الإسلام وكثر المسلمون نزلت آية السيف فنسخت هذه الآية ونحوها.

المشركين والمكذبين إلى أن يحين موعد نصر الله تعالى.

والسبب في تأخير الله سبحانه وتعالى موعد نصره ذلك هو الابتلاء والاختبار للمؤمنين ليظهر ثابت الإيمان من المتزلزل فيه، وأيضاً للزيادة في ثواب صبرهم على أذى المشركين.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴿١٧٥﴾﴾[1] ثم وعد الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنه سوف يرى ذلك النصر، كما أن المشركين لا بد أن يشهدوا هزيمتهم وذلهم وهوانهم.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴿١٧٦﴾﴾ ثم استنكر الله سبحانه وتعالى على قريش استعجالهم نزول العذاب وسؤالهم للنبي ﷺ أن يأتيهم بعذاب الله، وما هو الذي يدعوهم إلى استعجاله؟ وأي راحة لهم في نزوله حتى يستعجلوه ذلك الاستعجال؟

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴿١٧٧﴾﴾[2] فإذا نزل بهم فما أسوأ صباحهم عليهم.

---

(١)- **سؤال:** قد يقال: هل يمكن أن تحمل هذه الآية على فوائد أخرى غير الوعد للنبي ﷺ وذلك كالتهديد لهم بما وراءهم من العذاب والإخبار بشدته وفظاعته كما يقول الملك للمتمرد عليه: «ستنظر ما يأتي لك»؟ أم لا ترونه مناسباً؟

الجواب: نعم، تحمل الآية على ما ذكرتم وهو المراد في التفسير فالآية وعد للنبي ﷺ بالنصر ووعيد للمشركين بالخزي والعذاب في الدنيا.

(٢)- **سؤال:** ما وجه التعبير بالساحة والمراد نزوله بهم؟ وما إعراب: ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴿١٧٧﴾﴾؟

الجواب: عبر بالساحة لأن العادة أن العدو الغازي لبلد ينزل بساحتها لذلك كان التعبير بالساحة كناية عن نزول العذاب بهم. «ساء» فعل ماض جامد للذم، «صباح» فاعل ساء مضاف إلى المنذرين.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ۝ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ۝﴾ ثم أكد الله سبحانه وتعالى لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمره بانتظار موعد نزول عذابه بهم، فلا بد أن ينزل بهم، ووَعْدَهُ بأنه سوف يرى نزوله بهم، وهم كذلك سوف يرون تحقق وقوعه بهم عندما يعاينونه.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ۝﴾(١) تقدس الله وتعالى عما ينسبه المشركون إليه من اتخاذ البنات والشركاء والولد.

﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ(٢)۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝﴾(٣) وأخبر أن

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: «رب العزة»؟ وهل «ما» في قوله: «عما» مصدرية أم موصولة؟ وما الراجح منهما؟

الجواب: «رب العزة» بدل من ربك. و«ما» في «عما» موصول حرفي «مصدرية» ويرجح هذا لسلامته من التقدير.

سؤال: في كلام الإمام الهادي عليه السلام ما يوحي بأن العزة صفة لله تعالى أو بمعنى العزيز وأتى به دليلاً على أنه لا يضر إضافة رب إلى العرش إذا قلنا بأن العرش صفة ذاتية لله. وهذا لم نفهمه هنا؟ وهل يصح أن نحملها على صاحب العزة، أي: الغلبة والبطش ونحو ذلك؟ وهل صارت على هذا الاحتمال كما نقول في حق المخلوق: صاحب الرئاسة، وصاحب الولاية، وأمثالها، أم لا؟ وضحوا هذه الإشكالات أثابكم الله.

الجواب: قد بين الإمام الهادي عليه السلام في آخر كلامه الذي أشرتم إليه ما يدل على مراده في تفسيره لـ«رب العرش» حيث قال: إن المعنى: مالك الملك وصاحب الملك، وقد فسر عليه السلام العرش بأنه صفة ذاتية أي أنه جعله عائداً في معناه إلى القدرة والقوة، والعزة أيضاً كذلك أعادها إلى القدرة.

ويصح على ما ذكرتم: صاحب العزة أي: صاحب الغلبة والبطش، وعلى هذا فتكون العزة صفة فعل، ولا مانع من تفسيرها بالأمرين أي: بما ذكره الهادي عليه السلام وبما ذكرتم.

(٢)- **سؤال:** هل جملة: «وسلام على المرسلين» خبرية أم إنشائية؟ وعلام عطفت؟ وأيضاً هل عطف «الحمد لله رب العالمين» متناسب مع ما قبله؟

الجواب: «سلام على المرسلين» جملة إنشائية لأنها دعاء وهي معطوفة على جملة: «سبحان ربك...»، و«الحمد لله رب العالمين» معطوفة عليها أيضاً، ولا محل للجمل الثلاث من الإعراب.

(٣)- **سؤال:** ما السر في ورود الفضل العظيم بختم الأدعية ونحوها بهذه الخاتمة العظيمة: «سبحان ربك رب العزة.. إلخ»؟ وكيف المناسبة في قول المؤمن: «سبحان ربك» بكاف الخطاب،

=

السلامة والأمن من الله تعالى لن يكون إلا(١) للمرسلين وأتباعهم، والحمد لله رب العالمين الذي أيد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين وأتم نعمته عليهم بهلاك المشركين وهزيمتهم وقهرهم، وإعلاء كلمته ونصر دينه.



ومقتضى الحال أن يقول: «سبحان ربي» بضمير المتكلم؟ وهل الأولى بالمؤمن في قنوته أن يختمه بـ«وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» لما تقدم؟ أم الإتيان بها كاملة؟

الجواب: ختم الدعاء بالثناء على الله تعالى قد جاء كثيراً في أدعية القرآن نحو: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝١٢٨﴾ [البقرة]، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ [التحريم]، ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۝١٠٩﴾ [المؤمنون]، ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝١١٤﴾ [المائدة]، ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس]، وفي الأثر: ((إن الدعاء محجوب عن السماء حتى يصلى على محمد وآله)) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ولعل السر –والله أعلم– في ختم الأدعية بذلك هو أن الدعاء معها أقرب إلى الإجابة، ولا شك أن الثناء على الله وسيلة مقربة إلى الله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥]، فيكون ذلك وسيلة إلى الله في إجابة الدعاء، والله أعلم. وجاء بكاف الخطاب في «سبحان ربك» لأن الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإن أتى القانت بها ذكر فهو حسن وإلا فلا نقص ولا تقصير.

(١)-**سؤال:** من أين فهمنا هذا الحصر؟

الجواب: الحصر إنما كان بمعونة الأدلة الأخرى.

سورة ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ص[(١)] وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ۝١﴾ أقسم الله سبحانه وتعالىٰ بالقرآن الذي فيه تذكير الناس وتحذيرهم؛ والله سبحانه وتعالىٰ لا يقسم إلا بالشيء العظيم، وقد أقسم بالقرآن لما له من المنزلة الرفيعة والمكانة العالية عنده، فكان من المفروض إذا سمع المشركون هذا القسم أن يلتفتوا إليه ويصغوا إلىٰ سماع هذا الشيء الذي أقسم الله سبحانه وتعالىٰ به، ولكنهم لم يلتفتوا إليه، ولم يلقوا له أي بال فقال الله تعالىٰ:

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ۝٢﴾ فاستكبروا ولم يلتفتوا إليه أي التفاتة، وتهاونوا به وأعرضوا عنه أشد إعراض مشاقة لله ورسوله.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أراد الله سبحانه وتعالىٰ أن أمماً كثيرة قبل قريش أهلكهم بسبب كفرهم وتكذيبهم وتمردهم علىٰ أنبيائهم ورسلهم، وأن حال قريش ستكون كحال من سبقهم إن استمروا علىٰ كفرهم وتمردهم وتكذيبهم.

﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ۝٣﴾[(٢)] يخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن حال تلك الأمم كيف كانت عندما رأوا نزول عذاب الله بهم، وكيف يصرخون ويظهرون الندم، ولكن حين لا ينفعهم، وحين فوت أوان القبول منهم. ومعنىٰ «ولات حين مناص»: ليس الوقت وقت فرار.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما يكون إعراب قوله: ﴿ص﴾؟

الجواب: تعرب «ص» هنا مجرورة بحرف قسم مقدر، والتقدير: أقسم بـ«ص، والقرآن ذي الذكر».

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ۝٣﴾؟

الجواب: لات: من الحروف التي تعمل عمل ليس، واسمها محذوف، و«حين» خبرها، ولا تعمل هذا العمل إلا في لفظ الحين.

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ[١] مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ[٢] هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ۝٤﴾ ثم استنكر الله سبحانه وتعالى على قريش عندما استبعدوا وتعجبوا أن يرسل الله تعالى إليهم نبياً منهم، وزعموا أنه لا يصح ذلك ولا يجوز أن يرسل إليهم نبياً من نفس جنسهم، فقالوا: إن محمداً كاذب فيما يدعيه.

﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ۝٥﴾ واستنكروا عليه عندما كان يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده وترك آلهتهم، فكيف يكفر بها وهي شريكة لله في ربوبيته؟ وما هذا الدين الذي جاءهم به الذي لا يعرفونه هم ولا آباؤهم؟ ومعنى «عجاب»: بالغ النهاية في العجب.

﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا[٣] وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ۝٦﴾[٤] اجتمعت كبار قريش فيما بينهم للتشاور في شأن محمد، وما جاء به من الدين، وأجمعوا على تكذيبه والصد عن دعوته والدفاع عن دينهم ودين آبائهم، وقرروا أن ما جاءهم به ليس إلا بلوىً ومصيبةً حلت بهم، وأنه لا بد أن يواجهوا ذلك بالصبر[٥] والمقاومة حتى تنجلي هذه المصيبة والشدة.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما موضع: ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ من الإعراب؟

الجواب: موضعه الجر بـ«من» مقدرة.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في التصريح بالفاعل دون إضماره في قوله: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾؟

الجواب: الوجه هو بيان العلة والسبب الذي دفعهم إلى قولهم ذلك في النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣)- **سؤال:** من فضلكم ما معنى «أن» في قوله: ﴿أَنِ امْشُوا﴾؟ وما محلها؟

الجواب: «أن» هي المفسرة لتقدم معنى القول ولا محل للجملة بعدها من الإعراب.

(٤)- **سؤال:** ما مقصودهم بقولهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ۝٦﴾؟

الجواب: مقصودهم بذلك القول هو أنه أمر لا مفر لهم منه ولا بد من وقوعه كما نقول نحن المسلمين: قضاء وقدر.

(٥)- **سؤال:** يقال: ظاهر تواصيهم بالصبر على آلهتهم والمشي على طريقة آبائهم أنهم غير معترفين بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهل هذا يعارض أمثال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل:١٤]؟ أم كيف؟

الجواب: هذا هو قول الملأ منهم أي: قول كبارهم وعظمائهم، قالوه مع علمهم بصحة دعوة =

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴿٧﴾﴾ وقالوا بأن هذه الدعوة التي جاء بها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لم نسمع بها في ملة النصارى، ولم يخبرنا أحد بأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء بشيء مما جاء به محمد؛ والدين الذي جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إنما اختلقه وافتراه من عند نفسه.

﴿أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ واستنكر المشركون أن يكون الله سبحانه وتعالى قد اختاره من بينهم، فكيف يختار يتيم أبي طالب؟ ألم يجد غيره ممن هم أرفع منه جاهاً وأكثر مالاً وعزاً حتى يختاره؟ ولماذا لم يختر لنبوته ورسالته أحد أشراف قريش وزعمائهم؟

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ ثم أجاب الله تعالى عليهم أن سبب اعتراضهم على إرادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته هو كفرهم بالله تعالى وتكبرهم عليه، وتشككهم في آياته وما أنزله.

﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴿٨﴾﴾[1] ولن يؤمنوا به إلا عندما يعاينون نزول العذاب بهم، فعندها سيؤمنون وسيصدقون بالله تعالى، ولكن حين لا ينفعهم إيمانهم ذلك.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فهل يملكون شيئاً من خزائن رحمة الله سبحانه وتعالى حتى

محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وصدقه فيما جاءهم به يموهون به على أتباعهم ويسيسونهم به ولا يخفى أن الأتباع تبع لكبرائهم وسادتهم يدينون بما دانوا، لا ينظرون في دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولا في دينه، ولو أنهم نظروا لآمنوا غير أن سادتهم وكبراءهم يحاصرونهم من النظر ويصدونهم عنه، فالذين جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم هم الملأ دون الأتباع.

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴿٨﴾﴾ مفصلاً؟

الجواب: «لما» حرف جزم ونفي وقلب، ويذوقوا: مضارع مجزوم بـ«لما». عذاب: مفعول به مضاف إلى ياء المتكلم، أي: لم يذوقوا العذاب في جميع الأوقات الماضية إلى زمن نزول الآية، وتفيد «لما» هذه توقع نزول العذاب ووقوعه بهم.

تكون لهم مشيئة الاختيار؟

وليس بأيديهم شيء يملكونه من سلطان الله تعالىٰ وملكه حتىٰ يقترحوا عليه تعالىٰ ويشاركوه في اختياره ومشيئته.

﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ۝﴾[1] فإذا كانوا يملكون شيئاً من خزائن السماوات والأرض فليصعدوا إلىٰ مكان ملكهم ذلك.

﴿جُندٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ۝﴾[2] ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن واقعهم بأنهم ليسوا إلا عبيداً مجندين لإبليس وشهواتهم، وسيهزمهم الله وسيعذبهم بسبب تكذيبهم وتمردهم واعتراضهم علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ومشيئته.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ۝﴾ وليسوا أول من كذب بأنبياء الله ورسله فقد كذبت قبلهم أمم كثيرة كقوم نوح وعاد وفرعون؛ وقد وصف الله سبحانه وتعالىٰ فرعون بذي الأوتاد، وذلك أنه كان قد بنىٰ لنفسه جبالاً كبيرة التي تسمىٰ بالأهرام، وفيه إشارة إلىٰ قوة ملكه وسلطانه.

---

(١)- **سؤال:** ما معنىٰ الفاء في قوله: «فليرتقوا»؟ وما المراد بالأسباب التي يرتقوا فيها؟ وما أصل اشتقاقها؟

الجواب: تسمىٰ هذه الفاء بالفصيحة، أي: أنها سببية رابطة للجواب بشرط مقدر، والمراد بالأسباب الطرق التي يرتقون فيها إلىٰ السماء ويصلون إلىٰ غرضهم بسلوكها، والأسباب جمع سبب، والظاهر أن السبب اسم غير مشتق.

(٢)- **سؤال:** يا حبذا لو أعربتم هذه الآية ﴿جُندٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ۝﴾ كاملة؟ وبم تعلق «من الأحزاب»؟ وإلام أشير بقوله: «هنالك»؟

الجواب: «جند» مبتدأ، «ما» صلة لتأكيد حقارة الجند، فتنكيره يفيد التحقير، و«ما» لتأكيد ذلك. «هنالك» صفة لجند، وجيء بها للتحقير. «مهزوم» خبر المبتدأ. «من الأحزاب» متعلق بمحذوف خبر ثان أي: أن الجند هذا هو من الأحزاب التي وعد الرسول ﷺ بحربها وهزيمتها ((وهزم الأحزاب وحده))، هذا هو أحد ما قيل في هذه الآية من الإعراب وهو إعراب حسن.

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ۝١٣﴾(١) وأصحاب الأيكة هم قوم شعيب، والمراد بالأيكة الغيضة ذات الأشجار الكثيرة الملتفة.

﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ۝١٤﴾(٢) وقد استحق كل هؤلاء المكذبين عقاب الله تعالى بسبب كفرهم وتكذيبهم.

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ۝١٥﴾(٣) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يبق لقومه إلا أن ينتظروا أن يحل بهم مثل ما حل بتلك الأمم المكذبة، فيهلكهم الله سبحانه وتعالى بصيحة تبيدهم ولا تبق على أحد منهم، والمراد بـ«ما لها من فواق»: ما لها تأخر قدر فواق الناقة أي: ما بين حلبَتَيْها.

أراد الله سبحانه وتعالى أن قريشاً قد استحقوا نزول ذلك العذاب بهم.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ۝١٦﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن قريش بأنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزول العذاب الذي أخبرهم بأنهم قد استحقوه، وذلك منهم إنما هو استخفاف بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به. والقط: هو النصيب.

﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يصبر على ما يلاقيه من قومه من التكذيب والاستهزاء والأذى، وأن يستمر على ما هو فيه من

---

(١)-**سؤال:** هل قوله في الآية السابقة: ﴿من الأحزاب﴾ يدل على أن قريش من هؤلاء الأحزاب؟

الجواب: ذلك يدل على أن قريشاً من هؤلاء الأحزاب ((وهزم الأحزاب وحده)).

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾؟ وما الوجه في حذف الياء من قوله: ﴿عِقَابِ۝١٤﴾؟

الجواب: «إن» نافية، «كل» مبتدأ مرفوع، «إلا» للاستثناء، «كذب الرسل» في محل رفع خبر المبتدأ. والوجه في حذف ياء «عقاب» هو التخفيف ومراعاة الفواصل.

(٣)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ۝١٥﴾؟

الجواب: محلها النصب صفة لصيحة.

تبليغ الدعوة والرسالة.

وذلك أن من شأن كل من شرع في عمل إذا اصطدم بمن يواجهه بعرقلة عمله أو يصده عنه ويقف في وجهه أن تتحطم معنوياته، وتفتر عزيمته عن مواصلة ذلك العمل، كما هي الحال التي كان عليها النبي ﷺ في تبليغ رسالة ربه، فأراد الله سبحانه وتعالى بذلك أن يشد من عزم نبيه ﷺ فأمره بالصبر بعدما ذكر له المكذبين بالرسل من قبله.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝١٧﴾ وأمره أن يتذكر[1] قوة نبي الله داود عليه السلام وصبره في طاعة ربه وعبادته، وكثرة رجوعه إليه.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨[2] وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۝١٩﴾ حيث سخر له الجبال والطير تسبح[3] معه، وتذكر الله سبحانه وتعالى كلما ذكره، كرامةً من الله سبحانه وتعالى لنبيه داود عليه السلام على ما صبر في طاعة ربه.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ وآتاه الله سبحانه وتعالى الملك والسلطان، وهيأ له أسباب القوة والتمكن من الجنود والعدة والعدد.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما علاقة تذكر النبي ﷺ لقوة داود عليه السلام بما هو فيه من الأذى والاستهزاء من المشركين؟

الجواب: العلاقة هي أن يقتدي النبي ﷺ بداود في قوة صبره على طاعة الله وامتثال أمره، وأن لا يضعف أو يهون.

(٢)- **سؤال:** هل المراد بذكر هذين الوقتين (العشي والإشراق) التقييد بهما أم التعبير بهما عن الاستمرار والدوام؟ وما إعراب: «والطير محشورة»؟

الجواب: المراد التقييد بهذين الوقتين لأن الجبال كانت تسبح معه، وكان داود عليه السلام ينام ويشتغل في جزء من النهار بشؤون رعيته وحفظ سلطانه و...، ولم يكن مشغولاً بالتسبيح على الدوام.

«والطير» معطوف على الجبال، «محشورة» حال من الطير.

(٣)-**سؤال:** من أين استفدنا أن الطير تسبح معه أيضاً من هنا؟

الجواب: استفيد من العطف على الجبال.

﴿وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ۝٢٠﴾ وأعطاه الله سبحانه وتعالى من العلم والحكمة، وآتاه علم القضاء والحكم والفصل بين الناس بالحق والعدل(١).

﴿وَهَلْ(٢) أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ۝٢١ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾(٣) ثم قص الله سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم نبأ الرجلين اللذين دخلا على داود عليه السلام ليفصل بينهما، وأنهما صعدا إليه من على السور وكان قد أغلق على نفسه الباب ليختلي لعبادة الله تعالى، فتفاجأ برؤيتهما، وأصابه الهلع والفزع من رؤيتهما، وتساءل كيف تمكنا من الدخول عليه على الرغم من الحرس(٤) والأبواب المقفلة، فطمأناه بأن لا يخاف فإنما

---

(١)- **سؤال:** ما قرائن اختياركم السديد أن معنى فصل الخطاب: علم فصل الخصومات بالحق والعدل؟

الجواب: الوجه هو أن «فصل الخطاب» بمعنى الخطاب الفاصل أي: أنه من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، ومعنى الخطاب الفاصل: الخطاب الحاكم أو الخطاب الذي يفصل الخلاف ويميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل، ولا مانع من حمله على ما ذكرنا وغيره من قول الحق.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما يكون معنى «هل» هنا؟ ولماذا أتت بهذه الصيغة؟

الجواب: معنى «هل» التعجب والتشويق للمخاطب إلى الخبر العجيب.

(٣)- **سؤال:** يقال: ما السر في عدم تثنية قوله: «الخصم»؟ وما إعراب: «إذ دخلوا»؟ وكذا «خصمان»؟ وما محل جملة: ﴿بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾؟

الجواب: لم يثنّ الخصم لأنه في الأصل مصدر فَرُوْعِي فيه ذلك الأصل. «إذ» بدل من نبأ، وجملة «دخلوا..» في محل جر بإضافة «إذ» إليها. «خصمان» خبر لمبتدأ محذوف أي: نحن خصمان. «بغى بعضنا على بعض» لا محل لها من الإعراب مستأنفة في جواب سؤال مقدر.

(٤)-**سؤال:** فضلاً من أين نفهم أن عليه حرساً ونحو ذلك؟

الجواب: نفهم ذلك من كونه ملكاً عظيماً، ومن تسور الخصمين للمحراب فلو لم يكن له حرس على الأبواب لدخلوا عليه منها، وإن كانت مغلقة طرقوها حتى يفتح لهم.

هما خصمان قد تعدى بعضهما على بعض، يريدان منه أن يفصل بينهما بالحق، والمراد بالمحراب: مصلَّى العبادة.

﴿فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ۝٢٢﴾ وطلبا منه أن يحكم بينهما بالحكم الحق. ومعنى «ولا تشطط»: لا تظلم ولا تَجُرْ في حكمك.

ثم بدأ أحدهما بالشكوى من صاحبه فقال: ﴿إِنَّ[1] هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا[2] وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ۝٢٣﴾ فأخبره أن

---

(١)-**سؤال:** أين خبر «إن» في هذه الآية مع بيان وجهه؟

الجواب: في خبر «إن» توجيهان:

١ - أن الخبر قوله: «أخي» والجملة التي بعده وما عطف عليها لا محل لها من الإعراب، مستأنفة في جواب سؤال مقدر أي: ما شأنكما؟

٢ - أن الخبر جملة «له تسع و...» وقوله «أخي» نعت لهذا، أو بدل منه.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ما أصل قوله: «أكفلنيها»؟ وممّ أخذت؟ وهل تدل على أنه قد أراد تملكها؟ فما معنى قوله: ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾؟ ولم سماهما خلطاء في الآية بعدها؟

الجواب: «أكفلنيها» مأخوذة من الكفل بمعنى النصيب ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ [النساء:٨٥]، أي: اجعلها في نصيبي وفي ملكي، وطلب ذلك يدل على أنه قد أراد، وهذا في صورة المثل الذي حكاه الخصمان. أما نبي الله داود عليه السلام فلم يكن منه عزم ولا إرادة وإن كان صدر منه شيء فليس سوى الخواطر وما يحدث للطبيعة البشرية من الميول والرغبة المجردة عن العزم والنية والإرادة، وحاشا نبي الله داود عليه السلام عما ذكره اليهود من أن داود عليه السلام تحيل لقتل زوج أوريا من أجل أن يتزوج زوجته، وقد تسربت قصص الأنبياء بما فيها قصة داود عليه السلام من علماء اليهود إلى المسلمين فكتبوها في تفسير القرآن الكريم، وقد انتقدها العلماء من الشيعة والسنة، وحذروا من الوثوق بها والركون إليها، واشتهر تسميتها بينهم بالإسرائيليات. والقصة التي حكاها الخصمان لداود عليه السلام ليحكم فيها بحكمه قد كانت كالتنبيه لداود عليه السلام من أجل أن لا يقع في مثلها، ولم يكن منه عليه السلام حينها إلا الخواطر وحديث النفس من غير عزم ولا نية. وقوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ﴾ كالتأكيد لقوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ..﴾ قال ذلك داود عليه السلام بناءً على أن الخصومة بين الخصمين في نعجة كانت بين التسع والتسعين فطمع فيها صاحب التسع والتسعين، ولم يتنبه داود عليه السلام إلى المقصود من تلك المخاصمة إلا بعد أن أصدر الحكم وفصل بحكمه بين الخصمين، عند ذلك تنبه.

أخاه يملك تسعاً وتسعين نعجة، ويريد مني أن أضم نعجتي الوحيدة إلى نعاجه، وقد أخذها وغلبني في المحاجة عليها، ولم يقتنع بما عنده من النعاج.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾[١] فحكم[٢] نبي الله داود عليه السلام على مالك النعاج أن يرد نعجة صاحبه، وأنه قد ظلمه بأخذها منه، وأن الظلم عادة الكثير من الشركاء مع شركائهم إلا من آمن بالله وخاف منه وعمل الأعمال الصالحة فلن يقع في شيء من ذلك.

﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ وعلم[٣] داود عليه السلام بعد خصومة الرجلين أنهما من الملائكة، وأن ذلك امتحان[٤] من الله سبحانه وتعالى له، وتنبيه منه تعالى له.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: «وقليل ما هم»؟ وعلام عطفت هذه الجملة؟ وما الذي يؤخذ منها من فوائد؟

الجواب: «قليل» خبر مقدم، «ما» صلة لتأكيد القلة، و«هم» مبتدأ مؤخر، والواو حالية والجملة في محل نصب حال. ويؤخذ منها: أن كثرة أهل مذهب أو أهل دين لا تدل على أنهم على الحق.

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في حكمه عليه السلام مباشرة دون سماعه لإجابة الثاني؟

الجواب: لم يحك الله تعالى لنا إلا قول المدعي المظلوم؛ لأن ذلك هو الغرض المقصود، ولم يتعلق بجواب الطرف الثاني غرض حتى يحكى.

(٣)-**سؤال:** ما الوجه في جعل الظن بمعنى العلم هنا؟ وهل هو حقيقة أو مجاز؟ ومن أي أنواعهما؟

الجواب: قد قدمنا جواباً على مثل هذا في سورة البقرة وحاصله: أن الظن قد يطلق على العلم ويكون الإطلاق مجازياً إذا كان المراد بالعلم الضروري الذي يصل إلى ١٠٠٪ وما لم يحصل إلى هذه الدرجة فإنما هو ظن راجح فيحمل العلم في كلامنا على الاستدلالي وهو الظن الراجح، والله أعلم.

(٤)-**سؤال:** يقال: ما وجه هذا الامتحان؟ وما علاقته بالتنبيه فالظاهر تباينهما؟

الجواب: وجهه هل سيحكم داود على نفسه بمثل ما حكم به على الخصمين أم لا، فلما تبين ذلك استغفر ربه وخر راكعاً وأناب؛ فكان في هذا تنبيه له على خطئه فيما ذكرناه من الخواطر وميل النفس ورغبتها المجردة عن النية والإرادة والعزم.

﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ۩﴾[١] وعرف أن ذلك تنبيه من الله تعالى وذلك أن رجلاً من حاشيته وأعوانه كان تحته امرأة جميلة وكانت في غاية الجمال، ولم يكن معه إلا تلك الزوجة بينما كان تحت داود تسع وتسعون امرأة، فخطر في نفسه كيف لو كانت تلك المرأة من نصيبه، فعاتبه الله سبحانه وتعالى على ذلك الخاطر الذي داخل نفسه، فلا يحق له[٢] أن يتمنى ذلك التمني، فاستغفر الله سبحانه وتعالى وندم[٣] على ما كان منه.

هذا، وأما من قال بأنه قد تحيل في أخذ تلك المرأة بعدة من الأساليب- فلا ينبغي لنبي من أنبياء الله تعالى أن يقع في مثل تلك المعصية؛ لأنهم معصومون عن مثل ذلك فلم يقع منه صلوات الله عليه وسلامه إلا حديث نفس[٤].

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «راكعاً»؟ وعلام عطف قوله: «وأناب»؟

الجواب: «راكعاً» حال، و«أناب» معطوف على «خر راكعاً».

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في كون هذا التمني معصية؟ وهل يختلف الحكم فيه بالنسبة إلى المؤمنين دون الأنبياء أم لا؟

الجواب: لا ذنب ولا معصية فيما حدث ولكن مقام الأنبياء عليهم السلام أشرف المقامات فيطالبون بأكمل الأوصاف؛ فإذا نزلوا عن ذلك المقام إلى طبع البشر عاتبهم الله. وقد تكون معاتبة الله تعالى له من حيث استرساله مع خواطر نفسه وحديثها في نعجة صاحبه مع ما أنعم الله تعالى عليه به من كثرة النعاج، وهذا شأن من لم يعتد بنعم الله عليه ويكثرتها لديه، فتكون المعاتبة من هذا الوجه.

(٣)- **سؤال:** هل صح لكم سجدته عليه السلام التي قيل بأنه نبت العشب فيها من دموعه أم لا؟

الجواب: لم يصح ذلك؛ لأن الإنسان بما هو عليه من الطبع البشري لا يمكنه أن يبقى في سجوده أسبوعاً أو عشرة أيام من غير طعام وشراب وراحة.

(٤)- **سؤال:** ما الوجه في كون حديث النفس معصية يؤاخذ بها وتحتاج إلى مغفرة الله مع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله رفع عن أمتي ما حدثت به أنفسها..)) إلخ؟

الجواب: ما كان ينبغي لنبي الله داود وقد أعطاه الله تعالى الملك ومكنه من كل شيء وساق له خير الدنيا ومنافعها أن يحدث نفسه ويرغب في نعجة أخيه التي لا يملك غيرها ولديه تسع وتسعون نعجة لذلك يكون تعلق نفسه بتلك النعجة إعراضاً وتناسياً لعظيم نعم الله عليه وعدم اعتداده بها، ولو لم يكن ذلك معصية فمقام الأنبياء رفيع لا يليق بمقامهم مثل ذلك.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد غفر له ذلك الخاطر الذي جال في نفسه وقبل توبته.

﴿وَإِنَّ(١) لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ۝﴾ وأكد الله تعالى أن داود عليه السلام عنده من أهل المنازل الرفيعة والدرجات العالية وأن ذلك الخاطر الذي خطر بباله لم ينقص من منزلته عند الله، ومعنى «حسن مآب»: حسن مرجع في الآخرة وذلك الجنة.

﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ۝﴾(٢) ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إليه بالولاية على الناس، وأمره بأن يحكم بينهم بالحق والعدل، وأن يترك هوى(٣) نفسه وشهواتها

---

(١)-**سؤال:** ما الوجه في عطف هذه الجملة على التي قبلها؟ أم أن الواو غير عاطفة؟

الجواب: الواو للحال، والجملة في محل نصب حال من فاعل «غفرنا».

(٢)- **سؤال:** ما الذي أفادته الفاء في قوله: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾؟ وما إعراب «فيضلك»؟ وقوله: ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ۝﴾؟

الجواب: الفاء هذه هي الفصيحة أي: أنها رابطة لما بعدها بشرط مقدر فهي سببية رابطة. «فيضلك» الفاء هي السببية، ويضلك: مضارع منصوب بـ«أن» مضمرة، والفاء هي السببية لوقوعها في جواب النهي. «بما نسوا يوم الحساب» الباء حرف جر، و«ما» مصدرية مسبوكة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء، والجار والمجرور متعلق بما تعلق به «لهم» في قولهم: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

(٣)-**سؤال:** يستدل بعض الناس على أن في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ تعريضاً بداود عليه السلام بدليل أن الله نهاه عن ذلك كما أشرتم إلى مثله في قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات:٢]، وقوله: ﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس:٥٨]، في يونس، وكذا في الأنفال وغيرها؛ فما رأيكم في ذلك مع بيان وجهه؟

الجواب: قد يكون في ذلك تعريض كما يقوله البعض، إلا أنه ينبغي أن يعلم أن نبي الله داود عليه السلام لم يقع منه فعل معصية ولم يَمِلْ مع هواه، والذي كان منه عليه السلام هو حديث نفسي وخواطر لا غير، فنهاه الله تعالى عن ذلك الذي حصل منه؛ لأن من اشتغل بها واسترسل معها فربما مالت به إلى فعل

=

يمل معها فيكون داخلا تحت وعيد الله وعذابه.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يخرج عن الطريق، ويميل عن الحق إلا من نسي الله تعالى(١)، وغفل عن الموت ولقاء الله سبحانه وتعالى، وأما الذين يخافون تعالى فهم يتقيدون بأوامره، ويتجنبون الوقوع فيما يغضبه ويوجب سخطه وعذابه.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا(٢) ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾﴾(٣) كان المشركون ينكرون البعث والحساب

ما لا يجوز. وهي وإن لم تكن معصية إلا أن فيها كما ذكرنا سابقاً ما يدل على عدم الاعتداد بها عند صاحبها من النعم العظيمة ولأنها شأن مَن دون الأنبياء والرسل، ولأنها قد تجر صاحبها إلى التورط في معصية الله.

(١)-**سؤال:** من أين فهمنا هذا الحصر؟

الجواب: يفهم ذلك من مكان آخر مثل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «باطلاً»؟ وما الوجه في فصل جملة ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؟

الجواب: «باطلاً» مفعول مطلق أي: خلقاً باطلاً، وفصلت جملة «ذلك ظن...» لأنها مستأنفة لبيان العلة أو ما هو كالعلة.

(٣)- **سؤال:** هل يصح أن نستدل بهذه الآية على الأشاعرة في إنكارهم للحكمة في أفعال الله سبحانه ولو كانوا مقرين بهذه الحكمة من خلق السماء والأرض أم لا؟ وهل يلزم خروج من أنكر الحكمة عن الدين بموجب هذه الآية والآية التي بعدها؟

الجواب: الذي ينبغي من الجواب هو التفصيل في حكم من أنكر الحكمة في أفعال الله تعالى:

١- لا ينبغي لمؤمن أن ينكر الحكمة في خلق السماوات والأرض لنصوص القرآن في ذلك.

٢- لا يكفر منكر الحكمة فيما لم يظهر وجه الحكمة والمصلحة فيه من أحكام التشريع ككون صلاة الظهر والعصر والعشاء أربعاً أربعاً، والمغرب ثلاثاً، والفجر ركعتان، وكون السجود مثنى والركوع فرادى؛ لأنه لم ينف الحكمة رأساً في مثل هذا التشريع؛ لأنه يقول: إن الحكمة هي إرادة التعبد لله بذلك، ولله أن يتعبد المكلفين بما شاء.

ويزعمون أنه سينتهي كل شيء بالموت، فأجاب الله سبحانه وتعالى عليهم بما يرد اعتقادهم هذا، فأخبرهم بأنه لم يخلق السماوات والأرض وما فيهما إلا لغرض وأمر عظيم، وهو ما يترتب عليهما من البعث والحساب والجزاء.

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ۝٢٨﴾(١) لو لم يكن حساب ولا جزاء ولا جنة ولا نار للزم أن يكون الله تعالى قد ساوى بين المؤمن والمفسد، والمتقي والفاجر، والظالم والمظلوم، والشاكر والكافر، والتسوية بين أولئك ظلم لا يليق بعدل الله وحكمته وعظمته وجلاله؛ لذلك قضى الله سبحانه وتعالى بحتمية البعث يوم القيامة ووجوب أن يحيي الله تعالى فيه الناس جميعاً الأولين والآخرين ليجزي المؤمن على إيمانه وعمله الصالح ويجزي المفسد في الأرض بما يستحقه من الجزاء، ويجزي المتقي على تقواه والفاجر على فجوره و...إلخ(٢).

---

(١)- **سؤال:** هل في هذه الآية دليل على فساد مذهب من يقول: إن مرتكب الكبائر من المسلمين الذي يموت وهو غير تائب منها تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له؟

الجواب: نعم، فيها دليل من حيث أن الله تعالى أنكر على المشركين الذين يعتقدون أن الله تعالى يساوي بين المؤمنين والمفسدين وبين المتقين والفجار، ولا خلاف أن الله تعالى لا يستنكر الحق وإنما يستنكر الباطل، وآية السجدة أوضح دليلاً وهي: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ۝١٨ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ۝١٩ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ۝٢٠﴾ [السجدة]، ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ۝٢٠﴾ [الحشر]، ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ۝٣٦﴾ [القلم].

(٢)- **سؤال:** يقال: قد يدرك الإنسان بعقله حسن عفو الله عن المسيء، فكيف والآية دلت على خلافه؟ فهل هو من تغيير الشرع لحكم العقل أم أن العقل لا يدرك حسن ذلك؟ وضحوا ذلك رفع الله مقامكم.

الجواب: لا يحسن في العقل العفو عن المصر على الذنب غير التائب، بل لا يبعد في العقل قبح العفو عن المصر غير التائب. ومعلوم أن يوم القيامة للجزاء على الأعمال وأنه لا يقبل فيه تنصل =

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾(١) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه أنزل عليه القرآن لما فيه من المنافع العظيمة للناس من إرشادهم إلى مصالح دينهم ودنياهم، وما فيه من الدلالة لهم على طريق هداهم ونجاتهم، وما فيه من السعادة لهم في الدنيا والآخرة وما فيه من الآيات الدالة على عظمة الله وجلاله وعلمه وحكمته وعظيم قدرته.

﴿لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ(٢) أُولُو الْأَلْبَابِ﴿٢٩﴾﴾ وأنزله عليهم ليتدبروا آياته، ويتفكروا فيها، ويعملوا بأحكامه وشرائعه، ولكنه لن يتدبر في آياته إلا أهل العقول السليمة الذين يعملون بما تدعوهم إليه عقولهم وتدلهم عليه، ولا يستجيبون لهوى أنفسهم وشهواتهم.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ(٣) إِنَّهُ أَوَّابٌ﴿٣٠﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قد وهب لداود سليمان، وكان من عباد الله الصالحين المنيبين الراجعين إليه.

واعتذار ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر:٣٧]، ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت].

(١)- **سؤال:** فضلاً ما الوجه في رفع «مباركٌ» ولعل مقتضى الحال نصبه على أنه حال؟ وما إعراب «كتاب»؟

الجواب: «كتاب» خبر مبتدأ محذوف أي: هذا كتاب، و«مبارك» خبر ثان، فهذا هو الوجه في رفعه، أي: أنه رفع لكونه خبراً ثانياً.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما الوجه في مخالفة فاعل «ليتذكر» لفاعل «ليدبروا» الذي قبله؟

الجواب: الوجه أنه لا يتذكر إلا أولو الألباب، والتدبر للقرآن عام لأولي الألباب، والمشركين فقد بلّغهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن وتدبروه ووعوه إلا أنهم لا يتعظون به ولا يتذكرون ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴿١٣﴾﴾ [الصافات].

(٣)-**سؤال:** ما محل جملة «نعم العبد»؟ وما الوجه في فصلها؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب؛ لأنها مستأنفة للمدح. وفصلت لكونها جملة إنشائية.

﴿إِذْ[١] عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ يذكر الله تعالى هنا قصة سليمان بن داود عليه السلام عندما أعطاه الله سبحانه وتعالى الملك العظيم والنفوذ والقوة عندما عرض عليه الصافنات الجياد، وهي الخيل التي ترفع إحدى قوائمها وتبقى واقفة على ثلاث قوائم، والعشي: هو آخر النهار، ومعنى «الجياد»: جمع جواد وهو السابق.

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ[٢] الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[٣] المراد أنه جلس ينظر إليها حباً لها وإعجاباً بها إلى أن غابت عنه واحتجبت عن ناظريه، وكان حبه لها وإعجابه بها صادراً عن أمر الله[٤] له بارتباط الخيل لما جعل

---

(١)- **سؤال:** ما هو العامل في «إذ» الظرفية في هذه الآية؟

الجواب: العامل فيه «أواب» أو «نعم العبد».

(٢)- **سؤال:** لم يتضح لنا معنى: «أحببت حب الخير» إذ كيف يحب الإنسان الحب؟

الجواب: «حب الخير» مفعول مطلق وليس مفعولاً به، أي: أحببت الخيل مثل حب الخير، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات]، وبهذا يتضح المعنى ويرتفع الإشكال.

(٣)- **سؤال:** هل يصح أن نحمل ضمير «توارت» على الشمس؟ لأن ظاهر التواري بالحجاب لا يطلق إلا عليها، ويدون ما يذكر في الروايات أنه ترك الصلاة إلى أن توارت الشمس أم لا ترونه مناسباً؟

الجواب: لا نرى ما ذكرتم مناسباً؛ لأنه لم يجر للشمس ذكر حتى يعود الضمير إليها، وإنما ذكرت الخيل، ولأن سليمان قال بعد تواريها بالحجاب: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ وبعد ردها عليه أخذ يمسح على سوقها وأعناقها إعجاباً بها وحباً لها، ولو كان كما يقولون إنها ألهته عن الصلاة حتى خرج وقتها لبادر إلى تلافي ما فرط فيه من الصلاة ولاشتغل بها بدلاً من اشتغاله بالخيل من غير ضرورة، ولاشتغل بالاستغفار والتوبة إلى الله والاعتذار عنده.

وبعد، فلم يذكر الله تعالى استغفاراً لسليمان في هذا الموضع كما هي العادة في الذكر الحكيم عند ذكره لزلات الأنبياء وخطاياهم فدل ذلك على أنه عليه السلام لم يكن منه معصية في هذه القصة.

(٤)- **سؤال:** على مقتضى هذا ما يكون معنى «عن» في قوله: ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾؟ وهل له شواهد في العربية؟

الجواب: معنى «عن» المجاوزة أي: انها على بابها، والمعنى: إني أحببت حب الخير -أي: حب الخيل الذي هو من زينة الحياة الدنيا- حال كوني في حبي لها صادراً عن ذكر ربي، أي: أن حبي لها ليس حباً للدنيا والميل مع الهوى ومع متاع الدنيا، وإنما بدافع من الله وإحياء دينه وإقامة ذكره، أي:

=

الله فيها من إرهاب العدو ومن الخير المعقود بنواصيها ولما لها من المكانة أقسم الله تعالىٰ بصفاتها في سورة العاديات، فهذا هو المعنىٰ الذي تحمل عليه الآية، ويليق بنبي من أنبياء الله تعالىٰ.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ۝٣٣﴾(١) ثم إنه أمرهم بعد ذلك أن يردوها إليه فأخذ يمسح علىٰ ظهورها وقوائمها من شدة إعجابه بها، وحبه الشديد لها.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ۝٣٤ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ۝٣٥﴾ امتحن الله

أنه أحب الخير عن أمر الله وليس حبه لها كحب أهل الدنيا.

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ﴾؟ وما معنىٰ الباء في قوله: ﴿بِالسُّوقِ﴾؟

الجواب: «طفق» فعل ماض من أفعال الشروع واسمها مستتر فيها. «مسحاً» مفعول مطلق لفعل محذوف أي: يمسح، والجملة في محل نصب خبر طفق. «بالسوق» متعلق بمسحاً، ومعنىٰ الباء مثلها في: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة:٦]، فإذا قدرنا أن الأصل: وامسحوا رؤوسكم بأيديكم فالباء للآلة مثل: كتبت بالقلم، وهذا التقدير أولىٰ وأحرىٰ من جعلها للتبعيض كالتي في قوله: شربن بماء البحر ثم ترفعت... البيت؛ لأن مجيء الباء للتبعيض مذهب لا يرتضيه نحاة البصرة فهم لا يرون مناوبة الحروف بعضها عن بعض. وقد روي أن النبي ÷ حين علم الناس الوضوء مسح رأسه مقبله ومدبره أي: أنه مسح رأسه كله وقال: ((هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به)) قال ذلك بعد أن بين للناس كيفية الوضوء الذي أمر الله به، فهذا دليل علىٰ أن الباء في قوله: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ ليست للتبعيض.

سؤال: ما المانع من حملها علىٰ أنه شرع في ضرب سوقها وأعناقها مريداً بذلك ذباحتها والتقرب بها إلىٰ الله سبحانه لا العبث بها أو استجابة لغضبه الذي لا يليق به عليه السلام ويوافق ذلك مذهب من يجيز أكلها كالإمام زيد وغيره؟

الجواب: المسح هو حقيقة في المسح باليد أو بنحوها، ولا يستعمل المسح في الضرب بالسيف ونحوه في اللغة، والمجاز يحتاج إلىٰ قرينة قوية تمنع من حمله علىٰ معناه الحقيقي، وليس في الآية قرينة لا قوية ولا ضعيفة. والتقرب إلىٰ الله هو في رباط الخيل ولا سيما ذو الملك والسلطان؛ ليرهب عدو الله بها، لا في عقرها والصدقة بلحمها، ولا يتصدق بسلاحه وقت الحرب إلا أحمق.

سبحانه وتعالى نبيه سليمان عليه السلام في ملكه، وذلك أنه تغلب على سرير ملكه رجل[(١)] من أقربائه واستولى على مملكته، وكان ذلك عقاباً من الله سبحانه وتعالى لذنب وتقصير حصل منه عليه السلام على جهة الخطأ[(٢)]، وعرف سليمان عليه السلام أن ذلك عقاب من الله سبحانه وتعالى فطلب منه المغفرة والتوبة، وسأل الله سبحانه وتعالى أن يرد له ملكه، وأن يبسط له فيه، فحارب ذلك الذي استولى على ملكه ونصره الله سبحانه وتعالى عليه ورد له ملكه وسلطانه.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ۝٣٦ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ۝٣٧ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ۝٣٨﴾[(٣)] أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه استجاب لنبيه ورد له ملكه، وسخر له الريح وذللها لحمله والسير به إلى حيث أراد، وكذلك سخر له الشياطين لخدمته والقيام بجميع أعماله من البناء وغير ذلك واستخراج المعادن والجواهر النفيسة من أعماق البحار، ومن تمرد منهم عن أمره ربطه وقيده بقيد متصل مع قيود أخرى يجمع فيها مردة الشياطين.

---

(١)-**سؤال:** هل المراد أن الله هيأ استيلاء ذلك الرجل على مملكة سليمان عليه السلام؟ أم كيف؟

الجواب: المراد أن الله تعالى رفع نصره ومعونته عن سليمان وجيشه كما رفعها يوم أحد عن المسلمين بسبب معصيتهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢)-**سؤال:** ما هو ذلك الذنب الذي عمله عليه السلام على جهة الخطأ؟

الجواب: لم يذكر الله تعالى ما هو الذنب، وقد يكون الذنب من أصحابه وأتباعه كما هو الحال في يوم أحد، ولا ينبغي الالتفات إلى ما يروى في التفاسير من ذنب سليمان، وما حصل بسبب ذنبه من حوادث في مملكته وفي أهله، ولا ينبغي ذكرها ولا روايتها.

(٣)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾؟ وما إعراب «رخاء» و«كل بناء»؟ وعلام عطف قوله: «وآخرين»؟ وما إعراب «مقرنين»؟

الجواب: جملة «تجري بأمره» في محل نصب حال من الريح. رخاء: حال من فاعل «تجري». كل بناء: بدل من الشياطين. وآخرين: معطوف على «كل بناء». مقرنين: صفة لآخرين.

ومعنى «رخاءً»: لينة طيبة.

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴿٣٩﴾﴾ ذلك هو عطاء الله تعالى الذي أعطاه لنبيه داود عليه السلام واختصه به وفوضه في التصرف فيه، يعطي ما يشاء الله لمن يشاء، أو يمسكه لنفسه لا حرج عليه لا في العطاء ولا في الإمساك.

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴿٤٠﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه -مع ما قد أعطاه من سعة الملك في الدنيا- لم ينقص ذلك من أجره في الآخرة شيئاً، وأنه من أهل المنازل الرفيعة، ومن المقربين لديه.

وبعد، فليكن على علم منك أن ما ذكر من معاصي أنبياء الله ورسله عليهم السلام لم تصدر منهم عن تعمد للمعصية، وإنما تكون منهم على جهة الخطأ أو النسيان أو التأويل كما حصل من آدم ويونس عليهما السلام فإن ما صدر منهما كان عمداً إلا أنهما تأولا؛ فآدم عليه السلام إنما أقدم على أكل الشجرة لترتفع منزلته عند الله وليطول عمره في عبادة الله اغتراراً منه بوساوس الشيطان حين قال لآدم وحواء[1]: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف].

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ[2] بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ[3] وَشَرَابٌ﴿٤٢﴾﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى

---

(١)-**سؤال:** يقال: فيلزم أنه إذا اقترف أحدنا شيئاً مما نهى الله عنه اغتراراً بوسوسة للشيطان تشبه هذه الوسوسة أن يكون معفواً عنه أو خطأً فقط أم كيف؟

الجواب: إنما قلنا بالخطأ في معصية آدم لعدم تجربته وخبرته بمكائد الشيطان الرجيم وغروره، ومن بعد هذه المعصية لا يعذر أحد من ذرية آدم ولا آدم بخدع الشيطان وغروره ووساوسه.

(٢)-**سؤال:** ما محل المصدر المأخوذ من قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ...﴾؟

الجواب: محله الجر بباء مقدرة، أو منصوب بنزع الخافض.

(٣)-**سؤال:** هل للجملة ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ﴾ محل من الإعراب أم لا؟

الجواب: «هذا مغتسل» لا محل لها من الإعراب، وفصلت لأنها خبرية وما قبلها إنشائية.

نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قصة نبيه أيوب عليه السلام وما ابتلاه به من الأمراض[١] الشديدة، وكيف قابل تلك البلوى بالصبر والرضا والشكر لله تعالى؛ وقد وصل به البلاء إلى أن أصبح يتقذر منه أقرب الناس إليه، وحتى نبذوه وتركوه لمرضه وحيداً. والمراد بـ«نصب وعذاب»: بتعب وألم.

وقد قيل: إنه لم يدع الله تعالى أن يكشف بلواه هذه إلا عندما وصل البلاء إلى لسانه، فخاف أن يمنعه ذلك من ذكر الله سبحانه وتعالى، فعندها دعا الله تعالى أن يكشف بلواه؛ فأمره الله سبحانه وتعالى بأن يركض برجله، فنبعت من تحتها عينان[٢]: أمره أن يغتسل من إحداهما، وأن يشرب من الأخرى، وكان ذلك سبباً لكشف بلواه.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا﴾[٣] بعد أن شرب واغتسل رجعت إليه صحته وعافيته، ورد الله سبحانه وتعالى عليه أهله، وزاد عليهم مثلهم[٤]، وكل

---

(١)- **سؤال:** قد يقال: ما الوجه في نسبة أيوب عليه السلام المس إلى الشيطان إذا كان المراد به المرض الذي أصابه؟

الجواب: الوجه أن سبب المرض هي الأوساخ والمكروبات ومنها يدخل الشيطان بأذاه على المرء قال الله تعالى في أهل بدر: **﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾** [الأنفال:١١]، وقد فسروا رجز الشيطان بأثر الجنابة ونجاستها.

(٢)- **سؤال:** فضلاً من أين أخذنا هذه الدلالة؟

الجواب: أخذت هذه الدلالة من قوة الكلام فإنها تفيد أن المغتسل البارد والآخر الشراب حصلا نتيجة لركضه برجله.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾؟

الجواب: رحمة: مفعول من أجله. منا: متعلق بمحذوف صفة لرحمة.

(٤)- **سؤال:** ما المقصود بـ«مثلهم» الذي زيد على أهله؟ وهل نأخذ من هذه الآية أن أهله وأولاده نبذوه؟

الجواب: المراد أن الله زاده مثل أهله أي ضاعف عددهم ويؤخذ من هذه الآية أن أهله كانوا قد ابتعدوا عنه وتركوه وتخلوا عنه.

ذلك كان رحمة منه تعالى لنبيه جزاءً على صبره ورضائه بقضاء الله سبحانه وتعالى فيه.

﴿وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ۝٤٣﴾ وأيضاً جعل الله سبحانه وتعالى في قصة أيوب عليه السلام العظة والعبرة لمن أراد أن يعتبر بما جرى على نبيه، وأن يكون قدوة له في الصبر والرضا بما قسم الله سبحانه وتعالى له من الصحة والبلاء والشدة والرخاء.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾(١) كان أيوب عليه السلام قد أقسم على الله سبحانه وتعالى أنه إن شفاه الله ليضربن امرأته مائة جلدة عقاباً لها على أمر أغضبه، وبعد أن شفاه الله تعالى أمره أن يأخذ عثكولاً من النخل فيه مائة شمراخ فيضرب به امرأته ضربة واحدة ليبر في قسمه ذلك.

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ۝٤٤﴾ أثنى الله سبحانه وتعالى على أيوب عليه السلام لصبره على ما ابتلاه من البلوى التي لم تثنه عن مواصلة ذكر الله تعالى وعبادته وعن الرضا والتسليم لقضاء الله فيه.

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ۝٤٥﴾ أراد الله سبحانه وتعالى بأولي الأيدي أهل القوة في طاعة الله سبحانه وتعالى وعبادته والصبر على البلوى، وأراد بأولي الأبصار أهل البصائر والعقول النافذة في التفكر في آيات الله سبحانه وتعالى وتوحيده وتقديسه.

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ(٢)۝٤٦ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ

(١)-**سؤال:** من فضلكم ما هو الذي نستفيده من هذه الآية من الأحكام الفقهية؟

الجواب: قد أخذوا منها في إقامة الحد على المريض الهالك بأن يأخذوا عثكولاً فيه مائة شمراخ فيضرب به ضربة واحدة، وجواز الحيلة لإسقاط الواجب عند العذر.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في نسبة الإخلاص إلى الله سبحانه؟ وهل قوله: «ذكرى الدار» بدل من «خالصة»؟ وما إعرابها على قراءة عدم التنوين؟

الجواب: الوجه أن الله تعالى هو الذي تفضل عليهم بأسباب الإخلاص من التوفيق والتنوير والتسديد والمعونة. «ذكرى الدار» يصح فيها أن تكون بدلاً، ويصح أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف أي: هي ذكرى الدار، وعند من قرأها بغير تنوين تكون مضافة إلى خالصة والإضافة بيانية.

﴿الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى السبب في قوتهم ونفاذ بصائرهم بأنهم قد جردوا أنفسهم لله سبحانه وتعالى والعمل لآخرتهم غير ملتفتين إلى شيء من متاع الدنيا وشهواتها ولذاتها، واصطفاهم الله سبحانه وتعالى على سائر البشر، لعلمه بما هم عليه من أهلية الاصطفاء. ومعنى «بخالصة»: بخصلة عظيمة لا شوب فيها.

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن ما أوحى إليه من أخبار الأنبياء، وما جرى عليهم لأجل أن يعتبر بهم، وبما جرى عليهم المعتبرون. «واليسع»: هو ابن أخطوب من بني إسرائيل. «وذا الكفل» هو ابن عم اليسع، أو بشر بن أيوب.

وتقوى الله سبحانه وتعالى التي ينتهجها المتقون هي اجتناب محارمه وما نهى عنه.

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾﴾(١) ثم فسر الله سبحانه وتعالى حسن المآب بأنه جنات عدن. والعدن: هي الإقامة الدائمة في النعيم الدائم.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾(٢) ثم وصف الله سبحانه وتعالى حال المتقين في الآخرة بأن الجنة قد فتحت أبوابها لاستقبالهم، وقد أعدت لهم الأرائك الكبيرة، والموائد السنية والفاخرة، المليئة بأصناف المأكولات والمشروبات، التي يجلسون عليها مع أصحابهم وندمائهم.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾﴾؟

الجواب: «مفتحة» حال من «جنات»، وجاز لوجود المسوغ وهو الإضافة، و«الأبواب» نائب فاعل «مفتحة»، و«لهم» متعلق بمفتحة.

(٢)- **سؤال:** ما هو المعنى الذي تفيده الباء في قوله: «بفاكهة»؟ وما محل جملة: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾؟

الجواب: تفيد أن «يدعون» مضمن معنى «يتمتعون» أو نحوه مما يتعدى بالباء كما ظهر لي والله أعلم. وجملة «يدعون» في محل نصب حال، ويجوز أن تكون مستأنفة فلا محل لها من الإعراب.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴿٥٢﴾﴾ وقد زوجهم الله تعالىٰ من حور العين التي لا يتعدىٰ نظر الواحدة منهن إلىٰ غير زوجها، والأتراب: من المتساويات في السن.

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴿٥٤﴾﴾ فلا ينفد نعيمهم، ولا ينقطع أو يمل، وعد من الله سبحانه وتعالىٰ قد وعدهم به.

﴿هَذَا[(١)] وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ[(٢)] لَشَرَّ مَآبٍ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴿٥٧﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن مصير الطاغين المتجاوزين لحدود الله تعالىٰ أنهم علىٰ خلاف من سبقهم من المتقين، فقد أعد لهم شر المنازل وأشنعها في جهنم التي يكون فراشهم فيها من النار، ويكون غطاؤهم فيها من النار، ومع ذلك فشرابهم من ماء الحميم الذي يغلي، ومن الغساق الذي هو قيح وصديد أجسام أهل النار، نعوذ بالله منها.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب «هذا»؟ إن كان مبتدأ فأين خبره؟ وما يسمىٰ هذا النوع من الكلام في البلاغة؟

الجواب: «هذا» خبر لمبتدأ محذوف، أي: الأمر هذا، أو مبتدأ خبره محذوف، أي: هذا للمؤمنين. ويسمىٰ هذا النوع في البلاغة بالتخلص إذا كان هناك مناسبة بين ما قبل الإشارة وما بعدها، ويسمىٰ بالاقتضاب إن لم يكن ثمة مناسبة.

(٢)- **سؤال:** هل يصدق «الطاغين» علىٰ الفساق؟ وهل من باب الحقيقة أم المجاز؟ وعلام عطفت جملة: ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴿٥٥﴾﴾؟ وما إعراب «جهنم»؟ وما محل جملة «يصلونها»؟ وما إعراب «حميم»؟

الجواب: الطاغي في الشرع هو الذي يتجاوز حدود الله تعالىٰ، فإطلاقه علىٰ الفاسق إطلاق حقيقي؛ لأن الفسق هو الخروج عن أمر الله، والخروج عن أمر الله بمعنىٰ التجاوز لحدود الله. «وإن للطاغين لشر مئاب» معطوفة علىٰ: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴿٤٩﴾﴾ إذ لا مانع من العطف وقد قيل إن الجملة مستأنفة. «جهنم» بدل من شر مئاب. «يصلونها» في محل نصب حال من جهنم. «حميم» خبر المبتدأ هذا، و«فليذوقوه» جملة معترضة بين المبتدأ والخبر.

﴿وَءَاخَرُ[١] مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴿٥٨﴾﴾ ومع النار والحميم والغساق فقد أعد الله سبحانه وتعالى لهم الأنواع الكثيرة من أصناف العذاب سوى ذلك. ومعنى «من شكله»: من مثله.

﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا[٢] بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴿٥٩﴾﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى عن كيفية دخولهم النار، فأخبر أنهم سيدخلون فوجاً فوجاً؛ فإذا دخل فوج لعنهم من سبقهم من الأفواج.

﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ[٣] أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴿٦٠﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن التابعين سيردون على المتبوعين الذين سبقوهم بأنهم الذين يستحقون اللعن والتعذيب؛ لأنهم الذين تسببوا في دخولهم النار.

﴿قَالُوا[٤] رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴿٦١﴾﴾ ينادون الله تعالى أن يضاعف عذاب الذي تسبب في دخولهم النار.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴿٦٢﴾﴾[٥] سيسأل أهل

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «وآخر»؟

الجواب: «آخر» مبتدأ خبره «أزواج»، والجملة معطوفة على: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾.

(٢)-**سؤال:** هل ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ...﴾ إلخ مقول لقول محذوف؟ وهل قوله: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ من كلام الله سبحانه للمعذبين؟ وما معنى: ﴿مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾؟

الجواب: «لا مرحباً بهم» مقول لقول محذوف من كلام الرؤساء المتبوعين، وقوله: «هذا فوج مقتحم معكم» حكاية كلام يقال للرؤساء المتبوعين، والاقتحام: ركوب الشدة والدخول فيها.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: «لا مرحباً بكم»؟

الجواب: لا: نافية، ومرحباً: مفعول مطلق لفعل محذوف، بكم: متعلق بمرحباً.

(٤)-**سؤال:** إلام يرجع ضمير القول هذا إلى التابعين أم المتبوعين؟ وما إعراب «ضعفاً»؟

الجواب: يعود إلى الأتباع. «ضعفاً»: صفة لعذاب أي: ذا ضعف أو مضاعفاً.

(٥)-**سؤال:** من فضلكم ما محل جملة: ﴿لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ...﴾؟

الجواب: محلها النصب على الحالية أو مستأنفة في جواب سؤال مقدم عن موجب الاستفهام والاستنكار.

النار بعضهم بعضاً عن الذين كانوا يحتقرونهم في الدنيا ويستخفون بهم من المؤمنين أين هم ما لنا لا نراهم معنا في النار وقد عرفناهم في الدنيا أشراراً ضالين.

﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴿٦٣﴾﴾ لماذا لا نراهم في النار؟ أكانوا من الصالحين ونحن نسخر منهم ومن إيمانهم؟ أم أنهم من الأشرار فعلاً ومن أهل النار وقد دخلوها ولكنا لم نرهم؟

﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴿٦٤﴾﴾[1] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن هذا هو ما سيدور فيما بين أهل النار من الجدل والتخاصم.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يخبر المشركين بأن الله تعالى لم يرسله إلا لينذرهم، وليس مكلفاً بأن يدخلهم في الهدى رغماً عنهم؛ وذلك لأجل أن لا يكون لهم عذر يوم القيامة يعتذرون به عند الله سبحانه وتعالى بأنه لم يرسل لهم رسولاً ينذرهم ويحذرهم يوم البعث والحساب والجزاء.

﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴿٦٥﴾﴾[2] وأن يخبرهم أنه لا إله في هذا الكون إلا إله واحد، كل ما في هذا الكون تحت قدرته وقبضته وسيطرته، وهو القاهر لكل شيء بقوته.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴿٦٦﴾﴾ وهو سبحانه المالك للسماوات والأرض وما بينهما، والعزيز هو القوي الغالب، والغفار هو كثير المغفرة لمن أقبل إليه مهما كانت ذنوبه وخطاياه.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴿٦٤﴾﴾؟

الجواب: تخاصم: فاعل «حق» أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾؟ وكذا ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾؟

الجواب: إله: مبتدأ مجرور لفظاً مرفوع محلاً، خبره لفظ الجلالة الذي بعد «إلا»، هكذا أعربوه. والذي ينبغي من الإعراب أن يكون خبر إله محذوف، أي: موجود، و«إلا» أداة استثناء، ولفظ الجلالة مستثنى من «إله».

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ۝٦٧ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ۝٦٨﴾ وأخبرهم يا محمد أن ما تلوته عليهم من أمر القيامة والبعث والحساب(١) ليس بالأمر الهين والسهل فهو من الأمور العظيمة والأخبار التي ينبغي أن يستعد المرء لمثلها غاية الاستعداد، ولكنهم على العكس من ذلك فهم معرضون عنها غاية الإعراض.

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ۝٦٩ إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ۝٧٠﴾(٢) وأخبرهم يا محمد بأنك لم تكن تعلم بما كان يجري في الملأ الأعلى بين الملائكة والشيطان من الجدال والتخاصم(٣) في خلق آدم وأمر الله سبحانه وتعالى لهم بالسجود له لولا ما كان من إخبار الله سبحانه وتعالى لك بعلمه.

وأخبرهم أيضاً بأنك نبي مرسل من عند الله تعالى لإنذارهم.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بذلك الذي قد حصل في الملأ الأعلى فقال:

﴿إِذْ قَالَ(٤) رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم ما الذي يدلنا على أن مرجع الضمير إلى يوم القيامة والبعث والحساب؟

الجواب: الذي دلنا هو تسميته بالنبأ العظيم، والنبأ العظيم هو يوم القيامة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ۝٢﴾ [النبأ]، وهذا مع تقدم ذكر أهل الجنة وأهل النار.

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في قصر الإيحاء على النذارة فقط دون بقية الشريعة؟

الجواب: القصر إضافي فالنفي متوجه إلى ما سألوه صلى الله عليه وآله وسلم عنه لا إلى سائر الشريعة.

(٣)-**سؤال:** فضلاً من أين يظهر لنا كون التخاصم بين الملائكة والشيطان؟ إلا أن يراد بالتخاصم التخالف بينهم حيث امتثلوا وهو استكبر، فبينوا ذلك حفظكم الله؟

الجواب: قد قال تعالى: ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ۝٦٩﴾ فلا بد أنه قد كان بينهما اختصام إلا أن الله تعالى لم يحكه لنا، بل حكى عناوين من كلام الشيطان لعنه الله التي تدل على استكباره وتمرده عن أمر الله وشدة عداوته لآدم وبني آدم وما عزم عليه من إضلالهم وإغوائهم أجمعين إلا عباد الله المخلصين وما أعطاه الله من النَّظِرَة وكل ذلك من أجل أن يحذره آدم وبنوه إلى يوم القيامة، ولم يذكر تعالى ما قاله الملائكة لأنه لا يتعلق بحكاية أقوالهم فائدة، وفي كلام الله تعالى عن إبليس ما يكفي.

(٤)-**سؤال:** فهل يكون «إذ قال» بدلاً من قوله: ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ۝٦٩﴾؟ وما إعراب «ساجدين»؟

الجواب: «إذ» بدل من «إذ يختصمون». «ساجدين» حال من فاعل «قعوا».

﴿فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴿٧٢﴾﴾ وذلك أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى ملائكته بأنه سيخلق بشراً من الطين، وأمرهم بالسجود له عندما ينفخ فيه الروح. ومعنى «سويته»: عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح.

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴿٧٣﴾[1] إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴿٧٤﴾ قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ[2] لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴿٧٥﴾﴾ فامتثل الملائكة لأمر الله سبحانه وتعالى إلا إبليس فقد استكبر على الله تعالى، وترفع عن الامتثال لأمره، واعترض على إرادة الله تعالى ومشيئته، فسأله الله سبحانه عن السبب المانع له عن السجود والامتثال.

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴿٧٦﴾﴾[3] هذا هو جواب إبليس على الله تعالى، فاستنكر كيف يسجد لمن هو أقل شأناً منه، وهو بجوابه هذا إنما يعترض على الله سبحانه وتعالى في مشيئته وإرادته.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا[4] فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴿٧٨﴾﴾[5]

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم ما فائدة التوكيد بقوله: «أجمعون»؟ بعد التوكيد بـ«كلهم»؟

الجواب: فائدته لإبانة التوكيد فهو بمثابة التكرير: كلهم كلهم.

(٢)-**سؤال:** ما موضع المصدر «أن تسجد» من الإعراب؟ مع بيان تناسب معناه بما قبله؟

الجواب: موضعه الجر أي: ما منعك من السجود.

(٣)-**سؤال:** يقال: ما الوجه في فصل جملة ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴿٧٦﴾﴾؟

الجواب: الوجه فهو كون هذه مستأنفة لبيان العلة أي في جواب سؤال مقدر عن العلة.

(٤)-**سؤال:** ما المسوغ لعود الضمير في «منها» إلى غير مذكور؟

الجواب: المسوغ لذلك هو تقدم ذكر ما يدل على الجنة وهو ذكر خلقه لبشر من طين.

(٥)-**سؤال:** إذا كان معنى اللعن لإبليس الطرد من رحمة الله فما علة الإتيان به مرة ثانية؛ إذ قد تقدم مفهومها في قوله: «رجيم»؟ وما المراد باستمرار اللعنة إلى يوم الدين؟

الجواب: كأن المراد بقوله: «وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين» أنك مدعو عليك باللعن إلى يوم الدين أي: يستمر لعنه إلى يوم الدين، فإذا جاء يوم الدين عذبه الله تعالى في نار جهنم عذاباً ينسى معه اللعن.

أخرج الله تعالىٰ إبليس من ظل رحمته وطرده منها إلىٰ لعنته بسبب استكباره عن الامتثال لأمر الله تعالىٰ.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ۝٧٩﴾ فطلب من الله سبحانه وتعالىٰ أن يمد في عمره ويمهله إلىٰ يوم القيامة.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ۝٨٠ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ۝٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ۝٨٣﴾(١) فأجاب الله سبحانه وتعالىٰ له طلبه، فأقسم إبليس علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ أنه سيسعىٰ جهده في إغواء الناس وإضلالهم وإخراجهم عن الحق والهدىٰ واستثنىٰ منهم المخلصين لله تعالىٰ في إيمانهم وعبادتهم فقد عرف أنه لن يستطيع التأثير فيهم، وأنه لن يجد إلىٰ إغوائهم طريقاً.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ(٢) وَالْحَقَّ أَقُولُ۝٨٤ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ(٣) أَجْمَعِينَ۝٨٥﴾ فأقسم الله تعالىٰ بالحق الذي هو قوله لا قول له سواه بأنه سوف يعذبه وكل من أطاعه واتبعه في نار جهنم التي أعدها لمن عصاه.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما الوجه في التعبير بـ«المخلصين» بصيغة اسم المفعول دون اسم الفاعل الذي هو موافق لظاهر المعنىٰ في هذه الآية وأمثالها؟

الجواب: فتحت اللام للإشارة إلىٰ أنهم لم يكونوا مخلصين إلا بما أمدهم الله به من التوفيق والألطاف والتنوير والمعونة.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم فصلوا إعراب هذه الآية علىٰ قراءة حفص برفع «فالحق» وبنصبها علىٰ قراءة نافع ومن معه من القراء؟

الجواب: «فالحق» بالرفع مبتدأ وخبره محذوف أي: فالحق قسمي، وعلىٰ قراءة النصب يكون الحق منصوباً بنزع الخافض الذي هو حرف القسم.

(٣)- **سؤال:** ما السر في إعادة لفظة «منهم» هنا؟

الجواب: الظاهر أن «منهم» لبيان جنس العموم الذي تضمنه الموصول، و«من» في قوله: «منك»

=

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ[1] مِنْ أَجْرٍ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر المشركين بأنه لم يطلب منهم أي أجرة على مشقة تبليغهم رسالة ربهم حتى يرفضوا الاستجابة له خوفاً من دفع الأجرة.

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ۝٨٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ۝٨٧﴾ وأن يخبرهم بأن ما جاءهم به من القرآن إنما هو كلام الله تعالى، وأنه لم يأت به أو يختلقه من عند نفسه. ومعنى «من المتكلفين»: الكاذبين المفترين.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ۝٨٨﴾[2] إن لم يؤمنوا به الآن فليعلموا أنهم سيؤمنون به فيما بعد، ولكن حين لا ينفعهم إيمانهم، وذلك وقت حلول[3] العذاب ونزوله بهم. ومعنى «نبأه»: صدق ما أخبر به القرآن الكريم.



لابتداء الغاية، فليس في الآية على هذا تكرير ولا إعادة.

(١)-**سؤال:** إلام يعود الضمير في قوله: «عليه»؟ وكيف عرفنا ذلك؟

الجواب: يعود إلى الحق الذي أقسم به.

(٢)-**سؤال:** ما هو السر في جعل هذا التهديد البالغ خاتماً لهذه السورة المباركة؟

الجواب: لتؤذن وتشير إلى نهاية السورة وذلك من حيث أن العذاب هو نهاية المكذبين وعاقبة أمرهم وآخره.

(٣)-**سؤال:** من فضلكم هل المراد بحلوله في الدنيا أم يوم القيامة، مع التعليل؟

الجواب: يمكن حمله على الأمرين جميعاً؛ لأن القرآن قد نطق وعيده بهما جميعاً.

سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ۝١﴾ كان المشركون يقولون: إن ما جاءهم به محمد من القرآن ليس كلام الله تعالى، وإنه إنما كان يكتتبه من عند بعض أهل العلم الأول، وكان بعضهم يقول: إنه إنما افتراه واختلقه من عند نفسه فرد الله سبحانه وتعالى عليهم -ما يدعونه على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم- بأنه كلامٌ مُنَزَّل[1] من عند الله سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم؛ ليبلغه المشركين وينذرهم بآياته، وأنه كلام الله العزيز الغالب، أنزله بعلمه وحكمته.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ وهو كلام الله تعالى أنزله متلبساً بالحق والصدق، سليماً من التناقض والاختلاف.

﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ۝٢﴾ فلا يصدنك تكذيبهم عن عبادة الله سبحانه وتعالى، ومواصلة تبليغ رسالة ربك، ولا تفتر عزيمتك، واصبر على عبادة الله تعالى وحده، وعلى القيام بما كلفك ربك به من الدعوة إليه وإلى عبادته وحده.

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ فالله سبحانه وتعالى هو الذي يستحق العبادة[2] وحده، وأما الذين يعبدونهم من دونه فلا يستحقون العبادة ولا يتصفون بشيء من صفات الجلال والكمال.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[3]

---

(١)-**سؤال:** فهل قوله: «تنزيل الكتاب» مبتدأ، والجار والمجرور «من الله» متعلق بمحذوف خبره؟

الجواب: نعم هو كذلك.

(٢)-**سؤال:** تكرماً هل هناك قرائن على أن الدين هنا بمعنى العبادة، فما هي؟

الجواب: القرينة هي تقدم قوله: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ﴾.

(٣)-**سؤال:** من فضلكم أزيلوا ما يشكل علينا من تركيب ونظم هذه الآية فقد كان من حقها أن يقول: «ما يعبدونهم» بضمير الغيبة لا المتكلم، إلا على تقدير الفعل «يقولون» فيكون هو الخبر، =

المشركون الذين اتخذوا أرباباً يعبدونهم من دون الله تعالىٰ كانوا يقولون: إنهم إنما يعبدون الأرباب لتقربهم إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ وتشفع لهم عنده.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ كان المشركون فرقاً ومذاهب كثيرة، وكان كل فريق منهم قد اتخذ له إلهاً يعبده، فأخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه سيحاسبهم جميعاً، وسيحكم بين فرق المشركين، وبينهم وبين أهل الحق، وبين المعبودين وعبدتهم.

وحُكْم الله سبحانه وتعالىٰ أن من كان علىٰ الحق فسيثيبه بالجنة، ومن كان علىٰ الباطل فسيعاقبه في جهنم وبئس المصير.

ومعنىٰ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾: لا يلطف ولا يوفق من هو كاذب كفار والمشركون كاذبون حين قالوا إن الأصنام آلهة.

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾(١) كان المشركون

فهل هذا التقدير حتم؟ فما علة حذفه؟ وإن كان غير حتم فأين الخبر؟ وكيف بالضمائر المختلفة؟ وما إعراب: ﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾؟

الجواب: نعم، يكون «يقولون» المقدر هو الخبر، وهذا أحد وجهين ذكرهما صاحب الكشاف، والوجه الثاني هو: أن يكون الخبر: «إن الله يحكم بينهم» ويكون القول الذي قدرناه حالاً أي: قائلين ما نعبدهم...، أو يكون «يقولون» المقدر بدلاً من الصلة. هذا ما ذكره صاحب الكشاف وهو إمام المعربين وعليه فيكون تقدير القول حتماً. وقوله: «ليقربونا» اللام للتعليل ويقربونا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون، وواو الجماعة فاعله، و«نا» ضمير في محل نصب مفعول به، و«إلىٰ الله» جار ومجرور متعلق بيقربونا، و«زلفىٰ» مفعول مطلق مؤكد لعامله الذي يوافق معناه؛ لأن الزلفىٰ بمعنىٰ القربىٰ، والله أعلم.

(١)- **سؤال:** هل هذه الآية من باب القياس الاستثنائي الذي يستخدمه المنطقيون، فتكون دليلاً علىٰ كونه حجة يجب العمل به، وضحوا ذلك؟

الجواب: نعم، هي من باب القياس الاستثنائي، وهذا القياس حجة مقررة في العقول لا تستدعي إقامة دليل، ومثل هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢].

يقولون: إن الملائكة بنات الله؛ فرد الله سبحانه وتعالى عليهم اعتقادهم بأنه لو أراد أن يتخذ الأولاد كما يزعمون لاختارهم واصطفاهم من أفضل مخلوقاته وأزكاهم، ولما اختار الجنس الأدنى الذي هو الإناث.

﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ نزه الله نفسه عما ينسبونه إليه من الولد، فقد تقدس وتنزه عن مشابهة المخلوقين، وذلك أن التوالد من طبيعة المخلوقين، والله سبحانه وتعالى ليس من جنس المخلوقات، فهو المتفرد بصفات الإلهية والكمال القاهر لكل شيء بقوته، والمتنزه عن اتخاذ الشركاء والأولاد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه خلق السماوات والأرض لغرض عظيم وحكمة بالغة، وذلك ما يترتب على خلقهما من الحياة الآخرة، والبعث بعد الموت، فليس هذا الخلق إلا مقدمة لتلك الحياة الأخرى، وفي هذه الآية رد على المشركين في إنكار البعث بعد الموت، إذ لو كان كما يزعمون من عدم البعث لكان خلقه للسماوات والأرض وما بينهما عبثاً وباطلاً عارياً عن الحكمة(١).

---

(١)- **سؤال:** إذا قال أحد هؤلاء بأن خلقهما ليتمتع الإنسان والمخلوقات على ظهر الأرض بهذه الحياة وبما فيها من فوائد دون ترتيب البعث والحساب على خلقهما، فبماذا يجاب عليه؟

الجواب: يقال: ولكن ما الحكمة في خلق الأرض وخلق الإنسان ليتمتع فيها بمتاع الأرض مع العلم أن لكل إنسان عمراً مقدراً فمنهم من يموت بعد ولادته ومنهم بعد سنة من ولادته، ومنهم بعد عشر أو عشرين أو ستين أو تسعين أو... إلخ، مع ما يعرض من أمراض شديدة للكبار والصغار، ومع مخاوف وفقر وغنى وظلم كبير، يأتي الظالم فيقتل الأطفال الرضع ذبحاً أو خنقاً أو دوساً، ويقتل النساء والرجال العزل، ويأخذ أموالهم، لا حول لهم ولا قوة، وكم في الدنيا من مثل هذا، وبعضهم لم يعرف التمتع بخيرات الدنيا، وبعضهم يلحقه من الأضرار والعذاب في الدنيا ما ينسى معه متاعه في الدنيا، وبعضهم... إلخ، والظالم قد طال تمتعه بقتل البشر وسلبهم أموالهم، وفي =

﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ[1] وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى بعضاً من آثار قدرته وربوبيته، فأخبر أنه الذي يدخل[2] النهار في ظلمة الليل والعكس، وأنه الذي خلق الشمس والقمر وسخر لهما الطريق التي يسير كل منهما فيها على ميزان محدود، وجعل لهما منازل معلومة لا يتخلفان عن مسارهما الذي حدده لهما بقدرته إلى يوم القيامة.

﴿أَلَا[3] هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ۝٥﴾ ثم وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بأنه القوي المقتدر على كل شيء، وكل شيء في قبضته وسيطرته، وأنه الغفار الذي لم يؤاخذ المشركين والعصاة بذنوبهم، بل أمهلهم وأبقاهم ومتعهم في الدنيا، وأطال في أعمارهم.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يُذكِّر الله تعالى المشركين إن أرادوا أن يتذكروا ويرجعوا إليه وإلى عبادته وحده، بأنه الذي خلقهم وأوجدهم

النهاية يموت الظالم؛ إذاً فما هي الحكمة في خلق الظالم والمظلوم وقد علمنا أن الله تعالى عدل حكيم، فأين ما تقضي به الحكمة؟ وأين العدل؟ حينئذ يجزم العقل بأنه لا بد -على مقتضى العدل والحكمة- من جزاء وأعواض وحساب، ولو لم يكن الأمر كذلك لكان الله تعالى عابثاً في خلقه للمخلوقات، ولما صدق وصفه بالحكمة والعدل.

(١)-**سؤال:** فضلاً هل يصح أن تكون جملة «يكور الليل...إلخ» حالية أم لا؟ فما هي؟

الجواب: يصح أن تكون حالية وأن تكون مستأنفة مبينة لكيفية تصرفه في السماوات والأرض.

(٢)-**سؤال:** هل التكوير بمعنى الإيلاج أم أن مقصودكم أنهما يؤولان إلى معنى واحد؟

الجواب: المراد أن التكوير يؤول إلى معنى الإيلاج فإن النهار إذا التف على الليل اختفى الليل وهكذا العكس.

(٣)-**سؤال:** ما فائدة ورود «ألا» في هذا الموضع؟

الجواب: الفائدة تنبيه المخاطب والسامع إلى الإصغاء والاستماع لما بعده من الكلام، وأنه حقيق بالإصغاء والاستماع وأهميته.

من نفس آدم وحواء[1]. ومعنى «جعل منها زوجها»: أنه خلق حواء من نفس الجنس الذي خلق منه آدم عليه السلام.

﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[2] وهو وحده الذي أنعم عليكم بأن خلق لكم هذه الثمانية الأزواج من الأنعام وسخرها في مصلحتكم ومنفعتكم، فهو الذي يستحق أن تطيعوه وتشكروه على نعمه العظيمة هذه عليكم.

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾[3] ويذكرهم الله أن ينظروا في كيفية تكوينهم في بطون أمهاتهم؟ فبدايت خلقهم من

---

(١)- **سؤال:** قد يقال بأن استخدام «ثم» وما تدل عليه في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وتقديم «منها» على «زوجها» قرائن على أن حواء مخلوقة من آدم نفسه، فكيف نجيب على ذلك؟

الجواب: «ثم» جاءت للتنبيه على أعظم منة الله على الإنسان حيث جعل له زوجاً من جنسه ليأنس به ويميل إليه ولا ينفر منه، وقدم «منها» لأن المنة العظيمة هي كونه منها، أي: من جنسها، ولم يسق الكلام للتمنن بأنه جعل زوجاً للإنسان، فهذا وجه تقديم «منها».

وبعد، فليس في كون حواء خلقت من ضلع آدم منةٌ، وإنما المنة في كونها من جنسه، ولا زالت هذه المنة على بني آدم إلى يوم القيامة، فكل منا يدرك هذه المنة ويحس بعظمها.

(٢)- **سؤال:** هل إطلاق الزوج على النوع الواحد حقيقة أو مجاز؟ وما العلة في التعبير عن خلق الأنعام الثمانية بالإنزال؟

الجواب: يطلق الزوج على النوع الواحد حقيقة إذا كان في ضمن جنس يجمعه هو وغيره، نحو: ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧﴾ [الشعراء]. وعبر بالإنزال عن خلق الحيوان لأن الأمر والقضاء ينزل من السماء أو لأن خلقها وتكوينها يكون بالماء النازل من السماء، فبالماء تنمو الحيوانات وتكثر أعدادها فإذا اشتد الجدب واستمر ماتت الحيوانات وذهبت.

(٣)- **سؤال:** ما محل جملة «يخلقكم» هذه؟ وبماذا تعلق الجار والمجرور «من بعد»؟ وأيضاً «في ظلمات»؟ وما إعراب «ثلاث»؟ وما هي فائدته بعد قوله: «ظلمات»؟

الجواب: يمكن أن تعرب حالية فتكون في محل نصب ويمكن أن تكون استئنافية لبيان كيفية خلقه تعالى للإنسان، «من بعد خلق» صفة لـ«خلق». «في ظلمات ثلاث» متعلق بخلق في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾. «ثلاث» بدل من ظلمات وفائدتها بيان العدد المجمل في ظلمات.

النطفة التي يلقيها الرجل في بطن المرأة، ثم إن هذه النطفة تتحول إلىٰ قطعة دم متجمدة بقدرته، ثم إن العلقة هذه تتحول بقدرته إلىٰ قطعة لحم، ثم إن قطعة اللحم هذه تتحول إلىٰ عظام ومفاصل وأعضاء، ثم بعد ذلك تكتسي هذه العظام باللحم، ثم ينفخ فيه الروح بقدرته فيصير خلقاً آخر.

والظلمات الثلاث هي ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، وظلمة البطن، فيتكون هذا الإنسان في تلك الظلم تحت رعاية الله سبحانه وتعالىٰ وعنايته وتدبيره ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴿٨٢﴾﴾ [يس].

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ[1] لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فهذا الذي قدر علىٰ خلقكم وإيجادكم هو ربكم أيها المشركون الذي يستحق أن تخصوه بالعبادة؛ لأنه المالك لكل ما في السماوات والأرض فلا شريك له في إلهيته وربوبيته.

﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴿٦﴾﴾ فكيف تصرفون عن عبادته إلىٰ عبادة غيره؟ وما هو الذي صرفكم إلىٰ عبادة غيره من الآلهة، وترك عبادة الذي خلقكم والذي بيده أمركم؟

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ ثم خاطب الله سبحانه وتعالىٰ المشركين وأخبرهم بأنه لم يدعهم إلىٰ الهدىٰ والإيمان إلا لمصلحتهم ورحمة بهم، وأما هو فليس محتاجاً إليهم ولا إلىٰ طاعتهم، وإن كفروا أسخطوه وحرموا رضوانه، وسيعذبهم جزاءً علىٰ كفرهم[2].

---

(١)-**سؤال:** ما السر في فصل جملة «له الملك» عن الجملة التي قبلها؟

الجواب: فصلت لأنها خبر ثالث لـ«ذلكم»، والله: خبر أول، وربكم: خبر ثان.

(٢)- **سؤال:** من أي وجه كانت هذه الآية دليلاً علىٰ أن الله لا يشاء الكفر من الكافر، ولا يريد الضلال من الضال؟

الجواب: يلزم أولاً أن نعرف هنا أن الرضا والمحبة والكره والغضب والمشيئة والإرادة هي بالنسبة للإنسان انفعالات نفسية تبعث صاحبها وتدعوه إلىٰ أن يفعل، فإذا حصل الرضا في النفس عن شخص مثلاً انبعث الشخص إلىٰ فعل الإحسان إلىٰ الشخص، وإن حصل الكره في النفس انبعث =

﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ وأما إذا آمنتم بالله تعالى وشكرتم نعمه عليكم فإنه سيثيبكم، وسيجازيكم أحسن الجزاء وأجزله.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن كل واحد مسئول عن نفسه، وأنه وحده سيتحمل وزره على ظهره، ولن يحمل عنه أحد شيئاً، وأن مرجع الجميع إلى الله

صاحبها إلى الإساءة إلى ذلك الشخص المكروه، وهكذا الغضب. فإرادة الإنسان للانتقام من شخص لا تكاد تحصل إلا إذا كانت النفس منفعلة غضباً أو كرهاً للشخص، وإرادة الخير لشخص لا تحصل إلا إذا كانت النفس منفعلة بالرضا عن الشخص وبالمحبة له، والحاصل أن إرادة فعل الخير أو فعل الشر لا تحصل في الإنسان إلا إذا وجد الباعث النفسي الذي هو الحب أو الكراهة أو الرضا أو الغضب التي هي انفعالات نفسية فيترتب على هذه الانفعالات انفعالات أخرى وهي الإرادة، والإرادة هي: العزم والتصميم على الإحسان إلى الشخص أو الانتقام منه، والإحسان أو الانتقام هو الغاية، وتلك الانفعالات النفسية هي أعراض تعرض للإنسان بعد أن لم تكن ثم تذهب، والله سبحانه وتعالى ليس كالإنسان ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى]، فلا تعرض له الانفعالات النفسية لأنها إنما تعرض للأجسام والله تعالى ليس بجسم فلا يعرض له انفعال غضب أو كراهة أو محبة أو رضا أو إرادة، فلا يتصف ربنا جل وعلا بهذه الصفات النفسية، فأفعاله تعالى كلها ليست مبنية على الانفعالات النفسية كما هو الحال في الإنسان، وإنما تبنى على العلم والحكمة؛ فإذا اقتضت الحكمة والعلم بإرسال رسول وإنزال كتاب في وقت معين فَعَلَه الله، وصح أن يقال: إن الله أراد ذلك ورضيه وأحبه وشاءه، وكانت هذه العبارات -أي: أراد ورضي وأحب وشاء- كلها بمعنى واحد؛ لأن الانفعالات العارضة من الغضب والكراهة والرضا والمحبة لا تجوز على الله، وإنما تصدر أفعال الله وأوامره ونواهيه عن العلم والحكمة؛ فإذا قضت الحكمة والعلم بقبح أمر وفساده كالظلم والزنا و... كرهه الله ومقته ونهى عنه ولم يرده ولم يشأه. إذا عرفت ذلك فلا يصح أن نقول: إن الله تعالى لا يرضى الكفر ولكنه يحبه ويشاؤه؛ لأن عدم رضوان الله للكفر مبني على كون الكفر مفسدة، والله تعالى حكيم لا يريد إلا ما بني على العلم والحكمة.

وسيحاسب كل واحد على قدر عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ۝٧﴾ فلا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو عالم بما استكن في الصدور، ومجازيهم على كل ذلك.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا(١) إِلَيْهِ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن طبيعة الإنسان(٢) بأنه إذا اشتدت عليه الأمور ونزلت به البلاوي والمصائب فإنه يذكر الله سبحانه وتعالى، ويلجأ إليه عند ذلك، وينسى آلهته وأصنامه التي يعبدها من دون الله، ويرجع إلى الله سبحانه وتعالى وحده لكشف الضر عنه.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ(٣) مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ فإذا كشف الله سبحانه وتعالى ضره وبلواه، وأسبغ عليه نعمه فإنه ينسى الله تعالى، ويرجع إلى ما كان عليه من قبل من عبادة تلك الآلهة. ومعنى «خوله نعمة»: أعطاه نعمة.

﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى السبب في رجوعه إلى عبادة الأصنام وذلك أنه من أجل أن يضل الناس عن دين الله وعن الإيمان به.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «منيباً»؟

الجواب: «منيباً» حال من فاعل «دعا».

(٢)-**سؤال:** هل المراد غالبية بني الإنسان أو المشرك المعهود في الخطاب؟

الجواب: المراد المشرك والكافر المعهود في الخطاب.

(٣)-**سؤال:** يقال: إذا كان المراد بـ«ما كان يدعو» الله سبحانه كما هو الظاهر فلِمَ استخدم له «ما» التي تستخدم لغير العاقل؟ وما السر في استخدام حرف الجر «إلى» لتعدية الفعل «يدعو» وهو يتعدى بنفسه؟

الجواب: المعنى: نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى إزالته، وعلى هذا فـ«ما» مستعملة للضر وهو غير عاقل، و«إلى» في بابها. ويجوز أن تكون «ما» لله تعالى لأنها موضوعة لما يعقل ولما لا يعقل، أي: نسي ربه الذي كان يدعوه إلى إزالة الضر.

﴿قُلْ تَمَتَّعْ[١] بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴿٨﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ هنا أن يخبر هؤلاء المشركين بأن الله سبحانه وتعالىٰ سيجازيهم عما قريب، وأن أيامهم في الدنيا ليست إلا معدودة يمتعهم الله سبحانه وتعالىٰ فيها، ثم إن مصيرهم إلىٰ النار بعد ذلك خالدين فيها أبداً.

﴿أَمَّنْ[٢] هُوَ قَانِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَايِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ثم استنكر الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ المشركين ما يلزم من إنكارهم للبعث من التسوية بين الذين أفنوا أعمارهم في طاعة الله تعالىٰ عاكفين علىٰ عبادته ليلاً ونهاراً خوفاً من الله تعالىٰ ومن عقابه، وطمعاً في ثوابه ورضاه، وبين الذين ضيعوا أعمارهم في اللهو والفساد في الأرض وعبادة الأصنام؛ فلا بد أن يكون هناك حياة أخرىٰ يجزي الله فيها المحسنين علىٰ إحسانهم ويعاقب المسيئين علىٰ إساءتهم وتمردهم، وأن الأمر لو كان كما يظن المشركون المنكرون للبعث والحساب لكان الله سبحانه وتعالىٰ ظالماً، ولكان خلقه لهم عبثاً، وذلك لا يجوز علىٰ الله تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً. ومعنىٰ «قانت»: مطيع منقاد لله. ومعنىٰ «آناء الليل»: ساعاته.

---

(١)-**سؤال:** ما السر في الإتيان بصيغة الأمر «تمتع»؟ وما إعراب «قليلاً»؟

الجواب: جيء بصيغة الأمر لأجل التهديد. «قليلاً» مفعول مطلق بالنيابة أي: تمتعاً قليلاً، أو ظرف أي: زمناً قليلاً.

(٢)-**سؤال:** علام عطف هذا؟ وما إعراب «من» في قوله: ﴿مَنْ هُوَ قَانِتٌ﴾؟ إن كان مبتدأ فأين خبره؟ وهل لذلك ضابط؟ وما محل جملة: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ..﴾؟

الجواب: علىٰ قراءة التشديد فتكون «أم» للعطف علىٰ محذوف مقدر أي: الكافر خير أم من هو قانت. ومن قرأ بالتخفيف فالهمزة للاستفهام الاستنكاري، و«من» مبتدأ، «هو قانت» صلة الموصول، والخبر محذوف تقديره: كالكافر. «يحذر الآخرة» في محل نصب حال.

ثم أمره أن يخبرهم أنه لا بد أن يكون هناك فرق[١] بين أهل العلم بالله سبحانه وتعالىٰ وبآياته وبوعده ووعيده، وأهل الجهل بالله تعالىٰ والكفر بآياته ورسله.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ۝٩﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه لن يعرف آياته، ويتذكر بمواعظه إلا الذين يستعملون عقولهم، ويعملون بما تدعوهم إليه فطرهم.

﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا[٢] اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ ثم وجه الله سبحانه وتعالىٰ خطابه إلىٰ الذين آمنوا بالله ورسوله بأن لا يغتروا بإيمانهم، ولا يركنوا إلىٰ أنفسهم، وأن يكونوا علىٰ حذر من الوقوع فيما يغضبه ويوجب سخطه، وأن يعلموا أنهم معرضون للوقوع في المعصية في كل وقت؛ فأمرهم بتقواه والاستقامة علىٰ ما يرضاه.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ ثم أخبرهم بأن جزاء من أحسن في هذه الحياة الدنيا وعمل الأعمال الصالحة أن يثيبه الله سبحانه وتعالىٰ بالحسنىٰ في الآخرة وهي الجنة[٣]. والإحسان: هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ فإذا لم يتأت لكم أن تعبدوا الله تعالىٰ وتقيموا حدوده وفرائضه في مكان فاعلموا أن أرض الله واسعة فيجب عليكم أن تتنقلوا فيها، فليس لكم عذر في ترك الهجرة، فأنتم مأمورون بإقامة فرائضه وحدوده مهما أمكنكم ذلك.

---

(١)-**سؤال:** فعلىٰ هذا ما يكون معنىٰ الاستفهام في قوله: «هل يستوي»؟

الجواب: يكون معناه الاستنكار فيؤول المعنىٰ إلىٰ أنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، ومعنىٰ ذلك أن بينهم فرقاً كما ذكرنا.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؟

الجواب: «يا» حرف نداء، «عباد» منادىٰ مضاف منصوب بفتحة مقدرة علىٰ الدال، وياء المتكلم مضاف إليه، وحذفت الياء لفظاً لالتقاء الساكنين، وكتبت في المصحف بغير ياء تبعاً للنطق، وقوله «الذين» صفة لعباد في محل نصب، و«آمنوا» صلة الموصول.

(٣)-**سؤال:** وهل يصح أن تكون الحسنة في الدنيا مثل: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة:٢٠١]، أم لا؟

الجواب: الحسنة مطلقة، والجزاء المحقق للذين أحسنوا في الدنيا هو في يوم القيامة.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(١)] يرغب الله سبحانه وتعالى عباده هنا في الصبر على إيمانهم وتقوى الله سبحانه وتعالى مهما لحقهم من الأذى الذي يلاقونه في سبيل ذلك، فأخبرهم أنه سيثيبهم الثواب العظيم وسيضاعف لهم الأجر أضعافاً مضاعفة، وأنه لا جزاء يساوي ذلك الجزاء.

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ[(٢)] اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يخبر المشركين بأن الله سبحانه وتعالى قد أمره أن يخلص في عبادته له وحده، وأن لا يشرك في دينه وعبادته أحداً دونه[(٣)].

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾[(٤)] وأن يخبرهم بأنه أول من آمن واستسلم وانقاد لله سبحانه وتعالى وامتثل أمره.

---

(١)-**سؤال:** فِيْمَ كان الحصر في هذه الآية؟

الجواب: القصر إضافي وَرَدَ لقلب اعتقادهم أن الصبر مثل غيره من الطاعات في الجزاء الحسنة بعشر أمثالها أو بسبعين أو سبعمائة أو...، فجاء الحصر ليدل أنه بغير حساب.

سؤال: فضلاً ما إعراب «أجرهم»؟ وبم تعلق الجار والمجرور «بغير حساب»؟

الجواب: «أجرهم» مفعول به ثان. «بغير حساب» حال متعلق بمحذوف.

(٢)-**سؤال:** ما محل المصدر «أن أعبد» الإعرابي؟

الجواب: محله الجر بحرف جر مقدر أي: بأن أعبد أو يكون محله النصب بنزع الخافض.

(٣)-**سؤال:** يقال: ما فائدة الإخبار من النبي ﷺ بهذا؟

الجواب: جاء الإخبار من النبي ﷺ بهذا رداً على المشركين الذين كانوا يدعون أن الله تعالى أمرهم بالشرك، وكانوا ينكرون أن الله أمر النبي ﷺ بإخلاص العبادة لله وحده.

(٤)- **سؤال:** لم تظهر لنا تعدية «أمرت» باللام كما في قوله: «لأن أكون» فكيف؟ أم أنها ليست للتعدية؟ وهل المراد أنه أول المسلمين في عصره ﷺ أم كيف؟

الجواب: اللام للتعليل وليست للتعدية أي: أني أمرت بعبادة الله مخلصاً لأجل أن أكون أول المسلمين. والمراد أول المسلمين في عصره أي: هو أول أمته إسلاماً.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ[١] عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴿١٣﴾﴾ وأن يخبرهم بأنه يخاف الله تعالىٰ ويخاف عذابه وسخطه إن هو عصاه؛ لأن المشركين كانوا يتفاوضون معه بأن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة، وكانوا يطلبون منه أن يرخص لهم في بعض الأشياء إن هو أراد أن يؤمنوا له ويصدقوا ما جاء به.

﴿قُلِ اللَّهَ[٢] أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ فأمره الله تعالىٰ أن لا يتساهل معهم في شيء مما يطلبونه منه أو يستدرجونه فيه، وأن يخبرهم بأنه لن يشرك مع الله أحداً، ولن يعبد من دونه إلهاً مهما كان، وأما هم فإن شاءوا آمنوا وإن شاءوا كفروا، فلا صلح ولا مفاوضة[٣].

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ[٤] الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴿١٥﴾﴾ وأن يخبرهم بأنه لا خسارة تعادل خسارة المرء نفسه وأهله بتفريطه في معصية الله سبحانه وتعالىٰ وتقصيره في أمور دينه.

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن جزاء أولئك الذين خسروا أنفسهم بأنهم في نار جهنم يعذبون بين أطباقها، فتحتهم نار وفوقهم نار.

---

(١)-**سؤال:** هل لحرف الشرط «إن» في هذه الآية جواب فأين هو؟ أو لا جواب له فلِمَ؟

الجواب: لها جواب مقدر مدلول عليه بجملة: إني أخاف عذاب يوم عظيم.

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في تقديم المعمول هنا؟

الجواب: الوجه هو حصر عبادته لله وقصرها عليه دون غيره من المعبودات التي يعبدونها من دون الله.

(٣)-**سؤال:** فعلامَ يُخَرَّجُ الأمر «فاعبدوا ما شئتم...» بناءً على هذا؟

الجواب: يخرج على التهديد إن شاءوا آمنوا وإن شاءوا كفروا فأمامهم الوعيد الشديد نار جهنم، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩].

(٤)-**سؤال:** ماذا يكون معنى «ال» في قوله: «الخاسرين» مما يتناسب معه ما بعده؟

الجواب: «ال» هي للاستغراق إلا أن الاستغراق يراد به الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة لا نحن معاشر المسلمين.

﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ۝﴾[(١)] يكرر الله تعالى على المشركين[(٢)] الإنذار والتخويف لعلهم ينتفعون بتخويفه وتحذيره، ويرتدعون عن معصيته.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ۝﴾[(٣)] وأما الذين اجتنبوا عبادة الآلهة التي من دون الله تعالى، ورجعوا إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده فأخبرهم بأن لهم البشرى بالفوز العظيم، والحياة السعيدة الأبدية في جنات النعيم.

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة دخول هذه الفاء هنا؟

الجواب: تسمى هذه الفاء بالفصيحة وفائدتها ربط الجملة بشرط مقدر تدل عليه قوة الكلام.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم هل يقتصر هذا التخويف على المشركين، أو يشمل جميع من يستحق النار ولو كان من الفاسقين؟ ولماذا؟

الجواب: يشمل جميع من يستحق النار فالآية وإن نزلت في المشركين فإنها عامة لكل من يستحق النار: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، فمن استحق النار فقد خسر نفسه وأهله، ثم قال بعد ذلك: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ۝﴾، و«عباده» عام للمشركين وغير المشركين ثم دعا عباده فقال: ﴿يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ۝﴾ فلم يخص بندائه أحداً.

(٣)- **سؤال:** ما محل المصدر «أن يعبدوها»؟ وما معنى الفاء في قوله: «فبشر عباد»؟ وهل يطلق على التحاكم إلى حاكم المنع (الأعراف القبلية التي قد تعارض بعض أحكام الشريعة المطهرة) طاغوتاً أم لا؟

الجواب: «أن يعبدوها» في محل نصب بدل من الطاغوت ويطلق الطاغوت على القوانين المخالفة لأحكام الإسلام سواء أكانت عرفية أم دستورية كالتي تشرعها البرلمانات (مجالس الشورى) والطاغوت مأخوذ من الطغيان، والطغيان في الشرع مجاوزة حدود الله التي حدها لعباده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، والفاء في قوله: «فبشر عباد» هي الفصيحة التي تأتي في جواب شرط مقدر.

ثم عرفنا الله سبحانه وتعالى من هم عباده الذين يستحقون البشرى في الدنيا(١) والآخرة فقال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ(٢) فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾(٣) وهم الذين تنفع

---

(١)-**سؤال:** هل هذا يقتضي أنه قد يحصل لهؤلاء ما يطمئنهم بأنهم من أهل الجنة ولو كانوا خلال حياتهم الدنيا أم لا؟

الجواب: الذي قد يحصل هو قوة الرجاء بدخول الجنة دون الطمأنينة؛ لأن المؤمن كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في المؤمن: (لا يمسي ولا يصبح إلا ونفسه عنده ضنون) أي: متهمة، فالمؤمن وإن اجتهد في عبادة الله وطاعته يشعر بالتقصير في طاعة الله وبالتفريط في ذكره، ولا يرضى عن نفسه دائماً، فنعم الله تعالى على الإنسان لا تعد ولا تحصى، فلو خلا المؤمن بنفسه ليفكر في نعم الله عليه لوجد أن هناك نعماً كثيرة قد نسيها ونسي أن يشكر الله عليها، ومهما تذكر فإنه سيجد نعماً منسية لم يخطر بباله أن يشكر الله عليها وهي نعم عظيمة؛ لذلك قلنا إن الذي يمكن حصوله للمؤمن هو قوة الرجاء، ومن صفات المؤمن أن يقترن في نفسه الرجاء بالخوف إلى أن يموت.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ما معنى «ال» في قوله: «القول»؟ وإذا كان مرجعه إلى قول الله ووعظه أفلم يكن كله حسناً، فما وجه قوله: «يتبعون أحسنه»؟

الجواب: القول هو القرآن على أحد تفسيرين وعليه فتكون اللام للعهد، وقد سمى الله تعالى القرآن قولاً في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ...﴾ [المؤمنون:٦٨]، ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل]، ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص]، وكله حسن. والذي يظهر -والله أعلم- أن المراد بأحسنه المحكم، واتباع المحكم هو صفة المؤمنين، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ...﴾ [آل عمران:٧].

(٣)-**سؤال:** ما هي الفوائد التي نستفيدها من هذه الآية؟

الجواب: يستفاد منها:

١- أن على العالم المجتهد إذا تعارضت عليه الأمارات أن يأخذ بالأرجح، والأحوط، ويقدم النهي على الأمر، ويقدم الحظر على الإباحة، وإلى آخر ما يذكره الأصوليون في باب المعادلة والترجيح على العموم، فإن في هذه الآية ما يدل على العمل بالمرجحات سواء في باب الرواية أو في النصوص أو في القياس.

٢- وأن على المقلد النظر فيمن يقلد من العلماء ويعرف ذلك بما يسمع من أقوال أهل الصلاح فيهم.

٣- أن على المجتهد أن ينتقل من اجتهاده الأول إلى ما ترجح له من بعد وكذلك المقلد.

فيهم المواعظ والآيات فتردعهم عن معصية الله سبحانه وتعالى، واتباع أهوائهم وشهواتهم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ۝١٨﴾ فهؤلاء هم أهل هداية الله تعالى[1]، وهم أهل العقول الراجحة؛ لأنه لا عاقل إلا من استجاب لما يدله عليه عقله.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ[2] عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ۝١٩﴾ وأمره أن يخبرهم أن من استوجب عذاب الله سبحانه وتعالى وسخطه ومن استوجب ثوابه ليسا سواءً عنده تعالى، فأهل الثواب لهم الدرجات الرفيعة في جنات النعيم، وأما أهل المعاصي فسيعذبهم الله تعالى بالخزي والصغار في نار جهنم.

ثم أخبره أنه لن يستطيع أن ينقذ الذي استحق عذابه وسخطه[3]، وذلك أن النبي ﷺ كان حريصاً كل الحرص على إيمان قريش واستنقاذهم من ظلمات الشرك والجهل إلى نور الحق والهدى، وقد أتعب نفسه في ملاحقتهم حتى كاد أن يهلك نفسه في سبيل ذلك، ولكن لم يلق أي قبول أو إجابة منهم، فأخبره الله سبحانه وتعالى أن يكف عن ملاحقتهم وأن لا يتعب نفسه في ذلك فلن يؤمنوا أبداً مهما حاول فيهم.

---

(١)-**سؤال:** إلى أي معاني الهداية يرجع هذا المعنى؟

الجواب: يعود معنى الهداية هنا إلى معنى التوفيق والتنوير.

(٢)-**سؤال:** أين الخبر لقوله: «من حق عليه»؟

الجواب: الخبر محذوف تقديره: كمن نجا، أو: فأنت تنقذه؛ لدلالة: «أفأنت تنقذ».

(٣)- **سؤال:** يقال: فما القول فيمن هداهم النبي ﷺ وتابوا على يديه من ظلمات الشرك والمعاصي بعد أن استحقوا عذاب الله وسخطه؟

يقال في الجواب: إن الذين استحقوا العذاب هم الكثرة الغالبة بدليل أن الله تعالى قد ذكرهم في مواضع كثيرة بقوله: ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ۝٢٣﴾ [الأنفال] ونحوها، فيكون من آمن وحسن إيمانه مستثنى في علم الله.

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ(١) لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴿٢٠﴾﴾ هذا وعد من الله سبحانه وتعالى بأنه أعد لمن اتقاه واجتنب ما يسخطه ويغضبه النعيم الدائم والمنازل العالية والقصور الرفيعة، وبساتين الثمار في جنات النعيم والله تعالى لا يخلف وعده.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ(٢) فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ يحث الله سبحانه وتعالى عباده هنا أن ينظروا في آياته وآثار

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما فائدة الاستدراك هنا؟ وما محل جملة: «من فوقها غرف»، وجملة «تجري من تحتها الأنهار»؟ وما إعراب: «وعد الله»؟

الجواب: الاستدراك هو من قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴿١٩﴾﴾ أي: ليس في استطاعتك أن تنقذ الكافرين لكن في استطاعتك أن تنقذ الذين اتقوا. «من فوقها غرف» في محل رفع صفة لغرف: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ في محل رفع صفة ثانية لغرف، ويصح أن تكون في محل نصب حال من غرف لتخصصها بالصفة. «وعد الله» مصدر مؤكد لمضمون الجملة.

(٢)- **سؤال:** هل قوله: «ينابيع» مفعول ثان لـ«سلكه» فلم نفهم ذلك؟ أم أنه منصوب على نزع الخافض تقديره: في ينابيع؟ أم ماذا؟

الجواب: قد أعربوا «ينابيع» على أوجه وأقرب ما ذكروا فيها: أن سلكه مضمن معنى جعله، فيكون ينابيع مفعولاً به ثانياً، ولا مانع من جعله ظرفاً على تقدير ينابيع جمعاً لمنبع اسم مكان.

سؤال: هل يشمل قوله «ينابيع» المياه الجوفية التي تستخرج الآن بالآلات الضخمة فذلك يفيدنا أن يكون نتيجة الأمطار؟ أم يقتصر ذلك على عيون الغيول؟

الجواب: ظاهر قوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ...﴾ [المؤمنون:١٨]، أن المياه الجوفية كانت نتيجة لمياه الأمطار، وقد سألت الكثير من أصحاب الآبار في صعدة عن زيادة الآبار عند حصول الأمطار والسيول المتتابعة فقالوا: إنها تزيد، وآبار صعدة غير سطحية، وقال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات]، والمراد برزقكم المطر، والآيات التي تتحدث عن إنزال الرزق من السماء كثيرة.

رحمته ونعمه عليهم، فأمرهم أن ينظروا كيف ينزل لهم المطر من السماء، ثم يجتمع في بطن الأرض بقدرته، ثم بعد ذلك يخرجه مرة أخرى من الأرض على شكل ينابيع تتفجر، ثم تسيل على وجه الأرض فينبت به أنواع الزرع والثمر، أفلا يدل كل ذلك على أنه لا بد أن يكون ذلك بقدرة قادر حكيم ومدبر عليم.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ(١) فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾(٢) ثم بعد أن ينمو الزرع ويكتمل نموه فإنك تراه يأخذ في النقص واليباس حتى تتفتت أجزاؤه وتطيره الرياح وكأن شيئاً لم يكن.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝٢١﴾ يحثهم الله سبحانه وتعالى على النظر في آياته تلك لما فيها من البعث لهم على معرفة قدرته وسعة علمه وتدبيره، وليعرفوا أيضاً أن من قدر على ذلك فهو قادر على إحيائهم بعد الموت، وبعثهم بعد أن صاروا عظاماً وتراباً؛ غير أنه لن يعتبر بآياته إلا أهل العقول الراجحة.

---

(١)- **سؤال:** ما السر في نسبة الهيجان إلى الزرع بالرغم من أن كل الأفعال في الآية منسوبة إلى الباري تعالى؟

الجواب: هيجان النبات أي: ذبوله واصفراره هو ناتج عن ترك إمداده بأسباب النمو، وأسباب حياته فإذا قطع الله عنه ذلك ضعف ومات وفسد، فالله تعالى هو الذي أماتها بفعله لأسباب فسادها، ومن الأدب مع الله أن لا تنسب الأفعال التي قد يوهم ظاهرها ما لا ينبغي، ألا ترى إلى ما حكاه الله تعالى من قول إبراهيم: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء]، فلم ينسب المرض إلى الله لأنه في الظاهر شر وإن كان في الحقيقة والواقع خيراً ومصلحة عظيمة للمريض.

(٢)- **سؤال:** قد يفسر أغلب العلماء الهيجان بالاصفرار وهو خلاف ما يظهر من العرف أنه اكتمال النمو فما رأيكم في ذلك؟ وهل هو من باب الحقيقة أو المجاز؟

الجواب: يهيج هو حقيقة فيما يذكرونه من الاصفرار ثم التفتت، أي: أن النبات بعد اكتمال نموه يهيج إلى الضعف واليباس، كأنه ينشط ويتحرك ويخرج من حالته التي هو عليها إلى حالة أخرى هي الضعف والاصفرار ثم التفتت والذهاب.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يستوي عنده ذلك الذي قد امتلأ قلبه بنور الإسلام(١) وانشرح صدره بالدين والهدى بسبب استجابته لدعوة الله سبحانه وتعالى ودعوة رسله هو ومن لا يزال يتخبط في ظلمات الجهل والشرك والضلال.

﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ(٢) قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ سيجزي الله أهل الضلال والشرك الذين لم تنفع فيهم آيات الله سبحانه وتعالى ولم تؤثر فيهم مواعظه بما يستحقون من العذاب العادل في نار جهنم.

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾(٣) أحسن الحديث هو القرآن فقد أنزله الله سبحانه وتعالى على نمط واحد في البداعة والحسن، وقد تشابهت آياته في ذلك.

---

(١)- **سؤال:** لعل مرادكم أن شرح الله لصدر هذا بمعنى توفيقه وتسديده من باب: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧]؟ فهل من قرينة على أن هذا هو المراد هنا؟

الجواب: القرينة هي أن الهدى الذي بمعنى الدلالة يشترك فيه المؤمن والكافر فقد هداهم الله جميعاً وشرح الصدر، والتنوير: هو بزيادة الهدى والتوفيق والتسديد، وهذا خاص بالمؤمن بدليل: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾؟

الجواب: «ويل» مبتدأ وساغ الابتداء بالنكرة لأنها موصوفة في المعنى، «للقاسية» متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، «قلوبهم» فاعل القاسية.

سؤال: لِمَ عدّى «القاسية» بـ«من» في قوله: ﴿مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ مع أن الظاهر تعديته بـ«عن»؟

الجواب: عدي بـ«من» لتضمين القاسية معنى المعرضة، وهذا أولى من جعلها بمعنى «عن» أو للتعليل.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب «كتاباً»؟ وهل ما بعده أحوال منه أم صفات له؟ أم أحوال من «أحسن الحديث»؟

الجواب: «كتاباً» بدل من «أحسن الحديث»، وما بعده صفات له أي للكتاب، ويجوز أن يعرب «كتاباً» حالاً من أحسن الحديث، فيكون ما بعده أحوالاً من «أحسن الحديث».

﴿مَثَانِيَ﴾ وقد اشتمل على الثناء والمدح لله سبحانه وتعالى، وتكررت فيه آيات الله وحججه وأحكامه ومواعظه وقصصه وعبره[1].

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[2] الذين يخشون الله سبحانه وتعالى تصيبهم القشعريرة الشديدة خوفاً من تعالى ومن لقائه إذا سمعوا ذكر الله وآياته فتراهم يسارعون إلى المبادرة في طاعة الله سبحانه وتعالى، وفعل ما يرضيه حين يسمعون آيات القرآن الحكيم.

ومعنى «ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله»: هو أنهم يندفعون إلى فعل ما أمروا به من الصلاة وسائر العبادات، في خشوع وخضوع وامتثال وإذعان.

﴿ذَلِكَ[3] هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن

---

(١)-**سؤال:** هل تريدون أن قوله: «مثاني» يحتمل أن يكون من الثناء ومن التثنية؟ فما وجه ذلك؟

الجواب: المراد أنه من التثنية لا من الثناء، وإنما ذكرنا الثناء لأنه يثنى في القرآن، أي: أن الثناء على الله تعالى بذكره مرة بعد مرة في القرآن.

(٢)-**سؤال:** هل البكاء عند قراءة القرآن ممدوح، ولو من الإنسان المقصر بموجب هذه الآية؟

الجواب: البكاء عند قراءة القرآن ممدوح ومطلوب بدليل قوله تعالى: ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ۝٦٠ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ۝٦١﴾ [الحجر]، إلا أن البكاء والقشعريرة لا تكون إلا من الذين يخشون ربهم وهم المؤمنون بالله ورسوله وبكتابه وباليوم الآخر.

سؤال: يقال: لم خصص ذكر الله بإلانة القلوب والجلود مع أن ما يحصل عنده القشعريرة والاضطراب هو أيضاً ذكر الله سبحانه؟

الجواب: تحصل للمؤمن الخشية والخوف عند سماعه للقرآن وإلى ما فيه من ذكر عظمة الله وسعة علمه وإحاطة قدرته وشدة وعيده، إلا أن المؤمن لا ييأس من رحمة الله فيذهب بفكره إلى باب الأمل المفتوح فيطمئن خوفه وينبسط جلده إلى رحمة الله ومغفرته ووعده الكبير للتائبين والمستغفرين والمؤمنين.

(٣)-**سؤال:** ما السر في استخدام إشارة البعيد؟

الجواب: السر تعظيم الهدى الذي عليه المؤمنون الذين يخشون ربهم.

القرآن بأنه قد أنزله ليهتدي به أولئك الذين علم أنهم من أهل الهدى[١] والاستجابة.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ۝٢٣﴾[٢] وأما أولئك المستكبرون الذين غطى الشرك والجهل قلوبهم فلن تنفع فيهم آياته وبيناته.

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يستوي أولئك الذين غلت أيديهم إلى أعناقهم يوم القيامة حتى لم يبق لهم ما يتقون به عذاب الله إلا وجوههم، وأولئك الذين استقبلتهم ملائكة[٣] الله تعالى بالتسليم وقد فُتِّحت لهم أبواب الجنة، وصاروا في ضيافة الله سبحانه وتعالى؛ فلماذا لا يتدبر هؤلاء المشركون فيحذروا أن يكونوا من أهل عذاب الله تعالى وسخطه.

﴿وَقِيلَ[٤] لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ۝٢٤﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه سيقول يوم القيامة لأولئك الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب ما يغضبه ويوجب سخطه: ذوقوا جزاء أعمالكم التي كنتم تعملونها في الدنيا، وجزاء تمردكم واستهزائكم وتكذيبكم بما جاءتكم به أنبياؤكم ورسلكم.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما هو الوجه أو الدليل في حمل «من يشاء» على هؤلاء؟

الجواب: الدليل هو قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ۝٢ الَّذِينَ...﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [المائدة:١٦].

(٢)-**سؤال:** قد يقال بأن إظهار لفظ الجلالة «الله» هنا ومقتضى الحال إضمارها، وكذلك دخول «من» على «هاد» قرينةٌ أو أمارة على أن الإضلال من الله، فبماذا يجاب على ذلك؟

الجواب: الإضلال هنا هو بمعنى الحكم والتسمية أي: أن الله حكم عليهم بأنهم ضالون وسماهم ضلالاً وهذا من الله، أو يفسر الإضلال بسلب التوفيق والتنوير والتسديد عن الضالين، وهذا أيضاً من الله تعالى.

(٣)-**سؤال:** من فضلكم ما قرينة هذا المضمر؟

الجواب: القرينة هي ما علم من آيات قرآنية كثيرة بأن المؤمنين تبشرهم الملائكة عند الموت وتتلقاهم يوم القيامة بالتبشير والتأمين و..إلخ.

(٤)-**سؤال:** ما السر في بنائه للمجهول؟

الجواب: السر هو أنه لا غرض في ذكر القائل، والغرض هو في ذكر القول.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن شأن أمته كشأن من سبقها من الأمم، وأن كل الأنبياء من قبله قد لاقوا مثل ما لاقى من قومه من التكذيب والاستهزاء، فلا يكبر ذلك في نفسه فليس الأول من الرسل.

﴿فَأَتَاهُمُ(١) الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٥﴾وقد عذبهم الله سبحانه وتعالى جزاءً على تكذيبهم وتمردهم، ولم يشعروا إلا بحلوله ونزوله عليهم فجأة عن غير استعداد منهم لنزوله.

﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا(٢) وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى أخزى هؤلاء المكذبين وعذبهم في الدنيا، وكذلك سيعذبهم الله سبحانه وتعالى يوم القيامة وسيكون ذلك أشد وأخزى لهم.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٢٦﴾ ولو أنهم كانوا يعلمون بهذا العذاب الذي سيحل بهم لحذروا(٣) الوقوع فيه، ولسعوا جهدهم في دفع نزوله بهم بعمل ما يرضي الله تعالى ورسوله.

---

(١)-**سؤال:** هل هناك علة في جعل الفعل ثلاثياً هنا؟

الجواب: «أتى» الثلاثي بمعنى: جاء، و«آتى» الرباعي بمعنى: أعطى، وهنا أريد جاءهم العذاب.

(٢)-**سؤال:** هل الخزي هذا هو غير العذاب المذكور في الآية السابقة حتى عطفه عليه؟ أم لا فما وجه المغايرة بينهما؟

الجواب: في الآية الأولى أخبر تعالى أن العذاب فاجأهم وصدمهم وهم في غفلة لا يتوقعونه، فتنخلع لمفاجأته قلوبهم وتطير عقولهم وتنهار قواهم وتدور عيونهم و.. إلخ، وهذا نوع من العذاب غير العذاب الذي تذوقه جلودهم وتحس حرارته أعضاؤهم وتخزى به نفوسهم. وبهذا تظهر المغايرة.

(٣)-**سؤال:** ظاهر كلامكم أن جواب «لو» هنا محذوف، وهل يصح أن نقدره من الجملة قبله: «ولعذاب الآخرة أكبر» أو نجعله إياها أم لا؟

الجواب: لا يصح تقديره كما ذكرتم وإنما يقدر مفعول «يعلمون» مِـمَّا قبله أي: لو كانوا يعلمون أن عذاب الآخرة أكبر، أما الجواب فهو يقدر كما ذكرنا، فإن من علم مخوفاً حذره.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴿٢٧﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد ضرب للمشركين أنواع الأمثال، وصرف لهم الآيات فيما أنزل عليهم من القرآن، لعل ذلك يؤثر فيهم فيدخلوا في الدين والهدى، ولكنهم لم يقبلوا، وأصروا على كفرهم وتكذيبهم وتمردهم.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ(١) لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴿٢٨﴾﴾ ثم بين الله سبحانه وتعالى هذه الآيات التي صرفها لهم فوصفها بأنها قرآن أنزله على لسانهم وبلغتهم موضحاً لهم فيه آياته وبيناته وحججه، حتى لم يبق لهم أي عذر في التشكيك فيه أو التكذيب به؛ وكل ما أنزله عليهم من الآيات فإنما أنزله رحمة بهم.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا(٢) فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴿٢٩﴾﴾(٣) ثم إن الله سبحانه وتعالى ضرب للمشركين هذا المثل الذي يبين فيه حالهم وحال المؤمنين، فشبه

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب «قرآناً»؟ وهل قوله: «عربياً» و«غير ذي عوج» وصفان له أم ماذا؟

الجواب: قرآناً: حال، وعربياً: صفة، وغير ذي عوج: صفة أيضاً.

سؤال: ما هو العوج الذي نفاه الله عن القرآن في هذه الآية؟

الجواب: لا مدخل للشك فيه ولا للعيب ولا للباطل ولا للخلاف.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: «مثلاً رجلاً»؟ وكذا قوله: «مثلاً» الآخر؟

الجواب: «مثلاً» مفعول به. «رجلاً» بدل منه، ويصح أن يكونا مفعولين لضرب لتضمينه معنى جعل. «مثلاً» الآخِر: تمييز نسبة.

سؤال: هل الفائدة من تشبيه حالة المشركين توضيح أن كونهم مربوبين للأصنام ولله على حد زعمهم لا يتم ولا يصح كما لا تتم الطاعة من هذا العبد لمُلَّاكه المختلفين؛ أم ماذا؟

الجواب: المراد هو ما ذكرتم من عدم استواء دين الشرك ودين التوحيد.

(٣)-**سؤال:** ما هو هذا العلم الذي نفاه الله عن أكثرهم في هذه الآية؟

الجواب: لا يعلمون أن المستحق للعبادة هو الله وحده فأشركوا به غيره؛ لشدة جهلهم.

حالهم في عبادتهم للأصنام بحال عبد اشترك فيه مجموعة أشخاص مختلفين فيما بينهم، فكل واحد منهم له رأي غير رأي الآخر، فكيف يستطيع هذا العبد أن يطيعهم ويرضيهم جميعاً وكل واحد منهم يطلب منه ضد ما يطلب الآخر.

وشبه حال المؤمنين في عبادة الله سبحانه وتعالى وحده بعبد مملوك لمالك واحد فإنه يستطيع أن يخدمه ويطيعه ويرضيه.

فأمرهم أن ينظروا في الفرق بين هذين الصنفين، وأيهما أحسن حالاً من الآخر؟ وسيعرفون الفرق الواضح بينهما، ولكنهم تعاموا عن الحق وأعرضوا عنه أشد الإعراض.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ۝٣١﴾ بعد أن أدّى النبي ﷺ ما أُمِرَ بتبليغه للمشركين أخبره الله تعالى أنه مهما فعل فيهم فلن يقبلوا منه أو يستجيبوا له، وأمره أن يخبرهم بأن مرجعهم جميعاً سيكون إلى الله تعالى، وسيقفون بين يديه يوم القيامة ليحكم بينه ﷺ وبينهم.

﴿فَمَنْ[1] أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ۝٣٢﴾ ذكر الله تعالى أن المشركين نسبوا[2] إلى الله سبحانه وتعالى ما لا يليق به من الأمر بالشرك والمعاصي، ثم لما أنزل عليهم القرآن كذبوا به، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنهم قد بلغوا الغاية في الظلم والكفر ومعصية الله تعالى، وأنه قد أعد

---

(١)- **سؤال:** ما معنى هذه الفاء هنا؟ وما فائدتها؟ وهل يؤخذ من ذلك بيان معنى الاختصام في الآية السابقة؟ وما هو؟

الجواب: الفاء سببية عاطفة، وفائدتها بيان فلج المشركين المكذبين عند الخصومة وبيان نتيجة الخصومة.

(٢)- **سؤال:** من أين نأخذ هذا ونفهمه؟

الجواب: أخذ ذلك من قوله: ﴿كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف:٢٨].

لهم مكاناً في جهنم خالدين فيها أبداً[١].

﴿وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝٣٣ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝٣٤﴾ فالذي جاء بالصدق هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمصدقون به هم المؤمنون[٢]، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم، ووصفهم بأنهم أهل التقوى وأهل ثواب الله تعالى.

وكان أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو أول المصدقين بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى عَمِلُوا﴾[٣] ووعدهم الله بأنه سيكفر عنهم سيئاتهم التي عملوها جزاءً على حرصهم الشديد على تقوى الله تعالى والإيمان بما نزل من عنده، وذلك أن الإنسان مهما بلغ في تقوى الله تعالى فهو محل الخطأ والنسيان، ولا بد أن تقع منه الزلات والأخطاء[٤].

---

(١)-**سؤال:** فهل يكون الاستفهام «أليس» هنا للتقرير؟

الجواب: الاستفهام لتقرير ما بعد النفي.

(٢)-**سؤال:** ظاهر عود ضمير صدّق (الفاعل) إلى فاعل «جاء» فما الوجه في جعله عائداً إلى غيره؟

الجواب: الوجه مجيء الخبر جمعاً.

(٣)- **سؤال:** إذا قيل بأن ظاهر الآية: ﴿أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ يقتضي أن يكون الذنب المكفر أسوأ من الخطأ والنسيان إذا سلمنا أن ما يحصل عن طريقهما من جملة المعاصي والسيئات وظاهر الأدلة يأبى ذلك، فكيف نجيب على ذلك؟

الجواب: قد يكون «أسوأ» بمعنى «سيئ» كقوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]، أي: هين عليه. وقد يكون على ظاهره للتفضيل، وفيه التنبيه على تكفير الأدنى بالأولى، وقد يكون المراد بالأسوأ في نظر المحسنين فإنهم يرون أنفسهم مذنبين يستعظمون الصغير ويرون التفريط في بعض النوافل ذنباً.

(٤)- **سؤال:** ظاهر كلامكم –أيدكم الله بتأييده– أن اللام في قوله: «ليكفر» لام العاقبة، فهل هو كذلك أم لا؟

الجواب: اللام للتعليل أي: أن المحسنين عملوا لينالوا ما وعدهم به الله من تكفير السيئات والثواب العظيم.

﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ[١] الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ۝٣٥﴾ ووعدهم بأنه سيثيبهم على أعمالهم بأحسن الثواب وأجزله.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾[٢] تولى الله تعالى حفظ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فهو في حصن حصين وحرز منيع منكم أيها المشركون، وسيكفيه[٣] ربه ما تريدون من قتله.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن المشركين يخوفونه صلى الله عليه وآله وسلم بآلهتهم وأصنامهم ويحذرونه بأنها سوف تضره وتلحق به الأذى الشديد وتهلكه وتفعل به الأفاعيل إن هو لم يترك ذمها.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ۝٣٦﴾ فأخبر الله سبحانه وتعالى بأن هؤلاء

---

(١)-**سؤال:** هل الباء في قوله: «بأحسن» على بابها أم كيف؟

الجواب: قد تكون الباء هنا للاستعانة مجازاً مثل: كتبت بالقلم، فكأن أحسن الجزاء مكيال أو ميزان فجاءت الباء على هذه الآلة المجازية ليوفيهم بها.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «بكاف عبده»؟ وعلام عطفت الجملة الفعلية: «يخوفونك»؟ وهل هو مناسب عطفها؟ أم أن الواو ليست عاطفة فما معناها؟

الجواب: الباء في «بكاف» حرف جر زائد، «كاف» مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ليس وفاعله مستتر فيه «عبده» مفعول به والهاء مضاف إليه. «ويخوفونك» الواو للحال والجملة في محل نصب حال من «عبده»، ويمكن أن تكون الواو استئنافية والجملة بعدها مستأنفة، وأن تكون جملة الاستفهام التقريري أو الإنكاري في المعنى خبرية لا إنشائية، فيصح أن تعطف الخبرية عليها إذا وجد مصحح العطف.

(٣)-**سؤال:** هل كفاية الله لعبده هنا خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أم عامة في جميع المؤمنين؟ وما وجه ذلك؟

الجواب: الآية خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد جاء في مواضع أخرى أن الله تعالى مولى المؤمنين وناصرهم والمدافع عنهم، وأنه معهم، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣]، أي: كافيه، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا۝٢﴾ [الطلاق].

الذين يخوفونك يا محمد بآلهتهم هم أهل الضلال الذين قد حكم عليهم به، وسلب عنهم الألطاف، ولن يستطيع أحد أن يهديهم ما داموا قد رفضوا الاهتداء بهدى الله تعالى الذي أنزله عليهم.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ وأما من قبل الهدى، وتمسك بأسباب الهدى التي أعطاه الله تعالى فلن يستطيع أحد أن يدخله في الضلال بعدها أبداً.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ۝٣٧﴾[١] إن الله سبحانه وتعالى هو العزيز الغالب والممتنع، والقاهر لكل شيء بقدرته، وهو قادر على أخذهم وتعذيبهم والانتقام منهم، غير أن حكمته اقتضت أن يمهلهم، ويؤخر تعذيبهم إلى أجل مسمى كتبه لهم.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ذكر الله تعالى أن المشركين مقرون ومعترفون بالله تعالى، وأنه وحده المتفرد بخلق السماوات والأرض وما فيهما، فلماذا لا يعبدون الله سبحانه وتعالى ما داموا مقرين ومعترفين بأنه الذي خلقهم، وخلق كل شيء؟

﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ[٢] اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يسأل المشركين أيضاً: ماذا ستفعل آلهتهم التي يعبدونها إن أراد الله سبحانه وتعالى أن ينزل الضر والبلوى بأحد؟

وهل ستستطيع هذه الآلهة أن تكشف هذا الضر والبلوى؟

وكذلك يسألهم: هل ستستطيع أن تمسك نزول رحمته إن أراد أن ينزلها بأحد من خلقه؟

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب «ذي انتقام»؟ وما الوجه في جره؟

الجواب: «ذي انتقام» صفة مجرورة لـ«عزيز»، وجرت لأنها تابعة لمجرور.

(٢)-**سؤال:** هل هناك علة متعقلة في تعبير النبي ﷺ بضمير نفسه في قوله: «أرادني»؟ أم لا؟

الجواب: جاءت هذه الآية رداً على تخويفهم للنبي ﷺ من آلهتهم في قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾، فمجيئه بضمير نفسه هو مقتضى الظاهر.

فحتماً لن يجدوا جواباً مقنعاً إلا أن يعترفوا أنها لا تستطيع فعل شيء من ذلك.

﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴿٣٨﴾﴾(١) ثم أمره الله سبحانه وتعالى بعد أن يعترفوا له أن يخبرهم بأنه سيعبد الله وحده لا يشرك معه غيره لأنه الذي يستحق العبادة وهو الذي بيده الضرر والنفع وعليه وحده يتوكل المتوكلون.

﴿قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴿٣٩﴾(٢) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴿٤٠﴾﴾ بعد أن بلَّغهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم حجج الله سبحانه وتعالى وبيناته، وصرَّف لهم الآيات، وحصل منهم ما حصل من التمرد والاستهزاء- أمره الله تعالى أن يتحدى المشركين بأن يعملوا منتهى طاقتهم في إبطال أمره إن استطاعوا، وأن يجهدوا جهدهم في هدم الدين وأهله، وأن يحاولوا بكل ما أوتوا من القوة في ذلك، وأن يخبرهم أيضاً بأنه سيعمل كل ما يستطيع لإفساد شركهم وضلالهم وباطلهم وهدم آلهتهم ودينهم.

وذلك أن المشركين كانوا متوقعين لهلاك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانطماس دعوته وشريعته وهلاك جميع أتباعه جزاءً على مخالفته لدين آبائه وأجداده الذي يزعمون أنه دين إبراهيم وإسماعيل، فأمره الله سبحانه وتعالى أن يتحداهم ذلك التحدي، ويعلمهم أنهم مهما حاولوا فلن يستطيعوا أن يطمسوا الإسلام، وأن يخبرهم أنهم في الأخير سوف يعلمون حين يحل بهم عذاب الله من هو الذي على الضلال والباطل؟ ومن هو الذي استحق عذاب الله تعالى وسخطه؟

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «حسبي الله» مفصلاً؟ وما وجه فصل الجملة التي بعدها عنها؟

الجواب: «حسبي» خبر مقدم، ولفظ الجلالة مبتدأ مؤخر، وفصلت الجملة التي بعدها لأنها مستأنفة استئنافاً بيانياً لبيان العلة.

(٢)-**سؤال:** هل العلم هنا بمعنى المعرفة فلا يحتاج إلا مفعولاً واحداً فقط؟ أم كيف؟

الجواب: العلم بمعنى المعرفة فلا يحتاج إلا إلى مفعول به واحد.

سؤال: هل يصح أن تحمل هذه الآية على التهديد فقط من باب: «كل يعمل على شاكلته.. إلخ» أم لا؟

الجواب: الأمر للتهديد بدليل آخر الآية: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴿٣٩﴾﴾.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا[١] وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴿٤١﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنه أنزل عليه القرآن الذي جعل فيه الحق والهدى لمن أراد أن يهتدي بهديه ويستضيء بنوره، وأمره أن يبلغهم ذلك ويخبرهم أنهم مخيرون في العمل بما فيه والاهتداء بهديه، وأن يخبرهم أن هذا هو الذي يجب عليه من رسالة ربه، أما أمر دخولهم في الهدى والدين فذلك ليس موكولاً إليه، فمن قبل الهدى فقد أنقذ نفسه، ومن رفض قبوله فسيتحمل وزر ذلك على ظهره.

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ الله وحده المختص باستيفاء آجال خلقه وأخذ أرواحهم، والله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يأخذ روح[٢] النائم حال نومه[٣]، فإن كان ذلك النائم قد استوفى أجله وبلغ نهاية عمره فإن الله تعالى لا

---

(١)- **سؤال:** هل يمكن أن نستفيد من هذه الآية أن الحق المصاحب لنزول القرآن هو تخيير العباد بين الاهتداء والضلال فمن أي ناحية أو بأي دلالة؟

الجواب: هناك آية في سورة الكهف تنص نصاً على تخيير العباد بين الإيمان والكفر وهي قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، أما هذه الآية «فمن اهتدى...» فلا تنص على الاختيار والمشيئة نصاً ظاهراً وإنما نصاً خفياً يحتاج إلى نظر واستدلال وذلك من حيث أن قوله: «اهتدى» من باب الانفعال أي: قبل الهدى ورضي به وأذعن له.

(٢)-**سؤال:** بناء على هذا فعلام عطف قوله: «التي لم تمت»؟ وبماذا تعلق قوله: «في منامها»؟

الجواب: «التي لم تمت» معطوف على «الأنفس» أي: ويتوفى التي لم تمت في منامها. «في منامها» متعلق بقوله: «لم تمت».

(٣)- **سؤال:** قد يشكل علينا أننا نرى النائم يتنفس ويتحرك ويسمع بعض الأصوات العالية فكيف؟ وهل يبتني على هذا أن الروح هو العقل الذي يؤخذ عن النائم أم لا؟

الجواب: قد نص الله تعالى في آية أخرى على وفاة النائم حال نومه في قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي

=

يرد روحه إليه، وإن لم يكن قد استوفى أجله فإنه يرد روحه حال استيقاظه، وهكذا إلى أن يستوفي أجله المقدر له.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فذلك آية من آياته الدالة عليه تعالى وعلى قدرته لمن نظر وتفكر في مسألة مسك الروح وإرسالها.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ ولكن المشركين معرضون عن آيات الله تعالى التي يبثها لهم، ويحثهم على النظر والتفكر فيها، ويذهبون إلى عبادة غيره من الآلهة التي يدعونها من دونه، ويزعمون أنها ستشفع لهم عند الله سبحانه وتعالى، وتقربهم إليه.

﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ قل لهم يا محمد: كيف تعبدون هذه الآلهة وأنتم تعرفون أنها لا تملك شيئاً، ولا تعقل أي شيء، ولا تستطيع أن تنفعكم أو تضركم بشيء؟ وهل تسمح لكم عقولكم بعبادتها وهي لا تقدر على أي نفع لكم وليس لها عقول حتى تعقل عبادتكم لها.

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(١)

يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام:٦٠]، وهذه الآية تدل على صحة تفسيرنا لآية الزمر: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ...﴾ وحياة النائم تشبه حياة النبات، أي: أنه لا يرى ولا يسمع ولا يحس ولا يشم ولا يعقل ولا يعلم أي: أنها تذهب كل مداركه وإحساساته، وتعود له نفسه عند التصويت بالقرب منه أو نحوه، وعند تحريكه بقوة، وإذا تشبع النائم من النوم استيقظ من تلقاء نفسه أو بأدنى حركة أو بأدنى صوت، والروح هو غير العقل؛ لأنه يذهب عند النوم: السمع والبصر والشم والطعم والإحساس والعقل والتفكير والعلوم والظنون، وليس العقل وحده.

(١)- **سؤال:** ما إعراب «جميعاً»؟ وما السر في فصل جملة: «له ملك السموات» عن سابقتها؟ وعلام عطفت جملة «إليه ترجعون»؟

الجواب: «جميعاً» حال منصوب من الشفاعة والعامل ما في الجار والمجرور من معنى الفعل. وفصلت جملة: «له ملك السموات» عن سابقتها لأنها مستأنفة للتعليل أي: في جواب سؤال مقدر =

وأن يخبرهم أن آلهتهم هذه لا تملك لهم أي نفع ولن تدفع عنهم أو تشفع لهم، فالشفاعة لله سبحانه وتعالىٰ وحده، فهو الذي يعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويثيب ويعاقب، فالخير والشر كله بيده وحده لا شريك له في شيء من ذلك، فما دام الملك له وحده فلن تستطيع آلهتهم هذه أن تتصرف في شيء من ملكه، فالأولىٰ بهم أن يرجعوا إلىٰ عبادته وحده ويتركوا تلك الآلهة ما دام مرجعهم وحسابهم إليه.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ۝٤٥﴾ يذكر الله سبحانه وتعالىٰ هنا حال المشركين وشدة كبرهم وتعاليهم عليه بأنه إذا ذكر الله سبحانه وتعالىٰ وحده عندهم فإن الكبر والأنفة تأخذهم فتراهم ينقبضون غضباً وحمية لآلهتهم، وتتغير وجوههم استنكاراً علىٰ الذاكر لماذا لا يذكر آلهتهم ويمدحها بخلاف حالهم عند الحديث عن الأصنام والآلهة فهم يهشون ويفرحون بذلك.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ(١) وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ(٢)

عن العلة. «إليه ترجعون» جملة معطوفة علىٰ «له ملك السموات..» والجملتان -أي: المعطوفة والمعطوف عليها- لبيان السبب والعلة في كون الشفاعة كلها لله، فكأنه قال: لأن له ملك السموات والأرض وملك اليوم الآخر.

سؤال: هل المراد بالشفاعة هنا المصدر، وهو الحدث؟ أم الاسم، فما هو المعنىٰ الدقيق لها؟

الجواب: الشفاعة مصدر «شفع» إلا أنه غير قياسي، وأصلها من الشفع ضد الوتر حيث أن الشافع ينضم إلىٰ المشفوع له فيصيره شفعاً بعد أن كان منفرداً.

(١)-**سؤال:** ما إعراب: «اللهم فاطر السموات والأرض»؟

الجواب: «اللهم» منادىٰ حذف حرف النداء وعوض عنه ميم مشددة في آخره. «فاطر السموات» منادىٰ مضاف، ولم يجعله سيبويه تابع علىٰ المحل؛ لأنه لم يسمع: اللهم الرحيم.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في الإتيان بالخبر دون الطلب في قوله: «أنت تحكم...»؟

الجواب: هو التفاؤل بحصول المطلوب فكأن ما لم يقع قد وقع، مع ما فيه من حسن الأدب مع الله تعالىٰ.

بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴿٤٦﴾﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يدعوه بهذا الدعاء، وذلك بعد أن دعاهم إلى الإسلام وأبلغهم الحجة ولقي منهم ما لقي من التكذيب والكفر والاستهزاء ومعناه: يا الله يا خالق السماوات والأرض يا عالم الغيب والشهادة احكم بيني وبين قومي بالحق، وحكم الله سبحانه وتعالى هو أن يثيب المؤمنين، ويعذب الكافرين والمنافقين.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[١] يحذر الله تعالى المعرضين عن قبول آياته وعن العمل بأحكامه أن لا يتهاونوا بالله سبحانه وتعالى وأوامره لهم، ولا يتساهلوا بفعل ما يغضبه ويسخطه، وأن يحذروا أن ينزل بهم عذابه؛ لأن أخذه سيكون شديداً، وعذابه ليس بالأمر الهين، فإذا نزل بهم فلن يستطيع أحدهم أن يدفعه بأي شيء ولو كان يملك ملء الأرض ذهباً ومثله معه فقدمه فداءً لنفسه من ذلك العذاب فلن ينفعه ذلك أو يدفع عنه، أو يقبل منه.

﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾[٢] وسيحاسبهم الله سبحانه وتعالى على كل صغيرة وكبيرة، حتى تلك الأشياء التي كانوا لا يعتدون بها لحقارتها وقلتها، كالنظرة والكلمة والنية سيحاسبهم

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: «ومثله معه»؟ وما معنى «من» في قوله: «من سوء العذاب»؟

الجواب: «مثله» معطوف على اسم «أن» و«معه» متعلق بمحذوف حال، و«من» لابتداء الغاية.

(٢)- **سؤال:** فضلاً هل يحمل قوله: «سيئات ما كسبوا» على الكبائر حتى يقال: ما لم يكونوا يحتسبون؟ وكيف أضيفت السيئات إلى ما كسبوا، والذي اكتسبوا هو السيئات؟

الجواب: الظاهر أن قوله: ﴿مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴿٤٧﴾﴾ هي أعمال كانوا يتقربون بها يظنونها حسنات فانكشف لهم يوم القيامة أنها معاص لله وليست طاعة. و«سيئات ما كسبوا» هي ما فعلوه من السيئات وهم يعرفون أنها سيئات، وأضيفت السيئات إلى ما كسبوا لأن فيما كسبوه سيئات وغير سيئات؛ فالإضافة للتخصيص.

عليها، فليحذروا وليتنبهوا ﴿وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا۝٤٩﴾ [الكهف].

﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ۝٤٨﴾ وأحاط بهم ذلك الجزاء الذي كانوا يكذبون به.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى(١) عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ۝٤٩﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى عن طبيعة الكافر والمشرك(٢) بالله تعالى أنه إذا نزلت به مصيبة أو شدة أو مرض فإنه ينسى تلك الآلهة التي يعبدها، ويلجأ إلى الله تعالى حينئذ وحده بالدعاء والاستغاثة أن يكشف عنه ذلك الضر وتلك البلوى، فما إن يكشف الله سبحانه وتعالى عنه ضره ذلك ويسبغ عليه نعمه حتى ينسى الله تعالى، ويرجع إلى ما كان عليه من الكفر بنعم الله تعالى زاعماً أنه لم يؤت تلك الأموال والنعم إلا بذكائه وخبرته الواسعة في الحياة واكتساب الأموال.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن تلك النعم التي يسبغها على عباده في الدنيا إنما جعلها فتنة لهم ليبلو أخبارهم هل سيشكرون نعمه عليهم أم سيكفرون بها؟

وكذلك ما ينزله من الفقر والبلاء والمرض إنما هو فتنة واختبار من الله سبحانه وتعالى هل سيصبرون؟ ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥].

﴿قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ۝٥٠﴾ أخبر الله

---

(١)-**سؤال:** ما معنى «على» في قوله: «على علم»؟

الجواب: معناها الاستعلاء أي: حال كوني على علم أي: متمكناً على العلم كتمكن الراكب على البعير أو على الفرس.

(٢)-**سؤال:** من أين نأخذ تخصيصها بهؤلاء؟

الجواب: نأخذ ذلك من السياق فإنه في السورة يتحدث عن المشركين، وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ قرينة على التخصيص فإن المؤمن لا يصدر منه ذلك.

سبحانه وتعالىٰ أنه قد قال تلك الكلمة وهي: «إنما أوتيته علىٰ علم عندي» من قبل- هؤلاء المشركين المكذبون من أهل تلك الأمم والقرون السابقة كقارون ومن أشبهه فأهلكهم الله سبحانه وتعالىٰ ودمرهم فلم تستطع تلك الأموال الطائلة التي اكتسبوها أن تدفع عنهم شيئاً من غضب الله تعالىٰ وسخطه الذي أنزله بهم.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ فأصابهم جزاء ما اكتسبوا من الذنوب والمعاصي(١).

﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ(٢) هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ۝٥١﴾ وهؤلاء الذين تمردوا وكذبوا من قومك يا محمد فإن شأنهم كشأن تلك الأمم، وسينالون جزاء ما ارتكبوا من الذنوب والمعاصي.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ثم خاطب الله تعالىٰ هؤلاء الذين أسبغ عليهم نعمه، وبارك في أموالهم وأولادهم في الدنيا، فقال لهم: ألم يعلموا أن الأرزاق بيد الله تعالىٰ وحده؟ وأنه الذي يبسط رزقه علىٰ من يشاء من عباده ويمنعه عمن يشاء منهم؟ وأن أحداً لم يُعْطَ شيئاً بقدرة نفسه وذكائها(٣).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ۝٥٢﴾ ثم أخبر سبحانه وتعالىٰ أنه لن يعتبر بآياته التي أنزلها الله إلا الذين آمنوا بالله تعالىٰ وصدقوا ما جاءت به رسله، فهم الذين يعترفون أن الأرزاق بيد الله، وأنه وحده الذي يعطي ويمنع ويقبض ويبسط.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً هل المراد أن هذه السيئات ناتجة عن كسبهم وأموالهم أو بسببها حتىٰ أضافها إليها هنا؟ أم كيف؟

الجواب: المعنىٰ: جزاء ما كسبوه من الذنوب بسبب فتنة المال وغيره؛ لأن ما كسبوا عام يتناول ما ذكر أولاً وغيره.

(٢)- **سؤال:** هل «من» في قوله: «من هؤلاء» بيانية ليتم المعنىٰ أم ماذا؟

الجواب: هي بيانية أي: أنها بينت إبهام الاسم الموصول.

(٣)- **سؤال:** فضلاً فما يكون معنىٰ الاستفهام في هذه الآية؟

الجواب: قد قالوا في مثل هذا الاستفهام إنه لتقرير ما بعد النفي أو استنكاري للنفي وما دخل عليه.

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ[١] أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ۝٥٣﴾[٢] أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ أن يخبر الناس بأن الله تعالىٰ -من رحمته بعباده- لا زال ينادي الذين أسرفوا في فعل المعاصي واقتراف المآثم والفساد في الأرض بالرجوع إليه والإقبال بالتوبة عليه، وأنهم مهما فعلوا من المعاصي فلا زال باب التوبة مفتوحاً، ورحمة الله تنتظرهم فلا يقنطوا وييأسوا من رحمة الله تعالىٰ فمهما[٣] قد تابوا فسيغفر ذنوبهم جميعاً. ومعنىٰ «أسرفوا»: تجاوزوا الحدود بفعل المعاصي والسيئات.

﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ۝٥٤﴾[٤] ثم نصحهم بالإنابة والرجوع إليه والانقياد والاستسلام له بفعل ما يرضيه، واجتناب ما يوجب سخطه وغضبه، وهذا هو المفروض قبل أن يحل بهم عذاب الله وسخطه؛ فإنهم إذا عاينوا العذاب فلن ينفعهم توبة، ولن يدفع عنهم عذاب الله أحد.

---

(١)-**سؤال:** الإسراف في الواقع هو علىٰ حدود الله وأوامره ونواهيه فلِـمَ علقه بكونه علىٰ أنفسهم؟

الجواب: المعنىٰ: أنهم تجاوزوا الحدود في إدخال الضرر علىٰ أنفسهم.

(٢)-**سؤال:** ما الذي ينبغي أن نفهمه من ختم الآية بقوله: «إنه هو الغفور الرحيم»؟

الجواب: الذي ينبغي معرفته أن المذنب وإن كثرت ذنوبه وعظمت لا ييأس من مغفرة الله ورحمته؛ فإن الله غفور يغفر الذنوب الكثيرة وإن جلت وعظمت، فما علىٰ المذنب إلا أن يندم ويأسف علىٰ ما فعل، ويعتذر إلىٰ الله ويطلب منه المغفرة ويسأله قبول التوبة، فإنه تعالىٰ غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدىٰ، أي: ثم اهتدىٰ إلىٰ فعل ما أمر الله به وترك ما نهىٰ عنه، واستقام علىٰ ذلك.

(٣)-**سؤال:** يقال: من أين نفهم لزوم هذا الشرط؟

الجواب: فهم ذلك من آيات آخرىٰ كثيرة في القرآن تخص المغفرة والرحمة بالتائبين دون المصرين.

(٤)-**سؤال:** ما السر في عدم نصب هذا الفعل «تنصرون» عطفاً علىٰ «يأتيكم»؟

الجواب: رفعت لأنها معطوفة علىٰ جواب شرط مقدر يدل عليه المعنىٰ والتقدير: من قبل أن يأتيكم العذاب فإذا جاء عذبتم ثم لا تنصرون.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ۝٥٥﴾(١) وأمرهم الله أن يتبعوا القرآن الذي أنزله إليهم(٢)، وأن يعملوا بشرائعه وأحكامه ليخلصوا أنفسهم من غضب الله سبحانه وتعالى وسخطه؛ لأنهم إن تمردوا على الله تعالى فسيحل بهم عذابه الذي سيفاجئهم نزوله عن غير استعداد منهم له.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ۝٥٦﴾(٣) كل هذا النداء وهذه الأوامر الإلهية كراهة منه سبحانه لعباده أن

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ۝٥٥﴾؟

الجواب: «بغتة» مفعول مطلق إما ليأتيكم لأنه من نوعه، أو لفعل مقدر من جنسه أي: يبغتكم بغتة، فتكون الجملة حالية أي: يبغتكم بغتة، والواو للحال والجملة بعده في محل نصب حال.

(٢)-**سؤال:** هل تريدون أن القرآن هو الأحسن بالنسبة إلى السنة وبقية الوحي أم ماذا؟ وكيف يجيب المرشد على هذا الإيراد: أليس كل ما أنزل الله حسناً فلم قال هنا: أحسن؟ وهل هو سديد أن يقول له: إن الله أمرنا باتباع الناسخ دون المنسوخ والمحكم دون المتشابه، والخاص دون العام و.. و..إلخ؟

الجواب: القرآن هو أحسن ما أنزل الله من الكتب فهو أحسن من التوراة والإنجيل لأنها بنزول القرآن أصبحت منسوخة، ثم يجب اتباع أحسن ما أنزله الله في القرآن وهو ما ذكرتم من اتباع المحكم دون المتشابه و..إلخ.

(٣)-**سؤال:** من فضلكم ما محل «أن تقول» من الإعراب؟ وما إعراب «يا حسرتا» «وإن كنت لمن الساخرين»؟ وهل «ما» في قوله: «ما فرطت» مصدرية أم موصولة؟

الجواب: «أن تقول» محله الجر أو النصب بنزع الخافض والتقدير: كراهة أن تقول. «يا» حرف نداء، «حسرتا» منادى مضاف لياء المتكلم التي حذفت وعوض عنها الألف. و«إن» مخففة من الثقيلة للتوكيد، واسمها ضمير الشأن محذوف، «كنت لمن الساخرين» الجملة في محل رفع خبر «إن» واللام هي الفارقة.

سؤال: هل يحق للمرشد أن يستدل بهذه الآية على من يسخر من الإرشاد ولم يستجب لمن دعاه إلى الصلاح والاستقامة؟

الجواب: نعم، يحق له أن يستدل بهذه على من يسخر من الإرشاد و...؛ فالذي يسخر اليوم من الإرشاد كالذي يسخر منه في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والحكم واحد.

يصلوا هذا الموقف وذلك أنه عندما يحل بهم عذاب الله تعالى سيأخذهم الأسى والحزن، ويصيبهم الأسف الشديد والندم على ما فرطوا في طاعة الله من فعل المعاصي والسيئات، وسينادون على أنفسهم بالحسرة والويل؛ فالأجدر بهم والأفضل أن ينتبهوا من غفلتهم، ويسارعوا إلى طاعة ربهم قبل حلول ذلك عليهم.

وجنب الله هو طاعته وعبادته(١).

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ۝٥٧﴾(٢) والأجدر بهم أيضاً أن يرجعوا ما دام الرجوع مقبولاً، وما دام باب التوبة مفتوحاً، وما دامت أسباب السلامة متوفرة قبل موقف الحسرات هذا الذي يلجأون فيه إلى نكران هداية الله لهم، وفي الحقيقة فالله سبحانه وتعالى قد هداهم في الدنيا بما أرسل إليهم من الرسل، وأنزل عليهم من الآيات والحجج التي وصلت إلى بيوتهم غير أنهم لم يقبلوا ذلك الهدى الذي جاءهم بل كفروا به وردوه.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما هو الدليل على أن «جنب الله» طاعته؟

الجواب: الدليل هو أن التفريط الواقع من الإنسان المتعلق بالله لا يكون إلا في طاعته إما بترك ما أمر به أو فعل ما نهى عنه.

(٢)-**سؤال:** يقال: كيف يتأتى منهم إنكار للهداية مع قول الله تعالى: ﴿**فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ**﴾ [الملك:١١]؟ وهل مرادهم أن الله لم يقدر لهم الاهتداء على قود قول المجبرة أم كيف؟

الجواب: أخبر الله تعالى أن الكافرين سيقولون عند حلول العذاب بهم ذلك القول: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ۝٥٧﴾ إلا أن الله تعالى سيكذبهم فيما قالوا ويرد عليهم كما في الآية التي بعدها: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ۝٥٩﴾ فدل ذلك أن قولهم كذب، أما قوله تعالى: ﴿**فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ**﴾ فقد يكون بعد أن يحتج الله عليهم فلا يجدوا بداً من الإقرار والاعتراف.

ومرادهم بقولهم: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي...﴾ الهداية العامة التي هي الدلالة بدليل جواب الله عليهم: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَاتِي...﴾.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ(١) مِنَ الْمُحْسِنِينَ۝٥٨﴾ والأجدر بهم أيضاً أن يرجعوا إلى الله تعالى قبل أن يعاينوا العذاب ويقعوا فيه، فيتمنوا عندها الرجوع إلى الدنيا ليتداركوا ما فاتهم من الأعمال الصالحة، ولكن حين لا ينفعهم ذلك التمني والندم.

﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ۝٥٩﴾(٢) عند ذلك سيجيب الله سبحانه وتعالى عليهم بأنه قد جاءهم بالهدى إلى بيوتهم وقرارة قلوبهم بإرسال الرسل، وإنزال القرآن، وتصريف الآيات، وأنه قد كرر لهم الآيات التي تدعوهم إلى الهدى، وتحذرهم وتنذرهم لقاء الله سبحانه وتعالى وعذابه وسخطه، ولكنهم تكبروا على الله تعالى، وجعلوا أوامره تحت أقدامهم واستهزئوا بأنبيائه ورسله عليهم السلام.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ(٣) تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا(٤) عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي

---

(١)-**سؤال:** فضلاً علام عطف «تقول»؟ ولِمَ نصب الفعل «أكون»؟

الجواب: «أو تقول» معطوف على «أن تقول». «فأكون» أكون: منصوب بأن مضمرة بعد الفاء، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على «كرة» الذي هو اسم خالص من التقدير بالفعل، ويجوز أن يكون الفعل منصوباً بأن مضمرة في جواب التمني.

(٢)-**سؤال:** يقال: ظاهر هذا أنه جواب على قولهم: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ۝٥٧﴾ فلِمَ أخر بعد قوله: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ...﴾؟

الجواب: أخر ذلك من أجل أن لا يفصل بين القرينتين ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ أي: أنه لا يخلو من قول: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ أو قول ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ ويجوز أن يجمع بينهما فهي مانعة الخلو.

(٣)-**سؤال:** ما الذي عمل في الظرف النصب «يوم القيامة»؟ وما إعراب: «وجوههم مسودة»؟

الجواب: العامل في «يوم» النصب هو «ترى» الذي بعده. «وجوههم مسودة» مبتدأ وخبر في محل نصب حال؛ لأن «ترى» بصرية.

(٤)-**سؤال:** روي عن الإمام الأعظم زيد بن علي أن الذين كذبوا على الله هم المشبهة أو المجبرة فمن أين أخذ ذلك؟

الجواب: «الذين كذبوا على الله» هم المشركون حيث ادعوا أن الله تعالى أمرهم بالشرك وأنه تعالى

=

﴿جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ۝٦٠﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه جعل لأولئك المكذبين والمتكبرين عليه علامة يعرفون بها يوم القيامة، وهي أن وجوههم ستكون حينئذ مسودة وكالحة عليها غبرة ترهقها قترة.

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ[١] لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ[٢] وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ۝٦١﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالى أنه سينجي الذين اتقوه في الدنيا، واتقوا عذابه وسخطه بفعل ما أمرهم به واجتناب ما نهاهم عنه، والسبب في نجاتهم هو أخذهم بأسباب الفوز في الدنيا فهم يوم القيامة في أمن وسلامة لا يلحقهم أي سوء أو مكروه.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ۝٦٢﴾ ينبه الله تعالى عباده هنا بأنه هو الذي يستحق العبادة والإجلال والتعظيم؛ لأنه الذي خلق كل شيء والقيوم على كل شيء ولا يغيب عن علمه شيء.

هو الذي حرم السائبة والوصيلة والحام و.. إلخ، والآية عامة تتناول المشركين وغيرهم ممن فعل كفعلهم، فدعوى المجبرة حين قالوا: إن الله تعالى هو الذي خلق الكفر في الكافر وخلق فواحش العباد ومعاصيهم وأنه شاءها وأرادها، وقالوا إن هذا دين الله الذي أنزله لعباده. ودعوى المشبهة أن الله تعالى جسم ذو أعضاء وجوارح وأعين وأيدي وأرجل ينزل ويطلع ويمشي ويهرول و...إلخ، ويقولون إن ذلك دين الله الذي أنزله على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كل ذلك داخل تحت عموم قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ...﴾ وهكذا كل من يتقول على الله أنه قال أو فعل ما لم يقل أو لم يفعل في أمور الدين والشريعة فإنه داخل في عموم هذه الآية.

(١)-**سؤال:** ما معنى الباء في قوله: «بمفازتهم»؟ وما هي المفازة؟ وما أصل اشتقاقها؟

الجواب: الباء سببية ففوزهم هو سبب نجاتهم ومفازتهم مصدر ميمي أي: بفوزهم وفعله فاز يفوز فوزاً.

(٢)-**سؤال:** ما العلة في فصل: «لا يمسهم السوء..» عن سابقتها؟

الجواب: فصلت لأنها جملة مؤكدة للجملة التي قبلها فمعناهما واحد.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ[١] السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومفاتيح السماوات والأرض بيده، فهو وحده المتصرف فيهن والمتحكم في شؤونهن، وهو الذي يعطي ويمنع، ويخلق ويرزق، ويضع ويرفع، ويحيي ويميت، بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴿٦٣﴾﴾ خسروا كل[٢] شيء، وذلك بمعاداتهم لله سبحانه وتعالى وتكبرهم عليه ومحاربتهم له.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴿٦٤﴾﴾[٣] كيف ساغ لكم أيها المشركون أن تدعوني إلى عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع وترك عبادة رب السماوات والأرض الذي بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير.

---

(١)-**سؤال:** ممَّ أخذت هذه الكلمة حتى صار معناها مفاتيح؟

الجواب: قيل إن أصل هذه الكلمة فارسية عربتها العرب، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، وقيل فيه غير ذلك.

(٢)-**سؤال:** من أين نفهم هذا من الآية؟

الجواب: فهم ذلك من قوله: «الخاسرون» فلم يقيده بمفعول وعدم تقييده يدل مع القرينة على العموم.

(٣)-**سؤال:** يا حبذا لو فصلتم إعراب هذه الآية؟

الجواب: في ذلك عدة أوجه من الإعراب والمستحسن منها قول من قال: «أفغير الله» الاستفهام إنكاري والفاء عاطفة على محذوف وغير الله مفعول به مقدم لأعبد، وجملة «تأمروني» معترضة بين العامل والمعمول، و«أعبد» معمول لـ«تأمروني» على أنه مؤول بمصدر أي: تأمروني أن أعبد، حذفت أن المصدرية كما حذفت في قول الشاعر:

ألا أيها الزاجري احضر الوغى .... البيت.

والتقدير: أن احضر الوغى.

ومن أوجه إعرابها أن «غير الله» معمول لتأمروني بحذف الفاء من «غير الله»، و«أعبد» بدل من تأمروني أي: بدل جملة من جملة.

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٦٥﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه أنزل عليه في القرآن أن لا يشرك بالله أحداً، وأخبره أن ذلك هو مثل ما قد أوحى إلى الذين من قبله من الأنبياء، وأخبره أيضاً أن من أشرك بالله سبحانه وتعالى فقد خسر الدنيا والآخرة، وقد استوجب عذاب الله تعالى وسخطه.

﴿بَلِ اللَّهَ(٢) فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝٦٦﴾ وأمره أن يخص الله تعالى بعبادته وحده، وأن لا يستجيب لأولئك الذين يدعونه إلى عبادة غير الله تعالى، وأمره أيضاً أن يداوم على الشكر لله تعالى على ما أنعم عليه، وأن يعترف له بأنه المتفضل عليه بجلائل النعم ودقائقها.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ(٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن المشركين بأنهم لم يعطوا الله تعالى

---

(١)- **سؤال:** هل نستدل من هذه الآية على أن الخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بقرينة: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾؟ ونأخذ من ذلك أن التهديد بمثل هذا والنواهي والأوامر لا تتنافى مع عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم لا ترونه مناسباً ولماذا؟

الجواب: الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كما ذكرتم ولا تنافي بين تلك الأوامر والنواهي الموجهة إليه صلى الله عليه وآله وسلم وبين عصمته، وفائدة توجيه ذلك إليه صلى الله عليه وآله وسلم مع عصمته تعود إلى أمته فإنها يزداد بسبب ذلك احتياطهم من المعاصي وحذرهم من الوقوع فيها ويكونون بسبب ذلك أشد تحرزاً مما لو وجه الخطاب إليهم.

(٢)-**سؤال:** علام انتصب لفظ الجلالة؟ وما معنى الفاء في قوله «فاعبد» وما عملها؟

الجواب: انتصب لفظ الجلالة على أنه معمول للفعل الذي بعده «فاعبد»، والفاء هي الفصيحة، والتقدير: بل إن كنت عاقلاً فاعبد الله وعمل الفاء هذه هو ربط الجواب بالشرط.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: «حق قدره»؟ وما محل جملة: «الأرض جميعاً قبضته»؟

الجواب: «حق قدره» مفعول مطلق. «والأرض جميعاً قبضته» في محل نصب حال.

ما يستحقه من التعظيم والإجلال بسبب شركهم بالله، فهو وحده الذي يستحق التعظيم والإجلال والعبادة؛ لأن كل شيء في قبضة قدرته وتحت سيطرته وسلطانه يوم القيامة لا يتكلم أحد إلا بإذنه لا الملائكة ولا عيسى ولا غيرهم ممن تدعون إلهيتهم. ومعنى «مطويات بيمينه»: أي: تحت قدرته النافذة.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴿٦٧﴾﴾ تعالى الله وتقدس عما يدعيه المشركون من الأرباب والشركاء في الإلهية فليس له ولد ولا شريك ولا معين ولا نصير.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ(١) نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴿٦٨﴾﴾ عندما ينتهي أمر الدنيا وينتهي أجلها فإن الله سبحانه وتعالى سوف ينفخ في صور جميع ما خلق في السماوات والأرض فيميتهم جميعاً(٢)، فإذا حان موعد القيامة والبعث فسينفخ في صورهم مرة أخرى فيبعثهم أحياء من جديد(٣).

---

(١)-**سؤال:** ما السر في استخدام لفظة «ثم» بين النفخة الأولى والثانية؟

الجواب: قد تكون «ثم» على أصل معناها الذي هو الترتيب مع المهلة ولا مانع من حملها على هذا المعنى الذي هو حقيقة معناها، ويجوز أن تكون «ثم» لتعظيم النفخة الثانية على الأولى أي: أن المهلة التي تفيدها «ثم» هي المهلة والتفاوت فيما بين النفخة الأولى والثانية، أي: أن الثانية أعظم وأدهى من الأولى.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم من المستثنون بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾؟ وهل هؤلاء لا يموتون؟ أم كيف؟

الجواب: قد يكون المستثنون هم الأموات لأن النفخة الأولى تكون لأجل إماتة أهل السموات والأرض، وأكثر أهل الأرض يومئذ أموات، أما ما يروى من أن بعض الملائكة (عزرائيل) هم المستثنون فلا تفيد إن صحت إلا الظن لا القطع.

(٣)- **سؤال:** إذا قيل: النفخ في صور بني آدم للإحياء مرة ثانية مناسب للقياس والعقل لا في النفخة الأولى وهم أحياء فهو بعكس ذلك، فهل يصح أن يجعل في الأولى بوقاً أو آلة أو نحو ذلك؟

الجواب: الذي تفيده الآية هو حدوث أمر عظيم يموت له أهل السموات والأرض أما نوعه فلا =

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ إذا بعث الله تعالى الأموات وحشرهم على أرض المحشر فهناك يظهر(١) وعد الله الذي كذب به الكافرون وينكشف لهم ما كانوا به يكذبون ويتحقق صدق ما جاءت به رسل الله عليهم السلام من البعث والجزاء والحساب العادل.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ فعندها ستعرض صحائف أعمال العباد، ويُحْضِر الله تعالى الأنبياء والقائمين مقامهم في التبليغ والدعوة والإرشاد على رؤوس الناس؛ ليشهدوا عليهم أنهم قد بلغوهم آيات الله سبحانه وتعالى وأحكامه وشرائعه إن هم أنكروا وصول الدعوة إليهم؛ فإذا قامت الأنبياء والشهود، ووضعت صحائف الأعمال فعندها سيبدأ الله تعالى في حسابهم، والحكم بينهم فمن أنكر كان هؤلاء شهوداً عليه، حتى لا يبقى لهم أي سبيل إلى الإنكار أبداً(٢).

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ(٣) بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٦٩﴾ فعندها سيحكم الله سبحانه

يمكن تحديده من الآية وقد يكون من نوع البرق وصوته أي: أنه صوت مكهرب لقوله: فصعق، فإن هذا الفعل يشتق لمن أصيب بالصاعقة، ولا يحتاج الخالق جل وعلا أن يصنع آلة لهذا الغرض، وإنما ذلك المخلوق، أما هو تعالى فهو قادر على أن يخلق صوتاً مكهرباً بغير آلة.

(١)-**سؤال:** على هذا ما تكون الباء في قوله: «بنور ربها»؟ وما يكون المقصود بنور الرب تبارك وتعالى؟

الجواب: الباء للاستعانة كالتي في «كتبت بالقلم» أو يكون للسببية أي: بسبب نور ربها، ونور ربها هو العدل والحكم بالحق.

(٢)- **سؤال:** هل يكون من جملة شهادة الشهود تعيين من استجاب من المشهود عليهم ومن لم يستجب أم لا؟

الجواب: تكون الشهادة على من أنكر قيام حجة الله عليه أما المؤمنون فلا موجب لإقامة الشهادة عليهم.

(٣)-**سؤال:** إلام يعود هذا الضمير بالنسبة لتركيب الآية؟

الجواب: يعود إلى أهل الحق والباطل يمثل جانب الحق النبيون والشهداء والدليل على ذلك قوله: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾.

وتعالى بينهم بالحكم الحق والعدل، وسيجازيهم على حسب أعمالهم تلك من دون أي زيادة أو نقصان.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ[(١)] أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ۝٧٠﴾ وستستوفي كل نفس جزاء عملها من خير أو شر.

وما جعله الله سبحانه وتعالى من أمر الشهود وعرض الأعمال فإنما هو لما اقتضته حكمته في ذلك من إظهار العدل والحكم بالحق لأهل الموقف، وأن يطلع جميع الخلائق على عملهم، وليعرفوا أن الله لم يحكم عليهم بالعذاب إلا بسبب ما استحقوه وجنوه على أنفسهم، وأنهم هم الذين جنوا على أنفسهم، وتسببوا في خسارتها، وإلا فإن الله سبحانه وتعالى عالم بجميع أعمال عباده غير محتاج إلى التسجيل وإقامة الشهود[(٢)].

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾[(٣)] بعد أن يحكم الله سبحانه وتعالى عليهم بالعذاب ستسوقهم ملائكة العذاب وتجرهم إلى نار جهنم زمرة بعد زمرة.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾[(٤)] وحين

---

(١)-**سؤال:** ما محل هذه الجملة من الإعراب مع التوضيح؟

الجواب: الجملة في محل نصب حال.

(٢)-**سؤال:** هل يمكن أن نجعل هذه الحكمة العظيمة التي ذكرتموها ونحوها غرضاً صحيحاً في وقوع تسجيل الملائكة لأعمال العباد حقيقة في الدنيا مع التيقن أن الله غير محتاج إلى ذلك أم لا ولماذا؟

الجواب: نعم يمكن ذلك وليس هناك ما يمنع من صحة ما ذكرتم وإمكانه.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «زمراً»؟

الجواب: تعرب حالاً من الموصول.

(٤)- **سؤال:** ما يكون المراد بالاستفهام في هذه الآية؟ وما محل جملة: «يتلون عليكم..»؟ وهل يتعدى أنذر بنفسه إلى المفعول الثاني أم كيف؟

الجواب: المراد بالاستفهام هو تقرير ما بعد النفي وجملة «يتلون» في محل نصب على الحال أو في محل =

يقتربون منها تفتح لهم أبوابها وتستقبلهم خزنة جهنم باللوم والعتاب والتوبيخ على جنايتهم على أنفسهم وإيقاعها في العذاب بتكذيبهم بما أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب التي تحذرهم وتنذرهم بأن يتقوا هذا العذاب الذي هم مقبلون عليه.

﴿قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ[1] حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٧١﴾ فيجيبونهم بالإقرار والاعتراف بأنهم قد استحقوا عذاب الله تعالى بسبب كفرهم وتكذيبهم.

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٢﴾ فعندها يجرونهم إلى داخل جهنم التي ستكون مستقرهم ومأواهم الأخير خالدين في العذاب الدائم الذي لا ينقطع ويوبخونهم ويحسرونهم.

﴿وَسِيقَ[2] الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ وفي الجانب الآخر ملائكة الرحمة ستزف الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا بأحكامه وآياته وشرائعه.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۝٧٣﴾[3] فتزفهم الملائكة إلى الجنة التي قد فُتّحت أبوابها لهم

رفع نعت لرسل، و«أنذر» يتعدى بنفسه إلى المفعول الثاني، وشواهده كثيرة منها: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ:٤٠]، ﴿أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾ [القمر:٣٦]، ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۝١٤﴾ [الليل].

(١)-**سؤال:** هل يصح أن يحمل هذا على أنه من جواب الله عليهم لا من جوابهم؟

الجواب: الظاهر أنه من كلام أهل النار.

(٢)-**سؤال:** هل هناك سر في تسميته سوقاً كسوق الفريق الآخر أم لا؟

الجواب: شتان بين السوقين فالأول سوق خزي والثاني سوق كرامة تساق نجائبهم وهم ركوب عليها.

(٣)-**سؤال:** أين جواب «إذا» الشرطية في هذه الآية؟ وما السر في فصل جملة «طبتم» عن سابقتها؟

الجواب: جواب الشرط محذوف؛ لأنه لا يكتنه كنهه ولا يفي لفظ ببيانه. «طبتم» مستأنفة كالتوكيد لما قبلها أو كالبيان إذ المعنى متقارب.

وانتظرت خزنتها على الأبواب لاستقبالهم بالتهاني والتبريكات.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ هنالك سيحمدون الله تعالى على ما وفَّاهم من الأجور التي وعدهم بها في الدنيا.

﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ[١] حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾[٢] ويحمدون الله تعالى على ما أعطاهم من الفرصة في الدنيا للأعمال التي تؤدي بهم إلى هذا الفوز العظيم.

وذلك أن من أكبر النعم أن يخلق الله تعالى الإنسان على وجه الأرض ثم يعرض عليه الأسباب التي تعطيه السعادة الأبدية والنعيم الدائم في الجنة، وأي نعمة أكبر من أن يجازي الله سبحانه وتعالى على العمل القليل بذلك الثواب العظيم الأبدي.

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ[٣]

---

(١)- **سؤال:** إذا كانت جملة «نتبوأ» حالية فلا يصلح أن يكون صاحب الحال «نا الفاعلين» في «أورثنا» لاختلاف الزمانين فهل نحمل وراثة الأرض على استحقاق الجنة لهم، أم أن صاحب الحال غيره فما هو؟

الجواب: «نتبوأ» الجملة حالية من ضمير المتكلمين، والمراد بالأرض أرض الجنة، وأعمالهم هي التي أورثتهم الجنة، أي: أن الله تعالى جعل الجنة جزاءً على أعمالهم.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب هذه الجملة ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾؟

الجواب: «نعم» فعل ماض جامد لإنشاء المدح، «أجر» فاعل نعم، «العاملين» مضاف إلى الأجر، والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: الجنة مبتدأ والجملة قبله في محل رفع خبر.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب «حافِّين»؟ وما محل جملة «يسبحون»؟ وما يبتني على هذا الإعراب من معنى؟ وعلام عطفت جملة: «وقضي بينهم» فصلوا ذلك أيدكم الله؟

الجواب: «حافين» حال. يسبحون: في محل نصب حال. وقضي بينهم: معطوفة على «وترى»، أو في محل نصب حال على إضمار قد.

بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿٧٥﴾[1] ثم وصف الله سبحانه وتعالى قوة ملكه، فأخبر أن هناك أصنافاً من الملائكة -كما في آية أخرى أنهم ثمانية أصناف- يدبرون أمر يوم القيامة من تولي أمر الحساب وسوق الكافرين إلى النار وتعذيبهم وزف المؤمنين إلى الجنة، وهكذا فكل صنف منهم مكلف بعمل من أعمال يوم القيامة، فلا عرش هناك على الحقيقة تحمله الملائكة فوق ظهورها كما يزعمه بعض المخالفين، وإنما هو عبارة عن ملك الله تعالى وإدارته حيث تتولى الملائكة القيام به بأمر الله تعالى.

❁❁❁❁❁



الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله
سورة غافر

(١)-**سؤال:** ما السر في جعل هذه الآية خاتمة لهذه السورة العظيمة؟

الجواب: في هذه الآية تنبيه وإشارة إلى أن السورة قد تمت وانتهت فلا يتوقع السامع بعدها شيئاً، وذلك حيث ذكر التسبيح والحمد والقضاء من حيث صح أنه غاية الخصومة ونهايتها.

الفهرس